رسالة جامعية (     )

# القَبُوريَّة

## نَشأتها ـ آثارهَا ـ مَوقف العلمَاء مِنهَا

«اليمن نموذجاً»

تأليف الشيخ

**أحمَد بن حَسَن المعلم**

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية (قسم العقيدة) من عمادة الدراسات العليا في الجامعة الوطنية بتعز، وحصل فيها على درجة الماجستير بامتياز مع التوصية بالطبع.

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من نِعَمِ الله تبارك وتعالى عليّ أن أعانني على إخراج هذا الكتاب، وطبعه، وتوزيعه بين الناس، وإن كان بصورة ضيقة ومحدودة، وبطبعة شكى كثير من القرّاء من ضعف حروفها، ودقة خطها، إلا أن الكتاب مع ذلك حاز رضا وإعجاب أكثر القرّاء ـ والحمد لله ـ وكادت نسخه تنفد، وجاءت الطلبات من أماكن عديدة مع اقتراح أن يكبر الحرف ويحسن الإخراج، فنزلت عند رغبة هؤلاء المحبين، فكانت هذه الطبعة التي لم يضف إليها أي جديد، وإنما اقتصرت على تصحيح ما أمكن تصحيحه من الأخطاء المطبعية، والفنية، مع تصديرها بعدد من التقريظات لعدة من صفوة علماء اليمن، منهم اثنان من مجلس الإفتاء بالجمهورية اليمنية هما: العلامة الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني، والعلامة الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بكير، ومن علماء اليمن: العلامة المؤرخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، وعالم تريم وابن عالمها العلامة الشيخ علي بن سالم بكيرّ ـ حفظ الله الجميع وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ـ.

ولئن كان في تقديم وتقريظ هؤلاء العلماء، طمأنة للقارئ إلى صحة وسداد منهج الكتاب، فإن فيه في نفس الوقت إلجاماً لتلك الألسنة التي راحت تطعن، وتشكك في الكتاب دون أن تبدي دليلاً واحداً على خطأ مسألة من مسائله، وإنما كان دافعها التعصب الأعمى لما عليه أسلافها، وهي في محاربتها لهذا الكتاب لم تقتصر على مجرد الطعن والتشويه، بل إنها حاولت وبقوة أن تؤلب المسؤولين عليه، وعلى مؤلفه، غير أن مسؤولينا ـ والحمد لله ـ كانوا من الفطنة والحنكة بحيث لم ترُجْ عليهم تلك الدعايات ـ فسلم الله ـ.

وإن من أشد ما يروِّجونه أنني كفرت سلفهم وأئمتهم ـ هكذا يزعمون ـ، والكتاب بين يدي القارئ لا يحتاج إلى أن أدّعي أي دعوى سوى ما يراه القارئ الكريم، بل إنني قد أكدت في الكتاب نفسه أن مجرد نسبة قول أو فعل أو اعتقاد إلى شخص ما ليس بالضرورة أن تصح تلك النسبة إليه، بل ربما لا يدري عنها بالمرة، فأنا لا أحكم على ذلك المعين بمجرد نسبة ينسبها إليه مؤلف من مؤلفي كرامات الأولياء ومناقبهم، وإن كان ذلك المؤلف من أكثر الناس محبة لذلك المعين وتعصباً له؛ لأنني أعرف أن منهج أولئك القوم قائم على الغلو والتبجح واختلاق المناقب والكرامات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونسبتها إلى من يتعصبون لهم، ولكن غرضي من إيراد تلك الأمور والتعليق عليها إدانة المنهج القبوري الذي ينقلها، ويشيعها، ويعتبرها من أعظم مصادر فكره وثقافته.

هذا وحينما اطّلع بعض العلماء والدعاة على الكتاب وجدوه حسبما أخبرني بعضهم قد أرَّخ للقبورية بشكل عام؛ وعلى ذلك اقترحوا أن يعدل اسمه ليكون [القبورية ـ نشأتها ـ آثارها ـ موقف العلماء منها (اليمن نموذجاً)] وقد وافقتهم على ذلك؛ رجاء أن يعم به النفع سائر إخواننا المسلمين في كل مكان، والله الموفق.

هذا ما لزم التنويه إليه في مقدمة الطبعة الثانية، وأسأل الله أن ينفع بها كما نفع بسابقتها، كما أسأله أن يعينني على إكمال ما بدأته من هذا المشوار بما يرضيه سبحانه، إنه سميع مجيب.

وكتبه

**أحمد بن حسن المعلم**

المكلا ـ حضرموت ـ اليمن

١٩ / رمضان / ١٤٢٥هـ



# المقَدّمَة

الحمد لله الذي بيّن عقائد الأمم الهالكة في محكم الكتاب، وأبان ما ترتب عليها من الشقاوة والهلاك في الدنيا والآخرة ليعتبر بذلك أولو الألباب، وحدد بداية الانحراف نحو الشرك وأسبابه لِتُحذَرَ وتُجتَنبَ تلك الأسباب، وكرّه إلينا الأخذ بسبل الضالين والمغضوب عليهم كما نقرأه صباحاً ومساءً في أم الكتاب، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من افتتح رسالته بالدعوة إلى التوحيد، وختم حياته وهو يحذر من الشرك والتنديد، وأسباب ذلك، وخص منها البناء على القبور على وجه التحديد، صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاماً دائمين مستمريْن إلى يوم الوعيد، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، الذين فقهوا إشارته وطبقوا عبارته، فحجبوا قبره عن الأنظار لما خشوا أن يترتب على ظهوره من الفتن والأخطار، ورضي الله عن خلفائه الذين كانت خلافتهم على منهاج النبوة فما انحرفوا عنه ذات يمين ولا يسار، وما تخلوا منه عن قليل ولا كثير، ولا نقير ولا قطمير.

وكان مما عملوا به بمقتضى منصب الخلافة تسوية المشرف من القبور، وتفقد المقابر مما قد يستجد فيها من أمر منكور، أو بناء معمور، وتبعهم على ذلك غالب ولاة الأمور إلى أن انقضت تلك القرون الفاضلة وتصرمت تلك العصور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة معترف بالتقصير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير.

أما بعد: فإن من أبرز أهداف الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله الحفاظ على عقيدة المسلمين صافية نقية كما جاء بها رسول الله ﷺ ومحاربة كل ما يهدد سلامتها ويحط من مكانتها.

ولقد قام الصحابة من ذلك بأوفر نصيب، فجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وألسنتهم، وتبعهم على ذلك من سار على منهاجهم من التابعين، وتمسك بحبل مودتهم من اللاحقين، وما زالت الطائفة المنصورة من أتباعهم على الحق ظاهرين، ولمن خرج عن الصراط قاهرين، وستبقى هذه الطائفة قائمة على الحق

بإذن الله إلى يوم الدين، لا يضرها كيد الكائدين من المخالفين، ولا خذلان القاعدين من المؤالفين، ولقد تنوعت أساليب جهادها وميادين حربها لأعدائها ما بين السيف والسنان والقلم واللسان، وبين جهاد الكفار الظاهرين والمبتدعة والمنافقين، كلٌ بما يليق بحاله ويحقق إزالة منكره وضلاله، ممتثلين قول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣]، وقوله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]، وبذلك حفظ الله هذا الدين وثبت الإيمان واليقين.

ولكن قضاء الله المبرم وسننه الكونية التي لا تخرم، قضت بانحراف طوائف من هذه الأمة، وأخذها بسنن الأمم الماضية والقرون الخالية في جوانب مختلفة من عقائدها وأعمالها، وكان لكل فرقة حلية وشعار يعرفه من طالع كتب تاريخ العقيدة على تتابع الأعصار، وكان من أبرز شعارات الشيعة الغالية والصوفية الجاهلة ـ التي هي من العلوم خالية ـ الغلو في الصالحين من الأئمة والأولياء غلواً حملهم على أن (أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق)[(١)]، ولأجل أنهم قد فارقوا الحياة، ولا يمكن الالتقاء بذواتهم الباليات، عمدوا إلى تشييد المشاهد والقباب لتكون ملجئاً إليه يلجؤون وعليه يعولون، كما صور عبّاد الأوثان صور الأنبياء والصالحين وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله كما قرر ذلك الإمام الفخر الرازي[(٢)].

ومن منطلق الغلو في البشر تولدت العقائد الضالة، والتصورات المنحرفة، والأعمال الباطلة المراغمة لصرائح آيات الكتاب، وصحيح السنة الذي لا شك فيه ولا ارتياب.

ومنذ أن ظهر ذلك الانحراف والعلماء لهم بالمرصاد، ينكرون تلك الضلالات، ويقررون أحكام تلك البدع والمنكرات، بين مصرح وملمح، ومقل ومستكثر، لم يختص بذلك مذهب دون مذهب[(٣)]، أو عصر دون آخر، وإن كان

---

(١) «الملل والنحل» (١/ ١٢٧).

(٢) انظر: «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي (١٧/ ٦٠).

(٣) ولبيان جهود علماء المذاهب المختلفة في الرد على القبورية ألفت رسائل علمية في جهود كل =

يقوى الإنكار حيناً، ويضعف حيناً آخر على مقتضى الأحوال، كما أن القبورية نفسها كانت تسفر عن وجهها حيناً وتتبرقع بالتقية حيناً آخر.

وفي عصرنا هذا، عصر الصحوة المباركة، التي أقضّت مضاجع الكافرين، ودوّخت جنود الغازين المعتدين، وأشعرت طوائف الكفر المختلفة أن الجولة القادمة للإسلام، وأن الخصم الحقيقي للكفر وأهله هم أبناء الصحوة ورموزها العظام، السائرون على منهج أسلافهم الصالحين الكرام، فصمم الكفار على محاربة هذا الاتجاه لتمسكه الصارم بجميع ما تقتضيه لا إله إلا الله، وأرادوا أن يحل محلهم من يُجَزِّئ ذلك وفق شهوته وهواه، فشجعت دوائر النظام الدولي الجديد ووكلاؤها في بلاد المسلمين سائر الفرق الضالة المنتمية للإسلام على الظهور والتصدر والانتشار في الساحة الإسلامية، لتكون البديل المناسب الذي يمكن التعامل معه باسم الإسلام؛ لإلغاء وجود العلماء العاملين والدعاة الصادقين وأتباعهم المخلصين.

ومن تلك الطوائف التي وقع عليها الاختيار الصوفية المنحرفة، وقد رأينا آثار ذلك الاختيار في صورة دعم مادي ومعنوي للطرق الصوفية، ودعاة القبورية المعاصرين ومنهم رموز في اليمن، حيث قد ثبت اهتمام السفارات الأجنبية بأولئك الرموز، ومؤسساتهم الدعوية العلمية بل إن بعض السفارات قد قدمت الدعم المادي القوي لبناء بعض مشاريعهم التعليمية وغيرها، وبذلك نشطت الصوفية في اليمن نشاطاً ملحوظاً، حيث أقامت الجمعيات والجامعات، وأعادت فتح الأربطة التعليمية القديمة، وأنشأت أخرى جديدة، وأسست دور نشر ومكتبات، لبعث تراثهم الفكري ومنهاجهم القبوري، وشرعت في تجديد وترميم المشاهد والقباب، وإعادة الزيارات القبورية لسالف عهدها.

وذلك في نظري تهديد مباشر للعقيدة، وتوهين للاتّبَاع، وعمل على نشر الشرك والابتداع، فكان من الواجب على كل قادر أن يذب عن هذا الدين، ويدافع عن عقائد المسلمين، ومن أنجح هذه الوسائل ـ حسب اعتقادي ـ كشف حقيقة الخصم، وتعرية مبادئه ومناهجه؛ ليحذره الناس، ويتحصنوا عن الاغترار بدعوته والوقوع في

---

= مذهب على حدة، هي: «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» للدكتور: شمس الدين السلفي الأفغاني، «وجهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة» للدكتور عبد الله العنقري، و«جهود أئمة المالكية» للشيخ: عبد الله العرفج، أما علماء الحنابلة فجهودهم أكثر من أن تحصر في كتاب.

فتنته، فجاءت هذه الرسالة التي أكتبها لإتمام متطلبات التخرج في مرحلة الماجستير وسميتها «**القبورية، نشأتها ـ آثارها ـ موقف العلماء منها (اليمن نموذجاً)**».

## أسباب اختيار الموضوع:

ولقد كان لاختياري هذا الموضوع أسباب منها:

١ ـ ابتغاء الأجر والثواب بالإسهام في تنقية العقيدة مما نسب إليها من الانحراف والضلال.

٢ ـ رغبتي الذاتية الملحة في معرفة أسرار الفرق القبورية، والتأكد مما يقوله الناس عنها، وإقامة الدليل على ما صح من ذلك من كتب القوم أنفسهم.

٣ ـ ما سبقت الإشارة إليه من وجود خطورة على عقيدة المسلمين، تمثلها الدعوة القوية للقبورية، وتزيين مبادئها وأعمالها، ونشر كتبها وفكرها، فالقبورية من أقوى معاول هدم العقيدة وزعزعة قواعد التوحيد؛ لذا وجب بيان حقيقتها، وكشف مساوئها وتحذير المسلمين من خطرها.

٤ ـ أن التراث الصوفي والشيعي الذي يُضَخُّ إلى عقول ونفوس الأمة، لو وصل مباشرة إلى القارئ دون تعليق أو تنبيه عليه من قبل من يعرف حقيقته؛ قد يؤثر في النفوس، لما يشتمل عليه من شبهات وتزيين للباطل؛ فلذا لزم قراءة ذلك الفكر قراءة علمية وكشف ما يحتوي عليه من باطل، ثم توعية الأمة تجاهه من وجهة نظر أهل السنة؛ ليكون في ذلك حصانة للقارئ والباحث عن الحق من العوام وأشباههم.

٥ ـ أن كثيراً من طلاب العلم والدعاة يعرفون حقيقة القبورية بصورة مجملة، فهم يبغضونها ويحاربونها، ولكنهم يخفقون في بعض الأحيان لعدم المعرفة المفصلة بها، فأردت أن أقدم لهم زاداً يفيدهم في هذا الميدان.

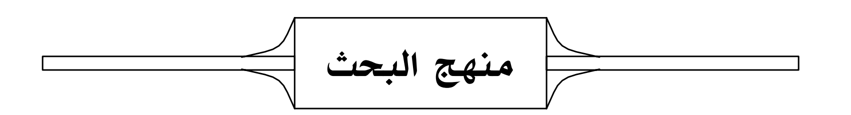
٦ ـ أن من يدرس الصوفية «القبورية» في العالم الإسلامي ويمثل بأقوال وأفعال المتصوفة، لا يكاد يذكر مثالاً عن صوفية اليمن، وكأنه لا يوجد تصوف في اليمن، مغرق في الغلو والضلال، كما هو الحال في بقية بلدان المسلمين، فأردت أن أقدم هذه المادة من فكر صوفية اليمن، يستفيد منها الباحثون، ويمثلون بها متى شاءوا.

هذه هي أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع، وهي دوافع وجيهة في نظري، إذ لا أهم من التحذير من الشرك والعمل على حماية التوحيد،

فهذان الأصلان هما خلاصة دعوة الرسل عليهم السلام، وأما اعتراض من يقول: إن الوقت ليس وقت الردود والصراع داخل الصف الإسلامي، فإن ذلك المعترض عليه أن يوجه هذا اللوم إلى من ينشر الشرك والبدع؛ إذ ذلك هو السبب الحقيقي للصراع والنزاع، كما قرره القرآن، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة: ١٤]، قال قتادة: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ إن القوم لما تركوا كتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بأعمالهم أعمال السوء، ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره ما افترقوا ولا تباغضوا[١].



(١) «تفسير ابن جرير» (٦/ ١٠٢).



## منهج البحث

ولما استقر الرأي على البحث في هذا الموضوع بعد المشاورة والتباحث مع الكثير ممن أثق بهم من علماء اليمن، وتشجيعهم لي على المضي في هذا السبيل، عزمت متوكلاً على الله، فجمعت ما تيسر من المراجع المتعلقة بالموضوع، وبالأخص كتب التشيع والتصوف، وقد حصلت على بعض كتب الشيعة وكثير من كتب الصوفية اليمنيين، وبالأخص صوفية حضرموت، منها المطبوع وبعض المخطوطات المصورة؛ ثم قرأتها وجمعت المادة المطلوبة وصنفتها حسب ما يخدم الموضوع.

وقد اتبعت في كتابتها هذا المنهج:

١ ـ حرصت على إكمال صورة الموضوع بأن ذكرت ابتداء القبورية منذ فجر التاريخ كما قصها القرآن الكريم، ثم مررت بقبورية اليهود والنصارى واليونان؛ لإخبار النبي ﷺ عن شبه هذه الأمة بهم، ولوقوع ذلك فعلاً، ثم مررت بقبورية ووثنية العرب لإكمال التقسيم، وقد أرّخت للقبورية في العالم من كتب التاريخ والتفسير والحديث عند أهل السنة وكذلك القبورية في الأمة، كان كثير من مراجعي هي كتبهم ولكن بواسطة كتب العلماء الثقات، والرسائل العلمية المعتمدة، مع ذكر المصدر الأصلي والواسطة التي أخذت عنها، بالإضافة إلى ما تيسر لي الحصول عليه من المصادر الأصلية.

٢ ـ أما قبورية اليمن فلم آخذ أقوالهم إلا من كتبهم أنفسهم بدون واسطة، وقد التزمت دقة النقل والحفاظ على نصوصهم كما هي، حتى إنني أدع كلامهم على ما هو عليه وإن كان فيه أخطاء، وقد أنبه على بعض الأخطاء الفاحشة وغير الفاحشة، وقد أدع ذلك لإدراك القارئ.

٣ ـ هناك نصوص كثيرة لم يلتزم أصحابها اللغة الفصحى، ولم يتقيدوا بقواعد النحو، وقد نقلتها كما هي، وإن رأيت شيئاً منها يحتاج إلى توضيح أوضحته في الهامش.

٤ ـ لم أحتجّ من الأحاديث إلا بحديث صححه عالم معتبر من علماء الحديث،

وأما الروايات التاريخية فأعتمد منها ما اعتمده العلماء وتناقلوه في كتبهم، ولم أرَ من وهَّاها أو انتقدها من حيث السند، وهذه الروايات بالطبع لا يبنى عليها حكم، وإنما يستشهد ويستعان بها على تصوير الموضوع وتجلية ملامحه.

٥ ـ عزوت جميع الآيات إلى سورها، وخرّجت جميع الأحاديث التي استدللت بها، وغالب الأحاديث التي جاءت ضمن النقول عن الآخرين، وكافة الآثار التي استدللت بها كذلك إلا ما ندر، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما مع ذكر موضعه من الكتاب والباب، إضافة إلى رقم الجزء والصفحة، وما كان في غيرهما خرّجته من عدد من المراجع التي يطمئن القارئ بالرجوع إليها، مع إيراد حكم علماء الحديث عليها دون أن أبدي رأيي غالباً مكتفياً بحكمهم.

٦ ـ شرحت بعض الكلمات الغريبة والمصطلحات الغامضة حيث أرى لذلك فائدة، وقد أترك بعضها إما لعدم الجدوى من شرحها أو للاختصار أو لضيق الوقت.

٧ ـ لم ألتزم بتعريف الأعلام جميعاً، وإنما عرّفتُ الأعلام المهمة، أو من له علاقة بالبحث الذي يرد فيه، وأما الصحابة وكبار المؤلفين وأصحاب الأمهات الحديثية، فلم أتعرض لهم إلا لغرض خاص؛ وذلك لشهرتهم، ولئلا أثقل كاهل الرسالة، وهناك جماعة من الأعلام اكتفيت بذكر تاريخ وفاتهم مع الإحالة إلى تراجمهم عند المؤرخين وعلماء التراجم.

٨ ـ لقد قصدت إلى جمع أكثر عدد من النصوص والحكايات الصادرة عن القبورية وعرضها على الباحثين المهتمين بدراسة القبورية والصوفية، للاستفادة منها في أبحاثهم ودراستهم، ولم يكن قصدي الدراسة الوافية لتلك النصوص دراسة عقدية تلزمني بالإسهاب في المعالجة، وإنما علقت على بعض تلك النصوص تعليقات موجزة مناسبة لهذا القصد، ولم أتوسع إلا في مواضع دعت الحاجة إلى التوسع فيها.

وأنا أعلم أنني لم أُعطِ البحث حقه، غير أني أرجو أن أكون قد وفقت لفتح هذا الباب والولوج في هذا المسلك الذي ظل مهجوراً لم يقتحم مجاهله أحد ـ حسب علمي ـ بالصورة التي سرت عليها، ولعل الله أن ييسر لي أو لغيري من الباحثين العودة إلى تلك المباحث والتعمق في دراستها وتوسيع نطاقها، لتقديم صورة شاملة ومعالجة شافية لها، نصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وكشفاً للباطل وإزهاقاً له.

٩ ـ لإتمام الإفادة وتيسير الاستفادة قمت بعمل فهارس للرسالة هي:

أ ـ فهرس الآيات.

ب ـ فهرس الأحاديث.

ج ـ فهرس الآثار.

د ـ فهرس الأعلام المترجمين.

هـ ـ فهرس المصادر والمراجع.

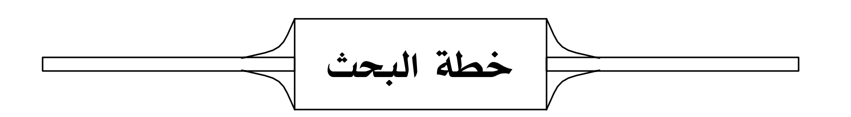
و ـ فهرس الموضوعات.

وقد قمت باختصار أسماء بعض المراجع التي يكثر الرجوع إليها، ومنها:

| اسم المرجع | الاسم المختصر |
|---|---|
| فتح الباري | الفتح |
| سير أعلام النبلاء | السير |
| طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص | الطبقات |
| المشرع الروي | المشرع |
| القاموس المحيط | القاموس |
| كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية | كنوز السعادة |
| هجر العلم ومعاقله في اليمن | هجر العلم |
| بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هود | بذل المجهود |
| العسجد المسبوك | العسجد |
| قرة العيون في أخبار اليمن الميمون | قرة العيون |
| غرر البهاء الضوي | الغرر |

وكُتُب الشيخ الألباني صحيح السنن (أبي داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه) في الغالب أخرّج الحديث من كتاب السنن نفسه، ثم أقول وصححه الشيخ في صحيحه، أي في صحيح ذلك الكتاب.





## خطة البحث

وعندما عزمت على كتابة رسالة التخرج حسب متطلبات إنهاء مرحلة الماجستير فكرت في الموضوع الذي أطرقه، بحيث يكون موضوعاً حياً حاضراً في الساحة، وبحيث تنشر الرسالة وتفيد ولا تبقى على الأرفف ككثير من الرسائل التي كتبت لمجرد الحصول على الشهادة، وقد شاورت في ذلك وباحثت كثيراً ممن أثق بهم من مشايخي علماء اليمن وإخواني طلاب العلم، وكان هذا الموضوع يراود نفسي منذ أمد بعيد فشجعني عليه من شاورته، وحفزني على المضي فيه من ناقشته، وعند ذلك توكلت على الله وكتبت هذه الرسالة «**القبورية ـ نشأتها ـ آثارها ـ موقف العلماء منها، اليمن نموذجاً**».

وقد جاءت في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

**المقدمة:**

وقد أبنتُ فيها أهمية الموضوع، والأسباب التي دفعتني لاختياره، ومنهجي في البحث وخطة الرسالة.

**الباب التمهيدي:**

وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القبورية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القبورية لغة.

المطلب الثاني: تعريف القبورية اصطلاحاً.

المبحث الثاني: خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك وخطورته.

المطلب الثاني: الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك.

المطلب الثالث: الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية.

المطلب الرابع: كثرة النصوص الناهية عن تعظيم القبور والعلة في ذلك.

المبحث الثالث: هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: موازنة الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات بالحفاظ على كرامة الأموات وعقيدة الأحياء.

المطلب الثاني: تعامل الصحابة مع ما عرف من قبور الأنبياء.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعاملهم مع قبر النبي ﷺ.

المسألة الثانية: تعاملهم مع النبي دانيال عليه السلام حين عثروا على جسده.

المطلب الثالث: كيف تصرف التابعون حين اضطروا إلى توسعة المسجد ليشمل الحجرة النبوية موضع القبر الشريف في خلافة الوليد بن عبد الملك.

المطلب الرابع: هدي الإسلام في زيارة القبور.

**الباب الأول: نشأة القبورية:**

وفيه أربعة فصول:

**الفصل الأول:** نشأة القبورية في العالم:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأة القبورية في العالم بأسره.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طروء الشرك.

المطلب الثاني: إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين.

المبحث الثاني: القبورية عند اليهود والنصارى.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القبورية عند اليهود.

المطلب الثاني: القبورية عند النصارى.

المبحث الثالث: قبورية اليونان.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية.

المطلب الثاني: قبورية فلاسفة اليونان.

المطلب الثالث: اتباع قبورية المسلمين للفلاسفة في علة زيارة القبور.

المبحث الرابع: القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم الحنيفية السمحة.

المطلب الثاني: القبورية أصل الوثنية عند العرب.

المطلب الثالث: انتشار الأصنام في جزيرة العرب.

المطلب الرابع: الحنفاء من العرب.

**الفصل الثاني**: القضاء على الوثنية والقبورية على عهد رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين إلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حال جزيرة العرب حين مبعث النبي ﷺ وكيف قضى على الوثنية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حال جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ.

المطلب الثاني: قضاء النبي ﷺ على الوثنية في جزيرة العرب.

المبحث الثاني: إنذار النبي ﷺ بعودة الشرك إلى جزيرة العرب، والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإنذار بعودة الشرك إلى جزيرة العرب.

المطلب الثاني: الرد على من زعم المنع من عودة الشرك إلى جزيرة العرب.

المبحث الثالث: خلو القرون المفضلة من مظاهر القبورية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تصريح العلماء بخلو القرون المفضلة من وجود المشاهد والمساجد على القبور.

المطلب الثاني: ما يستدل به القبورية على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون.

المطلب الثالث: الرد على ما استدلوا به على وجود مشاهد ومبانٍ على القبور في تلك القرون.

المطلب الرابع: التصريح بتسوية الصحابة لما ارتفع من القبور، وإزالة ما استجد في المقابر من فساطيط ونحوها.

المطلب الخامس: محاولات الشيعة المبكرة لإنشاء المشاهد وتصدي الخلفاء لذلك.

**الفصل الثالث**: نشأة القبورية في الأمة المحمدية والتعريف بأهم الفرق القبورية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشيعة رائدة القبورية في الأمة المحمدية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف.

المطلب الثاني: نشأة الشيعة وأهم فرقها.

المطلب الثالث: عقائد الشيعة الباعثة على القبورية.

المطلب الرابع: دور الشيعة في نشر القبورية في الأمة.

المبحث الثاني: الصوفية ربيبة الشيعة ناشرة القبورية في الأمة المحمدية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالصوفية.

المطلب الثاني: نشأة التصوف.

المطلب الثالث: العلاقة بين التصوف والتشيع.

المطلب الرابع: عقائد الصوفية الباعثة على القبورية.

المطلب الخامس: دور الصوفية في نشر القبورية في الأمة.

المبحث الثالث: مساهمة السلاطين في نشر القبورية في الأمة المحمدية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: لمحة سريعة عن قبورية السلاطين عبر التاريخ.

المطلب الثاني: الباعث الذاتي لقبورية السلاطين.

المطلب الثالث: الباعث السياسي لقبورية السلاطين.

**الفصل الرابع**: نشأة القبورية في اليمن.

وفية أربعة مباحث:

المبحث الأول: حال اليمن قبل نشوء القبورية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إسلام أهل اليمن.

المطلب الثاني: رسل النبي ﷺ إلى اليمن.

المطلب الثالث: مذاهب اليمنيين من فجر الإسلام إلى قيام الدولة الصليحية.

المطلب الرابع: استمرار منهج السلف الصالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له.

المبحث الثاني: الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: طوائف الإسماعيلية التي دخلت اليمن.

المطلب الثاني: لمحة عن الدولة الصليحية مؤسسة القبورية في اليمن.

المطلب الثالث: دور الدولة الصليحية في نشر القبورية في اليمن.

المطلب الرابع: استمرار القبورية الإسماعيلية.

المبحث الثالث: مساهمة السلاطين في نشر القبورية في اليمن:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السلاطين هم وراء المظاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية.

المطلب الثاني: مساهمة أئمة الزيدية في نشر القبورية في اليمن.

المطلب الثالث: مساهمة الدولة الرسولية في نشر القبورية في اليمن.

المبحث الرابع: نشأة التصوف وأهم الطرق الصوفية في اليمن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة الصوفية في اليمن.

المطلب الثاني: أهم الطرق الصوفية التي عرفتها اليمن.

**الباب الثاني: آثار القبورية:**

وفيه مدخل وثلاثة فصول:

المدخل: وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين.

**الفصل الأول:** عقائد القبورية الضالة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القطب.

المطلب الثاني: اعتماد ما تقرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن.

المطلب الثالث: التصرف في الكون أهم وظائف القطب.

المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون.

المبحث الثاني: عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرجعة وإثبات أصولها الشيعية.

المطلب الثاني: إثبات اعتقاد قبورية اليمن للرجعة.

المطلب الثالث: في الرد على معتقدي الرجعة ورؤية النبي ﷺ يقظة.

المطلب الرابع: لوازم هذا الاعتقاد وما يترتب عليه من مفاسد.

المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر والالتقاء به.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الخضر عند أهل السنة.

المطلب الثاني: حقيقة الخضر عند الصوفية.

المطلب الثالث: نماذج من دعاوى الصوفية رؤية الخضر عليه السلام.

المطلب الرابع: إبطال دعوى القوم ولاية الخضر وحياته ورؤيتهم له.

**الفصل الثاني:** تعظيم القبور.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اعتقادهم تعظيم وبركة مقابر مخصوصة.

المطلب الثاني: اعتقادهم بركة قبور معينة بركة عامة.

المطلب الثالث: اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور.

المطلب الرابع: اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور.

المطلب الخامس: اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين.

المطلب السادس: اعتقادهم أن بعض القبور متخصصة في قضاء حاجات معينة.

المبحث الثاني: ظاهرة البناء على القبور وإلباسها.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها.

المطلب الثاني: القبور المنسوبة إلى الأنبياء، والقبور المجهولة.

المطلب الثالث: طريقة القوم في اكتشاف القبور المعظمة وإظهارها.

المطلب الرابع: الأنصاب والمشاهد التي لا قبور فيها.

المطلب الخامس: إلباس القبور وكسوتها.

المبحث الثالث: الزيارات القبورية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: زيارة القبور عند القبورية وأصلها الفلسفي.

المطلب الثاني: ظاهرة الزيارات القبورية.

المطلب الثالث: شعائر الزيارات القبورية.

المطلب الرابع: الفساد الأخلاقي في الزيارات وصلته بالعقائد القبورية.

المطلب الخامس: الانحراف العقدي المترتب على تلك الزيارات.

**الفصل الثالث:** أثر القبورية في نشر الأمراض الاجتماعية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر القبورية في نشر السحر والكهانة في اليمن.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إثبات أن من الصوفية (القبورية) من يتعاطى علوم السيميا وأسرار الحروف والأوفاق والرمل.

المطلب الثاني: إثبات أن من صوفية اليمن من يتعاطى تلك الأنواع من العلوم.

المطلب الثالث: إثبات أن منهم من يستخدم الجن.

المطلب الرابع: إثبات أن علوم السيميا وأسرار الحروف والأوفاق من علوم السحر.

المطلب الخامس: تعريف الرمل، وأنه من الكهانة، وبيان حكمه شرعاً.

المبحث الثاني: نشر الخرافة في الأمة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: في تعريف الخرافة.

المطلب الثاني: الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الولاية.

المطلب الثالث: الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الكرامة.

المطلب الرابع: آثار انتشار الخرافة.

المبحث الثالث: التمايز الطبقي: مظاهره ووسائل تكريسه.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عدالة الإسلام وتسويته بين الناس.

المطلب الثاني: إثبات وجود طبقات مترفعة على المجتمع باسم النسب والعلم والولاية.

المطلب الثالث: مظاهر التمايز الطبقي.

المطلب الرابع: نماذج من الخرافات التي استخدمها القبورية لتعميق سلطتهم واستعلائهم.

المبحث الرابع: انتشار الجهل والأمية في الأمة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حال اليمن قبل انتشار التصوف من الناحية العلمية.

المطلب الثاني: أثر انتشار التصوف في انحسار العلوم الشرعية.

المطلب الثالث: تجهيل الأمة.

**الباب الثالث: مواجهة علماء اليمن للقبورية:**

وفيه فصلان:

**الفصل الأول:** أساليب القبورية في محاربة مخالفيها.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الاحتواء والاختراق.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: محاولة احتواء المخالف.

المطلب الثاني: محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطهم.

المبحث الثاني: الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم.

المطلب الثاني: استخدام الخرافة والشعوذة والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف.

المبحث الثالث: استخدام القوة في محاربة الخصم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللجوء إلى السلطان.

المطلب الثاني: اللجوء إلى القبائل المسلحة وحملها على إخضاع خصومهم.

المطلب الثالث: اعتماد التصفية الجسدية للخصوم.

المطلب الرابع: تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة.

**الفصل الثاني**: موقف علماء اليمن من القبورية وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها.

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

**التمهيد**: في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد.

المبحث الأول: موقف علماء اليمن من القبورية الإسماعيلية وجهودهم المشكورة لمواجهتها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية.

المطلب الثاني: أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن.

المطلب الثالث: المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية الإسماعيلية.

المبحث الثاني: المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهود علماء اليمن الأعلى (صنعاء وما يليها).

المطلب الثاني: جهود علماء اليمن الأسفل (من إب إلى عدن).

المطلب الثالث: جهود علماء تهامة في مواجهة القبورية.

المطلب الرابع: جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية.

المبحث الثالث: الردود الواردة في ثنايا كتب الفنون المختلفة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ردود في كتب التاريخ.

المطلب الثاني: ردود على القبورية جاءت على ألسنة الشعراء.

المطلب الثالث: نقول عن بعض من يعتقدهم القبورية في نقد بعض عقائد وأعمال القبورية.

المطلب الرابع: فتاوى وبيانات جماعية للتحذير من عقائد وأعمال القبورية.

المبحث الرابع: الجهود العملية لمواجهة القبورية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في اليمن.

المطلب الثاني: دعوة الإرشاد بإندونيسيا وأثرها على القبورية في اليمن.

المطلب الثالث: جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في المواجهة العملية للقبورية.

المطلب الرابع: الجهود العملية المختلفة التي قام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن.



## شكر وتقدير

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى على مننه العظيمة، ونعمه الجسيمة، التي من أعظمها عليّ إتمام هذه الرسالة بهذه الصورة، فله سبحانه جزيل الحمد والشكر.

ثم إنني أثني بشكر كل من أعان برأي أو مشورة أو تصويب خطأ أو دلالة على حق في كافة مراحل عملي، وهم كثر لا تتحمل هذه المقدمة ذكرهم، ولكن أخص بالشكر شيخي الجليل العلامة حسن بن محمد مقبولي الأهدل الذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على الرسالة، ولم يبخل عليَّ بنصحه وتوجيهه، كما لم يبخل عليَّ بوقته الثمين، فجزاه الله خير الجزاء، وأشكر كذلك صاحبَي الفضيلة أ.د. إبراهيم بن إبراهيم القريبي، رئيس قسم الدراسات بكلية التربية جامعة الحديدة، وأ.د. غالب بن عبد الكافي القرشي، الأستاذ بكلية الشريعة جامعة صنعاء عضو المجلس الاستشاري وزير الأوقاف والإرشاد سابقاً، على تفضلهما بقراءة الرسالة وإبداء الملاحظات القيمة عليها، وتصويب بعض أخطائها ومناقشة ذلك، فجزاهما الله خير الجزاء، كما أشكر فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بكير؛ لتعاونه الكبير معي وإمدادي ببعض ما أحتاجه مما لديه من علم ومصادر ومعرفة بتاريخ حضرموت، وكذلك فضيلة الشيخ العلامة علي سالم سعيد بكيّر، الذي أمدني بعدد من المصادر ما كنت لأحصل عليها إلا من طريقه، وكذلك أمدني بالكثير من الآراء والملاحظات القيمة.

ومثله القاضي العلامة إسماعيل بن علي الأكوع، الذي رجعت إليه كثيراً فيما يتعلق بتاريخ اليمن وأعلامها، كما أشكر الأخ الأستاذ وليد بن عبد الرحمن الربيعي، الذي حصلت بواسطته على مصورات لعدد من المراجع المخطوطة والمطبوعة النادرة.

كما أشكر الولد البار والصهر الوفي حسين بن علي بن محفوظ، الذي لازمني طوال عملي في الرسالة، وقام بجهود مشكورة في الطباعة والمراجعة وغير ذلك،

وكذا أشكر الأخ الكريم عبد الله بن علي بارجاش، الذي تولى طباعة معظم الرسالة، فلهما خالص الشكر، ومن الله جزيل الأجر.

وإن أنسَ فلن أنسى شكر شيخي الجليل وأستاذي الفاضل أبي عبد الله حسن باعمر العمودي، الذي غرس في نفسي حب التوحيد والاتباع، وكرَّه إليّ الخرافة والابتداع، وأخذ بيدي منذ نعومة أظفاري إلى مجالس العلماء ويسّر لي التعرف على المشايخ الفضلاء، وما زال يتعهدني ويتفقد أحوالي إلى اليوم، وما أحسب هذا العمل إلا ثمرة من ثمار غرسه المبارك، أسأل الله أن يجزيه خير ما جزى معلماً عن تلميذه.

كما أشكر الإخوة الكرام والأبناء الأعزاء الذين تفرغوا معي أياماً متوالية يواصلون الليل بالنهار بالتصحيح والمقابلة وإتمام الطباعة، برئاسة الشيخ الكريم أبي مروان صالح بن مبارك دعكيك، فجزاهم الله خيراً وكتب ذلك في ميزان حسناتهم، وأجرى عليهم من أجر هذه الرسالة إن قبلها وأثاب عليها.

ولا أنسى شكر رئاسة الجامعة الوطنية وعمادة الدراسات العليا بها، وكافة المنتسبين إليها على إتاحة الفرصة لي، وقبولي طالباً من طلاب الجامعة، وتقديم كافة التسهيلات، حتى يسّر الله لي إتمام الرسالة ومناقشتها، فجزاهم الله خيراً، ووفقهم للمضي في خدمة الأمة.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**



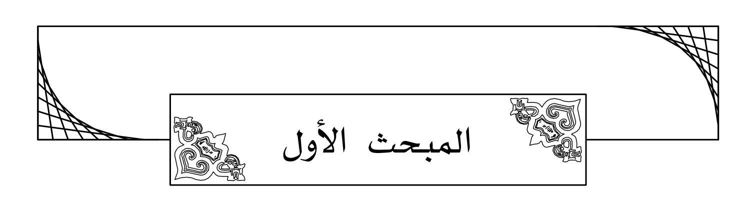
# الباب التمهيدي

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** تعريف القبورية.

**المبحث الثاني:** خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية.

**المبحث الثالث:** هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها.




# تعريف القبورية

## وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: تعريف القبورية لغة:

القبورية لغة: جمع قبوري، وهو مصدر صناعي صيغ بإضافة اسم مجموع «قبور» إلى ياء النسبة المردوفة بالتاء.

وقد سَوَّغ نسبته للجمع ـ مع أن له واحداً مستعملاً من لفظه ـ أنه صار (جارياً مجرى العلم لاختصاصه بطائفة بأعيانهم؛ كأنصاري نسبة إلى الأنصار، وأصولي نسبة إلى علم الأصول؛ لأنه غلب على عِلْم خاص حتى صار كالعَلَم عليه)[١].

وبذلك يكون إطلاق هذا اللفظ على مقدِّسي القبور والغلاة فيها سائغاً؛ لأنه قد صار كالعلم عليهم. وأصل القبورية مأخوذ من «القبر» وهو مدفن الإنسان إذا مات. وجمعها قبور، والمقبرة: موضع القبور، وجمعها مقابر. وقبرت الميت قبراً إذا دفنته، وأقبرته «بالألف» أمرت أن يقبر أو جعلت له قبراً[٢].

### المطلب الثاني: تعريف القبورية في الاصطلاح:

دأب العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ على إطلاق وصف «القبورية» على الغلاة في تعظيم القبور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، وقصدها بأنواع العبادات والقربات، ودعاء أربابها من دون الله تعالى.

---

(١) انظر: «شرح التصريح على التلويح» للشيخ خالد الأزهري (٢/٣٣٦)، طبع دار الفكر، بيروت، و«همع الهوامع» للسيوطي (٢/١٩٧)، طبع سنة (١٣٢٧هـ)، بعناية محمد بدر الدين النعساني.

(٢) مادة «قبر» في «لسان العرب» لابن منظور، طبع دار الفكر، الطبعة الأولى سنة (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، و«القاموس المحيط» للفيروز آبادي، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

وسأنقل لك طائفة من عباراتهم في ذلك وأكتفي بجماعة من علماء اليمن: فمنهم العلامة البدر محمد بن إسماعيل الأمير رَحِمَهُ اللَّهُ[١] حيث قال في كتابه الشهير «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»: (والنذر بالمال على الميت ونحوه، والنحر على القبر، والتوسل به، وطلب الحاجات منه، هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً، والأسماء لا أثر لها ولا تُغيّر المعاني)[٢].

ومنهم العلامة حسين بن مهدي النعمي[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب» ذكرهم بلفظ القبوريين فقال: (والمشروع فيها ـ زيارة القبور ـ إنما هو تذكر الدار الآخرة والإحسان إلى الميت المزور بالدعاء والترحم، والاستغفار، وسؤال العافية. فقلب القبوريون الأمر، وعكسوا مقاصد الشرع، وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت، والدعاء به، وسؤاله الحوائج، واستنزال البركات، والنصر على الأعداء. فأساءوا إلى أنفسهم وإلى الميت)[٤] إلخ.

ومنهم شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ أطلق هذا اللفظ في «نيل الأوطار» حيث قال في كتاب الجنائز: (وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهتْ عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكّأ، وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ

---

(١) انظر ترجمته: ص(٥٣٧).

(٢) «تطهير الاعتقاد» ص(٣٧)، ضمن مجموعة رسائل في التوحيد قام على طبعها القاضي عبد الرحمٰن بن يحيى الإرياني، طبع دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، وقد كرر هذا المصطلح في الصفحات (٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٥١)، كما أطلقه في كتابه «الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف» ص(٤٧، ٥٧)، حققه مجموعة من طلاب العلم بإشراف الشيخ حسن بن علي حسين عواجي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

(٣) انظر ترجمته: ص(٥٦٥).

(٤) «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب» تحقيق محمد حامد الفقي وتخريج علي بن حسن بن عبد الحميد، طبع دار المعرفة بالرياض، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، ص(١٤٠)، وكرر مثل ذلك في ص(١٥٣، ٢١٨).

(٥) انظر ترجمته: ص(٥٤٥).

فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة)[١] إلخ.

وقال في كتابه «الدر النضيد» وهو يتكلم عن حكم التصوير: (فانظر إلى ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصورين لكونهم فعلوا فعلاً يشبه فعل الخالق، وإن لم يكن ذلك مقصوداً لهم، وهؤلاء القبوريون قد جعلوا بعض خلق الله شريكاً له، ومثلاً ونداً، فاستغاثوا به فيما لا يستغاث فيه إلا بالله، وطلبوا منه ما لا يطلب إلا من الله، مع القصد والإرادة)[٢].

ومنهم العلامة السلفي الشيخ محمد بن علي بافضل[٣] رحمه الله في كتابه «دعوة الخلف إلى طريقة السلف» فقد قال: (أما استغاثة القبوريين بمن يعتقدون صلاحه من الموتى فغير جائزة شرعاً وعقلاً، بل هو شرك ينبغي التنبيه عليه وإنكاره)[٤].

بعد هذه النقول التي مرَّت بنا يتضح لنا أن العلماء يطلقون لفظ القبوريين، ومثله القبورية على الغلاة في أرباب القبور الذين يعتقدون فيهم النفع والضر، ويطلبون منهم حاجاتهم، ويلوذون بهم عند خوفهم، ويقدِّمون لهم أنواعاً من العبادات والقرابين كالدعاء، والنذر والذبح، والحلف بهم. ويتلخص من ذلك أن القبورية عند العلماء هم: (طائفة غَلَت في أصحاب القبور، واعتقدت فيهم عقائدَ ضالة حملَتها على تعظيم قبورهم وآثارهم والتقرّب إليها بأنواع من العبادات حتى صيَّرتها أنداداً لله تعالى).



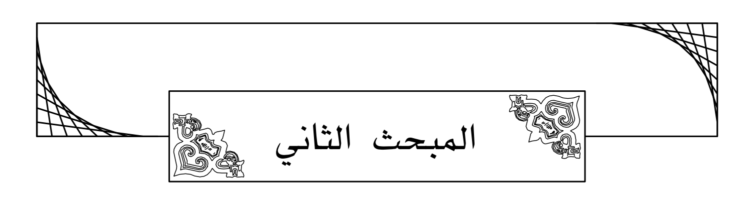
---

(١) «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» للإمام الشوكاني (٤/ ٩٥)، طبع مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة، بدون تاريخ.

(٢) «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ص(٦٣)، طبع دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى عام (١٤١٤هـ)، وقد كرر ذلك الوصف حوالي عشر مرات في ذلك الكتاب.

(٣) انظر ترجمته: ص(٥٧٦).

(٤) «دعوة الخلف إلى طريقة السلف» طبع مطابع النصر الحديثة بالرياض، بدون تاريخ، وكرر ذلك الوصف أيضاً ص(٢٣٧).




## خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: الشرك[1] وخطورته:**

إن أعظم انحراف وقع في تاريخ البشرية هو الإشراكُ بالله، وعبادةُ غيره معه، ولذلك كانت أعظم غاية من إرسال الرسل هي إزالة الشرك، وإعادة الناس إلى التوحيد؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال الرسول ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقومٍ فهو منهم»[2]، فهذه النصوص صريحة في أن أعظم غاية من إرسال الرسل هي إزالة الشرك، وإعادة الناس إلى التوحيد؛ وما ذاك إلا لقبح الشرك، وعظيم خطره على العباد في دنياهم وآخرتهم.

وتظهر تلك الخطورة من أوجه عدّة:

**الوجه الأول**: أنه سبب هلاك كثير من الأمم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي

---

(١) الشرك هو: أن يعتقد في غير الله أنه يضر أو ينفع، أو يقدر على ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ودعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه. وانظر: «الدر النضيد» للشوكاني ص(٧٠).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٧/ ١٢١ ـ ١٢٢) رقم (٥١١٤ ـ ٥١١٥)، بتحقيق أحمد شاكر، طبع دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية عام (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م)، وصححه أحمد شاكر كما صححه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٥/ ١٠٩ ـ ١١٠) رقم (١٢٦٩)، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

﴿ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الـروم: ٤٢]، فقد ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ لبيان السبب الذي أورد تلك الأمم هذه العاقبة السيئة، وذلك السبب هو شركهم بالله تعالى، قال ابن جرير[١]: (﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ يقول: فعلنا ذلك، أي: الهلاك بهم؛ لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم)[٢].

وقال ابن الجوزي[٣]: (﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ المعنى: فأهلكوا بشركهم)[٤].

**الوجه الثاني**: أنه السبب في تردِّي الإنسان من منزلة التكريم إلى منزلة الإهانة والتحقير، وإلى الاتصاف بأخبث الأوصاف؛ وهو وصف النجس[٥]، قال تعالى:

---

(١) هو شيخ المفسرين وعمدتهم الإمام العلم المجتهد محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب التصانيف البديعة والمذهب الفقهي المستقل، قال عنه الذهبي: (كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصنيف، قلّ أن ترى العيون مثله)، ولد سنة (٢٢٤هـ) وتوفي سنة (٣١٠هـ) رحمه الله. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام يحيى بن شرف النووي (١/ ٧٨)، طبع دار ابن تيمية بالقاهرة (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، و«السير» للإمام شمس الدين الذهبي (١٤/ ٢٦٧ ـ ٢٨٢)، طبع دار الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

(٢) «تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن» (٢١/ ٣٣)، دار المعرفة، بيروت (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

(٣) الشيخ الإمام الحافظ المفسر أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد القرشي التيمي البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي، الواعظ المشهور، والمؤلف المكثر من فنون متعددة، حتى إنه وصف بكثرة الخطأ في مصنفاته، قال الذهبي: (له أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف، وصنف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً لم يلحق أن يحرره ويتقنه)، ولد سنة (٥٠٩ أو ٥١٠هـ) وتوفي سنة (٥٩٧هـ). وانظر: «السير» (٢١/ ٣٦٥ ـ ٣٨٤)، و«البداية والنهاية» للإمام ابن كثير (١٣/ ٢٨ ـ ٣٠)، طبع دار المعرفة، بيروت، الطبعة السادسة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

(٤) «زاد المسير» للإمام ابن الجوزي (٦/ ١٥٤)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة سنة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). وانظر: «أسباب هلاك الأمم» ص(١٠٨ ـ ١٠٩) للشيخ محمد سعيد بابا سيلا، وهو رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية ضمن إصدارات الحكمة (بريطانيا)، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م).

(٥) هو في الأصل: «القذر»، كما في «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس ص(١٠١٣)، تحقيق شهاب الدين أبي عمرو، الطبعة الثانية، دار الفكر سنة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، وإنما وُصفوا بذلك مبالغة في تحقيرهم، قال الشوكاني رحمه الله: (والمشركون مبتدأ وخبره المصدر مبالغة في وصفهم بذلك حتى كأنهم عين النجاسة أو على تقدير مضاف أي ذوو نجس لأن معهم الشرك وهو بمنزلة النجس). «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ٣٤٩)، طبع دار الفكر سنة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨].

قال السيد رشيد رضا[١] رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: (أي ليس المشركون كما تعرفون من حالهم إلا أنجاساً فاسدي الاعتقاد، يشركون بالله ما لا ينفع ولا يضر؛ فيعبدون الرجس من الأوثان والأصنام، ويدينون بالخرافات والأوهام، ولا يتنزهون عن النجاسات ولا الآثام، ويأكلون الميتة والدم من الأقذار الحسية، ويستحلّون القمار والزنا من الأرجاس المعنوية، ويستبيحون الأشهر الحرم، وقد تمكّنت صفات النجس منهم حساً ومعنىً، حتى كأنهم عينه وحقيقته؛ فلا تمكنوهم بعد العام أن يقربوا المسجد الحرام)[٢] إلخ.

وقال سيد قطب[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ في «الظلال»: (يجسِّم التعبير نجاسة أرواحهم فيجعلها ماهيتهم وكيانهم، فهم بكيانهم وبحقيقتهم نجس يستقذره الحس، ويتطهر منه المتطهرون، وهو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة، فأجسامهم ليست نجسة لذاتها، إنما هي طريقة التعبير القرآنية بالتجسيم)[٤].

---

(١) هو العلامة المصلح محمد رشيد بن علي رضا بغدادي الأصل، شامي النشأة، سكن مصر إلى آخر عمره، من أشهر من دعا إلى السنة ونشر كتبها في مصر، وله تفسير ومجلة المنار الشهيران، ولد بالقلمون من أعمال طرابلس الشام (١٢٨٢هـ) وتوفي بمصر عام (١٣٥٤هـ). انظر: «الأعلام» لخير الدين الزركلي (٦/ ١٢٦)، طبع دار العلم الملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشرة (١٩٩٧م). وانظر: الدراسة المستقلة بعنوان: «السيد محمد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية والدينية» للدكتور محمد أحمد درنيقة.

(٢) «تفسير المنار» للشيخ محمد رشيد رضا (١٠/ ٢٧٥)، طبع دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

(٣) الداعية الشهير والمجاهد الكبير الذي بذل نفسه رخيصة لله تعالى بعد أن كوّن مدرسة في الدعوة لها ميزاتها، وسماتها البارزة، وصاحب تفسير «في ظلال القرآن» أشهر التفاسير المعاصرة، مع أخطاء يسيرة أخذها عليه بعض العلماء سيّما في باب العقيدة، غير أنها مغمورة في بحار حسنات ذلك التفسير وحسنات مؤلفه، غفر الله له وتقبله في الشهداء، قتل مظلوماً شهيداً ـ إن شاء الله ـ سنة (١٣٨٧هـ)، وكان مولده سنة (١٣٢٤هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٤) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (٣/ ١٦١٨)، طبع دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية الثانية عشرة (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

**الوجه الثالث**: أنه يحبط الأعمال، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، لقد جاءت هذه الآية في سياق ذكر الأنبياء والرسل الذين اجتباهم الله واصطفاهم، فبين أن تلك الهداية وذلك الاصطفاء إنما هو بتوفيق الله تعالى، ولو لم يصاحبهم ذلك التوفيق فوقعوا في الشرك لحبطت أعمالهم.

قال ابن كثير[(١)] رحمه الله: (ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله، وهدايته لهم ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملابسته)[(٢)].

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، قال الإمام الألوسي[(٣)] رحمه الله: (وأيّاً ما كان فهو كلام على سبيل الفرض؛ لتهييج المخاطب المعصوم، وإقناط الكفرة، والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه، وكونه ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه)[(٤)].

**الوجه الرابع**: أنه يحول دون المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

قال سيد قطب رحمه الله في كلامه على هذه الآية: (إن الشرك انقطاع ما بين الله

---

(١) المفسر والمحدث والمؤرخ الشهير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي صاحب التفسير الذي قال فيه الشوكاني: (وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها)، ولد سنة (٧٠١هـ) وتوفي سنة (٧٧٤هـ). انظر: «البدر الطالع» (١/ ١٥٣)، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) «مختصر ابن كثير» للشيخ محمد نسيب الرفاعي (٢/ ١٣٩)، طبع مكتبة المعارف بالرياض، طبعة جديدة (١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م).

(٣) مفتي بغداد في وقته وصاحب التفسير الشهير «روح المعاني»، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، ولد عام (١٢٢٧هـ) وتوفي عام (١٢٧٠هـ) رحمه الله. انظر ترجمته في: «جلاء العينين» لابنه نعمان خير الدين الألوسي، طبع مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، بدون تاريخ ص(٥٧ ـ ٥٨)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ١٢٧).

(٤) «روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني» للشيخ محمود الألوسي، طبع دار الفكر، بيروت (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م) (١٣/ ٣٧). قلت: وهذه الآية والتي قبلها ردٌّ صارخ على القبورية الذين يثورون ويغضبون على من حذَّر من الشرك؛ بزعم أنه لا يمكن أن يحدث الشرك في هذه الأمة!.

والعباد، فلا يبقى لهم معه أمل في مغفرة إذا خرجوا من هذه الدنيا وهم مشركون مقطوعو الصلة بالله رب العالمين، وما تشرك النفس بالله وتبقى على هذا الشرك حتى تخرج من الدنيا ـ وأمامها دلائل التوحيد في صفحة الكون وفي هداية الرسل ـ ما تفعل النفس هذا وفيها عنصر من عناصر الخير والصلاحية، إنما تفعله وقد فسدت فساداً لا رجعة فيه، وتَلِفَت فطرتها التي برأها الله عليها، وارتدّت أسفل سافلين، وتهيأت بذاتها لحياة الجحيم!)[(١)].

**الوجه الخامس**: أنه يَحرِم العبد من الاستفادة من شفاعة الشافعين[(٢)] يوم القيامة؛ الشفاعة الموجبة للجنة والمنجية من النار، ففي البخاري من حديث أبي هريرة ﵁ أنه قال: قلت: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إلٰه إلا الله. خالصاً من قبل نفسه»[(٣)]. قال الحافظ[(٤)]: (قوله: «من قال: لا إلٰه إلا الله» احتراز من الشرك)[(٥)]. قال ملّا علي القاري[(٦)] في «مرقاة المفاتيح»: (أي لا يشوبه شك ولا شرك، ولا يخلطه نفاق وسمعة ورياء... وقيل: أسعد هنا بمعنى أصل الفعل،

---

(١) «الظلال» (٢/ ٦٧٨).

(٢) الشفاعة: السؤال في التجاوز عن الذنوب ممن وقع منه جناية. انظر: «التوقيف على مهمات التعاريف» ص(٤٣٢) للشيخ محمد بن عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، طبع دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، والشافعون: جمع شافع وهو صاحب الشفاعة. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٤٨٧)، مجمع اللغة العربية (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، طبع المكتبة الإسلامية إستانبول.

(٣) «البخاري مع الفتح» (١١/ ٤١٨)، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، مكتبة الرياض الحديثة، مصورة عن طبعة المكتبة السلفية، بدون تاريخ.

(٤) هو خاتمة الحفاظ شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مرجع المحدثين ممن جاء بعده، وصاحب الفضل عليهم في علم الحديث ومصطلحه، وعلم الرجال والجرح والتعديل، وصاحب فتح الباري، أشهر وأفضل شروح البخاري المطبوعة على الإطلاق، ولد عام (٧٧٣هـ) وتوفي عام (٨٥٢هـ) بالقاهرة ﵀. وانظر: «الضوء اللامع» (٢/ ٣٦) للحافظ محمد عبد الرحمٰن السخاوي، طبع دار الحياة، بيروت، بدون تاريخ، و«البدر الطالع» (١/ ٨٣ ـ ٩٢).

(٥) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ أحمد بن علي بن حجر (١/ ١٩٤).

(٦) العلامة الفقيه علي بن سلطان القارئ الحنفي، من أفاضل علماء زمانه، ولد بهراة وتوطن مكة ومات بها، وله مؤلفات كثيرة نافعة، من أعظمها في الحديث «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» توفي عام (١٠١٤هـ). انظر: «البدر الطالع» (١/ ٤٤٥)، و«الأعلام» (٥/ ١٢، ١٣).

وقيل: بل على بابه، وأن كل أحد يحصل له سعادة شفاعته، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة، فإنه ﷺ يشفع في إراحة الخلق من هول الموقف، ويشفع في بعض الكفار كأبي طالب في تخفيف عذاب النار) انتهى محل الغرض منه[1]. وهو يفيد ما عنونّا له من أن المشرك محروم من الشفاعة المنجية من النار والموجبة للجنة.

**الوجه السادس**: أنه أعظم الموانع من دخول الجنة وأعظم أسباب الخلود في النار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

قال السيد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (أمرهم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتوحيد الخالص، وقفّى عليه بالتحذير من الشرك، والوعيد عليه ببيان أن الحال والشأن الثابت عند الله تعالى هو أن كل من يشرك بالله شيئاً ما من ملَكٍ أو بشرٍ أو كوكب أو حجر أو غير ذلك بأن يجعله نداً له أو متّحِداً به، أو يدعوه لجلب نفع أو دفع ضر، أو يزعم أنه يقرِّبه إلى الله زلفى، فيتخذه شفيعاً زاعماً أنه يؤثر في إرادة الله تعالى أو علمه فيحمله على شيء غير ما سبق به علمه وخصصته إرادته في الأزل ـ من يشرك هذا الشرك ونحوه ـ فإن الله يحرِّم عليه الجنة في الآخرة بل هو قد حرَّمها عليه في سابق علمه وبمقتضى دينه الذي أوحاه إلى جميع رسله، فلا يكون له مأوى ولا ملجأ يأوي إليه إلا النار دار العذاب والهوان، وما لهؤلاء الظالمين لأنفسهم بالشرك من نصير ينصرهم ولا شفيع ينقذهم ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فالنافع رضاه: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزمر: ٧] وشر أنواعه الشرك)[2] انتهى المقصود منه.

**المطلب الثاني: الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك:**

إذا عرفت الشرك وخطورته في الدنيا والآخرة، فاعلم أن الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك، والجسم الذي يتجسَّد ويسري فيه ذلك الروح الخبيث ـ الشرك ـ فالأصنام والأوثان والهياكل ما هي إلا مظاهر يتجسد فيها الشرك الذي يتعلق في الحقيقة بمخلوقات أخرى اعتقدها المشركون، وتعلقت بها قلوبهم، ومنحوها صفات الآلهة.

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للشيخ مُلّا علي القاري، طبع دار الفكر، بيروت (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م) (٩/ ٥٢٥).

(٢) «تفسير المنار» (٦/ ٤٨٣).

يقول الفخر الرازي[(١)] ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره عند قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]: (. . . «وأما النوع الثاني» ما حكاه الله تعالى عنهم في هذه الآية، وهو قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فاعلم أن من الناس من قال: إن أولئك الكفار توهموا أن عبادة الأصنام أشد في تعظيم الله من عبادة الله ﷻ، فقالوا: ليست لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى بل نحن نشتغل بعبادة هذه الأصنام، وأنها تكون شفعاء لنا عند الله. ثم اختلفوا في أنهم كيف قالوا في الأصنام أنها شفعاؤنا عند الله؟ وذكروا فيه أقوالاً كثيرة:

**فأحدها**: أنهم اعتقدوا أن المتولي لكل إقليم من أقاليم العالم روح معين من أرواح عالم الأفلاك؛ فعيّنوا لذلك الروح صنماً معيناً واشتغلوا بعبادة ذلك الصنم، ومقصودهم عبادة ذلك الروح، ثم اعتقدوا أن ذلك الروح يكون عبداً للإلٰه الأعظم ومشتغلاً بعبوديته.

**وثانيها**: أنهم كانوا يعبدون الكواكب وزعموا أن الكواكب هي التي لها أهلية عبودية الله تعالى، ثم لمّا رأوا أن الكواكب تطلع وتغرب وضعوا لها أصناماً معينة واشتغلوا بعبادتها، ومقصودهم توجيه العبادة إلى الكواكب.

**وثالثها**: أنهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الأصنام والأوثان، ثم تقرَّبوا إليها كما يفعله أصحاب الطلسمات.

**ورابعها**: أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى.

ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر، على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله.

**وخامسها**: أنهم اعتقدوا أن الإلٰه نور عظيم وأن الملائكة أنوار؛ فوضعوا على صورة الإلٰه الأكبر الصنم الأكبر، وعلى صورة الملائكة صوراً أخرى.

**وسادسها**: لعل القوم حلولية، وجوّزوا حلول الإلٰه في بعض الأجسام

---

(١) العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، ولد سنة (٥٤٤هـ)، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظام وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر، توفي سنة (٦٠٦هـ). سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

العالية الشريفة)[١].

وما ذكره الرازي أمر منطقي إذ لا يُعقَل أن الإنسان بسمعه وبصره وعقله، ينحتُ صنماً أو يصنع وثناً بيده ـ وهو يعلم مادته ومن أين أُخذ ـ ثم يزعم أن هذا الصنم أو الوثن هو الذي يخلق ويرزق، وهو الذي ينفع ويضر، هذا لا يكون أبداً. فلم يبقَ إلا ما ذكره الرازي من أنهم يرون أن هذه التماثيل والأصنام هي رموز لمخلوقات معظَّمة تستحق العبادة لقربها من الله، ومنزلتها عنده كما يفعل القبورية بقبور معظميهم. وبهذا تعلم أن هذه الظاهرة إنما هي جسد يحتضن الشرك الذي هو لها بمنزلة الروح.

**المطلب الثالث: الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية:**

إذا كان منهج القبورية هو الغلو في أرباب القبور الذين يُظن أنهم أولياء لله ومقربون لديه، فإن ذلك المنهج هو نفسه أصل الوثنية وعبادة الأصنام كما جاء في البخاري في كتاب «التفسير» عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت)[٢]. إذاً أصنام قوم نوح كانت رموزاً لرجال صالحين حمل الغلو أتباعهم على تقديسهم وتعظيمهم وتطور الأمر حتى عبدوهم.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: (وقصة الصالحين كانت مبدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك)[٣].

**المطلب الرابع: كثرة النصوص الناهية عن تعظيم القبور والعلة في ذلك:**

ولمّا كان أصل الشرك والوثنية هو الغلو في أصحاب القبور؛ تواترت الأحاديث تواتراً معنوياً بالنهي عن تعظيم القبور بأي نوع من أنواع التعظيم، وفَهِمَ الصحابةُ والتابعون لهم بإحسان العلة من تلك النصوص، وأشاعوا ذلك الفهم وعملوا بمقتضاه، وتبعهم على ذلك سائر علماء أهل السنّة من المتقدمين والمتأخرين، وإليك طائفة من تلك النصوص التي وردت بأساليب متنوعة:

---

(١) «التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب» للإمام فخر الدين الرازي (١٧/ ٥٩ ـ ٦٠)، طبع دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

(٢) «البخاري مع الفتح» (٨/ ٦٦٧)، كتاب التفسير، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

(٣) «الفتح» (٨/ ٦٦٩).

**الأسلوب الأول: في النهي عن زيارة القبور في أوّل الإسلام وما فهمه العلماء من ذلك:**

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»[١]. قال العلامة المناوي[٢] رحمه الله في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: (. . . «كنت نهيتكم عن زيارة القبور» لحدثان عهدكم بالكفر. وأما الآن حيث انمحت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصرتم أهل يقين وتقوى «فزوروا القبور» أي بشرط أن لا يقترن بذلك تمسح بالقبر، أو تقبيل، أو سجود عليه، أو نحو ذلك. فإنه كما قال السبكي[٣]: «بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال». . .)[٤].

وقال الشيخ أحمد الرومي الحنفي[٥] في كتابه «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار» في شرح هذا الحديث: (هذا الحديث من صحاح المصابيح رواه بريدة، فيه تصريح بوقوع النهي في أوائل الإسلام عن زيارة القبور لكونها مبدأ عبادة الأصنام)، ثم ذكر قصة عبادة الأصنام في قوم نوح، ثم قال: (فلما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور؛ نهى ﷺ أصحابه في أوائل الإسلام عن زيارة القبور سداً لذريعة الشرك،

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» مع شرح الإمام النووي، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، بدون تاريخ (٧/ ٤٦)، كتاب الجنائز، باب زيارة من في القبور والاستغفار لهم.

(٢) العلامة الكبير الشيخ عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري، له مشاركة في فنون عديدة، وله مؤلفات كثيرة من أشهرها: «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، ولد سنة (٩٥٢هـ) وتوفي سنة (١٠٣١هـ) رحمه الله. انظر: «الأعلام» (٦/ ٢٠٤)، ومقدمة كتابه «التوقيف على مهمات التعاريف».

(٣) القاضي العلامة علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، من كبار علماء عصره غير أنه ممن اصطدم بدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعته أمثال: ابن القيم وابن كثير والذهبي والمزي وغيرهم، وله ردود على شيخ الإسلام ابن تيمية أشهرها: «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، الذي رد عليه الرد القويم المفحم العلامة ابن عبد الهادي، تلميذ مدرسة ابن تيمية ـ رحمهم الله جميعاً ـ، ورغم أنه مرجع كثير من القبوريين إلا أنه لم يبلغ مبلغهم في الانحراف؛ بدليل كلامه السالف وهو من متعصبة الأشعرية ـ رحمه الله تعالى ـ. وانظر: «طبقات الشافعية» لابنه تاج الدين عبد الوهاب (١٠/ ١٣٩ ـ ٣٣٨)، طبع دار هجر، الطبعة الثانية (٢/ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٣/ ٣٩ ـ ٤١)، طبع دار الجيل، بيروت (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، و«جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» للألوسي ص(٣٢ ـ ٣٧).

(٤) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للعلامة المناوي (٥/ ٥٥)، دار الفكر، بدون تاريخ.

(٥) من علماء الدولة العثمانية، توفي رحمه الله عام (١٠٤٣)، ترجمته في: «هداية العارفين مع كشف الظنون» (٥/ ١٥٧)، دار الفكر (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٢/ ٢١٣) بواسطة «المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد» ص(٣٥٧) للدكتور محمد عبد الرحمٰن الخميس، ط. دار أطلس، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

لكونهم حديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها)[١].

وقال الشيخ علي محفوظ[٢] في كتابه «الإبداع في مضار الابتداع»: (وسرّ النهي أولاً عن زيارتها؛ أنه لما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور في قوم نوح، نهى النبي ﷺ أصحابه في صدر الإسلام عن زيارتها سداً للذريعة، لكونهم حديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم، أذن لهم في زيارتها، وعلّمهم كيفيتها، تارة بفعله، وتارة بقوله، كما مرّ في الأحاديث أول الفصل[٣].

**الأسلوب الثاني: النهي عن اتخاذ قبره عيداً وما فهمه العلماء من ذلك:**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلّوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[٤].

قال المناوي رحمه الله: (معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد، إما لرفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حدّ التعظيم، وقيل: العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيداً تعودون إليه متى أردتم أن تصلّوا عليّ، فظاهره نهي عن المعاودة، والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه، ويؤيده: «وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» أي «لا تتكلفوا المعاودة إليّ فقد استغنيتم بالصلاة عليّ». ـ قال ـ: ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء، في يوم أو شهر مخصوص من السَّنة، ويقولون: هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون وربما يرقصون فيه، منهي عنه شرعاً وعلى ولي الشرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله)[٥] انتهى.

وقال شمس الحق العظيم أبادي[٦] رحمه الله في شرح هذا الحديث: (وأما الآن

---

(١) «المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد» ص(٣٨٥ ـ ٣٨٦).

(٢) الشيخ العلامة علي محفوظ المصري الشافعي، تخرَّج بالأزهر ثم كان من أعضاء هيئة كبار العلماء وأستاذاً للوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين، توفي سنة (١٣٦١هـ). انظر: «الأعلام» (٤/ ٣٢٣).

(٣) «الإبداع في مضار الإبتداع» للأستاذ الشيخ علي محفوظ (ص١٩٠)، طبع دار المعرفة، الطبعة الخامسة سنة (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م).

(٤) رواه أبو داود في سننه مع شرحه «عون المعبود» في كتاب المناسك، باب زيارة القبور (٦/ ٣١)، طبع المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (١/ ٣٨٣)، طبعة مكتب التربية لدول الخليج العربي، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

(٥) بواسطة «عون المعبود شرح سنن أبي داود» لشمس الحق العظيم أبادي (٦/ ٣٢ ـ ٣٣).

(٦) الشيخ العلامة محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر أبو الطيب الصديقي العظيم أبادي، =

فإن الناس في المسجد الشريف إذا سلم الإمام عن الصلاة قاموا في مصلاهم مستقبلين القبر الشريف كالراكعين له[١]، ومنهم من يلتصق بالسرادق[٢] ويطوف حوله وكل ذلك حرام باتفاق أهل العلم وفيه ما يجر الفاعل إلى الشرك) موضع الشاهد قوله: (وفيه ما يجر الفاعل إلى الشرك).

وقال الطيبي[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح نفس الحديث: (نهاهم عن الاجتماع لها اجتماعهم للعيد نزهة وزينة، وكانت اليهود والنصارى تفعل ذلك بقبور أنبيائهم فأورثهم الغفلة والقسوة، ومن عادة عَبَدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظِّمون أمواتهم حتى اتخذوهم أصناماً، وإلى هذا الإشارة بقوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»[٤] فيكون المقصود من النهي كراهته أن يتجاوزوا في قبره غاية التجاوز ولهذا ورد: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٥]. . .)[٦] انتهى موضع الشاهد.

**الأسلوب الثالث: نهيه عن الصلاة على القبور وإليها:**

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها»[٧]، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «لا

---

= من محدثي الهند، له عدة مصنفات في الحديث، من أشهرها: «عون المعبود على سنن أبي داود» توفي بعد سنة (١٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: «الأعلام» (٦/ ٣٩).

(١) في الأصل: «الراكعين له» ومعناه غير مستقيم، وبما أن تلك الطبعة كثيرة الغلط فالظاهر أن الصواب ما أثبته والله أعلم.

(٢) السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مِضْرَب. المعجم الوسيط (١/ ٤٢٦)، والمقصود هنا هو سرادق قبر النبي ﷺ وهو الشبك النحاسي المحيط بالحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

(٣) الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، كان كريماً متواضعاً حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، مظهراً فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين حينئذ، توفي سنة (٧٤٣هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ. وانظر: «الدرر الكامنة» (٢/ ٦٨ ـ ٦٩)، و«البدر الطالع» (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

(٤) سيأتي تخريجه ص(٤٤).

(٥) سيأتي تخريجه ص(٤٤).

(٦) بواسطة «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للقاري (٣/ ١٤).

(٧) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٢٩٧)، طبع دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، تحقيق حسين سليم أسد، وقال الهيثمي: رجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (٣/ ٦٤)، كتاب الجنائز، باب البناء على القبور والجلوس عليها وغير ذلك، طبع مؤسسة المعارف، بيروت (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح. «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٣٩٨هـ) ص(٢٢).

تصلّوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر»[1]، وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»[2].

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «الأم» في كتاب الصلاة: (وأكره أن يُبنى على القبر مسجد وأن يسوَّى، أو يصلى عليه وهو غير مسوَّى، أو يصلى إليه. قال: وإن صلى إليه أجزأه وقد أساء، أخبرنا مالك أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقى دينان بأرض العرب». ـ قال ـ: وأكره هذا لِلسنّة والآثار وأنه كره ـ والله أعلم ـ أن يعظَّم أحد من المسلمين يعني يتخذ قبره مسجداً، ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعده)[3]. تأمل قول الشافعي رحمه الله: (ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعده)، إذن ليست العلة أن في ذلك تضييقاً على المسلمين في مقابرهم، وإن كان ذلك لازم من اتخاذ مقابر المسلمين العامة مساجد على بعض القبور، وليست العلة الخوف من تنجس الأرض؛ لأن الحكم عام في القبر الذي ابتدِئ حفره كما هو في القبر المنبوش، وإنما العلة عند الشافعي رحمه الله خشية الفتنة والضلال على من يأتي بعده، وأي فتنة أو ضلال أعظم من أن يعَظَّم المخلوق حتى يُصرَف لقبره من العبادة والتقديس ما لا يليق إلا بالله عز وجل؟!.

وقال القرطبي[4] رحمه الله في تفسيره في تفسير سورة الكهف ـ بعد أن ساق كثيراً من الأحاديث التي فيها النهي عن البناء على القبور وتعظيمها ـ: (وروى الأئمة عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» لفظ مسلم. أي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى؛ فيؤدِّي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام،

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» وغيره. انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للشيخ الألباني، طبع مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) (٣/ ١٣) رقم الحديث (١٠١٦)، وصححه الشيخ رحمه الله.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٦٦٨) رقم (٩٧)، تحقيق عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م).

(٣) «الأُم» للإمام محمد بن إدريس الشافعي (١/ ٢٧٨)، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

(٤) الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي، أحد مشاهير المفسرين وكتابه «الجامع لأحكام القرآن» من أوسع كتب التفسير يميل فيه إلى تتبع الأحكام الفقهية، توفي سنة (٦٧١هـ). وانظر ترجمته في: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٥٣٤)، و«المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ محمد بن عبد الرحمٰن المغراوي (١/ ٢٨٧)، طبع دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك)[١].

**الأسلوب الرابع: دعاؤه ﷺ ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد،**

مع إخباره بشدة غضب الله على متخذي قبور أنبيائهم مساجد، مما يؤكد العلاقة بين القبورية «اتخاذ القبور مساجد» والوثنية «صيرورة تلك القبور المعظمة أوثاناً تعبد من دون الله»:

ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢].

قال الحافظ ابن عبد البر[٣] في «التمهيد» في شرح هذا الحديث: (الوثن: الصنم. هو الصورة من ذهب كان أو من فضة، أو غير ذلك من التمثال. وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن، صنماً كان أو غير صنم. وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها، فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم، كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقال ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً» يصلى إليه، ويسجد نحوه ويعبد، فقد اشتد

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» المشهور بتفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠)، الطبعة ذات العشرين جزءاً، مصورة ليس عليها اسم دار النشر.

(٢) **قال** الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن المغراوي في تخريج كتابه «فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر» مع «فتح المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد» لنفس المؤلف، طبع مجموعة التحف النفائس بالرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م) (١/ ٢٨٠): (ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) من طريق مالك، وعبد الرزاق (١/ ٤٠٦/ ١٥٨٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠/ ٧٥٤٤) كلهم عن زيد بن أسلم مرسلاً بسند صحيح، ووصله أحمد (٢/ ٢٤٦)، والحميدي (١٠٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨٣) (٧/ ٣١٧) عن أبي هريرة بسند صحيح وصححه البزار). انظر: «النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد» ص(١١٥).

(٣) الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، كان إماماً ديّناً متقناً، علّامة، متبحراً، صاحب سنّة واتباع، وكان في ابتداء أمره أثرياً ظاهرياً فيما قيل، ثم تحول مالكياً مع ميل بيِّن إلى فقه الشافعي في مسائل، ولا ينكر له ذلك، فإنه ممن بلغ مرتبة الأئمة المجتهدين، ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسيلان الذهن، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاد لا ينبغي لنا أن ننسى محاسنه ونغطي معارفه، بل نستغفر له ونعتذر عنه، ولد سنة (٣٦٨هـ) ومات (٤٦٣هـ)، الترجمة ملتقطة بحروفها من «السير» للذهبي (١٨/ ١٥٣ ـ ١٦٣). وانظر: المقدمتين لكتابيه «التمهيد» و«الاستذكار».

غضب الله على من فعل ذلك. وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلّوا إلى قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجداً، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون لها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر.

فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشيةً عليهم امتثال طرقهم)[١].

وقد عنون العلامة ابن حجر المكي الهيتمي[٢] رحمه الله في كتابه «الزواجر» عنواناً قال فيه: (الكبيرة الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها). ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على ما عنون له، ثم قال: («تنبيه» عَدُّ هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذه مما ذكرته من هذه الأحاديث)، ثم ذكر وجه الدلالة على تلك الكبائر، إلى أن قال وهو موضع الشاهد: (وأما اتخاذها أوثاناً فجاء النهي عنه بقوله ﷺ: «لا تتخذوا قبري وثناً يعبد بعدي»[٣]، أي لا تعظّموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له، أو نحوه، فإن أراد ذلك الإمام بقوله: (واتخاذها أوثاناً) هذا المعنى اتجه ما قاله من أن ذلك كبيرة بل كفر بشرطه، وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بُعد، نعم قال بعض الحنابلة: قصدُ الرجل الصلاة عند القبر متبركاً به عين المحادة لله ورسوله وابتداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم إجماعاً)[٤] إلخ.

---

(١) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي (٥/ ٤٥)، تحقيق سعيد أحمد أعراب (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).

(٢) العلامة الفقيه الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي السعدي الشافعي، من أجلّ وأعظم علماء الشافعية في وقته، وأحد الشيخين اللذين تفردا بالاعتماد من شراح المنهاج، والآخر هو شمس الدين محمد بن أحمد الرملي، واعتماد أهل الحجاز واليمن على ما رجحه ابن حجر في تحفته، وهو من جانب آخر أشعري محارب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما يتعلق ببعض مسائل التوحيد والاتباع، وخصوصاً شدّ الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ، غير أنه مع ذلك ضد القبوريين في مسائل البناء على القبور وتعظيمها وفي مسألة الاستغاثة بغير الله. وانظر ترجمته في: «جلاء العينين» ص(٤٠)، و«النور السافر» لعبد القادر ابن شيخ العيدروس ص(٢٥٨ ـ ٢٦٣)، طبع دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

(٣) كذا قال. والحديث إنما هو بلفظ الدعاء لا بلفظ النهي.

(٤) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» للشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، طبع دار المعرفة ببيروت (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

وقال الملا علي القاري رَحِمَهُ اللهُ في «مرقاة المفاتيح»: (أي لا تجعل قبري مثل الوثن في تعظيم الناس، وعودهم للزيارة بعد بدئهم، واستقبالهم نحوه في السجود، كما نسمع ونشاهد الآن في بعض المزارات والمشاهد. «اشتد» استئناف كأنه قيل: لِمَ تدعو بهذا الدعاء؟ فأجاب بقوله: «اشتد غضب الله»؛ ترحماً على أمته وتعطفاً لهم، قاله الطيبي، وتبعه ابن حجر، والأظهر أنه إخبار عما وقع في الأمم السابقة؛ تحذيراً للأمة المرحومة من أن يفعلوا فعلهم، فيشتد غضبه عليهم)[١] انتهى محل الغرض منه.

فهذه نصوص أرباب المذاهب الأربعة: المالكية، والشافعية، والحنابلة، والأحناف، متفقة على أن الغلو في القبور وتعظيمها بالصلاة لها أو إليها يجعلها أوثاناً تعبد من دون الله.

**الأسلوب الخامس: لعنهُ ﷺ لليهود والنصارى وإخباره بلعن الله لهم**

كونهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر أمته مما صنعوا:

فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: («لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)[٢].

وعنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: لما كان مرض رسول الله ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها: مارية وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حسنها وتصاويرها، قالت: فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[٣].

وعن ابن عباس وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة[٤] له فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه وهو يقول: «لعنة الله

---

(١) «المرقاة» (٢/ ٤٥٨).

(٢) «البخاري مع الفتح» (٣/ ٢٠٠)، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، و«مسلم مع النووي» (٥/ ١٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلوات، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٣) «البخاري مع الفتح» (٣/ ٢٠٨)، كتاب المساجد، باب بناء المسجد على القبر، و«مسلم مع النووي» (٥/ ١١)، كتاب المساجد ومواضع الصلوات، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها.

(٤) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان. «القاموس المحيط» ص(٧٩٧).

على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». تقول عائشة ﵂: (يحذّر ما صنعوا)[(١)]. هذه الأحاديث الثلاثة يشدد فيها النبي ﷺ النكير، ويؤكده بلعن الفاعلين لذلك، وأنهم شرار الخلق عند الله تعالى، وذلك لقبح ذلك الفعل وعظيم أثره في الانحراف عن العقيدة الصحيحة، وفتح الباب للشرك والوثنية. وقد بيَّنت عائشة ﵂ أن الصحابة فهموا ما قصده النبي ﷺ وعناه، ومن أجل ذلك لم يبرزوا قبره خشية أن يتخذ مسجداً، وأنه إنما قال ذلك محذراً لأمته أن تصنع كما صنع أولئك.

قلت: وبالفعل عمل الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائرُ العلماء في العصور المختلفة على ستر قبره وحجبه عن الناس، وبالغوا في ذلك غاية المبالغة كما سيأتي في كلام النووي[(٢)] والسمهودي[(٣)] ـ رحمهما الله ـ، وإليك كلام بعض العلماء على هذه الأحاديث وإشارتهم وتصريحهم بأن هذه النصوص تمنع من تعظيم القبور؛ حتى لا تعبد من دون الله، ويفتتن بها الناس، وتؤدي إلى ما أدى إليه غلوّ الأولين في قبور معظميهم، حيث صارت أوثاناً تعبد من دون الله.

قال الحافظ ابن حجر ﵀ في كلامه على حديث عائشة وابن عباس ﵃: (وكأنه علم أنه مرتحل فخاف أن يعظَّم قبره كما فعل من مضى، فلعنَ اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من فعل فعلهم)[(٤)].

ويناسب هذا المقام ما ذكره الإمامان النووي وابن حجر في شرحهما على الصحيحين في الكلام على قصة موت موسى ﵇، وسؤال ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة.

قال النووي ﵀: (قال بعض العلماء: وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت

---

(١) «البخاري مع الفتح» (٦/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر من بني إسرائيل، و«مسلم مع النووي» (٥/ ١٣) الكتاب والباب المتقدمين.

(٢) الإمام العلامة شيخ الشافعية وعمدتهم، وأحد أئمة الحديث في زمانه، محيي الدين يحيى بن شرف النووي صاحب التصانيف المفيدة المباركة، التي لاقت القبول عند سائر علماء المسلمين ببركة إخلاصه، ولد بنوى سنة (٦٣١هـ) وتوفي بها سنة (٦٧٦هـ). وانظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للشيخ تاج الدين السبكي (٨/ ٣٩٥ ـ ٤٠٠).

(٣) مؤرخ المدينة النبوية وفقيهها في وقته، علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي القاهري الشافعي، نزيل الحرمين، صاحب أضخم كتاب مطبوع في تاريخ المدينة وهو كتاب «وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى»، ولد سنة (٨٤٤هـ) وتوفي سنة (٩١١هـ). انظر: «الضوء اللامع» للسخاوي (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٨).

(٤) «الفتح» (١/ ٥٣٢).

المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس)[١].

وقال ابن حجر: (لكن حكى ابن بطال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليُعمِّي موضع قبره لئلا يعبده الجهال من أمته)[٢].

من هذه النقول الثلاثة يتبين ما فهمه العلماء من أحاديث النهي عن اتخاذ المساجد على القبور؛ وهو خشية التعظيم المفضي إلى عبادتها كما حصل للأمم السابقة بغلوها في أنبيائها وصالحيها إلى أن عبدتهم من دون الله، وتحولت القبورية إلى وثنية وشرك، أجار الله أمة محمد ﷺ من ذلك.

وقال العلامة ابن دقيق العيد[٣] ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح عمدة الأحكام» في حديث عائشة الثاني: (وقوله عليه السلام: «بنوا على قبره مسجداً» إشارة إلى المنع من ذلك وقد صرح به الحديث الآخر: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»[٤].

وقد علّق الصنعاني رحمه الله على كلامه هذا فقال: (قوله: «إشارة إلى المنع من ذلك». أقول: من حيث إنه جعل شرار خلق الله هم المصورون، ومعلوم أن من فعل شيئاً يكون به من شرار خلق الله أنه فعل محرماً وقد صرح في حديث آخر، يريد الحديث الذي أخرجه الشيخان بلفظ: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». زاد مسلم: «والنصارى». وحديث عائشة بلفظ: «الرجل الصالح» أعم من قبور الأنبياء. والكل محرم؛ فإنه ذريعة إلى تعظيم الميت، والطواف بقبره، والتماس أركانه، والنداء باسمه، وبالجملة أنه يصير صنماً يعبد) انتهى محل الغرض منه. ولا يزال بعده كلام قوي متين في النعي على القبوريين فلينظر هناك[٥]، ومما يناسب هذا المقام ما قرره العلامة الشيخ محمد بن سالم البيحاني[٦] رحمه الله في كتابه «إصلاح

---

(١) «النووي على مسلم» (١٥/ ١٢٨).

(٢) «الفتح» (٣/ ٢٠٧).

(٣) الإمام المجتهد المحدث محمد بن علي بن وهب المصري الدار، والشافعي ثم المالكي المذهب، أحد من قيل إنهم من المجددين لهذا الدين، وصاحب المصنفات المستعذبة المفيدة، ولد في البحر قرب ينبع سنة (٦٢٥هـ) وتوفي سنة (٧٠٢هـ). انظر: «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٧)، و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» للحافظ أحمد بن علي بن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ (٤/ ٩١ ـ ٩٦).

(٤) «الإحكام» للإمام ابن دقيق العيد مع حاشية الصنعاني (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨)، طبع المكتبة السلفية (١٤٠٩هـ).

(٥) المصدر السابق (٣/ ٢٥٨).

(٦) ستأتي ترجمته في الباب الثالث ص(٥٦٠).

المجتمع» إذ قال وهو يتحدث عن الشرك: (ومن الشرك تعظيم القبور الذي فتن به المسلمون في مختلف الجهات، حتى بنوا عليها القباب، واتخذوا لها الأقفاص والتوابيت، وطافوا بها وحجوا إليها، ونذروا لأصحابها بجزء معلوم من أولادهم وأقاموا لها الحفلات والمواسم، وجاءوا إليها متوسلين ومستغيثين: هذا يطلب منهم الولد، وثانٍ يطلب منهم شفاء المريض، وثالث يريد منهم النصرة على الأعداء، وأن ينصفوا له من فلان الظالم، ونسبوا إليهم من الكرامات ما لا يصح أن يكون معجزة لنبي مرسل، وكتبوا عنهم الشطح، والكلام الذي لا يصدر إلا من ملحد في دين الله، أو مدّع أنه شريك لله) إلخ كلامه رَحِمَهُ اللهُ[١].

**الأسلوب السادس: النهي المباشر للأمة عن البناء على القبور، وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم وإخباره ﷺ أنه لا يفعل ذلك إلا شرار الخلق عند الله تعالى:**

فعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: «إني أبرأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليل...» إلى أن قال: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[٢].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه ويبنى عليه»[٣]. ولفظ أبي داود: «نهى أن يقعد على القبر ويبنى عليه»[٤].

---

(١) «إصلاح المجتمع» للشيخ محمد بن سالم البيحاني ص(١٣٠)، طبع مؤسسة طيبة الخيرية (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

(٢) «النووي على مسلم» (٥/ ١٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المسجد على القبور.

(٣) «النووي على مسلم» (٧/ ٣٧)، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه.

(٤) رواه أبو داود (٢/ ٢٣٥)، كتاب الجنائز، باب في البناء على القبر، طبع دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م)، والنسائي في «سننه» (٤/ ٨٦ ـ ٨٨)، كتاب الجنائز، رقم (٢٠٢٧، ٢٠٢٨، ٢٠٢٩)، طبع مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، عناية عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، وابن ماجه في «سننه» (١/ ٤٩٨)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها، طبع دار إحياء الكتب العربية (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م)، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وصححه الشيخ الألباني. ينظر: «صحيح أبي داود» للشيخ الألباني (٢/ ٦٢١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد»[(١)]. ففي هذه الأحاديث التي مرت النهي الصريح عن أي نوع من أنواع التعظيم للقبور ومن ذلك: النهي عن اتخاذها مساجد، والنهي عن مجرد البناء عليها، وعن تجصيصها، والكتابة عليها. وقد توجه النهي أول ما توجه إلى قبور الأنبياء والصالحين، لماذا؟ لأنها هي التي يخشى الغلو في أربابها عكس قبور سائر الناس، والفتنة بها أعظم من غيرها. وهذا هو الواقع المشاهد، فإنه ما من مشهد إلا ويزعم أنه بني على ولي صالح، ذي مناقب وكرامات عظيمة يرجى نفعه ويخاف انتقامه، أو يزعم أنه على نبي من أنبياء الله كما ظهر ذلك تخميناً في أماكن كثيرة من بلاد الله، ولكثيرٍ من الأنبياء، مع تصريح العلماء أنه لا يُعلم على التحقيق واليقين إلّا قبر نبينا محمد ﷺ، وزاد بعضهم قبر الخليل عليه السلام في الموضع المشهور باسمه في فلسطين[(٢)].

ثم لاحِظْ كيف قرَنَ النبي ﷺ من يتخذ المساجد على القبور بمن تقوم عليهم الساعة، وقد صرَّح عليه الصلاة والسلام في أحاديث صحيحة أن أولئك الذين تقوم عليهم الساعة لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه كما جاء في «صحيح مسلم» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله»[(٣)]، فالذين تقوم عليهم الساعة لم يستحقوا أن يكونوا شرار الخلق إلا بالكفر التام والخلو التام من الإيمان، إذاً فمقارنتهم بالذين يتخذون القبور مساجد يدل على خطورة النهاية التي تصل إليها القبورية بأصحابها.

وهذا يظهر من تعليق العلماء على تلك الأحاديث: يقول الإمام النووي رحمه الله في شرح حديث جندب رضي الله عنه: (قال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٢٤)، تحقيق أحمد محمد شاكر، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٧)، كتاب الصلاة، باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٥/ ٣٢٤): (إسناده صحيح، وهو في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٧) وقال: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. وهو فيه أيضاً (٨/ ١٣) وقال: رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح).

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٧/ ١٤١)، طبع مكتبة المعارف، الرباط بالمغرب، بدون تاريخ.

(٣) «النووي على مسلم» (٢/ ١٧٨)، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان في آخر الزمان.

مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها، مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد، فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: «ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً» والله أعلم بالصواب)[١].

وقال العلامة صديق حسن خان[٢] في كتابه «السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج» في شرحه لحديث جابر رضي الله عنه: «وأن يبنى عليه». (قال النووي: فيه كراهة البناء عليه، قال: أما البناء عليه، فإن كان في ملك الباني فمكروه. وإن كان في مقبرة (مسبلة) فحرام نص عليه الشافعي والأصحاب، قال في «الأم»: ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى، ويؤيد الهدم قوله: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» انتهى.

وأقول: فإن البناء على القبر حرام لا مكروه في أي مكان ولأجل أي قبرٍ كان، وهذا بالأدلة الثابتة الصحيحة في الصحيح وغيره، من طرق تُوجِب العلم اليقين:

(فمنها): الأمر بالتسوية كما تقدم.

(ومنها): النهي عن البناء كما مر هنا.

(ومنها): النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعنُ فاعلِ ذلك، وغير ذلك مما هو مبيّن في كتب السنّة.

---

(١) «النووي على مسلم» (٥/ ١٢ ـ ١٣).

(٢) محيي السنة وقامع البدعة، الإمام العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، أحد مجددي علوم السنّة في الهند، وصاحب المصنفات الذائعة والمؤلفات النافعة التي يجنح فيها إلى الاجتهاد وينفر عن التقليد تبعاً لشيخه وأستاذه الذي تتلمذ على كتبه، ونسج على منوالها شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله، ولد سنة (١٢٤٨هـ) وتوفي سنة (١٣٠٧هـ). انظر: كتاب «السيد صديق حسن خان آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف» للدكتور أختر جمال لقمان.

وبالجملة فما هذه أول شريعة صحيحة محكمة، وسنّة قائمة صريحة تركها الناس واستبدلوا بها غيرها. وقد صارت هذه البدعة وسيلة لضلال كثير من الناس، «ولا سيما العوام» فإنهم إذا رأوا القبر عليه الأبنية الرفيعة، والستور العالية، وانضم إلى ذلك إيقاد السرج عليه، سبّب ذلك الاعتقاد في ذلك الميت، ولا يزال الشيطان الرجيم وإبليس اللعين يرفعه من رتبة إلى رتبة حتى ينادى مع الله، ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله ﷻ ولا يقدر عليه سواه فيقع في الشرك.. هذا أمر العوام.

وأما الخواص فلهم عرس[١] الموتى على قبورهم وطوافها، والمراقبة عندها وانتظار وصول الفيض من أصحابها، والاستمداد بهم في الفرج بعد الشدة وإيجاب النذور لهم ووضع الأموال في المقابر إلى غير ذلك من الكبائر، والإشراك، والبدع، وكل ذلك ضلالة على ضلالة، وظلمة فوق ظلمة ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وأما تخصيص قبور الفضلاء بهذه الداهية الدهياء، والمعصية الصماء، والفاقرة العظمى فلا وجه له)[٢] إلخ.

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره «تفسير سورة الكهف»: «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً فذلك يُهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبهاً بمن كان يعظم القبور ويعبدها وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي أن يقال هو حرام)[٣].

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ قد صرح في تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [البقرة: ١٠٤]. وهو يتكلم عن سد الذرائع بأن ما ورد من الأحاديث في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها... إلخ. إنما هو لسد الذريعة المؤدية إلى ما وصلت إليه الأمم السابقة من التدرج في عبادتها من دون الله. وهذا نص كلامه رحمه الله: (قال علماؤنا: ففعَلَ ذلك أوائلهم ليأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم

---

(١) كذا في الأصل ولم أتبين المراد به.

(٢) «السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج» للشيخ صديق حسن خان، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر (٣/ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٣٨٤).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٣٨١).

الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله ﷻ عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان: أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور، فعبدوها؛ فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وشدّد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسدَّ الذرائع المؤدية إلى ذلك فقال: «اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد» وقال: «اللهم لا تجعلْ قبري وثناً يعبد»)[١].

هذه أقوال أهل العلم على هذه الأحاديث ونحوها، وكلها تؤكد أن المقصد من ذلك النهي، والتشديد هو سدّ ذرائع الشرك، وألا يصل الحال بهذه الأمة كما وصل بالأمم السابقة، حتى حلّت بها الوثنية والشرك، وذلك يؤكّد ما عَنْوَنَّا له أول الفصل، ولله الحمد.

**الأسلوب السابع: الأمر بتسوية القبور المشرفة مع قرن ذلك بطمس التماثيل:**

فعن ثمامة بن شُفي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس[٢] فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فَسُوِّي ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها)[٣]. وعن أبي الهيَّاج الأسدي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال لي علي بن أبي طالب: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته)[٤]. وهكذا فهم الصحابة رضوان الله عليهم الأمر، فسوّوا القبور المشرفة، وأمروا بذلك وصار هذا شعارهم وديدنهم.

فهذا فضالة بن عبيد رضي الله عنه يطبِّق ما سمع ويأمر بتسوية القبر؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ بتسويتها، وهذا علي رضي الله عنه يبعث رئيس شرطته أبا الهياج الأسدي[٥] لطمس القبور كما بعثه رسول الله ﷺ، أي إنه يطبِّق ما عرفه وفهمه من أمر رسول الله ﷺ بذلك، وهذا عثمان رضي الله عنه يأمر بتسوية القبور كذلك، قال عبد الله بن

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢/ ٥٨).

(٢) هي جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط، افتتحها معاوية رضي الله عنه ودانت بالإسلام زمناً ثم طرد منها المسلمون وعادت إلى النصرانية. انظر: «معجم البلدان» لياقوت بن عبد الله الحموي (٣/ ٧٨)، طبع دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية (١٩٩٥م).

(٣) «مسلم مع النووي»، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (٧/ ٣٥ ـ ٣٦).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٦).

(٥) «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» ص(٨٨) للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

شرحبيل بن حسنة رَحِمَهُ اللَّهُ: (رأيت عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمر بتسوية القبور فقيل له: هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسوِّي)[١]. وعن عمرو بن شرحبيل قال: (لا ترفعوا جدثي ـ يعني القبر ـ فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك)[٢]، وسيأتي مزيد بيان لهذا في الباب الأول إن شاء الله[٣].

وأما العلماء ممن جاء بعد الصحابة والتابعين وإلى عصرنا الحاضر، فستأتي نماذج من كلامهم الدال على أنهم فهموا ذلك المعنى، وعملوا بمقتضاه، وصرحوا بأنه من باب سد الذريعة المفضية إلى الوثنية والشرك بالله تعالى.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولم أرَ قبور المهاجرين والأنصار مجصصة، قال الراوي عن طاووس: أن رسول الله ﷺ نهى أن تبنى القبور أو تجصص، قال الشافعي: (وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك)[٤].

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الكبرى» في جواب سؤال يتعلق بهذا الموضوع: (المنقول المعتمد كما جزم به النووي في «شرح المهذب» حرمة البناء في المقبرة المسبلة، فإن بُني فيها هُدم ولا فرق في ذلك بين قبور الصالحين والعلماء وغيرهم، وما في «الخادم» مما يخالف ذلك ضعيف لا يلتفت إليه، وكم أنكر العلماء على باني قبة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرها، وكفى بتصريحهم في كتبهم إنكاراً) انتهى محل الغرض منه[٥].

وقال في جواب سؤال آخر: (يحرم بناء القبر في المقبرة المسبلة؛ وهي التي اعتاد أهل البلد الدفن فيها، ومثلها الموقوفة لذلك، سواء كان مدماكاً أم مدماكين؛ لأن الكل يسمى بناء لوجود علة تحريم البناء في ذلك، وهي تحجير الأرض على من يدفن بعد بلاء الميت، إذ الغالب أن البناء يمكث إلى ما بعد البلى، وأن الناس

---

(١) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب الجنائز، باب في تسوية القبر وما جاء فيه (٣٤١/٣)، طبع الدار السلفية بالهند، بومبي، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)، وأبو زرعة في «تاريخه» بسند صحيح إلى عبد الله. وانظر: «تحذير الساجد» ص(٨٨).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١٠٨/٦)، دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م)، وصحح إسناده الشيخ الألباني. وانظر: «تحذير الساجد» ص(٩٨).

(٣) الفصل الثاني من الباب الأول.

(٤) «الأم» (٢٧٧/١).

(٥) «الفتاوى الكبرى» للإمام العلامة أحمد بن محمد الهيتمي المكي (١٧/٢)، طبع دار الفكر ببيروت (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

يهابون فتح القبر المبني، فكان في البناء تضييق للمقبرة ومنع الناس من الانتفاع بها فحرم، ووجب على ولاة الأمر هدم الأبنية التي في المقابر المسبلة، ولقد أفتى جماعة من عظماء الشافعية بهدم قبة الإمام الشافعي رحمه الله وإن صُرفت عليها ألوف من الدنانير لكونها المقبرة المسبلة. وهذا ـ أعني البناء في المقابر المسبلة ـ مما عمّ وطم، ولم يتوقَّه كبير ولا صغير، فإنا لله وإنا إليه راجعون)[1].

وقال شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله في «النيل» في شرح حديث علي رضي الله عنه: (قوله: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» فيه أن السنّة أن القبر لا يرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين من كان فاضلاً ومن كان غير فاضل، والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرّم، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك، والقول بأنه غير محظور لوقوعه من السلف والخلف بلا نكير ـ كما قال الإمام يحيى[2] والمهدي[3] في الغيث ـ لا يصح لأنه غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك، والسكوت لا يكون دليلاً إذا كان في الأمور الظنية، وتحريم رفع القبور ظني، ومِن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك كما سيأتي، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأً لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٥).

(٢) ستأتي ترجمته في الباب الأول ص(١٤٠).

(٣) الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى، من كبار أئمة الزيدية ومن عليهم المعوَّل في الفقه بل إن كتابه «الأزهار» هو عمدتهم بلا منازع، بلغ درجة الاجتهاد وهي شرط من شروط الإمامة عند الزيدية فبويع له بالإمامة سنة (٧٩٣هـ) ولم يتم له الأمر، له عدد كبير من المصنفات من أشهرها: «الأزهار وشرحه الغيث المدرار»، «البحر الزخار الجامع لمذهب علماء الأمصار»، «المنية والأمل في الملل والنحل» وغيرها كثير، توفي رحمه الله سنة (٨٤٠هـ). انظر: «البدر الطالع» (١/ ١٢٢ ـ ١٢٦)، «بلوغ المرام في شرح مسك الختام» للقاضي حسين بن أحمد العرشي ص(٤١٠)، طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت، عني بطبعه الأب أنستاس ماري الكرملي.

وبالجملة إنهم لم يدَعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين[1] أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإن قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه ـ تعالى ـ ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدين! ويا ملوك المسلمين! أي رزء للإسلام أشد من الكفر؟، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً؟!:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رمادِ[2]

وقال صديق حسن خان: (أقول: الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور، وقد ثبت من حديث أبي الهياج ما تقدم، فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها، من غير فرق بين نبي وغير نبي، وصالح وطالح، فقد مات جماعة من أكابر الصحابة في عصره ﷺ ولم يرفع قبورهم، بل أمر علياً بتسوية المشرف منها، ومات ﷺ ولم يرفع قبرَه أصحابُه، وكان من آخر قوله: «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، ونهى أن يتخذ قبره وثناً، فما أحق الصلحاء والعلماء أن يكون شعارهم هو الشعار الذي أرشدهم إليه ﷺ، وتخصيصهم بهذه البدعة المنهي عنها تخصيص لهم بما لا يناسب العلم والفضل، فإنهم لو تكلموا لضجوا مِن اتخاذ الأبنية على قبورهم وزخرفتها؛ لأنهم لا يرضون بأن يكون لهم شعار من مبتدعات الدين ومنهياته، فإن رضوا بذلك في الحياة كمن يوصي من بعده أن يجعل على قبره بناء، أو يزخرفه فهو غير فاضل، والعالم يزجره علمه عن أن يكون على قبره ما هو مخالف لهدي نبيه ﷺ، فما أقبح ما ابتدعه جهلة المسلمين من زخرفة القبور، وتشييدها، وما أسرع ما خالفوا وصية رسول الله ﷺ عند موته فجعلوا قبره على الصِفة التي هو عليها

(١) في المطبوع: المقبورين، وهو خطأ.

(٢) «نيل الأوطار» (٤/ ٩٥).

الآن، وقد شدَّ من عضد هذه البدعة ما وقع من بعض الفقهاء من تسويغها لأهل الفضل حتى دوّنوها في كتب الهداية والله المستعان. . .)[(١)].

**الأسلوب الثامن: إنكاره على من طلبوا أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها:**

كما في قصة ذات أنواط، والحديث بذلك أخرجه الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سننه» في كتاب الفتن، باب «لتركبنّ سنن من كان قبلكم» من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذاتُ أنواط، يعلِّقون عليها أسلحتهم، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال لهم النبي ﷺ: «سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[(٢)].

فانظر ـ رحمك الله ـ كيف عظَّم رسول الله ﷺ سؤالهم له أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها كما يفعل المشركون، وذلك بعدة أمور؛ منها: التسبيح الذي يقال عند سماع الأمر العظيم، ومنها: تشبيه طلبهم ذلك بطلب قوم موسى حين قالوا له: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ومنها: الإخبار بالسُنَّة الماضية من اتِّباع هذه الأمة لغيرها من الأمم السابقة فيما وقعوا فيه من الفتن والضلال وإقسامه على ذلك.

فهذا كله برهان واضح على خطورة تلك المظاهر الوثنية وما تجرُّه على الأمة من انحراف في عقيدتها، ولهذا حذر العلماء ـ رحمهم الله ـ من وجود مثل تلك الأماكن التي يعظِّمها العوام ويتبركون بها، ويعتقدون فيها شيئاً من النفع والضر، أو يقومون عندها بشعائر تعبدية مبتدعة أو شركية. قال الإمام أبو بكر الطرطوشي[(٣)] رَحِمَهُ اللَّهُ

---

(١) «الروضة الندية شرح الدرر البهية» للسيد صديق حسن خان (١٧٥ ـ ١٧٦)، طبع دار الندوة الجديدة ببيروت (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

(٢) «سنن الترمذي» (٤/ ٤٧٥)، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م)، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، وقال الشيخ الألباني في «صحيحه» (٢/ ٢٣٥): (صحيح)، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

(٣) الإمام العلامة محمد بن الوليد بن محمد الفهري المعروف بالطرطوشي، ولد بطرطوشة ببلاد الأندلس، ثم رحل إلى أهل بلده في طلب العلم ثم إلى المشرق العربي، واستقر به المقام بالإسكندرية حتى توفي بها رَحِمَهُ اللَّهُ، ولد سنة (٤٥١هـ) وتوفي سنة (٥٢٠هـ). انظر: «الأعلام» =

في كتابه «الحوادث والبدع» بعد سياق هذا الحديث: (فانظروا ـ رحمكم الله ـ أينما وجدتم سدرة وشجرة يقصدها الناس، ويعظِّمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها)[١].

وقال الإمام أبو شامة الدمشقي الشافعي[٢] رَحِمَهُ الله في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث» وهو يتكلم عن البدع والمحدثات المستقبحة: (ومن هذا القسم أيضاً: ما قد عمَّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد[٣]، وسرْج مواضع في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها؛ وهي ما بين عُيونٍ وشجرٍ وحائطٍ وحجر. وفي مدينة دمشق ـ صانها الله تعالى من ذلك ـ مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق ـ سهَّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ـ فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث. . .)[٤] وذكر الحديث السابق.

فانظر كيف فهم العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ من هذا الحديث النهي عن هذه

= (٧/ ١٣٣ ـ ١٣٤)، ومقدمة كتابه «الحوادث والبدع»، تحقيق عبد المجيد تركي، طبع دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

(١) «الحوادث والبدع» للإمام محمد بن الوليد الطرطوشي ص(١٠٥).

(٢) الإمام الحافظ المجتهد شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمٰن بن إسماعيل الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة، قال عنه السخاوي: (كان عالماً راسخاً في العلم، مقرئاً محدثاً نحوياً، يكتب الخط المليح المتقن مع التواضع والانطراح والتصانيف العدة) ولد سنة (٥٩٩هـ) وتوفي رَحِمَهُ الله سنة (٦٦٥هـ). انظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، و«الإعلان بالتوبيخ» ص(٦٠)، طبع دار الكتاب العربي، طبعة مصورة عن نسختي الأستاذ المحقق أحمد باشا تيمور (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

(٣) التخليق: أي طليها بالخلوق. والخلوق: طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة. «لسان العرب» (١٠/ ٩٠)، والعُمُد: جمع عمود. وانظر: «المعجم الوسيط» (٢/ ٦٢٦).

(٤) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» للشيخ عبد الرحمٰن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي ص(١٠١)، طبع دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

المظاهر الوثنية القبورية، وأنها تؤدي إلى الشرك بالله تعالى وعبادة غيره، كما قال ابن القيم[1] ـ رحمه الله تعالى ـ: (فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت. ويقولون: إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر. أي تقبل العبادة من دون الله تعالى، فإن النذر عبادة وقربة، يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، ويتمسحون بذلك النصب ويستلمونه.

ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله تعالى أن يتخذ منه مصلى كما ذكر الأزرقي[2] في كتاب «تاريخ مكة» عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] قال: (إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأى أثره وأصابعه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق)[3]. وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة القبور، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين وقد تقدَّم)[4].

وعلى ذلك فإن تنبيه رسول الله ﷺ لأصحابه، هو تنبيه للأمة كلها ألا يتبعوا الأمم الضالة فيما سلكوه من سبل الضلال، ومن أهمها وسائل الشرك.

**الأسلوب التاسع: نهيه ﷺ أن يذبح لله في مواضع الشرك وأعياد الجاهلية:**

فقد روى أبو داود من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: (نذر رجل على عهد النبي ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة[5] فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً

---

(١) العلامة المحقق الأصولي الفقيه النحوي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، صحب الإمام ابن تيمية ووافقه في كثير من آرائه دون تقليد وأُوذي وحبس معه حتى مات شيخه فأفرج عنه، تعتبر كتبه شجىً في حلوق المبتدعة وقرة عين لأهل السنّة، لا سيما «زاد المعاد» الذي لا تكاد تخلو منه مكتبة عالم موافق له أو مخالف رحمه الله، ولد سنة (٦٩١هـ) وتوفي سنة (٧٥١هـ). انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠٣).

(٢) الإمام الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي المكي صاحب أول تاريخ موجود لمكة المكرمة، مات سنة (٢٥٠هـ). انظر: مقدمة كتابه «أخبار مكة»، طبع مطابع دار الثقافة بمكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس، الطبعة الثامنة (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م)، «الأعلام» (٦/ ٢٢٢).

(٣) «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (٢/ ٢٩ ـ ٣٠).

(٤) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (١/ ٢١٢)، طبع دار المعرفة ببيروت، بتحقيق محمد حامد الفقي.

(٥) بضم الموحدة وبعد الألف نون وقيل بفتح الباء: هضبة من وراء ينبع. انظر: «عون المعبود» (٩/ ١٤٠).

ببوانة، فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال النبي ﷺ: أوفِ بنذرك فإنه لا نذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[(١)].

فالرسول ﷺ استوضح السائل عن سر تخصيصه لذلك المكان بالذبح فيه؛ لأنه ربما كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يذبح له من دون الله، أو كان فيه عيد من أعيادهم، وخشي أن يكون ذلك السائل أراد التشبه بهم في ذلك، أو أنه بقي لديه شيء من آثار تعظيم ذلك المكان، فلما أجاب السائلُ بالنفي أجاز النبي ﷺ نذره، وأمره بالوفاء به، معلناً له وللأمة كلها أنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ومن ذلك يفهم أنه لو كان في ذلك المكان وثن يعبد، أو عيد من أعياد الجاهلية، لكان ذلك النذر بتخصيص ذلك المكان معصية، ولما جاز الوفاء به، وما ذاك إلا لاستئصال كل ما يؤدي إلى تعظيم الأماكن التي يؤدي تعظيمها إلى إفساد العقيدة، وإيجاد نوع من التعظيم القلبي الذي يوجب الشرك بالله في ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)] رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة

---

(١) رواه أبو داود (٩/ ١٤١٠) مع «عون المعبود» وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على «جامع الأصول»: (وإسناده صحيح) (١١/ ١٤٠) «جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ»، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، وكذلك صححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٢/ ٦٣٦).

(٢) شيخ الإسلام وعلم الأعلام ومجدد القرن الثامن أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، لا يفي بالتعريف به أسطر قليلة، كيف وقد أفردت لترجمته مؤلفات جليلة، كان رحمه الله أمة في عصره وبعد عصره، جمع الله له من أبواب الخير ما لم يجمعه لسواه منذ القرون الأولى للإسلام؛ جاهد في الله حق جهاده بسنانه ولسانه وبنانه حتى أتاه اليقين، وهو مجدد منهج السلف الصالح؛ وليس مبتدعاً فيه كما يريد أن يلبسه ذلك أعداء السنّة الذين يحاربونها بالطعن في ذاته الشريفة، ورافع لواء التوحيد؛ وليس مخترعاً سبيله، توفي رحمه الله مسجوناً في ذات الله من أجل إعلان كلمة الحق في زمن يضيق بها أهله، وتصغر عن فهمها عقولهم، وتتضرر به مصالحهم، فنشر بذلك ذكره وعلا قدره، ومات واندرس ذكرُ وقدرُ مناوئيه فلا يكاد يذكرهم أحد بخير، ولد سنة (٦٦١هـ) وتوفي رحمه الله سنة (٧٢٨هـ). انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» للإمام الذهبي (٤/ ١٤٩٦ ـ ١٤٩٧)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، و«البداية والنهاية» (١٤/ ١٣٥ ـ ١٤٠)، و«التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به» لعماد الدين الواسطي، طبع دار العاصمة بالرياض، الطبعة الثانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، تحقيق د. عبد الرحمٰن الفريوائي، و«الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» لعمر بن علي =

أصحاب الجحيم»: (وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه:

**أحدها**: أن قوله: «فأوفِ بنذرك» تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء، وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم؛ فيكون سبب الأمر بالوفاء وجود النذر خالياً من هذين الوصفين؛ فيكون الوصفان مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به.

**الثاني**: أنه عقب ذلك بقوله: «لا وفاء لنذر في معصية الله» ولولا اندراج الصورة المسؤول عنها في هذا اللفظ العام، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط والمنذور في نفسه ـ وإن لم يكن معصية ـ لكن لما سأله النبي ﷺ عن الصورتين قال له: «فأوفِ بنذرك» حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك، فكان جوابه ﷺ فيه أمراً بالوفاء عند الخلو من هذا، ونهى عنه عند وجود هذا، وأصل الوفاء بالنذر معلوم، فبيّن ما لا وفاء فيه.

**الثالث**: أنه لو كان الذبح في موضع العيد جائزاً لسوغ ﷺ للناذر الوفاء به كما سوّغ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به، بل لأوجب الوفاء به إذ كان الذبح بالمكان المنذور واجباً. وإذا كان الذبح بمكان عيدهم منهياً عنه فكيف بالموافقة في نفس العيد بفعل بعض الأعمال التي تعمل بسبب عيدهم...)، ثم أخذ يتكلم عن العيد واشتقاقاته، ثم قال: (... ومعلوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة التي يعظمونها، بالتعييد فيها، أو لمشاركتهم في التعييد فيها، أو لإحياء شعار عيدهم فيها، ونحو ذلك. إذ ليس إلا مكان الفعل أو نفس الفعل أو زمانه.

فإن كان من أجل تخصيص البقعة ـ وهو الظاهر ـ فإنما نهى عن تخصيص البقعة لأجل كونها موضع عيدهم، ولهذا لما خلت من ذلك أذن في الذبح، وقصد التخصيص باق، فعلم أن المحذور تخصيص بقعة عيدهم.

وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذوراً، فكيف نفس عيدهم؟. هذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شركهم بعبادة الأوثان كان ذلك أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثان... فإذا كان ﷺ قد نهى أن يذبح في مكان كان الكفار يعملون فيه عيداً ـ وإن كان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك العيد، والسائل لا يتخذ

---

= البزّار، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش، و«الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون» لمحمد عزيز شمس وعلي العمران، طبع دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).

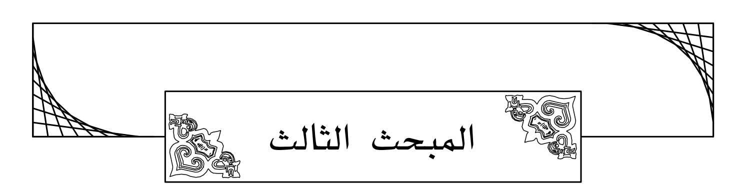
المكان عيداً، بل يذبح فيه فقط ـ فقد ظهر أن ذلك سداً للذريعة إلى بقاء شيء من أعيادهم؛ خشية أن يكون الذبح هناك سبباً لإحياء أمر تلك البقعة؛ وذريعة لاتخاذها عيداً)[١].

وقال الملّا علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح المشكاة»: (وهذا كله احتراز من التشبه بالكفار في أفعالهم)[٢].



(١) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور ناصر العقل (١/ ٤٤٠ ـ ٤٤٣)، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ)، ليس عليه اسم الدار، مع شيء من الاختصار.

(٢) «المرقاة» (٦/ ٦٠٩).




# هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها

## وفيه أربعة مطالب:

### المطلب الأول: موازنة الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات بالحفاظ على كرامة الأموات وعقيدة الأحياء:

من مزايا الإسلام شموله وكماله، ووسطيته واعتداله، وموازنته بين المصالح والمفاسد؛ بحيث لا يحث على جلب منفعة يترتب عليها حدوث مفسدة، أو تفويت مصلحة أعظم منها، ومن هذا المنطلق جاءت نظرته إلى مقابر المسلمين، فحفظت للأموات كرامتهم وشرعت ما فيه مصلحتهم، ونهت عن تقديس القبور تقديساً يؤدِّي إلى تعظيمها في نظر الأحياء وافتتانهم بها، والاعتقاد في أصحابها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله.

فنهى رسول الله ﷺ عن امتهان المقابر بجعلها مواطن لقضاء الحاجة[(١)]، وعن وطء القبور[(٢)]، والجلوس عليها[(٣)]، وعن كسر عظام الميت[(٤)]، وحذر علماءُ

---

(١) لما رواه ابن ماجه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أمشي على جمرة أو سيف أو أخصف نعلي برجلي، أحب إليَّ من أن أمشي على قبر مسلم، وما أبالي أوَسط القبور قضيت حاجتي أو وسط السوق»، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها (١/ ٤٩٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيحه» (١/ ٢٦١)، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

(٢) للحديث السابق.

(٣) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر مسلم». رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه (٧/ ٣٧ ـ ٣٨) مع النووي.

(٤) لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن كسر عظم المؤمن ميتاً مثل كسره حياً». رواه أحمد (٦/ ٥٨)، وأبو داود في كتاب الجنائز، باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك =

المسلمين وفقهاؤهم من نبش القبور لغير مصلحة تعود على الميت أو ضرورة تلجئ إلى ذلك[(١)]، وأرشد الرسول ﷺ الماشي بين القبور أن يخلع نعليه[(٢)]، وهذه الأمور فيها غاية الحفاظ على قبور المسلمين، وغاية التكريم لأمواتهم.

وحتى لا يؤدِّي تكريم أموات المسلمين والحفاظ عليهم إلى تقديسهم والغلوّ فيهم، فقد نهى رسول الله ﷺ عما يؤدي إلى ذلك؛ فنهى عن الصلاة على القبور وإليها[(٣)]، ونهى أن تتخذ مساجد[(٤)]، وعن تجصيصها والبناء عليها والكتابة عليها[(٥)]، وأمر بتسوية القبور المشرفة التي ترفع فوق الحد الذي يسمح به الشرع[(٦)]، وقد عقل الصحابة والتابعون لهم بإحسان، والأئمة المقتدى بهم ذلك، وحافظوا على ذلك الهدي الصالح، والطريقة الرشيدة حتى نهاية القرون المفضلة، عندما آلت ولاية المسلمين إلى الروافض والباطنية فغيّروا وبدّلوا وأماتوا سنة الرسول ﷺ وأصحابه، ونشروا سنة اليهود والنصارى في بلاد المسلمين، وتبعهم على ذلك جهلة الحكام، ومنحرفو المتصوفة، حتى شاع ذلك في بلاد المسلمين، وصار هو الغالب على كثير منها رغم تحذير العلماء وتقرير الفقهاء، وصيحات الغيورين على سنة المصطفى ﷺ[(٧)].

---

= المكان؟ (٢/ ٢٣١)، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب في النهي عن كسر عظم الميت (١/ ٥١٦)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٢/ ٦١٨).

(١) انظر: «المجموع» للإمام النووي، تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي (٥/ ٢٤٦، ٢٦٦ ـ ٢٧٧)، طبع مكتبة الإرشاد، جدة، بدون تاريخ.

(٢) لحديث بشر مولى رسول الله ﷺ وفيه: (أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يمشي بين القبور عليه نعلان فقال: «يا صاحب السبتيتين ويحك ألق سبتيتيك». فنظر فلما عرف رسول الله ﷺ خلعهما فرمى بهما) رواه أبو داود في كتاب الجنائز، باب المشي في النعل بين القبور (٢/ ٢٣٦)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيحه» (٢/ ٦٢٢)، وكذا روى نحوه ابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في خلع النعلين في المقابر (١/ ٤٩٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيحه» (١/ ٢٦١).

(٣) ورد ذلك من حديث ابن عباس وأبي مرثد الغنوي وقد سبقا مع تخريجهما ص(٤٣).

(٤) صح بذلك الأحاديث عن جماعة من الصحابة ﷺ. انظر طائفة منها ص(٤٦ ـ ٤٧).

(٥) كما في حديث جابر بن عبد الله ﷺ وقد سبق ص(٤٢).

(٦) صح ذلك من حديث فضالة بن عبيد وعلي بن أبي طالب ﷺ وقد سبقا مع تخريجهما ص(٥٣).

(٧) «الكشف المبين عن حقيقة القبوريين زيارة هود وما فيها من ضلالات ومنكرات» للباحث ص(٣٩ ـ ٤٠)، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

**المطلب الثاني: تعامل الصحابة مع ما عرف من قبور الأنبياء:**

**وفيه مسألتان:**

**المسألة الأولى: تعاملهم مع قبر النبي ﷺ:**

لقد مرت بنا أحاديث لعنِ النبي ﷺ اليهود والنصارى؛ حيث اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد[١]، وأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ[٢]، بل كان آخر ذلك في حال نزول الموت به ﷺ[٣]، وقد صرحت عائشة رضي الله عنها أنه كان «يحذر ما صنعوا»، وصرحت أن الصحابة لم يبرزوا قبره لتلك العلة.

وهذا الذي فهمته عائشة من أحاديث الرسول ﷺ التي لعن فيها اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ هو الفقه الصحيح والفهم الثاقب اللائق بها رضي الله عنها، وليس هو فهمها وحدها رضي الله عنها، وإنما فَهْمُ الصحابة جميعاً، والدليل على ذلك أنهم دفنوه كما يدفن سائر المسلمين لم يميّزوه بشيء عن سائر الموتى إلا وضع قطيفة في لحده[٤] حيث لا يخشى من ذلك أي تأثير على عقائد الناس إذ لم تكن ظاهرة لهم ولا يمكن أن يفتتن بها أحد. وأما هيئة القبر فإنه كسائر القبور، فقد روى البخاري رحمه الله عن سفيان التمار أنه (رأى قبر النبي ﷺ مسنماً)[٥]. قال الحافظ: (أي مرتفعاً)[٦].

قلت: الارتفاع المشروع فقط، يفسره ما رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه عن القاسم بن محمد قال: (دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أماه! اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء)[٧]، وزاد الأمر وضوحاً ما رواه الآجُرّي

---

(١) من ذلك حديثان عن عائشة وحديث عنها وعن ابن عباس رضي الله عنهم. انظر فيما تقدم ص(٤٦)، وحديث جندب بن عبد الله وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) كما في حديث جندب السابق في الهامش (١).

(٣) كما في حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم السابقين في الهامش (١).

(٤) «مسلم مع النووي» (٧/ ٣٤)، كتاب الجنائز، باب جعل القطيفة في القبر.

(٥) «البخاري مع الفتح» (٣/ ٢٥٥)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٦) المرجع السابق (٣/ ٢٥٧).

(٧) رواه أبو داود (٢/ ٢٣٤)، كتاب الجنائز، باب تسوية القبور، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣)، كتاب الجنائز، باب تسوية القبور وتسطيحها، طبع دار المعرفة، بيروت، =

في كتاب صفة قبر النبي ﷺ من طريق إسحاق بن عيسى ابن بنت داود بن أبي هند عن غنيم بن بسطام المدني قال: (رأيت قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبد العزيز فرأيته مرتفعاً نحواً من أربع أصابع، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره، ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه)[1].

فهذه الروايات تبين ما كان عليه قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه، وأنها ليس عليها أي أثر من آثار التعظيم والتقديس، وإنما هي قبور عادية كسائر القبور؛ لا مجصصة، ولا مرتفعة، وليس عليها توابيت، ولا سرج، ولا ثياب، ولا أي شيء مما ابتدعته القبورية فيما بعد، وهذا كله يحقق لنا هدي النبي ﷺ وأصحابه في القبور، وأنَّ ما خالفه إنما هو هدي اليهود والنصارى الذين استحقوا اللعن على ذلك.

وكما فهم الصحابة رضي الله عنهم من تلك الأحاديث أنه لا يجوز إضفاء ملامح العظمة على قبر النبي ﷺ وقبور المسلمين، كذلك فهموا أنه لو أبرز قبر النبي ﷺ لربما أدَّى إلى أن يفتتن الناس به، وأن يعملوا عنده ما لا يجوز، وذلك جَعَلَه يدعو ربه أن يجنبه إياه، ولقد استجاب الله دعاءه، وحماه بما فعله الصحابة رضوان الله عليهم، ثم التابعون رحمهم الله كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

فأجاب ربُّ العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدرانِ

حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عِزّةٍ وحمايةٍ وصيانِ

ففي عهد الصحابة رضي الله عنهم كان في بيت عائشة رضي الله عنها، وكان لا يدخل عليه ولا يصل إليه أحد إلا بإذنها، ولم يُنقَل أن الناس كانوا يستأذنونها لزيارته، وإنما يسلمون من المسجد ثم ينصرفون، ثم دفن معه أبو بكر ثم عمر، ولم يدفن عمر رضي الله عنه إلا بإذنها رضي الله عنها، وقد روى قصة دفنه مع صاحبيه البخاري رحمه الله في «صحيحه»[2]، ومما يؤيد أن القبر كان بعيداً عن أنظار الناس وعن وصولهم إليه؛ قصة القاسم بن محمد المتقدمة قريباً في هذا المبحث، وأنه عندما رغب في رؤية القبر استأذن عائشة في ذلك فكشفت له عن القبور، أي أنها فتحت الباب وكشفت الستارة التي على الباب

---

= بدون تاريخ، ورواه الحاكم أيضاً (١/ ٧٠٠ ـ ٧٠١)، طبع دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، وقال الأرناؤوط في «تخريج جامع الأصول» (١١/ ٨٢): «إسناده حسن».

(١) «الفتح» (٣/ ٢٥٥)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٢) «البخاري مع الفتح» (٣/ ٢٥٦)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

الذي في الجدار الذي بنته عندما دفن عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ وأبي بكر ليكون حائلاً بينها وبين القبور[١]، وهذا دليل قوي على أن القبور كانت في غاية الصيانة والبعد عن وصول الناس، حتى أقرب الناس إلى عائشة لا يرونها إلا بإذن منها رضي الله عنها. ومما يؤكد ذلك أيضاً ما رواه البخاري في «صحيحه» عن هشام بن عروة عن أبيه: (لما سقط عليهم الحائط[٢] في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه، فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قال لهم عروة: لا والله ما هي قدم النبي ﷺ، ما هي إلا قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[٣]، فانظر كيف كان ذلك الجمع الحاضر لتلك الحادثة غير مميز لمواقع القبور بعضها من بعض؛ مما يؤكد أنها كانت محجوبة عنهم لا يعرفون عنها شيئاً.

ومما يؤكد أن القبر الشريف كان محجوباً عن الناس، لا يصلون إليه إلا بطريقة غير مأذون فيها، ولا مقرّة من أهل العلم وأولي الأمر، حديث علي بن الحسين زين العابدين رحمه الله أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فنهاه، وقال: ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم»[٤]. فأنت ترى أن الرجل كان يدخل من فرجة، إذاً هناك جدار محيط بالقبر مغلق عليه، غير أن فرجة فتحت بأيّ سبب من الأسباب استغلَّها ذلك الرجل، فصار يدخل إلى عند القبر فيسلِّم على النبي ﷺ، فنهاه ذلك الإمام العظيم علي بن الحسين زين العابدين رحمه الله، والجدار الذي أشرتُ إليه هو جدار حجرة عائشة رضي الله عنها التي سبقَ أن أشرتُ إليها فيما مضى وهذا ـ رواية سقوط جدار

(١) انظر: «وفاء الوفاء» (٢/ ٥٤٤)، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) أي حائط بيت عائشة رضي الله عنها؛ وذلك عندما أراد عمر بن عبد العزيز رفع الحائط حول الحجرة الشريفة حيث رأى بعض الناس يصلون إلى القبر فلما حفر حول الحائط القديم انهدم فبدت تلك القدم. انظر: «الفتح» (٣/ ٢٥٧).

(٣) «البخاري مع الفتح» (٣/ ٢٥٥)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور (١/ ٦٢٢) برقم (٢٠٤٢)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (١/ ٣٦١) رقم (٤٦٩)، وقال المحقق عبد القاد الأرناؤوط في «تخريج كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبع دار السلام، الرياض (١٤١٣هـ)، ص(٩٠): وهو حديث صحيح بشواهده وطرقه حسنة.

عائشة ـ من أوضح الأدلة على ما ذكرت من حجب القبر عن الناس، وكذلك ـ رواية زين العابدين ـ على موقف علماء السلف ممن يحاول أن يصل إلى القبر ظاناً أن في ذلك قُرْبى وفضيلة، والله أعلم.

**المسألة الثانية: تعاملهم مع قبر النبي دانيال عليه السلام(١):**

لقد تعلَّم الصحابة من رسول الله ﷺ أن سبب حدوث الشرك في العالم هو الغلوّ في الصالحين، وفهموا من نهيه المكثف آخر حياته، وفي مرض موته، أن قبور الأنبياء والصالحين لا يجوز تعظيمها، وأن اليهود والنصارى استحقوا اللعن حينما بنوا المساجد على قبورهم، وصوَّروا فيها صورهم، لذلك تعاملوا مع قبره بالشكل الذي سبق في المسألة الأولى من هذا المطلب.

وعندما انسابت جيوش المسلمين في أرجاء الأرض فاتحةً ـ تقتلع الشرك من النفوس، وتقتلع وسائله ومظاهره من على وجه الأرض، ووصل جيش أبي موسى الأشعري مدينة تَستُر(٢) ـ وجدوا رجلاً يعظِّمه أهل البلد، ويستنزلون به الغيث، ويتوسلون به إلى ربهم، ويذكرون أنه النبي دانيال أحد أنبياء بني إسرائيل الذين أُتيَ بهم إلى هذه الجهة أيام بختنصر، فخشي أن يبقى بين الناس فيفتتنون به، ويغلُون فيه، فعمل على إخفائه، وإبعاده عن متناول الناس، وطمس قبره؛ حتى لا يعرفه أحد أبداً، ولم يشفع كونه نبياً أو صالحاً أن يبرزه أو يميِّز قبره.

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في «تاريخه»: (وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا تَستُر وجدنا في بيت الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً فنسخه بالعربية، قال: فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيركم وأمركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه وسوَّينا القبور كلها، لتعميته على الناس فلا ينبشونه قلت: فما يرجون منه؟ قال: كانت

(١) يقال: إنه أحد أنبياء بني إسرائيل الذين أسرهم بختنصر وسار بهم إلى بابل، وأنه مات ببلد السوس. انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٣٢٥)، وانظر خبره: (٢/ ٤٠ ـ ٤٢).

(٢) تَستُر: هي أعظم مدينة بخوزستان من بلاد العجم. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/ ٢٩).

السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، قلت: مَن كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال، قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع. وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية)[(١)].

قلت: قد يطعن البعض في هذه الرواية لقوله فيها: (منذ ثلاثمائة سنة) إذ من المعلوم أن آخر رسل وأنبياء بني إسرائيل هو عيسى عليه السلام، وأنه لا نبي بينه وبين نبينا محمد ﷺ، وأنه من المتفق عليه أن ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام أكثر من ثلاثمائة سنة بكثير، وكان ابن كثير قد أجاب عن هذا الإشكال فقال: (ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلاثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح؛ لأن عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في البخاري[(٢)]، والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة، وقيل ستمائة، وقيل ستمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة، وهو قريب من وقت دانيال، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر، فإنه قد يكون رجلاً آخر، إما من الأنبياء، أو الصالحين، ولكن قربت الظنون أنه دانيال؛ لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجوناً كما تقدم)[(٣)]. قلت: كيفما كان الأمر فموضع الشاهد محفوظ لنا وهو أن الصحابة منهجهم الذي تلقَّوه من النبي ﷺ هو طمس القبور، وإخفاؤها سواء كانت لأنبياء أو صالحين أو غيرهم، بل كلما كان العبد ذا منزلة أعظم كانت عنايتهم بإخفاء قبره أكبر؛ لأن خوف الفتنة حينئذ أشد.

## المطلب الثالث: كيف تصرَّف التابعون حين اضطروا إلى توسعة المسجد ليشمل الحجرة النبوية موضع القبر الشريف في خلافة الوليد بن عبد الملك؟!

كان الوليد بن عبد الملك[(٤)] من أشهر خلفاء بني أُميَّة، وهو أكثرهم عنايةً

---

(١) «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠).

(٢) «البخاري مع الفتح» (٦/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨)، كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ولفظه: (أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠ ـ ٤١).

(٤) ولي الخلافة سنة (٨٦) وتوفي سنة (٩٦هـ).

بالبناء والعمران حتى لقب مهندس بني أميَّة[١]، وكان بين بني أُمية وآل علي بن أبي طالب ﷺ عداء تاريخي كما هو معلوم، فلا يرضى خلفاء بني أمية أن يتميز عنهم آل علي ﷺ بأي فضيلة، وكان بيت فاطمة ﷺ ضمن أبيات النبي ﷺ الواقعة على الحد الشرقي للمسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، فتوافقت رغبة الوليد في بناء المسجد، وتشييده بما يليق به وبعظمة الخلافة في عهده مع الرغبة في إلغاء تلك الميزة التي يتميز بها بنو علي ﷺ بسكناهم في بيت فاطمة ﷺ جوار المسجد، وبين أبيات النبي ﷺ، فصمم على تنفيذ ذلك المشروع وهو توسعة المسجد من جوانبه الأربعة، وإدخال حجر أمهات المؤمنين وحجرة فاطمة وحجرة عائشة رضي الله عنهن جميعاً في المسجد إضافة إلى أن بعض المؤرخين قد ذكروا أن بعض جدران الحجرة قد بدأ فيه الخلل نتيجة القِدَم[٢]، وعندما وصل خطابه بذلك إلى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز جمع الفقهاء العشرة[٣] ووجوه الناس، وأخبرهم بما أمر به الوليد فأنكروا ذلك، وكرهوه، ورأوا أن بقاء بيوت النبي ﷺ على حالها أدعى للعبرة، والاتعاظ، فكتب عمر بن عبد العزيز للوليد فرد بإنفاذ الأمر وعزم على عمر بذلك فنفذ ما أمر به[٤]، وعارض في ذلك سعيد بن المسيب، قال ابن كثير رحمه الله: (كأنه خشيَ أن يُتَّخذَ القبر مسجداً، والله أعلم)[٥].

---

(١) «الشامل في تاريخ المدينة» (١/ ٣٩٦) للدكتور عبد الباسط بدر، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٢م) ص(٣٠٣)، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣/ ١٦٦) للشيخ محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي تخريج وتعليق الشيخ صلاح محمد عويضة طبع دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

(٢) انظر لهذه المبررات كلها: المرجع السابق (١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦).

(٣) وهم: سعيد بن المسيب (ت٩٣هـ)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت٩٤هـ)، وعروة بن الزبير بن العوام (ت٩٤هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت١٠٦هـ)، وأبو بكر بن عبد الرحمٰن بن هشام المخزومي (ت٩٤هـ)، وسليمان بن يسار مولى ميمونة ﷺ (ت١٠٠هـ)، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (ت١٠٠هـ)، هؤلاء هم الفقهاء السبعة يجمعهم هذان البيتان:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحرٍ ... روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل هم عبيد الله، عروة، قاسم، ... سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجة

ولعل تكملة العشرة هم: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت١٠٦هـ)، وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف (ت١٠٤هـ)، وأبان بن عثمان (ت١٠٥هـ). وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٥٤)، و«الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» (١/ ٢٩١ ـ ٢٩٤) للشيخ محمد الحسين الحجوي الثعلبي الفاسي، طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (١٣٩٧هـ ـ ١٩٩٧م).

(٤) «البداية والنهاية» (٩/ ٧٤). (٥) المرجع السابق (٩/ ٧٥).

وأصرحُ من ذلك ما نقله السمهودي عن عروة بن الزبير أنه قال: (نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ ألا يجعل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقال: كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه، قال: قلت: فإن كان ولا بد فاجعلوا له حوجواً ـ قال السمهودي: أي وهو الموضع المزور خلف الحجرة)[1].

قلت: وهذا العمل الذي أشار به عروة رحمه الله هو الذي ذكره الإمام النووي رحمه الله حيث قال: (ولما احتاجت الصحابة[2] رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قال في الحديث: «ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»[3] والله أعلم بالصواب)[4].

هذا ما فعله أهل العلم وأولو الأمر عندما اضطروا إلى ذلك ستراً للقبر ستراً كاملاً، فلا يُنظر، ولا يتمكن أحد من الصلاة إليه، وما ذاك إلا أنهم فهموا الأحاديث الناهية عن الصلاة على القبور وإليها، وعن اتخاذ القبور مساجد، وفهموا العلة في ذلك النهي، فعملوا على إزالة تلك العلة وفي هذا أبلغ رد على شبهة القبوريين الذين يحتجون بأن قبر النبي ﷺ في مسجده[5].

---

(١) «وفاء الوفاء» (٢/٥٤٨).

(٢) الصحيح أن ذلك في عهد كبار التابعين أما الصحابة فلم يبق بالمدينة أحد منهم آنذاك إلا على قول في كل من السائب بن يزيد وسهل بن سعد، ولكن ابن عبد الهادي جزم أنه لم يوجد حينذاك أحد بها من الصحابة. انظر: «الصارم المنكي في الرد على السبكي» للشيخ محمد أحمد بن عبد الهادي، تحقيق الشيخ عقيل بن محمد المقطري، طبع مؤسسة الرياض، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

(٣) تقدّم تخريجه ص(٥١).

(٤) «شرح مسلم» (٥/١٢ ـ ١٣).

(٥) انظر ذلك وأضف إليه ما سبق نقله عن النووي وابن حجر من شرحهما لحديث موسى عليه السلام حيث صرحا بأنه قصد إخفاء قبره خشية الفتنة على قومه، ثم انظر إلى معاكسة القبورية لذلك حيث يقول أحد مؤلفيهم المعاصرين: (... ومع ذلك فإن النبي ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج قد عرّفهم ووصف لهم قبر موسى عليه السلام وقال «لو كنت هناك لأريتكم إياه». هو بنفسه عليه الصلاة والسلام يتولى تعريفهم بهذا الموطن المبارك من أجل ماذا؟!! من أجل =

**المطلب الرابع: هدْيُ الإسلام في زيارة القبور:**

كما هو الشأن في سائر شرائع الإسلام أنها تكون في غاية من الاعتدال والسماحة، وصادرة عن حكمة بالغة تضمن لمن عمل بها على بصيرة: الفوز، والنجاح، والسعادة، دون أن يتعرض بسببها لأي نوع من أنواع الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة.

كذلك كانت شرعية زيارة القبور في الإسلام حينما كان الناس حدثاء عهد بالكفر والشرك وعبادة غير الله نهاهم الرسول ﷺ عن الزيارة، حتى يكون هناك برزخ فاصل بين العهدين: عهد الشرك، وعهد التوحيد، وعهد الجاهلية وعهد الإسلام، حتى يذهب ما في النفوس من الالتفات إلى الأرض وما عليها مما يقدِّسه الناس، وعهد السموّ الروحي والصفاء القلبي والذهني الذي لا يبقى معه التفات إلى غير الله ﷻ.

وفعلاً حينما حصل ذلك؛ خاطب النبي ﷺ أمته قائلاً: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»[(١)] «فإنها تذكر الموت»، وفي رواية: «فإن في زيارتها تذكرة»، وفي أخرى: «فإنها تذكر الآخرة»[(٢)]، وفي ثالثة: «فزوروها ولتزدكم زيارتها خيراً»[(٣)]،

---

= إقامة الصِّلات والروابط بين المؤمنين وأنبيائهم وصلحائهم وأوليائهم بالتأدب معهم وسلوك طريقتهم وزيارتهم في حياتهم وبعد مماتهم، وهو مقصد سامي سعت إليه شريعتنا له أثر بيِّن على القلوب، فالمرء يوم القيامة مع من أحب، ولا ينبغي أن ينصرف ولاؤنا لغير هؤلاء القوم الذين اصطفاهم بارئهم، ومن بين خلقه اجتباهم). انظر: «الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود» لفهمي بن علي بن عبيدون التريمي الحضرمي، دار الفقيه للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) ص(٢١).

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه من حديث أبي هريرة. وانظر: لـ«شرح النووي» (٧/ ٤٦).

(٢) انظر تخريجها في: المرجع السابق (٧/ ٤٦).

(٣) رواه الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور من حديث بريدة، وقال: وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم سلمة (٣/ ٣٦١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيحه» (١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨)، والنسائي في كتاب الضحايا، باب الإذن في أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام من حديث بريدة واللفظ له (٧/ ٢٣٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيحه» (٣/ ٩٢٣)، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م)، ورواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور من حديث أبي هريرة (١/ ٥٠٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيحه» (١/ ٢٦٢).

وفي رواية رابعة: «فإن فيها عبرة»[١]، ومن حديث أنس رضي الله عنه: «ثم بدا لي أنها تُرقّ القلب وتُدمع العين وتُذكر الآخرة فزوروها ولا تقولوا هُجراً»[٢].

وبهذا يشرع لنا الرسول ﷺ زيارة القبور مع بيان العلة فيها، وهي تذكرة الموت، والدار الآخرة، وتزهّد في الدنيا، وترق القلب وتدمع العين، وينبغي أن يحرص الزائر أن تزيده زيارته للمقابر خيراً، وهذا كله فيما يخص الزائر.

أما الأموات فإن لهم فيها نصيباً أيضاً حيث كان ﷺ إذا زارهم يدعو ويستغفر لهم، كما روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: «كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجّلون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»[٣]، وعنها رضي الله عنها أنها سألته إذا هي زارت القبور ما تقول: قال: «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[٤].

ففي هذه الأحاديث بيان أن من مقاصد الزيارة وعللها السلام على الأموات والدعاء والاستغفار لهم، قال الإمام الصنعاني رحمه الله في «سبل السلام» بعدما شرح أحاديث الإذن بالزيارة: (والكل دالّ على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها وأنها للاعتبار... فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً)[٥].

فهذه هي زيارة القبور عند أهل السنة كما علّمهم إيّاها رسول الله ﷺ، فمن أتى بها على هذا الوجه ولهذه الغاية ظفر بالأجر والفائدة المترتبة عليها، ومن زارها لغير ذلك فهي ردٌّ عليه. ثم إنها إما أن تكون بدعية، وإما أن تكون شركية بحسب ما يحصل فيها من أعمال ويقارنها من اعتقاد وقصد.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري. وقال الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (١٧/ ٤٢٩): حديث صحيح، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

(٢) رواه أحمد من حديث أنس (٣/ ٢٥٠، ٢٣٧)، وصححه بطرقه وشواهده الأرناؤوط في تحقيقه (٢١/ ٢٢٣)، وكذا روى نحوه الحاكم (١/ ٣٧٦)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٧٧).

(٣) «مسلم مع النووي» (٧/ ٤٠ ـ ٤١)، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند زيارة القبور والدعاء لأهلها.

(٤) المصدر السابق (٧/ ٤٤).

(٥) «سبل السلام شرح بلوغ المرام» للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١)، طبع دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

ذلك هو هدي الإسلام في زيارة القبور، وتلك هي أهداف وغايات الزيارة واضحة ناصعة بعيدة عن كل ذريعة تؤدي إلى الشرك بأربابها والغلّو في أصحابها، وقد جاءت بعض القيود التي تسد الثغرات الموصلة إلى ذلك:

**القيد الأول**: ألا تتخذ أعياداً، قال ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»(١)، وقد سبق كلام العلماء عليه ونص المناوي على أن من ذلك: (اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة) ودعا ولاة الأمر إلى إنكار ذلك عليهم(٢).

ونفهم من هذا أنه ليس من هدي الإسلام تعيين يوم معين من سنة، أو شهر، أو أسبوع، يخصص لزيارة القبور كما هو شأن القبورية.

**القيد الثاني**: ألا تُشَدّ إليها الرحال، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي»(٣)، وروى الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ في «مسنده» عن عبد الرحمن بن هشام بن الحارث أنه قال: (لقي أبو بصرة الغفاري أبا هريرة وهو جاءٍ من الطور فقال: من أين أقبلت؟ فقال: من الطور صليت فيه، قال: أما لو أدركتك قبل أن ترحل ما رحلت. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»(٤).

فهذا النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مقصود به أن يشد رحله مسافراً إلى مكان بعينه لعبادة الله تعالى فيه، هذا هو الظاهر المتبادر إلى الذهن،

---

(١) تقدم تخريجه ص(٤١). (٢) انظر كلامه رحمه الله ص(٤١).

(٣) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري. وانظر: «الفتح» (٣/ ٧٠)، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب مسجد بيت المقدس واللفظ له، ومسلم نحوه في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (٩/ ١٠٤ ـ ١٠٦) مع النووي.

(٤) رواه مالك في «الموطأ»، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩) في كتاب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة، وأحمد في المسند (٦/ ٧)، وصححه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» في سياق تخريجه لحديث أبي هريرة برقم (٩٧٠). وانظر: (٤/ ١٤١ ـ ١٤٣) من «الإرواء» وأبو بصرة هو حُمَيْل (مثل حُمَيْد لكن آخره لام وقيل بالجيم) بن بصرة بن وقاص الغفاري، صحابي، سكن مصر ومات بها.

وهو الذي فهمه ذلك الصحابي أبو بصرة الغفاري، واحتج به على أبي هريرة رضي الله عنه، وسكت أبو هريرة رضي الله عنه فلم يرد عليه، وهذا دليل التسليم لما رُوي ولِمَا أُخذ واستُنبط من تلك الرواية؛ فإن قال قائل: إن أبا هريرة رضي الله عنه قد روى ذلك الحديث كما في «الصحيحين»[1]، قيل له: إن هذا مما يؤكد قبول أبي هريرة لِمَا أتاه به أبو بصرة رضي الله عنهما، والمعلوم أن أبا هريرة لم يقل أنه سمع ذلك الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالغالب أنه يرويه عن أبي بصرة، ولم يثبت عن أبي هريرة أي رد لما جاء به أبو بصرة لا في «الصحيحين» ولا في «مسند أحمد»؛ حيث جاءت القصة كاملة، وهذا يؤكد ذلك القبول والرجوع من أبي هريرة لما جاء به أبو بصرة، كما فهم ذلك أيضاً أبو سعيد الخدري رضي الله عنه راوي الحديث، فقد روى أحمد في «مسنده» أن شهر بن حوشب قال: لقينا أبا سعيد ونحن نريد الطور، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تُعمَل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...» الحديث[2].

وكذلك فهمه عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ فعن قزعة رضي الله عنه قال: سألت ابن عمر رضي الله عنه: آتي الطور؟ فقال: (دع الطور ولا تأتها وقال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)[3]، وعلى ذلك درج الصحابة والتابعون وتابعوهم لم يثبت أن أحداً منهم سافر إلى قبر، أو مشهد لمجرد الزيارة، ولم يصرح أحد منهم باستحباب ذلك العمل.

وأما الفقهاء المتأخرون فقد اختلفوا في ذلك ونقل خلافهم الإمام النووي[4]،

---

(١) «البخاري مع الفتح» (٣/ ٦٣)، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة (٩/ ١٦٧ ـ ١٦٨) مع النووي.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٩٣)، وقال الأرناؤوط في «تحقيقه»: صحيح. وقد رواه أحمد من غير طريق شهر مما يدل على أن شهر حفظ هذا الحديث. وانظر: (١٧/ ٩١) من تحقيق المسند (وشهر هو ابن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن). قال عنه الحافظ في «تقريب التهذيب» تحقيق أبي الأشبال ص(٤٤١): صدوق، كثير الإرسال والأوهام، من الثالثة (ت١١٢هـ)، طبع دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) في كتاب الصلوات، باب في الصلاة في بيت المقدس ومسجد الكوفة، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٢٢٦)، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، وقال: رواه ابن أبي شيبة والأزرقي في «أخبار مكة» ص(٣٠٤)، وقزعة هو ابن يحيى البصري، قال عنه الحافظ في «التقريب» ص(٨٠١): ثقة من الثالثة.

(٤) «شرح مسلم» (٩/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

وشيخ الإسلام ابن تيمية[1]، والحافظ ابن حجر[2] ـ رحمهم الله ـ، وقد بحث هذه المسألة بحثاً مستفيضاً العلامة صديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه» لمختصر مسلم المسمى «السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج» وقد استغرق بحثه أربعاً وثلاثين صفحة من الحجم الكبير (من ص٨٤ ـ ١١٧) من الجزء الخامس من طبعة قطر، وبعد إيراد مختلف الأقوال ومناقشتها قال: (وأما السفر لغير زيارة القبور كما تقدم نظائره، فقد ثبت بأدلة صحيحة ووقع في عصره ﷺ وقرره النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلا سبيل إلى المنع منه والنهي عنه، بخلاف السفر إلى زيارة القبور فإنه لم يقع في زمنه، ولم يقرّ أحداً من أصحابه، ولم يشر في حديث واحد إلى فعله واختياره، ولم يشرعه لأحد من أمته لا قولاً ولا فعلاً. . .) إلى أن قال: (وحاصل الكلام وجملة المرام في هذا المقام أن مسألة السفر لزيارة قبر من القبور) أي قبر كان (أقل درجاتها أن تكون من المشتبهات، والمؤمنون وقّافون عند الشبهات)[3].



(١) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (٢/ ٦٦٥ ـ ٦٦٦).

(٢) «الفتح» (٣/ ٦٤).

(٣) «السراج الوهاج» (٥/ ١١٦).



# الباب الأول

# نشأة القبورية

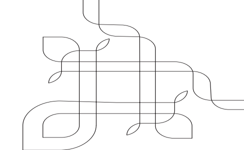
وفيه أربعة فصول:

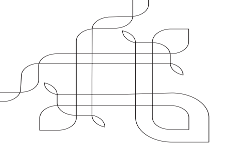
**الفصل الأول:** نشأة القبورية في العالم.

**الفصل الثاني:** القضاء على الوثنية والقبورية على عهد النبي ﷺ وإلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة.

**الفصل الثالث:** نشأة القبورية في الأمة المحمدية والتعريف بأهم الفرق القبورية.

**الفصل الرابع:** نشأة القبورية في اليمن.





# الفصل الأول

# نشأة القبورية في العالم

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** نشأة القبورية في العالم بأسره.

**المبحث الثاني:** القبورية عند اليهود والنصارى.

**المبحث الثالث:** قبورية اليونان.

**المبحث الرابع:** القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية.

## بين يدي هذا الفصل

إننا عندما نبحث عن القبورية في العالم لسنا مجرد مؤرخين يطيب لهم أن يتعرفوا على أحداث، ويصوروا مجتمعات، ويصفوا ما وصلوا إليه من أحوال العالم لمجرد السرد التاريخي، وإنما نبحث ذلك منطلقين من سنة كونية ثابتة أخبرنا عنها الرسول ﷺ، وهي أن هذه الأمة ستأخذ مأخذ الأمم السابقة، وستسلك سبيلها في كل جوانب حياتها بما في ذلك الجوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية.

فإذا ثبت أن تلك الأمم عظَّمت القبور وآثار الصالحين وتدرجت في ذلك حتى عبدت أولئك الصالحين ـ في نظرها ـ فإن من هذه الأمة من سيفعل ذلك، وهذا ما أخبر عنه رسول الله ﷺ وما يشاهد على أرض الواقع.

فأما ما أخبر به النبي ﷺ ففيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال: ومَنِ الناس إلا أولئك»[1].

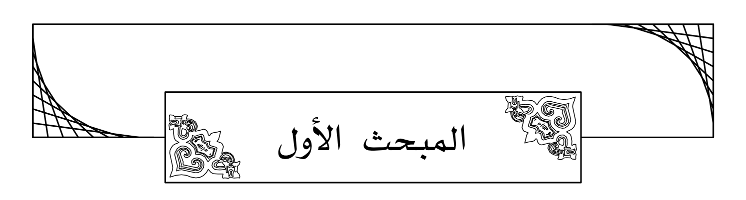
وروى البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمَنْ؟»[2].

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ كاملاً. والذي يهمنا إثباته هو مشابهة هذه الأمة للأمم قبلها في قبوريتهم، وتعظيمهم للأنبياء والصالحين، وانتشار عقائدهم الباطلة لدى كثير منهم، وهذا ما سوف نبيّنه في هذا الفصل إن شاء الله.



(١) البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم». «الفتح» (١٣/ ٣٠٠).

(٢) المصدر السابق (١٣/ ٣٠٠).




## نشأة القبورية في العالم بأسره

### وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طروء الشرك:**

من المعلوم المتفق عليه أن الله تعالى خلق الخلق جميعاً على فطرة التوحيد، فآدم عليه السلام هو الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وجرى له في الجنة ما جرى، ولم يكن من ذلك شيء يخالف التوحيد أو يقدح فيه، ثم أهبطه إلى الأرض نبياً كريماً ورسولاً مرشداً إلى ذريته، وهو قول جمع من العلماء.

وعلى تعاليم رسالة آدم نشأ بنوه وعلى نهجه ساروا، حتى لقد صرح عكرمة رضي الله عنه بأنهم داموا على ذلك عشرة قرون[١]، وهذا الذي ذكرناه من نشأة البشرية على التوحيد هو ما قرره القرآن وشهدت به السنة المطهرة.

أما القرآن ففي قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

ففي الآية الكريمة أن الدين الذي أمر الله رسوله أن يقيم وجهه عليه هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، ثم أكّد ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ فالدين الحنيف والدين القيم هو التوحيد وهو الذي فطر الله الناس عليه.

قال ابن كثير رحمه الله: (فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره)[٢].

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٩/ ٦٢).

(٢) «تفسير ابن كثير»، طبعة دار الشعب (٦/ ٣٢٠).

وقد أكدت ذلك السنة وفصّلته، وذلك فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترون فيها من جدعاء؟[١]»[٢] ثم يقول أبو هريرة: (واقرأوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾).

قال ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: (وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة رضي الله عنه، وبحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم»[٣] الحديث، وقد رواه غيره فزاد فيه: «حنفاء مسلمين» ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام)[٤].

ونكتفي بهذه النصوص الواضحة الصريحة التي لا خلاف على معناها، لإثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طروء الشرك عليها.

**المطلب الثاني: إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين:**

كانت عداوة إبليس لآدم قديمة منذ أن أمره الله بالسجود له، فأبى فلعنه الله وطرده بسبب ذلك، ومنذ ذلك الحين أخذ على نفسه: أن يعمل على كل ما فيه الإساءة إليه، وإلى جلب سخط الله عليه، وكان أوَّلَ عمل عمله إغراؤه بالأكل من الشجرة، ذلك العمل الذي كان سبباً لإخراجه من الجنة وإهباطه إلى الأرض هو وإبليس معاً، ولم يكتفِ إبليس بعداوة آدم وحده، بل ضمّ إلى ذلك عداوة ذريته وأعلنها صريحة بأنه لن يدخر جهداً لإغوائهم وصدّهم عن السبيل، والعمل على جعل مصيرهم مقترناً بمصيره هو إلى نار جهنم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٨]، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٥].

---

(١) أي مقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة. «القاموس المحيط» ص(٩١٤).

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين. «الفتح» (٣/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤/ ٢٠٤٧).

(٣) سيأتي تخريجه ص(٨٣).

(٤) «فتح الباري» (٣/ ٢٤٨).

وقد حذر الله عباده المؤمنين وجميع بني آدم من تلك العداوة وخطورتها، وخطورة الهدف الذي يسعى إبليس لتحقيقه من خلال عداوته لهم، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦] وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۝٦٢﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٢].

ولكن لأمرٍ أراده الله نسي بنو آدم تلك العداوة، وجهلوا ذلك التحذير الذي حذرهم الله إياه، ولم ينسَ هو ذلك، بل عمل على جلب الأنصار والجنود من الإنس والجن، فسلّطهم على بني آدم حين غفلوا عما أوصاهم به الله، فأجلب عليهم هو وجنوده فاجتالوهم عن دينهم وأوقعوهم في الشرك، وهو ما رواه النبي ﷺ عن ربه ﷻ كما في حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كلّ مال نحلته[(١)] عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[(٢)] عن دينهم، وحَرَّمَتَ عليهم ما أحللت لهم، وأمرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[(٣)].

ولم يكن ذلك في عهد النبي ﷺ وإنما من فجر التاريخ قبل أن يبعث نوح عليه السلام، بل إن مبعث نوح إنما كان لإرجاع الناس إلى الجادة بعد ذلك الانحراف الخطير، وكان الباب الذي دخل منه الشيطان إلى إغواء أولئك الناس: باب الغلو في الصالحين، فكانت أول أصنام عبدت على وجه الأرض هي صور وتماثيل لرجال صالحين أحبهم قومهم وغلَوا فيهم فصوّروهم، ثم تدرج بهم الحال حتى عبدوهم من دون الله تعالى! ولما جاءهم نوح ينعى عليهم ذلك المسلك الخاطئ، ويدعوهم إلى العودة إلى الصراط المستقيم أبوا وعاندوا وتواصوا بالصبر على تلك الآلهة

---

(١) نحلته: أعطيته. «النووي على مسلم» (١٧/ ١٩٧).

(٢) اجتالتم: أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل. نفس المصدر (١٧/ ١٩٧).

(٣) «مسلم مع الشرح»، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٧/ ١٩٧).

والاستمرار على الإشراك بالله المتمثل في عبادتها من دون الله ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

وهذه كما هو واضح أسماء بشر كانوا صالحين محبوبين لدى قومهم، حملهم ذلك على الغلو فيهم وإنزالهم فوق منزلتهم، وتطور الأمر حتى عبدوهم، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية أنه قال: (أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِخ العلم عبدت)(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: (وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك)(٢) وقد تواطأ المفسرون عند تفسير هذه الآية على ذكر هذا الأثر وآثارٍ أخرى كلها تؤدي نفس المعنى(٣).

وقد صرح القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: بأنه من أجل أن عبادة الأوثان ابتدأت بسبب الغلو في الصالحين حذر النبي ﷺ من اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك، قال: (قلت: وبهذا المعنى فسِّر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة ـ تسمى مارية فيها تصاوير ـ لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»)(٤).

---

(١) «البخاري والفتح» (٢/ ٦٦٧). (٢) «الفتح» (٨/ ٦٦٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٩/ ٦٢) للإمام الطبري، «معالم التنزيل» (٨/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، طبع دار طيبة بالرياض، الطبعة الرابعة (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، «زاد المسير» (٨/ ٣٧٣) لأبي الفرج ابن الجوزي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، و«الكشاف» (٤/ ٤١٤) للشيخ محمود بن عمر الزمخشري، طبع دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ١٢٢) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق الرحالي الفاروق وآخرين، الطبعة الأولى، قطر، سنة (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٣٠٧ ـ ٣١٠)، و«تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٦٢) لابن كثير، «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥) لعبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، و«فتح القدير» (٥/ ٣٠٠) للشوكاني.

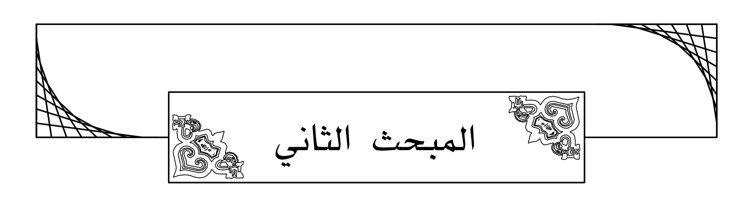
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٠٨)، والحديث تقدم تخريجه ص(٤٦).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: (وقال غير واحد من السلف: «كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: عن عائشة رضي الله عنها. ثم ذكر الحديث السابق في كلام القرطبي، ثم قال: «فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور» وهذا كان سبب عبادة اللات، فقد روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩] قال: (كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره)[١]، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان يلت السويق للحاج)[٢] فقد رأيت أن سبب عبادة ودّ، ويغوث، ويعوق، ونسر، واللات، إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها، كما أشار إليه النبي ﷺ. قال شيخنا[٣]: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبةٍ أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السَّحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد؛ فلأجل هذه المفسدة حسَم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ، وألا يقصد المصلي ما قصده المشركون سداً للذريعة)[٤].

وبهذه الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة الصريحة، وما علّق به عليها أهل العلم؛ تعلم أن القبورية هي أساس الوثنية، وأن الوثنية هي الوعاء الذي احتوى على الشرك بالله عز وجل وجسَّده.

---

(١) سيأتي تخريج الأثرين لاحقاً. (٢) سيأتي تخريجه ص(٩٦).
(٣) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
(٤) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (١/ ١٨٤) لابن القيم.


المبحث الثاني

## القبورية عند اليهود والنصارى

### وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: القبورية عند اليهود:**

لست بحاجة إلى الإطالة في إثبات قبورية اليهود، فقد أغنتنا الأحاديث المصرحة بذلك عن الصادق المصدوق ﷺ والمخرجة في الصحيحين وغيرهما، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١]، وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢].

فهذان الحديثان في «الصحيحين» ـ وسيأتي غيرهما في المطلب الثاني ـ قاطعان على قبورية اليهود، وأزيد أن اليهود ليسوا قبوريين فقط؛ ولكنهم أيضاً ميالون إلى عبادة غير الله بشكل أوضح وأصرح، كما نقل ذلك عنهم القرآن وذلك في موضعين من قصة موسى عليه السلام.

**الموضع الأول**: بعد نجاتهم من ملاحقة فرعون وخروجهم من البحر وإهلاك الله لعدوهم؛ وهي نعم عظيمة تستوجب شكر مسديها وإفراده بالعبادة وعدم الالتفات إلى غيره، لكن النفوس الدنيئة لا تكون نظرتها إلا إلى الأسفل دائماً، لذلك عندما مروا على القوم المشركين العاكفين على أصنامهم مالت نفوسهم إلى تقليدهم ومحاكاتهم في ذلك، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥٣٢) مع الفتح، كتاب الصلاة، باب حدثنا أبو اليمان، ومسلم (٥/ ١٢) مع النووي، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٢) تقدم تخريجه ص(٤٦).

تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨ ـ ١٤٠].

وهذا في غاية الصراحة فهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً آخر كما أن أولئك لهم آلهة، فهو طلب الشرك والاستعداد النفسي له.

**الموضع الثاني**: حينما ذهب موسى لميقات ربه وتركهم مع هارون فصنع لهم السامري العجل ودعاهم إلى عبادته، فبادروا إلى ذلك ولما يأبهوا لتحذير هارون من ذلك بل واجهوه بالتمرد وكادوا يقتلونه حينما وقف في طريقهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه: ٨٣ ـ ٩١].

وبهذا العرض اليسير تتضح قبورية اليهود وشركهم واتخاذهم الآلهة من دون الله.

## المطلب الثاني: القبورية عند النصارى:

الأمة النصرانية أمة غالية فيمن تعظمه من الأنبياء والصالحين ولقد حملهم ذلك على تأليه المسيح وأمه وغيرهما من الأحبار والرهبان، وهذا صريحُ نصِّ القرآن، حيث يقول الله تعالى فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يقيم عليهم الحجة ببطلان ما هم عليه من عبادة غير الله فقال: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٦]، ثم أمره أن ينهاهم عن الغلو في الدين وتقليد سلفهم الغالين فيه؛ لأن الغلو هو سبب عبادتهم لغير الله فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ

كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ [المائدة: ٧٧]، فمن غلوِّهم أنهم اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دونه، وتلك العلة ـ التي هي الغلو ـ هي العلة المشتركة بين جميع المشركين.

ومن الغلو كذلك اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد؛ كما في حديث عائشة ﵂ أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[١].

وهذه الكنيسة التي رأتها أم حبيبة وأم سلمة هي قطعاً كنيسة نصارى؛ فهذا إثبات قاطع لقبوريتهم وقد حذر النبي ﷺ من الاقتداء بهم في ذلك كما في حديث عائشة وعبد الله بن عباس ﵃ قالا: (لما نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا)[٢].

وقد بيّن ابن كثير ﵀ في تاريخه: أن تلك القبورية عند النصارى إنما حدثت فيهم بعد أن حرفوا دينهم، وقالوا بالتثليث، قال رحمه الله تعالى: (ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة؛ حدثت فيهم الطامة العظمى، والبليّة الكبرى، واختلف البتاركة[٣] الأربعة وجميع الأساقفة[٤] والقساوسة[٥] والشماسة[٦] والرَهابين[٧] في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضبط، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين ـ باني القسطنطينية ـ وهو المجمع الأول، فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا «الملائكة»، ودحَضَ من عداهم وأبعدهم، وتفردتْ الفرقة التابعة لعبد الله بن أديوس الذي أثبت أن عيسى عبد من عباد الله، ورسول من

---

(١) تقدم تخريجه ص(٤٦).
(٢) تقدم تخريجه ص(٤٦).
(٣) ويقال: البطارقة جمع بطريق: وهو رئيس رؤساء الأساقفة. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٦١).
(٤) جمع أسقف: وهو رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران. المصدر السابق (١/ ٤٣٦).
(٥) جمع قس: وهو رئيس من رؤساء النصارى بين الأسقف والشماس. المصدر السابق (٢/ ٧٣٤).
(٦) جمع شمّاس: من يقوم بالخدمة في الكنيسة ومرتبته دون القسيس. المصدر السابق (١/ ٤٩٤).
(٧) جمع راهب: المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهداً فيها معتزلاً أهلها. المصدر السابق (١/ ٣٧٦).

رسله، فسكنوا البراري، والبوادي، وبنوا الصوامع[١]، والديارات[٢]، والقلايات[٣]، وقنعوا بالعيش الزهيد، ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل، وبنت الملائكة[٤] الكنائس الهائلة، وعمدوا إلى ما كان من بناء اليونان فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي[٥])[٦].

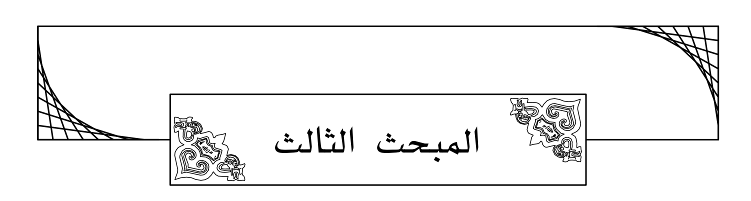
ثم قال رَحِمَهُ اللهُ تحت عنوان «بناء بيت لحم والقمامة[٧]»: (وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنت أمه هيلانة القمامة، يعني على قبر المصلوب، وهم يسلّمون لليهود أنه المسيح)[٨].

وبما مر من نصوص قرآنية ونبوية وتاريخية تتضح قبورية النصارى وغلوّهم في أنبيائهم وصالحيهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى.



---

(١) جمع صومعة وصومع: وهو بيت العبادة عند النصارى. المصدر السابق (١/ ٥٢٣).
(٢) جمع دير: وهو دار الرهبان. «المعجم الوسيط» (١/ ٣٠٧).
(٣) القلايات: جمع قلّية وهي الصومعة. المصدر السابق (٢/ ٧٥٧).
(٤) أي الفرقة التي سميت الملائكة.
(٥) الجدي: نجم قريب من القطب تعرف به القبلة. المصدر السابق (١/ ١١٢).
(٦) «البداية والنهاية» (٢/ ١٠١).
(٧) وهي التي يطلق عليها الناس اليوم كنيسة القيامة.
(٨) المصدر السابق (٢/ ١٠١).



المبحث الثالث

## قبورية اليونان

### وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية:**

الأمة اليونانية أمة عظيمة سادت وظهرت على مسرح التاريخ القديم قروناً من الزمن، وقد أنشأت حضارة متميزة وظهر فيها علوم ومعارف وفلسفة وصلت إلى الأمم الأخرى، وتناقلتها الأجيال إلى العصر الحاضر، وهذا لا مراء فيه، ولكن مع كل ذلك فقد كانت هذه الأمة أمة وثنية قبورية تُأَلِّه كل ما أعجبت به من مظاهر الكون، وعباقرة وأبطال البشر، بل وجميلات النساء! فهناك (آلهة السماء) و(آلهة الأرض) و(آلهة الخصب) و(الآلهة الحيوانية) و(آلهة ما تحت الأرض) إلى آخر القائمة، وقد ذكر المؤرخون كيف تنشأ تلك الآلهة وكيف تعبد[١]. وكانت كذلك أمة قبورية تقدس قبور موتاها، فقد كان الموتى في العصور المبكرة من تاريخ اليونان يُعْتَبرون أرواحاً قادرة على أن تفعل للناس الخير والشر، وتسترضى بالقرابين والصلاة[٢]. وكان اليونان في عصرهم الزاهر يرهبون هذه الأشباح الغامضة أكثر مما يحبونها، وكانوا يسترضونها بطقوس ومراسم يقصد بها إبعادها واتقاء شرها[٣]، وكان الإله في أول الأمر من الأسلاف والأبطال الموتى، كما كان المعبد في الأصل قبراً، ولا تزال الكنيسة حتى الآن في معظم البلاد مكاناً تحفظ فيه آثار الموتى القديسين[٤].

هذه هي أمة اليونان وتلك آلهتها؛ كانت في بدايتها أمواتاً من ذوي التميز في

---

(١) انظر: «الفكر الإغريقي»، تأليف محمد الخطيب، دمشق، الطبعة الأولى عام (١٩٩٩م)، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ص(٢٨ ـ ٥٢).

(٢) المصدر السابق ص(٣٥ ـ ٣٦).

(٣) المصدر السابق ص(٣٥ ـ ٣٦).

(٤) المصدر السابق ص(٣٦).

جوانب مختلفة من الحياة، تدرج بهم الشيطان حتى صيروهم آلهة من دون الله، وقبور أولئك الموتى هي الأصل في المعابد التي تتربع فيها تلك الآلهة.

**المطلب الثاني: قبورية فلاسفة اليونان:**

في تلك الأمة وذلك الجو نشأ فلاسفة اليونان على الوثنية والقبورية، وبقي ذلك هو اعتقادهم وتفكيرهم ولم يغنِهم ما وصلوا إليه في مختلف العلوم ـ التي أصبحوا فيها أساتذة العالم ـ لم تغنهم تلك العلوم ولم ترتفع بتفكيرهم في الجانب الإلهي من حياتهم، بل ظلوا يتخبطون في ظلمات الجهل ومسالك الضلال، ذلك أن هذا الجانب ليس بمقدور العقول تصوّره التصوّر الصحيح، والوصول إلى حقيقته، وإنما مصدره هو الوحي الذي ينزله الله على رسله، فيبلغونه للناس ويقودونهم به إلى معرفة ربهم وما يجب عليهم، وما يلتحق بذلك من أركان الإيمان ومقوماته، وحيث إن أولئك الفلاسفة مصدرهم في بحثهم عن الحقيقة هو العقل، والعقل قاصر عن إدراكها، فقد تاهوا في أودية الضلال وما وصلوا إلا إلى نظريات متناقضة، وقضايا فجّة غير ناضجة، وبقي ما تربَّوا عليه من الوثنية والقبورية؛ هو الذي يوجه تفكيرهم ويستحوذ على أعمالهم وطقوسهم، وقد شهد المتلقفون لفلسفة اليونان من علماء المسلمين على قدواتهم من فلاسفة اليونان بالقبورية، وأبانوا كيف يتصور أولئك الفلاسفة إمداد أرواح الموتى لمن دعاهم وتشفع بهم.

يقول الفخر الرازي في كتابه «المطالب العالية»: (إن فلاسفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها، إذا اعترتهم مشكلة من المشكلات، وكان الفلاسفة من تلاميذ أرسطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض)[١].

وبما أن القوم فلاسفة وليسوا مقلدين لما كان عليه الآباء والأجداد فقد خرَّجوا تعلقهم بالقبور تخريجاً علمياً مبنياً على نظريتهم العامة في الإلهيات، حيث يؤمنون بنظرية الفيض، أي: أن «العقل الفعال» الذي هو موازٍ للإله يفيض على من دونه من المخلوقات.

وبما أن أرواح الموتى القديسين هي كذلك آلهة صغيرة حسب العقيدة اليونانية

(١) «المطالب العالية» (٧ ـ ٢٢٨) بواسطة «جهود الحنفية في إبطال عقائد القبورية» (١ ـ ٤١٦) للدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

العامة فإن تلك الأرواح تفيض على من زارها طالباً منها الشفاعة، وذلك بحسب يقين الزائر وفنائه في المزور واستعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض، وهي بدورها تتلقى الفيض من الإله الأعظم، وقد مثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة وانعكس شعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة، قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفوس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لا بدّ فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة[١].

**المطلب الثالث: اتِّباع قبورية المسلمين لفلاسفة اليونان في علة زيارة القبور:**

إن معظم ما يأتيه القبورية وما يعتقدونه تجاه القبور وأهلها إنما هو اتباع للأمم السابقة، تصديقاً لحديث الرسول ﷺ في حديث ذات أنواط؛ حيث طلب بعض أصحابه أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط، فقال لهم: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم»[٢]، وجاء من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[٣]، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ قال: مَنْ الناس إلا أولئك»[٤].

ويظهر من سبب ورود الحديث الأول أن بعضاً من هذه الأمة ستتبع اليهود فيما انحرفوا فيه من التفاتهم إلى التعلق بالمخلوقين، وهذا هو أساس القبورية.

كما يظهر من الحديث الثالث أن اتباع الأمم السابقة لا يقتصر على اليهود والنصارى وإنما يتعداه إلى سائر فارس والروم، ومن الروم اليونان الذين نُقِلت فلسفتهم إلى الأمة الإسلامية فأفسدت عقائد قوم من المسلمين.

---

(١) انظر: «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢/ ٤١٠ ـ ٤١١) لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي، دار الوطن، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

(٢) الترمذي في الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٤/ ٤٧٥)، وأحمد (٥/ ٢١٨).

(٣) تقدم تخريجه ص(٨٠).

(٤) تقدم تخريجه ص(٨٠).

ومن تلقى عقائد الفلاسفة وألبسها رداء الإسلام ونشرها في الأمة المحمدية قبورية المسلمين من فلاسفة وباطنية شيعية وصوفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن الوسائل المشروعة وغيرها: (الوجه الثاني أن يدعو له الرسول ﷺ فهذه أيضاً مما يتوسل به إلى الله تعالى، فإن دعاءه وشفاعته عند الله من أعظم الوسائل، فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب، ولا مستحب، ولا الرسول دعا له، فليس في عظم قدر الرسول ما ينفعه، ولكن بعض الناس الذين دخلوا في دين الصابئة والمشركين، ظنوا شفاعة الرسول ﷺ لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التي تفيض على الرسول ﷺ تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول ﷺ ولا دعاء منه، ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة، وانعكس شعاعها على حائط أو غيره؛ حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة، قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لا بد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة، وجعل هؤلاء الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه.

وقالوا: إن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقوى تأثيرها، وهذه المعاني ذكرها طائفة من الفلاسفة ومن أخذ عنهم كابن سيناء وأبي حامد وغيرهم)[١].

قلت: هذا فرع من فروع نظرية الفيض التي يعتقدها الفلاسفة، وطبيعي على هذا الاعتقاد أن يكون هناك توجه إلى النفوس الفاضلة لتكون واسطة بين المستشفع والخالق المعطي سبحانه، تلك الواسطة هي «الشافع» وقد قرر ذلك من أتباع الفلاسفة قوم كما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهم أبو حامد الغزالي وذلك في كتابه «المضنون به على غير أهله»، والفخر الرازي في كتابه «المطالب العالية»، ونقل عن الاثنين أحد قبورية حضرموت وهو عبد الرحمٰن بن محمد العيدروس في كتابه «بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هود»، وجعل ذلك هو علة زيارة القبور، وسيأتي نص كلام الغزالي منقولاً من كتابه، وكلام الرازي عن العيدروس في مطلب علة

---

(١) «الاستغاثة» (٢/ ٤١١ ـ ٤١٢).

الزيارة عند القبورية[١]، وبهذا يتضح أن زيارات القبورية لم تكن هي الزيارات الشرعية التي علتها الاعتبار والاتعاظ بحال الموتى ورقّة القلب وتذكر الآخرة والدعاء للأموات والسلام عليهم، وإنما الاستمداد من الأموات على طريقة الفلاسفة.

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظاهر، وحتى لا يقول قائل: إن ذلك من اتباع الفلاسفة في علة الزيارة، إنما هو مذهب مهجور لدى قبورية اليوم لا وجود له عندهم.

أقول له ولكل من يدافع عنهم: انظر إلى محمد علوي مالكي، باعث القبورية في مكة من جديد، ووارث أحمد زيني دحلان ويوسف النبهاني، انظر إليه وهو يحكي أحوال الزائرين للنبي ﷺ: (تختلف أحوال الزائرين في استفادتهم من زيارتهم واستمدادهم من الله بواسطة نبيهم المصطفى وحبيبهم المجتبى ﷺ، وبحسب استعدادهم في تلقي الفيوضات الإلهية، والواردات الربانية بواسطة الحضرة المحمدية)[٢].

ويقول في موطن آخر: (اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول صلاة نشهدك بها من مرآته، ونصل بها إلى حضرتك من حضرة ذاته، قائمين لك وله بالأدب الوافر، مغمورين منك ومنه بالمدد الباطن والظاهر)[٣].

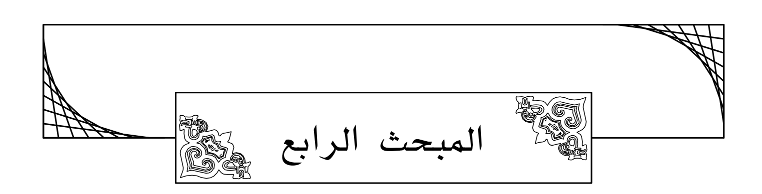
وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظاهر ليس به خفاء.



(١) انظر: ص(٣٨٤).

(٢) «شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد» ص(١٢٤)، السيد محمد ابن السيد علوي ابن السيد عباس المالكي الحسني، الطبعة الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

(٣) المصدر السابق ص(١١٧).



## المبحث الرابع

# القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية السمحة:**

كانت العرب وبالأخص عرب الحجاز على ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام، ملة التوحيد الحنيفية السمحة، برآء من الشرك وأهله، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام، مثنياً عليه وعلى أتباعه بذلك: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢٣]، وقال تعالى مبرئاً إبراهيم والذين معه من الشرك، ومقدِّمهم لنا قدوةً، وجاعلاً لنا الأسوة فيهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقد ذكّر الله العرب بهذا الإرث العظيم الذي ورثوه من أبيهم إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

وقد بقي العرب على تلك الملة قروناً، حتى ظهر عمرو بن لحي الخزاعي فغيّرها، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، قال رسول الله ﷺ: «وعرضت عليَّ النار فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها النساء: إنِ ائتمنَّ أفشين، وإن سألن ألحفن، وإذا سُئلن بخلن، وإذا أعطين لم يشكرن، ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قُصبه في النار، وأشبه من رأيت به معبد بن أكثم الخزاعي، فقال معبد: يا رسول! أتخشى عليَّ من شَبَهِه فإنه والدي، فقال: **لا، أنت مؤمن وهو كافر، وهو**

**أول من حمل العرب على عبادة الأصنام**»[١]، وهناك ألفاظ أخرى بنفس المعنى في الصحيحين وغيرهما[٢].

وكان سبب انحرافهم ووقوعهم في الشرك هو الغلو في الصالحين كما سيأتي في قصة عبادتهم للَّات، أو للأماكن المقدسة كما في قصة نقلهم حجارة الحرم والطواف بها حيثما حلّوا.

**المطلب الثاني: القبورية هي أصل الوثنية عند العرب:**

كما هو الشأن ـ بعد كل رسالة من الرسالات السابقة ـ تأتي بعدها فترة ينقص العلم ويثبت الجهل، ويجد الشيطان سبيلاً إلى نفوس الناس وعقولهم، فينحرف بهم عن الصراط المستقيم، وقد مرّ معنا أن دين إبراهيم ظل قائماً حتى ظهور عمرو بن لحي الخزاعي الذي كان أول من غيّره وحرَف العرب عنه إلى عبادة الأصنام، وكان سبب وقوعهم في الوثنية هو الغلو في الصالحين منهم وتعظيم قبورهم حتى اتخذوها أصناماً، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]: (كان اللات رجلاً يلت السويق للحاج)[٣] والذي أمرهم بذلك هو عمرو بن لحي.

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث ـ راداً على من زعم أن اللات هو عمرو بن لحي ـ: (والصحيح أن اللات غير عمرو بن لحي، فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً، وتقدم في مناقب قريش أن عمرو بن لحي هو الذي حمل العرب على عبادة الأصنام، وهو يؤيد هذه الرواية)[٤].

فهذا وجه من أوجه القبورية المؤدية إلى الوثنية عند العرب، وهناك وجه آخر وهو تعظيم آثار الصالحين ومنازلهم وبيوت عباداتهم تعظيماً زائداً على الحد المشروع.

قال ابن هشام في سيرته: قال ابن إسحاق: (ويزعمون أن أول ما كانت عبادة

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٥) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، طبع دار المعرفة، بيروت، بإشراف د. يوسف المرعشلي.
(٢) انظر: «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٤).
(٣) البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ (٨/ ٦١١) مع الفتح.
(٤) الفتح (٨/ ٦١٢).

الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ـ حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد ـ إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات)[١].

فهذا السبب كما ترى كان ناتجاً عن تعظيم آثار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فالحرم شرَّفه الله تعالى بهما حيث بَنَيَا فيه بيت الله الحرام والكعبة المشرفة، فكان تعظيم المكان ناتج عن تعظيم من اشتهر به وهو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الذي ينسب إليهما كان سبباً في ضلال طوائف من العرب والزج بهم في الوثنية والشرك.

**المطلب الثالث: انتشار الأصنام في جزيرة العرب:**

بعد تلك البدايات البسيطة والبدائية أخذ إبليس يرقّي العرب في سلّم الوثنية حتى أصبحت ديناً تدين به، له شعائره[٢] ومشاعره[٣] وطقوسه[٤] وعقائده، وتنوعت العبادات من طواف وتمسح ودعاء واستشفاع واستقسام[٥] بالأزلام بين يدي تلك الأصنام إلى نذر الأموال ونحر النعم وغير ذلك، كما انتشرت الأصنام في الجزيرة العربية انتشار النار في الهشيم بدءاً ببيت الله الذي أنشئ على التوحيد ولأجل

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٧٧)، طبع مؤسسة علوم القرآن، بدون تاريخ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي.

(٢) جمع شعيرة: مناسك العبادة ومعالمها. انظر: «القاموس المحيط» ص(٥٣٥).

(٣) جمع مشعر: موطن العبادة. المصدر السابق ص(٥٣٥).

(٤) جمع طقس: وهو نظام الخدمة الدينية عند النصارى. انظر: «المعجم الوسيط» (٢/ ٥٦١).

(٥) قال ابن جرير (٦/ ٤٩): (﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعلت من القسم، قسم الرزق والحاجات؛ وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجال القداح وهي الأزلام وكانت قداحاً مكتوباً على بعض «نهاني ربي» وعلى بعضها «أمرني ربي»؛ فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه «أمرني ربي» مضى لذلك لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك، وإن خرج الذي عليه «نهاني ربي» كف عن المعنى لذلك وأمسك، وأما الأزلام فإن واحدها زلم ويقال: زُلم وهي القداح التي وصفنا أمرها).

التوحيد، حيث يقول الله تعالى عنه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

هذا البيت كان فيه أكبر تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام ـ التي كسرها رسول الله ﷺ يوم فتح مكة في جوف الكعبة وحولها ـ ثلاثمائة وستين صنماً[١]، كما كان في جوف الكعبة أشهر أصنام قريش على الإطلاق (هبل)[٢]، ولم تبق قبيلة من قبائل العرب إلا ولها صنمها الذي يعرف بها وتعرف به وتعبّد له أبناءها[٣]، بل تجاوز الأمر إلى أن أصبح لكل بيت صنمه الخاص به[٤]، وحتى المسافر لا يقيم أثناء سفره في بقعة إلا تخيّر من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له[٥].

ولم يكتف الشيطان بذلك بل دلّهم على أصنام قوم نوح التي كانت مطمورة في رمال ساحل جدّة فاستخرجها مؤسس الوثنية في الجزيرة العربية عمرو بن لحي الخزاعي وفرقها على العرب فعظمت وعبدت فيهم[٦].

وبذلك انطمست ملة إبراهيم وغاب التوحيد وحل الشرك محله، حتى صارت الدعوة إلى إخلاص العبادة لله تعالى من العجائب لديهم حينما صدع بها النبي ﷺ فقالوا ـ كما حكاه القرآن ـ: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٥ ـ ٧].

**المطلب الرابع: الحنفاء من العرب:**

ذلك هو الجوّ المظلم الذي وصلت إليه الأمة العربية قبل البعثة وهو الغالب عليها، ولكن بقي بصيص ضئيل من النور الخافت الذي نجا من أطباق الظلمة،

---

(١) البخاري، كتاب التفسير سورة الإسراء، باب ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨/ ٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) «الأصنام» لابن الكلبي ص(٢٧).

(٣) انظر: «الأصنام» ص(١٣) و(١٦) و(١٨)، الدار القومية بالقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة (١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م).

(٤) المصدر السابق ص(٣٣).

(٥) المصدر السابق ص(٣٣).

(٦) أصله في البخاري، كتاب التفسير سورة نوح، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾. وانظر: ابن هشام (١/ ٧٨ ـ ٨٠).

ولكنه لم يهدِ أصحابه صراطاً مستقيماً، ولم يسلك بهم سبيلاً قويماً[١]، وقد تمثّل ذلك في بقاء مجموعة صغيرة جداً متفرقة في أنحاء الجزيرة العربية، وربما كان بمكة منهم نصيب أوفر، أولئك هم من سُمّوا بالحنفاء نسبة إلى الحنيفية ملة إبراهيم، وتمثل تمسكهم بالحنيفية في رفضهم للوثنية من حيث عبادة الأوثان وتقريب القرابين لها، واعتقاد نفعها وضرّها وشفاعتها كما هو شأن الوثنيين، هداهم إلى ذلك فطرتهم التي مَنَّ الله عليهم ببقائها صافية نقية من كُدُورات الوثنية، غير أنهم لم يهتدوا إلى مراد الله تعالى وما يجب له من العبادة، حتى لقد نقل أهل السير عن زيد بن عمرو بن نفيل قوله: (اللهم إني لو أعلم أيّ الوجوه إليك أحب عبدتك به؛ ولكني لا أعلمه)[٢]. ولذلك تفرقوا في البلاد يبحثون عن دين إبراهيم، فمنهم من دخل النصرانية كورقة بن نوفل، ومنهم من لم يدخل أيّ دين وبقي على ما هو عليه كزيد بن عمرو بن نفيل.

وقد ذكرت أسماء بعض هؤلاء فمنهم: قس بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبي الصلت، وأبو قيس بن أبي أنس، وخالد بن سنان، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سُلمى، وكعب بن لؤي بن غالب أحد أجداد النبي ﷺ[٣]، وقد ذكر غيرهم أيضاً[٤]، غير أن من هؤلاء الذين ذكروا من تنصر، وكل هؤلاء لم يدركوا الإسلام إلا ورقة بن نوفل حيث أدرك الفترة الأولى من الوحي ففرح واستبشر وتمنى أن يعيش ليرى دعوة النبي ﷺ وينصره؛ ولكنه مات في فترة الوحي[٥].

---

(١) لأن الهداية التامة لا تكون إلا بالوحي لا غير.

(٢) ابن هشام (١/ ٢٢٥) عن ابن إسحاق قال: حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء، وهذا حديث حسن لمكان ابن إسحاق، وأما بقية أصحاب السند فمن أصح الأسانيد.

(٣) «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة وتحليل)» ص(٧٢) للدكتور مهدي رزق الله أحمد، الأستاذ المشارك بكلية التربية جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

(٤) نفس المصدر ص(٧٧).

(٥) انظر خبره في: كتاب بدء الوحي (١/ ٢٢) مع الفتح.

# الفصل الثاني

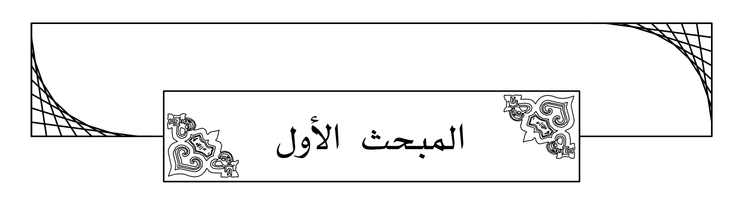
## القضاء على الوثنية والقبورية على عهد رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين إلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** حال جزيرة العرب حين مبعث النبي ﷺ وكيف قضى على الوثنية.

**المبحث الثاني:** إنذار النبي ﷺ بعودة الشرك إلى جزيرة العرب والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً.

**المبحث الثالث:** خلو القرون المفضلة من مظاهر القبورية.




# حال جزيرة العرب حين مبعث النبي ﷺ وكيف قضى على الوثنية فيها

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: حال جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ:**

عرفنا في مطلب القبورية عند العرب كيف فشت عبادة الأصنام، وشملت جميع أطراف جزيرة العرب، وأنه لم يبقَ على أصل التوحيد إلّا أفراد يعدون بالأصابع، منبوذون من قومهم يلقون منهم السخرية والاستهزاء والمقت، وكيف سيطرت الجاهلية على جميع أوجه الحياة حتى أظلم الكون، واستوجب أهله مقت الله وغضبه، إلّا أولئك الحنفاء القلائل وبقايا من أهل الكتاب مشردين في الصحاري والقفار متوارين في صوامعهم وأديرتهم، وقد صوَّر النبي ﷺ تلك الحالة. وذلك فيما رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه قال: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلّا بقايا من أهل الكتاب)[١]، هكذا كانت الدنيا بما فيها جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ، فكيف انجابت تلك الظلمة، وزالت تلك الجاهلية؟ هذا ما سنعرفه في المطلب الثاني.

**المطلب الثاني: قضاء النبي ﷺ على الوثنية في جزيرة العرب:**

لقد بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بما بعث به إخوانه المرسلين من قبله؛ لإزالة

---

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ٢١٩٧)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

الشرك، ونشر التوحيد، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فشمرّ الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله سراً وجهراً وليلاً ونهاراً، وكان أول ما أعلنه من دعوته حين أمره الله تعالى أن يصدع بها أن قال: «يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»[1]، فاستجاب له السابقون الأولون، وحاربه بقية قومه واستهجنوا ما جاء به واستنكروه، وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧﴾ [ص: ٤ ـ ٧].

لكن الله أبى إلّا أن يتم نوره ويعليَ كلمته ولو كره الكافرون، ومضى ﷺ في دعوته وتربى على ذلك أصحابه، وانطلقوا دعاةً إلى ذلك، فاتسعت دائرة الحق وانتشر نور الإسلام بعد جهد كبير وزمن غير قصير؛ حمل عليه العناية الفائقة التي أولاها رسول الله ﷺ للتربية وغرس العقيدة في النفوس حتى تمكنت منها، ثم توالت المحن وصب العذاب على أصحابه ليشتدّ عودهم وتصقل نفوسهم حتى إذا تهيؤوا لإقامة دولة التوحيد؛ هيأ لهم الملاذ الآمن والقاعدة الصلبة التي تبنى عليها تلك الدولة، وذلك بإسلام الأوس والخزرج ومبايعتهم للنبي ﷺ، ثم هجرته إليهم، وحينما استقر في المدينة وثبّت دعائم الدولة انكفأ يدعو إلى الله بأسلوب آخر؛ بالقوة والجهاد لمن يعترض سبيل تلك الدعوة كما أمره الله تعالى بذلك حيث قال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣٩﴾ [الأنفال: ٣٩]، وكما صرَّح هو ﷺ عن حقيقة دعوته ووسيلته لتحقيقها حيث قال: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعلَ رزقي تحت ظل رمحي، وجُعلَت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم»[2].

---

(١) «المسند» (٣/ ٤٩٢، ٤/ ٣٤١)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢) من طريق عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، وله شاهد من طريق طارق بن عبد الله المحاربي أخرجه ابن حبان (٦٥٦٢)، كتاب التاريخ، باب كتب النبي ﷺ ذكر مقاساة المصطفى ﷺ ما كان يقاسي من قومه في إظهار الإسلام، «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان»، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية (١٣١٤هـ ـ ١٩٩٣م) بتحقيق شعيب الأرناؤوط، وصححه الحاكم (٢/ ٦١٢)، كتاب «التاريخ ذكر أخبار سيد المرسلين ﷺ»، ووافقه الذهبي.

(٢) تقدّم تخريجه في الباب التمهيدي ص(٣٢).

وتوالت الحروب بينه وبين الكافرين مع استمراره في الدعوة والتربية، حتى أذن الله بالفتح ففتحت مكة، وعلى أثر ذلك دخل الناس في دين الله أفواجاً كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

وعند ذلك علت راية التوحيد خفاقة على ربوع الجزيرة العربية، وكانت الدولة والكلمة للإسلام، وزال الشرك وقضي عليه، حتى بعَث النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة علياً رضي الله عنه بهذا الإعلان النهائي المشعر بأنه لا مكان للشرك في هذه الجزيرة، ولا حق لمشرك أن يمارس شركه فيها، فكان هذا الإعلان في موسم الحج ليسمعه كل من شهد الموسم ويعود لإبلاغه إلى قومه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ [التوبة: ١ ـ ٣]، وكان عليّ يتبع ذلك بقوله: (ألا لا يحجنَّ بعد هذا العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان)[(١)].

وبالفعل لم يعد ذلك الموسم من السنة العاشرة إلَّا وقد طهِّرت الجزيرة من الشرك والمشركين، وأجلَب أهلها للاستجابة لدعوة الله، وحققوا توحيده، وصاروا من حزبه بعد أن كانوا من حزب الشيطان، فما حج رسول الله ﷺ حجته الوحيدة الشهيرة بحجة الوداع إلّا وكل من حضر الموسم ـ وهم عدد كبير لم تشهد الجزيرة تجمعاً مثله من قبل ـ كلهم مسلمون موحدون، وبذلك أكمل الله الدين وأتم النعمة على عباده المؤمنين وانتهت مهمة خاتم المرسلين. ونزلت في يوم عرفة من ذلك العام آخر آية من كتاب الله معلنة ذلك: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

وحين رأى الشيطان تلك الفتوح وذلك الإقبال على دين الله وتلك النهاية للشرك والمشركين في جزيرة العرب، أصابه اليأس وغلب عليه القنوط من عودة الشرك إليها وقيام دولة له فيها كتلك التي هوت وتلاشت بقيام دولة الإسلام، وقد

---

(١) «البخاري مع الفتح» (٨/٣١٧ ـ ٣١٨)، كتاب التفسير، باب ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، وباب ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾.

أخبر النبي ﷺ بيأسه ذلك فقال: «إنَّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[١]، وقال ﷺ: «وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»[٢]، وقال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[٣].

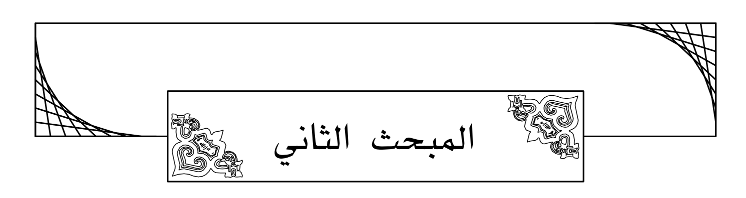
وليس معنى ذلك أن لا يتطرق أي نوع من الشرك على أي حال من الأحوال، وإنما المقصود نوع خاص من عبادة الشيطان، كما سيأتي إيضاحه في المبحث الثاني إن شاء الله.



(١) «صحيح مسلم» (٤/٢١٦٦)، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه السرايا لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً.

(٢) رواه البخاري مع «الفتح» (٣/٢٠٩) في الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، ومسلم (٤/١٧٩٥) في الفضائل، باب إثبات حوض النبي ﷺ، تحقيق عبد الباقي.

(٣) مسلم (٣/١٥٢٣)، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم».



المبحث الثاني

## إنذار النبي ﷺ بعودة الشرك إلى جزيرة العرب والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً

### وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: الإنذار بعودة الشرك إلى جزيرة العرب:**

رغم البشارات العظيمة التي رأيناها في المبحث السابق، فإن النبي ﷺ أنذر كذلك بعودة الشرك والوثنية إلى هذه الجزيرة المباركة في أحاديث كثيرة صرَّح فيها بعبادة الأوثان مطلقاً، أو عبادة أوثان مخصوصة من أوثان العرب في جاهليتها، أو بلحوق أقوام من أمته بالمشركين، وهذا كله يدل على أن الأحاديث التي يُفهم منها امتناع عودة الشرك إلى جزيرة العرب ليست على إطلاقها، وإنما هي محمولة على معانٍ أو أحوال مخصوصة، والداعي إلى حملها على تلك الأحوال والمعاني المخصوصة هو وجوب الجمع بين النصوص الصحيحة؛ حتى نتمكن من إعمال جميع النصوص ولا نلجأ إلى التحكم بإبطال بعضها مع صحة أسانيدها إلى النبي ﷺ كما صرّح بذلك علماء الأصول والمصطلح[١].

ومن هذه الأحاديث حديث ثوبان رضي الله عنه الطويل الذي أخبر فيه النبي ﷺ ببلوغ الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها وفيه: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»[٢].

---

(١) انظر: «الموافقات» (٤/ ٢٩٩) للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، و«الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» (٥٤) للإمام أبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، نشر جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م).

(٢) أبو داود (٢/ ٤٩٩)، كتاب الفتن ودلائلها، باب ذكر الفتن ودلائلها، وابن ماجه (٢/ ١٣٠٤)، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٥٢).

ومنها حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة»(١).

ومنها حديث عائشة ﵂: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، فقالت عائشة: يا رسول الله! إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف: ٩] أن ذلك تام قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فَتَوَفَّى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم»(٢).

فهذه الأحاديث الثلاثة صحيحة أسانيدها، صريحة متونها في أن الأوثان ستعبد في جزيرة العرب، وأن أقواماً من أمة محمد ﷺ سيلتحقون بالمشركين، ومن باب الإنصاف فإنه يفهم من حديث عائشة ﵂ أن ذلك كائن بعد أن يبعث الله الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، ومع تسليمنا بذلك إلا أننا نقول: إنه ليس في الحديث ما يمنع وقوع الشرك وعبادة الأوثان قبل ذلك الريح، وهذا ما سنثبته في المطلب الثاني إن شاء الله.

**المطلب الثاني: الرد على من زعم المنع من عودة الشرك إلى جزيرة العرب:**

إن الأحاديث التي أوردنا بعضها في المطلب الأول لَتَردُّ على مَنْ منع عودة الشرك في هذه الأمة، وذلك من ناحيتين:

**الناحية الأولى**: أن هذه الأحاديث دالة قطعاً على أن الحديث الذي يستدلون به «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب»(٣) ليس على عمومه بل هو مخصوص، ومعلوم عند أهل الأصول أن العام الذي قد دخل عليه التخصيص تضعف دلالته بذلك، ولا يكون كالسالم من ذلك الذي لم يتطرق إليه تخصيص، وعلى هذا فإننا نقول: إن كان النبي ﷺ ذكر يأس الشيطان مُقِراً له؛ فإن ذلك محمول على حال مخصوص وهو أن تجتمع الأمة على عبادة الأوثان أو نحو ذلك من المعاني والأحوال.

وإن كان مجرد إخبار عن حال الشيطان حين بُهِر بانتشار الإسلام، ودخول

(١) «البخاري مع الفتح» (١٣/ ٧٦)، كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، و«مسلم مع النووي» (١٨/ ٣٢)، كتاب الفتن.
(٢) «مسلم مع النووي» (١٨/ ٣٣)، كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٣) تقدم تخريجه ص(١٠٥).

الناس في دين الله أفواجاً فهذا ليس بدليل أصلاً؛ لأن يأس الشيطان ليس بحجة على أحد، وهو لا شك مخلوق كسائر الخلق معرض لسوء التقدير وخلف الظن، وطروء سائر ما يطرأ على المخلوقين من أمل وقنوط ويأس واستبشار، ولا يلزم أن يتحقق كل ما يطرأ عليه، وما يأسُه هنا إلا من هذا القبيل، أيسَ في ذلك الوقت الذي رأى فيه إقبال الخير واندحار الشر، ثم عاد إليه الأمل والرجاء منذ أن أوشك الرسول ﷺ على الرحيل، وتحقق له شيء مما أمَّلَهُ على يد مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وأتباعهما من المرتدين في نواحي الجزيرة العربية، وإن كان هذا الحال لم يدمْ طويلاً حيث قضى أبو بكر ومعه سائر الصحابة على تلك الردة، وأعادوا المرتدين إلى حظيرة الإسلام، إلا أن ما حصل كان دليلاً على أن يأس الشيطان لم يكن قاطعاً ولا ثابتاً، بل كان قابلاً للتحول إلى الأمل والرجاء.

**الناحية الثانية**: إن مما يدل على أن ذلك الحديث ليس دالاً على عدم وقوع الشرك في جزيرة العرب هو وقوعه بالفعل وإليك نماذج من ذلك الوقوع:

**النموذج الأول**: الردة الواقعة عند وفاة النبي ﷺ وهي معلومة لدى الجميع امتلأت بها كتب السير والتواريخ وكتب السنة والحديث[١]، ومجرد الردة يعتبر عبادةً للشيطان على أي صورة كانت، فمجرد الكفر بالله يعتبر عبادة للشيطان؛ لأنه استجابة وطاعة للشيطان وتلك هي العبادة بعينها.

ومع ذلك فقد صرح العلماء برجوع طوائف من العرب إلى عبادة الأوثان.

فقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض[٢] وغيره أنهم قالوا: (كان أهل الردة على ثلاثة أصناف: صنف عادوا إلى عبادة الأوثان، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي، وكان كل منهما ادّعى النبوة قبل موت النبي ﷺ، فصدق مسيلمة أهل اليمامة وجماعة غيرهم، وصدق الأسود أهل صنعاء وجماعة غيرهم ـ إلى أن قال ـ وصنف ثالث استمروا على الإسلام، ولكنهم جحدوا الزكاة وتأولوا بأنها خاصة بزمن النبي ﷺ، وهم الذين ناظر عمر أبا بكر في قتالهم كما وقع في حديث الباب، ثم نقل عن ابن حزم أن العرب انقسمت إلى أربعة أقسام... والثالثة أعلنت بالكفر والردة..)[٣].

---

(١) وقد أورد ابن كثير أخبار الردة وقتال المرتدين بإسهاب في «تاريخه» (٦/ ٣١١ ـ ٣٣٢).

(٢) هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي، توفي سنة (٥٤٤هـ). انظر ترجمته في: «السير» (٢٠/ ٢١٢)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٢٢٥).

(٣) «الفتح» (١٢/ ٢٧٦).

وقد أقر الحافظ هذه الأقوال، كما أقرها غيره من العلماء والمؤرخين، وممن نقل ذلك عن القاضي عياض ـ مقراً له ـ أحد مؤرخي حضرموت المعتمدين لدى القبوريين وهو صالح بن علي الحامد في كتابه «تاريخ حضرموت»(١)، فهذه الحادثة تنقض الاستدلال بحديث: «يأس الشيطان» وحديث: «ما الشرك أخشى عليكم» على استحالة عودة الشرك إلى جزيرة العرب نقضاً صريحاً.

**النموذج الثاني**: التصريح بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قبل عبد الله بن سبأ اليهودي وأتباعه أيام خلافته بالعراق.

روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن عكرمة رحمه الله قال: (أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولَقَتَلْتُهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من بدّل دينه فاقتلوه»)(٢).

قال الحافظ في شرحه لهذا الحديث: (وزعم أبو المظفر الإسفراييني في «الملل والنحل» أن الذين أحرقهم عليٌّ رضي الله عنه طائفة من الروافض ادعَوا فيه الألوهية وهم السبئية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً، ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما روينا في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي رضي الله عنه: إن هنا قوماً على باب المسجد يدّعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبَوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر! ائتني بفَعَلَةٍ(٣) معهم مَرورهم(٣)، فخُدَّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا فأبعِدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدَوا عليه، فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك

---

(١) «تاريخ حضرموت» ص(١٤٦) لصالح بن علي الحامد، طبع مكتب الإرشاد بجدة، بدون تاريخ.

(٢) «البخاري مع الفتح» (١٢/ ٢٦٧).

(٣) الفَعَلَة: جمعُ فاعلٍ: أي عامل. والمرور: جمعُ مَرٍّ وهو: المسحاة. «القاموس المحيط» ص(٦١٠).

لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا ـ إلا ذلك ـ أن يرجعوا فقذف بهم فيها حتى احترقوا، وقال:

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً

وهذا سند حسن)[١].

وقد اعترف الرافضة أنفسهم بهذه الحادثة، فقد أورد الدكتور عبد الرسول الغفار في كتابه «شبهة الغلو عند الشيعة» عدداً من الروايات عن أئمة الشيعة تؤيد ما ذكره الحافظ[٢].

وهذا شرك لا ريب فيه وعبادة للشيطان على جميع وجوه التفسير لذلك الحديث، فإن قال قائل: إن هذا ليس في جزيرة العرب، قلت: هل الشرك ممتنع في خصوص الجزيرة أم في عموم الأمة؟ الذي أعرفه من كلام القوم هو أن الشرك ممتنع في عموم الأمة، وعلى ذلك فهذه الحادثة ردٌّ صريح عليهم.

**النموذج الثالث**: القرامطة الذين أعلنوا عن كفرهم بأقوالهم وأفعالهم، وأجمع العلماء والمؤرخون على كفرهم وقد خرجوا في هذه الأمة وفي جزيرة العرب، وكان مقر ملكهم البحرين، ووصل من كفرهم أنهم أغاروا على مكة فقتلوا الحجيج، وانتهكوا حرمة البيت، واقتلعوا الحجر الأسود من موضعه واحتملوه معهم إلى مقر ملكهم، ومكث عندهم بضعاً وعشرين سنة ثم أعادوه، وعندما فعل قائدهم الخبيث فعلته رفع عقيرته متبجحاً بما فعل معلناً كفره وإلحاده قائلاً:

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصبَّ علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية مجللة لم تبقِ شرقاً ولا غربا[٣]

وهذا النموذج رد آخر صريح على من يزعم أن الشرك لن يعود إلى جزيرة العرب، إلا إن كان يفهم من الحديث أن عبادة الشيطان لا تكون إلا بعبادة الأصنام خاصة فإن صاحب هذا الفهم ربما سلم له ذلك، ولكن ما الدليل على تخصيص عبادة الشيطان بذلك دون سواه من أنواع الكفر والإلحاد؟.

---

(١) «الفتح» (١٢/ ٢٧٠).

(٢) انظر: «شبهة الغلو عند الشيعة» (٥٦ ـ ٦٠) للدكتور عبد الرسول، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان.

(٣) «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٢/ ٢٧٢) لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الواقع أنه لا دليل على ذلك، وأن جميع أنواع الكفر ـ من شرك وإلحاد وغيرها من أنواع الكفر ـ هي من عبادة الشيطان، بل جميع المعاصي من عبادة الشيطان.

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللهُ: («المسألة الرابعة» قوله: ﴿لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ معناه: لا تطيعوه، بدليل أن المنهي عنه ليس هو السجود له فحسب، بل الانقياد لأمره والطاعة له فالطاعة عبادة)[١]، وهذا يشمل جميع أنواع المعاصي.

وقد عدَّ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ الحكم بغير ما أنزل الله من عبادة الشيطان فقال: (واتباع الشرائع المخالفة لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] وقوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤])[٢].

**النموذج الرابع**: علي بن الفضل الجدني الذي ظهر في اليمن عام (٢٧٨هـ)، وقتل بعاصمة مملكته المذيخرة عام (٣٠٤هـ)، هذا الرجل أجمع ـ كذلك ـ على كفره وإلحاده العلماء والمؤرخون ونقلوا عنه الإلحاد الصريح والكفر البواح، فهل يقول القبوريون: إنه ليس بكافر؛ لأن جزيرة العرب لن يعود إليها الشرك إلى قيام الساعة، أم بماذا يجيبون عنه؟.

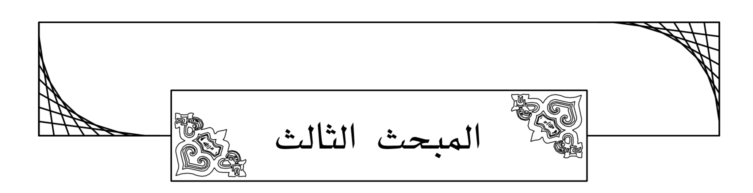
**النموذج الخامس**: رؤساء وقادة الحزب الاشتراكي اليمني الذين أعلنوا الإلحاد وحاربوا الله ورسوله والمؤمنين، وأحلوا المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة، واستهزؤوا بالله ورسوله، اتفقت كلمة العلماء المعتبرين ـ المعاصرين لهم ـ على كفرهم وإلحادهم في الجملة، وهو دليل قاطع على أن الشرك قابل أن يعود إلى جزيرة العرب وإلى سواها من بلاد العالم الإسلامي، ولا يمكن للقبوريين أن يردوا هذا الدليل بأي حجة مقنعة، فلم يبق بعد هذه النماذج شبهة للقبوريين إلا الهوى والإصرار عل التمسك بالقول وإن ظهر خطؤه.

ومما يدل على إمكان وقوع الشرك في هذه الأمة تواطؤ جميع المؤلفين في الفقه، وكذا كتب أحاديث الأحكام على تخصيص باب أو كتاب في كل مؤلفاتهم الشاملة باسم باب الردة، ولو كان الأمر مستحيلاً لما أضاعوا الجهد والوقت في الكلام على أمر مستحيل الوقوع، إنهم ما فعلوا ذلك إلا وهم يعلمون يقيناً أن ذلك ممكن، وأن ما يستدل به القبوريون لا يدل على شيء من ذلك.

---

(١) «تفسير الرازي» (٢٦/ ٩٦).

(٢) «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» (٤/ ٨٣)، محمد الأمين الشنقيطي، طبع عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.




# خلو الثلاثة القرون المفضلة من مظاهر القبورية وآثارها

**وفيه خمسة مطالب:**

## المطلب الأول: تصريح العلماء بخلوّ القرون المفضلة عن وجود المشاهد والمساجد على القبور:

سبق في الباب التمهيدي الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد والأمر بتسوية القبور، وعرفنا كيف طبّق الصحابة والتابعون تلك الأحاديث، وكيف فعلوا بقبر النبي ﷺ عند موته، ثم كيف فعلوا عندما اضطروا إلى إدخال موضع قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر، وكيف تصرف الصحابة إزاء قبر دانيال حين وجدوه أيام الفتوح، وعرفنا مما سبق حذرهم الشديد من ظهور تعظيم القبور وتقديسها خشية الافتتان بها، وعلى ذلك فلا غروَ أن يسير التابعون لهم بإحسان على طريقهم، وكذلك تابعوهم رضي الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة، وهذا ما صرح به العلماء رحمهم الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في «مجموع الفتاوى» وهو يتكلَّم عن مشهد رأس الحسين رضي الله عنه: (.. دَعْ خلافة بني العباس في أوائلها وفي حال استقامتها فإنهم حينئذٍ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذٍ في قوته وعنفوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام: لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب، ولم يكن قد أحْدِث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا من أهل البيت ولا صالح أصلاً، بل عامة هذه المشاهد محدثه بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة والملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت

القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر. وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قويَ بنو القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النجف، وإلّا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر علي هناك وإنما دفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة. وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشيد أنه جاء إلى بقعة هناك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا: إنه علي، وإنه اعتذر إليه مما فعل بولده، فقالوا: هذا قبر علي، وقد قال قوم: إنه قبر المغيرة بن شعبة والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع)[1].

ويؤيد ما قرره شيخ الإسلام ما قاله الإمامان الذهبي وابن كثير، يقول الذهبي في آخر ترجمة عضد الدولة البويهي الذي قال عنه قبل ذلك: (وكان شيعياً جلداً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتَم عاشوراء والاعتزال) ثم قال وبه ختم ترجمة عضد الدولة: (قلت: فنحمد الله على العافية فلقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق، وبالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى)[2].

وقال ابن كثير في حوادث سنة (٣٤٧هـ): (وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخراسان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، وكثر السب والتكفير منهم للصحابة)[3].

ويؤيده كذلك ما ذكره السمهودي رحمه الله في كتابه (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) وهو يتحدث عن قبر فاطمة رضي الله عنها قال: (وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضي الله عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجصيصها)[4].

ثم قال تحت عنوان: «بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة المشرفة»: (اعلم أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم ـ كما قال المطري ممن توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ـ مدفونون بالبقيع وكذلك سادات أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وسادات التابعين رضي الله عنهم.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٦٥ ـ ٤٦٧).
(٢) «السير» (١٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢).
(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٣٣).
(٤) «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» (٣/ ٩٠٦) لنور الدين محمد السمهودي، توفي (٩١١هـ).

وفي مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف، وباقيهم تفرقوا في البلدان.

وقال المجد: لا شك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور وتجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم؛ فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلّا أفراداً معدودة)[١].

ويؤيده أيضاً ما ذكره الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه الأم قال: (ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة)، قال الراوي عن طاووس: (إن رسول ﷺ نهى أن تبنى القبور أو تجصص ـ قال الشافعي ـ: (وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك)[٢].

وحتى قبورية اليمن يعترفون بذلك، فهذا الشلي[٣] يقول وهو يتحدث عن مقابر تريم: (إن كثيراً منهم لا يعرف عين قبره، بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنه المتأخرون)[٤].

## المطلب الثاني: ما يستدل به القبورية على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون:

القبورية فرقة مبتدعة كسائر الفرق المبتدعة الضالة، يجمعها جميعاً تتبع المتشابه من القول، والإعراض عن المحكم الصريح، فبرغم الأدلة القطعية على النهي عن البناء على القبور وتجصيصها واتخاذها مساجد والكتابة عليها وغير ذلك من الأدلة المحكمة، إلا أنهم تركوا ذلك كله واحتجوا بأمور لا يجوز الاحتجاج

(١) المصدر السابق (٣/ ٩١٦).

(٢) «الأم» (١١/ ٢٧٧) للإمام محمد بن إدريس الشافعي.

(٣) محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي، من كبار صوفية حضرموت، عاش بمكة، وله عدد من المؤلفات أشهرها: «المشرع الروي» يعد من أكثر كتب التراجم سخافة وخرافة، شحنه بما لا يقبله عقل ولا يقره نقل، ومع ذلك فهو عمدة من عمد تاريخ حضرموت، قال علوي بن طاهر الحداد في «جني الشماريخ» ص(٣١): (ولا يحتاج الآخذ من المشرع أن يتطلب حجة في كل شيء رآه فيه، فإن صاحب المشرع من العلم والاطلاع والاستقراء بالمحل العالي، وقد شهد له الحبيب الإمام القطب الحداد بالثقة والصدق كما جاء في مجموع كلامه، ولا يحضرني الآن نقله بالحرف وناهيك بذلك ناهيك)، توفي سنة (١٠٩٣هـ). انظر ترجمته في: «المشرع» وقد ترجم لنفسه (٢/ ١٧).

(٤) «المشرع» (١/ ١٤٧).

بها، إما لعدم ثبوتها أو لعدم دلالتها على المطلوب، وسأذكر هنا ما استدلوا به من وجود مبان على القبور في القرون المفضلة وهي:

١ ـ أن الصحابة رضي الله عنهم بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ فأقرهم على ذلك، ولم يأمرهم بهدمه.

٢ ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب خيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.

٣ ـ أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ضرب الفسطاط على قبر الحكم بن أبي العاص.

٤ ـ أن محمد بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبد الله بن العباس رضي الله عنه.

٥ ـ أن فاطمة بنت الحسين امرأة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ضربت على قبره القبة سنة ثم رُفعت.

٦ ـ أن عائشة رضي الله عنها أمرت بفسطاط فضرب على قبر أخيها عبد الرحمٰن حين مات بذي طوى.

٧ ـ أن خارجة بن زيد قال: (رأيتني ونحن شبان في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه وإن أشدَّنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه).

قلت: هذه سبعة آثار استدل بها القبوريون على وجود أصلٍ لما دَرَجوا عليه من البناء على القبور في عهد السلف الصالح رضي الله عنهم[(١)]، وسأرد ـ بحول الله ـ على ذلك مبيناً أنه لا أساس لما تمسكوا به إلا ما يفعله من قال الله فيهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

## المطلب الثالث: الرد على ما استدلوا به من الشبهات على وجود مبان على القبور في تلك القرون:

**الشبهة الأولى**: قولهم بأن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ فأقرهم على ذلك، وهم يريدون بذلك ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة

(١) تجد هذه الشبهات في رسالة «الجواب المشكور»، وهي عبارة عن فتوى أجاب فيها المفتي عن أسئلة تتعلق بالقبور والبناء عليها ووقع عليها عدد من علماء الهند وأرسلت إلى الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود فقام هو بإحالتها إلى دار الإفتاء التي أجابت عليها بكتاب «شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور». انظر: «مقدمة شفاء الصدور» ص(٥ ـ ٦)، وقد طبع في دار العاصمة بالرياض (١٤٠٩هـ)، تحقيق عبد السلام آل عبد الكريم، ورسالة «إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور» لأحمد عبد الله الصديق الغماري، الطبعة الثانية، نشر مكتبة القاهرة بمصر.

أبي بصير رضي الله عنه، حيث ذكر قصة مجيئه إلى النبي ﷺ بعد صلح الحديبية، وإرسال المشركين يطلبون إرجاعه إليهم وكيف سلَّمه إليهم، ثم قتل أبو بصير رضي الله عنه أحد الرسولين ثم خرج إلى سيف البحر ومكث هناك، ولحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو وجماعة من المسلمين، وأنهم شكَّلوا عصابة لقطع الطريق على المشركين والاستيلاء على قوافلهم، حتى أرسل المشركون للنبي ﷺ يرجونه قبولهم لديه فأرسل النبي ﷺ إليهم كتاباً بذلك، فجاء الكتاب وأبو بصير رضي الله عنه في حال الموت، فمات وكتاب رسول ﷺ على صدره فصلى عليه أبو جندل.

والقصة إلى هنا ـ في البخاري وغيره ـ مُسنَدة، غير أن فيما ساقه ابن عبد البر زيادة (وبنى على قبره مسجداً)[١]، وهذا موضع الشاهد الذي احتجَّ به القبوريون كما فعل الغماري في رسالته إحياء المقبور حيث قال: (الدليل الثامن: أن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ)[٢] ثم ساق القصة عن الاستيعاب وفيها تلك الزيادة.

قلت: نعم ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب؛ ولكنه ساق القصة من طريق عبد الرزاق عن معمر ـ قال الزهري في حديثه ـ: غير أن عبد الرزاق لم يذكر موضع الشاهد وإنما وقف عند قوله: (فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم، إلّا أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم)[٣]، وإلى هنا ساق القصة ابن عبد البر ثم قال: (وذكر موسى بن عقبة هذا الخبر في أبي بصير بأتم ألفاظٍ وأكمل سياقة)، ثم ذكر القصة وفيها موضع الشاهد: (فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ بيده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه وبنى على قبره مسجداً)[٤].

فأنت ترى أن ابن عبد البر فرَّق بين رواية عبد الرزاق الموصولة الصحيحة وبين هذه الرواية التي نقلها عن موسى بن عقبة، وقد دمجها الغماري تدليساً على القارئ ليتوهم أن القصة كلها بذلك الطريق الصحيح المسند، والواقع خلاف ذلك.

---

(١) «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» (٤/ ٢١ ـ ٢٣) للحافظ ابن عبد البر «بهامش الإصابة» لابن حجر، طبع دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
(٢) «إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور» ص(٣٨).
(٣) عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ٣٣٧ ـ ٣٤٢).
(٤) «الاستيعاب» (٤/ ٢٢ ـ ٢٣).

وبعد أن عرفنا أن قصة المسجد إنما هي من رواية موسى بن عقبة نعود لنقول: هناك اعتراض على الاستشهاد والاستدلال بالقصة من ناحيتين:

**الناحية الأولى**: من جهة السند: فموسى بن عقبة رواها عن الزهري مرسلة، وقد رواها من طريق موسى بن عقبة البيهقي في دلائل النبوة من طريقين عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب مرسلة[١]، كما رواها ابن عساكر في تاريخه، ذكره الشيخ الألباني وقال: (رواية موسى بن عقبة في تاريخ ابن عساكر (٨/ ٣٣٤/ ١) رواه بإسنادين عنه عن ابن شهاب مرسلاً أو معضلاً بلفظ: وجعل عند قبره مسجداً)[٢].

وبناء على ما تقدم فإن هذا المرسل لا يحتج به كما هو مقرر عند علماء الحديث، هذا لو كان سالماً من المعارضة، فكيف وهو مخالف لما في البخاري، حيث لم يذكر تلك الزيادة هو ولا أحد ممن خرَّج تلك القصة سوى موسى بن عقبة، ثم هو مخالف للأحاديث التي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي في المنع من بناء المساجد على القبور ولعنِ فاعلِ ذلك، مع تأخّر تلك الأحاديث أو بعضها عن هذه الحادثة؛ إذ كان لعن أولئك في مرض موت الرسول ﷺ.

**الناحية الثانية**: من جهة المتن: في اللفظ الذي ذكره ابن عبد البر (وبنى على قبره مسجداً)، هذا اللفظ قد خالفه ثلاثة من الحفاظ، روَوه بلفظ: (وجعل عند قبره مسجداً)، وهم: البيهقي في دلائل النبوة، وابن عساكر في تاريخه وتقدم العزْو إليهما، والثالث: الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال في شرح الحديث الذي ساقه البخاري في كتاب الشروط من صحيحه: (وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري: فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده، فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً)[٣].

وظاهر أن (عند قبره) يختلف قطعاً عن (على قبره)، فبناء المسجد على القبر هو الذي فيه النزاع، والذي قد وردت الأحاديث بتحريمه ولعن فاعله، وأما البناء عند القبر فيختلف باختلاف قصد الباني وليس فيه نهي لذاته فلو فرضنا أن هذا اللفظ صحيح فإنه لا دليل فيه على مطلوب القبورية.

**وهناك ناحية ثالثة**: وهي على افتراض أن السند صحيح، وأن اللفظ هو كما

---

(١) «دلائل النبوة» (٤/ ١٧٢ ـ ١٧٥) للإمام البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

(٢) «تحذير الساجد» ص(١١٨).

(٣) «فتح الباري» (٥/ ٣٥١).

أورده الغماري: (على قبره مسجداً)، فإن التعارض قائم لا شك ولا إمكان للجمع، والتاريخ معروف، فقصة أبي بصير قبل السنةِ الثامنة سنةِ الفتح، والأحاديث الناهية عن اتخاذ المساجد على القبور في آخر أيام النبي ﷺ، بعضها قبل موته ﷺ بخمسة أيام(١) وبعضها وهو محتضر(٢)؛ فهي ناسخة لتلك القصة وبهذا لا يبقى للقبورية أي استدلال بهذه القصة.

**الشبهة الثانية من شبهات القوم**: أن عمر بن الخطاب ضرب خيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.

قلت: قصة ضرب عمر رضي الله عنه الخيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها رواها ابن سعد من طريق محمد بن المنكدر، وعن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه، فلفظ محمد بن المنكدر عن عمر: (أنه مرَّ على حفارين يحفرون قبر زينب في يوم صائف فقال: (لو أني ضربت عليهم فسطاطاً، فكان أول فسطاط ضرب على قبر)، ولفظ موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه (أمر بفسطاط فضرب على قبرها لشدة الحر يومئذٍ فكان أول فسطاط ضرب على قبر بالبقيع)(٣)، وهناك لفظ ثالث عن عبد الله بن ربيعة قال: (رأيت عمر بن الخطاب صلى على قبر زينب بنت جحش سنة عشرين في يوم صائف، ورأيت ثوباً مد على قبرها وعمر جالس على شفير القبر).

وهذه الألفاظ جميعها مبينة أن الفسطاط الذي ضرب أو الثوب الذي مد كما في الرواية الثالثة إنما مُدَّ لإظلال الحفارين ووقايتهم من حر الشمس في ذلك اليوم الصائف، فأي دليل فيه على بناء المساجد والمشاهد على القبور؟!، هذا إن صح، ولم أكلِّف نفسي البحث في أسانيدها؛ لأنها حتى لو صحت لم تدل على قصد المستدل، وهذا واضح فبطل الاستدلال بهذه القصة.

**الشبهة الثالثة من شبهات القوم**: قصة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين ضرب الفسطاط على قبر الحكم بن أبي العاص، ولفظها عند ابن سعد من طريق الواقدي

---

(١) هو حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه تقدم تخريجه ص(٤٨).

(٢) هو حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وكلا الحديثين تقدم تخريجهما ص(٤٦).

(٣) والآثار الثلاثة رواها ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١١٢ ـ ١١٣)، طبع دار صادر، بيروت، وطريق موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث وهو التميمي، رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٢٤)، كتاب معرفة الصحابة، ذكر زينب بنت جحش.

بسنده إلى ثعلبة بن أبي مالك قال: (رأيت يوم مات الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان بن عفان ضرب على قبره فسطاطاً في يوم صائف، فتكلم الناس فأكثروا في الفسطاط فقال عثمان: ما أسرع الناس إلى الشر وأشبه بعضهم إلى بعض، أنشدكم الله من حضر نشدتي: هل علمتم عمر بن الخطاب ضرب على قبر زينب بنت جحش فسطاطاً؟ قالوا: نعم، قال: فهل سمعتم عائباً؟ قالوا: لا)[١]، قلت: الحديث في سنده الواقدي ومع ذلك فهو من حيث الدلالة كالذي قبله لا دليل فيه على ما يريدون.

**الشبهة الرابعة من شبهاتهم**: أن محمد بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قلت: الأثر رواه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن عمران بن أبي عطاء قال: (شهدت وفاة ابن عباس فوليه ابن الحنفية فبنى عليه بناءً ثلاثة أيام)[٢] وكذلك أخرجه الحاكم من طريق هشيم إلا أنه قال: (حدثنا أبو حمزة، ثنا عمران بن أبي عطاء، فجعلها اثنين أبا حمزة وعمران مع أن الصحيح أن أبا حمزة هو عمران نفسه، فلا أدري أهي غلطة مطبعية أم أنه وهم من الحاكم رحمه الله! ولم يعلق الذهبي على ذلك، ولا محقق الكتاب في طبعته الجديدة[٣]، وكذلك رواه الخطيب في: «مُوضِح أوهام الجمع والتفريق» من طريقين: أحدهما عن سفيان عن عمران بن أبي عطاء، وأخرى عن هشيم عن أبي حمزة الأسدي يريد بذلك إثبات أن عمران بن أبي عطاء هو أبو حمزة الأسدي)[٤]، وعمران الذي يدور عليه الأثر من رجال مسلم، وقال عنه الحافظ في التقريب: (صدوق له أوهام)[٥]، فالأثر ثابت رغم ذلك؛ لأنه يحكي مشاهدة ورؤية فلا يضر ما قيل عنه من أوهام، غير أن الأثر لا يفيد القوم شيئاً إذ إنه لا يخرج عما سبق من الآثار، إذ بقاء الفسطاط ـ الذي جاء مصرحاً به في رواية الجميع كان لمدة ثلاثة أيام فقط ـ دالّ أنه كان لغرض آخر غير ما تَرمِي إليه القبورية؛ فإما أن يكون بُنِي على الحفارين ثم ظلَّ كذلك، وهذا الأقرب

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١١٣) من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو متهم بالكذب.

(٢) ابن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب الجنائز: في الفسطاط يضرب على القبر (٣/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٣) الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٧٠٢)، كتاب معرفة الصحابة، ذكر وفاة عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٤) «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٣٣٢) للخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

(٥) «تقريب التهذيب» (٧٥١) للحافظ ابن حجر.

وإما لأمر آخر، ولكن أن يحتج به على بناء المشاهد والمساجد على القبور فهذا لا يقوله عاقل منصف.

**الشبهة الخامسة**: قصة فاطمة بنت الحسين وضربها القبة على قبر زوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

قلت: هذا الأثر قد علَّقه البخاري في صحيحه، في كتاب الجنائز، في باب «ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور» قال: (ولما مات الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رُفعت فسمعوا صائحاً يقول: (ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا)[1].

وهذا الأثر قد حمَلَ نقدَه وتفنيدَه معَه؛ لأمور:

**الأمر الأول**: إيراد البخاري له في هذا الباب دال على استنكاره له، قال الحافظ رحمه الله: (ومناسبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر وقد يكون في جهة القبلة فتزداد الكراهة)[2].

**الأمر الثاني**: ذكرُ الهاتف فإنه مُشْعِر بقبح ما صنعت تلك المرأة.

قال ابن المنير ـ كما نقل عنه الحافظ ـ: (إنما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميت بالقرب منه تعليلاً للنفس، وتخيلاً باستصحاب المألوف من الأنس ومكابرة للحس، كما يتعلل بالوقوف على الأطلال البالية ومخاطبة المنازل الخالية، فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا، وكأنهما من الملائكة أو من مؤمني الجن، وإنما ذكره البخاري لموافقته للأدلة الشرعية لا لأنه دليل برأسه)[3]، إذاً فعلى رأي ابن المنير إنما أورد البخاري ذلك للاستئناس به لما ذهب إليه من كراهة اتخاذ المساجد على القبور وليس لتأييد ذلك.

قال القسطلاني رحمه الله في شرحه على البخاري: (ومطابقة الحديث للترجمة من جهة أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة فيه فيستلزم اتخاذ المسجد عند القبر، وقد يكون القبر في جهة القبلة فتزداد الكراهية، وإذا أنكر الصائح بناءً زائلاً وهو الخيمة فالبناء الثابت أجدر، ولكن لا يُؤخَذ من كلام الصائح حكم؛ لأن

(١) «البخاري مع الفتح» (٣/ ٢٠٠).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٠٠).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٠٠).

مسالك الأحكام الكتاب والسنة والقياس والإجماع ولا وحي بعده عليه الصلاة والسلام، وإنما هذا وأمثاله تنبيه على انتزاع الأدلة من مواضعها واستنباطها من مظانها)[(١)] وبهذا يظهر أن الدليل هو لنا وليس للقبورية.

**الشبهة السادسة من شبهات القوم**: أن عائشة رضي الله عنها أدركت أخاها عبد الرحمٰن بعد موته ـ حين رفعوا أيديهم عن دفنه بذي طوى ـ فأمرت بفسطاط فضرب على قبره.

قلت: هذا الأثر علقه البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: (رأى ابن عمر رضي الله عنه فسطاطاً على قبر عبد الرحمٰن فقال: انزعه يا غلام! فإنما يظلّه عمله)[(٢)].

وقال الحافظ في شرحه: (وعبد الرحمٰن هو ابن أبي بكر الصديق، بَيَّنَه ابن سعد في روايته له موصولاً من طريق أيوب بن عبد الله بن يسار قال: (مرَّ عبد الله بن عمر على قبر عبد الرحمٰن بن أبي بكر أخي عائشة وعليه فسطاط مضروب فقال: يا غلام! انزعه فإنما يظله عمله، قال الغلام: تضربني مولاتي. قال: كلا، فنزعه)، ومن طريق ابن عون عن رجل قال: (قدمت عائشة ذا طوى حين رفعوا أيديهم عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر فأمرت بفسطاط فضرب على قبره، ووكلت به إنساناً وارتحلت، فقدم ابن عمر...) فذكر نحوه، وقد تقدَّم توجيه إدخال هذا الأثر في هذه الترجمة)، قلت: يعني ما ذكره في الأثر السابق أثر فاطمة بنت الحسين وهو أن البخاري قاس الفسطاط على المسجد في الكراهة.

وهذا الأثر كذلك يجب أن يستدل به على محاربة الصحابة لتلك المظاهر لا على إثباتها وتأصيلها، فعائشة رضي الله عنها نصبت تلك الخيمة ولم يتبين لنا ما هو السبب في ذلك، ولا لأي غرض كان نصبها، ثم ذهبت فلما جاء ابن عمر رضي الله عنه استنكر ذلك وعبّر عن استنكاره بالأمر بنزع ذلك الفسطاط، رغم إخبار الغلام له بأن من أمر به هو عائشة رضي الله عنها، ورغم ما يكنّه الصحابة جميعاً لعائشة رضي الله عنها من التقدير والاحترام، إلا أن ذلك لم يمنع ابن عمر من تغيير ما رأى أنها أخطأت فيه.

ولم يذكر بعد ذلك محدّث ولا مؤرخ أن عائشة اعترضت على ما فعله ابن عمر، وهذا دليل على أنها رجعت إلى ما رآه ابن عمر، خصوصاً وأن عائشة رضي الله عنها

---

(١) «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٢/ ٤٣٠) لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب الجنائز، باب الجريدة على القبر (٢/ ٤٥٧).

ليست ممن يسكت على ما يرى خلافه، ومن أجل ذلك كثرت استدراكاتها على الصحابة حتى جمعها الزركشي رحمه الله في كتاب مستقل سماه: «الإجابة لما استدركته عائشة رضي الله عنها على الصحابة»، ولم يذكر هو ولا غيره أن عائشة رضي الله عنها استدركت على ابن عمر ما فعل، فسقط هذا الدليل والحمد لله.

**الشبهة السابعة**: أثر خارجة بن زيد رحمه الله أحد الفقهاء السبعة أنه قال: (رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان رضي الله عنه وإن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه).

قلت: الأثر علقه البخاري[1] بنفس اللفظ، وقد تعرض له العلامة عبد الرحمٰن المعلمي اليماني[2] رحمه الله في كتاب البناء على القبور وردّه من أحد عشر وجهاً، وأكتفي بوجهين اثنين فقط أراهما مزيلين للإشكال، قال رحمه الله: (ثانياً: في تهذيب التهذيب في ترجمة خارجة: (قال ابن نمير وعمرو بن علي: مات سنة (٩٩هـ) وقال ابن المديني وغير واحد: مات سنة مائة)، فظاهر هذا أن الأكثر على أن موته كان سنة مائة، والجمع أولى بأنه مات أواخر سنة (٩٩هـ)، وفي تاريخ ابن عساكر أنه توفي وعمره سبعون سنة، وذكر لذلك قصة أن خارجة قال: (رأيت أني بنيت سبعين درجة، فلما فرغت منها هويت، وهذه السنة لي سبعون سنة وقد أكملتها، قال: فمات فيها).

ونقل مثله ابن خلكان عن طبقات ابن سعد، فإذا أنقصنا سني عمره من سني الهجرة لموته بقي تسع وعشرون، فيكون مولده آخر سنة تسع وعشرين، وعثمان قتل

(١) «في الصحيح»، كتاب الجنائز، باب الجريدة على القبر (٢/ ٤٦٥).

(٢) هو العلامة المحدث المحقق عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني، رحل في طلب العلم والمعاش، فمكث مدة في الهند ثم استقر في مكة المكرمة أميناً لمكتبة الحرم المكي، حقق عدداً كثيراً من كتب الحديث والرجال، وألف في الرد على أهل البدع والباطل، من أشهر كتبه: «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» وله كتاب بعنوان «البناء على القبور» لم يكمله، وفي الموجود منه ما يدل على تحقيق بالغ وعلم غزير، كما أن له كتاباً بعنوان «القائد إلى تصحيح العقائد»، توفي رحمه الله بمكة سنة (١٣٨٦هـ). انظر ترجمته: بقلم عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المعلمي في مقدمة «التنكيل» ص(٩)، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، و«هجر العلم» (٣/ ١٢٦٦)، طبع دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، سورية، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

سابع ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فيكون سن خارجة يوم قتل عثمان ست سنين تقريباً، فكيف يكون شاباً في زمن عثمان؟.

وقد راجعت طبقات ابن سعد، «طبع أورُبَّا» فظهر أنه روى هذه القصة عن الواقدي) ـ قلت: والمعلمي رَحِمَهُ اللهُ يشير بذلك إلى ضعف القصة حيث ظهر تناقضها ـ ثم قال: (ثالثاً: إذا سلم إسناده ولم نعتبر هذه علة قادحة فيه، فإنه ينبغي الجمع بأن يتأول الأثر بأن قوله: (شبّان) مجاز، أراد أننا غلمان أقوياء أصحاء كأننا شبان، ويؤيد هذا كلمة (غلمان) الثابتة في التاريخ وإن حذفت في التعليق، ويؤيده أيضاً أنه لو كانوا أبناء تسع سنين ونحوها لما ذهبوا يتواثبون على قبر رجل من أفاضل السابقين، ولا سيما وبجواره قبر ابن رسول الله ﷺ، وهذا ممنوع في الشرع اتفاقاً؛ لأن من روي عنه إباحة الجلوس على القبر لا يبيح التوثب عليه. وقوله: (إن أشدنا وثبة. . . إلخ). يدل أن أكثرهم يقصر فيقع على القبر والذي يجاوزه يقع على القبور المجاورة، وأبناء الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يبلغون التمييز إلّا وهم عارفون آداب الدين ملتزمون لها مثل خارجة بن زيد، وعلى هذا فلا دلالة في الأثر؛ لأن الغلام الذي عمرهُ ست سنين ـ وإن كان قوياً ـ يشق عليه أن يثب أكثر من ذراعين ونصف على وجه الأرض وهذا هو عرض القبر عادة تقريباً.

ويشبه أن يكون قبر عثمان بن مظعون أعرض قليلاً من القبور المعتادة، ويكون خارجة أراد بذلك القول: الإخبار عن عرض القبر ليخبرهم أن السنة توسعة القبر)[1].

وبهذا تنقطع حجة القبوريين في جميع ما استدلوا به من وجود مظاهر القبورية في عهد السلف الصالح، وسأثبت ـ إن شاء الله ـ إضافة لما سبق خلاف ذلك: وهو إنكار السلف لكل ما هو من هذا القبيل والتنصيص على منع إقامة الفساطيط وما هو أعلى منها في المطلب الرابع.

### المطلب الرابع: التصريح بتسوية الصحابة لما ارتفع من القبور وإزالة ما استجد في المقابر من فساطيط ونحوها:

تقدم في الباب التمهيدي في الأسلوب السابع: أمر النبي ﷺ بتسوية القبور المشرفة، وذلك عن فضالة بن عبيد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكذلك تطبيقهما

---

(١) «البناء على القبور» ص(٣٣ ـ ٣٤) للعلامة عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي، تحقيق حاكم بن عبيسان المطيري، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار أطلس، الرياض، وقد رد في هذا الكتاب وبأسلوب قوي وحجج رصينة ساطعة شبهة اتخاذ المسجد على أصحاب الكهف فليرجع إليها من أراد معرفة الحقيقة.

لذلك، فأمر فضالة بتسوية قبر[١] صاحبهم الذي مات برودس، كما بعث علي رضي الله عنه أبا الهياج الأسدي لذلك الغرض[٢]، وكذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يأمر بتسوية القبور بما في ذلك قبر ابنته أم عمرو بنت عثمان[٣]، ومن ذلك تعامل أبي موسى وأصحابه مع قبر دانيال وقد مرّ[٤]، وأما قضية الفساطيط فقد مرَّ معنا قصة عائشة في وضع فسطاط على قبر أخيها عبد الرحمٰن وكيف أزاله ابن عمر ولم تعترض على ذلك[٥]، وكذلك ما فعلته فاطمة بنت الحسين وما نبه به على خطئها من الهاتفين، وكيف أدخل البخاري ذلك في باب كراهية اتخاذ المساجد على القبور[٦].

وقد أوصى بعض الصحابة والتابعين بالمنع من إقامة الفسطاط على قبورهم أو رفعها، فأوصى أبو هريرة رضي الله عنه: (ألا يضربوا على قبره فسطاطاً)[٧]، وأوصى بمثل ذلك أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[٨]، وكذلك أوصى بمثل ذلك سعيد بن المسيب[٩]، وقال محمد بن كعب القرظي: (هذه الفساطيط التي على القبور محدثة)[١٠]، وقال عمر بن شرحبيل: (لا ترفعوا جدثي[١١] فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك)[١٢].

---

(١) انظر: ص(٥٣).
(٢) انظر: ص(٥٣).
(٣) الباب التمهيدي ص(٥٣).
(٤) انظر: ص(٦٨).
(٥) انظر: ص(١٢١).
(٦) انظر: ص(١٢٠).
(٧) رواه عبد الرزاق (٣/٤١٨)، كتاب الجنائز، باب لا يتبع بالجمرة، وابن أبي شيبة في كتاب الجنائز: في الفسطاط يضرب على القبر (٢/٣٣٥)، وزاد الشيخ الألباني رحمه الله عزوه إلى الربعي في وصايا العلماء (٢/١٤١)، وابن سعد (٤/٣٣٨) قال: وإسناده صحيح. «تحذير الساجد» ص(١٤٣).
(٨) ابن أبي شيبة في نفس الباب السابق (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦)، وعمر بن شبَّة في «أخبار المدينة» الطبعة التي علّق عليها الشيخ عبد الله الدويش ص(٩٦ ـ ٩٧) دار العليان، بريدة، الطبعة الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م)، وعزاه الشيخ الألباني إلى ابن عساكر (٧/٩٦) وقال: إسناده ضعيف، لكن له طرق أخرى عند ابن عساكر فهو بها صحيح. انظر: «تحذير الساجد» ص(١٤٣)، وقال الشيخ الدويش معلقاً على سند ابن شبَّة: رجاله رجال الصحيح إلا عبد الرحمٰن بن الرجال، قال في «التقريب»: صدوق ربما أخطأ. قلت: ومن كان هذا حاله فحديثه حسن عند ابن حجر رحمه الله.
(٩) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ١٤٢).
(١٠) ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/٣٣٦)، قال الشيخ الألباني في «تحذير الساجد» ص(١٤٣): ورجاله ثقات غير ثعلبة وهو ابن الفرات، قال أبو حاتم وأبو زرعة: لا أعرفه، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥)، طبع دار الفكر، طبعة مصورة من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد، الهند، سنة (١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م).
(١١) الجدث: القبر. انظر: «القاموس المحيط» ص(٢١٣).
(١٢) رواه ابن سعد (٦/١٠٨)، وصحح إسناده الشيخ الألباني في «تحذير الساجد» ص(١٣٤).

فهذه الآثار كافية لإثبات منهج الصحابة والتابعين في وضع القبور وتسويتها والمنع من عمل أي شيء يؤدي إلى تعظيمها والغلو في أصحابها.

**المطلب الخامس: محاولات الشيعة المبكرة لإنشاء المشاهد وتصدي الخلفاء لذلك:**

لقد نشأت الشيعة ـ يوم نشأت ـ غالية في حبها غالية في بغضها، وكانت الرافضة من أكثر فرق الشيعة غلواً، ولا عجب فإن مُنْشِئها ومؤسسها الأول كان يهودياً غالياً، يحمل أسوأ ما عند اليهود من عقائد، وينطوي على أبشع ما لديهم من حقد على الإسلام والمسلمين، ذلك هو أحد أهم رؤوس أهل الرفض عبد الله بن سبأ اليهودي(١)، فلا غرابة أن تحمل تلك الفرقة بذور القبورية والوثنية في طياتها منذ نشأتها الأولى، ففي الوقت الذي كانت الأمة ـ كل الأمة ـ تحارب القبورية وتطمس آثارها، كان هؤلاء الغلاة يحاولون إنشاء المشاهد والقباب على قبر الحسين رضي الله عنه في كربلاء، ولكن يقظة الخلفاء والأمراء وما يجري في عروق الأمة من مقاومة لتلك القبورية كان يقف حائلاً قوياً وسداً منيعاً دون تمكين الرافضة من تلك الغاية.

وبنظرة عابرة إلى تاريخ كربلاء يتبين ذلك، فقد زعم مؤرخو الرافضة أن أول بناء أقيم على قبر الحسين رضي الله عنه كان بعد دفنه مباشرة(٢)، ولم أرَ في تواريخ أهل

---

(١) هو عبد الله بن سبأ الهمداني وقيل: الحميري، اليماني النسب والدار، اليهودي الديانة، أسلم زمن عثمان وهاجر إلى الحجاز ثم إلى الشام ومصر، وهناك تحرك في تحريض الثوار على عثمان رضي الله عنه حتى قتلوه، ثم عاد فاندس في أصحاب علي رضي الله عنه وغرس فيهم العقيدة الضالة؛ عقيدة ألوهية علي رضي الله عنه، فما كان من علي رضي الله عنه إلا أن زجرهم عن ذلك فلما لم ينزجروا أحرقهم بالنار، وهل أُحرق معهم؟ ربما الأصح أنه هرب ولم يحرق، ثم كوَّن فرقة هي من أخبث فرق الشيعة وتسمى السبئية، أخرجها جمهور السنّة والشيعة من فرق المسلمين، وقد أثبت وجود هذه الشخصية الخبيثة مؤرخو السنّة والشيعة على السواء، غير أن بعض المعاصرين من آيات الشيعة وجد أن ترقيع ذلك الثوب المهلهل لا يجدي، فقرر عدم وجود شخص اسمه عبد الله بن سبأ، واتهم سيف بن عمر الضبي الإخباري المشهور باختراع هذه الشخصية، غير أن باحثي أهل السنّة فندوا تلك الدعوى، ورد على ذلك المؤلف الشيعي عدد من باحثي أهل السنّة في مواضع مختلفة ومناسبات مختلفة، وأجمَعُ ذلك ـ حسب علمي ـ هي رسالة الشيخ سليمان بن حمد العودة التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض عام (١٤٠٢هـ) بعنوان «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»، ونشرتها دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، فليرجِع إليها من أراد الوقوف على حقيقة هذا الرجل.

(٢) «تاريخ كربلاء حائر الحسين رضي الله عنه» للدكتور عبد الجواد الكليدار، طبع مدبولي الصغير بالقاهرة، بدون تاريخ، ص(١٥١).

السنة ما يؤيد ذلك، وقد اختلفوا فيمن أقام تلك المباني فقيل: بنو أسد الذين تولَّوا دفنه، وقيل: المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكلا الاحتمالين لم يقيموا عليه دليلاً معتبراً، وعندي أنه إن كان ذلك ثابتاً فالمختار أحرى به؛ لأنه كان شيعياً متعصباً نذر نفسه للقضاء على قتلة الحسين مع ما عنده من انحرافات وكذب على الله؛ حتى زعم أنه يُوحى إليه[(١)].

ولكن كيف تم له ذلك؟ وإن تم فكيف يُقرّ ويُترك في ظل دولة ابن الزبير ثم في ظل دولة بني أمية؟، وهم كما يقول مؤرخ كربلاء: (أقاموا المخافر والمسالح[(٢)] المدججة بالعتاد والسلاح والرجال على أطراف كربلاء لمطاردة الزوار ومعاقبتهم بأقسى العقوبات من القتل والصلب والتمثيل بهم)[(٣)].

إن أولئك الزوار المزعومين ـ الذين وضعت دولة بني أمية العتاد والسلاح والرجال لمنعهم من الزيارة ـ إنما كانوا يزورون ذلك المكان المقدس المعلّم بالبناء المزعوم، فكيف يُعقل أن يترك البناء طيلة تلك الفترة دون أن يتعرضوا له، مع وجود ما قيل من المنع من الزيارة والمعاقبة لمن ظُفر به من الزوار.

وقد زعم مؤرخ كربلاء أن أول من تعرَّض لهدم ما على القبر من بناء هو أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين، ولم يرجع ذلك إلى مصدر معتمد، وإنما عزاه

---

(١) هو كذاب ثقيف، المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أظهر التشيع أيام معاوية فنفي إلى الطائف، فلما قام عبد الله بن الزبير وفد إليه فأرسله إلى العراق، وهناك اتصل بالشيعة وزيّن لهم أمر إمامة محمد بن الحنفية بدون أمره، وأظهر المخاريق وزعم أن جبريل يأتيه بالوحي، وتتبع قتلة الحسين ثم قامت الحرب بينه وبين مصعب بن الزبير أمير العراق من قبل أخيه عبد الله، وبعد جولات هزمه مصعب وقتله وقتل جمعاً من أصحابه، وفيه تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها للحجاج: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في ثقيف كذاباً ومبيراً» أما الكذاب فرأينا ـ تعني المختار ـ وأما المبير فما أخالك إلا إياه. رواه مسلم.
وفيه يقول سراقة البارقي:
كفرت بوحيكم وجعلت نذراً ... عليَّ جهادكم حتى الممات
أُرِي عينيَّ ما لم تَرَياه ... كلانا عالم بالترهات
ترجمه الذهبي في «السير» (٣/٥٣٨) وما بعدها، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/٢٨٩) وما بعدها.

(٢) المخافر: جمع مخفر وهو مكان الخفارة والحراسة، والمسالح: جمع مسلحة وهم القوم ذوو السلاح. «القاموس» ص(٢٨٧)، و«المعجم الوسيط» (١/٢٤٦).

(٣) «تاريخ كربلاء» ص(١٨٣ ـ ١٨٤).

إلى منظومة بعنوان «مجالي اللطف» للشيخ محمد السماوي[١].

**قلت**: إن صح هذا فإنه قد يكون هناك مبانٍ يسيرة بُنيتْ خلسة في حال غفلة من الرقباء، فلما عرف بها المنصور بادر إلى هدمها..

ثم زعم مؤرخ كربلاء أنه في عهد هارون الرشيد وفي آخر أيامه بالذات: (هدَم الحائر وكَرَبَ موضع[٢] القبر المطهر وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده ليمحو بعد ذلك كل أثر له)[٣]، وهذا إن صح فهو شبيه بما فعله أبو جعفر المنصور، وقد أورد بعد ذلك قصة توحي بأنه كان للحائر نظام معين، وله خدم وسدنة موظفون للقيام بواجب الخدمة، وأوقاف؛ هي تلك الأموال التي أجرتها أم موسى؛ وهي أم المهدي ابنة يزيد بن منصور، وقد عزى تلك القصة إلى الطبري في تاريخه في حوادث عام (١٩٣هـ)[٤].

وعلى كل حال فاحتمال أن يكون الشيعة ـ في الفترة ما بين عصر المنصور والرشيد ـ قد تمكنوا من عمل شيء ما من البدع وأحدثوا شيئاً ما من المعالم على قبر الحسين غير بعيد، ولكن حينما فطن لها الرشيد فعل ما يجب عليه من إزالة لما أوجب الشرع إزالته، وأما كون القبر قد صار له نظام معين وإدارة وسدنة... إلخ فهذه مزاعم لا دليل عليها، ولا تتماشى مع واقع ذلك العصر.

ثم ذكر أن القبر وما عليه من بناء وما حوله من دور قد هدمت في أيام الخليفة المتوكل أربع مرات خلال خمس عشرة سنة، وأطال في ذلك جداً، وكانت مراجعه في ذلك في الغالب كتب الشيعة وبعض كتب مؤرخي أهل السنة، والذي يظهر أن بناءً بشكل ما قد أقيم على القبر، وذلك بعد عهد الرشيد وفي أيام الخلفاء الذين تبنوا مذهب الشيعة وهم المأمون والمعتصم والواثق، إما برضى منهم أو بانصرافهم عن مراقبة تلك البقعة وما يدور فيها، لعدم الحساسية التي كانت لدى أسلافهم من ذلك؛ فتمكن المتربصون من الرافضة مما يريدون، حتى إذا كانت خلافة المتوكل ورجع عن التشيع والاعتزال وأحاط به أهل السنة قام بما يجب عليه من طمس تلك المعالم المخالفة للشرع تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ الذي رواه عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) المصدر السابق ص(١٨٤).
(٢) الحائر: موضع قبر الحسين رضي الله عنه، وكرَبَه: أثاره للزرع. انظر: «القاموس» ص(١٦٦).
(٣) المصدر السابق ص(١٨٦).
(٤) المصدر السابق ص(١٨٦).

هذا الذي يمكن أن يكون قد حصل، وأما ما كثَّر به الدكتور عبد الجواد الكلام وسوَّد به الصفحات فهو مما لا تطمئن إليه النفس، إذ يبعد أن يحصل ذلك أربع مرات في خلال خمس عشرة سنة مع إصرار المتوكل على منع أي إحداث في ذلك الموضع، وقد ذكر بعد ذلك أن المنتصر بن المتوكل كان قد أعاد البناء على قبر الحسين ووضع عليه ميلاً عالياً يرشد الناس إليه، واعتمد في ذلك على مراجع شيعية فقط.

غير أن مؤرخي السنة قد ذكروا ميل المنتصر إلى آل أبي طالب ومحبته لهم وإرجاع بعض ما كان لهم من الأوقاف وغيرها[١]، ومن هنا فلا يستبعد أن يجيبهم إلى شيء من ذلك، غير أن كل ما يمكن أن يقال أنه فعله، إنما هو وضع علامة على قبر الحسين رضي الله عنه فقط، ليعرف موضع القبر، والشيعة عندما يستميتون في إثبات ذلك إنما يريدون الاستدلال على عراقة ما هم عليه من القبورية المعاصرة، وأن جذورها ممتدة إلى القرون المفضلة.

وبهذا تعرف أن القرون الثلاثة المفضلة مضت وليس هناك قبور معظمة، ولا مشاهد أو قباب ولا غيرها من مظاهر القبورية، ولا شيء من طقوس ومراسيم العبادات القبورية، وما حاول فعله الرافضة من ذلك فقد جُوبِهَ بردع قوي من خلفاء المسلمين وأمرائهم.

ولا يقدح فيما قرره العلماء من خلو القرون المفضلة من مظاهر القبورية؛ وجود بعض قبور للخلفاء قد أبرزت وبنيَ عليها، إذ إن ذلك لم يدخل فيما قصدوه بالنفي، حيث إن الكلام هو في مشاهد من يعتقد فيهم الصلاح ويُقْصدون للتبرك، وذلك غير موجود في قبور الأمراء والسلاطين، على أن هذه القبور التي بُني عليها إنما كانت في القرن الثالث بعد الجولة التي ظهر فيها الرفض والتجهم أيام المأمون والمعتصم والواثق، وقد نص المؤرخون على أن أول خليفة أبرز قبره هو الخليفة محمد المنتصر بن المتوكل العباسي المتوفى سنة (٢٤٨هـ) بطلب من أمّه الرومية الأصل[٢].

---

(١) «تاريخ الخلفاء» ص(٣٥٦) لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة، مصر، الطبعة الأولى (١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م).

(٢) ذكر ذلك الطبري في حوادث سنة (٢٤٨هـ)، وعنه ابن كثير في «البداية والنهاية» نفس السنة (١٠/ ٣٥٤) ونص كلام ابن كثير في ترجمة المنتصر بن المتوكل: (وهو أول خليفة من بني=

ثم بنيت عليه قبّة عرفت فيما بعد باسم القبّة الصليبية، ودفن مع المنتصر فيها الخليفتان: المعتز (٢٥٥هـ)، والمهتدي (٢٥٦هـ)، وقد قرر المستشرق (هرستفيلد) أنها أول قبّة في الإسلام. وأقره على ذلك عدد من المؤرخين المعاصرين[1]، وهذا تأكيد ثان على ما سبق تقريره من أن القرون المفضلة مرّت وليس فيها مشاهد ولا قباب على قبور الأئمة والأولياء ومن يُرى فيهم الصلاح.



= العباس أبرز قبره بإشارة من أمّه حبشية الرومية)، قلت: اسمها حبشية وأصلها رومية فهي نصرانية قبورية.

(١) «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/ ٤٦) للدكتورة سعادة ماهر محمد، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مصر، بدون تاريخ، و«موسوعة العتبات المقدسة» (١٢/ ٢٢٩) لجعفر الخليلي، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، و«معالم الحضارة العربية الإسلامية» ص(٣٤) للدكتور قصي الحسين، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، و«العمارة الإسلامية» ص(٤٣) للدكتور كامل حيدر، دار الفكر اللبناني، بيروت.

# الفصل الثالث

## نشأة القبورية في الأمة المحمدية والتعريف بأهم الفرق القبورية

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** الشيعة رائدة القبورية في الأمة المحمدية.

**المبحث الثاني:** الصوفية ربيبة الشيعة وناشرة القبورية في الأمة المحمدية.

**المبحث الثالث:** مساهمة السلاطين في نشر القبورية في الأمة المحمدية.



## المدخل

عرفنا في الفصل الثاني كيف طهَّر رسول الله ﷺ جزيرة العرب من الوثنية، وكيف طهَّر أصحابه البلاد التي وصلوا إليها فاتحين، وكيف خلت القرون المفضلة من مظاهر وآثار القبورية.

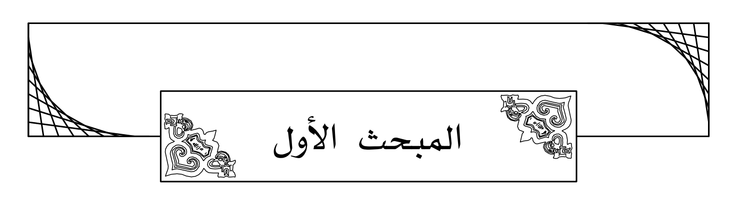
فكيف إذن نشأت القبورية في هذه الأمة؟ ومَن هو الذي عمل على إنشائها ونشرها في الأمة؟ وما هي بواعث ذلك؟.

هذا ما سنعرفه في هذا الفصل؛ وذلك بمعرفة أهم الطوائف القبورية التي سعت إلى نشر قبوريتها في الأمة، ومعرفة دوافعها إلى ذلك.

بعد أن عرفنا من تعريف القبورية أن أهم ميزة يتميز بها القبورية هي: الغلو في أهل القبور، وتقديس تلك القبور والاعتقاد في أصحابها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، وإقامة الشعائر والطقوس عندها؛ مما جعل كثيراً من العلماء يشبِّه أفعال القبورية عند ضرائح أوليائهم وأئمتهم بما كان يفعله المشركون عند أصنامهم، فمن المهم أن نعلم أن أشد فرق الأمة تقديساً للأموات وقبورهم هم الشيعة والصوفية، فهم أول من أقام المشاهد على القبور، ووضع الأحاديث في فضائلها وفضائل زيارتها، وسنَّ الأعمال والطقوس عندها، وقد دفع دجاجلةُ التصوّف والتشيّع الحكَّامَ إلى القيام ببناء تلك المشاهد والإنفاق عليها؛ بما زيَّنوا لهم من ذلك؛ وما أوهموهم به من الأجر والثواب إضافة إلى ما لدى الحكام أنفسهم من رغبة في ذلك لتعظيم أنفسهم وذويهم، وما يطمعون فيه من كسب سياسي من وراء إقامة تلك المشاهد والقيام عليها.

فصارت هذه الطوائف الثلاث (الشيعة ـ الصوفية ـ الحكَّام) أبرز الطوائف التي أنشأت ونشرت القبورية في هذه الأمة، وهذا ما سنبينه في هذا الفصل إن شاء الله.






# الشيعة ودورهم في نشر القبورية في الأمة

**وفيه أربعة مطالب:**

**المطلب الأول: التعريف:**

## أ ـ في اللغة:

الشيعة في اللغة: الأنصار والأتباع، قال الفيروزآبادي: (وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره والفرقة على حِدَةٍ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصاً)[1].

قلت: وفي قوله: (وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته) قصور بيّن؛ لأن جميع المؤمنين السالمين من النصب يتولَّون علياً وأهل بيته، ولعل المسوِّغ لهذا القصور أن هذا التعريف جاء عرضاً غير مقصود.

## ب ـ في الاصطلاح:

لقد عُرِّفت الشيعة بتعريفات كثيرة، سواء من علماء الشيعة أنفسهم أو من علماء السنة، وتفاوتت تلك التعريفات دقةً وتعميماً، ولعل من أدق تلك التعريفات وأكثرها تحديداً تعريف الشهرستاني حيث قال: (هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

---

(١) «القاموس المحيط» ص(٩٤٩).

يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولِّي والتبرِّي قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التُّقْيَة، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك)[1].

تعريف شامل لفرق الشيعة المختلفة خصوصاً الفرق الثلاث الأساسية: الإمامية، والإسماعيلية، والزيدية، وهذه الفرق هي التي سوف يدور الحديث عنها هنا في الغالب.

**المطلب الثاني: النشأة:**

لم يكن هناك خلاف بين أصحاب رسول الله ﷺ في حياته يستدعي أن يكون لكل واحد منهم شيعة وأنصار يؤيدونه على خصومه حتى مات ﷺ.

وبعد وفاته ﷺ تطلّع بعض الصحابة إلى الإمارة تطلعاً مؤقّتاً؛ حمل عليه مفاجأة الموقف وخلوّ هذا المنصب العظيم بموته ﷺ[2]، ثم حسم الأمر في سقيفة بني ساعدة وزال كل أثر لذلك التطلع[3]، وعادت الألفة والمحبة، واجتمعت الكلمة

---

(١) «الملل والنحل» للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (١/ ١٠٦)، تحقيق أبي عبد الله السعيد المندوه، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

(٢) كما روى ذلك البخاري رحمه الله (٨/ ١٤٢) مع «الفتح» في كتاب المناقب، باب مرض النبي ﷺ ووفاته من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن العباس رضي الله عنه أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله: فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال علي: (إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ). ففي هذا الحديث يظهر شيء من التطلع من قبل آل رسول الله ﷺ للإمارة، غير أنهم كما يظهر من السياق مستعدون للتسليم لمن يجعلها له رسول الله ﷺ بدليل قول العباس: (وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا).

(٣) في سقيفة بني ساعدة ظهر تطلع بعض الأنصار للإمارة حتى قالوا للمهاجرين: منا أمير ومنكم أمير، ولكن بعد مجيء أبي بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم وخطبة أبي بكر فيهم زال ما في نفوسهم وبايعوا أبا بكر رضي الله عنه البيعة الأولى (الخاصة)، ولم يكن علي رضي الله عنه حاضراً، ثم في اليوم الثاني اجتمعوا في المسجد، وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطبة شرح فيها ما دار في سقيفة بني ساعدة، وأشاد بفضائل أبي بكر واعتذر عما فرط منه عند وفاة النبي ﷺ، ثم طلب من أبي بكر أن يصعد المنبر وأن يتلقى البيعة، ففعل وبايع الناس ولما نظروا في وجوه الناس افتقدوا علياً والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فدُعِيا وعوتبا فأظهرا أن سبب تأخرهما هو عدم =

وأخلص كل الصحابة بدون استثناء لمن نصبوه بكامل حريتهم واختيارهم، واجتمعت الكلمة عليه، ولم يعد في نفس أيٍّ منهم أيُّ تطلع إلى ذلك المنصب، وكان من أشدهم ولاءً وإخلاصاً وصدقاً آل رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم عليّ رضي الله عنه والعباس رضي الله عنه ومن وراءهم من أهل البيت، وذلك هو اللائق بمقامهم الطاهر البريء من النفاق والمخادعة.

ثم شعر أبو بكر بدنوّ الأجل فعهد إلى عمر رضي الله عنه، واستتبَّ الأمر على ذلك كما استتب لأبي بكر، ولم يظهر من علي رضي الله عنه أي شيء يدل على سخطه وتبرّمه من ذلك، وحينما طُعِنَ عمر رضي الله عنه وشعر بقرب الانتقال إلى الدار الآخرة عهد بالخلافة إلى الستة النفر كما هو معلوم، ومنهم علي رضي الله عنه والتزم عليٌ بنتيجة الشورى وسلّم لمن وقع عليه الاختيار وهو عثمان رضي الله عنه، وحينما صدر عن عثمان رضي الله عنه بعض التصرفات التي نقمها عليه البعض لم يخضْ علي رضي الله عنه في شيء من ذلك، بل حرص على استتباب الأمر ودفع الفتنة، بل إنه حينما وصل الأمر إلى أشدّه، واستطاع البغاة ورؤوس الفتنة بقيادة وتحريض عبد الله بن سبأ اليهودي[(١)] عندما استطاعوا الوصول إلى المدينة وحصر عثمان في منزله، بادر علي رضي الله عنه بالدفاع عنه وأرسل ابنيه الحسن والحسين للدفاع عنه حتى النهاية[(٢)]، ولم يكن راضياً بأي حال من الأحوال عن

---

= إشراكهما في الشورى التي جرت بالأمس، وأنهما لا يعترضان على تولية أبي بكر، وذكرا من فضائله وخصائصه شيئاً ثم بايعاه. انظر: «أخبار السقيفة والبيعة في البداية والنهاية» (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٥٠)، و«عصر الخلافة الراشدة» للدكتور أكرم ضياء العمري ص(٣٨ ـ ٤٧)، طبع مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م). وقد أعاد علي رضي الله عنه البيعة بعد ستة أشهر من خلافة أبي بكر رضي الله عنه علناً في المسجد، وذلك بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، حيث كانت عاتبة على أبي بكر لعدم توريثها من أبيها، واستمر عتبها بل ومقاطعتها له حتى ماتت، وكان عليٌّ لا يستطيع إظهار خلافها للاعتبارات العائلية، ولحفظ رسول الله ﷺ فيها، فلما ماتت بادر بالبيعة مرة ثانية قطعاً منه لأي توهّم بعدم رضاه بأصل خلافة أبي بكر وإبائه عن البيعة. وانظر: «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦)، و«فتح الباري» (٧/ ٤٩٥) عند شرح حديث عائشة الطويل في مطالبة فاطمة بميراثها من رسول الله ﷺ، وقصة نفرتها من أبي بكر، وما حصل لعلي بعد موتها من تغيُّر وجوه الناس عنه، ثم سعيه في المصالحة التامة مع أبي بكر ومبايعته علناً في المسجد... إلخ الحديث الذي أورده البخاري في أواخر باب غزوة خيبر (٧/ ٤٩٣)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» (٣/ ١٣٧٩ ـ ١٣٨٣). قال الحافظ ابن حجر: (وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره أن علياً بايع أبا بكر في أول الأمر) (٧/ ٤٩٥).

(١) سبق التعريف به مستوفىً ص(١٢٥).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ١٨١).

تصرف أولئك الخوارج البغاة، وليس له بهم أي صلة على الإطلاق[١].

وعندما قتل عثمان شغر منصب الخلافة وأصبح دعاة الفتنة في مأزق لا يحسدون عليه، فليس منهم من يمكن أن يسدّ تلك الثغرة، ولا يمكن بقاء الأمة بدون خليفة، ولم تكن هناك آلية لنصب خليفة جديدة يمكن أن ترضاه الأمة وتذعن له، وحينما تلفّتوا حولهم وجدوا أنه ليس مؤهلاً لذلك غير علي رضي الله عنه، فذهبوا إليه وعرضوا الأمر عليه فامتنع من ذلك؛ لأن هؤلاء ليسوا أهل الحل والعقد الذين تعتبر مبايعتهم وترشيحهم نيابة عن الأمة.

ولكن ماذا يترتب على رفضه؟ ومن ذا سيحل في ذلك المنصب؟ وبعد تمنّع طويل وهروب منه رضي الله عنه وإلحاح شديد من الناس قبل رضي الله عنه[٢].

إلى هذا الوقت لم يظهر أيّ أثر للتشيع المذموم لعلي رضي الله عنه، ولم يكن بحاجة إلى هذا التشيع إذ إن جميع الصحابة والمؤمنين شيعته ومواليه، ومن كان معترضاً على شيء مما جرى فإنما كان اعتراضه على ما حدث للخليفة عثمان رضي الله عنه من أولئك القتلة دعاة الفتنة، وكانت المطالبة أن يقيم علي رضي الله عنه حدّ القصاص على من قتل الخليفة، وهو مطلب تصعب تلبيته في ذلك الظرف، وتطوّر الحال إلى المطالبة القوية من قبل عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم حتى وصل إلى المواجهة العسكرية في حرب الجمل، ولم يكن هناك شيعة موالية وأعداء حاقدون، وإنما طائفتان من المؤمنين أدى اجتهاد كل واحدة منهما إلى ما أدَّاها إليه، ودخل في الوسط أعداء الطائفتين حتى جرُّوهما إلى الحرب ووقعت الحرب وانتهت، ولم تَحُلَّ الأحقادُ والضغائن في قلوب الصادقين المؤمنين الحريصين على الحق من الطائفتين، بدليل ما صدر من علي رضي الله عنه تجاه عائشة رضي الله عنها وكيف حافظ عليها وأكرمها غاية الإكرام[٣]، وكذلك ما حصل منه لمن بشَّره بقتل الزبير[٤].

ثم جاء دور النزاع بين علي ومعاوية وحصلت معركة صفين، ثم ما تلاها من أمر التحكيم، وفي هذه الفترة بدأت تتكون البذرة الأولى للتشيع[٥]، كما ظهر في

---

(١) بل لقد زجرهم ونهاهم عن ذلك وأعلمهم أن ذلك الجيش ملعونٌ على لسان رسول الله ﷺ. انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ١٧٦).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٢٢٦). (٣) المصدر السابق (٧/ ٢٤٦).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٢٥٠).

(٥) انظر: «مختصر التحفة الإثني عشرية» ص(٥) لمحمود شكري الألوسي، تعليق محب الدين الخطيب، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض (١٤٠٤هـ).

نفس الوقت الخوارج(١) والنواصب(٢)، ولعل أول تأثير عقائدي لعبد الله بن سبأ كان في هذه الفترة حيث واجه أتباعه أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه بدعوى الألوهية فيه فزجرهم، وحينما لم ينفع فيهم الزجر أحرقهم بالنار كما مر(٣)، ولكن تلك العقيدة ما زالت تسري في عروق الشيعة حتى اليوم غير أنها تظهر جليةً في بعض الأحيان لدى بعض الطوائف وتختفي أحياناً، وتَتَدثَّر بالتّقية أحياناً أخرى. وبعد ذلك قتل علي رضي الله عنه على أيدي الخوارج(٤)، ثم تنازل الحسن رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين(٥)، ولم يلق هذا التصرف رضاً من أصحابه وشيعة أبيه، غير أن إرادة الوحدة بين سائر المسلمين وداعي الجماعة وصوت النصح والإخلاص، وشخصية معاوية كانت أقوى من معارضتهم فرضخوا واستكانوا.

وحينما توفي معاوية رضي الله عنه وخلفه يزيد وجد أولئك الناقمون الفرصة سانحة، فكاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنه بالخروج إليهم ليبايعوه وينصروه فاغترَّ بوعودهم، وحينما توجه إليهم كان بنو أمية قد علموا بذلك وحزموا الأمر في العراق، وعاد معظم من غرَّر بالحسين ليخرج على يزيد؛ عادوا جنداً في صفوف جيش عبيد الله بن زياد، فوقعت معركة غير متكافئة في كربلاء ذهب ضحيتها الحسين رضي الله عنه ومجموعة من أهل بيته لم يثبت معه غيرهم، وكان قتل الحسين رضي الله عنه بطريقة بشعة مثيرة للعواطف والأحزان تأسَّف لها شيعته الذين وعدوا فما وفّوا، بل إن كثيراً منهم كان ضمن الجيش الذي قضى على الحسين وعصبته، ولذلك فقد فعلت فاجعة مقتل الحسين رضي الله عنه ما لم تفعله جميع الفواجع السابقة بما فيها الفاجعة بقتل علي رضي الله عنه.

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وكانوا يومئذ في اثني عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام أعني يوم النهروان. الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ٨٥)، وهذه الطائفة التي ذكرها تسمى المحكّمة، وهناك فرق وطوائف خارجية كثيرة يجمعها كلها الغلوّ والتكفير بالكبيرة واستباحة دماء المسلمين وأموالهم والخروج على أئمتهم.

(٢) النواصب والناصبيّة وأهل النصب المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه؛ لأنهم نصبوا له أي عادوه. انظر: «القاموس المحيط» ص(١٧٧).

(٣) سبق ذكر ذلك في الباب الأول الفصل الثاني في المطلب الثاني.

(٤) «العبر في خبر من غبر» (١/ ٣٣ ـ ٣٤) للإمام الذهبي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٢٤ ـ ٣٣١).

(٥) «العبر» (١/ ٣٤ ـ ٣٥)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٤ ـ ١٩).

ودخلت الشيعة بمقتل الحسين طوراً جديداً أشدّ غلواً وأكثر انحرافاً وأوسع تجاوباً مع المندسّين من أعداء الإسلام في ذلك الصف.

ثم خرج زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٢٢هـ) في زمن هشام بن عبد الملك بوعد جديد من عموم شيعة العراق بمناصرته، غير أنهم خذلوه في أحلك الظروف وهو أحوج ما كان إليهم، وذلك أنهم ـ بعد أن أعلن خروجه وبدأ المسير إلى خصمه ـ قالوا له: لن نخرج معك حتى تتبرأ من أبي بكر وعمر، فقال: كيف أتبرأ منهما وهما وزيرا جدي، فقالوا: إن لم تفعل رفضناك فقال لهم: اذهبوا فأنتم الرافضة[١]، ومن هنا انشقت الزيدية عن الجماعة الأم لقولهم بإمامة زيد.

## الشيعة الإمامية:

أمَّا بقية الشيعة أو الرافضة فقد ساروا في طريقهم وسلسلوا الإمامة في نسل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة الحسين وهم يتفقون مع الزيدية على أربعة وهم: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين زين العابدين، ثم تنفرد الزيدية باعتقاد إمامة زيد ثم من يليه من الأئمة الخاصين بهم، وتستمر الإمامية في تسلسل الإمامة إلى محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم من بعد جعفر الصادق تنشق عنها الإسماعيلية ـ باعتبار الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل أو ابن ابنه محمد بن إسماعيل كما سيأتي ـ بينما تعتبر الإمامية الإمام بعد جعفر ابنه موسى الكاظم ثم ابنه علي الرضا ثم ابنه محمد الجواد ثم ابنه علي بن محمد الهادي ثم ابنه الحسن بن علي العسكري ثم ابنه محمد بن الحسن المهدي ـ الذي يزعمون أنه غاب في سرداب سامراء وهم إلى اليوم ينتظرون خروجه ـ ولقد تفرّع عن كل فرقة من فرق الشيعة الأساسية الثلاث فرق عدة، وهم فيما بينهم يضلّل بعضهم بعضاً، بل يكفّر بعضهم بعضاً في كثير من الأحيان، ولعل هذا الاستعراض الموجز يكفي لبيان نشأة وتطور الشيعة الإمامية.

## الشيعة الزيدية:

والزيدية هم: (منسوبون إلى زيد بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لقولهم جميعاً بإمامته، وإن لم يكونوا على مذهبه في مسائل الفروع، وهي تخالف الشافعية والحنفية في ذلك؛ لأنهم إنما نسبوا إلى أبي حنيفة والشافعي لمتابعتهم إياهما في الفروع)[٢].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

(٢) «المنية والأمل في شرح الملل والنحل» ص(٩٦)، تأليف المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن=

والزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة في بدء ظهورها، وكان ظهورها حين خرج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك بالكوفة عام (١٢٢هـ)، وقد قتل رحمه الله في اليوم الثاني من شهر صفر من تلك السنة[1]، ثم تابعه على الخروج ابنه يحيى سنة خمس وقيل ست وعشرين ومائة (١٢٥ أو ١٢٦هـ) في جوزجان في أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[2]، ثم خرج بعده محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكيّة عام (١٤٥هـ) أيام أبي جعفر المنصور[3] بالمدينة، ثم خرج بعدهم يحيى بن عبد الله أخو النفس الزكيَّة (١٤٥هـ)، وكان يأخذ البيعة لأخيه فلما بلغه مقتل أخيه أخذ البيعة لنفسه واستولى على البصرة حتى قتل في ذي الحجة من نفس السنة[4].

ثم لم ينتظم للزيدية ـ بعد استشهاد زيد بن علي وابنه يحيى ومحمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه إبراهيم ـ أمْرٌ حتى ظهر الناصر الأطروش الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بخراسان سنة (٢٨٤هـ) وقيل سنة (٢٨٧هـ) فطُلِبَ مكانه فاختفى واعتزل الإمارة سنة (٣٠٢هـ)، ثم صار إلى بلاد الجبل والديلم فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه، وبَقِيَتْ الزيدية في تلك البلاد ظاهرة، ولكنها حالت بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الإمامية[5]، وكان تحوّلها إلى الرفض بعد ظهور الدولة البويهية (٣٢٠ ـ ٤٤٧هـ/ ٩٣٢ ـ ١٠٥٥م) التي كانت زيدية ثم تحولت إلى شيعةٍ غلاة، وابتدعت بدعاً ليس عليها أثارة من علم، لا من كتاب ولا من سنة ومنها على سبيل المثال الاحتفال بعيد الغدير، وتجريم من تقدم من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعاً[6].

---

= المرتضى الحسني اليماني، تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور، نشر دار الندى بلبنان، الطبعة الثانية عام (١٤١٠هـ).

(١) «الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية» لأبي الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي (١/ ١٤٥)، مخطوط، مصور، نشر دار أسامة على نفقة السيد يوسف ابن السيد محمد المؤيد الحسني، بدون تاريخ.

(٢) المصدر السابق (١/ ١٥٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٥٧).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٦٩).

(٥) «الملل والنحل» للشهرستاني ص(١١٢ ـ ١١٤).

(٦) انظر: «الزيدية (نشأتها ومعتقداتها)» للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع ص(٢٨ ـ ٢٩)، الطبعة الثالثة عام (١٤١٨هـ)، نشر دار الفكر، سورية، ودار الفكر المعاصر، لبنان.

وبقيت الزيدية ظاهرة حاكمة في اليمن منذ وصول أول أئمتهم إليها يحيى بن الحسين الهادي إلى الحق[١] وكان وصوله سنة ٢٨٣هـ ووفاته سنة ٢٩٨هـ، إلى أن أطيح بآخر إمام منهم محمد بن أحمد بن يحيى حميد الدين الملقب بالبدر سنة (١٣٨٢هـ)، هذه نهاية الدولة الزيدية، أما المذهب فما زال قائماً إلى اليوم.

**الشيعة الإسماعيلية:**

أما الشيعة الإسماعيلية فقد سموا بذلك الاسم لانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وتوليهم له، والقول بإمامته بعد أبيه سواءً مات في حياة أبيه أو بعده[٢]، وقيل: نسبة إلى زعيمهم محمد بن إسماعيل بن جعفر الذي يزعمون أن دور الإمامة انتهى إليه[٣]، وكانت نشأتهم بعد وفاة جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام (١٤٨هـ)، وهم في حقيقة الأمر أتباع أبي الخطاب السدوسي الملحد الذي كان من أصحاب جعفر ثم ظهر منه الانحراف ومقالات الزنادقة فطرده، وصرح لأصحابه بأنه زنديق ملحد ونهاه عن مجالسة ابنه إسماعيل خوفاً على ابنه من الضلال والزندقة[٤]، وقد قيل بأن إسماعيل مات في عهد أبيه فعهد جعفر بالإمامة إلى ابن ابنه محمد بن إسماعيل[٥]، وقيل: إنه لم يمت؛ ولكن جعفر أشاع موته وكتب بذلك محضراً

---

(١) هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي، مؤسس المذهب الهادوي والدولة الزيدية في اليمن، المتوفى سنة (٢٩٨هـ). انظر ترجمته في: «السيرة المفردة المسماة: سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين» لصاحبه علي بن محمد العلوي، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، تحقيق زهير زكار، و«أعلام المؤلفين الزيدية» (١١٠٣)، تأليف عبد السلام بن عباس الوجيه، طبع مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

(٢) وهو قول الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١٤٠).

(٣) وهو قول الغزالي في «فضائح الباطنية» ص(١١)، طبع دار البشير، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى سنة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، ومثله ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» ص(١٣٢)، من طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، حققه عصام فارس الحرستاني، خرّج أحاديثه محمد إبراهيم الزغلي.

(٤) انظر: «أصول الإسماعيلية» (١/ ٢٠٩) وما بعدها للدكتور سليمان عبد الله السلومي، وهي رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى عام (١٤٠٩هـ)، طبع دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

(٥) «الملل والنحل» (١/ ١٤٠)، وهذا ما رجحه الدكتور السلومي في «أصول الإسماعيلية» (١/ ٢٥٧).

وأشهد عليه خوفاً على إسماعيل من القتل[١]، ثم لم يلبث إسماعيل أن مات بعد أبيه بعد أن أوصى بالإمامة لابنه محمد بن إسماعيل[٢]، وعلى كلا القولين فإن الأمر استقرَّ في محمد بن إسماعيل والتفَّ حوله أصحاب أبي الخطاب[٣] مع زميله في الدعوة ميمون بن ديصان القداح[٤]، وبذلك وقع ما كان يحذره جعفر الصادق إذ وقع ابن ابنه محمد بن إسماعيل في شراك الخطابية أكفر فرق الشيعة، فحوَّلوا معتقدات المنتسبين إليه إلى باطنية ملحدة، كما وقع في شراك ميمون القداح الذي كان سترَه وكفيلَه[٥] الذي حوَّل الإمامة من نسل جعفر إلى نسله هو، وبذلك لم يبق للفرقة الإسماعيلية صلة بآل البيت النبوي لا نسباً ولا اعتقاداً[٦].

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٤٠ ـ ١٤١). وانظر الموضوع بتوسُّع في: «أصول الإسماعيلية» (١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٩).

(٢) «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» ص(١٢٩) للدكتور الإسماعيلي المعاصر مصطفى غالب، طبع دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

(٣) «الصلة بين التصوف والتشيع» (١/ ٢١٢) للدكتور كامل مصطفى الشيبي، وأصل هذا الكتاب رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية في عام (١٩٥٨م)، الطبعة الثالثة عام (١٩٨٢م)، دار الأندلس، بيروت.

(٤) انظر: «أصول الإسماعيلية» (١/ ٢٣٩).

(٥) أثبت علاقة ميمون القداح بمحمد بن إسماعيل، وكون ميمون حجته وستره وكفيله الدكتور مصطفى غالب في «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» نقلاً عن بعض المصادر السورية الإسماعيلية التي بين يديه ص(١٣٣)، وعن المؤرخ الإسماعيلي إدريس عماد الدين ص(١٣٨)، بل يعترف بمكانة ميمون القداح المرموقة في «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» فيقول ص(٣٩): (احتلت أسرة القداح مكاناً مرموقاً في «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» في دورها الأول، وكان الأئمة يعتمدون على أفراد هذه الأسرة التي قدمت للإسماعيلية أجلّ الخدمات، ويعتبر مؤسس هذه الأسرة الداعي الكبير ميمون القداح أول من اتخذه الأئمة المستورون حجة ونائباً لهم، وتقول بعض المصادر التاريخية أن الإمام جعفر الصادق جعله حجاباً وستراً على حفيده محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين).

(٦) أعني: أن أئمة الإسماعيلية الذين حكموا المغرب ثم مصر وقطاعاً كبيراً من ديار المسلمين وسموا بالفاطميين من أبناء عبيد الله بن ميمون القداح الفارسي، وليسوا من أبناء محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقد تكلم المؤرخون والنسابون في هذا كلاماً طويلاً غير أن غالبية مؤرخي ونسّابة أهل السنّة والشيعة على حدٍّ سواء ينكرون نسبتهم إلى محمد بن إسماعيل، ويثبتونها إلى عبيد الله بن ميمون؛ ولذلك يسمونهم (العبيديين) وقد توسع في بحث ذلك إحسان إلهي ظهير في كتابه «الإسماعيلية» توسعاً كبيراً جداً استغرق من ص(١٦٧ ـ ٢٦٦)، وبعد ذلك جزم بما عليه الجمهور أنهم عبيديون وليسوا فاطميين، فارجع إليه إن أردت.

وقد تحوّلوا بمركز دعوتهم إلى سَلْمِيَّة من أرض سوريا، ومنها بعثوا دعاتهم إلى الأقاليم: مصر والمغرب واليمن وغير ذلك من البلدان، غير أنه لم تنجح دعوتهم إلا في اليمن، حيث وصل مندوبا ميمون القداح منصور بن الحسن بن فرج بن حوشب الذي عرف بمنصور اليمن، وعلي بن الفضل الجدني عام (٢٦٨هـ) وأسس كل منهما دولة باطنية، وسيأتي الكلام عليهما في الفصل الرابع، وكان نجاحهما نجاحاً محدوداً، وأما النجاح الكبير فكان لمندوبهم في المغرب حيث هيّأ لقيام دولتهم هناك، وبالفعل قامت تلك الدولة باسم المهدي محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، والصحيح أنه من أبناء ميمون بن ديصان القداح المجوسي أو اليهودي الأصل[١].

وبعد فترة زحفت جيوش تلك الدولة على مصر واحتلتها واختطَّ قائدها جوهر الصقلي مدينة القاهرة المصرية وبعد تمام بنائها انتقل إمامهم المعز لدين الله إليها[٢]، وحكم مصر وأطراف الشام ومناطق واسعة من أفريقيا ثم اليمن عبر دولة الصليحيين، وامتد نفوذهم إلى الحجاز بواسطة الصليحيين كذلك، وبلغت دولتهم في مصر مبلغاً عظيماً جداً من الرُّقي والحضارة ورغد المعيشة، كما حاولت بشتى الوسائل أن تنشر مذهبها بين الناس وأن تنهي أهل السنة فلم تقدر على ذلك؛ ومن أجل ذلك بنت الجامع الأزهر، وظلت كذلك حتى دبّ إليها الضعف وهاجم أراضيها الصليبيون.

ولما بدأت حركة الجهاد ضد الصليبيين جادةً على يد الزنكيَيْن، عماد الدين[٣]، ونور الدين[٤]، وعرف نور الدين مكمن الخطر على ذلك الجهاد، وأنه من

---

(١) انظر: التعليق السابق.

(٢) وكان ذلك عام (٣٦٢هـ). انظر: «تاريخ الإسماعيلية» ص(١٩١).

(٣) هو عماد الدين ابن قسيم الدولة أقسنقر بن عبد الله التركي، أحد عظماء السلاطين الذين هيأهم الله للتمهيد لإزالة ملك الصليبيين عن بلاد المسلمين في الشام، استولى على البلاد وعظُم أمره بعد حروب طويلة، قتل رحمه الله سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠/١٨٩ ـ ١٩١)، و«البداية والنهاية» (١٢/٢٢١).

(٤) هو الملك العادل نور الدين بن عماد الدين زنكي ويعرف بنور الدين الشهيد، تمكن من جهاد الصليبيين، حقق انتصارات عليهم ثم سمت همته إلى ضم مصر وإنقاذها من أيدي العبيديين الباطنية، ليأمن من المكر بجيوش المسلمين.

وكان يوصف بالعدل والديانة والزهد والورع وكثرة أعمال الخير، توفي رحمه الله سنة (٥٦٩هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠/٥٣١ ـ ٥٣٩)، و«البداية والنهاية» (١٨/٢٧٧ ـ ٢٨٦).

جهة العبيديين في مصر، فأرسل قائده أسد الدين شيركوه[١] ومعه صلاح الدين[٢]؛ لتعزيز جبهة مصر ضد الصليبيين ومراقبة أمر تلك الدولة المنهارة عن كثب[٣]، وبقيت جنوده فيها حتى مات آخر أئمتها المسمى بالعاضد لدين الله، وعلى إثر ذلك انتزع الحكم صلاح الدين من أيديهم[٤]، وطمس معالم دولتهم، وأزال ما غرسوه من عقائد ضالة وما صنعوه من أعمال مخالفة للشرع، وبذلك طويت صفحة هي من أعجب الصفحات؛ فرخاء وتقدم وحضارة في أمر الدنيا، وكفر وإلحاد وزندقة وقبورية وثنية لم تشهد أمة الإسلام مثلها في أمر الدين، فرحم الله صلاح الدين الذي قضى عليهم وأعاد السنة إلى مصر وملحقاتها.

ومن عباءة الإسماعيلية خرجت دولة القرامطة في البحرين؛ ألحدُ وأكفرُ دولةٍ وأعنفها عرفتها جزيرة العرب، حتى لقد هاجم أحد زعمائها مكة وقتل الحُجَّاج وملأ بهم بئر زمزم، ثم اقتلع الحجر الأسود ومكث عنده وعند أتباعه بالبحرين نحو عشرين سنة. كما خرجت من عباءتها دولة علي بن الفضل الجدني الملحد أحد أكبر السفاحين في تاريخ الإسلام، وأحد أكبر الملحدين من الحكام، وكلتا الدولتين حينما اشتد عودهما وقوي نفوذهما أعلنتا الانفصال عن دولة العبيديين في مصر واستقلالهما بما تحت أيديهما، مع البقاء على نفس العقيدة والمبادئ الإسماعيلية في الجملة. وكذلك خرجت من تحت تلك العباءة دولة منصور اليمن قصيرة العمر، ثم

---

(١) الأمير الشهير والقائد الخطير أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان، أخو الأمير نجم الدين أيوب، وعم صلاح الدين، كان أحد الأبطال المذكورين والشجعان الموصوفين ترعب الفرنج من ذكره، طرد الصليبيين من (بلبيس) وتمكن من الانفراد بوزارة العاضد الفاطمي فبقي في ذلك شهرين ثم توفي رحمه الله سنة (٥٦٤هـ) فحل محلّه صلاح الدين. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٥٨٧ ـ ٥٨٩)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٢) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب الكردي، كان من أمراء نور الدين الشهيد والمقربين إليه، فانتدبه مع عمه أسد الدين شيركوه لحفظ مصر وفتحها، وبعد موت شيركوه استقل بالوزارة ثم أزال الدولة الفاطمية، وهذا وحده من أعظم الفتوح، ثم سعى في توحيد البلاد الإسلامية، وكانت حياته كلها جهاد، حتى هزم الصليبيين أول هزيمة مؤثرة في حطين، ثم فتح القدس بعد احتلال دام قرابة قرن من الزمان، وما زال يطارد الإفرنج حتى أجلاهم عن معظم بلاد الشام، وقد اشتهر مع جهاده بالديانة والورع وحب الخير، وعمل الأعمال العظيمة في مصر والشام، ومات رحمه الله سنة (٥٨٩هـ).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٢٧٨ ـ ٢٩١)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ٢ ـ ٦).

(٤) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧).

دولة الصليحي الذي حكم اليمن كله باسمهم، وضمَّ بعض مدن الحجاز إليه خصوصاً مكة وما جاورها[١]. وقبل القضاء على دولة العبيديين كانوا قد انقسموا إلى قسمين: نزارية، ومستعلية؛ نسبة لإمامين تنازع القصرُ الحاكم في توليتهما فتبع كلاً منهما فريقٌ وسمِّي باسمه، فكان أهل مصر واليمن والهند (البهرة) أتباع المستعلي ويسمون (المستعلية)، وأهل إيران والمشرق أتباع نزار ويسمون (نزارية)[٢]، وقد قوي نفوذ هؤلاء فيما بعد، وأسسوا دولة مكثت مدة وهي قوية مرهوبة هي دولة الحشاشين أو الفدائيين في منطقة (الألموت) بإيران، وما زالت هذه الفرقة متواجدة في كثير من بلدان العالم الإسلامي ومنها الهند وباكستان وسوريا واليمن والمملكة العربية السعودية وهم يسمون في كل بلد باسم خاص، ففي الهند والباكستان يسمون بالبهرة[٣]، وفي سوريا يسمون بالعلويين[٤]، وفي السعودية واليمن يسمون بالمكارمة أو اليمامية[٥]، وهم وإن لم يكن لهم اليوم سلطان رسمي ظهر إلا أنهم يعتقدون إمامة د. محمد برهان الدين المقيم حالياً في بومباي بالهند، ويملكون إمكانات ضخمة تؤهلهم متى أرادوا أن يقيموا دولتهم، ولهم طموحات كبيرة لاستعادة السلطة والمكان المفضل لديهم لإقامتها هو (اليمن)[٦].

### المطلب الثالث: عقائد الشيعة الباعثة على القبورية:

الشيعة فرقة غالية باتفاق مؤرخي الملل والنحل، وجميع فرقها لديها غلو وإن كانت تتفاوت فيه، وغلوها في كافة الاتجاهات، فهي غالية في حبها وفي بغضها، كما هي غالية في ولائها وبرائها، وكذلك في حكمها على الآخرين، والذي يهمنا

---

(١) «الصليحيون الحركة الفاطمية في اليمن» ص(٨٨ ـ ٩٢)، تأليف حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي بالاشتراك مع د. حسن سلمان محمود الجهني، تنفيذ دار المختار، دمشق، بدون تاريخ.

(٢) «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» ص(٢٤٠). (٣) «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» ص(٢٤٠).

(٤) «مقدمة كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» ص(٢٨) لأبي عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، تحقيق وتعليق محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

(٥) المصدر السابق ص(٢٥).

(٦) انظر: كتاب «الفرقة الباطنية رؤية من الداخل (قراءة جديدة وحقائق معاصرة)»، تأليف علوي طه الجمل، مصفوف بالكمبيوتر ولم يطبع بعد، الفصل الأول: «الإسماعيلية من منظور الولاء الوطني والديني» ص(١٩ ـ ٤٩).

هنا هو إثبات غلوها في البشر، وهي في ذلك لم يضارعها أحد من فرق المسلمين كيف وقد صرّح بعض فرقها بألوهية الأئمة تصريحاً واضحاً لا لبس فيه!! وهذا لم يجرؤ عليه أحد من فرق المسلمين، وقد مرّ بنا كيف صرَّحت السبئية بألوهية علي رضي الله عنه في حياته، بل إنها واجهته بذلك، وقد زجرها ونهاها عن ذلك فلم تنزجر، حتى إن أفراداً منها صمدوا على ذلك حتى أحرقهم بالنار رضي الله عنه، وقد تقدم ذلك[١].

وكما ادّعت السبئية ألوهية علي رضي الله عنه ادعتها لبعض أئمتهم.

يقول الشهرستاني رحمه الله: (هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبّهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق...)[٢].

وهذا ربما قيل: إنه من تقوّل أهل السنة عليهم؛ لذلك فهذه نصوص من كتبهم أنفسهم فمنهم من ألَّه محمد بن الحنفية[٣]، ومنهم من ألَّه جعفر الصادق[٤]، ومنهم من ألَّه الإمام الكاظم[٥]، ومنهم من قال بألوهية الإمام الرضا[٦]، وبالجملة فهناك فرق غالية كثيرة من فرق الشيعة قالت بألوهية الأئمة منها: (السبئية، والمغيرية، والمنصورية، والخطابية، والهشامية، والإسماعيلية، والقرامطة، والدروز، والنصيرية)[٧].

وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة وتحديداً؛ فينبغي أن ننتقل من التعميم إلى التخصيص، ونعرض لفرق الشيعة الكبرى والحية المؤثرة عبر التاريخ وإلى اليوم، فنبدأ بالإمامية أظهر وأشهر فرق الشيعة[٨]، بل إن اسم الشيعة إذا أطلق اليوم فإنما

---

(١) ص(١٠٩).
(٢) «الملل والنحل» (١/ ١٢٧).
(٣) «شبهة الغلو عند الشيعة» ص(٧٢) للدكتور عبد الرسول الغفار، طبع دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).
(٤) «أصول الكافي» (١/ ٢٦٩)، و«البحار» (٢٥/ ٢٧٩).
(٥) «رجال الكشي» (٦/ ٧٧٧).
(٦) «عيون الأخبار» (٢/ ١٨٣)، والهوامش من ص(٣ ـ ٥) كلها من كتاب «شبهة الغلو عند الشيعة» ص(٧١ ـ ٨٨).
(٧) «الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة» للدكتور محمد أحمد الخطيب، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، نشر وتوزيع مكتبة الأقصى.
(٨) الإمامية ويقال لهم الإثنا عشرية: (هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين) الشهرستاني (١/ ١١٧). ويقول أحد باحثيهم المعاصرين وهو محمد جواد مغنية في كتابه «الإثنا عشرية وأهل البيت» ص(٩٥): =

ينصرف عند أكثر السامعين إليها، وهي القائمة على أكبر تجمع لمظاهر القبورية في العالم في العراق وإيران؛ لأن الفرق التي أشرنا إليها سابقاً قد يقول قائل: إنها لم تعد موجودة الآن، وإنما الكلام عنها يعتبر عن أمم لا أثر لها في حياة الناس اليوم، ومع أني لا أسلِّم بهذا القول؛ لأن تلك العقائد ما زالت موجودة ولو بشكل متناثر يظهر من حين إلى آخر في فلتات الألسن ونتاج الأقلام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن خلاصة تلك العقائد موجودة لدى الفرق المعاصرة من الإمامية والإسماعيلية.

فأقول: إن الواجب هو إثبات قبورية هذه الفرق المعاصرة، وخصوصاً الإمامية والإسماعيلية، إذ الزيدية أقل منهما غلواً وقبورية، وسأتكلم عنها عند الحديث عن نشأة القبورية في اليمن.

## قبورية الإمامية:

فأما قبورية الإمامية فمنشؤها غلوّها في أئمتهم بحيث أعطوهم صفات من صفات الربوبية والألوهية، وبموجب ذلك توجهوا إليهم يعبدونهم من دون الله، ويسألونهم ما لا يقدر عليه إلّا الله.

فهذا ابن أبي الحديد أحد كبارهم يقول في مدح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

يجل عن الأعراض والأين والمتى ... ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

ويقول:

تقيلت أخلاق الربوبية التي ... عذرت بها من شك أنك مربوب[1]

وفي مراجعهم الأساسية ينسبون إلى علي رضي الله عنه أنه يقول: (أنا الأول وأنا الآخر، وأنا الظاهر وأنا الباطن، وأنا وارث الأرض)[2].

وينقلون عن محمد الباقر قوله: (نحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ويده

---

= (الإثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إماماً تعينهم بأسمائهم) بواسطة أصول الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد (١/١٠٣) للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع دار الحرمين للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

(١) «مختصر التحفة الإثني عشرية» ص(٩) للسيد محمود شكري الألوسي في الأصل والحاشية.

(٢) «رجال الكشي» طبع الهند ص(١٣٨) بواسطة «بطلان عقائد الشيعة» ص(١٣) للعلامة محمد عبد الستار التونسوي، رئيس منظمة أهل السنّة بباكستان، طبع عام (١٤٠٨هـ) ليس عليه اسم الدار ولا رقم الطبعة.

المبسوطة بالرحمة على عباده)[١]، وقوله: (نحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه)[٢]، ومن أبواب كتابهم أصول الكافي: (باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم)[٣]، ومن أبواب كتابهم الآخر بحار الأنوار: (باب: أنهم يظهرون بعد موتهم ويظهر منهم الغرائب)[٤]، ومن أبوابه: (باب أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء عليهم السلام)[٥]، ومن أبوابه: (باب أن دعاء الأنبياء استجيبَ بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين)[٦]، ومن أبواب كتاب بصائر الدرجات: (باب في الأئمة أنهم يحيون الموتى ويبرئون الأكمه والأبرص بإذن الله)[٧].

وإذا كان هذا فكر متقدميهم فهل بقي من أثر لدى المعاصرين الذين يعيشون عصر الذرة وثورة المعلومات؟ الجواب: نعم إنهم ما زالوا بنفس العقلية وعلى نفس الاعتقاد، فهذا أحد شعرائهم المعاصرين يخاطب أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه بقوله:

أبا حسنٍ أنت عين الإله ... وعنوانُ قدرته الساميةْ

وأنت المحيطُ بعلم الغيوب ... فهل عنك تعزب من خافيةْ

وأنت مديرُ رحى الكائنات ... وعلة إيجادها الباقيةْ

لك الأمرُ إن شئت تنجي غداً ... وإن شئت تسفع بالناصية[٨]

## اعتقادهم أن الأئمة واسطة بين الله وبين خلقه:

وقد رتبوا على ما مضى أن الأئمة هم الواسطة بين الله وبين خلقه، يقول المجلسي عن الأئمة: (فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين خلقه)[٩]، ونسبوا إلى

---

(١) «أصول الكافي» ص(٨٣).

(٢) المصدر السابق ص(٨٤)، كلاهما بواسطة «بطلان عقائد الشيعة» ص(١٥).

(٣) «حتى لا ننخدع» ص(١٢١) للباحث عبد الله الموصلي، نشر دار سلامة للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة عشر عام (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

(٤) المصدر السابق ص(١٢٢).

(٥) المصدر السابق ص(١٢٣).

(٦) المصدر السابق ص(١٢٤).

(٧) المصدر السابق ص(١٢٤).

(٨) عبد الحسين العاملي في ديوانه «ديوان الحسين»، الجزء الأول من القسم الأول بواسطة «أصول مذهب الشيعة» (٣/ ١٠٦٩).

(٩) «بحار الأنوار» (٢٣/ ٩٧) بواسطة «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٤٤١).

جعفر الصادق قوله: (نحن السبب بينكم وبين الله ﷻ)[(١)]، وليسوا واسطة عامة الناس؛ بل إنهم وسيلة وواسطة لأولي العزم من الرسل فمن دونهم، فقد نقل: (عن الرضا عليه السلام قال: لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقِّنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رُمِيَ إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبساً، وإن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فُنجِّي من القتل فرفعه الله)[(٢)].

## تخصص الأئمة في الإمداد والإغاثة بما يحتاج إليه الناس، كل منهم في مجاله:

والأئمة متخصصون في أبواب الإغاثة والإمداد، ولكل منهم وظيفة خاصة يقصده من له حاجة إلى ما تشمله تلك الوظيفة (أما علي بن الحسين فلِلنَّجاة من السلاطين ونفث الشياطين، وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فللآخرة وما تبتغيه من طاعة الله ﷻ، وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله ﷻ، وأما علي بن موسى فاطلب به السلامة في البراري والبحار، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى، وأما علي بن محمد فللنوافل وبر الإخوان وما تبتغيه من طاعة الله ﷻ، وأما الحسن بن علي فللآخرة، وأما صاحب الزمان فإذا بلغ منك السيف الذبح فاستعن به فإنه يعين)[(٣)].

## تقديس أضرحة الأئمة:

وعلى ذلك فقد بالغوا في تعظيم مراقد الأئمة ومنحوها من القداسة والشرف ما لم تحظ به الكعبة المشرفة والمدينة المنورة، فقد نسبوا إلى علي بن الحسين أنه قال: (اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها، فما زالت ـ قبل خلق الله الخلق ـ مقدسة مباركة، ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض الجنة وأفضل منزل ومسكن يسكن فيه أولياؤه في الجنة)[(٤)]. كما نسبوا إلى جعفر الصادق

---

(١) المصدر السابق (٢٣/٩٧) بواسطة «أصول مذهب الشيعة» (٢/٤٤١).

(٢) المصدر السابق (٢٦/ ٣٢٥)، و«وسائل الشيعة» (٤/١١٤٣) بواسطة «أصول مذهب الشيعة» (٢/٤٤٦).

(٣) «بحار الأنوار» (٩٤/٣٣) بواسطة «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٤٤٩).

(٤) «بحار الأنوار» (١٠١/١٠٧) بواسطة «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٤٦٤).

ـ وهو بريءٌ مما نسبوا إليه ـ: (أن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بُني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله إليها: أن كفِّي وقرّي ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمُّه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم)[1].

وهذه البقعة بالطبع لم تنل ما نالت إلا بكونها مدفن الحسين بن علي رضي الله عنه: (وقد جرت على ألسنة الشعراء وأقلام الكتاب من بعد الواقعة وإلى يومنا هذا المقارنة بينها وبين الكعبة، وتفننوا بمختلف أساليب النثر والنظم في إثبات فضلها وقداستها وشرفها، واستطالة أرضها على جميع الأقطار بالفضل والشرف، وهذه الأرض المباركة لم تنل هذا الشرف العظيم في الإسلام إلا بالحسين عليه السلام كما نص عليه الحديث: «وزادها في تواضعها وشكرها لله بالحسين (ع) وأصحابه». .)[2].

## افتراؤهم الفضائل العظيمة في زيارة الأضرحة:

وبناءً على ما تقدم من غلو واعتقاد في الأئمة، ولأجل ربط الناس بأضرحتهم ومشاهدهم، وضعوا الفضائل الكبيرة والأجور الكثيرة لمن زار تلك المشاهد، ومع الكثرة الكاثرة من النصوص في هذا الجانب والتي تتفاوت فيها الأجور والمقارنة بين زيارة كربلاء والحج والعمرة لبيت الله الحرام، فإنني سأقتصر على نصين فقط لاحتوائهما على معظم تلك النصوص وتصوير مدى الكذب والافتراء عند القوم واستخفافهم بعقول أتباعهم وجرأتهم على الله عز وجل فيما نسبوه إلى أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: (لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً وانقطعت أنفسهم عليه حسرات. قلت: وما فيه؟ قال: من زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسخة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين

---

(١) «كامل الزيارات» ص(٢٧٠)، و«بحار الأنوار» (١٠١/١٠٩) بواسطة «أصول مذهب الشيعة» (٢/٤٦٤).

(٢) «تاريخ كربلاء» ص(١٠٢).

يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وفوق رأسه وتحت قدمه، فإن مات من سنَتِه حضرته ملائكة الرحمن يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار، ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر ومن منكر ونكير يروِّعانه، ويفتح له باب إلى الجنة ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد: هذا من زوار الحسين شوقاً إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذٍ أنه كان من زوار الحسين عليه السلام)[1].

وقد سوّغ هذه المبالغات أحد أئمتهم بذكر فضائلهم وما أعطوا من صفات فوق مستوى البشر فقال: (إن هذا ليس بكثير على من جعله الله إماماً للمؤمنين، وله خلق السماوات والأرضين، وجعله صراطه وسبيله، وعينه ودليله، وبابه الذي يؤتى منه، وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأولياء، هذا مع أن مقابرهم رضي الله عنهم فيها أيضاً إنفاق أموال، ورجاء آمال، وإشخاص أبدان، وهجران أوطان، وتحمل مشاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر، وحضور مشاعر)[2].

## مناسك زيارة القبور عند الشيعة:

ومبالغة في تقديس تلك القبور وتأكيداً لما يعتقدونه فيها وفي المقبورين من خصائص الألوهية والربوبية، (جعلوا لزيارة ـ بطل الإسلام والشهيد ابن الشهيد أبي الشهداء، وزيارة مرقده الخالد ـ مناسك مثل ما لحج بيت الله الحرام؛ لأن الزائر بحضرته أمام شخصية إسلامية عظيمة لم تَمُتْ بمنطوق الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وأي شهيد أعظم منزلة، وأعلى قدراً ومكانة عند الله من الحسين سيد الشهداء)[3].

وهذه المناسك ليست خاصة بزيارة قبر الحسين فقط، بل إنها عامة لجميع مشاهد أئمتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما المشاهد فيعظمونها أكثر من المساجد، حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام، ويسمونها الحج

---

(١) «كامل الزيارات» ص(١٤٣)، و«وسائل الشيعة» (١/٣٥٣)، و«بحار الأنوار» (١٨/١٠١) بواسطة «أصول مذهب الشيعة» (٢/٤٥٦).

(٢) قائل ذلك هو الفيض الكاشاني في المجلد الثاني من «الوافي» (م٢، ج٨/٢٢٤)، والهامشان عن «أصول مذهب الشيعة» (٢/٤٦١).

(٣) «تاريخ كربلاء» ص(١٢٧).

الأكبر، وصَنَّف ابن المفيد منهم كتاباً سماه «مناسك حج المشاهد» وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال ما لا يوجد في سائر الطوائف)[١]، وما قاله شيخ الإسلام قد صدقه عليه ـ بل بأكثر مما قال ـ أحد شيوخ الرفض وهو آغا بزرك الطهراني بحيث أثبت أن ما صنفه شيوخهم في المزار ومناسكه قد بلغ ستين كتاباً[٢].

وأمامي الآن كتاب بعنوان: «دليل الزائر إلى العتبات المقدسة» من ثلاثة أجزاء: أحدها «العتبات المقدسة في العراق» والثاني «العتبات المقدسة في إيران» والثالث «العتبات المقدسة في سوريا»، يشتمل على تسمية المشاهد ونُبذ عنها وصور لها، وتفصيل ما يقال ويفعل عندها، ألّفه أحد معاصريهم واسمه (محمد أحمد خشفي الشهيد).

وإليك منسكاً من تلك المناسك التي يؤدونها عند المشاهد باختصار: (قال الصادق عليه السلام: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين عليه السلام فصُمْ يوم الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا أردت الخروج فاجمع أهلك وولدك وادع بدعاء السفر، واغتسل قبل خروجك، وقل حين تغتسل كذا وكذا، فإذا خرجت فقل كذا وكذا، ولا تدّهن ولا تكتحل حتى تأتي الفرات، وأقِلَّ من الكلام والمزاح، وأكثر من ذكر الله تعالى، وإياك والمزاح والخصومة، فإذا كنت راكباً أو ماشياً... فإذا خفت شيئاً فقل... فإذا أتيت الفرات فقل قبل أن تعبره... ثم اعبر الفرات وقل... ثم تأتي نينوى فتضع رحلك بها، ولا تدّهن ولا تكتحل، ولا تأكل اللحم ما دمت مقيماً بها، ثم تأتي الشط بحذاء نخل القبر واغتسل وعليك الوقار وقل وأنت تغتسل... ثم البس أطهر ثيابك، فإذا لبستها فقل... ثم امش حافياً وعليك السكينة والوقار فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله، وعليك بالتكبير والتهليل لله ولرسوله ﷺ... ثم امشِ قليلاً وقصِّر خطاك، فإذا وقفت على التل فاستقبل القبر فقف وقل... ثم امشِ عشر خطوات وكبر ثلاثين تكبيرة وقل وأنت تمشي... ثم امشِ قليلاً وعليك السكينة والوقار بالتكبير والتهليل والتحميد لله، والتعظيم لله ولرسوله ﷺ وقصِّر خطاك.

فإذا أتيت الباب الذي يلي المشرق فقف على الباب وقل... ثم تدنو قليلاً وقل.. ثم ادخل الحائر وقل حين تدخل: السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٩٨).

(٢) «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» آغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ) بواسطة «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٤٦٧).

في هذا الحائر يعملون ولأمر الله مسلمون... ثم امشِ وقصر خطاك حتى تستقبل القبر، واجعل القبلة بين كتفيك واستقبل بوجهك وقل... ثم ضع خدك الأيمن على القبر وقل... ثم ضع خدك الأيسر على القبر وتقول... ثم تدور من عند رجليه إلى عند رأسه... ثم تحوّل عند رجليه وضع يدك على القبر وقل... ثم تضع خديك عليه وتقول... ثم سر إلى قبر علي بن الحسين فهو عند رجل الحسين عليه السلام فإذا وقفت عليه فقل... ثم انكب على القبر وضع يديك عليه وقل... ثم ضع خدك على القبر (قبر علي بن الحسين) وقل... ثم تدور من خلف الحسين عليه السلام إلى عند رأسه وصلّ عند رأسه ركعتين... ثم تنْكَبُّ على القبر وتقول... ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء وتومئُ إليهم أجمعين وتقول... ثم در في الحائر وأنت تقول...)[(١)].

وهناك تفاصيل لبعض ما يفعلونه عند المشاهد من طواف بها واستقبال لها حال الصلاة وغير ذلك آثرت تركها اختصاراً، وانظر بعضها في أصول مذهب الشيعة[(٢)].

## عقائد الإسماعيلية الباعثة على القبورية:

الشيعة في الجملة فرقة من الفرق الضالة الثلاث والسبعين التي تتكون منها أمة محمد ﷺ[(٣)]، ولكن هناك فِرَق من فرق الشيعة قد تواطأ علماء السنة والشيعة على أنها خارجة عن الثلاث والسبعين فرقة؛ من أشهرها وأكثرها عدداً وأبعدها أثراً في تاريخ الإسلام وإلى اليوم الفرقة الإسماعيلية[(٤)]، التي حكمت أجزاء من العالم الإسلامي في فترات متعددة من التاريخ، وأشهر دولها على الإطلاق الدولة الفاطمية التي سبق الحديث عنها في هذا المطلب، ولذا نجد عبد القاهر البغدادي عندما أراد أن يستعرض تاريخ وعقائد هذه الفرقة عنْوَنَ لذلك الفصل بهذا العنوان: «الفصل السابع عشر ـ من فصول هذا الباب ـ في ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فِرَقِ الإسلام»، ثم قال تحت ذلك الفصل: (اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على

---

(١) «تاريخ كربلاء» ص(١٢٩ ـ ١٣١).
(٢) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٧٧).
(٣) «الفرق بين الفرق» ص(٢١) لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار المعرفة، بيروت.
(٤) المصدر السابق ص(٢٢).

فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليه، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا هذا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقَطْر)(١).

وما كنتُ بحاجة إلى الانشغال بهم وإضاعة الوقت في تتبع فضائحهم لولا الأثر الكبير الذي تركوه في الأمة، من نشر القبورية والشرك والإلحاد والبدع العلمية والعملية، سواء ما نشر عنها مباشرة إبَّان حكمها وتسلطها على المسلمين، أو بواسطة الصوفية التي اقتبست كثيراً من عقائد هذه الفرقة ودمجتها في صورة مناسبة لحالها، وأقبح عقيدة آمنت بها الفرقة وأشاعتها في أتباعها وأصبح لها أثر كبير في نشأة القبورية هي عقيدة تأليه الأئمة وإسباغ صفات الألوهية والربوبية عليهم.

وهذه العقيدة لم تعد تُنقل عنهم بواسطة خصومهم من أهل السنة وبقية فرق الشيعة، ولكن أصبح من الميسور نقلها من كتبهم التي كانت سِرِّيَّة بالأمس فأصبحت اليوم ـ وبحكم حرية النشر وحرية الفكر التي تتضمن حرية (الكفر) ـ أصبحت تلك الكتب تُنشَر وتباع في الأسواق، وسأقتصر على طرف يسير من النصوص التي تُثبتُ ذلك، معرضاً عن كم هائل منها، حتى لا أطيل على القارئ بما لا حاجة له به، ومن تلك النصوص ما هو مباشرة عن كتبهم ومنها ما هو بواسطة العلماء الثقات، مع ذكر المراجع الإسماعيلية الأصلية كما ذكرها أولئك العلماء. فمن تلك النصوص: ما نسبه أحد دعاتهم إلى علي رضي الله عنه أنه قال: (أنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا بكل شيء عليم، وأنا الذي رفعت سماءها، وأنا الذي دحوت أرضها، وأنا أنبتُ أشجارها، وأنا الذي أجريت أنهارها)(٢)، كما نسبوا إليه أنه قال: (أنا نقلت لآدم عليه السلام ونوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وعيسى عليه السلام وأنا نبَّأت النبيين، وأنا أرسلت المرسلين)(٣).

وليس الأمر خاصاً بعلي بن أبي طالب وحده؛ ولكنه لكل إمام من أئمتهم، فقد نسبوا إلى محمد بن علي الباقر أنه قال ـ وكذبوا عليه ـ: (ما قيل في الله فهو

---

(١) المصدر السابق ص(٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٢) «المجالس المؤيدية» ص(١٤٧) مؤيد الدين الشيرازي بواسطة «الإسماعيلية» ص(٢٩٩).

(٣) «الأنوار اللطيفة» لإبراهيم بن حاتم ص(١٩٥) بواسطة «الإسماعيلية» ص(٢٩٩).

فينا، وما قيل فينا فهو في البلغاء من شيعتنا)(١)، ويقول أحد مفسريهم: (الحمد لله الذي أجرى جميع أموره الجزئية والكلية... وصلى الله على رسوله سيدنا محمد من خرق رتب الحجابية... وعلى إمام العصر الواقع عليه في عصره اسم الآلهة)(٢).

ولماذا يطلق عليهم اسم الآلهة؟.

يجيب عليه الكرماني بقوله: (لأن كلاً منهم في زمانه قائم مقام الله بقيامه مقام النبي ﷺ الذي هو قائم مقام الله)(٣).

ولخص أحد الباحثين في تراث وتاريخ الإسماعيلية عقيدة القوم بعد استعراضها وتحليلها فقال: (إن ما يقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى خلعه الإسماعيلية على العقل الكلي فهو الإله عند الإسماعيلية، وإذا ذكر الله عند الإسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلي، والعقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني، ومعنى هذا عندهم أن كل الأسماء والصفات الثابتة لله عز وجل تصرف إلى العقل الكلي ومن ثم هي للإمام؛ لأنه مثل للعقل الكلي فأسماء الله الحسنى التي قالوا: إنها أسماء العقل الكلي. هي أسماء الإمام، فالإمام إذاً هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار... إلخ الأسماء)(٤).

وإذا كانت دعوى الربوبية والإلهية لا يمكن الإفصاح عنها ومخاطبة العوام بها، فإنهم قد عبروا عن ذلك بألفاظ تؤدِّي نفس الغرض وتروج على العوام فقالوا: (أما الإمام فهو المعصوم، أو قطب دائرة الوجود، أو الألف المتحركة، أو قطب الغوث، أو مظهر عين الجمع، أو مجموع المظاهر، أو النبأ العظيم، أو باب حطة، أو سفينة النجاة، أو صاحب العصر، أو الصراط المستقيم، أو روح الوجود، إنه لذو نعوت وصفات عديدة قلما يدركها إلا الحكيم الخبير)(٥)، وعلى ذلك فهم ـ عندهم ـ يعلمون الغيب وأمر المبدأ والمعاد.

---

(١) «كنز الولد» للحامدي ص(١٩٥) بواسطة «الإسماعيلية» ص(٢٨٨).

(٢) «مزاج التسنيم»، تفسير سورة النحل، الجزء الخامس من القسم الرابع ص(٣٣٧) للمفسر الإسماعيلي ضياء الدين بواسطة «الإسماعيلية» ص(٢٨٨).

(٣) «الإسماعيلية» ص(٢٨٨) والمصدر الإسماعيلي: «راحة العقل» للكرماني ص(٥٧٧)، و«مسائل مجموعة» ص(١١٣) ضمن أربعة كتب إسماعيلية، تحقيق عارف تامر.

(٤) الدكتور محمد كامل حسين في «طائفة الإسماعيلية» ص(١٥٨ ـ ١٥٩) بواسطة «الإسماعيلية» (١/٤٢٦ ـ ٤٢٧).

(٥) «الفلك الدوار في فضائل الأئمة الأبرار» لعبد الله المرتضى ص(٢٨) عن «الإسماعيلية» ص(٣٨٠).

روى النعمان بن حيون المغربي: (أنه تناظر رجلان إبان حكمه ـ يعني المعز الفاطمي ـ فقال أحدهما: إن الإمام يعلم الغيب، وقال الآخر: لا يعلم الغيب، فرفع حالهما إلى إمامهم المعز فقال لهم: إن الغيب على ثلاثة أوجه أو حدود: فوجه استأثر الله به عن عباده، ووجه آخر ما يحتاج إليه في الشريعة، ووجه ثالث مخزون لصاحب القيامة وهو الإمام القائم يعلم ما يكون، ولو شاء إمامك أن يتلو عليك ذلك لفعل)[١].

ويقول المؤيد الشيرازي: (الأئمة يعلمون من أمر المبدأ والمعاد ما حجبه الله عن كافة العباد)[٢].

ويقول الكرماني عن الحاكم بأمر الله: (له معجزة بل معجزات، وإخبار بالكائنات قبل كونها وإظهار للعلوم المكنونة)[٣].

### كل إمام من أئمتهم هو اسم الله الذي يدعى به:

يقول جعفر بن منصور اليمن: (فكل قائم في عصره فهو اسم الله الذي يدعى به في ذلك العصر كما قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠])[٤].

وعلى ما سبق اهتمت الإسماعيلية بالأضرحة والقبور والمشاهد مما سيأتي تفصيله فيما بعد إن شاء الله.

### المطلب الرابع: دور الشيعة في نشر القبورية في الأمة:

عرفنا في المطلب الثالث عقيدة الشيعة في أئمتها وغلوها فيهم، حيث وصل الأمر بالكثير منهم إلى اعتقاد ألوهية وربوبية الأئمة، ونَحلوهم من الصفات ما لا يليق إلا برب العالمين، وعلى ذلك فقد جعلوا لقبورهم قداسة دونها كل قداسة، حتى لقد فضلوا تربة الحسين على الكعبة المشرفة، وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة أن يبادروا إلى تفخيم تلك التُرَب، وعمل كل ما من شأنه أن يبهر قلب الزائر ويملأه هيبة وتقديساً لتلك القبور، وتدرجوا في ذلك حتى وصلوا بها إلى هذا الذي نشاهده اليوم في النجف وكربلاء وقُمْ، وغيرها مما يسمونه بالعتبات المقدسة.

---

(١) «أصول الإسماعيلية» (٢/ ٤٣٠) عن القاضي المذكور في كتاب «الرسالة المذهبية» (ورقة ٨٥ ـ ٨٦).

(٢) «المجالس المؤيدية» ص(٤٤١) عن «الإسماعيلية» ص(٣٧٦).

(٣) «المصابيح في إثبات الإمامة» ص(١٤٠) عن «الإسماعيلية» ص(٣٧٦).

(٤) كتاب «الكشف» ص(١٠٩) عن «الإسماعيلية» ص(٢٨٨).

وكانت البداية يسيرة كشأن كل انحراف يبدأ يسيراً ثم يتسع حتى يجاوز الحدود، وقد ذكرنا فيما مضى كيف بدأت المحاولات في عهد بني أمية وبني العباس لإقامة أبنية متواضعة على قبر الحسين، وكان الخلفاء حينئذٍ يقاومونها ويزيلون ما وجد منها، فلما وصل الأمر إلى تمكّن الشيعة من مقاليد الأمور في بلاد المسلمين بدأت تلك القبورية تظهر جلياً، وقد ساهمت الدول الشيعية في ذلك كلٌ بحسب إمكاناته وبحسب زمانه، وسأسوق إليك مقتطفات من تاريخ مشاهد الأئمة الاثني عشر فقط، ثم لمحة موجزة عن مبلغ قبورية الشيعة الإمامية ثم الإسماعيلية؛ لتدرك مدى الدور الذي قامت به الشيعة في إنشاء ونشر القبورية في الأمة المحمدية.

ولا يغيب عنك أن جميع فرق الشيعة قد ساهمت في ذلك من زيدية وإمامية وإسماعيلية وغيرها. فأول من بنى المشاهد على قبر الحسين وأبيه هو الداعي محمد بن زيد بن الحسن أمير طبرستان المتوفى سنة (٢٧٨هـ) وهو زيدي[(١)]، ثم جاء بعده الحمدانيون وهم شيعة رافضة[(٢)] فساهموا في بناء المشاهد خصوصاً مشهد علي رضي الله عنه، ثم تسلم الراية الإمامية منذ عهد البويهيين إلى اليوم. والملفت للنظر أنه من بعد البويهيين لم تعد هناك مقاومة من السلطات السنية للقبورية الشيعية، بل إن السلاطين السُّنة تبعوا الشيعة في ذلك كما سيأتي.

**وهذه جولة على مشاهد الأئمة الاثني عشر:**

## ١ ـ مشهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه[(٣)]:

مضت القرون المفضلة التي كان السلطان فيها لأهل السُّنة وليس لهذا القبر أي أثر، بل إن المؤرخين قد اختلفوا في موضع قبره[(٤)]، ومع ذلك فقد سوّل للشيعة بعضُ شياطينهم أنه في ذلك الموضع فعظموه، وأول من بنى عليه مشهداً محمد بن زيد بن الحسن أمير طبرستان[(٥)] ثم بناه عبد الله بن حمدان أحد أمراء الدولة

---

(١) «الأعلام» (٦/ ١٣٢).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٦٤) في ترجمة سيف الدولة.

(٣) ومن الغريب أنه رضي الله عنه هو الذي بعثه رسول الله ﷺ بتسوية القبور المشرفة وهو الذي بعث صاحب شرطته أبا الهياج الأسدي لتسويتها كما في «صحيح مسلم» وقد سبق تخريجه ص(٥٣).

(٤) انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ١٣).

(٥) «موسوعة العتبات المقدسة» (٦/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

الحمدانية سنة (٣١٧هـ)[١]. (وعظُم شأنها «أي النجف» في القرن الرابع للهجرة النبوية لما زارها عضد الدولة البويهي[٢] في جمادى الأولى من سنة (٣٧١) للهجرة (٩٨١) وبذل أموالاً طائلة لتشييد العمارة الجسيمة حول المشهد المشرف)[٣].

ويقول صاحب «نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس»: (وقد عقدت عليه قبة عظيمة في زينة وسيمة، وأول من عقد هذه القبة عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس، ثم عمرها الملوك من بعده، وبها من الذهب الإبريز والجواهر وخالص اللجين[٤] وأنواع الفرش الفاخرة ما يكل عنه قلم الحاصر)[٥]. (وفي التاريخ النجفي أن عدد القباب التي شيدت على قبر الأمير ﷺ بلغ ثمان أولها قبة الرشيد التي ألمعنا إليها في صدر هذا الفصل، وآخرها القبة الحالية التي غشاها بالذهب نادر شاه في سنة (١١٥٦هـ))[٦]. ولتصور الأبهة والفخامة التي يزخر بها هذا المشهد أنقل إليك ما جاء في دليل المملكة العراقية لسنة (١٩٣٥ ـ ١٩٣٦م) بواسطة العتبات المقدسة: (ويتوسط مدينة النجف الأشرف مشهد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ. وهو وسط صحن عظيم مستطيل تتجلى فيه العظمة بأجلى مظاهرها، وكما تتجلى فيه براعة الفن، ونفاسة النقش، وجمال الريازة. ويتقوَّم من طبقتين يبلغ ارتفاعهما زهاء ٣٥ متراً. ويبلغ طول هذا الصحن ٨٢ متراً وعرضه ٧٧ متراً. وفي كل ضلع من هذه الأضلاع ١٤ إيواناً، وفي كل إيوان غرفة هي مقبرة أحد المشاهير.

وفي الطبقة الثانية عدد من الأواوين والغرف بعدد الأواوين والغرف الموجودة في الطبقة السفلى.

والصحن على رحبة مفروش بالرخام الأبيض. وله خمسة أبواب. وجدرانه مغشّاة بالآجر القاشاني الملون البديع. وعلى حواشي الجدران العليا تجد الآيات القرآنية مسطورة بأحرف عربية جميلة متداخلة تسر الناظرين إليها، ويحيط بالصحن بهو واسع يظلله من جهة الغرب فقط ساباط[٧] مرتفع تتوسطه سماية[٨] مستديرة.

---

(١) «العتبات المقدسة» (٦/ ١٧٦)، و«مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/ ٤٦).

(٢) هو عضد الدولة أبو شجاع ابن ركن الدولة البويهي، من أعظم سلاطين الدولة البويهية الرافضة التي عملت على نشر بدع الروافض في بلاد المسلمين (ت٣٧٢هـ). انظر: «السير» (١٦/ ٢٤٩)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٢٩٩).

(٣) «العتبات» (٦/ ١٨٣).

(٤) «اللجين: الفضة. «القاموس» ص(١٥٨٧).

(٥) «العتبات» (٦/ ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٦) «العتبات» (٦/ ١٨٩).

(٧) الساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق. «القاموس» ص(٨٦٤).

(٨) السماية: السقف. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٤٥٣).

ويلي هذا الصحن من جهة الشرق إيوان واسع كبير، يبلغ ارتفاعه قرب أربعين متراً، كما يبلغ طوله ٤٥ متراً، وهو مسقف؛ سقفه مع جدرانه كلها مغشاة بقطع الذهب، وفي ركنيه مئذنتان مرتفعتان مغشَّاتان بالذهب الإبريز ـ أيضاً ـ تؤثران في النفوس أثراً بليغاً، وقد أنفق على هذه التغشية السلطان نادر شاه وذلك في عام (١١٥٦هـ ـ ١٧٤٣م) ومن هذا الرواق الجزئي يدخل إلى الرواق الكلي المسقف، وجدران هذا الرواق الأخير مغشاة بقطع المرايا ذات الأشكال الهندسية البديعة والتحاريب المزوقة المختلفة.

ولهذا الرواق أربعة أبواب متقابلة، بابان منها فضيان يدعى أحدهما الباب الكبير، ويسمى الثاني باب المراد وبابان من خشب الساج، أحدهما مغلق والآخر مفتوح يسميان باب الرحمة.

ويلي كل ما تقدم الحضرة المقدسة، ذات الهيبة والجلال، والروعة الكريمة، واللآلئ الثمينة. كما علقت فيها الثريات التي توقد فيها الشموع طول الليل.

وجدران هذه الحضرة مغشَّاة بالفسيفساء المطينة، والرخام الإيتالي البديع، وقطع المرايا المختلفة الأشكال والحجوم، والمصابيح الكهربائية العديدة، كما أن أرضها مفروشة بالرخام الأزرق اللطيف، وفيها أربعة أبواب من الفضة، وخامس من البرنز.

ويتوسط هذه الحضرة المرقد الغروي المطهر يحيط به مشبكان، أحدهما من الفضة الناصعة البياض، وهو الخارجي، والآخر من الحديد الفولاذي، وهو الداخلي.

وتعلو المشبك الأول كتابات من القرآن مع أبيات من الشعر لابن أبي الحديد. وفي كل ركن من أركانه الأربعة رمانة من الذهب، يبلغ قطرها زهاء النصف متر.

ويتوسط المشبك الحديدي الداخلي مصطبة من الخشب المرصع بالعاج والمنقوش عليه بعض الآيات القرآنية، وتحتها المرقد الشريف.

وفوق الضريح قنديل معلق بسلسلة من الذهب الخالص، مرصع بأثمن الأحجار اليتيمة ومن جملتها ماسة يبالغ في ثمنها كثيراً.

وتعلو الحضرة قبة جسيمة مغشاة بالذهب الإبريز، ومرتفعة إلى علو شاهق، والظاهر أنها أرفع قباب آل البيت جميعاً. وقد غشيت هذه القبة بالذهب في عام ١١٥٦هـ، وأنفق على تغشيتها السلطان نادر شاه)[1].

---

(١) «العتبات المقدسة» (٦/١٨٦ ـ ١٨٨).

### ٢ ـ قبر الحسن بن علي رضي الله عنهما:

لم يلق قبر الحسن اهتماماً كبيراً من قبل الشيعة سواء منهم الحكام أو المحكومون، وذلك بدرجة أساسية يرجع إلى قلة الاعتناء وقلة التقديس للحسن نفسه مقارنة بأبيه وأخيه الحسين، ثم لأنه بعيدٌ عن مقر سلطان الشيعة وتواجدها القوي، ومع ذلك فقد بنيت عليه وعلى من معه من أهل البيت قبة فخمة عالية البناء وصفها ابن بطوطة بقوله: (ويليها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهي قبة ذاهبة في الهواء بديعة الإحكام عن يمين الخارج من باب البقيع. ورأس الحسن إلى رجلي العباس عليه السلام وقبراهما مرتفعان من الأرض متسعان مغشَّيان بألوان بديعة الإلصاق مرصَّعة بصفائح الصفر البديعة العمل)[١] وقد ذكروا أن الذي عمر هذه القبة «الخليفة الناصر أبو العباس أحمد بن المستضيء»[٢].

### ٣ ـ قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما:

لم يلق قبرٌ في الدنيا كلها ما لقي قبر الحسين رضي الله عنه من التعظيم والتقديس والمظاهر والطقوس القبورية الوثنية، فلم يكن لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا لقبر علي رضي الله عنه ما يقرب مما لقبر الحسين من ذلك، ولذلك فقد كانت العناية بعمارته وتفخيمه أعظم من أي قبر آخر، وجعلوا له من المواسم والطقوس ما لا يوجد لقبر آخر، وإليك بعض ما ذكر من عمارته:

سبق أن ذكرنا المحاولات الكثيرة لبناء مشهد أو مسجد على قبر الحسين رضي الله عنه ولكنها لم تنجح[٣]. ويحدثنا الدكتور الكليدار أن المنتصر بن المتوكل قد أعاد البناء الذي هدمه أبوه، ولم يذكر نوعية البناء، وهل هو قبة كالقباب المعتادة التي توضع لإضفاء القداسة والجلالة على الضريح، أو أنه مجرد بناء متواضع، ويفهم من كلامه أن المنتصر وضع عليه ميلاً عالياً يرشد الناس إليه وشجع الناس على زيارته وذكر في الصفحة التالية: (أن البناء الذي أقيم على القبر المطهر في عهد المنتصر في عام (٢٤٧ ـ ٢٤٨هـ) كان قد سقط مرة واحدة في ذي الحجة سنة (٢٧٣هـ) وقد سقطت

---

(١) «ابن بطوطة في رحلته» ص(١١٩)، طبع دار التراث، بيروت، سنة (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م).

(٢) «وفاء الوفا» (٣/٩١٦). وانظر ترجمته في: «السير» للذهبي (٢١/٨٦)، و«البداية والنهاية» (١٣/١٠٦).

(٣) ص(١٢٨).

سقيفة الروضة المطهرة حسب الظاهر دفعة واحدة وبلا سابق إنذار على الزائرين في شهر ذي الحجة من هذه السنة)[١]. هذه بعض البدايات أما العمارة الحقيقية المقصود بها التعظيم والجلالة فأول من قام بها محمد بن زيد بن الحسن الحسني المعروف بالداعي الصغير ملك طبرستان في سنة (٢٨٣هـ)[٢]، ثم عمَّرهُ عضد الدولة البويهي سنة (٣٦٩هـ). قال الكليدار: (فقد بالغ في تشييد الأبنية حول المشهد الشريف في الحائر فجدد تعمير القبة، وشيد الأروقة من حوله، وبالغ في تزيينها وتزيين الضريح بالساج والديباج، وعمّر البيوت والأسواق من حول الحائر، وعصم مدينة كربلاء بالأسوار العالية فجعلها كحصن منيع)[٣]، ثم احترق المشهد سنة (٤٠٧هـ)[٤]، فعمره الوزير ابن سهلان الرامهرمزي وزير سلطان الدولة البويهي في نفس السنة[٥]، ثم عُمّر في عام (٦٢٠هـ) على يد الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله[٦]، وكان يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية[٧]، وعمَّره سنة (٧٦٧هـ) السلطان أويس الجلائري وخلفاؤه من بعده[٨]، وكانت أعظم الأبنية وأفخمها من إنشاء الدولة الصفوية وسلطانها إسماعيل الصفوي[٩]، ولا غرابة في ذلك فقد نقل صاحب تاريخ كربلاء عن المستشرق كوتكريك في كتابه «أربعة قرون من الأدب» (ص٢٠) قوله: (فإن مثل الدولة الصفوية من هذه الناحية وقيامها في إيران مثل الدولة الفاطمية في مصر طابق النعل بالنعل «كذا»)، وقد ذكر صاحب تاريخ كربلاء زيارة الشاه إسماعيل الصفوي لكربلاء وما جرى فيها من مراسيم إلى أن قال: (ومرَّغَ خدَّيه على تراب تلك العتبة السامية، مناجياً روح سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء، ومستمداً النصر من الله تعالى فأنعم على مجاوري الروضة المنورة بأنواع الهدايا، وكسا صندوق القبر الشريف بأثواب من أفخر أنواع الحرير المزركش والموشّى بالفضة والذهب، ونصب فوق القبر المطهر اثني عشر قنديلاً من الذهب الخالص،

---

(١) «تاريخ كربلاء» ص(١٥٦ ـ ١٥٧).
(٢) المصدر السابق ص(١٥٧).
(٣) المصدر السابق ص(١٦٢ ـ ١٦٣).
(٤) المصدر السابق ص(١٧١).
(٥) المصدر السابق ص(١٧١ ـ ١٧٥).
(٦) المصدر السابق ص(١٧٤).
(٧) المصدر السابق ص(١٧٥)، و«تاريخ الخلفاء» ص(٤٥١).
(٨) «تاريخ كربلاء» ص(١٧٧).
(٩) هو أعظم ملوك الدولة الصفوية الذي حوّل إيران من بلاد سنية إلى بلاد شيعية. انظر ترجمته وتاريخ دولته في: «تاريخ الشيعة» ص(٢١٧ ـ ٢٢٠) للشيخ محمد حسين المظفر، طبع دار الزهراء، بيروت.

تتلألأ كل واحدة منها كالشمس في رابعة النهار، وفرش الروضة الشريفة بأنواع البسط الحريرية البديعة والدقيقة الصنع، وأقام الولائم الملوكية الفاخرة لسدنة الحرم المقدس وخدامه، وقد قضى ذلك الملك العلوي العظيم ليلة كاملة من أولها إلى طلوع الشمس، وهو معتكف في الحائر منكَبٌّ على قبر جده الحسين عليه السلام)[(١)]، (وعند العودة إلى بغداد انصرف الشاه مرة أخرى إلى تعظيم العتبات المقدسة وتجليلها، فقرر أن يكون لكل واحدة منها (نقارة خانة) تقوم بأداء التحية الملكية لتلك المشاهد المشرفة صباحاً ومساء، على نمط بلاط الملوك وقصورهم، كما هو جارٍ لحد الآن بمشهد الرضا عليه السلام.

ثم أمر بجمع نخبة ممتازة من البارعين في صناعة الفسيفساء (الخاتم) بالتنبيت والتطعيم في الخشب من أطراف البلاد فأمر بصنع ستة صناديق خاتم من الفسيفساء مزينة بالنقوش الإسليمية والختائية (كذا) لمراقد الأئمة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء بدلاً عن صناديقها القديمة)[(٢)]، وقد تبعه في ذلك خلفاؤه[(٣)] لكن الذهب الذي زيِّنتْ به المآذن والقباب كان من عمل الدولة القاراجية[(٤)]، وقد جدد بعضها وزاد عليها السلطان ظاهر سيف الدين سلطان البهرة وذلك بعد عام (١٣٥٥هـ)[(٥)].

**وهذا وصف لمشهد الحسين رضي الله عنه وملحقاته من دليل المملكة العراقية بواسطة العتبات المقدسة:**

(ولما كانت حضرة الحسين عليه السلام وما يحيط بها لا تختلف عن حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلّا من حيث المساحة وعدد الغرف في الصحن، ولما كنا وصفنا حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصحنه وقبته، وما شاكل ذلك، فقد اقتصرنا في هذا البحث على وصف ضريح الحسين عليه السلام فقط.

ضريح الحسين، عبارة عن مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان أحدهما من الفولاذ الثمين ـ وهو الداخلي ـ والآخر من الفضة الناصعة البياض ـ وهو الخارجي ـ وتعلو الضريح الأواني الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة. وفي كل ركن من أركانه رمانة من الذهب الخالص، يبلغ قطرها قرابة النصف متر. ويتصل بهذا

---

(١) «تاريخ كربلاء» ص(٢٤٥ ـ ٢٤٦).
(٢) المصدر السابق ص(٢٤٦ ـ ٢٤٧).
(٣) المصدر السابق ص(٢٥١).
(٤) المصدر السابق ص(٢٥٥ ـ ٢٥٩).
(٥) المصدر السابق ص(٢٥٩ ـ ٢٦١).

المشبك الخارجي مشبك آخر لا يختلف عنه بمزية من مزاياه، ولا يوجد أي حاجز بينهما إلّا أنه يقصر بمتر واحد من كلٍّ من جانبيه. وقد رقد تحته علي بن الحسين، الذي استشهد مع أبيه في يوم واحد فدفن إلى جنبه عليه السلام. وأمام هذا المشبك ساحة مقدسة تضم مراقد الشهداء الذين استشهدوا مع الإمام. وفي زاوية من هذه الساحة مشبك من الفضة يتصل بالحائط. ويعرف ـ أيضاً ـ بمراقد الشهداء، الذي استبسلوا في حومة الوغي معه عليه السلام.

وفي صحن الحسين مئذنة منفردة، يقال لها: (منارة العبد) وهي مغشاة بالقاشاني الملون، ويروى عن سبب إنشائها في هذا المحل المنعزل، أن زنجياً كان يسكن الصحن، ويكتسب كسباً ضعيفاً، فاقتصد على نفسه حتى جمع ثروة مكّنته من تشييد هذا الأثر الخالد له.

وعلى مسافة قصيرة من صحن الحسين، يشاهد ضريح العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المقتول مع أخيه الحسين في يوم واحد وهو ـ أيضاً ـ وسط صحن كبير، لا يقل عن بقية صحون الأئمة من حيث هندسة البناء وضخامته، وكثرة المجوهرات والمرصعات التي اعتاد المسلمون أن يزينوا بها المراقد المقدسة.

وعلى بعد ثلاثة أميال من غربي كربلاء، مرقد الحر بن يزيد الرياحي الزعيم العراقي الذي جاهد مع الحسين ضد جيش يزيد بن معاوية. وقبره بديع، تعلوه قبة من القاشاني الملون. ويزوره أكثر الذين يزورون كربلاء. كما يقصده أكثر الآهلين للنزهة والرفاهة لما يحيط به من البساتين والجنات.

وعلى باب قبة القبر كتابة نصها: (قد عمِّر هذا المكان بهمة آقا حسين خان شجاع السلطان في ١٤ محرم سنة ١٣٢٥هجرية).

وكان أول من أظهر وشاد هذا القبر الشاه إسماعيل الصفوي، يوم دخل بغداد، وحكمها. وعلى مسافة سبعة أميال من شرقي كربلاء ـ بينها وبين المسيب ـ تشاهد قبة مزينة بالقاشاني ـ أيضاً ـ تلك هي قبة عون بن عبد الله بن جعفر الطيار وأمه زينب بنت علي، وقيل: الحوصاء، يقصده الزائرون لكربلاء في أكثر الأوقات للزيارة)[1]. ولم يكتف الشيعة بتعظيم قبر الحسين في كربلاء فقط، ولكنهم نسبوا إليه عدة مشاهد، فهناك مشهد في دمشق يسمى الرأس[2]، وكان هناك مشهد بعسقلان بُنِي أيام الدولة

---

(١) «العتبات المقدسة» (٨/ ١٥٥ ـ ١٥٧). (٢) «البداية والنهاية» (٨/ ٢٠٤).

الفاطمية[(١)]، ثم نُقِل الرأس بزعمهم إلى القاهرة، حيث يقوم اليوم عليه مسجد من أضخم وأشهر مساجد القاهرة وداخله ضريح ضخم كذلك[(٢)]، وقد قيل كذلك أن الرأس أُرْجِع إلى المدينة ودُفِن إلى جوار أمه وأخيه الحسن[(٣)]، وقيل غير ذلك.

**٤، ٥، ٦ ـ الإمام علي بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق: هؤلاء الثلاثة دفنوا بالبقيع بجوار الحسن رضي الله عنه والقول فيهم كالقول فيه رحمهم الله جميعاً.**

**٧، ٨ ـ الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم، وابن ابنه الإمام محمد بن علي الجواد**: ومشهدهما يعرف بالكاظمين من باب التغليب، ويقع في بغداد، ولم يكن عليهما مشهد، أو يحدث لهما مراسيم ظاهرة أيام العباسيين الأولين؛ لِما مرّ من أن الخلفاء في أول دولة بني العباس لم يسمحوا بظهور القبورية الشيعية، وقد أشارت الموسوعة إلى أنه كان يحدث شيء من ذلك بشكل خفي[(٤)]، ثم (بنيت على قبرهما بنية)[(٥)].

(وفي سنة (٣٣٦هـ) أمر معز الدولة السلطان أبو الحسن أحمد بن بويه بقلع العمارة المبنية على القبرين، ورفع الضريحين المذكورين، وبنى عمارة جليلة في مكانها، ووضع على القبرين الشريفين ضريحاً خشبياً من الساج، جميل الشكل حسن الطراز. وتعلو العمارة قبتان بديعتان، إحداهما لمولانا الكاظم عليه السلام والثانية لمولانا الجواد. وأمام العمارة القائمة صحن واسع رفيع الجدران، محكم البنيان وزيّن داخل العمارة بالتزيينات، وعلق فيها المعلقات والأضوية وغير ذلك، مما يزيد في حسنها وروعتها)[(٦)]. (وما زالت الدولة البويهية تتعهد هذا المشهد بالعمارة والتزيين والترميم

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ١٨٩)، و«الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة، الطبعة الأولى عام (١٩٩٧م)، تحقيق الدكتور محمد زينهم ومديحة الشرقاوي (٢/ ٢٠٤).

(٢) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٠٤): (وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك). وانظر لطريقة إحضاره ودفنه: الخطط المقريزية (٢/ ٢٠٤)، وانظر لتاريخ الرأس، وتنقلاته، ووصف المسجد المقام عليه: موسوعة «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» للدكتورة سعاد ماهر محمد (١/ ٣٧٨ ـ ٣٩٠).

(٣) انظر من ذكر ذلك من المؤرخين والمحدثين في: «مساجد مصر» (١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤).

(٤) «العتبات» (٩/ ١٦٢).

(٥) المصدر السابق (٩/ ١٦٣).

(٦) المصدر السابق (٩/ ١٦٣).

حتى كان ذلك على عهد الملك الرحيم آخر ملوك آل بويه سنة ٤٤٥هـ)[١]، ثم عُمِّر في أيام الدولة السلجوقية سنة (٤٩٠هـ)[٢] وفي زمن الخليفة الناصر لدين الله وكان رافضياً (عمَّر المشهد فصار ملاذاً حتى لأصحاب الجرائم)[٣]، ثم عُمِّر أيام السلطان أويس الجلائري عمارة فخمة وعمَّر القبتين والمنارتين[٤]، وفي عهد إسماعيل الصفوي قلع جميع البناء السابق، وعمره من جديد عمارة بديعة، ووضع صندوقين من النوع المعروف بالخاتم (المطعّم)، وعلّق عليهما القناديل والمعلقات، وفرش أرض الروضة ورواقها بالفرش الثمينة.

وكان إكمال هذه الخدمات سنة (٩٣٥هـ) على يد أخيه السلطان محمد خدا بنده[٥]، كما شاركت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني وابنه سليم الثاني في عمارة ذلك المشهد، وإدخال الإصلاحات عليه[٦]، وأما العمارة الحالية الفخمة المذهبة فإنها من عمارة الدولة القاراجية التي ابتدأت فيها سنة (١٢٩٣هـ)[٧]، وما تزال هذه العمارة كما هي تشهد على المبلغ الذي بلغه الشيعة في القبورية والوثنية حكاماً وعلماء وعامة.

## ٩ ـ الإمام الرضا علي بن موسى وهو الإمام التاسع من أئمتهم:

ومشهده بخراسان بقرية سناباذ التي اشتهرت فيما بعد بالمشهد، وتعتبر ثاني مدن إيران اليوم[٨]، وقد مات ذلك الإمام عام (٢٠٣هـ) ودفن إلى جوار قبر هارون الرشيد، وقيل: إن الدولة البويهية تقدموا بعمارة المشهد ثم أخربه الأمير سبكتكين.

وبالجملة بقي المشهد خراباً لا يجرؤ الشيعة على عمارته خوفاً من غيرهم، إلى أن تقدم بها السلطان محمود بن السلطان ناصر الدين سبكتكين، ثم عمَّره شرف الدين القُمّي على عهد السلطان سنجر السلجوقي، ولم تزل عمارته قائمة إلى أن خربها التتار، ثم تقدم بتجديدها السلطان محمد خدا بنده حفيد هولاكو، ثم قام بعد ذلك غير واحد من الملوك بتعمير المشهد والإنفاق على زينته، وكان من أبرز من عمَّرها وذهَّبها الصفويان شاه عباس وشاه سليمان، وفي عهدهما غشيت القبة بالذهب، وآخر من ذهَّبها الشاه سليمان الصفوي بعد أن خربها زلزال سنة

---

(١) المصدر السابق (٩/ ١٦٥).
(٢) المصدر السابق (٩/ ١٦٥).
(٣) المصدر السابق (٩/ ١٦٦ ـ ١٦٧).
(٤) المصدر السابق (٩/ ١٦٩ ـ ١٧٠).
(٥) المصدر السابق (٩/ ١٧٠ ـ ١٧١).
(٦) المصدر السابق (٩/ ١٧١).
(٧) المصدر السابق (٩/ ١٧٥).
(٨) المصدر السابق (١١/ ١٩١).

(١٠٨٤هـ)، وفرغ من تذهيبها سنة (١٠٨٦هـ)[١]، وآخر إصلاح وتجديد للضريح كان على يد محمد رضا شاه بهلوي[٢] ولا أدري إذا كانت دولة الآيات قد جددت شيئاً فيها أم لا.

**١٠، ١١ ـ مشهد العسكريين بسامرّاء، وفيه الإمام الهادي علي العسكري، وابنه الحسن بن علي العسكري:**

وقد لخص عمارته هذا التعليق على الموسوعة وأنا أكتفي به:

(أصل الحضرة في سامراء دار ابتاعها علي الهادي الإمام العاشر من دليل ابن يعقوب النصراني ( أ ) فلما توفي الإمام سنة (٢٥٤هـ ـ ٨٦٨م) دفن في داره ولما توفي ولده الحسن العسكري الإمام الحادي عشر سنة (٢٦٠هـ ـ ٨٧٣م) دفن إلى جوار أبيه فكان قبر الإمامين عليهما السلام نواة حضرتهما (ب) فلما كانت أيام ناصر الدولة الحمداني سنة (٣٣٣هـ ـ ٩٤٤م) بنى قبة على الضريحين وسوّرهما بسور متين، فلما كانت أيام الدولة البويهية أنفق معز الدولة ثالث ملوكهم أموالاً جزيلة لمواصلة تعمير قبة العسكريين ولسرداب الغيبة وجعل لضريحيهما صندوقاً من الخشب ورتب لهما الحجاب وأجرى لهما الأرزاق).

(ج) فلما انتقل الملك إلى ابن أخيه، عضد الدولة البويهي أمر بعمارة الروضة والأروقة، ووسَّع الصحن وشيد سوراً للبلد الذي أخذ بالاتساع، وكان ذلك في عام (٣٦٨هـ ـ ٩٧٨م)، وفي سنة (٤٤٤هـ ـ ١٠٥٢م) أمر البساسيري بعمارة عالية على قبر الإمامين. وفي سنة (٦٤٠هـ ـ ١٢٤٢م) وقع حريق في مشهد «سرّ مَن رأى» فأتى على ضريحي علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، فتقدم الخليفة المستنصر بالله بعمارة المشهد المقدس والضريحين الشريفين وإعادتهما إلى أجلّ حالاتهما، وكان الضريحان مما أمر بعملهما أرسلان البساسيري، (د) أما العمارة التي تشاهد للعسكريين في سامرّاء اليوم فقد شرع في تشييدها أحمد خان الدنبلي من حكام أذربيجان في حدود سنة (١٢٠٠هـ ـ ١٧٨٥م)، وأتمها ولده حسين قلي خان الدنبلي سنة (١٢٢٥هـ ـ ١٨١٠م)، وكان ذلك برعاية محمد السلماسي، فقد أنفق الوالد وولده مبالغ طائلة على توسيع الصحن والأروقة، أبدلا الأخشاب والأحجار وكتبا آياً من الذكر الحكيم في أعلى الجدران كما هو ثابت للعيان، وفي سنة (١٢٨٥هـ ـ

(١) المصدر السابق (١١/ ١٩٩).

(٢) المصدر السابق (١١/ ٢٢٥).

١٨٦٨م) أمر ناصر الدين شاه إيران بتجديد شباك الضريحين وغشى القبة بالذهب الإبريز، والمآذن بالقاشاني البديع كما هو مسطور على جوانب القبة الأربعة)(١)، هذه هي أضرحة ومشاهد أئمة الشيعة الذين يقرون بموتهم.

وأما الإمام الثاني عشر منهم فإنهم لا يقرون بموته ولكنهم يقولون بغيبته وأنه سيظهر آخر الزمان، ومع ذلك فإن له مقاماً يسمى سرداب الغيبة ضمن مشهد سامراء، وهم يزورونه ولهم فيه اعتقادات ضالة كثيرة(٢)، وما يفعلونه عند زيارة السرداب يدل على أنهم يعتقدون وجوده فيه، وإن كانوا نظرياً ينفون ذلك، وخير مثال على هذا التناقض ما يقوله صاحب «دليل الزائر إلى العتبات المقدسة في العراق» فإن ما يُلقَّن للعوام، ويطلب منهم عمله يفهم منه وجود الغائب في ذلك السرداب، ومع ذلك يحاول أن يزيل عن طائفته وصمة العار الذي يلحقها بذلك الاعتقاد فيقول: (إذا فرغت من زيارة العسكريين عليهما السلام فامضِ إلى السرداب لأجل زيارة المهدي عليه السلام، وهي مستحبة في كل موضع سيما في السرداب الذي هو محل غيبته عليه السلام، وهو سرداب الدار التي كان يسكنها العسكريان والمهدي عليهم السلام، وظهرت له فيه معجزة مذكورة في محلها، فشَرَفُه باعتبار سكنى الأئمة الثلاثة عليهم السلام وصلاتهم وعبادتهم فيه، وحصول الغيبة منه وليس معناه أن صاحب الزمان موجود فيه كما يتوهم، فامض إلى السرداب المقدس وقفْ على بابه وقل: اللهم إني وقفتُ على بابٍ من أبواب بيوت نبيك صلواتك عليه وآله، وقد منعت الناس من الدخول إلى بيوته إلا بإذنه؛ فقلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥٣] اللهم وإني أعتقد حرمة نبيك في غيبته كما أعتقدها في حضرته، وأعلمُ أن رسلك وخلفاءَك أحياءٌ عندك يرزقون فرحين، يرون مقامي «مكاني» ويسمعون كلامي ويردُّون عليَّ سلامي، وأنك حجبتَ عن سمعي كلامهم، وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم، فإني أستأذنك يا رب أولاً وأستأذنُ رسولك صلوات الله عليه في الدخول في ساعتي هذه إلى بيته، وأستأذنُ ملائكتك الموكّلين بهذه البقعة المباركة المطيعة لك السامعة، السلام عليكم أيها الملائكة الموكلون بهذا المشهد الشريف المبارك ورحمة الله وبركاته، بإذن رسوله وإذن خلفائه وإذن هذا الإمام وإذنكم صلوات الله عليكم أجمعين أدخل هذا البيت، متقرباً إلى الله ورسوله محمد

(١) «الموسوعة» (١٢/١٦٩ ـ ١٧٠).

(٢) انظرها في: «أصول مذهب الشيعة» (٢/٨٥٩ ـ ٨٦١).

وآله الطاهرين، فكونوا ملائكةَ الله أعواني وكونوا أنصاري حتى أدخل هذا البيت وأدعو بفنون الدعوات، وأعترف لله بالعبودية ولهذا الإمام وآبائه صلوات الله عليهم بالطاعة. ثم تنزل السرداب مقدماً رجلك اليمنى وتقول: بسم الله وبالله في سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وكبِّر الله واحمده وسبّحه وهلِّلْه.

فإذا نزلت إلى الساحة الأولى من السرداب المحترم؛ فقف على الباب المحاذي للحرم الشريف[١] وقل: السلام عليك يا خليفة الله وخليفة آبائه المهديِّين، السلام عليك يا وصيَّ الأنبياء الماضين، السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين، السلام عليك يا بقية الله من الصفوة المنتجَبين، السلام عليك يا ابن الأنوارِ الزاهرة، السلام عليك يا ابن الأعلام الباهرة، السلام عليك يا ابن العِترة الطاهرة، السلام عليك يا مَعدن العلوم النبوية، السلام عليك يا باب الله الذي لا يؤتى إلّا منه، السلام عليك يا سبيل الله الذي من سلك غيره هلك، السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى، السلام عليك يا نور الله الذي لا يُطفأ، السلام عليك يا حجة الله التي لا تخفى، السلام عليك يا حجة الله على من في الأرض والسماء، السلام عليك سلام من عرفك بما عرفك به الله ونعتك ببعض نعوتك التي أنت أهلها وفوقها، أشهد أنك الحجة على من مضى ومن بقي، وأن حزبك هم الغالبون، وأولياءك هم الفائزون، وأعداءَك هم الخاسرون، وأنك خازن كلِّ علم، وفاتقُ كل رتق، ومحقق كل حق، ومبطل كل باطل، رضيتك يا مولاي إماماً وهادياً ووليّاً ومرشداً، لا أبتغي بك بدلاً ولا أتخذ من دونك وليّاً، أشهد أنك الحق الثابت الذي لا عيب فيه، وأن وعد الله فيك حق لا أرتاب لطول الغيبة وبعد الأمد، ولا أتحير مع مَن جهلك وجهلَ بك، منتظر متوقع لأيامك، وأنت الشافع الذي لا تنازَع، والوالي الذي لا تدافع، ذخَرَك الله لنصرة الدين وإعزاز المؤمنين والانتقام من الجاحدين والمارقين، وأشهد أن بولايتك تُقبَل الأعمال وتُزكّى الأفعال وتضاعف الحسنات وتمحى السيئات، فمن جاء بولايتك واعترفَ بإمامتك قُبِلتْ أعماله وصدِّقت أقواله وتضاعفت حسناته ومحِيت سيئاته، ومن عدَل عن ولايتك وجهل معرفتك واستبدل بك غيرك كبَّه الله على منخره في النار، ولم يقبل الله له عملاً ولم يقِم له يوم القيامة وزناً، أُشهِد الله وملائكته وأشهدك يا مولاي بهذا، ظاهره كله

(١) يعنون به حرم السرداب الذي فيه منتظرهم.

كباطنه وسره كعلانيته، وأنت الشاهد على ذلك، وهو عهدي إليك وميثاقي لديك، إذ أنت نظام الدين ويعسوب المتقين وعزّ الموحدين، وبذلك أمرني رب العالمين، فلو تطاولتِ الدهور وتمادت الأعمار لم أزدد فيك إلّا يقيناً، ولك إلّا حباً، وعليك إلّا متكلاً ومعتمداً، أو لظهورك إلّا متوقعاً ومنتظراً، ولجهادي بين يديك مترقباً؛ فأبذل نفسي ومالي وولدي وأهلي وجميع ما خوَّلني ربي بين يديك، والتصرف بين أمرك ونهيك، مولاي فإن أدركت أيامك الزاهرة وأعلامك الباهرة: فها أنا ذا عبدك المتصرف بين أمرك ونهيك، أرجو به الشهادة بين يديك والفوز لديك، ـ مولاي ـ فإن أدركني الموت قبل ظهورك فإني أتوسل بك وبآبائك الطاهرين إلى الله تعالى وأسأله أن يصلي على محمد وآل محمد، وأن يجعل لي كرة في ظهورك، ورجعة في أيامك؛ لأبلغ من طاعتك مرادي وأشفي من أعدائك فؤادي، ـ مولاي ـ وقفت في زيارتك موقف الخاطئين النادمين، الخائفين من عقاب رب العالمين، وقد اتَّكلتُ على شفاعتك، ورجوت بموالاتك وشفاعتك محوَ ذنوبي وستر عيوبي ومغفرة زللي، فكن لوليك يا مولاي عند تحقيق أمله، واسأل الله غفران زلله، فقد تعلَّق بحبلك وتمسك بولايتك وتبرأ من أعدائك، اللهم صلِّ على محمد وآله، وأنجزْ لوليِّك ما وعدته، اللهم أظهر كلمته وأعلِ دعوته، وانصره على عدوه وعدوك يا رب العالمين، اللهم صل على محمد وآل محمد، وأظهرْ كلمتك التامة ومغيَّبك في أرضك الخائف المترقب، اللهم انصره نصراً عزيزاً، وافتح له فتحاً يسيراً، اللهم وأعزَّ به الدين بعد الخمول، وأطلع به الحق بعد الأفوال، وأجلِ به الظلمة، واكشف به الغمة، وآمن به البلاد واهد به العباد، اللهم املأ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، إنك سميع مجيب، السلام عليك يا ولي الله، ائذن لوليك في الدخول إلى حرمك صلوات الله عليك وعلى آبائك الطاهرين ورحمة الله وبركاته)[١].

أوَ ليس هذا السلام بهذه الصيغة يدلُّ على اعتقاد وجود المهدي في هذا المكان؟ فهذه الجولة على هذه المشاهد تدل دلالة واضحة على مبلغ قبورية الشيعة وغلوها في أئمتها، وقد اقتدى بهم الشيعة في كل مكان فعملوا ما يقدرون عليه من تعظيم وتقديس لأوليائهم ولمن ينسب لأهل البيت.

---

(١) انظر: «دليل الزائر إلى العتبات المقدسة في العراق» ص(١٨٥ ـ ١٨٨) لمحمد الشهيد، مؤسسة سيد الشهداء، الطبعة الأولى، بيروت، سنة (١٤١٩هـ).

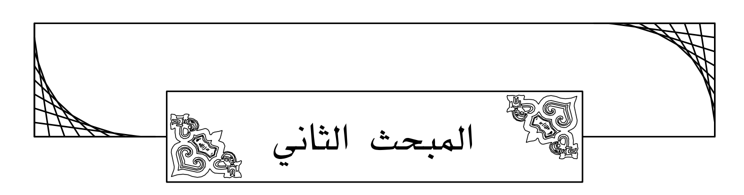
## قبورية الإسماعيلية الفاطمية:

لقد شاع واشتهر ـ عن هذه الدولة القائمة على العقيدة الإسماعيلية الباطنية الغالية ـ أنها من أكثر الدول عناية بالقبور، وإنشاء للمشاهد والقباب والترب الفخمة، وسنَّ العوايد والرسوم لزيارتها، وقد وصف المقريزي التربة المعزية ـ التي أنشأها المعز لدين الله لدفن آبائه وجعلها من ضمن مرافق قصره ـ فقال: (كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية، وفيها دفَن المعزّ لدين الله آباءه الذين أحضرهم في توابيت معه من بلاد المغرب، وهم الإمام المهدي عبيد الله، وابنه القائم بأمر الله محمد، وابنه الإمام المنصور بنصر الله إسماعيل، واستقرت مدفناً يدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساؤهم، وكانت تعرف بتربة الزعفران، وهو مكان كبير من جملته الموضع الذي يعرف اليوم بخط الزراكشة العتيق ومن هناك بابها، ولما أنشأ الأمير جهاركس الخليلي خانه المعروف به في الخط المذكور أخرج ما شاء الله من عظامه، فألقيت في المزابل على كيمان البرقية)[١]، ثم ذكر أنهم كانوا يسرجونها وبعض المشاهد الأخرى بقناديل الذهب[٢].

وقد خصصت الدكتورة سعاد ماهر معظم الجزء الأول من موسوعتها «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» للمشاهد التي أنشأتها الدولة الفاطمية، وذلك من كثرتها فانظره[٣]، وكما بنوا المشاهد على القبور المعروفة، فقد اخترعوا قبوراً لا حقيقة لها ونسبوها للأئمة من أهل البيت[٤].



(١) «الخطط المقريزية» (٢/ ١٦١).
(٢) المصدر السابق ص(٢/ ١٦٢).
(٣) ص(٩٢ ـ ٥٤٤).
(٤) ص(١٦٧).




# الصوفية ربيبة الشيعة ناشرة القبورية في الأمة المحمدية

## وفيه خمسة مطالب:

### المطلب الأول: التعريف:

### في اللغة:

الصوفية مشتقة من الصوف على أرجح الأقوال؛ وذلك لأن لباس الصوف هو الغالب على أصحاب هذه الفرقة لمبالغتهم في الزهد والتقشف كما يقولون[١]؛ ولذلك تراهم يقدسونه ويجلونه، قال أحمد زيني دحلان: (وحُكي عن الشيخ عبد الرحمن القناوي رضي الله عنه[٢] أنه رأى مرة في عنق كلب خرقة من صوف فقام له إجلالاً للخرقة الصوف المنسوبة للصوفية)[٣].

### في الاصطلاح:

لقد كثرت عبارات أهل التصوف كثرةً لا يمكن معها للباحث أن يصل إلى

---

(١) وممن قال بذلك السراج الطوسي في «اللمع»، وأبو طالب في «قوت القلوب»، والسهروردي في «عوارف المعارف»، وغيرهم من المتأخرين: د. زكي مبارك، ود. عبد الحليم محمود، ومن المستشرقين عدد كبير أمثال: مرجليوث ونيكلسون، وماسنيون، ونولدكه، وغيرهم. وهو ما رجحه ابن تيمية وابن خلدون. انظر: «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» للشيخ محمد أحمد لوح (١/ ٣٧)، طبع دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م)، وهي رسالة لنيل درجة الماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية.

(٢) أبو محمد عبد الرحيم المغربي القناوي، توفي سنة (٥٩٢هـ). انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» للشعراني (١/ ١٣٥)، طبع دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، و«الإعلام» (٣/ ٢٤٣).

(٣) أحمد زيني دحلان، «تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الله والرسول ﷺ» ص(٢٢٠)، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م).

حقيقة ثابتة مقنعة، حتى إن الشيخ زروق[١] في قواعد التصوف قال: (وقد حُدَّ التصوف ورُسِم وفُسِّر بوجوه تبلغ نحو الألفي مرجع، كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه)[٢]، وقد لخّص الدكتور إبراهيم هلال تلك التعريفات فقال: (رغم كثرة التعريفات التي عُرّف بها التصوف الإسلامي في كتب التصوف وغيرها فإننا نستطيع أن نقول: إن التصوف ـ كما يراه الصوفية في عمومه ـ هو السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجوع، والسهر في صلاة أو تلاوة ورد، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي، ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي، فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم، سعياً إلى تحقيق الكمال النفسي كما يقولون، وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها، وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة)[٣]، وهذا تلخيص لتعريفات أئمة التصوف.

وأما المخالفون فيقولون: (التصوف طريقة زهدية في التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية «الميتافيزيكية» مما لم يقم على صحتها دليل لا في الشرع ولا في العقل)[٤]، ويرى الباحثان محمد أحمد لوح وإدريس محمود إدريس: أن تلك التعريفات الكثيرة والمختلفة التي أطلقها أئمة المتصوفة إنما تعبر عن جملة من الأصول والعقائد التي لم يستطيعوا التصريح بها[٥].

---

(١) أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي المغربي المعروف بزروق، له مؤلفات في التصوف، منها شروح للحكم العطائية مما يدل على أنه كما قال السخاوي: (والغالب عليه التصوف والميل كما يقال إلى ابن عربي ونحوه)، توفي سنة (٨٩٩هـ). انظر: «الضوء اللامع» (١/ ٢٢٢)، و«الإعلام» للزركلي (١/ ٩١).

(٢) عبد القادر عيسى في حقائق عن التصوف ص(١٥)، طبع مكتبة دار العرفان، حلب، الطبعة الخامسة سنة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

(٣) الدكتور إبراهيم هلال في كتاب «التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة» بواسطة «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية» (١/ ٣١) للشيخ إدريس محمود إدريس، طبع مكتبة الرشد، الرياض، وشركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

(٤) «التصوف بين الحق والخلق» ص(٧) للشيخ محمد فهر شقفة، طبع الدار السلفية بالكويت، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

(٥) انظر: «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (١/ ٤٣)، و«مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» (١/ ٣٠).

**المطلب الثاني: نشأة التصوف:**

لقد كانت حياة الرسول ﷺ وحياة أصحابه أروع مثال للعبودية لله تعالى والسلوك السويّ الذي يحبه الله تعالى، فحياتهم وسلوكهم هي المثال الذي يجب احتذاؤه والتأسي به، إذ مهما اجتهد مجتهد من أجل أن يساويهم في ذلك فلن يستطيع فضلاً عن أن يأتي بأفضل منهم، ولذلك أرشدنا الحق ﷻ إلى التأسي بالرسول ﷺ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، كما أخبرنا ﷻ أن أكمل الإيمان هو إيمانه وإيمان من معه وأحسن الهدي هو هديهم فقال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وحذر ﷻ من مخالفة سبيلهم فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ولقد كان أصحاب الرسول ﷺ أكثر الناس زهداً، وأشدَّهم خوفاً من الله تعالى، وأعدَلهم عبادة، وأبعدهم عن الشهوات، وأسلمهم من فتن الدنيا، ولقد كان رسول الله ﷺ يحث المقصِّر منهم ويرد المشدِّد على نفسه، كما أرشد عبدَ الله بن عمر بن الخطاب إلى قيام الليل حين لم يكن فيه مسابقاً[١]، وردَّ عبد الله بن عمرو بن العاص عن ذلك وعن مواصلة الصيام حينما كلَّف نفسه من ذلك فوق حدّ الاعتدال[٢].

وغضب غضباً شديداً على من حرَّم على نفسه ما أباح الله[٣]، وكان قد ربَّى أصحابه على الزهد في الدنيا، وصوَّر لهم حقارتها وهوانها على الله، حينما مثّل هوانها على الله بهوان الجدي الأسكّ على صاحبه[٤]، وأنها لو كانت تساوي عند الله

(١) انظر: «البخاري مع الفتح» (٣/٦)، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، و«مسلم مع النووي» (١٦/٣٩)، كتاب الفضائل، باب فضائل عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما.

(٢) انظر: «البخاري مع الفتح» (٣/٣٨)، كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، و«مسلم مع النووي» (٨/٤٢ ـ ٤٣)، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر وتفضيل صوم يوم وإفطار يوم.

(٣) انظر: «البخاري مع الفتح» (٩/١٠٤)، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، و«مسلم مع النووي» (٩/١٧٥)، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه ووجد مؤنة واشتغال مَن عجز عن المُؤَن بالصوم.

(٤) انظر: مسلم في «صحيحه» (١٨/٩٣) مع شرح النووي في كتاب الزهد.

جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربه ماء[١].

فكان ذلك الجيل الفريد الذي لم ترَ الدنيا أكمل ولا أفضل منه على الإطلاق، ولم يتميز أحد منهم بمذهب خاص، لا في الزهد ولا في العبادة ولا في التصور والنظر للحياة الدنيا، بل كانوا متقاربين في ذلك، وعلى ذلك كان كبار التابعين، ولم يكن للتصوف الحادث ذكر فيهم ولا وجود بينهم، حتى لقد أنكر الإمام ابن الجوزي على أبي نعيم عدَّ عددٍ من الصحابة والتابعين وتابعيهم في الصوفية، فقال: (وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب «الحلية» وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة، ولم يستحِ أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً وسادات الصحابة ﷺ، فذكر عنهم فيه العجب، وذكر منهم شريحاً القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل، وكذلك ذكر السُّلمي في «طبقات الصوفية»: الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخي[٢] وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد)[٣]، وبهذا يتضح أن ابن الجوزي يرى أن هؤلاء جميعاً ليسوا من الصوفية الذين شملهم حد التصوف المبتدع.

ويرى أكثر المؤرخين للتصوف: أن بدء ظهور اسم التصوف كان في القرن الثاني الهجري[٤]، ولكن هذه التسمية لم تكن مشهورة في القرون الثلاثة المشهود لها بالخير[٥]، وقد اشتهر في القرن الثاني والقرن الثالث عدد من الزهاد والعباد الذين انتسب إليهم الصوفية واعتبروهم من أئمتهم وفاخروا بهم، رغم أنهم لم يبدُ منهم

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٦٠)، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ، وقال الترمذي: حديث صحيح غريب من هذا الوجه، والحديث صححه الشيخ الألباني في «صحيحه» (٢/ ٢٦٩).

(٢) هو معروف بن فيروز الكرخي أحد الزهّاد الصالحين الذين لم يبتلوا بفلسفة الصوفية، أثنى عليه علماء أهل السنّة. انظر ترجمته في: «السير» (٩/ ٣٣٩)، و«طبقات الصوفية» ص(٨٣) لأبي عبد الرحمٰن السلمي بتحقيق نور الدين شريبة، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

(٣) «تلبيس إبليس» ص(٢١٦) للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق عصام الحرستاني، تخريج محمد الزغلي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

(٤) انظر: «مقدمة ابن خلدون» ص(٤٦٧)، طبع مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، و«تاريخ التصوف الإسلامي» ص(٧) للدكتور عبد الرحمٰن بدوي، طبع وكالة المطبوعات بالكويت سنة (١٩٩٣م).

(٥) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٥).

شيء من انحرافات الصوفية الخطيرة، أو فلسفتهم المنقولة عن الأمم الكافرة الأخرى، منهم إبراهيم بن أدهم (ت١٦٢هـ)[١] وأبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ)[٢]، وبشر الحافي (ت٢٢٧هـ)[٣]، والجنيد بن محمد البغدادي (ت٢٩٧هـ)[٤]، وسهل بن عبد الله التستري (ت٢٨٣هـ)[٥] وغيرهم.

كما ظهر في نفس الفترة تقريباً من أظهر بعض الانحراف وحذر معاصروه ـ من الأئمة ـ منه أو من ذلك الذي ظهر منه. منهم الحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٤٣هـ)[٦].

قال الذهبي: (قلت: المحاسبي كبير القدر وقد دخل في شيء يسير من كلام القوم فنُقم عليه، وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه وحذر منه.

قال سعيد بن عمر البرذعي: شهدت أبا زرعة الرازي وسئل عن المحاسبي وكتبه فقال: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر تجد غنية، هل بلغكم أن مالكاً والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس؟ ما أسرع الناس إلى البدع)[٧].

قلت: نفهم من كلام الذهبي أمرين:

**الأمر الأول**: أن السلف الصالح كانوا ينكرون تلك المسالك التي عبَّر عنها الذهبي باليسيرة، ويسمونها بدعاً وضلالات ويهجرون أصحابها ويحذرون منهم، كما رأيتَ من كلام أبي زرعة، بل يتعدى الأمر إلى الزجر والعقوبة كما فعل الإمام أحمد حين هجر الحارث لما بلغه عنه ذلك[٨].

**الأمر الثاني**: أن الانحراف يبدأ دقيقاً ثم يتسع وهذا ما سنعرفه في آخر هذا المطلب.

أما الشخصية الثانية من أئمة الصوفية التي عاشت في هذه الفترة فهو أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى (ت٢٦١هـ) قال ابن كثير عنه: (وقد حُكي عنه شطحات

---

(١) «تقريب التهذيب» ص(١٠٤)، و«طبقات الصوفية» ص(٢٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٨٢)، و«طبقات الصوفية» ص(٧٥).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٦٩)، و«طبقات الصوفية» ص(٣٩).
(٤) «السير» (١٤/ ٦٦)، و«طبقات الصوفية» ص(١٥٥).
(٥) «السير» (١٣/ ٣٣٠).
(٦) «السير» (١٢/ ١١٠ ـ ١١٢).
(٧) «السير» (١٢/ ١١١ ـ ١١٢).
(٨) «السير» (١٢/ ١١٢).

ناقصات، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية وحملوها على محامل بعيدة، وقد قال بعضهم: إنه قال ذلك في حال الاصطلام[١] والغيبة، ومن العلماء من بدّعه وخطأه وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنها تدل على اعتقاد فاسد كامن في القلب ظهر في أوقاته والله أعلم)[٢].

(ولقد كان لأبي يزيد أثرٌ قويٌ في الانحراف بالتصوف نحو الفلسفة والعقائد التي لم تكن ظاهرة عند من سلف من الصوفية، مثل (الفناء)[٣] و(وحدة الوجود[٤]))[٥].

ثم جاء من بعده شخصية هي أخطر وأشد تأثيراً وأكثر ظهوراً وتميزاً، أعلن مبادئه وصرّح بمعتقده، ومع أنه قد وُسم بعقائد ضالة وأعمال منكرة وجرأة غير مسبوقة، ذلكم هو الحسين بن منصور الحلاج[٦] الذي حكم علماء عصره عليه بالزندقة الموجبة لقتله بل قُتل فعلاً وصلب رأسه بعد أن أحرقت جثته[٧]، وبرغم أن قتله كان عن فتوى واتفاق من عدد كبير من الفقهاء والصوفية المعاصرين له[٨]، وبرغم أقواله الصريحة في الحلول والتي منها:

(سبحان من أظهر ناسوته		سرّ سنا لاهوته الثاقب

---

(١) الاصطلام وهو: نوعُ وَلَهٍ يَرِدُ على القلب فيسكن تحت سلطانه. انظر: «اصطلاحات الصوفية» ص(١٥)، إعداد الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، طبع مطبعة مدبولي، الطبعة الأولى سنة (١٩٩٩م).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٣٥). وانظر: «السير» (١٣/ ٨٦ ـ ٨٩)، و«ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٦٦)، و«طبقات الصوفية» ص(٦٧).

(٣) هو: الفناء وعدم الإحساس بعالم الملك والملكوت وهو الاستغراق في عظمة الباري. «التعريفات» للجرجاني، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م)، ص(١٦٩).

(٤) وحدة الوجود: تعني ـ في العقيدة الصوفية ـ أنه ليس هناك موجود إلا الله، فليس غيره في هذا الكون، ما هذه الظواهر التي نراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. انظر: «الاصطلاحات الصوفية» ص(١٦٩).

(٥) «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» (١/ ٤٤).

(٦) الحسين بن منصور الحلاج أبو مغيث، فيلسوف، توفي سنة (٣٠٩هـ). انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٨/ ١١٢) للحافظ الخطيب البغدادي، طبع المكتبة السلفية، المدينة المنورة، بدون تاريخ، و«البداية والنهاية» (١١/ ١٣٢).

(٧) انظر: «السير» (١٤/ ٣٤١).

(٨) المصدر السابق (١٤/ ٣٤٠). وانظر: «البداية والنهاية» (١١/ ١٣٩).

ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب)[١]

و(ما في الجبة إلا الله)[٢] إلى غير ذلك، ومع ما نقل عنه من استخدام السحر والجان والشعوذة[٣]، أقول: مع كل ما قيل ونقل عنه نجد أن غلاة الصوفية قد سلكوا سبيله وساروا على منهاجه ووسّعوا ما بدأه من الانحراف، حتى ظهر ابن عربي وأشاع من ذلك ما لم يجرؤ على إشاعته أحد من قبله، ومع ما حصل من الصوفية المعاصرين له من اختلاف في أمره؛ إلّا أن من جاء بعدهم مال إلى ولايته وركَن إلى تقرير منهاجه وعقيدته، وأوَّلَ ـ بتكلّف ـ ما جاء عنه من طوام وبلايا، يشهد أن الكل يصدر عن منهل واحد ويحوم حول حقيقة واحدة يتفق أصلها وتتلون فروعها.

بهذا السّلمي يترجم له في طبقاته[٤]، والقشيري يورد عقيدته بين عقائد أئمة التصوف وأساطينه[٥]، واليافعي في مرآة جنانه قد أطال في ترجمته وذكر اعتذار الصوفية له، وصرَّح أنه نقل عن ابن خلكان؛ لأنه أقرب إلى الصوفية، وشنّع على الذهبي بما أورده في ترجمة الحلاج ونَبَزَهُ، مما يدل على تمكّن الاقتناع بولاية الحلاج، وبُعدٍ عن منهج السلف وأهل الحديث ـ الذين تكلم الذهبي بلسانهم وسار على طريقهم ـ وقد أورد فيه الثناء والتزكية لكبار مشايخهم وهم: أبو العباس بن عطاء وأبو القاسم النصرآباذي وأبو عبد الله بن خفيف وعبد القادر الجيلاني وشهاب الدين السهروردي وحجة الإسلام الغزالي[٦]، وعلى ذلك فإن معظم الصوفية المعاصرين له والآتين بعده يقولون بتزكيته واعتماده.

---

(١) المصدر السابق (١٤/ ٣٢٥).

(٢) «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد» ص(٣٣) للإمام الشوكاني، تحقيق محمد صبحي حلاق، الطبعة الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م)، دار الهجرة بصنعاء.

(٣) الشعوذة: خفة في اليد وأخذ كالسحر يُرِي الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. «القاموس» ص(٤٢٧). انظر ترجمته الواسعتين في: «السير»، و«البداية والنهاية» في الموضعين السابقين في التعليق رقم (٦) في الصفحة السابقة.

(٤) «الطبقات» ص(٣٠٧).

(٥) «الرسالة القشيرية في علم التصوف» ص(١٨) لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ببيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

(٦) «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» لليافعي (٢/ ٢٥٣).

وحتى صوفية حضرموت الذين يدّعون الاعتدال وينهون أتباعهم عن قراءة كتب الحلاج وابن عربي هم في الواقع أو بعضهم على الأقل لا ينكرون ما عند القوم، بل يعتقدون صوابه مهما خالف ظاهر الشريعة وأن له تأويلاً سائغاً، وإنما ينهى عنه القاصرون خوفاً عليهم من أن يفهموا منه خلاف المراد أو أن يبادروا بالتصريح بموافقة تلك الأقوال التي تعمدوا أن يوهموا العامة بُعْدَهم عنها، وإلّا فهذا أحد كبارهم ومعتمديهم ومن تؤخذ أقواله حجة لدى القوم ـ لأنه يتكلم بلسان الحقيقة ـ وهو الشيخ عبد الرحمٰن السقاف يقول في معرض كشوفاته: (اطَّلعْنا على الحلاج وظننا أن بزجاجته كسراً فوجدناها ترشح وليس بها كسر)[١].

وبهذا ترى أن البذرة الباطنية التي بذرها أبو يزيد وسقاها ونمَّاها الحلاج وشارك في نشرها وتعميقها أطراف عديدة ـ قد سرت في عروق المتصوفة وسيطرت على عقولهم ودانت بها أنفسهم لا فرق بين جيل وجيل ولا بلد وبلد إلّا ما شاء الله.

ثم جاء القرن الرابع الذي تمكن فيه غلاة الشيعة من مقاليد الحكم في أنحاء البلاد الإسلامية، حيث حكم شمالَ العراق والشام الحمدانيون من الشيعة الغلاة من (٣١٧ ـ ٣٩٤هـ)، والبويهيون العراقَ وإيران ومعظم أماكن نفوذ العباسيين من (٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ)، والقرامطة في الجزيرة العربية في البحرين واليمن وغيرهما من (٢٧٠ ـ ٣٠٣هـ)، والفاطميون احتلوا مصر وامتد نفوذهم إلى الحجاز واليمن والشام (٣٥٨ ـ ٥٦٩هـ).

في القرن الرابع وجزء كبير من القرن الخامس كانت الشيعة الغالية بل الباطنية منهم يحكمون معظم أجزاء البلاد الإسلامية، وقد تمكنوا من غرس مبادئهم ونشر عقائدهم وتوطين شعائرهم الضالة في بلاد المسلمين، فكان من الطبيعي أن يأخذ عنهم صوفية تلك الفترة تلك العقائد، ويتشربوا تلك المبادئ ويركنوا إلى تلك الشعائر.

وهذا ما قرّره العلامة ابن خلدون حيث قال: (ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه، وملأوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره، وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف

---

(١) «المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي» (١٤٣/٢)، تأليف محمد بن أبي بكر الشلي العلوي، طبع بالمطبعة العامة الشرقية، الطبعة الأولى (١٣١٩هـ).

وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأُشرِب كل واحد من الفريقين مذهبَ الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم)[١].

وبانتهاء سيطرة الشيعة الغلاة ورجوع السلطة إلى أهل السنة كانت السلطة الروحية للصوفية قد بلغت شأواً بعيداً، وقد أصبح لها هيمنة على الأمة مما جعل السلاطين السنيين يتسابقون في طلب ودّهم، بل يتقربون إليهم بأغلى ما يقدرون عليه من الدعم ليكسبوا ولاءهم ومن ثَمَّ يكسبون ولاء الأمة المتعلقة بهم، فهذه الدولة السلجوقية تتقرب من الصوفية تقرباً كبيراً، وتكرم كبارهم إكراماً لا مزيد عليه، وهي التي تظهر في زمانها الخانقاوات[٢] الصوفية والأربطة والمشاهد، فالوزير نظام المُلْك قد قرّب الصوفية وأحبهم وخضع لهم[٣]، وبتأثيرهم عُمِّرَ على عهده عدد من المشاهد من أهمها بناء القبة على قبر أبي حنيفة[٤]، كما حاول نقل رفات الإمام الشافعي من مصر ليدفنه لديه ويقيم عليه قبة هناك[٥].

وعلى العموم فإن المشاهد في العراق خارج نطاق مشاهد الشيعة قد انتشرت في هذه الفترة من القرن الخامس الهجري[٦]، وفي نفس الفترة وقبلها بقليل كتبت أهم الكتب التي تعتبر دستور الصوفية ومنبع أفكارهم وعقائد سلوكهم، ففي أواخر القرن الرابع ألّف أبو عبد الرحمٰن السُّلمي[٧] طبقات الصوفية[٨]، وفي سنة (٤٣٧هـ) ألّف القشيري الرسالة القشيرية[٩]، وفي حوالي سنة (٤٨٨هـ) ألّف حجة الإسلام الغزالي

---

(١) «مقدمة ابن خلدون»، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، وسيأتي كلامه كاملاً مخرجاً في المطلب الثالث.

(٢) خانقاوات: جمع خانقاه وهي رباط الصوفية. «المعجم الوسيط» (١/ ٢٦٠).

(٣) «السير» (٩/ ٩٥)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٤٠).

(٤) «السير» (١٩/ ١٨٨)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ١٦١)، و«مرآة الجنان» (٣/ ٨٣).

(٥) «الخطط» للمقريزي (٣/ ٦٩٢ ـ ٦٩٣).

(٦) «العمارة العربية الإسلامية لنشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي» ص(٤٣)، تأليف د. كامل حيدر، طبع دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى.

(٧) أبو عبد الرحمٰن السلمي محمد بن حسين بن محمد السلمي الأزدي، توفي سنة (٤١٢هـ). وانظر ترجمته: «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٤٨)، و«السير» (١٧/ ١٥٢)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ١٢).

(٨) «مقدمة محقق الطبقات» ص(٥٠).

(٩) «مقدمة الرسالة» ص(١٢).

إحياء علوم الدين[1]، ثم جاءت الدولة الزنكية في الشام من (٥٢١ ـ ٦٣١هـ) فزادت رفعة الصوفية وعلا ذكرها ومُكّن لها تمكيناً كبيراً بسبب محبة آل زنكي عماد الدين (ت٥٤١هـ) وابنه نور الدين الشهيد (ت٥٦٩هـ) لهم حتى عدَّه الصوفية من جملة أوليائهم إذ قال عنه اليافعي: (كان في الأولياء معدوداً من الأربعين)[2]، وفي عهده بُنِيت الخوانق والأربطة وأُسِّست الترب للأمراء وذويهم ولمشايخ الطرق ومن يلوذ بهم، وأصبح بناء الخوانق والأربطة والترب سنة محمودة لديهم يتنافس فيها السلاطين والأمراء والخواتين[3] والتجار ومشايخ الطرق وحتى بعض الفقهاء والمحسوبين على العلم[4]، وعلى تلك السنة مضت الدولة الأيوبية في جميع البلاد التي حكمتها[5].

وعلى نفس النهج سارت دولة المماليك بل زادت عليه وذلك لطول مدتها واستقرار الأوضاع فيها أكثر من دولة الزنكيين والأيوبيين ولازدياد نفوذ الصوفية وتمكنهم من نفوس المجتمع[6]، وكذلك الدولة العثمانية سارت بنفس الطريقة بل زادت عليها خصوصاً أن ابن عربي قد بشَّر بفتح القسطنطينية على يد العثمانيين ووصف فاتحها فكان الأمر كما وصف، وذلك قبل فتحها بنحو مائتي سنة، وإن صح ذلك فهو من باب الكهانة التي اشتهر بها ابن عربي، فقد وُصف بالسحر واستخدام الجن وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالمغيبات[7]؛ فانتشر ذكره في بلاد الأتراك وانتشرت كتبه بينهم، وحينما فتحوا الشام أقام السلطان سليم الأول على قبره (قبة عظيمة وتكية شريفة فيها طعام وخيرات)[8].

---

(١) «مرآة الجنان» (٣/ ١٤٦).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٨٧).

(٣) جمع خاتون: وهو المرأة الشريفة، والمقصود هنا نساء الأمراء وهي كلمة أعجمية. «القاموس» ص(١٥٤٠).

(٤) انظر: «الدارس في تاريخ المدارس» (٢/ ١٠٩ ـ ٢٣١)، تأليف عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).

(٥) المصدر السابق، و«خطط المقريزي» (٣/ ٦٤٨). وانظر كذلك: «موسوعة مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» ج(٢) الخاص بالعصر الأيوبي.

(٦) انظر: «الخطط المقريزية» ج(٣)، و«خانقاوات الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية» بجزئيه الأول والثاني، تأليف د. عاصم محمد رزق، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، و«مساجد مصر وأولياؤها الصالحون»، الجزئين الثالث والرابع الخاصين بالدولة المملوكية.

(٧) سيأتي ذلك في الباب الثاني، الفصل الرابع.

(٨) «طبقات الشعراني» (١/ ١٦٣). وانظر أيضاً لمعرفة ما صنعه الأتراك للصوفية: =

وهذه اللمحة تعطينا تصوراً عن ترقِّي الصوفية وانتشارها في بلاد السنة وعلى أيدي الحكام والسلاطين الذين كان لهم هدف بل أهداف كثيرة من مساندة الصوفية، منها السياسة وغيرها كما أن الصوفية نفسها لها أهداف كبيرة من القرب من السلاطين وذلك لتوطيد سلطتهم الروحية بحيث تشمل الطبقة الحاكمة فمن دونها، ويصبحون بحق كما يقول شاعرهم:

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم ... من الملك إلّا اسمه وعقابه

وهذا هو الهدف الظاهر، وهناك هدف أشار إليه بعض الباحثين غير ظاهر وسأتحدث عنه إن شاء الله في مطلب (الصلة بين التشيع والتصوف).

**التطور التنظيمي:**

منذ أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع بدأت تتشكل الطرق الصوفية، حيث يجتمع عدد من المريدين إلى شيخ من شيوخهم فيتسمون باسمه، وعندما يموت تنتقل مشيخة الطريقة إلى أحد أتباعه، وفي الغالب يكون الخليفة من ذريته وهكذا، وقد عدَّ الهويجري(١) في (كشف المحجوب) اثنتي عشرة طريقة كل منها ينسب إلى شيخ من شيوخ القرن الثالث أو الرابع(٢).

ثم توالت الطرق الصوفية حتى اكتملت ونضجت في القرنين السادس والسابع بظهور الطرق الكبرى التي تعود إليها معظم الطرق اللاحقة، ومن أهم هذه الطرق: القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني(٣)، الرفاعية نسبة لأحمد بن

---

= تاريخ الجبرتي «المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار» عبد الرحمٰن الجبرتي، تحقيق جمال الدين عبد العزيز، الناشر مكتبة مدبولي، و«مساجد مصر وأولياؤها الصالحون»، الجزء الخامس الخاص بالعثمانيين.

(١) هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الغزنوي الصوفي من قرية (الهويجر)، من مضافات عزتبين، توفي سنة (٤٦٥هـ). انظر: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» ص(٦٩١) لحاجي خليفة، طبع دار الفكر، بيروت (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

(٢) «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» (١/ ٤٥).

(٣) عبد القادر بن موسى الجيلاني، مؤسس الطريقة القادرية، توفي سنة (٥٦١هـ). انظر ترجمته في: «طبقات الشعراني» (١/ ١٠٨)، و«الأعلام» (٤/ ٤٧)، و«مرآة الجنان» (٣/ ٣٤٧)، والدراسة المستقلة عنه باسم «الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية» للشيخ د. سعيد بن مسفر القحطاني، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).

الرفاعي[١]، المدينية نسبة للشيخ شعيب أبي مدين المغربي[٢]، السهروردية نسبة إلى الشيخ أبي حفص عمر بن محمد السهروردي[٣]، الشاذلية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي[٤]، ثم تشعبت عن كل طريقة من هذه الطرق طرق عدة لا يأتي الحصر عليها، وما زالت تتوالد إلى يومنا هذا، وكل طامع في الشرف والجاه وطامع في المنصب والمال من الصوفية يؤسس له طريقة ويورِّثها من بعده لأولاده، بل إن بعض الطرق تتطور لتصبح دولة سياسية تحكم قطاعاً كبيراً من الأرض وتمتد لآونة طويلة من التاريخ[٥].

## التطور العقدي:

لقد بدأ الانحراف في التصوف حينما أوجد أوائل المتصوفة طرقاً خاصة بهم في الزهد، ثم تطور أكثر عندما بدأ التأليف في الخواطر والهواجس الصوفية على يد الحارث المحاسبي والحكيم الترمذي، ثم أخذت دفعة أقوى بظهور أبي يزيد البسطامي ـ الذي أضاف مفاهيم الفناء وجنح إلى الحلول وأُثر عنه الشطح والكلمات القبيحة ـ، وبعده كُشف النقاب عن الأسس الصوفية والوسائل الموصلة إليها على يد الحلاج حتى صرح بالحلول واستخدم السحر والجن والشعوذة كما سبق بما لم يتفق لأحد ممن قبله، وسوغ له ذلك مَنْ جاء بعدَه من كبار المتصوفة، وبذلك نعتبر أن ضلالات الحلاج وشطحاته قد أصبحت جزءاً مهماً من عقيدة المتصوفة، بعد أن

(١) أحمد بن علي الرفاعي الحسيني أبو العباس، مؤسس الطريقة الرفاعية، توفي سنة (٥٧٨هـ). انظر ترجمته في: «طبقات الشعراني» (١/ ١٢١)، و«مرآة الجنان» (١/ ١٤٧)، و«الأعلام» (٣/ ٤٠٩).

(٢) شعيب بن الحسين الأندلسي الشهير بأبي مدين، صوفي كبير متهم بالرفض والعمل على نشره، وقد تولى نشر طريقة الصوفية في أطراف البلاد الإسلامية ومنها حضرموت فهو الذي أدخل التصوف إليها بواسطة رسول أرسله إلى هناك، توفي وهو في طريقه إلى السلطان بتهمة أوجبت استدعاءه سنة (٥٩٣هـ). انظر: «السير» (٢١/ ٢١٩)، و«الطبقات» للشعراني (١/ ١٣٣).

(٣) أبو حفص عمر بن محمد السهروردي، توفي سنة (٦٣٢هـ). انظر ترجمته في: «السير» (٢٢/ ٣٧٣)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ١٣٨).

(٤) أبو الحسن الشاذلي، توفي سنة (٦٥٨هـ). انظر ترجمته في: «طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص» ص(٢٣٣) لأبي العباس أحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي، طبع الدار اليمنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

(٥) كالدولة السنوسية في ليبيا والإدريسية في اليمن ودولة المهدي في السودان والدولة الصفوية في إيران، فكل هذه الدول أصلها طرق صوفية.

زكّاه كبارهم وأوّلوا تلك الشطحات وقبلوا تلك العقائد، ولو بالشكل المؤول الذي أقروه، ثم استفاد الصوفية من درس إعدام الحلاج فعادوا إلى التخفي والتستر زمناً طويلاً، وإنما كانت تبدر منهم الفلتات ويقلِّبون الأمور ويسمونها بغير مسمياتها، وذلك في مؤلفات القشيري والسلمي والسهروردي ثم الغزالي ـ خصوصاً في الفصل الخاص بحكايات المريدين وأحوالهم من إحياء علوم الدين ـ، ثم عادت تلك العقائد إلى الظهور في القرن السابع على يد محيي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ)، وعمر بن الفارض (ت٦٣٢هـ)، وابن سبعين (ت٦٦٩هـ) وأمثالهم، ثم انتشرت في أنحاء الأرض وتظاهرت بها طوائف وحماها سلاطين المماليك وآل عثمان، وهي لا تزال موجودة إلى اليوم غير أنها تظهر حيناً وتسْتَتِر حيناً آخر حسب المناخ والظروف التي تمر بها.

**المطلب الثالث: العلاقة بين التصوف والتشيع:**

هناك تداخل كبير بين الشيعة والصوفية في كثير من العقائد والأصول، وهناك فِرق صوفية شيعية صريحة كثيرة تتمركز في تركيا وإيران وغيرها من البلاد الإسلامية[١]، كما أن هناك فرقاً صوفية محسوبة على أهل السنة؛ ولكنها تلتقي في أصولها مع الفرق الشيعية وتستقي من معين الإمامية والإسماعيلية، بل وتنسب شيوخها إلى البيت الهاشمي من طريق الحسين بن علي رضي الله عنه كثيراً ومن طريق الحسن أحياناً، منها ما هو مسلَّم لها بذلك ومنها ما هو معترَض عليها فيه بدرجات متفاوتة من الإنكار[٢].

ولا تكتفي بالنسبة العرقية إليهم بل كذلك تنسب نفسها إليهم روحياً، من خلال سلاسل الأسانيد والإلباس الذي تكاد كل الطرق الصوفية أن تنتهي به إلى

---

(١) مثل: ١ ـ النوربخشية المنسوبة إلى محمد نوربخشي، ٢ ـ والصفوية المنسوبة إلى الشيخ صفي الدين الموسوي الأردبيلي، ٣ ـ النعمة اللهية والمنسوبة إلى السيد نور الدين نعمة الله الولي، ٤ ـ البكتاشية المنسوبة إلى السيد محمد الرضوي المشهور بالحاج بكتاش الولي.

(٢) من أولئك الشيوخ الذين نسبوا إلى علي رضي الله عنه وفاطمة الزهراء: عبد القادر الجيلاني، وأحمد الرفاعي، وأبو الحسن الشاذلي، وأحمد البدوي، وصفي الدين إسحاق بن جبرائيل الذي تنسب إليه الصفوية التي كانت فرقة صوفية سنيّة ثم تحولت إلى شيعية وملكت إيران وجنوب العراق مدة طويلة، بل إنها هي التي حوَّلت معظم سكان إيران من سنّة إلى شيعة، ومحمد بن عبد الله الملقب (نوربخش) شيخ الطريقة النوربخشية، وأحمد بن إدريس المغربي شيخ الطريقة الإدريسية.

علي رضي الله عنه[1]، كما أن هناك أخذاً صريحاً لكثير من المبادئ والأصول والمصطلحات الشيعية لدى الصوفية عن الشيعة وعن الإسماعيلية بشكل أخص، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عن ابن خلدون وإليك نص كلامه كاملاً: (... ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه، وملأوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره، وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية

---

(١) وذلك أنهم وضعوا في لبس الخرقة حديثاً وصنعوا له إسناداً إلى علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي إلى السماء وأمسك حبيبي جبريل عليه السلام بيدي فأدخلني الجنة بعد المخاطبة فرأيت فيها قصراً من ياقوتة حمراء فيها صندوق من نور عليه قفل من نور فقلت: يا حبيبي جبريل ما في هذا الصندوق؟ قال: فيه فخرك وفخر أمتك من بعدك إلى يوم القيامة، هذا فيه خرقة الفقر ثم فتح الصندوق وأخرج منه خرقة الفقر وألبسنيها وقال: يا محمد أمرني الحق أن ألبسها لك فلا تودعها إلا عند مستحقها، قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجال بها في الجنة وقال: الفقر فخري وفخر أمتي من بعدي إلى يوم القيامة».
قالوا: وانتقلت نسبة الخرقة الشريفة من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانتقلت من علي رضي الله عنه إلى الحسن البصري رضي الله عنه وانتقلت من الحسن البصري رضي الله عنه إلى حبيب العجمي وانتقلت من حبيب العجمي إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى الشيخ الجنيد البغدادي، ومن الجنيد البغدادي تفرقت إلى المشايخ رضي الله عنهم. ومن طريق أخرى انتقلت من النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى علي زين العابدين إلى محمد الباقر إلى جعفر الصادق إلى موسى الكاظم إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى الجنيد البغدادي. انظر: «المجموعة العيدروسية، الجزء اللطيف في التحكيم الشريف» لأبي بكر بن عبد الله العيدروس ص(٢٠٩ ـ ٢١٠)، الناشر طاهر بن محمد العيدروس (١٤٠٩هـ)، والحديث كما هو ظاهر من سياقه موضوع وقد حكم عليه بذلك الحافظ ابن حجر حيث قال الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص(٣٠٠): قال شيخنا: هو باطل موضوع، طبعة دار الهجرة، بيروت (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، ثم كيف يكون الفقر فخر النبي صلى الله عليه وسلم وهو قد استعاذ منه؟ فكان صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أَظلم أو أُظلم» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٢٨٧).
ولكن الغرض حاصل وهو إرجاع لباس خرقة التصوف إلى علي والحسين رضي الله عنهما. ويؤكد إسناد الخرقة الصوفية إلى علي رضي الله عنه وإلى ذريته على سبيل الحتم والإلزام أحد متصوفة الشيعة فيقول: (لا بد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل إلى الأبد ومن آدم إلى انقراض الدنيا أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين أو بواحد من أئمة الأنام عليهم السلام). «الصلة بين التصوف والتشيع» (١/ ٨٧)، نقلاً عن الحاج معصوم من كتابه «طرائق الحقائق» (١/ ٢٥١).

المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه: رأس العارفين ـ يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان ـ وقد أشار إلى ذلك ابن سينا[١] في كتاب الإشارات في فصول التصوف منها فقال: جَلَّ جناب الحق أن يكون شرعةً لكل وارد، أو يطّلع عليه إلا الواحد بعد الواحد، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي، وإنما هو من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء، حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخليهم؛ رفعوه إلى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضاً، وإلّا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة، ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، يشهد لذلك من كلام المتصوفة في أمر الفاطمي، وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي ولا إثبات وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق...)[٢].

## القطبية:

ومن القضايا المشتركة بين الشيعة والصوفية قضية القطب الذي يعرفه الجرجاني بقوله: (القطب: وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجهولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على

---

(١) هو الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، أحد أشهر فلاسفة الإسلام وأطباء المسلمين، إسماعيلي المذهب، كفّره عدد من العلماء ونسبوا إليه القول بقدم العلم، توفي سنة (٤٢٨هـ). انظر ترجمته: «لسان الميزان» (٢/٣٥٧)، و«الأعلام» (٢/٢٤١).

(٢) «المقدمة» لابن خلدون ص(٦١٩ ـ ٦٢١).

قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس، لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها)(١).

القطب الذي هذه صفته قد أخذه الصوفية عن الإسماعيلية الباطنية خصوصاً إذا نظرنا إليه مع بقية معاونيه من الأبدال والأوتاد وغيرهم من الأولياء.

يقول الدكتور كامل الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع: (وجاء تيار شيعي آخر من الإسماعيلية خدم الولاية الصوفية وجرّأها على الظهور وزادها ثقة بنفسها. وذلك أن المذهب الإسماعيلي يجعل الأئمة سباعات أزلية حكمُها حكم النبوة. ويجعل النقباء أو الحجج ـ وهم أنصار الأئمة المتبحرون في العقيدة ـ قوماً مقدسين أيضاً، لهم عدد ثابت محدود هو العدد: ١٢ يرتبط بعدد البروج والأشهر كما ارتبط العدد (٧) بالكواكب. وبذلك أسبغت الإسماعيلية الولاية على نقبائها، وارتقت بهم من الإنسانية المادية إلى الروحانية، فاستغل الصوفية هذه السانحة أيضاً وطبقوها في مجتمعهم وصبوا في قالبها مثلهم، حتى رأينا التصوف بعد قرون يتخذ طابع الإسماعيلية الكامل بقوله بالمنازل وتدرج المعرفة والسلوك.

وكان كيسان ـ قبل الإسماعيلية ـ مساوياً للإمام أبي هاشم بن محمد بن الحنفية في علمه وفي أخذه عن ابن الحنفية وفي اجتهاده الديني، بحيث شرع على أساس اتصاله بإمامه مذهباً جديداً وجمع حوله أنصاراً وأعواناً. وكان أبو هاشم هو أول من قال بالنقباء ـ كما مر ـ وحدد عددهم باثني عشر ووصلهم بنقباء بني إسرائيل وبأعوان النبي من الأنصار، فجعل لهم المقام السامي والتوفيق الإلهي، وهذا أصل فكرة الإسماعيلية ـ في رأينا ـ وهو الذي أدى في النهاية إلى أن تخرج إلى التصوف وتستقر فيه)(٢).

وتأكيداً لكلام الدكتور الشيبي: أنقل إليك نصاً مهماً لأحد صوفية حضرموت الذين عرفوا بالصراحة والجرأة في إبداء ما يعتقد والدفاع عنه وهو العلامة

---

(١) «التعريفات» للجرجاني ص(١٧٧ ـ ١٧٨)، وبعض العبارات التي فيها غموض أعتذرُ الآن عن شرحها؛ لأن المقام إنما هو مقام المعرفة الإجمالية للقطب والذي يعتبر المدبر الفعلي للعالم عند الصوفية، ويقابله الإمام عند الإسماعيلية والإمامية.

(٢) «الصلة بين التصوف والتشيع» (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف[١] يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن العلويين الحضرميين ومن لفَّ لفَّهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه، إذ طالما سمعنا ممن لا يحصر عدّاً ولا يضبط كثرةً منهم من يقول: إنها لما زُوِيتْ عنهم الخلافة الظاهرة عُوِّضوا بالخلافة الباطنة، فصارت إلى علي ثم إلى ابنه الحسين ثم إلى زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق، وهكذا في الأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم، ألا ترى أنهم يقولون بقطبانية هؤلاء وما القطبانية إلا الإمامة بنفسها...)[٢].

## التصرف في الكون وعلاقته بالتشيع:

من مهام القطب الذي سبق الحديث عنه التصرف في الكون إذ جعلوه المفوض بذلك من قبل الله تعالى، يقول التيجاني: (اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً، حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفته في تصريف الحكم وتنفيذه في كل مَنْ عليه ألوهية الله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتولي النيابة عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً، فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً)[٣].

وهذه العقيدة مأخوذة عن الشيعة الغلاة كذلك فهناك فرقة من الشيعة تسمى المفوِّضة أو المخمِّسة تقول: (إن الباري خلق روح عليٍّ وأولاده وفوّض العالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسماوات ـ قالوا ـ ومن هنا قلنا في الركوع: سبحان ربي

---

(١) عبد الرحمٰن بن عبيد الله بن محسن السقاف، مفتي حضرموت في عصره، من أعلم علماء وقته وأشهر شعراء زمانه، عرف بحريّة في الرأي وجرأة في الحق ينكر على مدّعي الولاية الكاذبة في كل مناسبة، وله صولات وجولات مع علماء حضرموت المعاصرين له، توفي سنة (١٣٧٥هـ). انظر ترجمته في: «لوامع النور» (٢/ ١٢٧)، تأليف أبي بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور، طبع مكتبة دار المهاجر، صنعاء، الطبعة الأولى (١٤١١هـ)، و«الأعلام» (٣/ ٣١٥).

(٢) «نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر» ص(٨) للعلامة عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف، طبع في مطبعة النهضة اليمانية بعدن (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م).

(٣) «جواهر المعاني» (٢/ ٨٩ ـ ٩٠) بواسطة «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (١/ ٩٤).

العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى؛ لأن الإله الأعلى عليٌّ وأولاده، وأما الإله الأعظم فهو الذي فوَّض إليهم العالم)[١].

وقال عبد القاهر البغدادي: (وأما المفوِّضة من الرافضة فقوم زعموا أن الله تعالى خلق محمداً ثم فوّض إليه خلق العالم وتدبيره، فهو الذي خلق العالم دون الله تعالى ثم فوّض محمد تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب ﷺ فهو المدبر الثاني.

وهذه الفرقة شرّ من المجوس الذين زعموا أن الإله خلَقَ الشيطانَ ثم إن الشيطان خلق الشرور، وشر من النصارى الذين سموا عيسى ﷺ مدبراً ثانياً، فمن عدَّ المفوِّضة الرافضة من فرق الإسلام فهو بمنزلة من عدّ المجوس والنصارى من فرق الإسلام)[٢].

## العلم اللدني وعلاقته بالتشيع:

العلم اللدني من الأصول المشهورة التي يتميز بها الصوفية عن غيرهم من الفرق خصوصاً أهل السنة، وهذا أمر واضح مبثوث في كتبهم وهو من أبرز الممادح التي يثنون بها على أوليائهم ومن أكثر ما يتبجح به مدعو الولاية منهم.

وقد عرَّف الرَّندي هذا العلم فقال: (والعلم المخزون هو العلم اللدني الذي اختزنه الله عنده، فلم يؤته إلا المخصوصين من الأولياء) ثم أورد حديثاً مكذوباً على رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله»، وقد شرح أحد المتصوفة هذا النص فقال: (هي أسرار الله تعالى يبديها الله إلى أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراية، وهي من الأسرار التي لم يطّلع عليها أحد إلا الخواص)[٣].

ومن أشهر مقالاتهم في ذلك ما ينسب إلى أبي يزيد البسطامي من قوله: (مساكين[٤] أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)[٥].

---

(١) الرازي في «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ص(٧٥) بواسطة «الصلة بين التصوف والتشيع» (١/ ١٥).
(٢) «الفرق بين الفرق» ص(٢٥١).
(٣) «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» (١/ ٩٣)، نقلاً عن «غيث المواهب» للرندي.
(٤) يعني علماء الشريعة.
(٥) «الكواكب الدرية» للمناوي (١/ ٣٤٦) بواسطة «مظاهر الانحرافات العقدية» (١/ ١٠١)، وأورد معناه الذهبي في ترجمة أبي يزيد من «السير» (١٣/ ٨٨).

وكمثال على العلم اللدني لدى الصوفية وأنه لا يحتاج إلى تعلم وإنما يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه: ما رواه الجنيد مصدقاً لرأي التستري بقوله: (كان عندنا ببغداد عبد أسود أعجمي اللسان، نسأله عن القرآن آية آية فيجيبنا عن ذلك بأحسن جواب وهو لا يحفظ القرآن، وتلك دلالة ولايته)[(١)].

وهذا الذي يدعيه الصوفية من علم الباطن أو العلم اللدني مأخوذ عن أئمة الشيعة، فقد نسب غلاة الشيعة إلى أبي جعفر الصادق أنه قال: (ليس هذا العلم، إن العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة)[(٢)]، وذلك ما جعل نيكلسون يقول: (إن التصوف ليس في الحقيقة إلا العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ)[(٣)]، ومجالات التواصل بين التصوف والتشيع كثيرة جداً وكثير من أئمة الطرفين معترف بذلك، ومن أراد المزيد من الحقائق فليرجع إلى كتاب (الصلة بين التصوف والتشيع) للدكتور: كامل مصطفى الشيبي.

وقبل الخروج من هذا المطلب أجدني مضطراً لعرض تهمة خطيرة يتهم بها المتصوفة منذ القرن السادس حين قضى صلاح الدين الأيوبي رحمه الله على الدولة الفاطمية.

وقد تبنى هذه التهمة وأذاعها الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي كان شيخاً للأزهر من عام (١٩٤٥م) إلى سنة موته (٤٦ أو ١٩٤٧م) والذي وصف بأنه كان هادئ الطبع يتمهل في تفكيره قبل أن يتكلم أو يكتب، وأنه يحاسب لسانه على الكلمة[(٤)]، فقد نشر ثلاث مقالات في إحدى الصحف الأسبوعية القاهرية عام (١٩٢٧م) تحت عنوان (المولدان الأحمدي والدسوقي) قال في أحدها: (أنه رجع إلى مخطوطة مغربية ينكر صاحبها أن يكون (أحمد البدوي) صوفياً، ويثبت أنه كان علوياً شيعياً يهدف إلى إرجاع الملك العبيدي (الفاطمي) الشيعي المغالي وأن «علي البدوي ـ والد أحمد البدوي ـ» كان أحد العلويين الشيعة الإسماعيلية، وأنه نزح من المغرب إلى مكة المكرمة، وكان أحمد البدوي وقتها لم يتجاوز السبع سنوات،

---

(١) «الصلة بين التصوف والتشيع» (١/ ٤١٠)، نقلاً عن «تفسير التستري» ص(٧)، وكلامه هذا يرده قول النبي ﷺ: «إنما العلم بالتعلم»، وسيأتي ص(٤٨٠).
(٢) المصدر السابق (١/ ٤١٠)، نقلاً عن «أصول الكافي» ص(٢٥).
(٣) المصدر السابق (١/ ٤١٠)، نقلاً عن «التصوف الإسلامي» ص(٧٦).
(٤) «الأعلام» (٧/ ٢٣١).

وكان ذلك عام (٦٠٣هـ) حيث عقد الشيعة مؤتمراً في مكة بحثوا فيه كيف يعملون على إعادة الدولة الإسلاميةِ علويةً ـ أي شيعية باطنية ـ).

وقد أيد الشيخ محمد فهمي عبد اللطيف تلك القضية وأضاف نقطة مهمة جداً وهي: تحديد الذي كان يتولى ذلك، حيث قال: (فكان أبو مدين الغوث في المغرب يبثّ هذه التعاليم تحت ستار التصوف ويربي عليها المريدين فيرسلهم بها إلى الآفاق والأمصار)[١].

قلت: أما أن أبا مدين كان يرسل رسله إلى الآفاق فهذا ثابت، فقد اتفقت كلمة مؤرخي حضرموت أن الذي أدخل التصوف إلى حضرموت هو شعيب أبو مدين، حينما بعث رسوله عبد الرحمٰن المقعد وأمره أن يذهب إلى حضرموت، ويُحَكِّم أربعة من أهلها اختارهم وسماهم له، وهم (محمد بن علي باعلوي) المعروف بالفقيه المقدم[٢] في تريم و(سعيد بن عيسى العمودي)[٣] في قيدون و(الشيخ باعمر) في عُورة بدوعن و(عبد الله باحمران) بميفعة محافظة شبوة[٤]، فمات المقعد في الطريق ووكّل تلميذه عبد الله الصالح المغربي فقام بالمهمة، وبعد أن حكّم الجماعة مات بميفعة وقبره معروف هناك عليه قبة قائمة إلى الآن بالقرب من جول الريدة عاصمة مديرية ميفعة.

---

(١) «السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر» ص(٢٨)، تأليف محمد فهمي عبد اللطيف، منشورات سمير أبو داود، المركز العربي للصحافة، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

(٢) الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، أول من حمل فكر الصوفية المنحرفة في حضرموت، وتقدمت قصة ذلك وهو أبو أكثر العلويين في حضرموت، وقد قدس عند ذريته وأتباعه بما لا يكاد يلحقه في ذلك أحد حتى لقد انتقل التقديس إلى كل شيء له به صلة، فأتانه يقولون: إنها تعرج إلى السماء بكرة وعشية، والحجر الذي يضع نعله عليه إذا دخل مقابر تريم إلى اليوم مثبت في جدار مسجد يسمى مسجد الحصاة، وما زال أهل تريم يتمسحون به إلى اليوم، وقد شاهدته بنفسي وهو أول من أظهر الشطح الصوفي بحضرموت حتى لقد قال عن نفسه: (أنه هو الله) إلى آخر ما نقل عنه من شطح يعدّ لديهم من كراماته، توفي سنة (٦٥٣هـ). انظر ترجمته في: «الغرر» ص(١٤٥)، «غرر البهاء الضوي ودر الجمال البهي»، تأليف محمد بن علي بن علوي خرد باعلوي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، و«المشرع» (٢/٢).

(٣) سعيد بن عيسى العمودي جد المشايخ آل العمودي وأحد الأربعة الشيوخ الذين جاءهم رسول أبي مدين لضمهم إلى حظيرة التصوف بحضرموت، وبذلك اشتهر رغم أنه عامي كما يقولون، توفي سنة (٦٧١هـ). انظر: «طبقات الخواص» ص(١٤٥)، و«إدام القوت» ص(١٤٣).

(٤) «المشرع الروي» (٢/٥).

ويمكن أن يعتبر هذا الحدث شاهداً قوياً على تلك القضية وأن أبا مدين كان من دعاة التشيع الباطن ومن النشطاء في إبلاغه إلى الأقطار الإسلامية المختلفة تحت ستار التصوف.

وربما يحتج على إثبات تلك التهمة أيضاً بأن صوفية حضرموت لهم صلات قوية بالتشيع، كما صرّح بذلك ابن عبيد الله فيما مضى[1]، ويشهد بذلك واقع الحال إذ قد وصل الحال بكثير منهم إلى التصريح بالتشيع والوصول إلى درجة الازدراء ببعض الصحابة وسلف الأمة من أهل السنة. ومن أشهر أولئك:

١ ـ محمد بن عقيل بن يحيى صاحب كتاب «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية».

٢ ـ أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب الدين صاحب كتاب «الحمية من مضار الرقية» وهو رد على كتاب أحد أقاربه والمسمى بـ«الرقية الشافية من مضار النصائح الكافية» والرقية رد على محمد بن عقيل صديق بن شهاب وصاحبه في التشيع.

٣ ـ محمد بن أحمد الشاطري صاحب «أدوار التاريخ الحضرمي» والذي أظهر فيه ـ عندما تعرض لهذا الموضوع ـ تعاطفاً مع ابن شهاب وابن عقيل وتحاملاً على معاوية رضي الله عنه[2].

٤ ـ العلامة عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف الذي تعرض في بعض قصائده الموسومة بـ«الإماميات» للعن من وصفهم بأعداء علي رضي الله عنه وأهل بيته، حيث قال في قصيدة بعثها إلى الإمام يحيى حميد الدين من سنغافورة مع رسالة من محمد بن عقيل المذكور آنفاً وآخرين:

إنا ندين بحبكم ونذوب من ... طرب إذا عرضاً حديثكم جرى
وإذا ذكرنا ما مضى في حقكم ... كدنا من الحسرات أن نتسعرا
علناً نسبُّ عداكم فعليهم ... لعن الإله على الدوام مكررا
لا ينطوي قلب على بغضائكم ... إلا وقد شنئ النبيَّ الأطهرا
كيف النجاة لخصمكم إن جئتم ... يوم الحساب مع البتول المحشرا؟
إن جادل السفهاء عنهم هاهنا ... فمن المجادل يوم تنفصم العرى

(١) ص(١٨٦).

(٢) انظر: «أدوار التاريخ الحضرمي» ص(٤٥٠ ـ ٤٥٢)، تأليف محمد بن أحمد الشاطري، طبع عالم المعرفة، جدة، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

فلي الهناء بنسبتي لنجاركم نسباً يبذّ ظهوره نار القرى[١]

فيقال: إن الإمام يحيى ردَّ عليه قولَه هذا في القصيدة التي أجابه بها على قصيدته على نفس الوزن والقافية يقول له:

رجل له في نصر شرعة أحمد همم تطير به إلى أعلى الذرى
يدعو إلى نهج الصواب ونص آ يات الكتاب بلا جدال أو مرى
والسنة الغراء يقفو إثرها أكرم بسنة خير من وطئ الثرى
لا يرتضي نحل الروافض مذهباً وكذاك لم يك مثل جهم مجبرا[٢]

ومن أبرز الشواهد التي يمكن الاستشهاد بها على صحة ما ادعاه الشيخ مصطفى عبد الرازق، الدولة الصفوية ـ التي حكمت إيران وما جاورها وأجزاء من العراق مدة طويلة، وهي التي حولت إيران من السنة إلى الشيعة ـ أقول: تلك الدولة كانت في بدايتها فرقة صوفية سنية ظهرت سنة (٦٤٧هـ) على يد صفي الدين ـ الذي نسب نفسه إلى علي بن أبي طالب بواسطة موسى الكاظم ثم خلفه أبناؤه في مشيخة الطريقة ـ حتى إذا كان عام (٩٠٧هـ) وفي عهد حفيده إسماعيل الصفوي أعلن قيام الدولة على مذهب الإمامية الإثني عشرية. يقول سبنسر ترمنجهام: (وفي الحقيقة هو الدين الوحيد المقبول في مناطق سيطرته، وقد كسب الصفويون في النهاية تأييد الجماهير من سلالة النوربخشي والمشيش)[٣]، وهما من الفرق الصوفية.

أقول: إذا نظرنا إلى تاريخ نشأة هذه الطريقة وأنها كانت سنية؛ وجدنا أنها أنشئت في ذلك العصر الذي أشار إليه الشيخ عبد الرازق، وتدرجت إلى أن حققت الهدف، وهو إعلان دولة شيعية حكمتْ قطاعاً كبيراً من بلاد المسلمين بل وحولته إلى التشيع فربما كانت أخطر من الدولة العبيدية، إذ إن الدولة العبيدية لم تستطع أن تزيل مذهب أهل السنة من مناطق نفوذها تماماً، بل بقي في نفوس أصحابه حتى إذا رحلت عاد الناس إلى السنة، أما الدولة الصفوية فآثارها إلى اليوم بل إنها قد

(١) «ديوان السيد عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف»، طبع مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص(٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(٢) المصدر السابق ص(٤٤٧). وانظر: «الزيدية» للقاضي الأكوع ص(٧٤).

(٣) انظر: «الفرق الصوفية في الإسلام» ص(١٥٩ ـ ١٦٠) لسبنسر ترمنجهام، ترجمة الدكتور عبد القادر الحراوي، طبع دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٧م).

ازدادت عمقاً ورسوخاً بقيام الثورة الخمينية، فهل هذا الاستنباط صحيح؟ لا أستطيع الجزم؛ ولكنني أضعه بين يدي القراء، وربما أدى المزيد من البحث في هذه القضية الخطيرة إلى نتيجة حاسمة بالإثبات أو بالنفي، والمهم هو إثبات الحقيقة وليس التجني على أحد.

**المطلب الرابع: عقائد الصوفية الباعثة على القبورية:**

غلو الصوفية في الأولياء وانحرافهم فيهم هو الباعث على تقديسهم وتقديس قبورهم وأن يُعْتَقَدَ فيهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى.

وقد سبق البيان بأن الصوفية متأثرة بالغلاة من الشيعة ومعتقدة الكثير من عقائدهم ودائنة بالكثير من دياناتهم، كما قرره ابن خلدون، وعلى ذلك فلو اقتصرنا على ما مر لكفى؛ ولكن الصوفية لم يظهروا بمظهر الشيعة ذاته وإنما طوَّعوا مبادئ الشيعة لبيئتهم، وألبسوها لبوسهم الخاصة، فمن هنا وجب كشف تلك المصطلحات وإبداء تلك المبادئ كما يراها الصوفية ومن كلامهم هم لا من كلام خصومهم.

**الولي عند أهل السنة:**

وقبل أن نبيّن عقيدة الصوفية في الولاية والولي؛ يحسن بنا أن نبيِّن المعنى الصحيح للولي كما جاء في القرآن الكريم والسنة، ومعتقد أهل السنة والجماعة:

يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، ففي هذه الآية يعرِّف الله تعالى الولي هذا التعريف السهل الذي لا تعقيد فيه؛ وهو أن الولي هو: (المؤمن التقي) وبهذين الوصفين يستحق تلك الضمانة بأنه سالم من الخوف والحزن.

وقد وردت أحاديث صحيحة تصف أولياء الله وتشرح أحوالهم، منها حديث أبي هريرة الشهير بحديث الولي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته»[1] قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا

---

(١) البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع (١١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).

الحديث: (المراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته)[١].

وقد شرح الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث بكتاب كامل هو «قطر الولي على حديث الولي» وخلاصة قوله في الولي ـ كما لخصه محقق الكتاب في دراسته ـ (أن يكون متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مقتدياً به في أقواله وأفعاله، وازناً لكل عمل يأتي به بميزان الكتاب والسنة) ويستدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك بعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فإنه ـ مع كونه من كبار الأولياء، ومع كون الرسول ﷺ شهد له بأنه من المحدَّثين ـ فلم يكن يعتمد على ذلك بل كان دليله الكتاب والسنة في كل ما يعمل وما يدع، (فكان يشاور الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ويشاورونه، ويراجعهم ويراجعونه، ويحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويرجعون إليهما) (ومن خالف هذا ممن يطلق عليه اسم الولي فليس من أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ)[٢]. ولقد أحسن الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيما إحسان عندما استشهد بحال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فهو حقاً من كبار الأولياء المقطوع بولايتهم بخبر الصادق ﷺ وإجماع أهل السنة، وهو كذلك مشهود له بأنه محدث، فإن كان هناك تحديث أو كشف أو علم لدني يمكن أن يحصل عليه ولي من الأولياء فعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أولاهم به، ومع ذلك ما خرج عن ظاهر الشريعة ولا احتج على قضية ـ أي قضية ـ بالإلهام أو التحديث أو الكشف، وإنما كان يحتج بالكتاب والسنة (بظاهر الشريعة) لذلك فإن النتيجة الحتمية هي أن (من خالف هذا ممن يطلق عليه اسم الولي فليس من أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ) هكذا يقرر هذا الإمام الجليل الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويبرز معالم الولي عند أهل السنة رحمهم الله تعالى.

وهناك حديث ثان جاء في صفة الأولياء عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله» قالوا: يا رسول الله فخبّرنا من هم؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية:

---

(١) «الفتح» (١١/ ٣٤٢).

(٢) «قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق إليها» للإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تحقيق الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، قسم الدراسة، ص(٧٥).

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾»[١].

## الولي عند الصوفية:

أما الولاية عند الصوفية فهي (قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه)[٢] أو هي: (عبارة عن تولي الحق ﷻ عبدَه بظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً وأثرَ لذةٍ وتعرفاً)[٣]، والولي هو: كما قال صاحب «جواهر المعاني»: (وحقيقة الولي أنه يُسْلَب من جميع الصفات البشرية ويتحلَّى بالأخلاق الإلهية ظاهراً وباطناً)[٤].

وحسبك بهذه التعريفات وضوحاً في الغلو في الولي عند الصوفية وإعطائه صفات الألوهية، وما دام كذلك فلا غرابة أن يُعْتَقَد فيهم تلك العقائد الباطلة، وسيأتي تفصيل ذلك في الباب الثاني[٥].

## قيام الأولياء بأمر الكون:

وسبقت الإشارة إلى أن الصوفية قد أخذت عن غلاة الشيعة عقيدة التفويض، أي أن الله فوَّض تصريف أمر الكون إلى بعض أوليائه، فهم القائمون بإدارته والتصرف فيه وإعطاء من شاءوا ومنع من شاءوا، وإكرام من شاءوا وإهانة من شاءوا، وهم يتفاوتون في ذلك كل بحسب مرتبته.

يقول التيجاني في تعريف القطب: (اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً، حينما كان الرب إلهاً كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله ـ تعالى ـ ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً

---

(١) رواه أبو داود، وقال شيخنا: حسن لغيره. «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٦٤) رقم (٣٠٢٦).

(٢) «التعريفات» للجرجاني ص(٢٥٤).

(٣) «جمهرة الأولياء» (١/ ٩٨)، و«معجم مصطلحات الصوفية» لعبد المنعم حنفي ص(٢٦٩) بواسطة «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (١/ ٥٨).

(٤) «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (١/ ٥٨).

(٥) الباب الثاني، الفصل الأول ص(٣٠٢).

فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً)(١).

وهذا التعريف قد اشتمل على تعريف الجرجاني للقطب مما يدل على تواطئهم عليه، ويلخص ذلك كله أبو الحسن الشاذلي فيقول: (لو كشف عن حقيقة ولي لَعُبِدَ؛ لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته)(٢) ـ أي نعوت الله تعالى وصفاته ـ وإنما حالَ دون عبادته كونُه لم يكشف عن حقيقته.

وبعدَ معرفةِ القطب لديهم يجدر بنا أن نتعرف على بقية مراتبهم، وكيفية رجوع الناس إليهم ورجوعهم إلى بعضهم البعض.

يقول الشيخ عمر القوتي: (فأعظم الأولياء «الغوث» والثلاثة المختارون والسبعة، ثم العشرة ثم الأربعون، ثم السبعون، ثم الثلاثمائة، وهم البدلاء والأوتاد، والسبعون النقباء، والأربعون الخلفاء، والعشرة العلماء، والسبعة العرفاء، والثلاثة أهل المكاشفة، والغوث ـ وأعني القطب ـ عليهم مثل جبل قاف، والأوتاد مفزع العامة، والنقباء مفزع الأوتاد، والخلفاء مفزع النقباء، والعلماء مفزع الخلفاء والعرفاء مفزع العلماء، وأهل المكاشفة مفزع العرفاء، والقطب مفزع الكل)(٣).

بهذا التعريف (للقطب) أو (الغوث) وما له من مكانة وإمكانات في الكون يتضح لماذا توجه الصوفية إليه، وسألوه ما يريدون، وتقربوا إليه بسائر أنواع القرب.

كما يتضح من النقل الثاني رُتَب الأولياء وتسلسلهم، وأن كلاً منهم «مَفْزَع» ـ أي ملجأ ومعاذ يلجأ إليه المحتاج ويعوذ به الخائف ممن دونه ـ، وأما القطب فهو ملجأ الجميع ومعاذهم، والولي ـ كما يقول المرسي ـ يستحق العبادة؛ لأن صفاته مِن صفاته ونعوته مِن نعوته ـ أي من صفات الله تعالى ونعوته ـ وإنما حالَ دون عبادته كونُه لم يُكشَف على حقيقته.

وبعد هذا التعريف الإجمالي للقطب ومعاونيه من الأولياء وتسلسلهم حسب درجاتهم؛ ينبغي أن نتعرف على جملة من العقائد التفصيلية في الأولياء وما يعتقدون فيهم من خصائص تؤهلهم لأن يُقَدَّسوا ويُتَقَرَّب منهم ويلتَجَأ إليهم، ويطلب منهم كل ما يحتاجه عوام المسلمين من حاجتهم الدنيوية والأخروية.

---

(١) «جواهر المعاني» (٢/ ٨٩ ـ ٩٠) بواسطة «تقديس الأشخاص» (١/ ٩٤).
(٢) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ١٢).
(٣) من كتاب «الرماح» (١/ ٢١) مع «جواهر المعاني» بواسطة «تقديس الأشخاص» (١/ ٩٨).

**الاعتقاد الأول الباعث على القبورية: التصرف في الكون وامتلاك كلمة (كن):**

أول تلك العقائد ـ الحاملة على تقديس الأولياء والتوجه إليهم بطلب قضاء الحوائج ـ اعتقادهم أن الأولياء يتصرفون في الكون ويقولون للشيء كن فيكون، وقد سبق في تعريف القطب ما يدل على ذلك، ولكن أريد أن أضيف إلى ذلك نقولاً أخرى تؤكد ذلك وتفصله ـ فقد ادعى ذلك جماعة ـ فالشعراني[1] يصف الشيخ شمس الدين الحنفي بقوله: (وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرّفه في الكون، ومكّنه في الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وخرَق له العوائد وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب)[2].

وقالوا في وصف أحد شيوخهم وهو الشيخ عوضه: (وقد أعطاه الله الدرجة الكونية وهي لغة كن فيكون)[3]، وبعضهم يدَّعيها لنفسه فيقول: (إنَّ تصريفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني) ويقول لمريده: (إن كنت تعتقد أنّ البِس في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي)[4].

وليس الأمر مقصوراً على أحيائهم بل حتى أمواتهم يتصرفون في الكون كذلك. فقد حكَوا أن أربعة من الأولياء يتصرفون بعد موتهم كتصرفهم في حياتهم وهم:

١ ـ معروف الكرخي.

٢ ـ عبد القادر الجيلاني.

٣ ـ عقيل المنبجي.

٤ ـ حيوة بن قيس الحراني[5].

---

(١) عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، عالم مصري، غلب عليه التصوف واستحوذ على تفكيره فمَحَا أثرَ العلم وزجَّ به في بحر الأوهام والخرافة، له «الطبقات الكبرى في تراجم الصوفية» من أكبر المصادر للتعرف على هَوَس الصوفية وقبح مسالكهم، توفي سنة (٩٧٣هـ). انظر ترجمته في: «هدية العارفين» (٥/ ٦٤١).

(٢) «طبقات الشعراني» (٢/ ٨١).

(٣) «جواهر المعاني» للتيجاني بواسطة «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (١/ ١٣٥).

(٤) «كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية» ص(١٧٩)، جمع وترتيب الحبيب محسن بن عبد الله السقاف، والقائل هو عبد العزيز الدباغ.

(٥) «مرآة الجنان» (٣/ ٤٢٠).

ولم يكتفوا بحكاية ذلك عن أوليائهم؛ ولكنهم جعلوا يؤصلون ذلك ويستدلون له ويقنعون به أتباعهم، فقد سئل أحمد التيجاني عن قول الشيخ عبد القادر الجيلاني: (وأمري بأمر الله إن قلت: كن يكن) ونحوه من أقوال القوم، فقال: (ذلك أن الله ملّكهم الخلافة العظمى، واستخلفهم على مملكته تفويضاً عاماً أن يفعلوا في المملكة كل ما يريدون، ويملكهم الله كلمة التكوين متى قالوا للشيء كن كان من حينه فلا يستعصي عليهم شيء في الوجود) واستدل على ذلك بقول علي بن أبي طالب: (أنا مبرق البروق ومرعد الرعود ومحرك الأفلاك ومدبرها. يريد بذلك أنه خليفة الله في جميع مملكته)[(١)].

ويقول إدريس بن الأرباب[(٢)]: (درجات الأولياء على ثلاثة أقسام: عُليا ووسطى وصغرى. فالصغرى أن يطير في الهواء ويمشي على ظهر الماء، وينطق بالمغيبات، والوسطى أن يعطيه الله الدرجة الكونية إذا قال للشيء كن فيكون، وهذا مقام دفع الله ولدي، والكبرى وهو درجة القطبانية)[(٣)] وفي هذا النص جعل القطب أعلى درجة ممن يقول للشيء كن فيكون.

### الاعتقاد الثاني الباعث على القبورية: اعتقاد أن الولي يغيث من استغاث به ويعطي من دعاه:

وهذه العقيدة جزء من العقيدة الفاسدة عقيدة التصرف في الكون؛ ولكن الصوفية أعطوها حيزاً كبيراً واعتنوا بها وأسبغوها وصفاً منفرداً عما قبله على بعض أوليائهم.

يقول عبد العزيز الدباغ[(٤)]: (رأيت ولياً بلغ مقاماً عظيماً وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة والوحوش، والحشرات، والسماوات ونجومها، والأرضين وكرة العالم بأسرها تستمد منه، ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة، ويمد كل واحد بما يحتاجه، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك)[(٥)].

---

(١) «جواهر المعاني» (٢/ ٧٦ ـ ٧٧) بواسطة «تقديس الأشخاص» (١/ ١٣٥).

(٢) «مترجم في طبقات ابن ضيف الله» ص(٥٤٩)، كما في «تقديس الأشخاص» (١/ ٧١).

(٣) المصدر السابق (١/ ٧١ ـ ٧٢).

(٤) عبد العزيز بن مسعود، من متصوفة المغرب، توفي سنة (١١٣٢هـ). انظر ترجمته في: «الأعلام» (٤/ ٢٨).

(٥) «الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز»، تأليف أحمد بن المبارك، طبع المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ، ص(٤٤٢).

وهذا الوصف لا يكاد يُبْقِي لله صفة إلّا أسبغها على هذا الولي، خصوصاً المتعلقة بالإدراك والقيومية واستجابة الدعاء، فلا يستغرب بعد ذلك ممن سمع من العوام هذا الكلام وصدّقه أن يهرع إلى هذا الولي للاستغاثة به وإنزال حاجته به.

وبناءً على تمكن تلك العقيدة من نفوسهم، أو الإصرار على غرسها في نفوس الأتباع والمريدين، نجدهم يدعون الناس إلى دعائهم ويَعِدُونهم باستجابة ذلك الدعاء.

يقول محمد الحنفي ـ وهو من أولياء طبقات الشعراني: (من كانت له حاجة فليأت إلى قبري ويطلب حاجته أقضيها، فإن ما بيني وبينكم غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل)[(١)].

ويقول أحمد الفرغل ـ وهو كذلك من أولياء طبقات الشعراني ـ: (أنا من المتصرفين في قبورهم من كانت له حاجة فليأت إلى قبالة وجهي ويذكرها أقضيها له)[(٢)]، وهم بذلك يبنون تلك العقائد على ما اكتسبوه من الفلسفة اليونانية الوثنية فهذا عبد المجيد الخاني النقشبندي يقول: (اعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل، وحفظ صورته بالخيال ولو عند غيبته أو بعد وفاته، ولها صور أهونها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه، ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة، ولا يزال متوجهاً إليه بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب... وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ... فتربِّيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى ولو كان أحدهم في المشرق والآخر في المغرب فبالرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين)[(٣)]، وبعبارة أدق وأرصن وأكثر تقعيداً يقول الغزالي: (أما التقرب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام، والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة، وهذا يحصل من جهتين: الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر، ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين، أما الاستمداد فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كليةُ هِمَّتِه مستغرقةً في ذلك، ويقبل بكليته على ذكره وخُطُوره

(١) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٨٨). (٢) المصدر السابق (٢/ ٩٦).
(٣) «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» (٢/ ٧٣١).

بباله، وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منه)[١].

وهذا القول قد عزاه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الفلاسفة ومن أخذ عنهم من متفلسفة المسلمين وذكر منهم ابن سينا[٢] وأبا حامد الغزالي ثم قال: (وهذه الأحوال هي من أصول الشرك وعبادة الأصنام وهي من المقاييس الفاسدة التي قال بعض السلف: «ما عُبِدتِ الشمس والقمر إلّا بالمقاييس» وهي من أقوال من يقول: إن الدعاء إنما تأثيره بكون النفس تتصرف في العالم لا بكون الله يجيب الداعي)[٣].

## الاعتقاد الثالث الحامل على القبورية: أن الله وكّل بقبور الأولياء ملائكة يقضون حوائج المستغيثين:

بعد رسوخ تلك العقائد الباطلة التي أشرنا إليها آنفاً، تدرّج الأمر بالقوم إلى ربط الناس بقبور أوليائهم فاخترعوا لهم عقيدة باطلة أخرى هي: (أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج، وتارة يخرج الولي من قبره فيقضيها بنفسه)[٤].

ومن الغرائب حقاً أن مثل هذه الخرافات تسجّل في كتب العقائد، ولكن الغرابة تزول عندما نعرف أن عقيدة الأشاعرة في الكرامات غير مستقيمة[٥]، ولقد استغلت الشياطين هذه العقيدة المنحرفة فوكَّلتْ ببعض أضرحة الموتى من يخدمها من الجن، ويقضي بعض الحاجات للزائرين والمستغيثين بهم، إيهاماً أن الذي فعل هو الولي أو الملك الموكل بقبره.

وقد سجّل شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الحقيقة حينما قال: (ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو

---

(١) «المضنون به على غير أهله» ص(٣٥٦)، ضمن رسائل الإمام الغزالي، طبع دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، وينبغي الاطلاع على فصلي الشفاعة ص(٣٤٩) وزيارة القبور ص(٣٥٦) من هذا الكتاب كاملين.

(٢) انظر ترجمته في: «الأعلام» (٢/ ٢٤١).

(٣) «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢/ ٤١٣).

(٤) ذكر ذلك إبراهيم بن محمد الباجوري في «شرح جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد» ص(١٥٣)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) وعزاها إلى الشعراني.

(٥) انظر للرد على ذلك: كتاب «النبوات» لابن تيمية.

مشركاً، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي حاجة ذلك المستغيث فيظن أنه ذلك الشخص، أو هو ملك تصور على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين)[١]. ويؤكد ما قرره شيخ الإسلام ما ذكره أحمد بن حسن العطاس[٢] في قصة طويلة أن جنياً تلبس بامرأة، ثم قال: فحين بدا وجه الحبيبِ طالبٍ من الباب؛ نطق الجنّي إلى أن قال: (وأنا من التسعة النفر الذين حضروا المَكْسَر في جَرْبِكَ الفلاني، لما اهْتَرَيْتَ وقلتَ يا سالم بن عمر يا ذخري، وَرَبَدْنَا المكسر حَقَّكَ)[٣]. فهذا يثبت أن الجن يتمثلون بالولي والمستغاث به ويؤدون عنه ما طلب منه.

تلك هي أصول العقائد التي بسببها تعلَّق الناس بالقبور وقدَّسوا أهلها، وهرعوا إليهم بأنواع من العبادات كالذبح والنذر، وعملوا حولها ما لا يجوز عمله إلا لله تعالى، كالطواف وحثوا التراب الذي حولها على الرؤوس، وربما خلطوه بشرابهم وطعامهم، وجعلوا الحلف بها آكد من الحلف بالله كما قرَّره غير واحد، منهم الإمام الشوكاني رحمه الله وغيره، وأنزلوا بها حاجاتهم وقدَّموا الاستغاثة بها على الاستغاثة بالله في الشدائد، وقد أعطوا كلاً منها تخصصاً في جانب من الجوانب، فمنها الذي ينزل الغيث، ومنها الذي يعطي الولد، ومنها الذي يشفي المريض، إلى آخر تلك التخصصات.

---

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ص(٤٢٩) لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. عبد الرحمٰن بن عبد الكريم اليحيى، طبع دار الفضيلة ودار ابن حزم، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

(٢) أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس، من مشاهير السادة العلويين في القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجريين، اشتهر بالعلم والولاية، وتولى منصبة آل العطاس بحريضة، وهناك تضارب كبير بين ما يُذكَر من علمه وفقهه وبين ما يجده القارئ في مجاميع كلامه كتذكير الناس ومجموع محمد بن عوض بافضل وبلخير وغيره، ففي تلك المجاميع كلام لا يعقل ولا يليق أن ينسب لإنسان فيه صلاح وليس بعالم فكيف بمن وصف بالاجتهاد والقطبية. انظر ترجمته في: «تاج الأعراس في مناقب الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس» (١/٧١٣)، تأليف علي بن حسين العطاس، مكتبة ومطبعة منارة قدس، إندونيسيا، الطبعة الأولى، طبع سنة (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م)، وترجمته المستقلة المسماة «عقود الألماس بمناقب شيخ الطريقة وإمام الحقيقة أحمد بن حسن العطاس» لعلوي بن طاهر الحداد.

(٣) «تذكير الناس»، تأليف أبي بكر بن عبد الله العطاس ص(١٥٣)، وقوله: «اهتريت» أي: دعوت، وقوله: «ربدنا» أي: سددنا الثقب الذي أحدثه الماء في الجرب.

وقد وقع بذلك الشرك الأكبر، وفُعل عند القبور كثير مما يفعل عند الأصنام والأوثان، كما صرح بذلك عدد من العلماء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

**المطلب الخامس: دور الصوفية في نشر القبورية في الأمة:**

وبناءً على ما مر من عوامل وعلل؛ ظهرت القبورية في العالم الإسلامي، وعمّته من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، لا يستثنى من ذلك إلا المملكة العربية السعودية منذ قيام الدولة السعودية بمناصرة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، فمنذ ذلك الحين وهي كلَّما حكمت جزءاً من الجزيرة العربية كان أول ما يعمله جنودها هو هدم معاقل الشرك ومظاهر القبورية، ثم توعية الناس بفسادها، ولقد امتدَّ نفوذها في فترة مضت إلى الحرمين الشريفين، فأزالوا ما في مقابرها من مشاهد وقباب وما في أحيائها من مآثر وأنصاب، ولكن لم يستمر ذلك بسبب الحرب الشرسة التي شنَّتْها عليها الدولة العثمانية بواسطة القوات المصرية، وبمجرد ما دخلت القوات المصرية أرض الحرمين وعادت تحت السيطرة العثمانية شرعت الحكومة العثمانية بتعمير تلك المشاهد، وإعادة تلك القباب والمواطن المقدسة لدى القبوريين إلى ما كانت عليه، وبقيت كذلك حتى جاء دور الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، فقام المجاهدون من جيوشه بعد فتح الحرمين للمرة الأخيرة بإزالة تلك الآثار، فأراضي المملكة السعودية في الوقت الحاضر هي الوحيدة السالمة من آثار ومظاهر القبورية، وإلا فقد كانت جميعها كسائر بلاد المسلمين الأخرى سواء في ذلك نجد وغيرها.

ولأجل أن يطلع القارئ الكريم على حجم القبورية في العالم الإسلامي أنقل إليه ما كتبه الأخ الشيخ علي بن بخيت الزهراني في رسالته «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة» وذلك أن ما سجّله ـ حفظه الله ـ هو المحصلة الأخيرة أو ما يقرب من الأخيرة لما وصلت إليه الأمة من تردٍّ في مهاوي القبورية، وأعتذر مقدَّماً عن طول هذا النقل ولكن العذر هو أنني اعتبرته تلخيصاً مفيداً لمراجع متعددة وتنسيقاً لما حوته تلك المصادر، لو أعرضت عنه وذهبت أبحث بحثاً جديداً ربما لا أستطيع تقديم ما أعثر عليه بهذه الصيغة.

قال ـ حفظه الله ـ بعدما ذكر عدداً كبيراً من القبور المنسوبة للصحابة في أماكن

مختلفة: (وإذا تجاوزنا ما نسب إلىٰ الصحابة من قبور، وغالبها مكذوب كما رأينا، نجد أن ما نسب إلى من جاء بعدهم لا يكاد يحصر، فقد بني على كل قبر يعتقد أنه لولي، ولكن على طريقة الصوفية في تحديد الأولياء التي يوضَع فيها كثيرٌ من الدجالين والمارقين والمجانين بجانب أولياء الله الصالحين.

لقد كانت عمارة الأضرحة والقباب على القبور ظاهرة بارزة لتلك الفترة التي ندرسها، ولم يكن يُعمر مسجد أو جامع إلا على ضريح، وقلَّ أن يعمر مسجد لغير ذلك[١]، ويذكر صاحب الخطط التوفيقية علي باشا مبارك أن الموجود في زمنه في القاهرة وحدها مائتان وأربعة وتسعون ضريحاً.

ومن أشهرها ضريح الحسين، وضريح السيدة سكينة، وضريح السيدة نفيسة، وضريح السيدة زينب، وضريح الإمام الشافعي، وضريح الليث بن سعد، وكل هذه الأضرحة قد بني عليها جوامع ومساجد.

وتذكر الدكتورة سعاد ماهر أن الأضرحة المشهورة يزيد عددها في مصر على الألف.

ومن أشهر الأضرحة خارج القاهرة ما يسمى بضريح السيد البدوي في طنطا، ولم تكن الأقطار الأخرى أحسن حالاً من القطر المصري، ففي الشام مثلاً عشرات من الأضرحة والمزارات المشهورة، وقد ذكر القاياتي الأضرحة التي زارها فبلغت أكثر من أربعين ضريحاً، وقد ذكرنا بعضاً منها.

وقد ذكر عبد الرحمن بك سامي الذي قام بزيارة إلى الشام عام ١٨٩٠م الترب والأضرحة والمزارات في دمشق وضواحيها فبلغت مائة وأربعة وتسعين موضعاً، أما نعمان قسطالي فقد عد فيها أكثر من أربعة وأربعين ضريحاً، وهذه هي المشهورة منها، وذكر أن للصحابة أكثر من سبعة وعشرين قبراً، لكل واحد منها قبة ويزار ويتَبَرَّك به.

وفي الآستانة عاصمة السلطنة العثمانية يوجد أربعمائة وواحد وثمانون جامعاً لا يكاد يخلو جامع فيها من ضريح.

وفي الهند يوجد أكثر من مائة وخمسين ضريحاً ما تزال موجودة إلى يومنا هذا ـ كما ذكر أحد الباحثين ـ وهذه هي الأضرحة الكبيرة المشهورة التي يؤمها الآلاف من الناس.

---

(١) أقول: يظهر أن الشيخ قد بالغ في هذا الحكم بعض المبالغة.

وفي بغداد كان يوجد أكثر من مائة وخمسين جامعاً في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وقلَّ أن يخلو جامع منها من ضريح.

وفي الموصل يوجد أكثر من ستة وسبعين ضريحاً مشهوراً كلها داخل جوامع.

وهذا كله بالنسبة إلى الجوامع أما المساجد، ـ وهي التي لا تقام فيها الجمعة ـ فهي تزيد على الجوامع أضعافاً مضاعفة، ولم يكن يخلو مسجد منها من ضريح إلا في النادر القليل. وهناك أيضاً الأضرحة التي تكون في الزوايا والتكايا، وهناك أيضاً الأضرحة المكشوفة التي لم يبنَ عليها جوامع أو مساجد، وتلك كثيرة أيضاً.

ولا تخلو مدينة من المدن في تلك الفترة من تلك الأضرحة على مستوى العالم الإسلامي كله، بل لم يعد البناء على القبور قربة عند هؤلاء فحسب، بل صار ميداناً فسيحاً للتنافس بين البلدان، والتفاخر بتلك الأضرحة، وبمقدار ما يحوز البلد من أضرحة الأولياء تكون أفضليته عند الناس ويرغب في سكناه والمجاورة فيه، وإذا افتُرِض أن هناك بلداً لم يتشرف بحيازة شيء من هذه الأضرحة، فإنه لا يعدم من أهله من يختلق أكذوبة وإشاعة يدعي فيها أنه رأى رؤيا المكان الفلاني من البلد يوجد به قبر لولي من الأولياء، فيسارع الناس إلى البناء على ذلك الموضع المزعوم، وإذا به يغدو بعد أيام قلائل مزاراً يهرع إليه أهل البلد)[1].

فهذه الجولة التي قام بها الشيخ الزهراني جزاه الله خيراً تعطينا صورة واضحة عما وصلت إليه الأمة من تردٍّ في أوحال القبورية، وعما قذفها به دعاة القبورية من سموم ناقعة، نشرت في جسدها هذا الداء إلى هذه الدرجة، وهو وإن لم يَحصُر بلاد العالم الإسلامي، إلا أن ما لم يُذكَر ينبغي أن يقاس على ما ذُكِر، فالدعوة إلى القبورية في كل مكان بنفس القوة، وقبول الناس لها بنفس الدرجة. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## النتائج المترتبة على تلك المظاهر انتشار الشرك بالله تعالى بأنواعه المختلفة:

إن المشاهد والقباب والمساجد المبنية على القبور ليست شركاً في ذاتها؛ ولكنها وسائل للشرك، وقد أدت إلى الأهداف التي أنشئت من أجلها، وآتت ثمارها وظهر الشرك بالله تعالى بشكل لافت للنظر، منذر بالخطر، مفزع لكل غيور على نقاء

(١) «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة» (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٨)، تأليف علي بن بخيت الزهراني، طبع دار طيبة، مكة المكرمة، ودار آل عمار، الشارقة، الطبعة الثانية سنة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

العقيدة وصفاء التوحيد، ومفرح لكل شامت ومتربص بالإسلام وأهله، وهذه نماذج أخرى مما ذكره علماء المسلمين من بلاد متفرقة من بلاد الإسلام تُصَوِّر لنا مدى الانحراف الذي وصلت إليه الأمة في عقيدتها وفي توحيدها بشكل خاص.

يقول العلامة أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ في ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من كتابه «رجال الفكر والدعوة»: (كانت العقائد الشركية قد نالت رواجاً بين عامة المسلمين بسبب اختلاطهم مع أصناف من المشركين، ونفوذ الدولة الفاطمية الباطنية الإسماعيلية وانتشار الصوفية، فكانوا يحملون من العقائد الشركية في الأولياء والصالحين والمشايخ ما كان يعتقده اليهود والنصارى والمشركون، من الطواف حول القبور والاستغاثة بأصحابها والحج إليها وبناء المساجد الفخمة عليها وعقد المهرجانات عليها عاماً مقاماً[(١)] والنذور للقبور، وقد عمَّتْ وطمَّتْ هذه العقائد إلى أن جعلوا الميت كالإله والشيخ الحي كالنبي، وكانوا قد عزلوا الله تعالى عن أن يتخذوه إلهاً وعزلوا النبي ﷺ عن أن يكون رسولاً، وارتكبوا ما كان محضَ دينِ المشركين والنصارى، وقد وصلوا في عبادة القبور والسجود لها ودعاء أصحابها وجعل القبور قبلة وكعبة إلى حدٍّ كان هؤلاء القبوريون المشركون بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لم يجده أحدهم في مساجد الله. إلى أن كان الفسقة الفجرة أصحاب الكبائر من هؤلاء القبورية لا يتحاشون الكبائر، ولكن إذا رأوا الميت أو الهلال فوق رأس قبة القبر المعبود خشوا من فعل الفواحش، فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون خالق الأكوان، وكانوا يحلفون بالله بالكذب ولا يحلفون بالميت كذباً، فكانوا في الشرك كما كان قوم إبراهيم حيث قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الأنعام: ٨١].

وكان بعضهم يفضل شيخه على الأنبياء والمرسلين ويعتقد فيه الإلهية كالنصارى، إلى غير ذلك من الكفريات والشركيات التي تدل على أن القبورية الوثنية قد عمّت العباد وطمّت البلاد إلا من شاء الله)[(٢)].

وهذا وصف شامل لما وصل إليه حال الأمة لَخَّصه العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله في كتابه: «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس» فقال: (ونذكر لك هنا طرفاً من معتقد عباد القبور والصالحين، وحقيقة ما

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «جهود الحنفية» (١/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨).

هم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن، إن كان الواقف ممن اختصه الله تعالى بالفضل والمن، ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلاً واستظهاراً، مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق.

ومن ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء، ودعاؤهم مع الله في المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلا فاطر الأرض والسماوات، والعكوف حول أجداثهم، وتقبيل أعتابهم، والتمسح بآثارها؛ طلباً للغوث، واستجابة الدعوات وإظهاراً للفاقة، وإبداءاً للفقر والضراعة، واستنزالاً للغوث والأمطار، وطلب السلامة من شدائد البرّ والبحار. وسؤالهم تزويجهم الأرامل والأيامى. واللطف بالضعفاء واليتامى. والاعتماد عليهم في المطالب العالية، وتأهيلهم المغفرة للذنوب والنجاة من الهاوية، وإعطاء تلك المراتب السامية. وجماهيرهم ـ لَمَّا ألفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم. وعز عنه امتناعهم ـ لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والإنابة إليه، بل ليس لذلك عندهم إلا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان. حتى جعلوا الذهاب إلى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء والإنابة إلى الله في كشف الشدائد والبلوى. كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم.

وقد حدَّث الشيخ مصطفى البولاقي أن بعض رؤساء الجامع الأزهر عادَهُ لَمَّا اشتكى عينيه، وقال له: هلا ذهبت إلى مولد الشيخ أحمد البدوي؟ فقد حُكِي أن إنساناً شكا إليه ذهاب بصره، فسمع قائلاً يقول من الضريح: أعطوه عين كذا وكذا، فانظر إلى ما خطر ببال هذا المتكلم من تعظيم هذا الميت وتأهيله لتلك المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله القاهر الغالب، وقصد الوساطة هنا على ما فيها ما أظنها تخطر بباله أصلاً. فهل سمعت عن جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب؟ والكلام مع ذكي القلب يقظ الذهن قوي الهمة العارف بالحقائق ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في أصول الديانات والتوحيد، وأما ميت القلب بليد الذهن وضِيع النفس جامد القريحة ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد، والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان من معتقد أهل المقابر والتنديد، فذاك فاسد الفطرة معتل المزاج، وخطابه محض عناء ولجاج.

ومما بلغنا عن بعض علماء زبيد: أن رجلين قصدا الطائف، فقال أحدهما

لصاحبه ـ المسؤول ممن يترشح للعلم ـ: أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس. فأجابه: بأن معرفتهم لابن عباس كافية؛ لأنه يعرف الله. فأي ملة ـ صان الله ملة الإسلام ـ لا تمانع هذه الكفريات ولا تدافعها؟! وذكر الزبيدي أيضاً أن رجلاً كان بمكة عند بعض المشاهد، قال لمن عنده: أريد الذهاب إلى الطواف، فقال بعض غلاتهم: مقامك هاهنا أكرم.

ومن وقف على كتاب «مناقب الأربعة المعبودين بمصر» ـ وهم البدوي والرفاعي والدسوقي ورابعهم فيما أظن أبو العلاء ـ فقد وقف على ساحل كفرهم، وعرف صفة إفكهم.

وبلغنا عن بعض الثقات أن جماعة من المدعين للعلم بزبيد كانوا يقرأون «صحيح البخاري»، فإذا فرغوا منه ـ إما أحياناً وإما مطلقاً ـ ذهبوا إلى قبر البحيرة أو غيره، فوقفوا عاكفين ـ ما شاء الله ـ وعليهم من السكينة والوقار وضروب الخضوع لنازل الحفرة. قال من نقله: فالله أعلم أهو شيء وجدوه في صحيح البخاري، أو غيره أو ما هو!

قال: رأيت في حاشية الشيخ إبراهيم الباجوري على السنوسية نقلاً عن الدردير فيما أظن عن الشعراني: أن الله وكل بقبر كل ولي ملكاً يقضي حاجة من سأل ذلك الولي.

فقف هنا وانظر ما آل إليه شركهم وإفكهم، فأين هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وأي حجة في هذا الذي قال الشعراني لو كانوا يعلمون؟! ولكن القوم أصابهم داء الأمم قبلهم، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين.

ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة الملقب شمس الدين الحنفي أنه قال في مرض موته: (من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب مني أن أقضيها له فإنما بيني وبينه ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل) انتهى.

وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الإسلام في بيت رجل من أهل مصر

وبقربه رجل يدعي العلم فأرسل إليه صاحب البيت فسأله بمسمع من الحاضرين فقال له: (كم يتصرف في الكون؟ فقال: يا سيدي سبعة، قال: من هم؟ قال: فلان وفلان وعدّ أربعة من المعبودين بمصر. فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين: إنما بعثت لهذا الرجل وسألته لأعرفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الإسلام). أو كلاماً نحو هذا.

وباب تصرف المشايخ في الكون قد اتسع خرقه حتى سلكه جمهور من يدعي الإسلام من أهل البسيطة، وقد هلك في بحاره أكثر من سكن الغبراء وأظلته المحيطة حتى نسي القصد الأول من التشفع والوساطة، فلا يعرج عليه عندهم إلا من نسي عهود الحمى. وقد ذكر هذا شيخ الإسلام في «منهاجه» عن غلاة الرافضة في علي. فعاد الأمر إلى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير، ولم يبلغ شرك الجاهلية الأولى إلى هذه الغاية؛ بل ذكر الله جل ذكره أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به، ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما أنكروه من الإلهية.

ومن ذلك ـ وهو من عجيب أمرهم ـ ما ذكره حسين بن محمد النعمي اليمني في بعض رسائله: أن امرأة كُفَّ بصرها فنادت وليها: أمَّا الله فقد صنع ما ترى، ولم يبق إلا حسبك. انتهى.

وحدثني سعد بن عبد الله بن سرور الهاشمي رحمه الله أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج، فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين، فقالوا: (هذا محبة في سيدنا الحسين رضي الله عنه) وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا واقع عندهم.

وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدي بالجامع الأزهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال: لا يدَق وتد في القاهرة إلا بإذن السيد أحمد البدوي، قال: فقلت له: هذا لا يكون إلّا لله أو كلاماً نحو هذا فقال: حبي في سيدي البدوي اقتضى هذا.

وحكي أن رجلاً سأل الآخر: كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال: لم أرَ أكثر منه إلا في جبل عرفات، إلا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة ثلاثة الأيام، فقال السائل: قد تحمَّلَها الشيخ، قال بعض الأفاضل: وباب تحمُّلِ الشيخ مصراعاه ما بين بصرى وعدن، قد اتسع خرقه، وتتابع فتقه، ونال رشاش زقّومه الزائر المعتقد، وساكن البلد. انتهى.

وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشاهد ـ وقصد التبرك مع ما فيه ـ لا يمنع حقيقة العبادة الصورية، ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولي بشيء معين، يبقى رسماً جارياً يؤدَّى كل عام، وإن كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها؛ لأنها مشتراة منه. ولا يماري في هذا إلّا مكابر؛ لأنه استفاض واشتهر. فلا ينكره إلا مكابر في الحسيات. وإن فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر، وهذا أشد وأشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٦]. وكذلك جعل السوائب باسم الولي لا يحمَل عليها ولا تذبَح، وسوق الهدايا والقرابين إلى مشاهد الأولياء وذبحها حباً للشيخ وتقرباً إليه. وهذا وإن ذكر اسم الله عليه فهو أشدّ تحريماً مما ذُبحَ للحم وذكر عليه اسم غير الله كعيسى مثلاً. فإن الشرك في العبادة أكبر من الشرك بالاستعانة.

ومن ذلك تركُ الأشجار والكلأ والعشب إذا كان بقرب المشهد وجعله حرماً له، ومنها الحج إلى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر ويذبحون، وبعض مشايخهم يأمر الزائر بحلق رأسه إذا فرغ من الزيارة.

وقد صنف بعض غلاتهم كتاباً سماه حج المشاهد وهو متداول. ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين. والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر والنصيب الأوفر، بل فيه البحر الذي لا ساحل له والمَهَامَة التي لا ينجو سالكها ـ ولا يكاد. ومِنْ نَحْوِه دَرَجَ الكفر وظهر الشرك والفساد كما يعرف ذلك من له إلمام بالتاريخ ومبدأ الحوادث في الدين، ومن شاهدَ ما يقع منهم ـ عند مشهد الحسين ومشهد علي والكاظم عند رافضتهم، وعبد القادر والحسن البصري والزبير وأمثالهم عند سنييهم من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وأنواع الموبقات ـ علم أنهم من أجهل الخلق وأضلهم، وأنهم في غاية من الكفر والشرك، ما وصل إليها من قبلهم ممن ينتسب إلى الإسلام. والله المسؤول أن ينصر دينه، ويعلي كلمته بمحو هذه الأوثان؛ حتى يعبد وحده، فتسلم الوجوه له، وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها.

ومن ذلك ـ وإن كان يعلم مما تقدم ـ: اتخاذها أعياداً ومواسم، مضاهاة لما شرعه الله ورسوله من الأعياد المكانية والزمانية.

ومنها: ما يقع ويجري في هذه الاجتماعات من الفجور والفواحش، وترك

الصلوات وفعل الخلاعات التي هي في الحقيقة خلع لربقة الدين والتكليف، ومشابهة لما يقع في أعياد النصارى والصابئة والإفرنج ببلاد فرنسا وغيرها من الفجور والطبول والزمور والخمور.

وبالجملة فما أحدثه عباد القبور يعز حصره واستيفاؤه) انتهى[١].

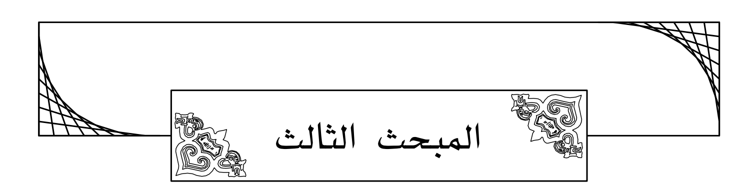
قلت: لقد أطلْتُ النقل، وكان عن عبد اللطيف آل الشيخ من أحفاد محمد بن عبد الوهاب، وقد لا يرضاه البعض ويقول: إنه متحامل على عموم المسلمين، وأنا قد نقلت قبله عن العلامة الندوي وهو داعية مشهور لا تتطرق إليه شبهة الوهابية، بل إن لبعض علماء نجد مؤاخذات عليه رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك أحيل القارئ على الشيخ شمس الدين السلفي الأفغاني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الكبير «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» (١/ ٤٤٧ ـ ٤٨٠) حيث نقل شهادات العلماء من شرق الأرض وغربها، وسهولها وجبالها، وقراها ومدنها، وبلادها وعبادها، وهندها وأفغانها، وتُركها ورومها وما وراء نهرها، ومصرها وشامها ونحوها: برّها وبحرها، نقل عن هذه البلاد جميعها ما قاله العلماء عما فيها من آثار القبورية من انحراف في العقائد، وشرك بالله بصور مختلفة، وختم ذلك كله بشهادة داعٍ من دعاة القبورية شهد على نفسه وقومه بما شهد به دعاة التوحيد والسنة، ذلكً هو أحمد الصديق الغماري صاحب كتاب «إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور» حيث قال في كتابه ذلك: (إن كثيراً من العوام بالمغرب ينطقون بما هو كفر في حق الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ) وكذلك نرى بعضهم يفعل ذلك مع من يعتقده من الأحياء، فيسجد له ويقبل الأرض بين يديه في حال سجوده، ويطلب منه في تلك الحال الشفاء والغنى والذرية ونحو ذلك مما لا يطلب إلا من الله تعالى.

وإن عندنا بالمغرب من يقول في ابن مشيش (ت٦٦٢هـ): إنه الذي خلقَ الابنَ والدنيا ومنهم من قال ـ والمطر نازل بشدة ـ: يا مولانا عبد السلام! الطف بعبادك. فهذا كفر)[٢]، فهذه هي آثار القبورية في الأمة فهل آن الأوان لأن يقوم الغيورون على دين الله قومةً واحدةً لتصحيح هذا الانحراف وإزالة هذه الآثار المدمرة أرجو ذلك والله المستعان.

---

(١) «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ص(٥٠ ـ ٥٥) للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ، طبع دار الهداية للطبع والنشر والترجمة، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

(٢) «جهود علماء الحنفية» (١/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، نقلاً عن «إحياء المقبور» للغماري ص(٢١ ـ ٢٢).




## مساهمة السلاطين في نشر القبورية في الأمة المحمدية

**وفيه ثلاثة مطالب:**

### المطلب الأول: لمحة سريعة عن قبورية السلاطين عبر التاريخ:

لقد كان تعظيم القبور والمباهاة بتشييدها وتفخيمها ملازماً للسلاطين من فجر التاريخ، ولو نظرنا إلى الأهرامات وهي من أقدم الآثار الباقية في العالم لوجدناها إنما كانت مقابر للفراعنة أشادوها لدفن ملوكهم وأفراد أسرهم المالكة بناءً على اعتقادات خاصة بهم، وكانوا يدفنون الميت مع كامل مقتنياته الشخصية في تلك المقابر، ولم تقتصر مقابرهم على الأهرام؛ ولكنها وجدت في أماكن متعددة من أرض مصر، ومن دخل المتحف المصري عرف بحق كيف كانت مقابرهم وما هي عليه من العظمة والفخامة.

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن نزعة السلاطين نحو القبورية في قصة أهل الكهف بعد أن عُثر عليهم وعرفت حقيقة حالهم، عند ذلك قرر السلاطين بناء مسجد على موضع رقودهم ومحل قبورهم. قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

ثم نطوي الأيام إلى أن نصل إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي، حين حرّف دين النصارى وتدخل السلطان في ذلك ونصر طائفة منهم على الآخرين، عند ذلك قام الملك قسطنطين ببناء بيت لحم على محل مولد المسيح، وبنت أمه هيلانة القمامة[١] يعني على قبر المصلوب، وهم يسلمون لليهود أنه المسيح، وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة من قبل[٢]، وهكذا في كل عصر نجد النماذج على ذلك حتى إذا انقضت

---

(١) كنيسة معروفة في فلسطين منسوبة إلى بانيتها. انظر: «القاموس» ص(١٤٨٦).

(٢) ابن كثير «البداية والنهاية» (٢/ ١٠١).

القرون المفضلة من حياة الأمة الإسلامية عادت السلاطين إلى سنة مَن قبلهم، فأخذوا بها وزادوا عليها، فأول قبر أقيم عليه بناء مستقل هو من قبور السلاطين حيث كان ذلك القبر قبر الخليفة العباسي المنتصر بن المتوكل الذي توفي سنة (٢٤٨هـ)، وكان إبراز قبره والبناء عليه بطلب من أمه الرومية الأصل، وبموافقة خليفة العصر[1]، وبنيت عليه قبة يكاد مؤرخو الآثار يعتبرونها أقدم قبة باقية إلى الآن في التاريخ الإسلامي، ودُفن فيها إلى جانب المنتصر الخليفتان: المعتز (ت٢٥٥هـ)، والمهتدي (ت٢٥٦هـ)[2].

وكان الخلفاء قبل ذلك تُدفن في قصورها خوفاً عليهم من تقلبات الزمن، ويلي تلك القبة ضريح الأمير إسماعيل الساماني أحد أمراء الدولة السامانية التي حكمت سمرقند من (٢٦١ ـ ٣٨٩هـ) وكان بناء الضريح سنة (٢٩٦هـ)[3].

وحينما آلت السلطة إلى غلاة الرافضة والباطنية زاد الأمر تفاقماً، ذلك أنه جُمع بين العقائد المنحرفة الغالية وعظمة السلطان وحب تقديس الذات والأهل، فكان ما سبقت الإشارة إليه من أعمال البويهيين، وخصوصاً عضد الدولة الذي لم يسبقه أحد إلى إنشاء العمائر الفخمة على مراقد الأئمة، ومنها قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي أنشأ لنفسه تربة بجواره وأوصى أن يدفن فيها وبالفعل دفن هناك[4]، وأما الفاطميون فلهم القدح المعلى من ذلك، سواءً فيما يتعلق بأنفسهم أو بأئمة أهل البيت أو حتى بالقبور الوهمية التي كانوا يظهرونها للناس ويقدسونها ويطلبون من الناس تقديسها وقد مر ذلك[5]، وحينما عادت السلطة إلى أهل السنة لم يعُدْ السلاطين علماء متبعين لمنهج السلف الصالح النقي النظيف كما كان الحال عليه في القرون المفضلة، وإنما عاد السلاطين جهلة بالشرع في الأغلب أو تابعين لمناهج منحرفة أخذوها عمن حولهم من المتصدرين للعلم والتوجيه الديني من متصوفة ونحوهم، بالإضافة إلى الجو العام الذي قد طبعه الرافضة والباطنية بطابعهم، وتركوا آثار قبوريتهم معالم يقتدي بهم فيها سلاطين أهل السنة، وبالفعل كان الأمر كذلك، وكلما كان السلطان أقرب إلى الصلاح كان أكثر إيغالاً في القبورية في كثير من

---

(١) «الطبري في تاريخ الأمم والملوك»، طبعة جديدة ومنقحة ومفهرسة، طبع دار الفكر (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)، حوادث سنة (١٤٨هـ).

(٢) «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/ ٤٦).

(٣) «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/ ٤٦).

(٤) «موسوعة العتبات ـ قسم النجف» (٦/ ١٩٥).

(٥) في هذا الفصل المبحث الأول ص(١٧٦).

الأحيان، احتساباً للأجر والثواب كما يوهمه من حوله من شيوخ الطرق الصوفية، فهذا الوزير (نظام المُلك) من أفضل الوزراء، أثنى عليه كل المؤرخين الذين ترجموا له، ولكنه حينما كان رفقاؤه والغالبون على مجلسه من المتصوفة كان من أكثر الوزراء تأسيساً للقبورية في ديار أهل السنة، ففي عهده أُنشئت القبة على قبر أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو الذي خاطب الخليفة الفاطمي المعاصر له أن ينقل إليه جثمان الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليبني عليه مشهداً في بغداد ولكن لم يتم ذلك.

ثم جاءت الدولة الزنكية والأيوبية فوسَّعت الأمر توسيعاً مذهلاً كما تراه في «الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمي و«الخطط» للمقريزي و«مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» للدكتورة سعاد ماهر. وهم قد عملوا في ذلك على خطين متوازيين: فهناك الترب الخاصة بهم وبمن يلوذ بهم من الأتباع وأعيان القصور، وتبعهم في ذلك ولاتهم وقادتهم ووزراؤهم. وهناك مشاهد الأئمة ومشايخ الطرق الذين أحبوهم فقدسوا قبورهم، ولم يكتفوا بالترب المفضلة، فهناك قبور في الأربطة والخوانق، وهناك قبور في المدارس، وهناك في المساجد أو بجوارها؛ وكل ذلك تجده في المراجع المشار إليها.

وجاء المماليك بقسميهم الشراكسة والبُرجية فأتموا ما بدأ سلفهم وزادوا عليه ووسعوه توسيعاً زائداً[(١)] حتى وصل أثرهم إلى الحجاز واليمن وغيرها من البلاد التي شملها حكمهم.

وعلى نفس النمط سار العثمانيون فأشادوا لأنفسهم المشاهد والأضرحة الضخمة ولأسرهم كذلك، كما أشادوا المشاهد في جهات كثيرة شملها حكمهم الطويل العريض من أوروبا وأفريقيا، حتى شملت مشاهد أئمة الشيعة وهكذا الدول المعاصرة لهم في كل بلاد المسلمين من الهند إلى المغرب العربي.

ومع قيام الدعوة النجدية ـ بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومساندة الإمام محمد بن سعود ومحاربتهم للقبورية وهدم ما قدروا عليه منها في كل مكان وصلوا إليه ـ بدأ الأمر ينحسر، وكلما تعمقت الصحوة الإسلامية في أي بلد من بلدان العالم الإسلامي زاد انحسارها، كما ساعد على ذلك موجة الإلحاد والعلمانية التي عمت معظم أرجاء العالم الإسلامي، حيث تخلى سلاطين هذه الحقبة عن نشر

---

(١) انظر: «الخطط المقريزية» في عدة مواضع، و«مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» في الجزئين الخاصين بالمماليك، و«خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي».

القبورية القديمة في كثير من الأحيان، وإن كان بعضهم قد قام بشيء من ذلك ولو لأنفسهم وسلفهم من قادة الثورات ورؤساء الدول.

إلا إن سلاطين هذه الفترة قد نقلوا إلى بلاد المسلمين نمطاً آخر من القبورية، نقلوه عن أوروبا الملحدة أو النصرانية، وتلك القبورية تتمثل في إقامة التماثيل للزعماء في كثير من بلاد العرب والمسلمين والتي لا يختلف على تحريمها سلفي ولا صوفي ولا سني ولا شيعي، كما أقاموا الأنصاب، فنصب الجندي المجهول ونصب الشهيد والمقابر الجماعية لشهداء الثورات وكبار المسؤولين، وقد عمت تلك التماثيل والأنصاب وتلك المقابر أشهر الميادين في أكبر مدن وعواصم تلك الدول.

كما ابتكروا نوعاً جديداً من القرابين يتقربون بها إلى تلك الأنصاب والمقابر، وهي باقات الزهور التي اعتادوا وضعها عليها في شتى المناسبات، وهذه الزهور قرابين مبنية على عقائد لدى مؤسسي تقديمها للقبور، وإن كان في الغالب أن الكثير ممن يقومون بها من زعماء المسلمين لا يدركون تلك العقائد ولا يلتفتون إليها، كما أضافوا إلى ذلك شعائر قبورية جديدة وهي قراءة الفاتحة عند تقديم تلك الباقات، وهذه بدعة قديمة من بدع الشيعة والصوفية ولكنها جديدة في شكلها الحاضر.

ومن الشعائر الجديدة المحرمة في المقابر وغيرها الموسيقى الجنائزية التي تصاحب تقديم الزهور، فهذه قبورية جديدة يخشى أن يأتي من شياطين الإنس والجن من يحوِّلها إلى شعائر تعبدية فتدخل في نطاق البدع العملية أو أن يوصلها إلى الاعتقادات التي تكون بها من الشرك بالله تعالى.

**المطلب الثاني: الباعث الذاتي لقبورية السلاطين:**

إن حب الرفعة والتعالي غريزة من غرائز الإنسان تظهر وتتجلى كلما وجد لها المجال وتوفرت لها الأسباب، ولا شك أن الإنسان إذا وصل إلى السلطة والملك فإن تلك الغريزة تظهر بأوضح صورها، وذلك التعالي لا يقتصر على الحياة بل يحب المغرور المتعالي أن تبقى مكانته وآثار عظمته بعد موته، ومن جملة ذلك تفخيم تربته وما يقام على قبره من أبنية ومرافق.

كما قال الشاعر يحيى بن الحكم الجياني المغربي:

أرى أهل الثراء إذا توفوا ... بنوا تلك المقابر بالصخورِ
أبوا إلّا مباهاةً وتيهاً ... على الفقراء حتى في القبورِ[1]

---

(١) «الخطط المقريزية» (٣/ ٤٨١).

وقد يرافق ذلك اعتقاد في إمام أو صالح فيحب ذلك السلطان أن يذكر معه أو أن يجاوره لنيل بركاته، كما أنه قد يحمل على ذلك عاطفة متأججة لموت حبيب أو قريب، فلا يملك ذلك السلطان نفسه أمامها فيفعل ما لا معنى له ولا مسوغ له من عقل أو مصلحة أو اعتقاد، وهاك بعض الأمثلة على كل واحد من تلك الأسباب:

فمن النوع الأول القبة المنصورية التي بنتها أسرة (قلاوون) إحدى الأسر الحاكمة من المماليك ورأس هذه الأسرة الملك المنصور قلاوون (ت٦٨٩هـ) يقول المقريزي في وصف هذه القبة: (هذه القبة تجاه المدرسة المنصورية، وهما جميعاً من داخل باب المارستان المنصوري، وهي من أعظم المباني المملوكية وأجلها قدراً وبها قبرٌ تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون، وبها قاعة جليلة في وسطها فسقية[١] يصل إليها الماء من فوارة بديعة الزي، وسائر هذه القاعة مفروش بالرخام الملون. وهذه القاعة معدة لإقامة الخدام الملوكية، الذين يعرفون اليوم في الدولة التركية بالطواشية... وكان يستقر في وظائف هذه الخدمة أكابر خدام السلطان، ويقيمون عنهم نواباً يواظبون الإقامة بالقبة، ويرون ـ مع سعة أحوالهم وكثرة أموالهم ـ من تمام فخرهم وكمال سيادتهم انتماءهم إلى خدمة القبة المنصورية.

وقصد الملوك بإقامة الخدم في هذه القاعة ـ التي يتوصل إلى القبة منها ـ إقامة ناموس الملك بعد الموت، كما كان في مدة الحياة[٢]. ومن النوع الثاني قبة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ التي بناها الملك الكامل الأيوبي ودَفن فيها ابنه إلى جوار الإمام[٣]. ومن النوع الثالث مسجد تاج محل الذي بناه شاه جهان أحد أعظم ملوك الهند[٤]، وذلك عندما فجع بموت زوجته تاج محل فجزع عليها جزعاً عظيماً كاد يهلك منه، ثم تحامل على نفسه وبنى ذلك البناء العظيم الذي لا يوجد له مثيل في العالم، ثم عمل له مرآة في قصره موجهة إلى ذلك المشهد بحيث لا يزال يراه وهو في قصره،

---

(١) الفسقية: هي حوض من الرخام. «المعجم الوسيط» (١/ ٦٨٩).

(٢) انظر: «الخطط المقريزية» (٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٣) «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (٢/ ١٥١).

(٤) انظر ترجمته في: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (٥/ ٥٣٦) لعبد الحي بن فخر الدين الحسني، طبع دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٠هـ ـ ١٩٥٩م).

وذلك المسجد إحدى روائع الدنيا التي يقصدها السيّاح من كل مكان، حمل على بنائه تلك العاطفة الجياشة والمحبة الزائدة وصَولة المُلك وقلة العلم.

**المطلب الثالث: الباعث السياسي لقبورية السلاطين:**

السياسة إذا لم تنضبط بالشرع ويتحلى صاحبها بالتقوى المبنية على العلم؛ فإنها تتحول إلى وسيلة قذرة لتحقيق مآرب وأهواء، وتتلون تلك السياسة بعشرات الألوان التي يجد فيها الحاكم تحقيقاً لمآربه وأهوائه، ثم قد يظهرها بمظهر التدين، وقد يظهرها بمظهر العطف على الرعية، وقد يظهرها بمظهر الحزم وحفظ النظام، وهي في حقيقتها ظلم وعدوان على الأمة.

وهكذا دخلت السياسة من أوسع الأبواب وتبنت القبورية بشتى الذرائع: فحيناً لإلهاء الأمة وشغلها بالطقوس الفارغة والشعائر الكاذبة عما يكون عليه النظام من الظلم والجور والتعسف بالرعية والضعف والانحطاط الذي يهدد كيانه، وحيناً لاسترضاء الأمة وإظهار موافقتها على ما تحب ومشاركتها في ميولها ورغباتها، وحيناً للاستحواذ على الفئات المؤثرة في الأمة وكسب ولائها ليكسب من وراء ذلك ولاء الأمة، إلى غير ذلك من المكاسب السياسية التي رمى إليها الحكام بتبنيهم القبورية ونشرها في الأمة، وقد سبق إلى هذا الذي قلته باحثون أفاضل.

يقول الدكتور علي بن بخيت الزهراني: (وكان كثيرٌ من الملوك والحكام في ذلك الزمن يلجأون إلى عمارة تلك الأضرحة والإنفاق عليها، ليس إيماناً بها بقدر ما كان إرضاءً لمشاعر الناس ومحاولة لكسب ولائهم، والعمل على إلهائهم بتلك الأضرحة التي تعبد من دون الله ﷻ، واطمئناناً على الأقل من ثوراتهم وتمرداتهم نتيجة لما كان يمارسه هؤلاء الحكام من ظلم وطغيان)[1].

ويقول الباحث عمّار علي حسن: (واستعراض تاريخ مصر منذ الفراعنة وحتى الوقت الراهن يشير إلى أن كل مرحلة خلقت لنفسها الوسائل التي تجذب الجماهير من طقوس دينية وفُلكلُور شعبي... إلخ؛ وذلك لدعم النظام السياسي القائم والتمكين لوحدة المجتمع واستقراره، وقد التقى الحكام مع أصحاب النفوذ الديني وغيرهم على هذه القاعدة، وكان المتصوفة من أصحاب السبق في هذا المضمار

(١) «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة» (١/ ٢٨٤).

خاصة بعد الفتح الإسلامي لمصر، فالإسلام كدين لم يكن طيِّعاً في يد الحكام ليستخدموه في الأغراض السياسية؛ لذا بحثوا عن الرجال الذين يطوعون لهم النصوص لتتوافق مع مسلكهم في الحكم...)[١].

ويقول الدكتور عاصم محمد رزق: (والواقع أن المناخ السياسي والديني الذي ساد الدولة الإسلامية منذ القرنين (٦ ـ ٧هـ، ١٢ ـ ١٣م) كان واحداً من أهم العناصر الأساسية التي ساعدت على انتشار الصوفية بعدما ابتلي العالم الإسلامي كله في الشرق والغرب خلال القرنين المشار إليهما بنكبات متوالية يرجع السبب في معظمها إلى تدهور نظم الحكم وضياع هيبتها ويأس الناس منها، فنزلت بهذا العالم نكبات التتار من ناحية الشرق ونكبات المسيحيين الغربيين من ناحية الأندلس، وظل الصليبيون قابعين في منطقة الشرق الأدنى يمثلون خطراً مباشراً على البلاد الإسلامية، وتحول عدوانهم في الشام وبلاد الأندلس من غارات إلى غزو واحتلال، ومن ثم إلى تكوين ممالك نصرانية على أرض إسلامية، ووقفت دول الإسلام في المغرب عاجزة لا تستطيع القيام بشيء يصون أنفس المسلمين ويحمي أموالهم، أما في المشرق فقد ضاع الحزم كلية ووقف السلاجقة أمام العدوان الصليبي موقف العاجز، واتضع أمر الخلافة حتى لم يعد لها في العالم السياسي وزن يذكر، حتى الفاطميين في مصر لم يدركوا حقيقة هذا الغزو إلا في وقت متأخر، وخرجوا من ميدان الصراع كلية بعد استيلاء الصليبيين على آخر معاقلهم في عسقلان ودخلت دولتهم في طور الاحتضار.

يضاف إلى ذلك كله كثرة الفتن والاضطرابات واختلال الأمن والمجاعات والأوبئة مما دفع الكثير من عامة الناس إلى الدخول في دائرة التصوف، وشجع على ذلك سلاطين المماليك الذين شاركوا عامة الشعب في الصوفية والعطف عليهم، وليس أدل على ذلك من كل هذه الخوانق التي أنشؤوها وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة، وأغدقوا منها الرواتب والجرايات على صوفيتها، مما كان له ـ فيما يبدو ـ أكبر الأثر في صبغ الحياة المصرية بصبغة الزهد في الدنيا والاتجاه للآخرة، وترتب على هذا الشعور في النهاية نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل بين عامة الناس مما

(١) «الصوفية السياسية في مصر» ص(٨٥ ـ ٨٦) بواسطة كتاب «دمعة على التوحيد»، إصدار المنتدى الإسلامي، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، ص(١٧٧).

لا تزال بقاياه في نفوس الكثيرين حتى اليوم، وإن دل على شيء فإنما يدل على أن الصوفية وغيرها من الأنشطة الدينية التي اتخذت الصبغة الدينية في عصر المماليك مظهراً لها؛ كانت في الواقع الستر الذي أخفى وراءه حكام هذه الدولة ما كان قد عظم من أمورهم السيئة في شتى المجالات: من السلب والنهب والمصادرة والرشوة والسخرة والعقوبات والزنا واللواط وغيرها من الجوانب التي لم تحظ بعد بكتابات هادفة جادة توفيها حقها من البحث والدراسة.

فمن المناخ العام لدولة الإسلام شعر المسلمون أنهم يقفون في عجز كامل أمام أعداء لا يرحمون، فاتجهت قلوبهم ونفوسهم إلى الله ﷻ يسألون الغوث للإسلام وأهله، والتفّت قلوبهم حول طوائف الصوفية ونحوهم من الزهاد والعباد والأولياء، فازدادت أهمية هؤلاء الناس وتنوعت أشياعهم وأشكالهم، وكان لهم في ذلك ترتيب محكم أوّله الأبدال ـ وهم اثنا عشر ولياً ـ كلما توفي أحدها استبدل الله ﷻ به غيره، وثانيه الأقطاب ـ وهم رؤوس المعرفة ومفاتيحها ـ، وثالثه الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ونشأ من هذا العصر الذهبي للتصوف)[(١)].

وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

**المثال الأول**: وهو من أقدم الأمثلة وأكثرها دهاءً وخبثاً وهو ما فعلته الدولة الفاطمية بمصر بعد استيلائها عليها، فقد عمدت إلى الاستكثار من تلك المشاهد، وأكثرها مكذوب لا حقيقة له، وزعمت نسبتها إلى أهل البيت وأظهرت تعظيمها، وسنتْ الشعائر الوثنية لها لإلهاء الأمة وترويضها على قبول مبادئها المارقة ومذهبها الخبيث، والانشغال بذلك عن التفكر في حقيقة ذلك النظام وما يقوم عليه من كفر وضلال، هذا بالإضافة إلى الغلو الذي يشتهر به زعماء وقادة تلك الدولة في أهل البيت. تقول الدكتورة سعاد ماهر: (ومن المعروف أن خلفاء ووزراء الدولة الفاطمية كانوا قد أقاموا المشاهد والأضرحة لأهل البيت وخاصة أبناء الإمامين الحسن والحسين)[(٢)]، ثم ذكرت عدداً من تلك المشاهد فمنها (مشهد علي زين العابدين)[(٣)]،

---

(١) انظر: «خانقاوات الصوفية في مصر في العصر المملوكي والأيوبي» (١/ ٤٦ ـ ٤٨) للدكتور عاصم رزق.

(٢) «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (٢/ ٦٧).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٠٥).

و(السيدة زينب)[١]، و(السيدة نفيسة)[٢]، و(السيدة سكينة)[٣]، و(السيدة عائشة)[٤]، وزاد المقريزي[٥] السيدتين (سناء وثناء)[٦]، من أولاد جعفر الصادق وكذلك (أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق)[٧]، ومعلوم أن كل أو معظم هذه المشاهد لا أصل له. وقد كانوا حاولوا جلب جسد رسول الله ﷺ من المدينة النبوية إلى القاهرة لنفس الغرض ولكنهم لم يفلحوا[٨]، وفي آخر أيامهم جاءوا بتلك الكذبة الكبرى وهي أن رأس الحسين كان في مكان بعسقلان، وقد بنوا عليه مشهداً ثم في عهد الفائز أحد أواخر ملوكهم نقلوا ذلك الرأس المزعوم إلى القاهرة، وبنوا عليه المشهد الشهير الذي لا يزال يعد من أشهر المشاهد في مصر بل في العالم الإسلامي)[٩].

فانظر: إلى هذا الحرص الشديد الذي بلغ بهم إلى ذلك الحد الخطير من انتهاك حرمة النبي ﷺ ومحاولة سرقة جسده الشريف، والكذب المكشوف في قضية بقية المشاهد وعلى الأخص مشهد الحسين، وإن كانوا معتقدين صحة وجوده في عسقلان؛ فإنهم انتهكوا حرمته بنقله إلى القاهرة وكل ذلك في سبيل أغراضهم السياسية، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

**المثال الثاني**: ما فعلته الدولة العثمانية في العراق مع الشيعة ومع السنة في نفس الوقت. أما ما فعلوه مع مشاهد الشيعة فيحدثنا عنه الدكتور عبد الجواد الكليدار في «تاريخ كربلاء» بما ملخصه: (إن نفوذ العتبات الشيعية المقدسة كان قوياً جداً ومؤثراً في الأحداث الجارية، ولذلك فإنه لما وقع النزاع بين السلطان سليمان القانوني وهو سني والصفويين وهم شيعة، حاول السلطان سليمان أن يسترضي

---

(١) المصدر السابق (١/ ٩٢).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٢).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٠٨).
(٥) أحمد بن علي المقريزي، من المؤرخين المشهورين والعلماء الأثبات، له كتاب «تجريد التوحيد المفيد»، توفي سنة (٨٤٥هـ). انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (٢/ ٢١)، و«البدر الطالع» (١/ ٧٩).
(٦) «الخطط المقريزية» (٣/ ٦٤٢).
(٧) المصدر السابق (٣/ ٦٤٢).
(٨) انظر: «القبة الخضراء ومحاولات سرقة الجسد الشريف» ص(٥٨ و٦١)، تأليف محمد علي قطب، نشر الدار الثقافية للنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).
(٩) انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ٢٠٤)، و«الخطط المقريزية» (٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦)، و«مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/ ٣٦١ ـ ٣٧٧).

جمهور الشيعة المتعلقة بتلك العتبات، وكان عليه أن يفعل أكثر مما فعله الصفويون فزار بإجلال حقيقي قبة موسى الكاظم ومحمد التقي الجواد، وأمر بإكمال بناء الجامع الكبير الذي بدأ به الشاه إسماعيل في الكاظمية. ولم تتوقف سياسته الاسترضائية عند هذا الحد في العراق، وكانت عنايته الثانية أن يزور العتبات المقدسة في الفرات الأوسط، وأن يفعل هناك أكثر مما فعله الزائر الصفوي في العهد الأخير)، ثم ذكر زيارته لمشهدي كربلاء والنجف وما فعله عندهما من خضوع واستمداد من أرواحهما ثم ختم الفصل بقوله: (فإن ما قام به من خدمات جليلة للأعتاب المقدسة، ثم استمداده من أرواح الأئمة، فترجله عن الفرس عند رؤيته للقبة المنورة عن بعد، ومسيره مشياً على الأقدام إلى النجف، وقطعه لسان من كذب قصة مرة بن قيس، وقتله من فضّله على أمير المؤمنين لكونه الخليفة الموجود، فلم يكن ذلك كله إلا لجلب الرأي العام الشيعي وكسب ود العتبات المقدسة إلى جانبه توطيداً لدعائم حكمه في العراق...)[١].

وأما استرضاء أهل السنة فقد ذكر مثالاً منها النبهاني في كتابه «التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية» فقال: (إن الدولة العثمانية قد أعفت أهالي البصرة من الرسوم والتكاليف احتراماً لصاحب الحضرة الشريفة يعني الزبير بن العوام رضي الله عنه، وأن العثمانيين بنوا على ضريحه مسجداً، وقامت والدة السلطان عبد العزيز بترميم القبب وتكبير المسجد فصار جامعاً حسناً)[٢].



(١) «تاريخ كربلاء» ص(٢٤٨ ـ ٢٥١).
(٢) «الانحرافات العقدية» للزهراني (١/ ٢٩٤).

# الفصل الرابع

# نشأة القبورية في اليمن

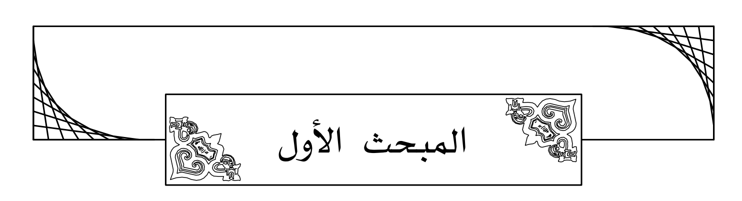
وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** حال اليمن قبل نشوء القبورية.

**المبحث الثاني:** الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن.

**المبحث الثالث:** السلاطين ودورهم في نشر القبورية في اليمن.

**المبحث الرابع:** نشأة التصوف وأهم الطرق الصوفية في اليمن.



## المبحث الأول

## حال اليمن قبل نشوء القبورية

### وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: إسلام أهل اليمن:**

من مناقب اليمنيين التي سجلها لهم التاريخ بأحرف من نور مبادرتهم إلى اعتناق الإسلام بشكل لم يشابههم فيه أحد من قبائل وأقطار الجزيرة العربية الأخرى، وقد تعددت التأويلات لسبب تلك المسارعة لاعتناق الإسلام من قبل اليمنيين، وأقوى تأويل ـ والله أعلم ـ هو ما جعل الله في نفوسهم من الإيمان، وفي قلوبهم من الرقة ومحبة الخير، وما ادَّخره الله لهم بمحض فضله من إنعام وفضل.

ودليل ذلك الأحاديث المستفيضة في فضائل أهل اليمن(١)، كما كان لقرب اليمن من مكة مهبط الوحي على النبي ﷺ وموضع بعثته علاقة بذلك، وإن كان هذا لم ينفع بعض القبائل التي كانت أقرب إلى مكة من اليمن، وبحسب طبيعة البشر في الاختلاط والتعايش والتفاعل كان وصول أخبار الرسول ﷺ إلى اليمن وتأثر أهلها به في وقت مبكر من حياة الدعوة الإسلامية، وقد كان الوافدون من اليمنيين إلى مكة لأغراض مختلفة هم الرواد الذين رجعوا إلى قومهم مبشرين بهذا الدين ودعاة إليه، بعد أن أسلموا وعرفوا شيئاً من الإسلام على يد الرسول ﷺ، ومن أشهر أولئك:

---

(١) منها حديث عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «الإيمان يمان هاهنا، ألا إن القسوة وغلو القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر». رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية». رواه البخاري في كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ومسلم في كتاب الإيمان، باب فضائل أهل اليمن، وغيرها كثير.

١ ـ ضماد بن ثعلبة الأزدي رضي الله عنه[١].

٢ ـ الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه[٢].

٣ ـ عمرو بن أمية الدوسي رضي الله عنه[٣].

٤ ـ قيس بن نمط بن قيس بن مالك الهمداني رضي الله عنه[٤].

٥ ـ عبد الله بن قيس بن أم غزال الأرحبي رضي الله عنه[٥].

٦ ـ ذباب بن الحارث بن عمرو السعدي رضي الله عنه[٦].

وكان في إسلام هؤلاء ورجوعهم أثر في انتشار الإسلام في قومهم، وتهيئتهم لقبوله.

وممن وفد عليه ﷺ وتوطَّن المدينة مهاجراً أبو موسى الأشعري ورفقته الأشعريون[٧] وأبو هريرة رضي الله عنهم[٨] وغيرهم.

وفي عام الوفود بشَّر النبي ﷺ أصحابه بقدوم وفود اليمن، وبالفعل توالت تلك الوفود وكانت من أفضل الوفود العربية، فسُرَّ بها رسول الله ﷺ، ودعا لها، وعادت مؤمنة صادقة، فنشرت الإيمان والإسلام في ربوع اليمن.

**المطلب الثاني: رسل النبي ﷺ إلى اليمن:**

ولما ظهر لرسول الله ﷺ ما يتمتع به اليمنيون من نفوس طيبة قابلة للإيمان والإسلام، وتأكد لديه صدق توجه اليمنيين نحو دين الله، وأن الإسلام قد أصبح منتشراً فيهم، أحب ﷺ أن يعمق مفاهيم الإسلام في نفوسهم، وينشر تعاليمه بينهم، ويضع لهم من يعلمهم ويرشدهم ويحكم بينهم بشرع الله ويسوسهم بنظامه الخالد، فأرسل رسله معلمين ودعاة وحكاماً، فأحسن اليمنيون وفادتهم، وأكرموا نزلهم، وأخذوا عنهم دين الله، وعملوا به، وتحاكموا إليه.

وكان من أشهر من أرسلهم رسول الله ﷺ إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه،

---

(١) «الحديث والمحدثون في اليمن في عصر الصحابة» (٣/ ١٧٥١)، تأليف الدكتور عبد الله الحميري، طبع مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٧٥٢).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١٧٥٣).

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٧٥٤).

(٥) المصدر السابق (٣/ ١٧٥٤).

(٦) المصدر السابق (٣/ ١٧٥٦).

(٧) المصدر السابق (٣/ ١٧٦٨ ـ ١٧٧١).

(٨) المصدر السابق (٣/ ١٧٦٣).

أرسله إلى اليمن الأعلى بما في ذلك الجند[١]، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه وكان عاملاً على زبيد وعدن وساحل اليمن كله[٢].

ومهَّد النبي ﷺ لمعاذ طريقه، وكشف له حقيقة الجهة التي وجهه إليها، وزوّده بأروع التوجيهات والوصايا فقال: «إنَّك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فيلكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذ عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس»[٣].

ولعل النبي ﷺ خص معاذاً بهذا دون أبي موسى؛ لأن أبا موسى من أهل البلد، ويعرف طبيعتها وطبيعة أهلها، ثم وصى النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى معاً فقال: «بشِّرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[٤]، فخرجا مستلهمين هذه الوصايا، ناصحين مخلصين لمن أُرسِلا إليهم، واتجه كل منهما إلى عمله، وكانا يتزاوران ويتعهد أحدهما الآخر.

فدخل في الإسلام على أيديهما من لم يكن قد أسلم من قبل، وتعلم العلم منهما من كان مسلماً مؤمناً، وعمَّ الإيمان والعلم أرض الفقه والإيمان.

كما أرسل رسلاً آخرين لأغراض مختلفة منهم: علي بن أبي طالب[٥]، وخالد بن الوليد[٦]، وجرير بن عبد الله البجلي[٧]، وخالد بن سعيد بن العاص[٨]، وطاهر بن أبي هالة[٩]، ويعلى بن أمية[١٠]، وعمرو بن حزم[١١]، وزياد بن لبيد

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٦١).

(٢) «الحديث والمحدثون» (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦).

(٣) البخاري (٦/ ٩٦ ـ ٩٧)، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعوة النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله، ومسلم (١/ ١٩٦ ـ ١٩٧) مع شرح النووي، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٤) البخاري (٣/ ١١٠٤)، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، ومسلم (٣/ ١٣٥٩)، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير.

(٥) «الحديث والمحدثون» (٣/ ١٧٢٤).

(٦) المصدر السابق (٣/ ١٧٢٢).

(٧) المصدر السابق (٣/ ١٧٢٩).

(٨) المصدر السابق (٣/ ١٧٢٩).

(٩) المصدر السابق (٣/ ١٧٢٩).

(١٠) المصدر السابق (٣/ ١٧٣٥).

(١١) المصدر السابق (٣/ ١٧٣٣).

البياضي[١]، وعكاشة بن ثور[٢] رضي الله عنهم أجمعين، وكان لهم أعظم الأثر على اليمنيين، وقد لقوا منهم المحبة والوفاء والتعاون الذي يعزّ مثاله.

**المطلب الثالث: مذاهب اليمنيين منذ فجر الإسلام حتى قيام الدولة الصليحية:**

وصل الإسلام إلى اليمن نقياً صافياً لم تشُبْه أي شائبة، فلم يدخل على يد مذهب فقهي أو فرقة عقائدية أو طريقة صوفية كما حصل في بعض البلاد الإسلامية، وإنما دخل على أيدي أصحاب رسول الله ﷺ سادات أهل السنة وقدوتهم الذين أمرنا رسول الله ﷺ بالرجوع إلى ما كانوا عليه عند الاختلاف[٣]، وبقي منهجهم وسبيلهم محفوظاً بحفظ الله في هذا البلد المبارك إلى اليوم، وإن زاحمه غيره من المذاهب والمناهج في بعض الفترات، وإن حاولت السلطات المتنفذة في كثير من الأحيان طمسه وإحلال مذاهبها محله إلا أنها لم تفلح في ذلك.

**التشيع:**

ومن المذاهب التي وصلت إلى اليمن في وقت مبكر التشيع؛ وذلك أن أهل اليمن قد كان موقفهم مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه واضحاً ومعروفاً، فهم أقوى القبائل التي كانت معه وأكثرها عدداً[٤]، ولا شك أن ذلك سوف يعكس نفسه على قبائلهم وأهاليهم الباقين في اليمن، ولذلك تحدثت مصادر التاريخ اليمنية عن تعسف بسر بن أرطأة[٥] والي معاوية على اليمن، وشدته في معاملة بعض القبائل اليمنية، وبالخصوص قبيلة همدان التي كانت من أكثر القبائل مناصرة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه حتى نسبوا إليه ذلك البيت الذائع:

فلو كنت بواباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام[٦]

---

(١) «تاريخ حضرموت» للحامد (١/ ١٣٥).

(٢) «الحديث والمحدثون» (٣/ ١٧٣٢).

(٣) وذلك في قوله ﷺ: «وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». رواه أبو داود (٢/ ٦١١)، والترمذي (٥/ ٤٤)، وابن ماجه (١/ ١٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ٢٤١).

(٤) «الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن» ص(١٧).

(٥) بسر بن أرطأة (ت٨٦هـ). انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١/ ٢١٠)، و«السير» (٣/ ٤٠٩).

(٦) «الصليحيون في اليمن» ص(١٨).

فالتشيع في اليمن لا يستطيع أحد إنكاره، ولكن أي فرق الشيعة كانت في اليمن في ذلك الوقت؟ يتضح مما مرّ في بحث نشأة الشيعة أن الفرق الشيعية لم تتميز عن بعضها إلا في وقت متأخر، ولذا فإنني أرجح أن التشيع الذي كان موجوداً في اليمن قبل وفود الزيدية والإسماعيلية إنما كان التشيع السالم من الغلو كما سبق وصفه.

نعم هناك إشارة إلى وجود شيعة إثني عشرية في اليمن في حوالي النصف الثاني من القرن الثالث، وذلك عندما ذكر المؤرخون علي بن الفضل الجدني، والذي أصبح زعيم القرامطة في اليمن، فقد ذكروا أنه كان شيعياً اثني عشري، وأنه حجّ ثم زار قبر الحسين بعد الحج، وهناك التقى بميمون القداح[1]، كما قيل: إن ابن الفضل أخذ ذلك المذهب في عدن من قوم من الإثني عشرية، لقيهم هناك[2].

قلت: إن صح هذا فالاحتمال بوجود فئة صغيرة في عدن وارد ولم تشتهر، أو يعطها المؤرخون اهتماماً، كما أن هناك احتمالاً آخرَ، وهو أن أولئك القوم كانوا من التجار الذين ينزلون عدن لفترة ثم يغادرونها، وما عدا ذلك فإنه لم يرد تفصيل عن أي فرقة شيعية واضحة في اليمن في تلك الفترة.

## الدعوة الإسماعيلية:

### أ ـ القرامطة:

كان المذهب الإسماعيلي هو أول مذهب واضح متميز من مذاهب الشيعة وصل إلى اليمن، حيث وصل الداعيان: علي بن الفضل الجدني، والحسن بن فرج بن حوشب[3] إلى ميناء غلافقة سنة (٢٦٨هـ) مبعوثَين من قبل داعية الإسماعيلية

---

(١) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» ص(٨١)، و«قرة العيون في أخبار اليمن الميمون» لابن الديبع الشيباني، تحقيق القاضي الأكوع، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ).

(٢) انظر لترجمة علي بن الفضل وتفصيل فتنته: «كشف أسرار الباطنية» ص(٨١ ـ ٨٢ و٩٤ ـ ١١٤)، و«قرة العيون» ص(١٣١ ـ ١٥١)، وقد تحدث عن هذه الفتنة كل مؤرخي اليمن الذين أرّخوا لهذه الفترة.

(٣) أبو القاسم الحسن بن حوشب، المشهور بمنصور اليمن، توفي سنة (٣٠٢هـ). انظر أخباره: «افتتاح الدعوة» ص(١٦ ـ ٣٧) للقاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م)، «العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك» ص(٣٧)، تأليف شمس الدين علي بن الحسين الخزرجي الأنصاري، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية مصورة (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

ميمون القداح، غير أنهما لم يعلنا الدعوة إلّا سنة (٢٧٠هـ)، وكانت دعوتهما في غاية السرية والحيطة والحذر، ثم أعلن الثورة علي بن الفضل وكشف عن وجهه الحقيقي، وفعل ما هو مشهور في تاريخ اليمن مما ليس هنا محل تفصيله إذ لا يتعلق بموضوعنا، غير أن المهم أن علي بن الفضل قد سلك طريق القرامطة أصحاب البحرين، وكشف عما يعتقده وفعل ما أمْلته عليه نزواته وأحبه هواه، وبذلك كان أَمَدُ دعوته قصيراً، وإن كان شرها مستطيراً، ولم يقم أحد بدعوته بعد موته والقضاء على دولته[١].

**ب ـ العبيديون (الفاطميون):**

أما الحسن بن حوشب المشهور بـ«منصور اليمن» فقد بقي محافظاً على تعليمات ميمون القداح، ملتزماً بالانتماء إليه وإلى ذريته التي ملكت المغرب العربي، وأنشأت هناك الدولة الإسماعيلية الباطنية، وكان على اتصال مستمر معهم[٢]، إلا أن دولته لم تدم طويلاً إذ قُضي عليها ككيان سياسي في حياة علي بن الفضل، واضطر منصور إلى التخفِّي والبعد عن المعترك السياسي حتى مات سنة (٣٠٢هـ)[٣]، ثم عادت الدعوة الإسماعيلية إلى دور السِّتر والسرية، وقد رتب لها الدعاة الذين يقومون بها، ويبثون تعاليمها، ويحافظون على أتباعها، ويواصلون العلاقة مع أصلهم في المغرب ثم في مصر بطرقهم الذكية المعروفة وذلك من سنة (٣٠٣ ـ ٤٣٩هـ)، حتى عادوا إلى الظهور حين أمكنتهم الظروف، وتهيأت لهم الأسباب على يد علي بن محمد الصليحي كما سيأتي[٤].

هذه هي الفترة الأولى للدعوة الإسماعيلية العلنية في اليمن، وهي لم يكن لها تأثير ظاهر في مسألة القبورية حيث لم تتمكن من التفرغ لذلك، ولم يكن لها من النفوذ والقبول ما يمكِّنها من ذلك، بل عاش قادتها محارَبين ودعاتها مضطهدين، فلم يستطيعوا عمل شيء مما يتعلق بالقبورية، كما أن هذه الفرقة لم يكن لها مذهب ظاهر وشائع بين الناس كأي مذهب من المذاهب الأخرى، إلا أنها كانت أخطر من تلك المذاهب من حيث تماسك أصحابها والحفاظ على كيانهم رغم المحاربة الشاملة لهم من كافة فئات الشعب والحكام على حد سواء، مما كان له الأثر البالغ في تمكنهم من إعلان دولتهم مرة أخرى في أيام الصليحي، ثم العودة مرة أخرى إلى الستر منذ زوال دولة الصليحي إلى يوم الناس هذا.

---

(١) «الصليحيون في اليمن» ص(٤٨).
(٢) «الصليحيون» ص(٤٣).
(٣) المصدر السابق ص(٤٧).
(٤) المصدر السابق ص(٤٩ ـ ٥٨).

## الزيدية:

الفرقة الشيعية الثانية التي دخلت اليمن في هذه الفترة هي الزيدية، وقد سبق التعريف بها في المبحث الأول من الفصل الثالث[١]، وكان وصول الزيدية واستقرارها في اليمن سنة أربع وثمانين ومائتين هجرية[٢]، وذلك بوصول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى صعدة للمرة الثانية وإقامة دولته هناك، ثم العمل على نشرها ومواصلة أبنائه وأحفاده وبعض الأئمة من أهل البيت المعتنقين للمذهب الزيدي، حيث استقرت دولة الأئمة الزيدية من ذلك التاريخ إلى أن أطيح بآخر إمام من أئمتها محمد البدر سنة (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م) وذلك بقيام الثورة وتأسيس الجمهورية العربية اليمنية.

وهذه الفرقة قد سخَّرت دولتها وسلطانها لدعم عقائدها ومذاهبها، كما أنها قد طوَّعت فِقهها وأصولها لمآربها السياسية[٣]، ولكنها برغم قِدَم دخولها وامتداد فترة حكمها بما لم تبلغه أي دولة أو فرقة أخرى، ظلَّت منزوية في مواطن نفوذها السياسي، يمتد وجودها بامتداد سلطانها ظاهراً ورسمياً، وأما في الباطن فإن الناس يكرهون ما تفرضه عليهم، ويهللون فرحاً عندما ينزاح عنهم كابوس حكمهم؛ ليعلنوا ما في نفوسهم من عقائد ومبادئ، ويزيلوا ما فرض من شعارات خاصة بالزيدية، فرضتها السلطة[٤].

يقول القاضي محمد بن علي الأكوع[٥] ـ رحمه الله تعالى ـ: (وكان مذهب

---

(١) انظر: ص(١٣٣).

(٢) «سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، وقيام الدولة الزيدية في اليمن» ص(٥٨)، د. حسن خضيري أحمد، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٩٩٦م).

(٣) انظر: «الإمامة وخطرها على وحدة اليمن» ص(١٦ ـ ٢٣) للأستاذ محمد محمود الزبيري رحمه الله، طبع دار الكلمة، صنعاء، بدون تاريخ، و«تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري» ص(١٦٨ ـ ١٧٢) للدكتور علي محمد زيد، طبع المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى (١٩٩٧م).

(٤) والأمثلة في ذلك كثيرة وفي نواحٍ متعددة. وانظر: «مؤلفات الإمام عبد الله حمزة» ستجد منها ما يؤكد ما نقول، وانظر كذلك: «هجر العلم» للأكوع (٢/ ١٠٧٥ ـ ١٠٧٨).

(٥) أشهر مؤرخي اليمن في العصر الحاضر، ألّف وحقق الكثير من كتب التاريخ وغيرها من نفائس علوم اليمنيين، كان من جملة الثوار الذين زَجّ بهم الإمام في سجن قاهرة حجة، وبعد الثورة تقلب في عدد من الوظائف الوزارية وغيرها، وقد عرفته واستفدت منه وأجازني إجازة أعتزّ بها، حثَّ فيها على التمسك بالسنّة قولاً وعملاً، والاعتماد على الدليل ونبذ التقليد مما =

الهادي قابعاً في صعدة، ومنكمشاً عليها وعلى بلادها وبعض ظاهر همدان، ولم يغزُ سنام نجد اليمن وبلاد حجة ومغارب حمير إلا في القرن الحادي عشر الهجري، عندما تمت سيطرة القواسم على اليمن، وتغلبت الأسرة الزيدية على ناصية الأمور، وخلت البلاد من التيارات السياسية التي تجابهها، كما قحط اليمن من قادته ورؤسائه، وأصبحوا قانعين بالتبعية؛ إذ فقدوا كل مقوِّمات الطموح والشعور بأنهم سادة البلاد)(١).

قلت: وذلك في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الذي وحَّد اليمن الطبيعي، وفرض المذهب الزيدي على كل من دخل تحت حكمه حتى في حضرموت التي تعد من أشد البلاد منافرة لمذهبه؛ وذلك لسيطرة العلويين الذين يتبعون المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية والمشرب الصوفي، والذين يتعصبون لذلك غاية التعصب، ولست بحاجة إلى مزيد بسط وتفصيل عن الزيدية؛ لما سبق من شرح لها في الفصل الثالث من هذا الباب.

وأما قبورية الزيدية فالحق أن زيدية اليمن لم تكن لديهم قبورية ظاهرة في هذه الفترة، ولذلك فسوف أرجئ الحديث عن قبوريتهم إلى المطلب التالي إن شاء الله.

### الخوارج:

سبق تعريف الخوارج وهم فرق كثيرة، والفرقة التي اشتهرت في اليمن من فرق الخوارج هي فرقة الإباضية أصحاب عبد الله بن إباض(٢)، وهم أخف فرق الخوارج انحرافاً وأقربها إلى السنة(٣).

---

= يبين استقامة منهجه رحمه الله رحمة واسعة، وقد توفي عام (١٤١٩هـ). انظر ترجمته في: «موسوعة هجر العلم» لأخيه القاضي إسماعيل (٢/ ٨٧٠ ـ ٨٣)، وكتاب «القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي مؤرخ اليمن» الذي صدر بعد وفاته مباشرة وطبع في مؤسسة الثورة للطباعة والنشر عام (٢٠٠٠م).

(١) «اليمن الخضراء مهد الحضارة» ص(١٠٦) للقاضي محمد بن علي الأكوع، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م).

(٢) هو عبد الله بن إباض المقاعسي التميمي، عاصر معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان، وهو رأس الفرقة الإباضية من الخوارج. انظر: «الملل والنحل» (١/ ٩٨)، و«الأعلام» (٤/ ٦١ ـ ٦٢).

(٣) انظر لتفاصيل أقوالهم: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٩٨ ـ ٩٩)، و«الفرق بين الفِرق» ص(١٠٣ ـ ١٠٩).

ومعلوم أن نشأة الخوارج كانت على أثر حادثة التحكيم، وأن علياً رضي الله عنه قاتلهم في النهروان عام (٣٧) و(٣٨هـ)، وقتل معظمهم، ولكن الفئة الباقية انتشرت في البلاد بشكل خفي، ثم أصبح كل من حل بأرض يدعو أبناءها إلى رأيه، ولذلك كثرت الخوارج مرة أخرى، وأصبحت قوة لا يستهان بها، وشكلت مصدر قلق كبير للدولة الأموية إلى نهايتها، ومطلع الدولة العباسية. فهل وصل إلى اليمن أحدٌ منهم في بداية أمرهم؟ وهل انتشرت الدعوة الخارجية بين اليمنيين بشكل أو بآخر قبل العقد الثالث من القرن الثاني؟.

هذا ما لا يمكن الجزم به، ولكن هناك إشارات إلى شيء من ذلك، منه ما حكاه الخزرجي من أن الخوارج هاجموا صنعاء فحاول وهب بن منبه قتالهم بأهل صنعاء، فلم يستطع، فصالحهم أهل صنعاء على مائة ألف دينار، فأخذوها ورجعوا، واستعان أهل صنعاء لسدادها بأهل المخاليف، فأعانوهم[١].

ومنها أن عبد الله بن يحيى الكندي[٢] زعيم الخوارج الأول عندما أقام دولته في حضرموت، كاتب إخوانه الإباضية في صنعاء، فانضموا إليه[٣]، هاتان الإشارتان توحيان بوجود ما للخوارج قبل إعلان دولتهم في شبام حضرموت سنة (١٢٨هـ)، وأما البداية الحقيقية المتفق عليها فهي في هذه السنة.

وملخص قصة الخوارج في اليمن أن عبد الله بن يحيى الكندي ـ وكان رجلاً من أعيان حضرموت ـ حج سنة (١٢٧هـ)، وفي مكة التقى ببعض دعاة الخوارج الذين كانوا يحضرون المواسم لبث دعوتهم، فكلموه في الأمر، وذكروا له مظالم بني أمية وانحرافهم، وأن الواجب هو الخروج عليهم وإزالة دولتهم وإقامة دولة الحق التي تحكم بالعدل وتعيد الأمور إلى نصابها إلى آخر ما ذكر، فقال له عبد الله بن يحيى: (إنني رجل مطاع في قومي، ولو دعوتهم إلى ذلك أجابوني إليه). فعاهده أبو حمزة على ذلك، فعاد عبد الله بن يحيى ومعه أبو حمزة الأزدي إلى حضرموت، وكتب إلى إخوانه إباضية البصرة يشاورهم في الخروج على الخليفة الأموي، فكتبوا

---

(١) «العسجد المسبوك» ص(٢٢).

(٢) عبد الله بن يحيى بن عمر الكندي الحضرمي، الملقب بطالب الحق، مؤسس الدولة الإباضية في حضرموت، توفي سنة (١٣٠هـ). انظر ترجمته في: «تاريخ حضرموت» للحامد ص(٢٦٢)، و«صفحات من التاريخ الحضرمي» لسعيد عوض باوزير، طبع مكتبة الثقافة، عدن، بدون تاريخ.

(٣) «تاريخ حضرموت» للحامد ص(٢٠٧).

إليه: (إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك. . .)، فأعلن عبد الله نفسه أميراً وبايعه أبو حمزة وتبعه الناس في حضرموت من سائر القبائل، وقبَضَ على والي بني أمية وحبسه، ثم أطلق سراحه، وما إن استقرت له الأمور في حضرموت حتى اتجه صوب مكة، فقدم ومعه زهاء تسعمائة وقيل: ألف ومائة من أصحابه يوم عرفة إلى صعيد عرفة، والناس بها يوم الوقوف فما شعروا إلا بخيل الخوارج وعليها الرجال معممين رافعين ألويتهم، فما كان من أمير مكة إلا أن سلّم لهم الأمر دون قتال، وفي يوم النحر دخلوا مكة كذلك، وبذلك صفت لهم مكة دون أي مقاومة، ولكن أخبارهم انتشرت، واستعد لهم أهل المدينة، وبعد استقرار الوضع في مكة خلَّفوا عليها والياً من قبلهم، ثم توجهوا إلى المدينة، وكان أهل المدينة قد جهزوا جيشاً لمقاومتهم، وكان أكثر الجيش من عامة الناس وليسوا من الجنود المدربين أو ذوي الخبرة بالحرب، والتقى الجيشان في منطقة قديد، وهُزِم جيش المدينة هزيمة منكرة وقتل منه ألفان ومئتان وثلاثون رجلاً[1].

وعلى إثر ذلك دخل جيش الخوارج المدينة، واحتلوها ورتبوا الأمر فيها، وطارت الأخبار إلى دمشق، فجهز الخليفة جيشاً كبيراً وحشد فيه مقاتلين أقوياء مدربين، فسار الجيش الأموي صوب المدينة، وتقدم جيش الخوارج باتجاه الشام، فالتقى الجيشان في وادي القرى، فانهزم جيش الخوارج وقتل قائده أبو حمزة، ثم واصل الجيش الأموي طريقه إلى المدينة ثم إلى مكة، ولم يقم له واليها، ثم إلى صنعاء وقد خرج عبد الله بن يحيى ومن معه لملاقاة الجيش الأموي في الطريق، وفعلاً التقيا، وهُزم الجيش الخارجي، وقُتل عبد الله بن يحيى، وهكذا واصل الجيش الأموي الطريق إلى عاصمة دولة الخوارج (شبام)، والتقى بأميرها ومن معه وهزم الخوارج، وقتل واليهم وفتك قائد الجيش بالحضارم فتكاً ذريعاً، وقتل الرجال والنساء وفعل الأفاعيل، وبهذا انتهى كيان دولة الخوارج ولم يبق لهم نفوذ، غير أن فكرهم وعقائدهم ظلت موجودة ويدين بها كثير من أبناء حضرموت حتى نهاية القرن السادس تقريباً، ونشأ لهم كيان غير محدد المعالم أواخر القرن الخامس، قضى عليه الصليحي عندما مد نفوذه إلى حضرموت، ولم يكن للخوارج أي دور في انتشار القبورية في اليمن حسب علمي[2].

---

(١) «تاريخ حضرموت» ص(٢٠٩)، و«صفحات من التاريخ الحضرمي» ص(٥٠).

(٢) انظر لأخبار الخوارج وقيام دولتهم وانتهائها كلّاً من: «تاريخ حضرموت» (١/٢٠٦ ـ ٢١٣)=

## التصوُّف:

حتى لا تختلط علينا المفاهيم، يجب أن نفرِّق بين الزهد الذي دعا إليه الإسلام، وحث عليه الرسول ﷺ، وحمده أئمة المسلمين، ولم يذمه أحد ممن يعتد بقوله، وبين التصوف المُحدَث المجلوب من خارج حدود الإسلام، والمضبوط بضوابطه المعروفة، والمحدّد بحدوده الواضحة، والمبني على فلسفة خاصة، فهذا لون والزهد الذي جاءت به شريعة الإسلام لون آخر، وإن الخلط بين الأمرين قد أوقع لبساً كبيراً على عوام الناس، واستغلَّه دعاة التصوف وتزينوا به، بل اتخذوه درعاً واقياً من سهام الطاعنين عليهم وعلى فلسفتهم الضالة وبدعهم المحدثة الخارجة عما جاء به الإسلام، فإذا تكلَّم متكلم عن مخازي التصوف ومثالبه؛ عارضه المتصوفة بإبراز الشخصيات النظيفة الطاهرة على أنها أئمته ومؤسسوه، فيذكرون أبا ذر رضي الله عنه وأبا الدرداء رضي الله عنه، ومن التابعين أويس القرني، والحسن البصري ومن شابههما، ثم يذكرون مالك بن دينار، والفضيل بن عياض، ومن أهل اليمن: عمرو بن ميمون الأودي، وطاووس بن كيسان اليماني، ووهب بن منبه، ونحوهم، وهؤلاء لا علاقة لهم البتة بما أحدث بعد من تصوف مبتدَع فلسفي محتوٍ على إلحاد أصحاب الحلول والاتحاد، ومكائد المتاجرين بالولاية والكرامات.

فإذا بيّنا هذه الحقيقة، وعرفنا الفرق الواسع بين الزهد بمفهومه الصحيح، وبين التصوف المنحرف؛ استطعنا أن نجزم بلا أي تردد أن هذه الفترة التي نتحدث عنها لم يكن فيها باليمن شيء مما يصح أن يطلق عليه تصوف بالمعنى الصحيح الدقيق، وبالتالي فليس للتصوف في هذه الفترة أي دور في نشر القبورية.

## المذاهب الفقهية:

(كان المذهب السائد في اليمن إلى انتهاء القرن الثالث الهجري هو العمل بالكتاب العزيز والسنة النبوية، ولم يتقيد أهل اليمن حينئذ بكلام واحد من الأعلام، واعتمدوا في دراسة الفقه النبوي على مثل مسند الإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة (٢١٠هـ)، وعلى مسند أبي قرة موسى بن طارق الجندي،

---

= لصالح بن علي الحامد، و«صفحات من التاريخ الحضرمي» ص(٤٧ ـ ٥٥)، و«تاريخ حضرموت السياسي» (١/ ٦٤ ـ ٧٢) لصلاح عبد القادر البكري، طبع دار الآفاق العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، و«أدوار التاريخ الحضرمي» ص(١٢٧ ـ ١٤٠)، وانظر خبر دولتهم الأخيرة في: «صفحات من التاريخ الحضرمي» ص(٦٦ ـ ٧٩).

ومسند عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، ومسند الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، ثم غزت المذاهب العقائدية والفقهية)[١].

ويؤكد ذلك الإمام المؤرخ ابن سمرة الجعدي[٢] في «طبقات فقهاء اليمن» حيث يقول: (وكان الغالب في اليمن مذهب مالك وأبي حنيفة، ولم يكن علم السنة مأخوذاً في هذا المخلاف إلا من جامع معمر بن راشد البصري، وهو مصنف في صنعاء، وجامع سفيان بن عيينة، وجامع أبي قرة موسى بن طارق اللحجي الجندي، ومن المرويات عن مالك في الموطأ وغيره مثل كتاب أبي مصعب، أو عما يُروى عن طاووس وابنه وقدماء فقهاء اليمن الذين ذكرت أطرافاً من فضلهم وشيوخاً من جلّهم)[٣].

ومن هذين النصين يتبين أن الأصل في أهل اليمن اتباع الكتاب والسنة على مذهب المحدثين، وبعد انتشار المذاهب الإسلامية وصلت تلك المذاهب المالكية والحنفية والشافعية، وأما المذهب الحنبلي في الفروع فلم يسجّل له وجود في اليمن تلك الفترة، وكان المذهب المالكي هو أول تلك المذاهب انتشاراً ثم الحنفي ثم الشافعي، وليس للمذهب المالكي وجود في اليمن الآن، وبقي المذهب الحنفي في زبيد بشكل محدود، بينما انتشر المذهب الشافعي في عموم اليمن بما في ذلك صنعاء وذمار وما والاهما حتى القرن الحادي عشر، حينما فرض المذهب الهادوي الذي يتبناه الأئمة الزيدية على تلك النواحي، وانقسمت اليمن بعد ذلك انقساماً ظاهراً، حيث ساد المذهب الشافعي اليمن الأسفل وتهامة وما والاها من البلاد الجبلية، والجند وما حولها بما في ذلك معظم مخاليف إب والحجرية كاملة، والبيضاء وما يلتحق بها، ومأرب والجوف، هذا فيما كان يعرف باليمن الشمالي، وأما ما كان يعرف باليمن الجنوبي فكله شافعي ولا وجود للمذهب الهادوي فيه، وما عدا ذلك فالسائد فيه المذهب الهادوي، وهو يمتد من صعدة شمالاً إلى يريم وما جاورها جنوباً مقتصراً على المنطقة الجبلية إلى مشارف تهامة غرباً.

---

(١) «اليمن الخضراء» ص(١٠٦).

(٢) عمر بن علي بن سمرة الجعدي، رائد مؤرخي علماء الشافعية باليمن، صاحب طبقات فقهاء اليمن الذي خصّصه لعلماء الشافعية، ثم صار من بعده من المؤرخين يبنون على ما أسس ويفرّعون على ما أصّل، لم تذكر سنة وفاته. انظر ترجمته لنفسه في: مطلع «الطبقات» ص(١٣) وما بعدها.

(٣) «طبقات فقهاء اليمن» ص(٣٤)، تأليف عمر بن علي بن سمرة الجعدي، تحقيق فؤاد سيد، نشر دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

هذه صورة مختصرة للمذاهب الفقهية التي سادت اليمن، ولكن يجب ألا نغفل حقيقة مهمة، هي أن اتباع الكتاب والسنة والتجرد لهما، ونبذ التعصب المذهبي بل نبذ التمذهب بشكل تام بقي مستمراً في اليمن، ولم يلغه وجود المذاهب الفقهية وانتشارها، بل ظل حياً حاضراً وإن ضعف في بعض الأحيان وخفَتَ صوته إلا أنه ما زال موجوداً خصوصاً في المناطق الزيدية، وقد اشتهر جماعة من المجتهدين النابذين للتقليد الذين كان لهم الأثر الطيب على العلم والعلماء، وكانوا نبراساً مضيئاً في حوالك الظلم التي لبَّدت سماء الأمة الإسلامية قروناً عديدة، وأصبحوا أساتذة الاجتهاد، والتجديد، وحرية الرأي، ورمز الاقتداء بالسلف الصالح، ليس في اليمن فقط ولكن في العالم كله، حيث تتداول كتبهم بل وتصبح من المقررات الأساسية في أشهر الجامعات الشرعية والمعاهد الدينية في العالم الإسلامي، من أشهر أولئك:

١ ـ محمد بن إبراهيم الوزير[١].

٢ ـ صالح بن مهدي المقبلي[٢].

---

(١) هو إمام أهل السنّة في زمانه، بل مجدّد الإسلام في اليمن في القرن الثامن، محمد بن إبراهيم الوزير، مولده سنة (٧٧٥هـ)، وقد نشأ على طريقة قومه الزيدية المعتزلة، ثم رغب عنها وتحول إلى الطريقة السلفية، فبرع في علوم الكتاب والسنّة، واستكمل أدوات الاجتهاد، واضطهد لذلك، فصبر، وصابر، وألّف، وناظر، ولو لم يكن له إلا كتابه العظيم «العواصم والقواصم» لكفى، كيف وله مؤلفات فائقة كثيرة سواه، وهو رأس المدرسة السلفية التي ما زالت ـ والحمد لله ـ قائمة إلى اليوم، لا يكاد مؤرخ من مؤرخي اليمن إلا وهو يشيد بفضله، وقد ترجمه من يصعب حصرهم، وأثنى عليه حتى من يخالفه من الزيدية وغيرهم، وألفت رسالة علمية بعنوان «ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنّة النبوية»، قُدِّمت لجامعة أم القرى بمكة للشيخ علي بن علي جابر الحربي، توزيع عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ). وانظر ترجمته كذلك: «البدر الطالع» (١/ ٨١ ـ ٩٣)، و«هجر العلم» للقاضي إسماعيل الأكوع (٣/ ١٣٦٧ ـ ١٣٧٦)، والبحث الضافي الذي بعنوان «الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم» في مقدمة «العواصم والقواصم» (١/ ٧ ـ ١٠٠)، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٢م) للقاضي إسماعيل الأكوع.

(٢) صالح بن مهدي بن علي المقبلي، أحد أعلام علماء اليمن والمجتهدين فيه، تجرد عن التقليد والتزم الأخذ بالكتاب والسنّة، وله مواقف عظيمة مع مقلدي وقته، اشتد عليه بسببها الأذى فهاجر إلى مكة، وهناك ألّف بعض مؤلفاته ومنها: «العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ»، وذيله «الأرواح النوافح»، توفي سنة (١١٠٨هـ). انظر: «البدر الطالع» (١/ ٢٨٨)، و«مقدمة العلم الشامخ» للقاضي عبد الرحمٰن الإرياني ص(أ ـ د)، طبع مكتبة دار البيان، دمشق، بدون تاريخ.

٣ ـ الحسن بن أحمد الجلال[١].

٤ ـ محمد بن إسماعيل الصنعاني.

٥ ـ محمد بن علي الشوكاني.

وغيرهم الكثير، وإن كانوا أقل شهرة منهم؛ تضمنهم «البدر الطالع» لشيخ الإسلام الشوكاني، «ونشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف»، وغيرهما من كتب التواريخ والتراجم، وما تزال هذه المدرسة قائمة إلى اليوم، وعميدها وأشهر علمائها في هذا العصر القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني ـ حفظه الله ـ وهو في اليمن أشهر من نار على علم.

هذا وأما الاجتهاد الفقهي في المناطق الشافعية فقليل إن لم يكن معدوماً، ولعلّ السبب في كثرة المجتهدين في الجهات الزيدية طبيعة المذهب الهادوي الذي أبقى باب الاجتهاد مفتوحاً، بل حرَّم التقليد في بعض المواضع من أصله، بعكس أتباع المذاهب الأخرى، الذين أغلقوا باب الاجتهاد من بعد القرن الرابع، وصاحوا بكل من ادعاه بأنه جاهل متعالم، أو مارق منحرف.

هذا وقد أطلتُ في هذا الموضع لأنني رأيت جمع كل ما يتعلق بالمذاهب الفقهية فيه، ولن أعود إلى شيء من ذلك فيما بعد لعدم اقتضاء الموضوع له.

## الفرق العقائدية غير ما تقدم:

لقد ذكرنا فيما تقدم فرق الشيعة الإسماعيلية والزيدية وفرقة الخوارج الإباضية، وإكمالاً للبحث ينبغي أن نلمَّ ببقية الفرق التي طرأت على اليمن وعلى أهله الذين ما زالوا متمسكين بمنهج السلف الصالح في عقيدتهم إلى اليوم، نعم إن منهج السلف الصالح منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هو الأصل في اليمن، والمناهج الأخرى إنما هي طارئة عليه، وكان هذا المنهج هو منهج الأمة بكاملها حينما كانت الأمة هي الصحابة الكرام وتابعوهم بإحسان، ثم بدأت الفرق الضالة تخرج عن هذا السبيل، وتفارق ذلك المنهج فخرجت الخوارج ثم الروافض ثم القدرية في عهد

---

(١) الحسن بن أحمد الجلال من الأئمة المجتهدين في اليمن، كبير القدر، كثير الإنتاج العلمي، أثنى عليه الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ ثناءً كثيراً وهو في الفقه من الأئمة، وإن كان لم يتخلص مما كان عليه مجتمعه في الجوانب الأخرى من منهجه، توفي سنة (١٠٨٤هـ). انظر: «البدر الطالع» (١/ ١٩١)، و«هجر العلم» (١/ ٣٤٢).

الصحابة أنفسهم، ثم توالت تلك الفرق في الانحراف ومفارقة المنهج القويم والصراط المستقيم، وقد تفرقت تلك الفرق نفسها إلى فرق فرعية كثيرة جداً، وظهرت فرق جديدة ذات أثر في الساحة الإسلامية؛ منها الجهمية ثم المعتزلة ثم الكلّابية والماتريدية والأشاعرة، وهذه الثلاث الفرق الأخيرة في الواقع قد تبيّن لها ضلال الفرق السابقة عليها وخصوصاً الجهمية والمعتزلة اللتين تشتركان في الانتساب إلى علم الكلام.

وقد حاول أئمة تلك الفرق الثلاث العودة إلى النبع الصافي والمنهل العذب، ولكن آثار علم الكلام لم تمكن الإمامين ابن كلاب[(١)]، والماتريدي[(٢)] من ذلك، فتخلصا من كثير من بدع وعقائد الجهمية والمعتزلة، وبقي لديهما بعضها، وأخذا ببعض أصول السلف أهل السنة، وقصّرا في بعضها، والله تعالى يتولاهما، وهو أعلم بما في نفوسهما سبحانه، أما نحن فندعوه سبحانه أن يغفر لهما وللمخلصين من أتباعهما، وأن يتجاوز عمَّا أخطأا فيه، ما دام الحامل لهما عليه حب التنزيه والخشية من التشبيه، ولكن حبنا لهما ورغبتنا الصادقة في أن يتجاوز الله عنهما لا يجعلنا نصحح مذهبهما ونسكت عن خطئهما.

وأما أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ فله ثلاثة أطوار:

**الطور الأول**: الاعتزال المحض على طريقة أبي علي الجبّائي الذي كان متزوجاً بأمه وكافلاً له.

**الطور الثاني**: تقرير ما كان عليه ابن كُلّاب وأصحابه.

**الطور الثالث**: رجوعه الكامل إلى ما كان عليه السلف الصالح وذلك في كتبه: «الإبانة عن أصول الديانة»، و«مقالات الإسلاميين»، و«رسالتي إلى أهل الثغر»،

---

(١) هو عبد الله بن سعيد بن كُلّاب القطان البصري، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه وإمام الطائفة المعروفة بالكلابية، توفي سنة (٢٤٥هـ). انظر: «السير» (١١/ ١٧٤)، و«طبقات الشافعية» (٢/ ٢٤٥)، و«لسان الميزان» (٣/ ٣٦٠) لابن حجر، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

(٢) هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي، يلقب بإمام الهدى وإمام المتكلمين، توفي سنة (٣٣٣هـ)، وهو مؤسس المدرسة المشهورة بالماتريدية نسبة إليه، وله عند أتباعه منزلة عظيمة. انظر: مقدمة كتاب «الماتريدية» ص(٩٣ ـ ٩٩) للشيخ أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي، طبع دار العاصمة بالرياض، و«الأعلام» (٧/ ١٩).

وهناك من يخالف في ترتيب الطوْرَين الأخيرين، أو يجعلهما طوراً واحداً[١].

لكن عامة من ينتسبون إليه إنما ينتسبون إلى ما كان عليه في الطور الوسط، فهم في حقيقتهم كُلّابية أو قريباً منها، وليسوا على السنة المحضة التي كان عليها السلف الصالح والتي عُرفت فيما بعد ـ خصوصاً بعد محنة القول بخلق القرآن ـ عُرفت (بمذهب أحمد بن حنبل) أو (بالحنابلة)، ولم يكن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ متفرداً بها، بل هي عقيدة سائر أئمة أهل السنة وأصحاب الحديث، وعلى رأسهم الإمامان مالك والشافعي وكذلك الإمام أبو حنيفة، إلا ما يذكر عنه في مسألة الإيمان، هذا وإن كثيراً من علماء الحديث وأئمة الفقه والمفسرين وغيرهم هم في الأصل من أهل السنة وأتباع السلف الصالح، ولكنهم قد تأثروا ببعض أقوال الأشاعرة أو الماتريدية خصوصاً في تأويل بعض الصفات، وهذا لا يجعلهم أشاعرة ولا ماتريدية؛ لأنهم من أهل الحديث والآخذين به والمقدمين له على كل الأصول، بخلاف الأشاعرة المتكلمين، وكذلك الماتريدية المتكلمين فإنهم يقدِّمون العقل، ويتحاكمون إلى قواعد المنطق وعلم الكلام مقدمين ذلك على الكتاب والسنة، وهذا فارق كبير بينهم وبين المتمسكين بالآثار، والمقدمين للأخبار، والتابعين للسلف الأخيار، الذين وقعوا في تقليد أولئك في بعض المسائل[٢].

بعد هذه المقدمة المهمة في نظري أعود فأقول: إنه لم يثبت بشكل جلي وجود للماتريدية أو الأشعرية في اليمن في هذه الفترة.

وأما المعتزلة فالصحيح أن الذي أتى بها إلى اليمن هو الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين سنة (٢٨٥هـ)، فالزيدية في العقيدة معتزلة، وإن خالفوا المعتزلة في المنزلة بين المنزلتين، فجعلوا مكانها الإمامة، ويقول بعض الباحثين: إن اعتزال زيدية اليمن في بداية أمرهم كان على طريقتهم الخاصة بهم، وليس هو الاعتزال المعروف المنسوب إلى واصل بن عطاء وأتباعه.

وقد ظلت الزيدية على ذلك إلى أن ظهرت المطرفيَّة[٣]، وانتشرت، وفشت بين

---

(١) انظر لتحقيق تلك الأقوال والترجيح فيها: كتاب «مواقف ابن تيمية من الأشاعرة» للدكتور عبد الرحمٰن بن صالح بن المحمود، طبع مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

(٢) انظر: «منهج الأشاعرة في العقيدة» ص(١٥ ـ ١٧) للدكتور سفر بن عبد الرحمٰن الحوالي، طبع مكتبة العلم بالقاهرة (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

(٣) المُطَرِّفِيَّة: هي فرقة من فرق الزيدية منسوبة إلى مطرف بن شهاب، من أعلام أواخر =

الناس، وأصبحت تشكل قوة علمية وبشرية يحسب لها ألف حساب، وخصوصاً أنهم قد خالفوا السائد من عقائد الاعتزال وعقائد الزيدية في أمور أهمها: مسألة الإمامة، وأنهم لا يحصرونها في أبناء علي ﷺ، وإنما من جمع صفاتها من المسلمين، فهو أهل لها، وكذلك التفضيل بمجرد النسب لا يقرونه، فتدخلت الغيرة على العقيدة مع الغيرة على الميزة التي اكتسبها بعض الناس في مسألتي الإمامة والنسب، وعند ذلك رغب القائمون على المذهب الزيدي وعقيدته الموروثة في التصدي لهذه الفرقة، وهزيمتها فكرياً عن طريق المناظرة، ولما كان رجال المطرفية أكثر علماً وأنضج فكراً؛ وشعر الطرف الثاني بذلك؛ رغب في تسليح فريقه برجال على نفس المستوى ـ بل أقوى ـ ليحملوا فكره، ويدافعوا عن أصوله ومبادئه بالطريقة التي يريدها هو، وعندما علم الإمام المتوكل أحمد بن سليمان أن أحد علماء المعتزلة وصل إلى مكة لأداء الحج عام (٥٤٠هـ) سارع باستدعائه إلى اليمن، فأجاب إلى ذلك، ووافى الإمام في محل إقامته حينها هجرة محنكة من خولان صعدة في مطلع عام (٥٤١هـ)، ومعه كتب الاعتزال، وبقي في اليمن سنتين ونصف لنشر الاعتزال على طريقة معتزلة البصرة، وهي تخالف الاعتزال الذي كان في اليمن من قبل والذي كان أقرب إلى معتزلة بغداد، وقد التقى في هذه الفترة القاضي جعفر بن عبد السلام الأبناوي بالبيهقي[(١)]، وأخذ عنه علوم الاعتزال وأسلوب المحاجة والمناظرة استعداداً لمناظرة المطرفية، ثم لما عزم البيهقي على العودة إلى العراق عزم معه جعفر بن عبد السلام ليتزود من المنبع الأصلي للاعتزال، غير أن البيهقي مات في تهامة في طريق العودة، فلم يثنِ ذلك عزيمة ابن عبد السلام، بل واصل المسير إلى العراق وفارس، وأخذ في كل بلد حلّه عن علماء المعتزلة فيه[(٢)]، ثم عاد يحمل كتب المعتزلة معه، وبهذا

---

= المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة، وكانوا على جانب عظيم من الإقبال على العلم والاشتغال به والإخلاص في الطاعة والعبادة، حصل بينهم وبين الإمام عبد الله بن حمزة شقاق فقضى عليهم قضاءً مبرماً. انظر: «الزيدية» للأكوع ص(٧٦ ـ ٧٧)، و«تيارات معتزلة اليمن» ص(١٨٧، ١٩٢).

(١) هو زيد بن علي بن الحسن البيهقي المعتزلي، حجّ سنة (٥٤٠هـ)، فاستدعاه الإمام أحمد بن سليمان إلى اليمن فوصل صعدة سنة (٥٤١هـ)، ومكث يدرس كتب الاعتزال في مسجد الهادي بصعدة سنتين ونصف ثم رحل إلى بلاده فمات في تهامة. انظر «تيارات معتزلة اليمن» ص(١٣٢ ـ ١٣٤).

(٢) ملخص من «تيارات معتزلة اليمن» ص(١٣٢ ـ ١٣٥).

تكامل وجود المعتزلة في اليمن، بل إن من الباحثين من يرى أن المعتزلة لم تدخل اليمن إلا من ذلك التاريخ.

ولكن الحق أن الذي دخل في ذلك التاريخ هو فكر وعقيدة معتزلة البصرة التي تخالف الاعتزال الذي ظل قائماً في المجتمع، منذ دخل الهادي إلى أن ظهر جعفر بن عبد السلام في أيام المتوكل على الله أحمد بن سليمان المتوفى سنة (٥٦٦هـ)[١].

**المطلب الرابع: استمرار منهج السلف الصالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له:**

لقد تكفل الله بحفظ دينه وكتابه الكريم، فقال جلّ من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، ومقتضى حفظه أن يبقى ظاهراً قائماً، وأن تقوم به طائفة تمثله بحق، وتعمل به بصدق، وتدعو إليه بإخلاص، على وفق ما نزل الكتاب وما بلغ الرسول ﷺ، ووفق ما فهمه الصحابة الكرام من الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان أو انحراف، وقد أكد هذا المعنى الرسول ﷺ في قوله: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[٢].

وإذا كان هذا الوعد يشمل جميع بلاد الله التي يظللها الإسلام؛ فإنَّ يمن الإيمان والحكمة من أحق البلاد بتحقيق هذا الوعد، وبالفعل فإن تاريخ اليمن لمليء بالأدلة على هذه الدعوى، فلم يخلُ جانب من جوانب منهج أهل السنة والجماعة ممن يقوم به، ويدافع عنه طوال التاريخ اليمني، أو على سبيل الاحتياط في معظم مراحل التاريخ.

وإذا كان قد مرَّ بنا أن غالب القرون الثلاثة كان الظاهر فيه مذهب أهل السنة والجماعة في اليمن، فإن الفترات اللاحقة لم تشهد غياباً كاملاً لهذا المذهب، وإنما قد يضعف، ويضايق، ويضطهد دعاته في بعض الأحيان، ثم لا يلبث أن يظهر، وما إن تُرفع الحجب، وتزال العقبات من أمامه حتى يهرع الناسُ إليه، يتسابقون عليه، ويسيرون تحت لوائه، وذلك أنه الوحيد المنسجم مع الفطرة والذي تميل إليه الأنفس والقلوب التي لم تعمَ بظلمات البدع، ولم يعكر عليها غبار الشبهات.

ومن الأدلة الناصعة على أن منهج السلف الصالح هو المنهج المنسجم مع

---

(١) انظر: «الصلة بين الزيدية والمعتزلة» ص(٧١) للدكتور أحمد عبد الله عارف، طبع المكتبة اليمنية، صنعاء، ودار أزال، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

(٢) تقدم تخريجه ص(١٠٥).

الفطرة السليمة أن جميع المذاهب الوافدة على اليمن لم تظهر، وتنتشر بين الناس إلا في ظل دول قوية وسلطات قاهرة، ما عدا منهج أهل السنة والجماعة فإنه يقوم بنفسه، وينتشر بما جعل الله فيه من عوامل البقاء والخلود والانتشار، وسيظهر ذلك مما سنورده في المباحث القادمة عند الكلام على تلك المناهج.

وإذا علمنا أن الأصل الذي كان عليه أهل اليمن هو مذهب أهل السنة والجماعة وأن المذاهب الأخرى إنما طرأت عليه، فإن المعروف المقرر هو بقاء ما كان على ما كان حتى يثبت خلافه، ولم يثبت أن مذهباً من تلك المذاهب الوافدة قد طبق اليمن قاطبة، ولم يدّعِ أحد من أهل تلك المذاهب ذلك، وهذا وحده يكفي دليلاً على استمرار مذهب السلَف الصالح وعدم انقطاعه إلى يومنا هذا.

وهذا ما نلمحه جلياً في كلام المؤرخين، والشهادة الأولى لمؤرخ زيدي هو يحيى بن الحسين بن القاسم في «طبقات الزيدية» حيث يقول: (قلت: وكان اليمن في هذا التاريخ ـ وهو سنة أربعمائة إلى خمسمائة ـ فيه اختلاف شديد في المذاهب، واضطراب وفتن وشبه يوردها كل فريق، فكان فيه الزيدية فريقين: مخترعة ومطرفية، وفي اليمن الأسفل حنبلية وشافعية، ولما كان رأس خمسمائة فما بعدها غلب على اليمن الأسفل مذهب الأشعري لما خرج من الشام مع بني أيوب، فإنهم أخرجوا معهم «المقالة القدسية» أول «إحياء علوم الدين» في عقيدة الأشعري فمال إليه أكثر الشافعية في ذلك الوقت؛ لأن الأشعري في ثلاثمائة سنة وكانت وفاته أربع وعشرين وثلاثمائة... ثم اختلفت الشافعية باليمن فمنهم من قال بمقالة أحمد بن حنبل بأن المتشابهات تمر من غير تأويل مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء، واحتجوا بقراءة الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ومنهم من تأول ذلك كما يقول الأشعري، وجرت بينهم مناظرات في ذلك الزمن لا سيما العمراني الشافعي صاحب «البيان على مذهب الشافعي» فإنه بنى على أصول أحمد)، انتهى محل الغرض منه[(١)]، وقد عقَّب القاضي الأكوع على هذا الكلام بقوله: (ورغم هذه التيارات المعاكسة المتضاربة فقد ظل اليمن صامداً أمامهم لم تتزعزع عقائده أو يهدم بنيانه المتراص إلا بعد فترة متراخية، ثم ذكر نحواً مما ذكره في كتابه «اليمن

---

(١) «طبقات الزيدية ـ مخطوطة» بواسطة «مقدمة السلوك في طبقات العلماء والملوك» ص(٣٤) للقاضي بهاء الدين الجندي، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، و«المقدمة» للقاضي الأكوع.

الخضراء» ونقلناه سابقاً[١]، ثم قال: (هذا هو العمل السائد في العقائد والمقامات في عموم اليمن ما عدا حضرموت فالغالب عليها مذهب الخوارج).

ولما تغلغلت هذه المذاهب في النفوس بطبيعة التفاعل والامتزاج انبثق عنها في القرن الرابع الهجري مذاهب متشعبة فمن حنفية إلى مالكية إلى شافعية إلى هادوية في صعدة، والمذهب السائد هو مذهب السلف الذين لا ينتمون إلى أي إمام من أئمة المذاهب[٢].

ويقول شيخ الإسلام الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولا ريب أن علماء الطوائف لا يكثرون العناية بأهل هذه الديار لاعتقادهم في الزيدية ما لا مقتضى له إلا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال، فإن في ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف، يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة، ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثية، وما يلحق بها من دواوين الإسلام المشتملة على سنة خير الأنام، ولا يرفعون إلى التقليد رأساً، ولا يشوبون دينهم بشيء من البدع التي لا يخلو أهل مذهب من المذاهب من شيء منها، بل هم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتاب الله وما صح من سنة رسول الله ﷺ، مع كثرة انشغالهم بالعلوم التي هي آلات علم الكتاب والسنة من نحو وصرف وبيان وأصول ولغة مع عدم إخلالهم بما عدا ذلك من العلوم العقلية، ولو لم يكن لهم من المزية إلا التقيَّد بنصوص الكتاب والسنة وطرح التقليد، فإن هذه خصيصة خص الله بها أهل هذه الديار في هذه الأزمنة الأخيرة ولا توجد في غيرهم إلا نادراً)[٣].

وفي القرن الرابع نرى من يحمل منهج أهل السنة والجماعة ومذهبهم، ويرد على من خالفهم، فهذا الحسين بن عبد الله المراغي له كتاب يردّ به على المعتزلة باسم «الحروف السبعة في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلال والبدعة» وقد عاش آخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع حيث توفي سنة (٣٢٤هـ)[٤]، وهو وافد على اليمن وليس من أهلها، ولكنه استقر بها، وصار له أتباع أخذوا عنه ذلك المذهب الذي كان في الأصل موجوداً قبل وروده[٥].

وفي القرن الخامس يمر بنا الفقيه عبد الله بن يزيد اللَّعفي، قال الجندي: (له

---

(١) انظر: ص(٢٣٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٣).

(٣) «البدر الطالع» (٢/ ٨٣).

(٤) «طبقات فقهاء اليمن» ص(٨٣).

(٥) انظر: «السلوك» (١/ ٢٣٢).

تصانيف على معتقد السلف)، وكان يعيش في القرن الخامس ووفاته (بعد خمسمائة بيسير)[١].

وفي القرن الخامس أيضاً كانت مدرسة الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي[٢]، وهي مدرسة عظيمة جليلة، يدرس فيها فنون مختلفة، ومن أعظمها علوم العقيدة على مذهب السلف الصالح، والفقه على مذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، وكان أصحابه فوق ثلاثمائة متفقه في غالب الأيام، حتى لقد خشي منه ومن أتباعه وأتباع شيخه أبي بكر بن جعفر المحابي أمير الجند من قبل الصليحي، فعمل الحيلة للإيقاع بين الشيخين وأتباعهما؛ مما اضطر الشيخ زيد للرحيل إلى مكة تجنباً للفتنة[٣].

وعاصره وكان على نفس المنهج الإمام زيد بن الحسن الفايشي[٤]، غير أن الأول كان بالجند والثاني بالجعامي من أعمال إب، وتوفي سنة (٥٢٨هـ) وقيل (٥٢٧هـ)[٥] رَحِمَهُ اللهُ. وفي مدرستيهما كان يدرس علم التوحيد على مذهب السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ وعنهما وعن غيرهما من العلماء أخذ الإمام يحيى بن أبي الخير[٦] ذلك المذهب[٧]، والإمام ابن أبي الخير هو رأس أهل السنة في اليمن في القرن السادس، فقد تبناه ودافع عنه وكافح وألّف وناظر وخرّج الطلاب عليه، وقد عني بالرد على المعتزلة حين وفودهم إلى اليمن يمثلهم القاضي جعفر بن

(١) المصدر السابق (١/ ٢٥١).

(٢) زيد بن عبد الله اليفاعي، من فقهاء الجند السائرين على منهج السلف الصالح في الأسماء والصفات، صاحب مدرسة متميزة في الفقه وله أتباع وتلاميذ كثيرون، توفي سنة (٥١٤هـ)، «طبقات فقهاء اليمن» ص(١١٩)، «هجر العلم» (٤/ ٢٣٧٧).

(٣) انظر: «طبقات الفقهاء» ص(١٢٠)، و«السلوك» (١/ ٢٦٣).

(٤) هو زيد بن الحسن الفايشي، من فقهاء الشافعية المنتمين لمذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات، كبير القدر، عظيم الأثر في منطقة الجعامي بإب، توفي سنة (٥٢٨هـ). انظر ترجمته: «طبقات فقهاء اليمن» ص(١٥٥)، و«هجر العلم» (١/ ٣٨٩).

(٥) انظر: «السلوك» (١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٧)، و«هجر العلم» (١/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

(٦) هو يحيى بن أبي الخير العمراني، إمام شهير من أئمة علماء اليمن، إمام في الفقه وهو صاحب كتاب «البيان» الشهير الذي اعتنى بطبعه قاسم محمد النوري وطبع الطبعة الأولى بدار المنهاج، بيروت، سنة (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، وإمام في السنة على منهج السلف الصالح، رأس علماء الحنابلة في اليمن وصاحب كتاب «الانتصار في الرد على القدرية الأشرار» الذي حقّقه سعود بن عبد العزيز الخلف، وطبع بدار أضواء السلف بالرياض، الطبعة الأولى سنة (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).

(٧) انظر: «طبقات الفقهاء» ص(١٧٥ ـ ١٧٧).

عبد السلام المعتزلي فألّف كتابه «الانتصار في الرد على القدرية الأشرار»، ثم ظهرت الأشاعرة فأضاف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ما ذكره في «الانتصار» من مسائل القدرية مذهب الأشعرية والرد عليهم، قال ابن سَمُرة: (فأجحف فيه على الأشعرية وقطع حلوقهم وأفحمهم خصوصاً بذلك من يقول: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

ففرح الفقهاء بكتابه «الانتصار» وانتسخوه ودانوا به واعتقدوه)[١].

وقال ابن سمرة قبل ذلك: (وكان الإمام يحيى قد سمع في مدرستي الشيخين الإمامين زيد بن حسن الفايشي وزيد اليفاعي كتاب «التبصرة في علم الكلام وأصول الدين» تصنيف أبي الفتوح[٢] على مذهب السلف الصالح، وهما ينقلانه جميعاً عن الشيخ أبي نصر البندنيجي مصنف «المعتمد في الخلاف»، فإنهما صحباه جميعاً في مكة، وعن الإمام يحيى أخذ مشايخنا «التبصرة في أصول الدين» ورويناها عنهم، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يُسمعها في مدرسته، ويعلمها من طلبها، فناظر الشريف العثماني وهو أشعري، ونصر مذهب الحنابلة أهل السنة)[٣].

وقد ملأ أطراف اليمن أصحاب وتلاميذ الإمام يحيى بن أبي الخير، ونشروا ما أخذوا عنه في كل مكان حلّوا فيه، ومن أشهر من خلفه في ذلك الطريق الفقيه مسعود بن علي بن مسعود العنسي[٤]، وقد كان شديد الغيرة على ذلك المذهب، حتى إنه عندما أظهر طاهر بن يحيى بن أبي الخير القول بمذهب الأشاعرة بعد موت أبيه، غضب لذلك، وقام فيه قياماً حسناً، وألّف في الرد عليه. قال الجندي وهو يتكلم على انحراف طاهر ونقض توبته التي أعلنها في حياة أبيه أثناء ترجمته لسيف السنة البريهي: (ولذلك أجمع الفقهاء على هجره والإنكار عليه مشافهةً ومراسلة ومكاتبةً، وكان من أعظمهم في ذلك القاضي مسعود، ولهذا في الرد عليه كتاب كبير وأخباره يطول ذكرها)[٥]، وبهذا تعرف غيرة هذا الفقيه على مذهب أهل السنة،

---

(١) «طبقات الفقهاء» ص(١٨١)، وقد أخرج كتاب «الانتصار» وطبع بعد أن حقّق وقدّم رسالة جامعية للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة.

(٢) انظر ترجمته: «طبقات الفقهاء» ص(٩١)، و«السلوك» (١/ ٢٣٠).

(٣) «طبقات الفقهاء» ص(١٧٧).

(٤) مسعود بن علي العنسي، أحد كبار أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير والسائرين على منهجه منهاج أهل السنّة، وله في ذلك مواقف مشهورة ومؤلفات في الرد على من خالف مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات، توفي سنة (٦٠٤هـ). انظر ترجمته في: «طبقات فقهاء اليمن» ص(٢١٦)، و«هجر العلم» (٢/ ٧٣١).

(٥) «السلوك» (١/ ٣٢٢).

وليس وحده ولكن أجمع جميع الفقهاء الحاضرين في ذلك الوقت على ما أبدى على طاهر بن يحيى بن أبي الخير من الإنكار والهجر، ثم تسلمت الراية مدرسة أخرى هي مدرسة الإمام سيف السنة أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البريهي السكسكي.

قال الجندي: (وله كتب عدة في الأصول، يرد بها على المعتزلة والأشعرية، وكان كبير القدر، شهير الذكر، صاحب كرامات عديدة، وكتب مفيدة)(١)، وقد حذا طلابه حذوه في الرد على الأشاعرة وغيرهم(٢).

وبأصحاب الإمام البريهي نقطع أن مذهب أهل السنة كان ظاهراً قوياً إلى ما بعد منتصف القرن السابع، أي إلى بعد دخول الأيوبيين إلى اليمن بنحو مائة سنة حيث كان دخولهم سنة (٥٦٩هـ)(٣).

وبعد منتصف القرن السابع بدأت تقل المعلومات عن وجود قائمين بمذهب السلف، ولكن مذهب السلف الصالح ما كاد ينحسر عن المناطق الشافعية حتى لمع نجمه زاهراً مضيئاً في المناطق الزيدية على يد مفخرة اليمن الإمام العظيم محمد بن إبراهيم الوزير الذي عاش في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع، فقد جدد هذا الإمام العظيم مذهب السلف الصالح في تلك المناطق، وأشاد أركانه، وأوضح معالمه؛ مما جعل كتبه مرجعاً لأهل السنة وعلماء السلفية في مختلف بلاد العالم الإسلامي، رغم ما لاقى في سبيل ذلك من محن وأذى، قابلها بالصبر والاحتساب وسعة الصدر والإصرار على التمسك بالحق الذي آمن به.

وقد كتب الله له النجاح في دعوته، وأثمرت جهوده بإنشاء مدرسة علمية سلفية، راسخة القواعد طيبة الثمار، ما زال سبيلها معموراً إلى الآن، وقد سقنا الحديث عنها في هذا المبحث، والغرض هو تقرير أن منهج السلف الصالح في العقيدة ما زال موجوداً حاضراً فاعلاً في اليمن منذ أن دخلها على يد معاذ وأبي موسى ﵄ إلى اليوم، وذلك تصديقاً لقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»(٤).

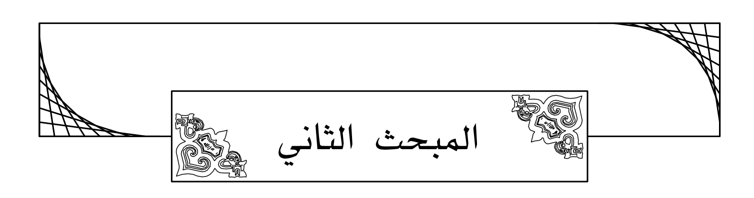
---

(١) انظر ترجمته: «طبقات فقهاء اليمن» ص(١٩٠)، و«السلوك» (١/٣١٨).

(٢) انظر ترجمة صاحبه وتلميذه محمد بن مضمون بن عمر بن أبي عمران في: «هجر العلم» (٣/٢١٣٤)، وقد توفي سنة (٦٦٣هـ).

(٣) انظر: «قرة العيون» ص(٢٦٥).

(٤) تقدم تخريجه ص(١٠٥).


المبحث الثاني

## الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: طوائف الإسماعيلية التي دخلت اليمن:**

سبق في المبحث الأول أن الإسماعيلية التي دخلت اليمن فصيلان: أما الفصيل الأول فهم القرامطة، ويمثلهم علي بن الفضل الجدني، وقد انتهى هذا الفصيل بانتهاء دولة علي بن الفضل وابنه الفأفاء سنة (٣٠٤هـ) كما سبق على يد آل يعفر الحواليين السُنيين.

وأما الفصيل الثاني فهو المنتمي إلى العبيديين أصحاب الدولة الفاطمية بمصر، وكان يمثل هذا الفصيل منصور اليمن.

وحينما قضى أهل السنة على الدولة الإسماعيلية ككيان سياسي، وانتهى بذلك أثر علي بن الفضل، لم ينتهِ أثر ابن حوشب أو منصور اليمن، بل إنه عهِدَ بالدعوة من بعده إلى من يقوم بها كما سيأتي في المطلب الثالث، ولكن الذي يهمنا هنا أن الإسماعيلية في مصر في آخر عهد الدولة العبيدية انقسمت إلى قسمين: مستعلية، ونزارية، تبعاً للإمام الذي تبعته كل فرقة منها، وذلك أنه بعد موت الخليفة «المستنصر» اختلف على من يخلفه في الإمامة، فبايع قوم ابنه الأكبر «نزار» وهم النزارية، وبايع قوم آخرون ابنه الأصغر «أحمد» وسموه «المستعلي» وهم المستعلية، والذي يهمنا أن الذين في اليمن من الإسماعيلية ومنهم الصليحيون هم من فرقة «المستعلية»[1].

ثم انقسمت المستعلية باليمن إلى قسمين هما: «الداودية» أتباع الداعي «داود قطب شاه»، والسليمانية أتباع «سليمان بن حسن»، فالداودية هم البُهرة، والذين ولاؤهم للزعامة الإسماعيلية بالهند، وهم الظاهرون والذين ينصبُّ الكلام عنهم كلما

---

(١) «الإسماعيلية» لإحسان إلهي ظهير ص(٧٣٥ ـ ٧٣٦).

ذكرت الحركة الإسماعيلية المعاصرة، وهم أشد تطرفاً وأكثر قبورية، وأما السليمانية فهم الذين يطلق عليهم المكارمة وولاؤهم لزعيمهم المتواجد بنجران، وهم أقل عدداً وأثراً من البهرة(١).

**المطلب الثاني: لمحة عن الدولة الصليحية مؤسسة القبورية في اليمن:**

بعد موت ابن حوشب أو منصور اليمن، ظل التواصل جارياً بين خليفته في اليمن عبد الله بن عباس الشاوري وبين المهدي «المزعوم» القائم بالمغرب، وكان قد وصل تكليف رسمي من المهدي للشاوري بالقيام بأمر الدعوة، وفعلاً قام بها، ولكن الحسن بن منصور اليمن لم يسلِّم له، وأحب أن يكون هو قائماً مقام أبيه، وتربص بالشاوري حتى أمكنته الفرصة فوثب عليه فقتله، ثم أعلن نفسه قائماً مقام أبيه، وتتبع من كان مع الشاوري فقضى عليهم.

ثم أعلن تخليه عن مذهب أبيه ورجوعه إلى مذهب أهل السّنة، وكان قد قضى على معظم الرجال البارزين من أعوان أبيه، ولم يبق إلا من أمكنه الاستتار، وكان من هؤلاء: يوسف بن موسى بن أبي الطفيل فقام بأمر الدعوة، ثم قام بعده جعفر بن أحمد بن عباس ثم عبد الله بن محمد بن بشر ثم محمد بن أحمد الشاوري ثم هارون بن محمد بن رحيم ثم يوسف بن أحمد بن الأشج ثم سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي، وكان هذا الرجل عظيم الجاه كثير المال، فكلما همَّ به أحد من الناس رد عليه قائلاً: (أنا رجل مسلم، أقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكيف يحل لكم دمي ومالي؟ فيمسكون عنه)، وهو الذي سلم الأمر إلى الصليحي(٢).

وكان أبو الصليحي محمد بن علي الصليحي قاضياً سنياً فاضلاً ذا مكانة في قومه، وكان الزواحي يزور هذا القاضي الفاضل، فلحظ ابنه وما عليه من مخايل النجابة والذكاء والشجاعة وغيرها من مؤهلات القيام بالدعوة بل بالإمارة، فكان يجالسه، ويفضي إليه بالدعوة، ويرغبه فيها حتى أقنعه.

---

(١) «الفرقة الباطنية الإسماعيلية (رؤية من الداخل): قراءة جديدة وحقائق معاصرة» وهذا الكتاب مصفوف بالكمبيوتر ولم يطبع بعد، وفيه حقائق عظيمة جديرة بالاطلاع والاعتبار بما فيها قبل أن تفوت الفرصة ويقع الفأس في الرأس، ومؤلفه يبدو أنه انتحل اسماً مستعاراً هو (علوي طه الجبل) ويحق له ذلك؛ لما يخشى عليه من شر وكيد تلك الطائفة، وكان من المفيد أن يعجل بنشره بين الناس.

(٢) «الصليحيون» ص(٤٩ ـ ٥٨).

ولم يتعجل الشاب علي بن محمد الصليحي الأمر، ولكنه بدأ يمهد لنفسه بخطوات وئيدة ثابتة، فأخذ يحج بالناس عن طريق السراة والطائف لمدة خمسة عشر عاماً حتى شاع ذكره، وظهرت شخصيته، وعرف مكانه، وكان قد تردد على ألسنة الناس أن ذلك الشاب سوف يملك اليمن، فكان يسمعه من كثير من الناس؛ ولكن يجيب باستبعاد ذلك، وإن كان في قرارة نفسه يتوقُ إليه ويزيد تصميماً على بلوغه، وعندما حضرت الوفاة سليمان الزواحي أوصى بكتبه وأمواله ـ وكانت كثيرة ـ لعلي بن محمد الصليحي، فانكب على تلك الكتب، فقرأها، وفهمها، وصار من العلماء بما فيها، وبعد أن بث دعوته، واستجاب له أعداد كبيرة من الناس، أعلن ثورته وتبعيته للخليفة الفاطمي «المستنصر بالله»، وذلك من جبل مسار سنة (٤٣٩هـ)[١].

وهكذا تأسست الدولة الصليحية، وما زال الصليحي يتوسع حتى ملك اليمن كله، ولم يكتف بذلك، بل أدخل الحجاز ضمن دولته، وملك مكة وما والاها باسم الفاطميين، وبعد مكاتبات مع خليفته في مصر ولّى العهد لابنه محمد، ولكنه ما لبث أن مات مبكراً في حياة أبيه، فأُخبر الخليفة بذلك وطلب أن يقوم بولاية العهد ابنه الآخر المكرم أحمد، فوافق الخليفة على ذلك[٢].

وفي سنة (٤٥٩هـ) عزم على الحج، وأخذ معه من الأموال والنفائس ما لا يقدّر بثمن، كما حمل معه جميع الملوك والأمراء الذين أجلاهم عن الملك، وحبسهم لديه؛ خوفاً من تمردهم، أخذهم جميعاً معه إلى الحج، وعددهم خمسون ملكاً، وترك ابنه ولي العهد بصنعاء، وسار من طريق تهامة في مرافقين آخرين، وكان في موكبه ألفا فارس، غير أن أولئك الفرسان لم يكونوا مرافقين له، وإنما كان قد قدّمهم أمامه، وسار هو في مجموعة صغيرة من آل الصليحي وبعض المقربين[٣].
وكان من جملة الموتورين منه آل نجاح حكام زبيد الذين أزالهم عنها، وسلبهم دولتهم؛ فكانوا يتربصون به الدوائر، فلما علموا بسفره رصدوه، ثم تجهزوا في جهاز غير طائل، ولكنّ توفيق الله صحبهم، ونصره تنزّل عليهم ففاجأوه بمنطقة يقال لها: «المهجم» من تهامة، فأعملوا في معسكره سلاحهم البسيط، فقتلوه، وقتلوا أخاه، وغنموا جميع ما في المخيم من أموال ومجوهرات ونفائس وسلاح وخيل وغير

(١) «المفيد من أخبار صنعاء وزبيد» ص(٩٥ ـ ١٠٠)، تأليف عمارة بن علي اليمني، طبع دار السعادة بالقاهرة، الطبعة الثانية (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).
(٢) «الصليحيون» ص(٩٥ ـ ٩٨).
(٣) المصدر السابق ص(٩٩).

ذلك، ثم احتزوا رأسه ورأس أخيه، وحملوهما مع النساء اللاتي أسروهن، ومنهن أسماء بنت شهاب زوجة الملك علي بن محمد الصليحي وأم أولاده، وقد نصبوا رأس الصليحي وأخيه على رمحين، ووضعوهما أمام أسماء على الراحلة، ثم بعد ذلك نصبوهما أمام الطاق الذي تسكنه بحيث كلما نظرت من الطاقة رأتهما أمامها، وتم لسعيد الأحول النجاحي وإخوانه الاستيلاء على زبيد وإقامة الدولة النجاحية السنية هناك، وكان قتله يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة سنة (٤٥٩هـ)[١] ودام الأمر لبني نجاح سنة واحدة، وقيل أقل من ذلك[٢].

في أثناء ذلك كانت أم الملك المكرم قد هرَّبت إليه رسالة، تحثه فيها على العمل على فك أسارها، وبالغت في ذلك حتى قالت في الرسالة: (أنها حبلى من العبد سعيد الأحول)، ولم يكن شيء من ذلك، وإنما قصدها حثه على الإسراع حيث قالت: إن تأخرت عن إطلاقي تمت الفضيحة حين ألد بولد لذلك العبد، واستغلَّ المكرم تلك الرسالة أحسن استغلال، فكان يقرأها على الناس في المساجد والمجامع، ويثير بها نخوتهم، فألّب الناس، وجهز لاستعادة زبيد، وفك أسر أمه، وسار في عشرة آلاف شخص حتى داهموا زبيد، واقتحموها، وهزموا بني نجاح ومن معهم، ويمّم المكرم تحت الطاق الذي فيه أمه، فأطلقها، وأنزل الرأسين المنصوبين أمام ذلك الطاق، فغسلهما، ودفنهما في زبيد، وبنى عليهما مشهداً، هو ثاني مشهد يثبته التاريخ في اليمن[٣]، وعند عودته مرَّ بالمكان الذي قتل فيه أبوه وعمه، فأخذ جثتيهما معه إلى صنعاء[٤]، وبنى عليهما مشهداً في صنعاء، ثم حاول استعادة ملك أبيه، فأفلح في البعض، وأخفق في البعض الآخر.

وكان قد أصابه الريح حين كشف عن وجهه أمام أمه[٥] في زبيد، وبقي مريضاً

---

(١) «المفيد من أخبار صنعاء وزبيد» ص(١٢٦ ـ ١٢٧).

(٢) المصدر السابق ص(١٢٨). وانظر التعليق رقم (١) على نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق ص(١٣٤).

(٤) «الصليحيون» ص(١٣٤). وانظر: «الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ وحتى نهاية القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي ـ (دراسة أثرية معمارية)» ص(٣٩)، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية من قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة صنعاء، د. علي سعيد سيف، كتاب مصفوف بالكمبيوتر (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

(٥) «المفيد» ص(١٣٣).

بذلك، ولكنه بقي ماسكاً بزمام الملك حتى ماتت أمه أسماء سنة (٤٧٩هـ)، بعد ذلك فوّض الأمر إلى الملكة السيدة بنت أحمد الصليحية، وهي التي يسميها العامة وأشباههم «الملكة أروى»، ثم انتقلا إلى ذي جبلة من مخلاف جعفر، وهو الذي يسمى اليوم «إب».

وفي عام (٤٨٤هـ) مات المكرم، فأسند أمر الدعوة إلى الأمير أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، وبقي الملك بيد السيدة بنت أحمد حتى ماتت سنة (٥٣٢هـ)، ودفنت في جامع جبلة يسار القبلة، وقيل: إن قبرها كان في موضع خاص قد استثنته من الوقف حين أوقفت أرض المسجد على العموم، فهو يعتبر ضمن المسجد.

وبعد موت الملكة بدأ التحلل في الدولة الصليحية وبدأت النواحي تستقل، فبعد استقلال النجاحيين بتهامة وعاصمتها زبيد في حياة الملكة استقل بعد موتها الزريعيون بعدن والجند وما بينهما واليامیون بصنعاء ومخاليفها ومعظم اليمن الأعلى، وهكذا تساقطت مدنهم وحصونهم حتى كانت نهايتهم سنة (٥٣٢هـ).

## سياسة الدولة الصليحية في تبنّي ونشر الإسماعيلية:

مرَّ بنا أن الدعاة الإسماعيليين توارثوا الدعوة بعد منصور اليمن على نفس المنهج، وكان آخرهم سليمان الزواحي، الذي سلَّم الراية لعلي بن محمد الصليحي، ودرس علي بن محمد الصليحي الإرث الإسماعيلي، وفهمه حتى صار من دعاته، ولكنه بعد أن أقام دولته انشغل بالسياسة عن الدعوة، وهكذا خلفاؤه: ابنه المكرم، وسبأ بن أحمد لم يعرف عنهما الانشغال بالدعوة بأنفسهما، ولكن هناك دعاة عاصروهما، قاموا بما يجب نحوها، ومع ذلك لم يظهر من الصليحيين إجبار لأهل السنة أو الزيدية الذين دخلوا تحت حكمهم على اتباع مذهبهم، والذي يبدو أن الشعار الظاهر هو ترك أهل كل مذهب يعملون بمذهبهم في خاصة أنفسهم، ولكن ولاتهم ودعاتهم كانوا يعملون في الخفاء للإيقاع بخصومهم الذين يعلمون بغضهم لهم وتكفيرهم إياهم، ويعملون المكائد لتفريقهم وإشغال بعضهم ببعض، ومن الأمثلة الناصعة على ذلك ما ذكره الجندي في ترجمة الفقيه زيد بن عبد الله اليفاعي بعد أن ذكر فضل الشيخ وسعة علمه وكثرة طلابه حتى لقد أصبح طلابه أكثر عدداً من طلاب شيخه أبي بكر بن جعفر بن عبد الرحيم المحابي، وقد كانا يدرّسان في مسجد الجند جنباً إلى جنب، ولم يكن بينهما شيء من المنافسة، قال: (ولم يزل ذلك من شأنهم

حتى تمت الحيلة من المفضل في التفريق بينهم، وذلك أنه مات ميت من أهل الجند، فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما يقبرون وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند، فحانت منه نظرة إلى المقبرة، فرأى فيها جمعاً عظيماً مبيضين، فسأل عن ذلك فقيل: قبر ميت غالب من حضره من الفقهاء، فعرَض بذهنه ما فعله ابن المصوع مع أخيه حيث قتله، وقال: «هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة، فكيف مع الكثرة؟ ثم قال لحاضري مجلسه: انظروا كيف تفرقون بينهم، وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف»، فجعلوا يولّون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً ويعزلونه، ويولون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر، ثم يولون إمامة الجامع كذلك، ثم النظر في أمر المسجد كذلك، حتى ظهر السباب بين الحزبَين، وكادَ يكون بين الإمامين، فعلم الإمام زيد ذلك فارتحل مهاجراً إلى مكة)[1]، فالكيد والدس ثابت عليهم، ولعلّ الجو لم يساعدهم بشكل كبير وواضح على دعوة عامة الناس إلى مذهبهم، أما الدعوة السرية والفردية فهي قائمة لا شك، وقد كسبوا لهم أتباعاً ما زالوا يسيرون على منهجهم إلى اليوم.

## ما ينسب إلى الصليحيين من إباحة المحرمات وحط الواجبات:

ذكر الحمادي اليماني رَحِمَهُ اللهُ أنه كان يسمع ما يقوله الناس عن هذه الفئة «الصليحية الباطنية»، وأنه كلما سأل أحداً ممن أشاع تلك الأخبار: أتشهد بذلك؟ قال: لا، إنما سمعت الناس يقولون ذلك فقلته، قال: (فرأيت أن أدخل في مذهبه؛ لأتيقن صدق ما قيل من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه)[2]، ثم بدأ بذكر كيفية الدعوة إلى أن ذكر كيف يحطون عنه الصلاة ثم الصوم، وكيف يحلون له الخمر، وهم في كل ذلك يستدلون بالآيات بعد أن يحرفونها عن مواضعها، ثم بعد اجتياز تلك المراحل، يترقون به إلى ذلك الفعل الشنيع الذي أشيع عنهم، فقال: (فإذا صح عندك حاله، فاذهب به إلى زوجتك، فاجمع بينه وبينها، فيقول: سمعاً وطاعة لله ولمولانا، فيمضي به إلى بيته، ويبيت مع زوجته حتى إذا كان الصباح قرع عليهما

(١) «السلوك» (١/ ٢٦٣).

ملاحظة: على العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله الاعتبار بهذه الحادثة والانتباه لمكائد الخصوم الذين يعملون على تفريق الكلمة وتشتيت صف أهل العلم والدعوة إلى الله.

(٢) «كشف أسرار الباطنية» ص(٦٣).

الباب، وقال: «قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس»، فيشكر ذلك المخدوع له فيقول: «ليس هذا من فضلي. هذا فضل مولانا»، فإذا خرج من عنده تسمع به أهل هذه الدعوة الملعونة، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون، ثم يقول: لا بد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا، فادفع قربانك، فيدفع اثني عشر ديناراً، ويصل به ويقول: يا مولانا إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه. حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس، وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب، وأطفئت السرج والشموع، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه يده، ثم أمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له، فيقول له: «ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكره ولا تكفره على ما أطلق من وثاقكم، ووضع عنكم أوزاركم، وحط عنكم آصاركم، ووضع عنكم أثقالكم، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾» [فصلت: ٣٥].

قال محمد بن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: (هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد، والله تعالى عليَّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته عالم به، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله تعالى ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخزى الله من كذب عليهم، وأعد له جهنم، وساءت مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته)[١].

هذا ما ذكره الحمادي عن علم وخبرة، فهل يسلّم له ذلك ويتابع عليه؟

أقول: أما الحمادي فلم تُروَ له ترجمة مفصلة في أي كتاب من كتب تواريخ اليمن التي يتداولها الناس، حتى إن القاضي محمد بن علي الأكوع عند تحقيق كتابه ذلك لم يعثر له على ذكر إلا في طبقات فقهاء اليمن للجعدي، حيث قال: (وفي رسالة محمد بن مالك الحمادي)، وكذلك في كتاب السلوك للجندي، قال في سياق كلامه عن علي بن الفضل: (على ما ذكره الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي

(١) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» ص(٦٣ ـ ٧٠).

القبائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة، وكان ممن دخل في مذهبهما منصور وابن الفضل أيام الصليحي وتحقق أصل مذهبهما، فلما تحقق فساد ذلك، رجع عنه، وعمل رسالة مشهورة يخبر بأصل مذهبهم، ويبين عوارهم ويحذر من الاغترار بهم)[١]، ولذلك فإن الجزم بصدق ما يقول لا يليق بالباحث المنصف، غير أن بعض ما ذكره قد توبع عليه ممن لا يظن أنه نقل عنه، فترتيب الدعوة عند الفاطمية الإسماعيلية بمصر تشبه إلى حد بعيد ما ذكره الحمادي، وقد ذكر ذلك المقريزي، وهو غير متهم عليهم؛ لأن نقله عنهم وحكايته لتاريخهم لا يفهم منه إلا احترامهم واعتبارهم من خيار الخلفاء، كما أن له كتاباً خاصاً بتاريخهم أسماه «اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء»[٢]، وهو من بين العلماء القلائل الذين أثبتوا انتساب الفاطميين إلى علي رضي الله عنه، فأرى أن شهادته عليهم مقبولة قطعاً.

وقد وصف المقريزي في خططه ترتيب الدعوة، وقد جعلها تسع مراتب، وفي المرتبة التاسعة قال: (هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه، فإذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والإفصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة، والعلم الإلهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية، حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه، وقال: ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المبادئ وتقلب الجواهر، وأن الوحي إنما هو صفاء النفس؛ فيجد النبي في فهمه ما يلقى إليه، ويتنزل عليه؛ فيبرزه إلى الناس، ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة، ولا يجب حينئذ العمل إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء، بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها، ويكفيه معرفته؛ فإنها اليقين الذي يجب المصير إليه، وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فإنما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة، لمعرفة الأعراض والأسباب، ومن جملة المعرفة عندهم أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة، وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة، وأن الإمام إنما وجوده في العالم الروحاني إذا صرنا بالرياضة في المعارف إليه، وظهوره الآن إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم، وهذا حاصل علم

---

(١) مقدمة «كشف أسرار الباطنية» ص(٤٥ ـ ٤٦).

(٢) طبع في القاهرة سنة (١٣٨٧هـ).

الداعي، ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها، اختصرت ما تقدم ذكره)[١].

وفيما أورده المقريزي شاهد لمراتب الدعوة، وإن كان الحمادي قصر بها عن عدد تلك المراتب، كما فيها شاهد على إسقاط الواجبات والتكاليف، كما ذكر الباحثان: إحسان إلهي ظهير في «الإسماعيلية»، والدكتور سليمان عبد الله السلومي في «أصول الإسماعيلية» أن للإسماعيلية كتباً في تأويل أركان الإسلام وعباداته من أشهرها كتاب «دعائم الإسلام» و«تأويل دعائم الإسلام» للقاضي النعمان بن حيون المغربي، ونقلاً عنهما وعن غيرهما من التأويل لتلك الأركان والعبادات ما يلغيها فعلاً، وأن بعض من وصل إلى درجة المعرفة لديهم معفوون منها[٢].

كما اعترف بأصل ذلك أحد باحثيهم المعاصرين وهو الدكتور مصطفى غالب في «تاريخ الإسماعيلية»، حيث قال: (وما ظهر من أمور الدين من العبادات العملية وما جاء في القرآن هي معانٍ يعرفها العامة، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطناً لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم)[٣].

وتبقى قضية إباحة الفاحشة سواءً إحلال النساء بالانفراد أو في المشهد الأعظم ـ كما عبر عنه الحمادي ـ فهذا الجزء من التهمة لم أجد له من كتبهم ما يشهد له، وإن كان مبدأ التأويل ونسخ الشريعة يسعه ويتضمنه، ولكنهم أنفسهم ينكرون ذلك غاية الإنكار، كما صرَّح بذلك الغزالي في رده عليهم[٤]، ولذا فأنا عاجز عن نفيه أو إثباته على سبيل القطع، ولا أحب أن أقذف أحداً بما لم يثبت لديّ بيقين، خصوصاً في مثل هذه التهم القبيحة التي تنكرها الفطر السليمة، والشيم الأصيلة، فضلاً عن الدين القويم.

**المطلب الثالث: دور الدولة الصليحية في نشر القبورية في اليمن:**

لم يثبت في تاريخ اليمن وجود قبر معظّم عليه مشهد أو مسجد قبل العقد الثاني من القرن الخامس إلا ما ذكر مما يسمى مسجد الشهيدين بصنعاء الذي قيل: إنه على قبَري قثم وعبد الرحمن ابني عبيد الله بن العباس رضي الله عنهم، واللذَين قتلهما

---

(١) «الخطط المقريزية» (٢/ ١٣٣).

(٢) «الإسماعيلية تاريخ وعقائد» من ص(٤٩٩ ـ ٥٢٢)، و«أصول الإسماعيلية» (٢/ ٦٤٩ ـ ٦٦٢).

(٣) «تاريخ الإسماعيلية» ص(٤٢).

(٤) «فضائح الباطنية» ص(٣٠) لأبي حامد الغزالي، طبع دار البشير، عمان، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

بسر بن أرطأة والي معاوية رضي الله عنه على اليمن الذي أرسله أثناء الفتنة بينه وبين علي رضي الله عنه، فقد قيل: إنه بُني على قبريهما مسجد، وهذا الذي قيل ذكره المتأخرون من مؤرخي اليمن مثل الجندي حيث قال: (وقبر الطفلين مشهور بصنعاء في مسجد يعرف بمسجد الشهيدين)(١) والخزرجي حيث قال: (فدفن الولدان حيث قتلا وبني عليهما مسجد هو معروف)(٢)، وقال مثله ابن الديبع(٣)، وقال العرشي: (فقبرا بصنعاء بالشهيدين، وبهما سمي)(٤)، فهذه المراجع كلها كما ترى تثبت وجود المسجد على القبر، ولكن متى بني ذلك المسجد؟ ومن الذي بناه؟.

عبارتهم بلفظ المبني للمجهول وهي لا تفيد تحديد من بنى أو متى بُني، كما أن العرشي يثبت أن القبر بذلك المسجد، وهو أيضاً لم يحدد تاريخ بناء المسجد، فالذي نفهم من هذه العبارات أنه في أيام أولئك المؤرخين يوجد مسجد، يقال: إنه على قبر ذينك الطفلين، لم يحدد أحد منهم ولا من غيرهم متى بني، ومما يؤكد أنه لم يكن موجوداً في الزمن الأول أن المؤرخ إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني المتوفى سنة (٤٥٠هـ) ذكر الحادثة وقتل الطفلين في باب المصرع، ولم يذكر بناء المسجد عليهما(٥)، وكذلك الرازي المتوفى سنة (٥٦٠هـ) ذكر المصرع، وصرح بقوله: (الموضع الذي يباع فيه السليط وموضع الحدادين إذا أردت أن تنزل سوق العراقيين موضع مسجد ابن زيد، وكانت مقبرة غمدان حيث يحدد الحدادون

---

(١) «السلوك» (١/ ١٧٣).

(٢) «العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك»، مخطوط مصوّر صورته وزارة الإعلام والثقافة ضمن مشروع الكتاب ٦/ ١(٧٠)، «الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد» ص(٣٩)، تحقيق الدكتور يوسف شلحد، طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني، سنة (١٩٨٣م)، وفي «قرة العيون» مصدر سابق ص(٧٠).

(٣) عبد الرحمٰن بن علي الشيباني المعروف بابن الديبع، عالم محدث مؤرخ، من علماء زبيد، وإليه ينسب المولد المشهور بمولد «الديبعي»، لديه تناقض كبير، فبينما هو من أهل الحديث والفقه إذ به يأتي في ذلك المولد بالطامات، وهذا شأن من سلم لأهل التصوف، فإنه لا يكاد ينفعه ما لديه من العلم، وخير مثال على ما أقول هذا الرجل والشرجي الزبيدي صاحب التجريد الصريح في الحديث وطبقات الخواص المليء بالدجل والخرافة، توفي سنة (٩٤٤هـ). انظر ترجمته في: «النور السافر» ص(١٩)، و«البدر الطالع» (١/ ٣٣٥).

(٤) «بلوغ المرام» ص(٩).

(٥) «تاريخ صنعاء» للطبري المذكور ص(٢٥)، تحقيق عبد الله الحبشي، وطبع مكتبة السنحاني بصنعاء، بدون تاريخ.

اليوم بصنعاء، والله سبحانه وتعالى أعلم)[١]، فلو كان هناك مسجد أو مشهد على القبرين لذكرَه، وبهذا نعلم أن المسجد أو المشهد المشار إليه إنما بني بعد ذلك على عادة القبورية الذين يتتبعون المناسبات، وعلى أثرها يبنون على البقعة التي يتوهمون أنها موضع القبر، فتصبح بذلك مزاراً، ولهذا فإن الدكتور علي سعيد سيف في رسالته «الأضرحة في اليمن» لم يثبت هذا المسجد ضمن الأضرحة التي تناولها بالدراسة، وإنما ذكرها في التمهيد فقط، وقال: (ولكن يستشف من بعض الروايات)[٢].

وقد اجتهدت في توضيح هذه المسألة حتى لا يقال: إن هناك مشهداً من أيام الصحابة؛ فيتخذ حجة للقبوريين، ومثل ذلك يقال في المسجد المبني على قبر الشريف العراقي، وهو الطبيب العراقي الذي كان يعمل في اليمن في صنعاء، فلما سمع بما يفعله علي بن الفضل بالإسلام والمسلمين نذر على نفسه أن يقتله، فذهب إلى عاصمة ابن الفضل «المذيخرة» وعمل فيها وأظهر براعة في الطب فطلبه علي بن الفضل ليكون طبيباً له، ثم احتاج ابن الفضل إلى الفصد ففصده بمبضع مسموم فمات ابن الفضل، وهرب الطبيب إلى موضع يسمى «قينان» بوادي السحول فقتل هناك، قال الجندي: (وقبره هنالك، وهو مسجد جامع له منارة يزار ويتبرك به، دخلته في المحرم أول سنة ست وتسعين وستمائة)[٣].

وقد علق على ذلك القاضي الأكوع فقال: (والقبر لا يزال موجوداً، وهذه القصة ظاهرة عليها الصنعة والوضع ومحتاجة إلى مناقشة)[٤].

أما ابن الديبع فقال: (فأُدرك في السحول عند المسجد المعروف بقينان، فأرادوا إمساكه، فامتنع وقاتلهم حتى قتل، وقبره هناك رحمه الله)[٥]. وهذا ـ كما ترى ـ ليس فيه ذكر المسجد الذي على القبر، وعلى كل حال فليس في النقلين ولا في غيرهما ذكر لتاريخ بناء المسجد الذي على القبر ولا من بناه، فليس فيه أي حجة على وجود مسجد على القبر قبل التاريخ الذي ذكرته سابقاً، وهو العقد الثاني من القرن الخامس؛ لأن هذا المسجد لو صح أنه بني عند مقتل ذلك الرجل لكان في

---

(١) «تاريخ مدينة صنعاء» للرازي ص(٨٥)، تحقيق حسين عبد الله العمري، طبع مكتبة الفكر المعاصر ببيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).
(٢) «الأضرحة في اليمن» ص(٢٨).
(٣) «السلوك» (١/ ٢١٢).
(٤) المصدر السابق، الموضع نفسه.
(٥) «قرة العيون» ص(١٥٠).

القرن الرابع، حيث إنه قتل بعد مقتل علي بن الفضل بأيام، ولكن ذلك لم يصح، وبهذا يثبت أن المشاهد الثابت بناؤها هي التي أسستها الدولة الصليحية الإسماعيلية، غير أنه ـ ومن باب الأمانة ومعرفة الحقيقة ـ قد ثبت أن هناك مشهداً واحداً، سبق الدولة الصليحية بسنوات، وهو لا يمت للقبورية بصلة؛ لأنه من مشاهد السلاطين لا من مشاهد الأولياء والصالحين، ذلك المشهد هو مشهد آخر أمير من أمراء بني زياد وعمته، إذ إن وزير ذلك الأمير الطفل ـ ويسمى نفيساً ـ كان قد قتل الطفل وعمته بتهمة أن المرأة كانت تكاتب خصمه ومنافسه نجاحاً، وكان وقتها فاراً من زبيد بسبب تسلط «نفيس»، فقتلها وقتل الطفل، ثم بنى عليهما جداراً، فلما علم نجاح بذلك اتخذه ذريعة للانقضاض على خصمه، وجمع الجموع، ثم هجم بهم على زبيد في عدة وقائع، آخرها سنة (٤١٢هـ) حيث قتل نفيس، فلما دخل نجاح زبيد سأل مولاه مرجان: (ما فعل مواليك وموالينا؟ قال: في ذلك الجدار، فأخرجهما نجاح، وصلى عليهما، وبنى لهما مشهداً، وأعاد مرجاناً في موضعهما، فبنى عليه حياً وعلى جثة نفيس)[١].

وقد ذكر مثل ذلك ابن الديبع في «الفضل المزيد»[٢]، وقريباً منه الخزرجي في «العسجد المسبوك»[٣]، وهذا أول مشهد بني على قبر في اليمن حسبما اطلعت عليه في كتب التاريخ اليمني، وليس هو مما يخشى منه؛ لأنه ليس له فضل من جهة دينية، وإن كان هو من الأمور المحرمة، ومن نتائج الجهل وتوسيد الأمور إلى غير أهلها، مع أن النجاحيين من السُنة، وليسوا من الشيعة رواد القبورية في العالم، ولكنّ السببَ ـ والله أعلم ـ هو النزعة السلطانية والكسب السياسي بإظهار وتعظيم ذلك الوزير لأسياده ووفائه لهم بعد أن أصبح هو الوريث لدولتهم، وما أظن أن هذا سوف يحصل لولا أن ظاهرة تقديس القبور وتعظيمها قد فشت في البلاد الإسلامية المجاورة من جهة الدولة الفاطمية الإسماعيلية.

## مشاهد آل الصليحي:

الدولة الصليحية إسماعيلية العقيدة، فاطمية الولاء، متأثرة كل التأثر بأسيادها العبيديين في مصر، وقد مر بنا دور العبيديين في نشر القبورية، فلا غرابة أن يكون

---

(١) «المفيد» ص(٨٥ ـ ٨٦).
(٢) «الفضل المزيد» ص(٥٥).
(٣) «العسجد المسبوك» ص(١٠٤).

الصليحيون على منوالهم، وأن يسيروا على طريقهم، ولا مانع أن نجزم بأنهم مؤسسو القبورية في اليمن.

### مشهد الرأسين:

مر بنا أن بني نجاح عندما قتلوا علي بن محمد الصليحي وأخاه أخذوا رأسيهما، فنصبوهما بزبيد أمام طاق زوجة الصليحي «أسماء بنت شهاب»، وعندما هاجم الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي زبيداً لاستنقاذ أمه من الأسر، واسترجاع ملك أبيه، أنزل الرأسين، ودفنهما في زبيد، وبنى عليهما مشهداً. قال عمارة: (وأنا أدركت مشهد الرأسين)[(١)]، وكان ذلك سنة (٤٦٠هـ).

### مشهد الصليحي بصنعاء:

وعند عودة الملك المكرم إلى صنعاء نبش قبري أبيه وعمه، ثم حمل جثتيهما في تابوتين، ودفنهما في صنعاء وأمر ببناء مشهد جامع لهما[(٢)]، وهو بذلك أخذ بسُنّة المعز الفاطمي الذي أحضر معه رفات آبائه عندما انتقل من المغرب إلى مصر، وبنى عليهما التربة الشهيرة التي تسمى «تربة الزعفران» وقد سبق الحديث عنها.

### قبر السيدة بنت أحمد في جامع ذي جبلة:

قال الهمداني: (وفي غرة شهر شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة توفيت الملكة الحرة عن اثنتين وتسعين سنة من العمر، ودفنت في جامع ذي جبلة أيسر القبلة في منزل متصل بالجامع، وكانت هي التي تولت عمارة هذا الجامع، وهيأت موضع قبرها فيه. وذكر إدريس: أن بعض ملوك اليمن أراد أن يخرج جثتها من قبرها حين ظن بعض الفقهاء كونها في الجامع، ففتحوا عن قبرها حتى انتهوا إلى تابوت، فوجدوا فيه قفصاً مقفلاً، ففتحوه، فأصابوا فيه كتباً وأحكاماً، تشهد أنها استثنت فيه ذلك المنزل الذي دفنت فيه عن المسجد لقبرها فيه، ووجدوا بذلك

---

(١) «المفيد» ص(١٣٤).

(٢) «الصليحيون» ص(١٣٤)، وفي الهامش يقول: (نقل «صاحب العيون» (١١٦/٧): ومشهد الصليحي اليوم قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره، وهدموا مناره، فإن عنايتهم في ذلك كثيرة، وفي هدم القبور أفعال نكيرة، وذلك شيء يتحاماه الكفار والمسلمون ويأنفون عنه وهؤلاء يقدمون). قلت: وهذه هي حجج القبورية في كل زمان ومكان، يتباكون على هدم المشاهد وتسوية القبور المشرفة التي أمر النبي ﷺ بتسويتها. انظر للمزيد عن مشهد الصليحي بصنعاء: «الأضرحة في اليمن» ص(٣٩).

علامات القضاة وشهادة الشهود الثابتة عند الحكام، فردوا قبرها على ما كان عليه، وردوا تربته وحجارته إليه)، ويقول إدريس: (وقبرها إلى اليوم، يزوره جميع فرق الإسلام، ويعترف بفضلها الخاص والعام، ويأتي إلى قبرها من أصيب بظلم، أو حاجة، أو علة في بدنه، أو بليَّة، فيتشفعون بها إلى الله تعالى في كشف ما انتابهم بفضلها)[١].

وفيها وفي قبرها يقول القاضي حسين بن أبي عمران بن الفضل اليامي:

وقفت على قبر الوحيدة وقفة ... وقد زِين منها مسجدٌ وستورُ
فقبلته واستفتُ رَيَّاً ترابه ... وعاود قلبي رنة وزفير
وسالت دموع العين مني كأنها ... بشطِّ مجاري المقلتين سطور
ولله منها روحُ قُدْس تميزت ... فصارت بأعلى الدائرات تطير[٢]

**مشهد العباس:**

هذا المشهد كما يقول ـ الدكتور علي سعيد سيف ـ: يقع في منطقة أسناف خولان إلى الشرق من مدينة صنعاء على يمين الطريق المار بين صنعاء وخولان الطيال، ويبعد عن صنعاء بحوالي (٢٠) كم، ويحتل المسجد الضريح ربوة مرتفعة تقع جنوب قرية أسناف، وتتبع إدارياً مديرية خولان التابعة لمحافظة صنعاء[٣]، وذكر الدكتور أن العباس صاحب الضريح غير معروف، ولكن بناء الضريح كان بتاريخ (شهر ذي الحجة سنة تسع عشرة وخمسمائة)[٤]، وهذا التاريخ يأتي أثناء حكم الملكة السيدة بنت أحمد الصليحية، غير أن الدكتور يرجح أن يكون باني الضريح واسمه «موسى بن محمد القطبي»[٥] كان من السلاطين السُنيين الذين عاشوا في تلك الفترة، وربما يكون أميراً أو شيخ قبيلة، أطلق عليه لقب سلطان، ولست أوافق الدكتور على ذلك الاستنباط، فما دام العصر عصر الصليحيين، وهم في عصر قوتهم فلن يكون هناك مجال لسلاطين سنّيين، فلم لا يكون ذلك الرجل والٍ من ولاة الصليحيين؟ خصوصاً والدكتور يقول فيما بعد: (ومن المحتمل أن معمار هذا

---

(١) «الصليحيون» ص(٢٠٧ ـ ٢٠٨). وانظر: «الأضرحة» ص(٢٤٠) وما بعدها.
(٢) «الصليحيون» ص(٢٠٨)، وهذا القاضي هو من الإسماعيلية فلا غرابة أن يقبّل قبر الملكة، وأن يستف ترابه فهذه ديانتهم.
(٣) «الأضرحة» ص(٤٩).
(٤) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٥) المصدر السابق ص(٤٩ ـ ٥٨).

الضريح قد نهَج نهْج معمار الدولة الصليحية في جامع جبلة والذي يتشابه في كثير من الأوجه مع عمائر الدولة الفاطمية بمصر؛ لما كانت بينهما علاقات)[١]، أليس نسبة هذا الضريح إلى الصليحيين أحق من أن ينسب إلى أهل السنة؟ بلى، والدلائل قائمة، فهم الحاكمون، وهم الذين ابتدأوا بإنشاء المشاهد في اليمن، وطريقة بناء الضريح كطريقتهم، وعليه فالمرجح أن هذا الضريح من عمل الصليحيين، والله أعلم.

**المطلب الرابع: استمرار قبورية الإسماعيلية:**

بانتهاء الدولة الصليحية انتهى دور الظهور الثاني للإسماعيلية في اليمن، ودخلوا دور السِّتر الثاني، ولكن دهاتهم ودعاتهم قد أحسوا بذلك قبيل انتهاء الدولة وبالتحديد في أيام الملكة السيدة بنت أحمد، ولذلك فقد كُلِّفَ (القاضي لمك بن مالك الجمادي عند عودته إلى اليمن من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه المؤيد بتنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن، وأنه لُقِّب بلقب داعي القلم في عهد الملك المكرم أحمد الصليحي، ولقب داعي البلاغ في عهد الملكة الحرة، وقد اختار هذا الداعي نخبة من التلامذة الأفذاذ البعيدين عن الملك أمثال ابنه يحيى بن لمك والذؤيب بن موسى الوادعي وإبراهيم بن الحسين الحامدي، وسلم إليهم كل ما كان أخذه من علوم الدعوة أيام إقامته بمصر)[٢]، وبهذا كوّنوا الأساس المتين لصرح دعوتهم الذي يعول عليه في بقائها واستمرارها حتى إن ذهبت الدولة، بقيت الدعوة محافظة على كيانها، بل ازدهر علمها في تلك الفترة أكثر فأكثر.

يقول الهمداني: (نرى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي، وجمع شتات التراث الفكري، وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج

---

(١) المصدر السابق ص(٥١).

(٢) «الصليحيون» ص(٢٦٨).

الدعوة العلمي، وكُلِّفَ القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من العلوم إلى اليمن. ثم قررت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة عن شؤون الملك، وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية، فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي، ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر الوليد القرشي، والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي، والداعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لا يستهان به. وأثبت الداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائة، بل إلى أيامنا هذه. ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرةً عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية)[١].

وكانت هذه الجهود في أكثر الأحيان محاطة بالسرية التامة؛ وذلك لمحاربة اليمنيين لها سواء في ذلك أئمة الزيدية أو سلاطين الشافعية، ولكن كل ذلك لم يفتَّ في أعضادهم، أو يوهن عزائمهم، فاستمروا، وعندما جاءت التعددية الحزبية وحرية الرأي التي تجاوزت الحدود لإعطاء الحرية لأصحاب العقائد الضالة والمبادئ الهدامة والدعوات المشبوهة، عندما جاء هذا العهد، استغلت الإسماعيلية الفرصة، وبدأت تزاول نشاطها بجرأة عجيبة وجهود جبارة وتركيز ينذر بالخطر على البلاد اليمنية، وتداعوا إلى اليمن من كل حدب وصوب، وصار اليمن من أماكن حج البهرة الإسماعيلية، بحيث يحج إلى اليمن حسب تعبيرهم عشرات الآلاف كل عام، والعمل الظاهر الذي يمارسونه هو تتبع الأضرحة والقبور المنسوبة إلى أئمتهم ودعاتهم، وإليك قائمة بأهم المشاهد والقبور والمزارات التي يقصدونها:

١ ـ قبر الداعي إبراهيم بن حاتم الحامدي الهمداني الحاشدي اليامي في قرية «الحطيب» عزلة شرقي حراز ـ قضاء حراز ـ ويعتبر أهم مزار للإسماعيلية الداودية البهرة، ومتوسط من يزوره سنوياً من غير باطنية اليمن خمسة عشر

(١) المصدر السابق ص(٢٩٨).

ألف نسمة، خاصة من الهند وباكستان، والداعي المذكور مؤلف كتاب «كنز الولد».

٢ ـ قبر الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي في «الجامع الكبير» بمدينة جبلة محافظة إب.

٣ ـ قبر إدريس عماد الدين صاحب كتاب «زهر المعاني» المقبور تحت قمة جبل شبام حراز (٢٩٢٠ متر فوق سطح البحر)، وتجري الآن محاولة حثيثة من قبل الإسماعيلية لإقامة مسجد على قبره؛ رغم عدم وجود سكان في هذا الجبل الاستراتيجي، والذي يعد من أهم المواقع العسكرية في المنطقة متحكم في طريق صنعاء الحديدة، ويطل على كل قضاء حراز.

٤ ـ قبر في جبل الصميع في عزلة هوزان قضاء حراز محافظة صنعاء، لم يُعرف اسم صاحبه.

٥ ـ قبر الداعي لمك بن مالك في حصن زيارة قسم الملاحي عزلة لهاب قضاء حراز محافظة صنعاء.

٦ ـ قبرا الحسين والحسن ابني إدريس عماد الدين في قمة جبل مسار، من عزلة مسار، قضاء حراز، ونشكّ في أصل وجود هذين القبرين المندثرين بعد أن كُشف عنهما بزعم الباطنية، وهذا الجبل المركز الأول لانطلاق الدولة الصليحية في اليمن، وهو موقع هام واستراتيجي مرتفع عن سطح البحر (٢٧٦٠) متراً، ولا زال أهله صامدين أمام هذه الطائفة رغم كثرة الإغراءات والضغوط.

٧ ـ قبر الملا محمد في مدينة زبيد من بلاد تهامة محافظة الحديدة.

٨ ـ قبرٌ في غيل بني حامد عزلة بني مونس، قضاء همدان محافظة صنعاء.

٩ ـ قبرٌ في حصن طيبة المطل على وادي ظهر من قضاء همدان محافظة صنعاء.

١٠ ـ قبر أويس القرني من قرية الحمى من ضواحي زبيد.

وهناك مساجد يخصونها بالزيارة وليس هناك سبب ظاهر لزيارتها:

١ ـ الجامع الكبير بصنعاء[١].

---

(١) قال زبارة في «نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف»، طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) (٣/ ٣١٢): (قال صاحب مطلع الأقمار: ونقلت=

٢ ـ مسجد معاذ بن جبل بالجند.

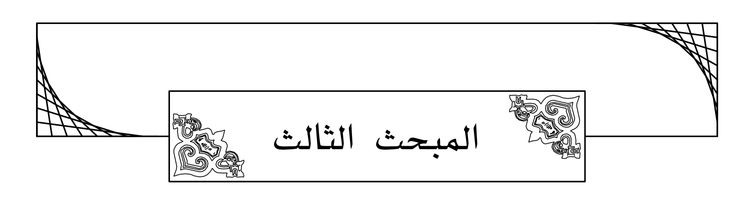
٣ ـ مسجد في حرف سفيان.

٤ ـ حصن ذي مرمر من بلاد حضور، وهذا الحصن قد كان يوماً مقراً لآل حاتم الياميين، وقد قيل: إنهم كانوا إسماعيلية باطنية، وممن ذكر من أهلها «محمد بن أحمد اليامي»، ووصف بأنه عالم الإسماعيلية وشاعرها[1].



= من خطه أن القبر الذي غربي الصومعة الشرقية بجامع صنعاء، هو قبر الحسن بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب. انتهى). قلت: فلعلهم يزورون هذا القبر المزعوم.

(١) انظر: «هجر العلم» (٢/٧٩٦ ـ ٧٩٧).




# السلاطين ودورهم في نشر القبورية في اليمن

## وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: السلاطين هم وراء مظاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية:**

لعل أعظم نزعة لدى السلاطين دفعت بهم إلى إنشاء المشاهد ومظاهر العظمة على القبور: هي أبهة الملك، ومحبة استمرار ناموس الملك بعد الوفاة كما كان حال الحياة، كما صرح به المقريزي وهو يتحدث عن تربة أسرة آل قلاوون بالقاهرة(١)، مع بواعث أخرى تقدم الحديث عنها في الفصل الثالث(٢).

ومن أجل الباعث الأول المشار إليه أصبح السلاطين وراء معظم مظاهر القبورية في اليمن، فأول مشهد عرف وثبت وجوده في اليمن على الإطلاق هو مشهد الزياديَيْن، الذي بناه مولاهما نجاح على جثتيهما عندما أنزلهما عن الجدار، وقد تقدم(٣)، كما أن السلطان أسعد بن وائل من أوائل من دُفنوا في المساجد في الديار الشافعية إن لم يكن أولهم(٤).

وأول قبة بنيت في حضرموت على الإطلاق هي قبة السلطان مسعود بن يماني المتوفَّى سنة (٦٤٨هـ)(٥)، وهذه المشاهد كلها قبل رسوخ التصوف في اليمن، وحتى أول مشاهد الدولة الصليحية التي سبق الكلام عنها والتي هي أول المشاهد المنظمة والمتوالية ـ والتي بقي أثرها إلى اليوم ـ هي كذلك في بدايتها كان لدافع عظمة السلطان دخل كبير فيها، ثم جاءت الدولة الأيوبية وكان معظم سلاطينها يدفنون إما

---

(١) «الخطط المقريزية» (٣/ ٤٨٠).
(٢) انظر: ص(٢١٠).
(٣) انظر: «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» ص(٨٦).
(٤) «السلوك» (٢/ ٤٨٥).
(٥) «الفرائد في قيد الأوابد» للعلامة المؤرخ عبد الله بن حسن بلفقيه، مخطوط بمكتبة الأحقاف بتريم، لديَّ صورة منه.

في قباب خاصة، كما دفن المعز إسماعيل بن طغتكين في قبة خاصة به في زبيد تعرف بقبة الخليفة[١]، أو في مدارس أو نحوها، ولإعطاء صورة لما عليه سلاطين اليمن من اهتمام بالمشاهد والقباب لأهداف مختلفة أضرب مثالين، أحدهما لأئمة الزيدية، والآخر لسلاطين الدولة الرسولية، وذلك في المطلبين التاليين.

**المطلب الثاني: أئمة الزيدية ودورهم في نشر القبورية في اليمن:**

رغم أن الغلو لدى الزيدية الأولى لم يكن خارجاً عن الحدّ، ورغم أن اتجاهها هو اتجاه المعتزلة المعتمدين على العقل النافين للخوارق والكرامات كما هو معلوم، إلا أننا نجد أئمة الزيدية في اليمن ـ وبعد قرون من إنشاء دولتهم وتتابع العشرات من أئمتهم ـ نجدهم ينحرفون انحرافاً شديداً في هذه المسألة، والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن باعث الأئمة لذلك كان باعثاً سياسياً أكثر منه باعثاً عقدياً، ولكن وجود المشاهد والقباب ووجود سدنةٍ يتأكلون منها، ويبنون بها مجداً وجاهاً على أنقاض عقائد الأمة حوَّلها إلى مزارات مقدسة يعتقد فيها العوام وأشباههم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، ومن أجل السياسة أيضاً يتغاضى الأئمة عن ذلك ويتركون العامة يغرقون في بحر الخرافة والشرك وهم ينظرون.

وأئمة الزيدية يبنون المشاهد للسياسة ويهدمونها للسياسة كذلك؛ فالدليل على أنهم يبنونها للسياسة ما بدر من الإمام عبد الله بن حمزة وذلك أنه عاش في آخر القرن السادس وبداية القرن السابع[٢]، وهو أول من سن لأئمة الزيدية سنة البناء على المشاهد حيث لم يُسجَّل لأحد من الأئمة قبل عصره شيء من ذلك.

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه إنما فعل ذلك مضاهاة لمعاصريه من الأيوبيين الذين عُرِف عنهم أنهم يبنون على قبور سلاطينهم البنايات الضخمة في مصر والشام[٣] وفي اليمن كذلك[٤]، فلعله أراد أن يُظْهِر بذلك شيئاً من أبهة الملك

---

(١) «العسجد المسبوك» ص(٧٤).

(٢) «تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن»، تأليف العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسعي، طبع مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، الطبعة الثانية سنة (١٩٩٠م)، ص(١٩٧).

(٣) سبق الحديث عن مساهمة الأيوبيين في نشر القبورية في الفصل الثالث.

(٤) انظر: تراجم سلاطينهم في اليمن في الفضل المزيد من تاريخ زبيد وغيره من تواريخ اليمن، وفيها يذكرون كيف يُقْبر سلاطين الأيوبيين.

للأئمة وهم أموات كما هي لهم وهم أحياء، وقد لاحظ ذلك الأستاذ محمد محمود الزبيري في كتيِّبه «الإمامة وخطرها على وحدة اليمن» حيث قال: (بهذه النفسية يمارس الإمام أعباء منصبه، وتكاد هذه الأعباء تنحصر في استصفاء ثروة الشعب باسم الزكاة، وقمع الانتفاضات الشعبية باسم الجهاد وقتال البغاة، ثم بناء مسجد باسم الإمام تضاف إلى جواره غالباً قبة الضريح لهذا الإمام تمدّ نفوذه الروحي حتى وهو في القبر)[1]. وهذا الذي نسبه الزبيري إلى الأئمة يجب أن يحدَّد بأئمة القرن السابع فَمَنْ بعدهم، وأن أولئك الأئمة قد عمَّروا على معظم قبور الأئمة السابقين مشاهد وقباباً.

وقد خَطَا هذا الإمام بالقبورية في الديار الزيدية خطوات كبيرة جداً، إذ لم يكتف بأن يبني لنفسه مشهداً في حياته أو يوصِي أن يُبنى له ذلك بعد وفاته، وإنما سنّ ذلك عملياً في حياته بأمر إمامي وتهديد شديد اللهجة لأهل قرية «لصف» حيث قتِل عندهم أخوه إبراهيم بن حمزة وهو يقاتل الأيوبيين، فلما حصل ذلك كتب لهم الإمام عبد الله بن حمزة هذه الرسالة يهدِّدهم فيها إذا لم يبنوا عليه مشهداً أنه سينقل جثمانه عنهم، وهذا نص الرسالة: (بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين إلى كافة الساكنين بلصف من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

أما بعد: فقد بلغنا جفوتكم للشهيد الذي توفي بين أظهركم، وحطَّ رحله بين أفنيتكم، وجاد بنفسه دون بلادكم، واستقبل بوجهه العدوّ صبراً واحتساباً حين زاغت الأبصار فشلاً، وبلغت القلوب الحناجر وجلاً، وظن قوم بالله الظنونا جزعاً، وابتلي المؤمنون بالهزيمة امتحاناً، وزلزلوا بالحادثة اختباراً، فرخص عنده من الموت ما غلا عند غيره، وغلا عنده من الفرار ما رخص عند سواه، وعلم القصد فتم العزم، ومضى على البصيرة على مناهج السلف الصالح مستقبلاً لكثرة العدو وعزمه، ومستصغراً لعظيمة نجده، فبلغنا أنكم هاجرون لقبره، قالون لمصرعه، قد صغّرتم منه ما عظّم الله سبحانه جهلاً، وجهلتم ما علم الصالحون حيرة وشكاً، كأنكم لم تسمعوا أقوال محمد صلى الله عليه وآله فينا ـ أهل البيت خاصة ـ «أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة بعد حمزة وجعفر رجلٌ منا أهل البيت خرج بسيفه فقاتل إماماً **ظالماً**

---

(١) «الإمامة وخطرها على وحدة اليمن» ص(١٣ ـ ١٤) للأستاذ محمد محمود الزبيري، طبع دار الكلمة، صنعاء، بدون تاريخ.

**فقُتِل**»، فهلا ـ رحمكم الله ـ استشفيتم بتراب مصرعه من الأدواء، وسألتم بتربة مضجعه رفع الأسواء، واستمطرتم ببركة قبره من رحمة ربكم طوالع الأنواء، وعظَّمتم حاله كما يُعَظَّم حال الشهداء، وأوجبتم من حقه ما ضيّع الأعداء، وعمَّرتم على قبره مشهداً، وجعلتموه للاستغفار مثابة ومقصداً، ونذرتم له النذر تقرباً، وزرتموه تودداً إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلينا تحبُّباً، فقد رُوِّينا عن أبينا صلى الله عليه في حديث فيه بعض الطول أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان بين يديه فبكى فهابه أهل المنزل أن يسألوه، فوثب عليه الحسين عليه السلام فقال: ما يبكيك يا أبتي؟ فقال: إني سررت بكما اليوم سروراً لم أُسرّ به قبله مثله، فجاءني جبريل فأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى، قال: يا أبتي فمن يزورنا على تباين قبورنا؟ قال: «قوم من أمتي يريدون بذلك برّي وصلتي، إذا كان يوم القيامة أتيت حتى آخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها».

ألا فاعلموا بعد الذي بلغنا عنكم أنا قد قَلَيْنا له جواركم، ورغبنا به عن داركم، وعزمنا بعد الخيرة لله سبحانه وتعالى على نقله من أوطانكم إلى من يعرف حقه، ويتيقن فضله وسبقه، فلو رعيتم له حرمة القرابة وفضل وراثة النبوة (تأمل!) لعلمتم حرمة ذلك الدم الزكي، وكثر عليه منكم الباكون والبواكي، فإن كان ذلك من غرضكم فإنا نفعله إن شاء الله تعالى، وإن لم يكن من إرادتكم فلسنا بتاركيه بتوفيق الله سبحانه، والسلام)[١].

والرسالة لم تقتصر على بناء المشهد عليه بل تعدت إلى طلب الاستشفاء بتراب مصرعه، والسؤال بتربته، والاستمطار بقبره، فهل كان الإمام فعلاً ـ وهو من هو في العلم والعقل والدهاء ـ هل كان يعتقد ذلك؟! أظنه لم يكن كذلك وإنما كما قلت سابقاً يريد إسباغ الهيبة وإضفاء المكانة على مشهد وقبر أخيه، ولذلك فإنه حينما لم يتم الإصغاء إليه فإنه نقل جثمانه إلى قرية الزاهر بالجوف حيث قُبِر هناك[٢].

والإمام الثاني الذي كرر نفس الأسلوب هو الإمام يحيى بن محمد حميد الدين الذي أمر في رسالة أخرى قبيلة أرحب ببناء تابوت وقبة على قبر الإمام أحمد بن هاشم الويسي المتوفى سنة (١٢٦٩هـ) والمدفون في «دار أعلا» من أرحب للتبرك به، وهدَّدهم إن لم يفعلوا ذلك بأنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب

---

(١) «هجر العلم» (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥). (٢) المصدر السابق (١/ ٢٢٤).

إلا أن بنوا له قبة ووضعوا على قبره تابوتاً[(١)]، والذي جعلني أدَّعي أن الباعث على ذلك هو السياسة؛ أن الإمام يحيى كذلك كان عالماً وعاقلاً ولم يكن من السذاجة بحيث يعتقد أن ذلك مما يحبه الله ويرضاه، ثم إنه في نفس الوقت أو بعده بقليل كان ابنه وولي عهده الإمام أحمد بن يحيى يهدم قبور أولياء الصوفية في الديار الشافعية كما سيأتي بعد قليل.

تلك هي الحوادث والتصرفات التي تدل على أن أئمة الزيدية يبنون المشاهد لأجل السياسة، وإن كان قد ترتب على ذلك خلل كبير في عقيدة الكثير من العوام وأشباههم، كما صور ذلك الإمام الشوكاني ﵀ حين ذكر ما يجري عند مشهد الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين[(٢)]، وبعد أن أَلِفَ علماءُ تلك البلاد هذه المشاهد ـ وكان القائمون وراءها أئمة مجتهدين ـ ركنوا إلى ذلك الواقع، وأحسنوا الظن بمن سنّ تلك السنة وتابعوهم عليها، ليس بالفعل فقط ولكن بالإفتاء أيضاً، وهذه نقلة خطيرة جداً، وتحول كبير في هذا المسار عند الزيدية، والذي أفتى بذلك هو الإمام الجليل يحيى بن حمزة الذي أثنى عليه الإمام الشوكاني ﵀ في «البدر الطالع» ثناء عاطراً[(٣)]، رغم رده عليه في هذه الفتوى، والفتوى المقصودة هي ما نقلها عنه الإمام المهدي في «البحر الزخار»، حيث قال: (مسألة (ي) ولا بأس بالقباب والمشاهد على الفضلاء لاستعمال المسلمين ولم ينكر)[(٤)].

ثم تبع الإمام المهدي على ذلك الإمام يحيى فقال في «الأزهار» وهو يتكلم عما يندب في القبر ومنه رفعه قدر شبر: (وكره ضد ذلك والإنافة بقبر غير فاضل)[(٥)].

ومن المعلوم أن الإمام الشوكاني قد ردّ على هذه الفتوى بكتابه المشهور «شرح الصدور في تحريم رفع القبور».

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «الدر النضيد» ص(٤٨).

(٣) «البدر الطالع» (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٤) «البحر الزخّار لمذاهب علماء الأمصار»، تأليف الإمام أحمد بن يحيى المرتضى (٢/ ١٣٢)، طبع دار الحكمة اليمانية، صنعاء، تصوير عام (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م) عن الطبعة الأولى (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م) (٢/ ١٣٢).

(٥) «الأزهار في فقه الأئمة الأطهار» (١/ ٣٦١) للإمام المهدي صاحب «البحر الزخار مع شرحه السيل الجرار»، تحقيق محمد إبراهيم زايد، طبع دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى الكاملة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

هذا ما يتعلق ببناء المشاهد والقباب، وأما هدم تلك المشاهد وكونه للسياسة كذلك فهو أظهر، وإليك هاتين الواقعتين:

أما **الواقعة الأولى**: فهي ما حدث من هدم للقبور المشرفة والمشاهد المقامة عليها أيام الإمام المتوكل على الله المعاصر للشوكاني، حيث إنه أجاب أئمة الدعوة النجدية إلى هدم بعض المشاهد في صنعاء وما حولها، وكتب بذلك إلى سائر الجهات، ذكر ذلك الإمام الشوكاني في «البدر الطالع» وصاحب كتاب «حوليات يمانية» وسيأتي نص كلامهما في الباب الثالث إن شاء الله[١]، وقد جزْمتُ بأن الأمر كان سياسة لا تديناً؛ لأن ذلك الإمام بينما كان يرضخ للنجديين ويداهنهم كما عبر بذلك صاحب الحوليات كان في نفس الوقت يكاتب الأتراك والمصريين للقدوم إلى الجزيرة والقضاء على الدولة النجدية[٢].

**والواقعة الثانية**: التي تدل على أن من أئمة الزيدية من يهدم القبور لأجل السياسة هي حادثة هدم بعض القبور في الديار الشافعية من اليمن، والتي قام بها الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين حيث أزال القبة التي على قبر الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل عام (١٣٤٨هـ)، حينما كان وليّاً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق ـ التي كانت تعرف من قبل بالمعازبة ـ لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادها ودخولها تحت حكمه، كما أزال الإمام أحمد كذلك التابوت من على قبر أحمد بن علوان في يفرس من ناحية جبل حبشي عام (١٣٦٢هـ)[٣]، قد يقول قائل: لم لا تحمل هذا العمل على المحمل الحسن وتجريه على أفضل تقدير وتجعله من باب إزالة المنكر؟

فأقول: إن الذي يمنع من حمله على ذلك هو عدم إقدام الإمام أحمد عندما كان ولياً للعهد، أو بعد أن أصبح إماماً على إزالة شيء من مشاهد البلاد الزيدية، فلو كان الأمر لوجه الله لما فعله في ناحية وتركه في ناحية أخرى، قد يكون بعض مشاهدها أشد من تلك التي هدمها، كما قال القاضي إسماعيل الأكوع حفظه الله[٤].

---

(١) الباب الثالث ص(٦٤٠).

(٢) انظر: «ذكريات الشوكاني» ص(١١٣ ـ إلى آخر الكتاب)، تحقيق د. صالح رمضان محمود، طبع دار العودة (١٩٨٣م)، و«حوليات يمانية» ص(٢٢ ـ ٢٣)، تحقيق عبد الله محمد الحبشي لم يسم المؤلف، طبع دار الحكمة اليمانية، صنعاء، الطبعة الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

(٣) «هجر العلم» (١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

(٤) نفس المصدر، نفس الموضع.

ومما يؤكد صلة المشاهد الزيدية بالسياسة أن معظم المشاهد المعظمة في الديار الزيدية هي للأئمة وحواشيهم، وقلّ أن تجد مشهداً لرجل فقير أو ضعيف، وإليك قائمة بأهم المشاهد الزيدية وستكون إن شاء الله على حسب التسلسل الزمني لإنشائها:

١ ـ مشهد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة من منطقة ظفار ذيبين.

٢ ـ مشهد الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة (أخو عبد الله بن حمزة) بمدينة كحلان.

٣ ـ مشهد الإمام أحمد بن الحسين المعروف بأبي طير في مدينة ذيبين.

٤ ـ مشهد الإمام يحيى بن حمزة (وليس أخا عبد الله بن حمزة بل هو من ذرية الحسين وليس من ذرية الحسن[1]) ومشهده بمدينة ذمار.

٥ ـ مشهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بصعدة[2] ومعه عدد من أبنائه وأحفاده، ومشهد الإمام المهدي باني تلك المشاهد.

٦ ـ مشهد الإمام صلاح الدين بصنعاء.

٧ ـ مشهد الإمام المهدي لدين الله أحمد بن المرتضى بحصن الظفير حجة.

٨ ـ مشهد الإمام المهدي صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم بصعدة.

٩ ـ مشهد الإمام الناصر محمد بن يوسف بن صلاح بن المرتضى بمدينة ثلا.

١٠ ـ مشهد الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين أحمد بن يحيى المرتضى بظفير حجة.

١١ ـ مشهد مدرسة الإمام شرف الدين بثلا، وفيه عدد من أبنائه وبناته وذويه.

١٢ ـ مشهد الأمير صلاح الدين بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين بمدينة ثلا.

هذه بعض المشاهد وقد تركت الكثير سواها وهي كلها موجودة مشاهدة للعيان، وقد كتب عنها كتابة تاريخية أثرية الدكتور علي سعيد سيف في رسالته

---

(١) انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٢) وهو مؤسس الدولة الزيدية باليمن، توفي سنة (٢٩٨هـ)، ولكن المشهد لم يعمر إلا ما بين سنة (٧٣٣هـ) و(٧٥٠هـ)، وهي فترة حكم الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد الذي كان أول من بنى مشاهد مقبرة صعدة على قبور الإمام الهادي وبنيه. انظر: «الأضرحة» ص(١٦١).

المقدمة للدكتوراه من جامعة صنعاء باسم «الأضرحة في اليمن من القرن الرابع إلى القرن العاشر»، فيمكن لمن أراد معرفتها بدقة أن يرجع إلى هناك.

مع العلم أن أكثر هذه المشاهد تضم إلى جوار من هي باسمه عدداً من أبنائه وأحفاده وزوجاته، وهذا يثبت أن أئمة الزيدية قد ساهموا في نشر مظاهر القبورية في جهاتهم كسائر حكام اليمن.

**المطلب الثالث: الدولة الرسولية ودورها في نشر القبورية في اليمن:**

**لمحة عن الدولة الرسولية:**

الدولة الرسولية منسوبة إلى مؤسسها «نور الدين عمر بن علي بن رسول» (ت٦٤٧هـ)، وقد قامت على أنقاض الدولة الأيوبية، حيث كان عمر بن علي من قواد هذه الدولة أيام آخر ملوكها الملك المسعود، وحين عزم الملك المسعود على السفر إلى مكة حيث مات بها، استبد بالأمر ودعا إلى نفسه وخطب له بذلك، ثم توالى أبناؤه وأحفاده على الملك والسلطنة، وامتدت دولتهم من حضرموت إلى مكة بل في بعض الأحيان من ظفار إلى مكة، وعاشوا في صراع مع أئمة الزيدية حيناً يأخذون صنعاء وذمار وحجة، وحيناً يصل أئمة الزيدية إلى زبيد أو إلى تعز أو إب وهكذا، وامتدَّ حكمهم من سنة (٦٢٥هـ) إلى سنة (٩٥٨هـ) وهي مدة طويلة زادت على ثلاثة قرون، وقد تميزت هذه الدولة بالقوة والعظمة والإنجازات الضخمة في شتى الميادين.

ففي العمران فعلت ما لم تفعله دولة أخرى في اليمن، وكان أكثر ملوكها مشاركين في العلم والأدب فبنوا المدارس وجلبوا العلماء والمدرسين ووقفوا الأوقاف العظيمة عليها، كما جمعوا نفائس الكتب بل ألفوا الكثير منها في فنون مختلفة، وفي عصرهم ازدهر التصوف وشجع بعضهم أتباع ابن عربي أصحاب وحدة الوجود.

وبالجملة فقد كانت هذه الدولة مفخرة من مفاخر اليمن في جوانب كثيرة، كما كانت فاتحة شر كبير في جوانب أخرى، ومن أهمها فتح الباب أمام التصوف المنحرف الفلسفي؛ تصوف أصحاب وحدة الوجود الذي ما تزال آثاره ظاهرة إلى هذا التاريخ وإن أفل نجمه وذهبت دولته، كما أنهم رسخوا القبورية في اليمن من خلال قبور سلاطينهم وتبنيهم لبناء بعض المشاهد على قبور بعض من يعتقدون فيه الصلاح، هذه هي الدولة الرسولية.

وإليك لمحة عن بعض قبور الدولة الرسولية:

**قبور الدولة الرسولية:**

١ ـ الملك نور الدين عمر بن علي بن رسول المتوفى (٦٤٧هـ)[١] دفن في المدرسة الأتابكية في ذي هزيم في مدينة تعز، بعد أن نقلوه إليها من الجند[٢].

٢ ـ الملك الأشرف عمر بن المظفر المتوفى (٦٩٦هـ)[٣] ودفن في المدرسة الأشرفية بمدينة تعز[٤].

٣ ـ الناصر بن الأشرف المتوفى (٧٢٥هـ)[٥] ودفن في المدرسة الأشرفية مدرسة والده[٦].

٤ ـ الملك المجاهد المتوفى (٧٦٤هـ)[٧] ودفن في مدرسته المجاهدية بتعز[٨].

٥ ـ الملك الأفضل بن المجاهد المتوفى (٧٧٨هـ)[٩]، وحمل من زبيد إلى تعز، ودفن في مدرسته الأفضلية[١٠].

٦ ـ الملك الأشرف بن الأفضل المتوفى (٨٠٣هـ)[١١]، ودفن بمدرسته الأشرفية بتعز[١٢].

٧ ـ الملك الناصر بن الأشرف المتوفى (٨٢٧هـ)[١٣]، ودفن في مدرسة والده الأشرفية[١٤].

٨ ـ الملك المنصور بن الناصر بن الأشرف المتوفى (٨٣٠هـ)[١٥]، ودفن بمدرسة

---

(١) انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية» (١/ ٥١)، تأليف علي بن الحسن الخزرجي، تحقيق محمد بن علي الأكوع، طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، و«قرة العيون» ص(٢٩٩).

(٢) «العقود اللؤلؤية» (١/ ٨٢).

(٣) انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية» (١/ ٢٣٩)، و«قرة العيون» ص(٣٣٧).

(٤) «الفضل المزيد» ص(٩٤).

(٥) انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية» (٢/ ١٣)، و«قرة العيون» ص(٣٤٩).

(٦) «الفضل المزيد» ص(٩٦).

(٧) انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية» (٢/ ١٣)، و«قرة العيون» ص(٣٤٩).

(٨) «الفضل المزيد» ص(٩٨).

(٩) انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية» (٢/ ١١١)، و«قرة العيون» ص(٣٦٨).

(١٠) «الفضل المزيد» ص(١٠٢).

(١١) انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية» (٢/ ١٤١)، و«قرة العيون» ص(٣٧٦).

(١٢) «الفضل المزيد» ص(١٠٤).

(١٣) المصدر السابق ص(١٠٤).

(١٤) المصدر السابق ص(١٠٨).

(١٥) المصدر السابق ص(١٠٨).

جده الأشرفية، وقد كان موته بمدينة زبيد فحُمل إلى تعز[١].

٩ ـ الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل المتوفى (٨٤٢هـ)[٢]، ودفن في مدرسته الظاهرية[٣] بمدينة تعز.

١٠ ـ الملك الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى المتوفى (٨٤٥هـ)[٤]، ودفن عند والده بالمدرسة الظاهرية بمدينة تعز[٥].

هؤلاء الملوك الذين وقفت على التصريح بدفنهم في المدارس التي بنوها، ولا يبعد أن يكون غيرهم من الأمراء ومن الملوك الذين ولّوا ولايات قصيرة أو خرجوا على الملوك الرسميين أن يكونوا كذلك قد دفنوا في مدارس أو مشاهد، بل لا يبعد أن تكون نساؤهم كذلك وقد وقفت على تصريح بواحدة منهن.

١١ ـ قال ابن الديبع: وفي السنة المذكورة (٨٣٦هـ) توفيت أم السلطان الحرة الطاهرة، أم الملوك جهة الطواشي، جمال الدين فرحان بمدينة زبيد في الثاني عشر من صفر، ودفنت قريباً من تربة الشيخ طلحة بن عيسى الهتار، وأمر ولدها السلطان الملك الظاهر بإنشاء مدرسة عظيمة على ضريحها ورتب فيها إماماً وخطيباً وأيتاماً ومعلماً لهم وعشرين قارئاً يقرؤون القرآن عند ضريحها عقب كل صلاة، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم[٦].

١٢ ـ كما أشار الجندي إلى أن هناك تربة خاصة بخواص وأقارب بني رسول حيث قال في ترجمة محمد بن القاضي عمر الهزاز: (وكان المظفر يجله ويعتقد صلاحه وربما زاره سراً إلى منزله ـ إلى أن قال ـ وحين بلغت وفاته الملك المظفر كتب إلى أولاده يسألهم أن يدفنوه في التربة التي هي قبلي جامع عدينه، ففعلوا ذلك إذ خواص بني رسول من القرابة والسراري مقبورون فيها)[٧].

وهذه التربة ربما كانت على غرار ترب الفاطميين والمماليك التي سبق ذكرها.

---

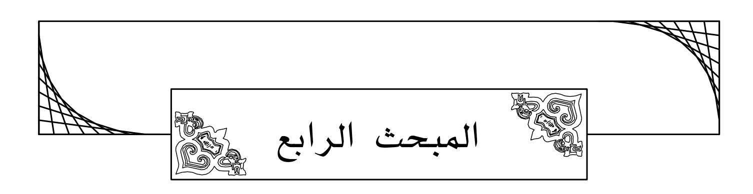
(١) المصدر السابق ص(١٠٩).
(٢) «الفضل المزيد» ص(١٠٩).
(٣) المصدر السابق ص(١١٣).
(٤) المصدر السابق ص(١١٣ ـ ١١٤).
(٥) المصدر السابق ص(١١٥).
(٦) المصدر السابق ص(١١١).
(٧) «السلوك» (١١٧/٢).

## مساهمة سلاطين الدولة الرسولية في بناء المشاهد على قبور من يعتقدون فيهم الصلاح:

بنى سلاطين الدولة الرسولية المشاهد والقباب على قبور من يعتقدون صلاحهم، ولكن للأسف لم نجد النص الصريح على شيء من ذلك إلا على قبر الشيخ أحمد بن علوان، ومشهد أحمد بن علوان يوجد بمنطقة يفرُس محافظة تعز، وهو معاصر للملكَيْن عمر بن علي بن رسول وابنه المظفر، ويعد من أكابر أقطاب الصوفية في اليمن، عُمّر مشهده، وأول من عمّره الملك المظفر. ذكر ذلك صاحب الأضرحة، ولم يحدد التاريخ الذي جرى فيه البناء، كما أن المشهد والمسجد المجاور له قد شهد توسعة وترميماً كثيراً في فترات مختلفة، أهمها على يد السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري كما هو مكتوب هناك[1]، وآخرها على يد بعض ولاة الأتراك.



(١) «الأضرحة» ص(١٢٣) وما بعدها.


المبحث الرابع

# نشأة الصوفية ودورها في نشر القبورية في اليمن

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: نشأة الصوفية في اليمن:**

سبق تعريف الصوفية والتفريق بين الزهد الذي دعا إليه الإسلام وبين التصوف المنحرف، والإيضاح بأن كلامنا إنما هو منصب على التصوف الفلسفي المنحرف، سواء شَعَرَ المتصوفة القائمون به بأصل ذلك التصوف وعرفوا مصادره أم أخذوه تقليداً وثقة بمن قبلهم، فالانحراف هو الانحراف إن أتى على يد خبيث ماكر أو على يد صالح مغفل، وأما الأشخاص أنفسهم وما هي مقاصدهم ونواياهم فذاك شيء مرده إلى الله تبارك وتعالى وليس إلينا، إذا عرفنا هذا التذكير حق لنا أن نشرع في رصد مبدأ هذا التصوف المنحرف ونشأته.

## روّاد التصوف في اليمن:

لعل حضرموت كانت هي الرائدة في جلب واستيراد التصوف، فقد ذكر مؤرخو حضرموت أن أول من عرف بالتصوف فيها هو «عبد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله» حيث ذكر الشاطري في «أدوار التاريخ الحضرمي» أن من شيوخه أبا طالب المكي، فقد تلقى عنه علم التصوف، وقرأ عليه كتابه «قوت القلوب» ذلك الكتاب الشهير في فن التصوف، وذلك لما حج سنة (٣٧٧هـ)[١]. غير أن هذا الرجل لم يكن له أثر يذكر في نشر التصوف في حضرموت، كما سيأتي عند حديثنا عن الفقيه المقدم، وهذا كما نرى من رجال القرن الرابع.

وفي القرن الخامس: يطالعنا اسم الصوفي «سود بن الكميت» المتوفى (٤٣٦هـ) حيث ترجمه الشرجي في «طبقات الخواص»، وذكر قصة تحوله إلى التصوف، وأنه

---

(١) «أدوار التاريخ الحضرمي» ص(١٦٢ ـ ١٦٣).

كان له أصحاب ومريدون، وأنه كان يجلس معهم في المسجد ويأكل وينام معهم فيه[١]، وهو أشهر من عرف بالتصوف أو من أشهرهم في هذا القرن، مع وجود آخرين أشار إليهم السيد عبد الله الحبشي ولم يبين أسماءهم وذكر أنهم من المناطق المحاذية لتهامة ومن مدينة تعز[٢].

وفي القرن السادس: اشتهر الصوفي أحمد بن أبي الخير الصياد المتوفى سنة (٥٧٩هـ) وقد كان رجلاً عادياً من عوام مدينة زبيد، وعلى أثر رؤيا رآها تحول إلى التصوف، وصحب الشيخ إبراهيم الفشلي الآتي ذكره في القرن السابع، قال الشرجي بعد ذكر الرؤيا: (ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى في درجات التصوف)[٣].

قلت: ثم اشتهر أمره، وتجمع حوله المريدون وسجلت له الكرامات، ونقلت عنه أقوال ذات قيمة عند أهل التصوف[٤]. والملاحظ أنه في هذا القرن بدأت تتكون جماعات التصوف ويلتفّ المريدون حول شيوخهم لا لطلب العلم ولكن لأخذ الفيوضات والبركات وسلوك ذلك الطريق المبتدع، وليس هذا خاصاً بالصياد وحده بل قبله كان لشيخه إبراهيم الفشلي، الذي سيأتي الحديث عنه في القرن السابع.

القرن السابع: هذا القرن هو في الحقيقة قرن التصوف ففيه نمت وترعرعت البذور التي بذرت في القرون الماضية، وشهد تحولات كبيرة منها:

١ ـ دخول مدرسة ابن عربي ـ مدرسة وحدة الوجود ـ إلى اليمن وكان ذلك على يد رجل غامض مشبوه يقال له: «المقدسي»، لا يعرف اسمه الحقيقي ولا شيء من ترجمته[٥]؛ وذلك لشدة حنق الفقهاء وأهل العلم عليه وهجره، بل ومحاولة قتله في قصة طويلة عجيبة تدخّل على إثرها السلطان وزجر الفقهاء وتوعدهم أشد الوعيد إن هم تعرضوا له ولأصحابه[٦]، ولكن هذا الرجل لم يمت إلا وقد غرس تلك النبتة

---

(١) «طبقات الخواص» ص(١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) «الصوفية والفقهاء في اليمن» ص(١٢)، تأليف عبد الله بن محمد الحبشي، توزيع مكتبة الجيل الجديد، صنعاء (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).

(٣) «طبقات الخواص» ص(٦٤ ـ ٦٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) قال القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه «المدارس الإسلامية في اليمن»، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، ص(٨٣ ـ ٨٤): (لم نعرف اسم المقدسي كاملاً ولا تاريخ قدومه إلى اليمن ولا تاريخ ولادته ووفاته ومكانها فيما بين أيدينا من المراجع، ولعل ذلك الإهمال كان مقصوداً من المؤرخين نكاية به وتجاهلاً لعلمه ومعرفته لعلم المنطق)، قلت: ليس علمه علم منطق ولكنه الفلسفة الإلحادية.

(٦) «السلوك» (٢/ ١١١ ـ ١١٣).

الخبيثة في اليمن، وقد قرر العلامة الأهدل أنه أول من قدم بكتب ابن عربي إلى اليمن[١].

كما ظهر هذا القول كذلك في هذا القرن لدى أبي الغيث بن جميل الملقب شمس الشموس المتوفى سنة (٦٥١هـ) وألَّف في ذلك كتاباً[٢]، ولدى معاصره أحمد بن علوان وله في ذلك عدة كتب منها: «البحر المشكل الغريب» و«الفتوح المصونة والأسرار المخزونة» و«التوحيد الأعظم»[٣].

وقد ذكر مترجمو الرجلين أن لهما مكاتبة تشهد بمدى ما وصلا إليه من التبجح والدعوى التي عرف بها أهل تلك النحلة، قال الشرجي في ترجمة أبي الغيث: (وكتب إليه الشيخ أحمد المذكور «ابن علوان» مرة من بلده كتاباً يقول فيه: أما بعد، فإني أخبرك أني:

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا ... حتى انتهيت مراتب الإبداع
لا باسم ليلى أستعين على السرى ... كلا ولا لُبنى تقل شراعي

فأجابه الشيخ أبو الغيث بكتاب يقول فيه: من الفقير إلى الله تعالى أبي الغيث بن جميل غَذِيِّ نعمة الله تعالى في محل الحضرة، أما بعد فإني أخبرك أني:

تجلَّى ليَ الاسم القديم باسمه ... فاشتُقَّتِ الأسماء من أسمائي
وحبانيَ الملك المهيمن وارتضى ... فالأرض أرضي والسماء سمائي)[٤]

قال الحبشي: (وبهذين الرجلين ـ أبي الغيث وابن علوان ـ قامت مدرسة الفلسفة الصوفية في اليمن، إلا أن قربهما المباشر من عصر ابن عربي لم يجعلهما يستفيدان من كتاباته الخاصة، وإنما كان ذلك من خلال المشرب الذوقي الذي عُرِفتْ به تعاليم هذه المدرسة، وهم ينهلون جميعاً من الاتجاه الذي سار عليه أسلافهم من دعواهم في الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية)[٥].

---

(١) «كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين» ص(٢١٧) للعلامة الحسين بن عبد الرحمٰن الأهدل، طبع تونس (١٩٦٤م).

(٢) أنكر العلامة الأهدل أن يكون هذا الكتاب للشيخ أبي الغيث وذلك لأنه أمي، ولكن السيد عبد الله الحبشي ردّ عليه في ذلك وأثبت أن الكتاب تأليف ابن جميل. انظر: «الصوفية والفقهاء» ص(٧١ ـ ٧٢).

(٣) «الصوفية والفقهاء» ص(٧٢).

(٤) «طبقات الخواص» ص(٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٥) «الصوفية والفقهاء» ص(٧٣).

٢ ـ في هذا القرن دخلت الطرق الصوفية من الخارج، ونشأت الطرق الصوفية المحلية، وإليك لمحة عن أهم الطرق الصوفية التي عرفتها اليمن في هذا القرن في المطلب التالي.

**المطلب الثاني: أهم الطرق الصوفية التي عرفتها اليمن:**

**الطرق الوافدة:**

١ ـ **الطريقة القادرية**: وهي أول وأشهر الطرق الصوفية في اليمن، وقد أعاد الحبشي أول لقاء لليمنيين بهذه الطريقة وشيخها إلى سنة (٥٦١هـ)، وهي سنة وفاة الشيخ الجيلاني رَحِمَهُ اللَّهُ حيث لقيه اثنان من اليمنيين في موسم الحج، وهما الشيخ «علي بن عبد الرحمن الحداد» والشيخ «عبد الله الأسدي»، أما الأول فالتقى به صدفة عند الكعبة، وأما الثاني فقد سافر خصيصاً للقاء الشيخ عبد القادر عندما علم بأنه ناوٍ على الحج تلك السنة، فالتقى به في عرفات. ولم يوضّح ما هو دور الرجلين في نشر الطريقة القادرية في اليمن؟ ولكن من بين من ذكر أنهم أخذوا الطريقة القادرية من صوفية اليمن «أحمد بن أبي الجعد» ووفاته ببضع وسبعين وسبعمائة[1]، (وأبو بكر بن محمد بن أبي حربه) وفاته (٧٩٤هـ)[2]، وبهذا نقطع أن هذه الطريقة دخلت اليمن في القرن السابع وربما قبله بقليل.

٢ ـ **الطريقة المَدْيَنِيَّة**: المنسوبة إلى الصوفي المغربي الشهير «شعيب أبي مدين التلمساني»، وهذا الصوفي قد صدّر طريقته إلى اليمن عن طريق مكة عبر تلميذه عبد الرحمن المقعد، ولكن المقعد مات في الطريق فوكل إيصالها إلى رجلٍ آخر هو «عبد الله الصالح المغربي» الذي وصل إلى تريم، وإلى من سماه أبو مدين ووصفه الفقيه المقدم ـ محمد بن علي باعلوي ـ المتوفى سنة (٦٥٣هـ)، فدخل خلسة إليه وهو في حلقة شيخه الفقيه «علي بن محمد بامروان» فغمزه وأخذه من بين يدي شيخه فأبلغه الرسالة وحكّمه وألبسه لباس الصوفية، فعاد إلى شيخه وهو كذلك فغضب عليه شيخه وزجره وظل مقاطعاً له حتى مات «رَحِمَهُ اللَّهُ»، ثم ذهب إلى قيدون فلقي الشيخ «سعيد بن عيسى العمودي» المتوفى سنة (٦٧١هـ) فحكّمه كذلك وأدخله في عداد الصوفية، ولقي في دوعن كذلك «باعمر» صاحب عُورَة وألحقه بالجماعة، ثم توجه إلى ميفعة ولقي الشيخ عبد الله باحمران فحكّمه كذلك وألحقه بهم، واستقر في ميفعة

(١) «طبقات الخواص» ص(٧٢ ـ ٧٤).

(٢) «طبقات الخواص» ص(٣٨٠ ـ ٣٨١).

حتى مات، وعند موته قسم تركته بين تلاميذه وأشار إليهم بأن هناك علامة على من يكون شيخهم وهو أن يقع من نصيبه السبحة فوقعت من نصيب الفقيه المقدم، وبذلك أصبح شيخ صوفية حضرموت وشيخ الطريقة المدينية بها، وعند وفاته نصّب زوجته أم المساكين في منصب شيخ الصوفية بحضرموت(١).

---

(١) انظر: قصة إرسال أبي مدين إلى حضرموت في «الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب وكرامات السادة الأشراف»، تأليف عبد الرحمٰن الخطيب الأنصاري وهو مخطوط، ولديّ نسخة مصورة منه (١/ ٨١ ـ ٨٢) في الحكاية السابعة والعشرين، وفي «المشرع الروي» (٢/ ٤ ـ ٥)، وحتى لا يظن أحدٌ أنني بالغت في تعبيري أو طعنت في (عبد الله الصالح المغربي ـ ومرسله أبي مدين ـ أو في الفقيه المقدم)، أسوق قصتهم بحروفها من «الجوهر الشفاف» لعبد الرحمٰن الخطيب حيث قال: (الحكاية السابعة والعشرون: روى المشايخ ﵃ أنه قيل لشيخ شيوخنا الشيخ الفقيه محمد بن علي ﵁: إنه لا يفك قفل قلبك إلا الشيخ عبد الرحمٰن المقعد، وكان الشيخ عبد الرحمٰن المقعد ﵁ إذ ذاك بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ فسار الفقيه شيخ شيوخنا قاصداً نحوه، فلما بلغ أثناء الطريق أخبر بوفاته فرجع إلى بلده، وكان الشيخ عبد الرحمٰن المذكور ﵁ من كبار تلامذة الشيخ الكبير خاص الخواص أبي مدين ﵁، وكان شيخه أبو مدين ﵁ قد أمره بالسفر إلى حضرموت، وقال له: إن لنا فيها أصحاب سر إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ولبس الخرقة أو كما قال، وقال له: ولكنك لا تصل إليهم بل تموت في أثناء الطريق وترسل إليهم من يأخذ عليهم ذاك، فسار الشيخ عبد الرحمٰن طالباً حضرموت، فلما بلغ في أثناء الطريق حضرته الوفاة فأحضر تلميذه الشيخ الكبير العارف بالله تعالى الصالح المغربي ـ وكان من أولاد ملوك المغرب فآثر سلوك هذه الطريقة ففتح له وكان من كبار تلامذته ولهما الكرامات الخارقة والإشارات المفيدة الفائقة ـ وأمره بالمسير إلى حضرموت وقال له ما قال له الشيخ أبو مدين ﵁، وفي رواية أنه قال له أيضاً: اذهب إلى حضرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي أبو علوي عند الفقيه علي بن أحمد أبي مروان يستقي يعني يأخذ منه العلم، طارحاً سلاحه فوق رجليه، فاغمزْه من عند الفقيه وحكّمْه، واذهبْ إلى قيدون تجد فيها الشيخ سعيد بن عيسى فحكّمْه.

قال الشيخ عبد الله: فلما وصلت إلى تريم وجدت الفقيه محمد بن علي كما قال الشيخ عبد الرحمٰن فغمزته وحكّمته ـ وما شاور أبا مروان ـ فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقة اغتاظ عليه وقال له: رجوناك إماماً مثل ابن فورك فتركت صحبتنا ورجعت إلى زي الصوفية أو كما قال، فقال له الفقيه محمد بن علي ﵁: الفقر خير. وهجره أبو مروان إلى أن توفي وستأتي حكايتهما في ذلك إن شاء الله تعالى، فسار الشيخ عبد الله فلما وصل إلى حضرموت اجتمع بشيخ شيوخنا الفقيه محمد بن علي ﵁ وقال له الشيخ عبد الله: أي لؤلؤة عجماء لو ثقبت، فقال الشيخ محمد: وما الثقب؟ قال: التحكيم، فانخلع الشيخ محمد عما هو عليه من زي الفقهاء وترك صحبتهم، وتحكم للشيخ عبد الله ولبس منه الخرقة، وأقبل على الله تعالى في السر والعلانية ورغب في صحبة الصوفية، قالوا: ودعا لذريته عند ذلك بثلاث دعوات:

**الأولى**: بذل النفوس ولا يعودون إلى العمومية أي لا يزالون على زي الفقراء. =

٣ ـ **الطريقة الرفاعية**: المنسوبة إلى أحمد بن علي الرفاعي المتوفى (٥٧٨هـ)، وقد دخلت اليمن على يد عمر بن عبد الرحمٰن بن حسان القدسي المتوفى سنة (٦٨٨هـ) وكان الشيخ قد أدرك أحد أحفاد الشيخ أحمد الرفاعي وهو نجم الدين الأخضر، فأخذ عنه الخرقة الرفاعية، وتربى بين يديه تربية صوفية، فلما استكمل الشيخ تعليمه أمره أن يدخل اليمن وينشر الخرقة الرفاعية هنالك، وفي اليمن اجتمع القدسي ببعض من صوفيتها أمثال الشيخ عمر بن سعيد الهمداني وغيره، ويقول الشرجي: أنه (تنقل بعد ذلك إلى عدة أماكن في اليمن وابتنى عدة ربط بعد أن شهر الخرقة الرفاعية، وانتشرت عنه انتشاراً كلياً لا سيما في مخلاف جعفر)[١].

٤ ـ **الطريقة الشاذلية**: نسبة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى سنة (٦٥٦هـ)، وقد انتقلتْ هذه الطريقة إلى اليمن على يد الشيخ علي بن عمر بن دعسين الشاذلي الذي كان من أوائل المؤسسين في اليمن[٢].

٥ ـ **الطريقة السهروردية**: نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي المتوفى

---

= **الثانية**: أن لا يسلط الله تعالى عليهم ظالماً يؤذيهم.

**الثالثة**: أن لا يموت أحد منهم إلا وهو مستور في دنياه ـ أي لا تكون به حاجة تضر بدينه. قالوا: فقبلهن الله تعالى، فما يموت أحد منهم إلا وهو بتلك الصفة، ولم يسلط الله تعالى عليهم بعد ذلك ظالماً أبداً ببركة دعوة الشيخ لهم رضي الله عنه). «الجوهر الشفاف» (١/ ٨١ ـ ٨٣).

وكذلك قال الشلي في «المشرع»: (فلما رآه شيخه علي بامروان تغير عما كان، قال له: أذهبْتَ نورك وقد رجونا أن تكون كابن فورك واخترتَ طريق التصوف والفقر وقد كنت على المقدار والقدر، فقال الأستاذ: الفقر فخري وبه أفتخر، وبه على النفس والشيطان أنتصر، ولا أتباعد عنكم إعراضاً، ولا تبدلت بكم معتاضاً. وهجره الفقيه وظن أن يفيد فيه الهجر، ورأى أنه أعظم من الزجر، واستمر مهاجراً له إلى أن مات). «المشرع الروي» (١/ ٢ ـ ٥).

وفي هجر الإمام بامروان للفقيه المقدم دليل على أن أهل حضرموت كانوا على منهج الكتاب والسنّة، وأنهم لم يعرفوا ذلك الانحراف الصوفي إلى أن قدم ذلك المغربي بالتصوف وأخذه عنه الفقيه المقدم، ولكن منذ ذلك التاريخ استفحل الشر وانحرف الأكثر بتأثير ذلك الفقيه وأتباعه من أبنائه وفقرائه واللائذين بهم ممن ينسبون إلى الفقه والعلم، بعد أن ضعف الفقه وقلّ العلم، وما زال التصوف يفشو والعلم ينقص حتى أظلم الكون، وعم الانحراف، وظهرت الدعاوى والرسوم، وزالت الحقائق، وأصبح من النادر وجود فقيه متضلع مدرك للأدلة ومذاهب العلماء قادر على الترجيح والاختيار، أما علم التفسير والحديث فلم يبق لهما أثر، وسيأتي في الباب الثاني مزيد بيان لهذه القضية.

(١) «طبقات الخواص» ص(٢٤٥)، و«الصوفية والفقهاء» ص(٣٦).

(٢) انظر: «الصوفية والفقهاء» ص(٣٥).

سنة (٦٣١هـ) ذكرها العيدروس في الجزء اللطيف، وذكر أن من أتباعها في اليمن إسماعيل الجبرتي والعلوي[١].

## الطرق المحلية: أهم الطرق المحلية التي نشأت في هذا القرن:

١ ـ **الطريقة العلوية**: المنسوبة إلى الفقيه محمد بن علي باعلوي المشهور بالفقيه المقدم الذي سبق ذكره آنفاً في الطريقة المدينية.

٢ ـ **الطريقة الأهدلية**: نسبة إلى الشيخ علي بن عمر الأهدل المتوفى سنة نيف وستمائة، وهو أخذها في الأصل عن رجل من أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلاني يسمى الأحوري وقد (كثر أصحابه وأتباعه وتخرج به جماعة ممن شهر، وذكر منهم الشيخ أبو الغيث بن جميل وأحمد بن أبي الجعد)[٢].

٣ ـ **الطريقة العلوانية**: نسبة إلى الشيخ أحمد بن علوان صاحب يَفْرس[٣].

## السماع الصوفي:

وفي هذا القرن «السابع» فشى وانتشر السماع الصوفي، وهو إنشاد الأشعار في المساجد ومواطن العبادة بقصد التقرب إلى الله تعالى، واعتبار ذلك من ضمن الوسائل التي تقرب إليه وتزكّي النفس وتسمو بالروح، سواء حصل معها عزف بالمعازف المعروفة كالدفّ والشبَّابة ونحوها أو لم يحصل، وفي كثير من الأحيان يصحب ذلك رقص وتمايل وطرب زائد، وربما وصل إلى السكر والإغماء وفقدان الشعور، وكل ذلك تُعطى له المسوّغات، ويُؤصل له بما يظهره وكأنه من أعظم القرب وأفضل الشعائر في العرف الصوفي، وكان من روّاده في هذا القرن الشيخ أبو الغيث بن جميل، والشيخ أحمد بن علوان، والشيخ محمد بن أبي بكر العواجي، والشيخ محمد بن عيسى الزيلعي[٤]، والشيخ سفيان الأبيني وغيرهم[٥] وسيأتي مزيد من الحديث عن السماع في الباب الثاني إن شاء الله.

---

(١) انظر: «الجزء اللطيف» ص(٢٣) ضمن المجموعة العيدروسية.

(٢) «طبقات الخواص» ص(١٩٥ ـ ١٩٨).

(٣) مقدمة كتاب «الفتوح» للشيخ أحمد بن علوان، تحقيق عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب، طبع دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م)، بيروت، لبنان.

(٤) «الصوفية والفقهاء» ص(٣٢).

(٥) «طبقات الخواص» ص(١٤٧).

## الشطح الصوفي:

### تعريف الشطح:

عرَّفه المناوي بقوله: (كلام يعبِّر عنه اللسان مقرون بالدعوى، ولا يرتضيه أهل الطريق من قائله وإن كان محقاً)[١]، وفي قوله لا يرتضيه أهل الطريق نظر؛ لأن الواقع أن أعظم من يعتبرهم الصوفية أهل الطريقة أو أهل الحقيقة هم أهل الشطح بل المبالغون فيه، بل في كثير من الأحيان نجد أعظمهم شطحاً أرفعهم رتبة، ثم كيف لا يرتضونه وهم ينقلونه عن أولئك الشاطحين باعتباره من جواهر كلامهم ودرر ألفاظهم وخوارق كراماتهم، بل ربما أثبتوا به بعض ما يقررون من القضايا.

لا شكَّ أنهم يرتضونه وإنما يتظاهرون أمام الآخرين بعدم ارتضائه أو بتأويله.

وكذلك قوله: (وإن كان محقاً) الغالب في الدعاوى والشطح ألا يكون محقاً، ومن تتبع تلك الشطحات عرف ذلك، والحق في هذه القضية أن أقصى ما يمكن فعله هو التماس العذر للشاطح بأنه قال ذلك في حال سُكْر وغيبوبة، ومن كان هذا شأنه فإنه جدير أن يدرج في طبقات المجانين لا في طبقات الأولياء.

وقد نُقِل شطح كثير عن صوفية هذا القرن كان كالمدخل لأصحاب الدعاوى والباحثين عن الشهرة والمنزلة عند عوام الناس، يتوسعون فيه ما شاء لهم هواهم واستخفافهم بحدود الشرع وعظمة الحق وعقول الخلق.

ومن الصوفية الذين سجّلوا السبق في الشطح من أهل هذا القرن: أحمد بن علوان، وأبو الغيث بن جميل في قصتهما الشهيرة ومفاخرتهما التي ساقها معظم من ترجمَ لهما وقد سبق ذكرها[٢]. والفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي وهو من أعظمهم في ذلك[٣]. والشيخ أحمد بن أبي الجعد الأبيني[٤].

## انتشار التصوف في عموم اليمن:

وفي هذا القرن انتشر التصوف في عموم مناطق اليمن، وظهر في كل منطقة قطب من أقطابهم الذين لا يزال تأثيرهم وتعلق الناس بهم قائماً إلى اليوم، وأكثر

---

(١) «التوقيف على مهمات التعاريف» ص(٤٢٩ ـ ٤٣٠).

(٢) انظر: ص(٢٢٢).

(٣) انظر بعضاً من شطحه في: «الجوهر الشفاف» (١/ ٣٥) وما بعدها، و«الغرر» ص(١٤٧)، و«المشرع» (٢/ ٩).

(٤) «مرآة الجنان» (٤/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

المناطق قبولاً للتصوف في هذه الفترة تهامة، فقد ظهر في شمالها صاحبا عواجة: محمد بن حسين البجلي (٦٢١هـ)[١]، ومحمد بن أبي بكر الحكمي (٦١٧هـ)[٢]، وفي المراوعة ظهر علي بن عمر الأهدل (نيف وستمائة)[٣]، وفي بيت عطاء أبو الغيث بن جميل (٦٥١هـ)[٤]، وفي بيت الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل (٦٩٦هـ)[٥]، وفي التريبة قرب زبيد عيسى بن إقبال الهتار (٦٠٦هـ)[٦]، فهؤلاء ستة من كبار الصوفية كلهم من تهامة، وفي محافظة تعز أحمد بن علوان (٦٥٥هـ)[٧]، وفي لحج سفيان بن عبد الله الأبيني (وفاته في القرن السابع)[٨] وفي أبين أحمد بن أبي الجعد الأبيني (٦٩٠هـ)[٩]، وفي عدن جوهر بن عبد الله الصوفي سنة (٦١٦هـ)[١٠]، وفي محافظة شبوة محمد بن عبد الله بامعبد كان حياً سنة (٦٨٠هـ)[١١]، وفي حضرموت ـ دوعن ـ سعيد بن عيسى العمودي (٦٧١)[١٢]، وفي تريم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي (٦٥٣هـ)[١٣]، ورغم عدم الاستقصاء فإنك ترى أن معظم ديار الشافعية في اليمن قد عمَّها التصوف في هذا القرن.

## أثر الدولة الرسوليَّة في ترسيخ التصوف وتقويته في اليمن:

في هذا القرن كانت الدولة الرسولية في أوج قوتها وعنفوان شبابها، وكان سلاطينها يدينون بالولاء التام للصوفية؛ لأن الصوفية قد اتخذوا عندهم أيادي جليلة،

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الخواص» ص(٢٦٧).
(٢) انظر ترجمته في: المصدر السابق ص(٢٦٤).
(٣) انظر ترجمته في: المصدر السابق ص(١٩٥).
(٤) انظر ترجمته في: المصدر السابق ص(٤٠٦).
(٥) انظر ترجمته في: المصدر السابق ص(٧٥)، و«مرآة الجنان» (٤/ ٣٩٥).
(٦) انظر ترجمته في: المصدر السابق ص(٢٤٩)، و«مرآة الجنان» (٤/ ٤٥٨).
(٧) انظر ترجمته في: المصدر السابق ص(٦٩)، و«مرآة الجنان» (٤/ ٣٥٧).
(٨) انظر ترجمته في: المصدر السابق ص(١٤٦)، و«مرآة الجنان» (٤/ ٣٤٨).
(٩) انظر ترجمته في: المصدر السابق ص(٧٢)، و«مرآة الجنان» (٤/ ٣٧١).
(١٠) انظر ترجمته في: المصدر السابق ص(١٢٠)، و«مرآة الجنان» (٤/ ٣٤٧).
(١١) «إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت» للسيد عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف، منشور في مجلة العرب، العدد (١٥).
(١٢) «القول المختار فيما لآل العمودي من الأخبار»، جمعَه عبد الله أحمد الناخبي، مخطوط، مصور لديَّ.
(١٣) «الغرر» ص(١٤٥) وما بعدها، و«المشرع» (٢/ ٢) وما بعدها.

من أهمها بشاراتهم بالملك واستمراره في أعقابهم، فجدهم عمر بن علي بن رسول بشَّرَه جماعة من الصوفية بالملك وقوَّوا عزمه عليه[1]. وكذلك بشَّرَ إبراهيمُ الفشلي الملكَ المظفر باستمرار الملك في ذريته حينما نازعه إخوانه على ذلك[2]. وبهذا حصل الاعتقاد التام في الصوفية لدى ملوك وأمراء بل وسائر قصور بني رسول، وبذلك مكَّنَت الدولة الرسولية للصوفية تمكيناً تاماً، فما من اعتراض من الفقهاء على الصوفية إلَّا ويقمعه ملوك بني رسول، وما من انحراف يحدثه الصوفية إلا ويتأوّلونه لهم، وانظر على سبيل المثال قصة النزاع بين الفقهاء وبين أصحاب وحدة الوجود، والتي شرحَها وبيَّنَ مراحلها وأحداثها الأستاذ عبد الله الحبشي في كتابه «الصوفية والفقهاء في اليمن»[3].

هكذا تكامل نشر الصوفية ورسخت جذورها بل وبسقتْ ونمت فروعها وآتتْ ثمارها في هذا القرن، وواصلت التطور والتوسع في القرون اللاحقة[4].

### قبورية الصوفية:

سبق الحديث عن نشأة المشاهد وبناء المساجد على القبور في اليمن، وأنها كانت على يد الدولة الصليحية الباطنية، وعلى أيدي السلاطين وبالأخص الأيوبيين والرسوليين ومن جاء بعدهم ومن عاصرهم من أئمة الزيدية، ولم يسجل في ذلك الوقت مشاهد خاصة بالصوفية، ومما يؤكد أنه لم يكن للصوفية مشاهد وقبور شهيرة ـ يقصدها الناس للتبرك بها وعَمَلِ ما يعمله الصوفية المتأخرون عند قبور أوليائهم ـ خلوُّ طبقاتِ فقهاء اليمن للجعدي من ذلك تقريباً، وقد كان فراغه منه في آخر القرن السادس في عام (٥٨٦هـ)[5]، بينما نجد البهاء الجندي قد شحن كتابه السلوك بذلك، وأكثَرَ من ذكر القبور التي تزار ويتبرك بها[6]، وإن لم يذكر أن عليها مشاهد

---

(١) انظر: «العقود اللؤلؤية» (١/ ٥٢).

(٢) «الصوفية والفقهاء» ص(٤٧).

(٣) المصدر السابق من ص(٨٥) إلى آخر الكتاب.

(٤) انظر: الفصل الرابع عشر من كتاب «التصوف في تهامة» ص(١١٧) وما بعدها، تأليف محمد بن أحمد العقيلي، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ولا دار طبع.

(٥) مقدمة الكتاب ص(ل).

(٦) انظر: الجزء الأول، الصفحات (٣٥٦) و(٣٩٢ و٣٩٣) و(٤٢٣) و(٤٥٥) و(٤٦٢)، والجزء الثاني (٦٠ و٦١) و(٦٢)، (٦٥) و(٨٢) و(١١٧) و(١٨٢) و(١٨٣) و(١٨٨) و(٢٣٠) و(٢٣٤) و(٢٤٢) و(٢٦١) و(٤٤٧) و(٤٥٧) و(٤٥٨).

إلا نادراً[١]، حتى إن القاضي الأكوع في مقدمته للسلوك تبرَّم من ذلك، وأنكرَه وسجَّل كلمة قيمة وملاحظة طيبة عليه.

## بداية الزيارات الحولية:

وفي تراجم رجال هذا القرن تُطالِعُك الزيارات الحولية وغير الحولية للقبور وبعض الأماكن الأخرى، ففي ترجمة محمد بن ظفر الشميري قال الجندي: (وبلغتُ تربته قاصداً زيارته، وأقمت عندها أياماً، وهو بمسجد وإلى جنبه امرأته، وببركته ما زالت قريته محترمة ما قصدها أحد بسوء إلا خذله الله، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصداً للزيارة وقضاء الحوائج التي تطلب من الله، وكثرة النذور لها، وفي ليلة الرغائب من رجب يجتمع عندها خلق ناشر)[٢].

كما يطالعك في هذا القرن بدايةُ اتخاذ اجتماعٍ موسميٍّ لزيارة قبر نبي الله هود على يد الشيخ عبد الله باعباد المعروف بـ«القديم» وذلك بعد جذاذ النخل وتعبئة التمر، وليس على الأشهر القمرية[٣].

وذكر اليافعي قصة زيارة الشيخ أحمد بن أبي الجعد وأصحابه والشيخ سعيد بن عيسى العمودي وأصحابه لقبر نبي الله هود عليه السلام وما جرى بينهما مما سيأتي في الباب الثاني[٤]، كما ذكر زيارة الكثيب الأبيض بأبين، ويقال: في ذلك المكان قبور بعض الصالحين، وهو كثيب يزوره أهل تلك البلاد وما حولها من البلدان في كل سنة في وقت معلوم في رجب[٥]، وفيه ذكر مؤرخو حضرموت أن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي كان يزور قبر نبي الله هود عليه السلام[٦].

وهكذا في هذا القرن تكاملت فصول الصوفية وظهر معظم مقوماتها وعرف أبرز رجالها ثم فشت وترسخت أكثر وأكثر حتى يومنا هذا.

---

(١) انظر: أمثلة ممن أقيم عليه مشهد أو فيه تابوت أو بُني على قبره مسجد أو دفن في مسجد، في الجزء الثاني ص(٢٦٣) و(٤٢٦) و(٤٨٥).
(٢) «السلوك» (٢/٢٦٣). والرغائب: هي الصلاة المبتدعة التي تُصلى في ليلة أول خميس من شهر رجب، وقوله: «خلق ناشر» أي: كثير.
(٣) انظر: «تاريخ حضرموت» (١/٦٩).
(٤) انظر: ص(٣٠٧).
(٥) «مرآة الجنان» (٤/٣٥٢ ـ ٣٥٤).
(٦) انظر: «الفوائد في قيد الأوابد» للعلامة عبد الله بن حسن بلفقيه ص(٢٥).



# الباب الثاني

# آثـــار القبورية

وفيه مدخل وثلاثة فصول:

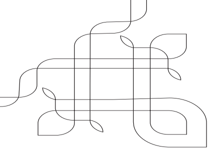
**الـمـدخـل:** وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين.

**الفصل الأول:** عقائد القبورية الضالة.

**الفصل الثاني:** تعظيم القبور.

**الفصل الثالث:** أثر القبورية في نشر الأمراض الاجتماعية.







## المدخل

سبق في الباب التمهيدي تعريف القبورية وأنها (طائفة غلت في أصحاب القبور واعتقدت فيهم عقائد ضالة، حملتها على تعظيم قبورهم وآثارهم، والتقرب إليهم بأنواع من العبادات حتى صيّرتهم أنداداً لله تعالى).

فهذه الطائفة أهم سماتها الغلو؛ وهو مجاوزة الحد في هؤلاء الناس الذين زَعَمَتْهُم أولياء لله تعالى، مما نتج عنه عقائد ضالة، بعض هذه العقائد شرك وبعضها دون ذلك، وبناءً على تلك العقائد نشأ تعظيم القبور والآثار المنسوبة إلى أولئك الأولياء، وبهذا التعظيم غرست بذور من بذور القبورية في نفوس هؤلاء القبورية ومقلديهم من العوام، مثل المحبة والخوف المتجاوزَيْن حدود الطبيعة، اللذَين أوجبا التذلل والانكسار أمام هؤلاء الأولياء أحياءً وأمواتاً، وحملا على التقرب إليهم بما لا يُتقرب به إلا إلى الله سبحانه من النذر والذبح والطلب منهم ما لا يجوز طلبه إلّا من الله تعالى وهو الدعاء، وبناءً على كل ذلك نشأت في الأمة أمراض فتاكة مثل السحر والكهانة والدجل والخرافة والتمايز الطبقي وتجهيل الأمة.

ومن هذا المنطلق سيكون تناولي لآثار القبورية، وهناك آثار كثيرة لن أتكلم عنها لضعف أو خفاء ارتباطها بالقبورية التي حددتُ معالمها في هذا التعريف، والتي قد يكون لها بواعث أخرى غير الغلو في أصحاب القبور، ومن أمثلة ذلك عقيدة وحدة الوجود، وإضاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الصوفية، والسماع الصوفي، فهذه الثلاثة النماذج وغيرها قد يتطلع القارئ لبحثها ودراستها، ولكنني لن أخوض فيها؛ لخروجها عما رسمته وحددته لنفسي، ولضيق المساحة المحددة لهذا البحث.



# الفصل الأول

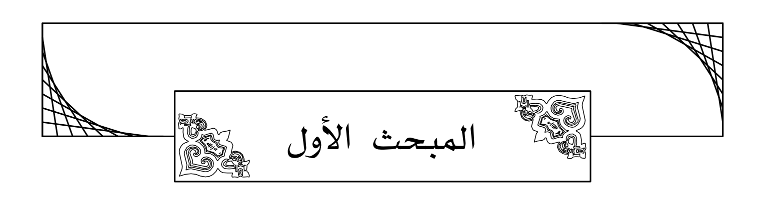
## عقائد القبورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** عقيدة القطبية والتصرف في الكون.

**المبحث الثاني:** عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة.

**المبحث الثالث:** الاعتقاد بحياة الخضر عليه السلام والالتقاء به.




## عقيدة القطبية والتصرف في الكون

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: تعريف القطب:**

قال الجرجاني في تعريف القطب: (وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها)(١).

هذا هو القطب، وهو مأخوذ عن الإسماعيلية كما سبق عن ابن خلدون(٢)، والإسماعيلية أخذته عن الفلاسفة، وما النفس الناطقة إلا إحدى مراتب الألوهية عند الفلاسفة.

(١) «التعريفات» ص(١٧٧ ـ ١٧٨).

(٢) هو المؤرخ المشهور وواضع علم الاجتماع عبد الرحمٰن بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي، توفي سنة (٨٠٨هـ)، اشتهر بالتاريخ الذي سماه «العبر وديوان المبتدأ والخبر» ومقدمته التي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجم نفسه في آخر التاريخ وترجمه الكثير من الباحثين. انظر ترجمته في: آخر كتاب «التاريخ» (٧/ ٣٦٥) وما بعده، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٤/ ١٤٥)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٣٠). انظر: مقدمة «التاريخ»، طبعه: دار إحياء التراث العربي.

**المطلب الثاني: اعتماد ما تقرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن:**

ما اشتمل عليه تعريف القطب السابق هو ما اعتقده صوفية اليمن ودانوا به.

يقول اليافعي[١] بعد أن ذكر حديث الأبدال الموضوع: (وله واحد قلبه على قلب إسرافيل) قال: (والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب، وهو الغوث ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها، به يقع صلاح العالم)[٢].

وقال الحداد: (والقطب الغوث هو: إمام الأولياء أهل الدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم)[٣].

وتلك الصفات التي يتحلى بها القطب قد أسبغها قبورية اليمن على أوليائهم وبهذا وصف الشيخ علي الأهدل صاحبي عواجة: البجلي، والحكمي، فقال أثناء حكاية ساقها الشرجي عن اليافعي في بعض مصنفاته: (يا أبا الغيث هذان في مقام التولية والعزل، يوليان ويعزلان ويميتان ويحييان بإذن الله تعالى، وسوف أرثهما وترثني أنت)[٤].

وبذلك وصف محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني أبا بكر العيدروس حينما استفسره محمد بن عمر بحرق عن تصرفات مالية تصرفها العيدروس على غير الوجه الشرعي فقال: (أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد والتصرفات كلها، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً)[٥].

ووُصف بها الشيخ عبد الرحمٰن السقاف، قال عبد الرحمٰن الخطيب: (الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة وهي السادسة والتسعون من مناقب السقاف رضي الله عنه: عن عبد الرحيم بن علي الخطيب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كنت يوماً في مجلس

---

(١) عبد الله بن أسعد اليافعي، توفي سنة (٧٨٦هـ)، أحد أقطاب صوفية اليمن، فقيه مؤرخ، صاحب كتاب «روض الرياحين في ذكر حكايات الأولياء والصالحين» و«مرآة الجنان في التاريخ». انظر: «طبقات الخواص» ص(١٦٢)، «البدر الطالع» (٣٧٨/١).

(٢) «روض الرياحين في حكايات الصالحين» ص(١٦)، تأليف عبد الله بن أسعد اليافعي، وبذيله «عمدة التحقيق في بشائر الصديق» للشيخ إبراهيم العبيدي المالكي، نسخة مصورة، بدون تاريخ.

(٣) «النفائس العلوية في المسائل الصوفية» ص(١٤٨) لعبد الله بن علوي الحداد، طبع دار الحاوي، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

(٤) «طبقات الخواص» ص(٢٦٦).

(٥) «مواهب القدوس في مناقب العيدروس» ضمن المجموعة العيدروسية ص(١٤).

شيخنا الشيخ عبد الرحمٰن ـ رضي الله تعالى عنه ـ فتكلم الشيخ في الشيخ أبي الغيث بن جميل اليمني(١) ثم قال في أثناء مدحه: أتى فقهاء اليمن إلى الشيخ أبي الغيث وقالوا له: يا أبا الغيث ما عرفنا إيش مذهبك، أخبرنا إيش مذهبك، أنت شافعي أم مالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقال لهم: (لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي) فقالوا له: فإيش أنت؟ فقال: (جنداري من جنادرة السلطان)، ثم سكت الشيخ عبد الرحمٰن رضي الله عنه ساعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهواء وقال بأعلى صوته: أنا جنداري من جنادرة السلطان، قال عبد الرحيم: ثم بعد ذلك بأيام قلت للشيخ عبد الرحمٰن رضي الله عنه: وما جنداري السلطان؟، فقال: ما هذا معناه، هو الذي يدخل على السلطان من غير إذن ولا عليه حجاب، ويأمر وينهى ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلداً أو مكاناً لم يبق لأحد معه من أهل تلك الديار والمكان أمر لا أمير ولا وزير ولا غيرهما، بل الأمر أمر الجنداري والحكم حكمه ما شاء فعل ولا معقب لأمره ولا مرد له...)(٢).

قلت: وقبل هذه الحكاية حكايات أخرى ساقها صاحب الجوهر فيها تأكيد وشواهد على ما تضمنته هذه الحكاية من اعتقاد القطبية للسقاف التي تجعله في مقام التصرف التام والتولية والعزل.

وإليك نص حكاية منها، وهي الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الثلاثمائة عن عمر المحضار بن عبد الرحمٰن السقاف(٣) قال: (كنت نائماً ـ أظنه قال في مسجد مدينة رسول الله ﷺ ـ قال: فلم أشعر إلا برجل من الصالحين قد وكزني برجله فرفعت رأسي فقال: ما أجرأك تنام هنا وبطن أبيك ملانة كرعان(٤) [كم واحد قال سلبه ثم ولى عني ولم أعرفه، فسأل الشيخ عمر رضي الله عنه عن معنى قول الرجل بطن أبيك ملانة كرعان](٥) فقال: أخذ الخلق كلهم في بطنه يولي من يشاء ويعزل من يشاء رضي الله عنه)(٦).

---

(١) توفي سنة (٦٥١هـ). انظر: «هِجَر العلم» (١/ ٢١٩)، «السلوك» (١/ ١٨٤).
(٢) «الجوهر الشفاف» (١/ ٨١ ـ ٨٢).
(٣) نقيب العلويين في زمانه وأحد أشهر أقطاب حضرموت، توفي سنة (٨٣٣هـ). انظر: «الغرر» ص(١٩٢)، «المشرع» (٢/ ٢٤١).
(٤) هي قوائم الدابة. انظر: «القاموس» مادة «كرع» ص(٩٨٠).
(٥) ما بين القوسين من الحاشية معلم عليه أنه ساقط من الأصل.
(٦) «الجوهر الشفاف» (٢/ ٨٠).

وقال أحمد بن حسن العطاس في أثناء حكاية: (فقال: إني صاحب الوقت وأتصرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلدكم تريم فأدخل رأسك في كمي فبهتُّ من ذلك ولم أفعل، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الباشا بأن يقوم؟ وكان جالساً في الحرم فبمجرد قوله ذلك قام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قاربوا الخروج منه قال لي: أتريد أن أتصرف فيه بأن يرجع فيطوف؟ فبمجرد ذلك رجع هو وأتباعه وطافوا، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الشريف عبد المطلب بأن يرجع الخمسة الديواني فتسلك في السوق وتمشي؟ فبمجرد قوله ذلك نادى المنادي بأعلى صوته: يقول لكم الشريف عبد المطلب: لا يمتنع أحد من الخمسة الديواني)[1].

فانظر إلى هذا الذي إن صدق النقل عنه فهو ساحر كيف يدعي هذه الرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية، وأنه يتصرف حتى في قلوب الناس ومقاصدهم ويحملهم على فعل ما يشاء دون اختيار منهم، وكيف يقص هذا العالم القدوة من علماء صوفية حضرموت لأتباعه ومريديه هذه القصة مسلماً بها مريداً منهم أن يصدقوها ويعتقدوها، أليس هذا هو التطبيق العملي لعقيدة القوم في القطب الذي مر تعريفه؟.

**المطلب الثالث: التصرف في الكون أهم وظائف القطب:**

اتضح من تعريف القطب بأنه هو المفوَّض من قبل الله تعالى في التصرف في الكون، وربما أطلقوا على مرتبة القطبية (الخلافة العظمى)[2]، والمعنى: أن يكون القطب خليفة الله تعالى في تصريف الكون.

ولمعرفة ما يشمله ذلك التفويض لدى القوم نذكر بعض النصوص من كتبهم تبين سعة ذلكم التفويض وشموليته من حيث الزمان والمكان، ومن حيث الدنيا والآخرة.

نقل السيد علي بن محمد الحبشي[3] ـ أحد أقطاب حضرموت ـ على سبيل

---

(١) «تذكير الناس» ص(٢١٦).

(٢) انظر: «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» (٢/ ٦١٩).

(٣) علي بن محمد الحبشي العلوي الحضرمي، صاحب سيئون ومنشئ رباط العلم بها المسمى باسمه «رباط الحبشي»، من أشهر علماء زمانه ومربي جيله، تتلمذ عليه الكثير من الطلاب الذين نبغوا وأصبحوا من العلماء والأدباء، غير أنه مع علمه قد نقل عنه من الخرافات والهذيان ما لا مزيد عليه، وذلك ما حواه كتاب «كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية» =

الإقرار والاستحسان عن عبد العزيز الدباغ قوله: (إن تصرفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني)، وكان يقول لمريده: (إن كنت تعتقد أن الْبِسَّ في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي)، ثم يعقب الحبشي على ذلك فيقول: (انظر إلى هذا الفناء العظيم، وأين اليوم هذا الاعتقاد؟!)[١].

فانظر إلى هذه الدعوى التي شملت التصرف في الدنيا والآخرة وجميع أقطار الأرض وجميع العوالم من عالم الحور العين إلى عالم الْبِسَّ والفأر.

وإليك صورة أخرى للتصرف الشامل في الحياة وبعد الموت، قال الشلي: (وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصرفوا بعد موتهم كتصرفهم في حياتهم، وهم: القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي وحيوة بن قيس) ثم استشهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خرد باعلوي[٢] صاحب الغُرر:

تصرّف شيخ في الوجود معظّمٌ ... على السادة الأشياخ أهل المعارف
على السيد الشيخ الفتى عبد قادر ... ومعروفٍ الكرخي منجٍ لتالف
وقيسٌ عقيل المنبجي وشيخنا ... لتصريفه لا يصرفون الصارف
وتصريفهم في كل شيء محقق ... سوى في جمال الدين عين لواقف[٣]

وتأكيداً لذلك تجدهم في الحضرات وبعض الموالد ينشدون إلى اليوم:

ربي أسألك بأسرار الفقيه المقدم ... والذي قد حوى التصريف من قبل آدم

ويقول صاحب شرح العينية: (وكان سيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم، قال المشايخ العارفون: ما صلينا على جنازة إلا والفقيه محمد بن علي

---

= كتبه من إملائه تلميذه محسن بن عبد الله السقاف، وهو أيضاً صاحب زيارة الحول المشهورة بحضرموت، توفي رحمه الله سنة (١٣١٢هـ). انظر: «تاريخ الشعراء الحضرميين» (٤/١٢٨)، تأليف المؤرخ عبد الله بن محمد السقاف، الناشر مكتبة المعارف، الطبعة الثالثة سنة (١٤١٨هـ)، الطائف، و«لوامع النور» (١/١٩٧).

(١) «كنوز السعادة الأبدية» ص(١٧٩)، الذي قام بطبعه علي بن عيسى الحداد.

(٢) صاحب غرر البهاء الضوي، توفي سنة (٧٦٠هـ). انظر ترجمته في: «الغرر» ص(٣ ـ ١١)، و«تاريخ الشعراء الحضرميين» (١/١٤٢).

(٣) «المشرع الروي» (٢/٦ ـ ٧)، وقال بعد أبيات: (قوله: وقيس صوابه حيوة).

بعد موته يصلي معنا عليها)[١]، فانظر الشمول الزماني لهذا التصريف من الأزل إلى الأبد! بل زاد في الأنموذج اللطيف أن قال بعدما ذكر صلاته على الأموات بعد موته: (فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه)[٢].

وفي مناقب عبد الرحمٰن السقاف يقول محمد بن علي خرد: (ومنها ما روي عن السيد عبد الرحمٰن بن علوي بن محمد بن الشيخ المذكور، قال: كنت في عدن، وقد أصابني في عيني وجع، ولقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن، وأريته إياها وكان عارفاً بعلم الطب، وقيل: إنه كان يعرف اثني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها، ما يسأله أحد عن شيء منها، وقلت له: يا فقيه، أعطني لها دواء، فلما نظرها قال: هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها، وإن أردت لها دواءً قبل ذلك دللناك عليه. فقلت: ما هو؟ فقال: اقصد جدك الشيخ عبد الرحمٰن، وقل له: يسلم عليك محمد بن سعيد كبن، وقل له: في عيني وجع أريدك تزيله بإذن الله فإنه يزول، فقلت له: تحولني على ميت؟ فنهض من مقعده وارتعش، ثم قال: والله، ثم والله ثم والله، إني أعتقد في الشيخ المذكور أنه يتصرف في مماته، كتصرفه في حياته، وأنه انتقل إلى الآخرة ولم تنتقل دولته.

وفي رواية عن الفقيه الولي الصالح الشيخ سهل بن عبد الله باقشير، ما أخبرني عنه السيد شيخ بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمٰن، قال: لما رأى الفقيه عين عبد الرحمٰن رآها عمياء لكتيبة حصلت فيها فقال: هذا من أمر القدرة ما يزيل أمر القدرة إلا أهل القدرة، وجدّك من أهل القدرة فأحاله عليه، فقال عبد الرحمٰن: ثم بعد مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي: إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بأذني وقال لي: أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأَزْيَد وأَزْيَد، رضي الله عنه ونفع به)[٣]، فهذا لا يقتصر على التصرف في الكون في حياته وبعد مماته بل هو كذلك وأزيد وأزيد ولا أدري ما هو الأزيد من ذلك؟!.

وهناك مثال عملي للتصرف في الكون مع تأويل له من أحد كبار أقطاب صوفية

(١) «شرح العينية» ص(١٦١)، نظم عبد الله بن علوي الحداد، تأليف العلامة أحمد بن زين الحبشي باعلوي، طبع مطبعة كرجاي المحدودة، سنغافورة، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

(٢) «الأنموذج اللطيف في مناقب الغوث» للأستاذ الأعظم الفقيه محمد بن علوي دفين تربة تريم ص(٢١٣) مع «البرقة المشيقة» للسيد علي بن أبي بكر السكران، طبع في مصر سنة (١٣٤٧هـ).

(٣) «الغرر» ص(٣٩٨).

اليمن: (من عجائب الآيات وغرائب الكرامات ما وقع بين الشيخين العارفين السيفين القاطعين؛ أعني أبا عيسى واسمه سعيد، وأحمد بن أبي الجعد المذكورَين، وذلك أنه ورد الشيخ أحمد المذكور في جمع من أصحابه على الشيخ سعيد في وقت جاءوا إلى زيارة القبور الشريفة في حضرموت، فوافقه الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا، فلما بلغوا بعض الطريق بدا للشيخ سعيد أن يرجع في هذا الوقت ويزور في وقت آخر، فرجع هو وأصحابه إلى موضعهم واستمر الشيخ أحمد على عزمه حتى انتهى إلى مقصده فزار ورجع، والشيخ سعيد مكث أياماً ثم خرج هو وأصحابه إلى الزيارة المذكورة فالتقى الشيخان وأصحابهما في الطريق فقال الشيخ أحمد للشيخ سعيد: توجه عليك حق الفقراء في رجوعك فقال: لا ما توجه علي حق، فقال له الشيخ أحمد: بلى قد توجه عليك الحق فقم وأنصف، فقام الشيخ سعيد وقال: من أقامنا أقعدناه، فقال الشيخ أحمد: ومَنْ أقعدنا ابتليناه، وأصاب كل واحد منهما ما قاله صاحبه، فصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلى في جسمه ببلاء قطع جسمه حتى لقي الله تعالى رضي الله تعالى عنهما.

وهذه لعمري أحوال تَكِلُ في جَبِّ بعضها السيوف القاطعة، وإنما يقطع الحالان معاً إذا كان صاحباهما متكافيين أو قريباً من التكافي، فإن لم يكونا كذلك قطع القوي منهما الضعيف، وقد يقطع السابق دون المسبوق فيما يظهر، والله أعلم)[1].

ومنهم من يدَّعي ذلك لنفسه، كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات:

(أنـــا أعــزل أنـــا الـــلـــي ولـــي    أنـا شـيـخـهـا قـاضـيـهـا)[2]

وقال أحمد بن حسن العطاس قال: (فزعت مرة من أحد الناس فلما جئت إلى الحبيب أبي بكر بن عبد الله قال لي: لا تخف من حي ولا من ميت، عاد المفاتيح إلا كلها بيدي) وقال أيضاً: (قال الحبيب أبو بكر بن عبد الله: انسدحت مرة في بندر الشحر في مسجد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم بعد صلاة الصبح فأتوا بشيء كالبيضة وفيه شيء ونكتوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان الأبيض والأسود والممتزج فقلت: لعله عالم الذر؟ قال: نعم، فقلت: لعله لما ولّوكم عليه؟ قال: نعم)[3]، وهذا

---

(١) «مرآة الجنان» لليافعي (٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤).

(٢) من قصيدة شهيرة للشيخ المذكور ما زالت متداولة إلى اليوم ينشدها الصوفية في موالدهم وحضراتهم وضمن «مولد الديبعي» ص(٩٣ ـ ٩٥).

(٣) الحكايتان في «مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس»، رواية محمد بن عوض بافضل ص(٢٥)، وهو مخطوط مصور عند بعض الأصدقاء.

واضح أن الرجل يدّعي أنه بيده مفاتيح الكون ولا أحد يقدر على عمل شيء بغير إذنه. هذا في الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد.

وقضية القطبية واعتقادها عند أهل اليمن مبثوثة في كتبهم فلا يكاد أحد من كبارهم لا يوصف بها، حتى لقد قال عبد الرحمٰن بن محمد السقاف باعلوي(١): (في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشراف ﷺ)(٢). فهؤلاء فقط في تربة تريم، فكم في باقي ترب اليمن، والسقاف توفي عام (٨١٩هـ) فكم جاء بعده من الأقطاب، وهذا كله في اليمن إلى ذلك التاريخ فكيف ببقية بلاد الله منذ أن خلق الله آدم إلى يومنا، لا شك أن عدد الأقطاب لا يمكن أن يأتي عليه الحصر رغم أنهم يقولون: إن القطب واحد فقط ولا يولي غيره حتى يموت.

وعلى كل حال فإننا سنلمس الأثر الكبير لعقيدة القطبية بالمفهوم الصوفي فيما يأتي من المطالب، حيث تتوالد العقائد الضالة بعضها من بعض.

وكما شارك صوفية اليمن بقية الصوفية في عقيدة القطبية؛ شاركوهم كذلك في اعتقادهم بدولة الأولياء وديوان شوراهم، يقول أحمد بن حسن العطاس: (وعقد أي الديوان مرة في قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس، ورأيت الحبيب أبا بكر ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه، وكان رئيس المجلس الحبيب أبو بكر، ورأيت بالجانب البحري من القبة رجلاً، فسألته: من هو؟ فقال: نقيب الأولياء بالقدس، والذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحبيب أبي بكر مدة بعد موته، قال سيدي: والرجال الذين هم رجال ما يطلبون مقام القطبية ولا غيرها، ويفرون منها، ومثالها مثال مَنْ قال لك: هذه البلدة ونفقة أهلها، وخرج معاشهم ودوابهم، وأعطاك ما يحتاجون إليه، ماذا ترى لنفسك؟).

وقال أيضاً: (وفي ليلة وفاة الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، اجتمع الأولياء أهل الظاهر والباطن، وجلست أنا بالقرب منهم، وكان ذلك في جامع حريضة، فكان رئيس المجلس الشيخ عبد القادر الجيلاني فدعاني الشيخ عبد القادر فقلت له: أنا ما فيَّ طاقة لشيء، إن معكم شيء لي اطرحوه في القرآن، فطلع أحد من الأولياء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعوا بأعلى شبام، بالقرب

---

(١) جدّ آل السقاف. انظر ترجمته في: «المشرع الروي» ص(٢/ ١٤١).

(٢) «الغرر» ص(٩٦).

من العقّاد، وجعل الأمر بين اثنين، واحد على المعالي وواحد على المسافل)[١].

**المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون:**

## الفرع الأول: درجة الكونية:

والمراد بها أن الولي قادر على أن يقول للشي كن فيكون، وهذا مما اختَصَّ الله به، ولم يقم دليل على أن الله تعالى منحه أحداً من خلقه، ولم يدّعه أحد من رسل الله فضلاً عن غيرهم من البشر، ولكن الصوفية حينما ادّعوا لأنفسهم خلافة الله في تصريف الكون ساغ لهم ذلك الادعاء الكاذب المبني على الادعاء الكاذب الأول.

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وإقرارهم من ادعاه ما ورد في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم من «المشرع» قال: (وحُكي أن الشيخ عبد الله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال: ظهر لي ثلاث: أحيي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون، فقال الشيخ عبد الله: نرجو فيك أكثر من هذا)[٢].

وأعجب من ذلك ما ذكره صاحب الجوهر في ترجمة الشيخ إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن محمد بافضل: (وقال في بعض مصنفاته: وردت إليَّ رقعة من الفقيه ابن العربي رضي الله عنه فإذا فيها: ورد علينا فقير وقال لنا: الفقير يحيي ويميت بإذن الله تعالى، والفقير يقول للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى، والفقير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فأشكل علينا ما فيها[٣]، فقال الشيخ إبراهيم بن يحيى رضي الله عنه شعراً:

إذا لم أفتكم بصريح علم ... فلا من بعدها تستفتوني
بما في محكم القرآن أفتي ... وإلا بعد هذا كذبوني

ثم أجاب عن الكل بجواب فايق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن)[٤]. وحسبك بهذا إقراراً لهذه العقائد الخبيثة، وأخذاً بها.

---

(١) انظر الحكايتين في: «تذكير الناس» ص(٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٢) «المشرع» (٢/ ٢١١)، وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صاحب «النور السافر» عنه ص(٢٨١): (يقول للشيء كن فيكون بإذن الله). وانظر: «الغرر» ص(٣٧٢).

(٣) هذه الكلمة غير مفهومة في الأصل وأظنها فيها.

(٤) «الجوهر الشفاف» (١/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

## الفرع الثاني: الإحياء والإماتة:

مما تضمنه توحيد الربوبية من الصفات التي لا شريك له سبحانه فيها الإحياء والإماتة، وقد جمع الله سبحانه بين هاتين الصفتين في آيات كثيرة جداً، أقتصر على ثلاث منها، ففي آل عمران يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وفي التوبة يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾﴾ [التوبة: ١١٦]، وفي يونس يقول الله تعالى: ﴿هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يونس: ٥٦]، ولما كانت هاتان الصفتان من أكبر البراهين على ربوبية الله تعالى احتج بهما إبراهيم على خصمه فقال وهو يحاج ذلك الطاغية: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فعاند الطاغية وكابر فقال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ قال المفسرون: فلما رأى إبراهيم سفهه وسخافة دعواه عدل إلى دليل آخر أكثر ظهوراً ولا يستطيع أن يغالط فيه سفهاء الأحلام ممن حوله، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقد عدّ المفسرون هذا الطاغية مدّعياً للربوبية بذلك وجعلوه مثل فرعون الذي صرح بذلك حين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وهذا كله يدل بجلاء على أن من ادعى هاتين الصفتين فقد ادعى الربوبية، ومع ذلك فإن الصوفية القبورية يدّعون ذلك لبعض أوليائهم، أو يدّعيها بعضهم فيقرونه عليها، وإذا أردنا أن نعتذر لهم نقول: إنهم لم يدّعوا ذات الربوبية ولكنهم ادعوا الخلافة العظمى عن الحق سبحانه، ومن جملة وظيفة الخليفة التي فوضها إليه الرب سبحانه هذه الصفة وغيرها من الصفات التي يزعمونها لأوليائهم، وأما ادعاؤهم ذلك فثابت لا شك فيه، ومن الأدلة على ذلك ما مر من ادعاء علوي بن الفقيه المقدم لذلك فيما حكاه الشلي كما في الفرع الأول.

## الفرع الثالث: علم الغيب:

من مسلَّمات العقيدة الإسلامية اختصاص الله تعالى بعلم الغيب وأنه لا يشاركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٧]، وأنه سبحانه عنده وحده مفاتيح الغيب كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقد بينها سبحانه

وحصر علمها عنده، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[١].

بهذه النصوص وغيرها قطع علماء المسلمين أن علم الغيب مما اختص الله به، وأن من ادعاه فقد كذب[٢]، وأنه طاغوت[٣].

ومع ذلك فقد ادعاه الصوفية القبورية لبعض أوليائهم، أو ادعاه بعضهم وأقروه عليه وعدّوه من كراماته ومناقبه.

ومن الأدلة على ذلك ما مر في الفرعين الأول والثاني مما ادعاه علوي بن الفقيه المقدم وذكر في مناقبه أنه: (يحيي ويميت ويقول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون).

ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي بكر بن عبد الرحمٰن السقاف أنه يقول: (أعرف من الفرش إلى العرش)[٤]، وفي ترجمة أخيه حسن بن عبد الرحمٰن السقاف: (كان يقول: أنا أعرف السعيد والشقي وأعرف الصالحين بالشيم)[٥]، وفي ترجمة أخيهما الثالث شيخ: (وقال والده عبد الرحمٰن السقاف: ولدي شيخ كعشرة شيوخ، وما سميته شيخاً إلا أني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً)[٦].

وسأقتصر على هذه النماذج مع أن هناك دعاوى كثيرة من هذا القبيل.

### الفرع الرابع: إعطاء الولد:

هذه الخصلة (إعطاء الولد) هي كذلك من خصائص الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن عمر، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ (٤/ ١٧٣٣).

(٢) انظر: «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ١٢٣).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٣/ ٢٨٢).

(٤) «المشرع» (٢/ ٣٣).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٨٩).

(٦) المصدر السابق (٢/ ١١٦).

ولو قيل: إن صالحاً من الصالحين الأحياء دعا ربه لأحد من الناس بالولد فرزق بتلك الدعوة ولداً ما كان عليه من نكير، ولكن أن ينسب إلى الولي ذاته إعطاء الولد حياً كان أو ميتاً فذلك الذي فيه ادعاء ما هو من خصائص الربوبية، والقبورية يدعون ذلك لأنفسهم أو لأوليائهم أحياءً وأمواتاً، والدليل عليه ما جاء في «تذكير الناس». قال جامعه: (وأهدى بعض السادة شيئاً لسيدي ﷺ فدعا له بأن يرزقه الله ولداً وقال له: حوّلناك على الحبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحبيب كان من أهل الأحوال العظيمة، وكان إذا جاءه أحد وسأله الدعاء بالذرية يقول له: بايأتيك ولد، أو اثنان أو أكثر فاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال له: يا فلان إن الذين قسمتهم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم سبعة آلاف ولد، وأنت يأتيك نصف ولد، فأتاه نصف ولد على رِجل واحدة ويد واحدة وناصفة وجه، نسأل الله العافية)[1].

ويظهر من هذه الحكاية بشكل جلي أن الرجل لم يدعُ الله، وإنما يقول على جهة الوعد (بايأتيك ولد) وهذا باللهجة الحضرمية معناه سوف يأتيك ولد، فليس فيه أي معنى من معاني الدعاء، ويؤكد ذلك إنكار العامي وغضب الحبيب من ذلك الإنكار، ثم تصريحه بأنه قسّم، وقسّم من أين؟ قسَّم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم، فأبو بكر بن سالم عنده القدرة والإمكانية الواسعة جداً المشبهة بالبحر، وهذا ولده أخذ يقسِّم من ملك جده، أليس هذا صريح في أنهم يدَّعون القدرة الكاملة على ذلك وأنه من جملة ما يملكونه.

وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبون ذلك فعلاً من أوليائهم، قال صاحب تذكير الناس: (قال سيدي: وزرنا مرة تربة الفريط بتريم نحن والأخ حامد بن أحمد المحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصاة كبيرة ووضعها عند قبر الشيخ وقال: ـ والحاضرون يسمعون ـ شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبودة بنت عبد الله بن عمر القعيطي، وكانت مسنة في ذلك الوقت ومستبعدٌ أن تحمل فقدّر الله أنها حملت بولد وعاش)[2].

وصاحب هذه الحكاية من كبار أقطاب القوم وعلمائهم، ومع ذلك يروي هذه الحكاية مقراً لها، و«حامد المحضار» من كبارهم أيضاً وقد رفع صوته يطلب ذلك أمام العامة وأقره من حضر من الأكابر، إذاً هي قضية مسلّمة يربّون عليها أتباعهم.

---

(١) «تذكير الناس» ص(٣٢١).

(٢) المصدر السابق ص(٣٢٢ ـ ٣٢٣).

ويقول آخر من كبارهم وُصف بأنه: «العالم الجليل نسخة السلف وقدوة الخلف» في رحلته الموسومة بـ«النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت» في نفس الموضوع: (ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي، ويروى أن من طرح عند قبره حجرة يرزق ولداً، وقيل لنا: إن الحبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصحبته الحبيب عمر بن عيدروس العيدروس فأخذ الحبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر، فقال له الحبيب علي: كثّرت جم، فقال: أريد نسمات تذكر الله أو قال تعبد الله، فأخذت أنا حصاتين وطرحتهما عند القبر على هذه النية)(١)، فإذا كان هذا فعل علمائهم فماذا يا ترى يصنع عوامهم وجهالهم؟.

## الفرع الخامس: إنزال المرض ورفعه:

القول في هذا الفرع كالقول في بقية الفروع فالمرض لا يصيب به إلا رب العالمين، قال تعالى حاكياً عن إبراهيم أنه قال لقومه وهو يدعوهم ويبين لهم حقيقة دعوته وعقيدته: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]، وقال الرسول ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة»(٢)، وقد صرح العلماء بأنه ليس المقصود نفي العدوى من أصلها بدليل قوله ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»(٣)؛ لأنه واضح أن في ذلك اعتبار العدوى، ولكنه نفي على المعنى الذي كانت الجاهلية تفهمه وهو أن الأمراض تعدي بذاتها فتنسب إلى الأمراض، فحسم ﷺ هذا المعنى الباطل بهذا اللفظ العام ليكون أبلغ وأشمل(٤)، فكيف يأتي بعد ذلك من يقول: إنه يضع المرض على من شاء، وأنه يرفعه عمن يشاء؟ إن ذلك لا شك ادَّعاء لخاصة من خصوصيات الربوبية وتعليق للخلق بغير الحق، وهذا أيضاً مضاد ومناقض لما تدعيه الصوفية من تجريد قلوب الناس من سوى الله تعالى.

---

(١) «النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية»، وتليه رحلته «تلبية الصوت من الحجاز وحضرموت» ص(٧٥١ ـ ٧٦١)، تأليف العالم نسخة السلف وقدوة الخلف الحبيب عمر بن أحمد بن سميط، طبع على نفقة أحد المحبين من المحسنين (١٣٩٧هـ).

(٢) البخاري في «صحيحه» (٥/٢١٥٨)، كتاب الطب، باب الجذام، ومسلم في «صحيحه» (٤/١٧٤٣)، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح.

(٣) مسلم في «صحيحه» (٤/٧٤٣) في الكتاب والباب السابقين، كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٤) انظر: (١٠/١٦٠ ـ ١٦٢) من الفتح.

وإليك الدليل على زعمهم وضع الأمراض على أناس ورفعها عن آخرين، فقد ذكر الشرجي في ترجمة إسماعيل الجبرتي قال: (ومن ذلك ما يروى عن رجل من أهل مكة يقال له الفقيه عبد الرحيم الأميوطي أنه قال: كنت لا أعتقد الشيخ إسماعيل، وكنت أحط منه، فبينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، وإذا بي أرى الشيخ قد دخل عليّ في جماعة، فسمعته وهو يقول لآخر: هات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه عليَّ ثم قال: هات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه علي، ثم ما زال يقول: هات الوجع الفلاني ويضعه عليّ، حتى وضع عليّ قدْرَ عشرين وجعاً حتى كدت أموت، وخرج، قال: فبقيت تلك الأوجاع عليّ باقي ليلتي ويومي ذلك إلى العصر، فأرسلت إليه واستعطفت خاطره، فجاء إليَّ فرفع ذلك كله عني، وقمت كأن لم يكن بي شيء فتبت إلى الله تعالى، وحسّنت عقيدتي في الشيخ نفع الله به)[(١)].

إذاً فالذي لا يعتقد فيهم ذلك فهو مهدد بالمرض من قبلهم، فهذا عمر المحضار يروي عنه صاحب المشرع (... وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء؟ فقال: إني لم أدعُ على أحد، ولكني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نارٌ لا تنطفئُ إلا بعدما يصيبه ذلك المرض أو يتوب)[(٢)].

## الفرع السادس: إنزال المطر:

الآيات في تفرد الله تعالى بإنزال المطر كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩]، فلو كان أحد من الخلق قادراً على ذلك فهل سيكون هذا التحدّي صحيحاً؟ والجواب: لا قطعاً فعلم أنه لا ينزل المطر إلا الله، بل حتى علم الوقت الذي ينزل فيه المطر ومكان نزوله قبل نزوله لا يعلمه إلا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز أن ننسب إنزال المطر إلى عبد من عباد الله، بل إن رسول الله ﷺ قد حسم الأمر بشكل أوضح، وأبعد المؤمنين عن توهم ذلك أو التلفظ بلفظ يؤدي إلى ذلك الفهم الخاطئ، ففي صحيح البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى لنا

---

(١) «طبقات الخواص» ص(١٠٣).

(٢) «المشرع» (٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»[(١)].

ومن الأدلة على أن القوم يعتقدون في أوليائهم إنزال المطر ما جاء في ترجمة أحمد بن عمر الزيلعي من طبقات الخواص حيث قال: (وكان للفقيه أيضاً ولد يقال له علي، كان من الصالحين، وكان لا يُلازم في المطر إلا ويحصل سريعاً حتى عرف بذلك، وكان يقال له صاحب الماء)[(٢)]، وقد كان ذكر في ترجمة الجد حكايات تدل على أنه ينزل الغيث منها: (أنه وصل من اللحية إلى قرية المحمول وقد أجدبوا مدة طويلة، فعند أن وصل إليهم جاءت إليه بهيمة وجعلت تخور بين يديه، فدخل المسجد ودعا الله تعالى ثم قال: يا ميكائيل كِل، فاجتمع السحاب للفور من كل ناحية ومطروا مطراً عظيماً بإذن الله تعالى)[(٣)].

ومنها قول صاحب الطبقات: (وكان أهل الوادي خُلَب ـ بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره باء موحدة يصحبونه ويعتقدونه، فجاء إليهم مرة وهم مجدبون فجعلوا يلازمونه في السيل فقال لفقيرٍ له: اذهب إلى رأس الوادي وقل له: يقول لك الفقيه سل الآن، ففعل الفقير ذلك، فسال الوادي من ساعته وسقوا سقياً هنيئاً بفضل الله تعالى)[(٤)]. فلاحِظْ أمره لميكائيل في الحكاية الأولى وأمره للوادي في الحكاية الثانية، هل يدل على أن الأمر مجرد دعاء؟ كلا لا يدل إلا على أنه هو المالك لذلك والمتصرف فيه.

وفي تذكير الناس: (قال سيدي: ووقع بحريضة في بعض السنين قحط شديد، فسار الحبيب علي بن جعفر العطاس إلى النقعة، وهي قرية بقرب حريضة وقال لأهل البلد: سنجيئكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله، فلما وصل إليها زار قبر الشيخ جنيد والشيخ علي بن سالم ورجع فسال وادي حريضة تلك الليلة)[(٥)].

---

(١) البخاري في «صحيحه» (١/ ٢٩٠)، كتاب صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلّم، ومسلم (٢/ ٥٩ ـ ٦٠) مع النووي، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء.

(٢) «طبقات الخواص» ص(٧٧).

(٣) المصدر السابق ص(٧٥).

(٤) المصدر السابق ص(٧٥).

(٥) «تذكير الناس» ص(١٨٧).

وأوضح من هذا ما ذكره أيضاً في تذكير الناس قال: (قال سيدي: وبلغنا أن الشيخ عبد الله بن أحمد بلعفيف كان من أولياء الله المستجابة دعوتهم، ويقال له بياع السيول، وصل إلى تريم في بعض زياراته، فاجتمع ببعض السادة آل العيدروس فقال له: أنت بلعفيف بياع السيول، فقال له الشيخ: نعم حاجة خدمة، فقال له الحبيب: نعم مرادنا سيل، فقال الشيخ: لا بأس، بكم تشتري؟ فقال له الحبيب: بالذي تريده، فقال الشيخ: نبيع لك سيل بكبش سمين، وخمس قهاول[1] برُ، فقال الحبيب: لا بأس تم الكلام، فقال الشيخ: تبغي السيل لأي أرض؟ قال الحبيب: للشرج الفلاني حقي، فقال الشيخ: هات الكبش والبر وأخرج رُعّاضك لشرجك، فأتى الحبيب بالبر والكبش وخرج الرُّعَّاض[2] وشرب الشرج بإذن الله وبركة أولياء الله)[3].

**قلت**: وحكى لي جدي رَحِمَهُ الله أن في قرية مجاورة لنا رجلاً يقال له: «فلان باسليمان» وكان حراثاً عارفاً بقوانين الحراثة ومتى يكون السيل أفضل للأرض، فكان ربما جاء السيل في غير الوقت الذي يراه مناسباً فلا يسقي أرضه فعوتب في ذلك لأنه ربما إذا لم يسق لم يأت سيل آخر، فيقول: (ما بيني وبين السيل إلا صاع طحين)، يعني أن يتزود صاعاً من الطحين ويزور الشيخ سعيد بن عيسى فيأتي السيل، فهل يشك أحد في اعتقاد هذا العامي وأمثاله أن الشيخ سعيد بن عيسى يملك إعطاء السيل؟!.

## الفرع السابع: إجابة الداعي وإغاثة المستغيث:

إن هذا الفرع في الحقيقة هو النتيجة الحتمية لتلك العقائد بل الثمرة المرة الخبيثة لها، فإن المريد الصوفي أو العامي من عوام المسلمين حينما يتكرر على سمعه أن فلاناً من الأولياء هو القطب الغوث الذي أعطي الخلافة العظمى في هذا الكون والتولية والعزل فيه، واعتباره الواسطة بين الله وبين عباده فلا يصل خير إلى العباد إلا بواسطته، وأنه قد فوّض إليه تصريف الكون، وأن تصريفه نافذ على كل شيء من العرش إلى الفرش وحتى البِس لا يأكل الفأر في جميع أقطار الأرض إلا بإذنه، وأنه يعطي ويمنع ويشفي ويمرض بل يميت ويحيي ويُنزل الغيث ويهب الولد، إلى آخر ما ينسب إليهم من القدرات، ماذا سيتصور ذلك المسكين، هذا الولي؟

(١) القهاول: مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً.
(٢) «الرَّعَّاض: جمع راعض وهو الذي يعدِّل السيل في الحقول.
(٣) المصدر السابق ص(١٨٨).

لا شك أنه سيتصور أنه هو السميع المجيب وأنه على كل شيء قدير، وبموجب هذا التصور سيهرع إليه كلما نزلت به نازلة أو أصابته حاجة، فإنه لا رجاء في حصول أي مطلوب أو دفع أي مرهوب إلا بالالتجاء إليه، وهذا هو الذي يحصل في كثير من الأحيان والأحوال ولدى أكثر الناس من القرون التي سيطر فيها فكر القبورية على الناس.

وهم لم يكتفوا بما مضى من دفع الناس إلى ذلك الاعتقاد والتصور الخاطئ، بل صرح الكثير من أوليائهم بأنهم يسمعون من ناداهم ويجيبونه ويغيثون من استغاث بهم وينقذونه مما هو فيه، ويروون مئات القصص التي تحكي كيف نزل الضر بفلان فاستغاث بالقطب فأغاثه، بصور وأساليب متنوعة كلها تتآزر على شيء واحد هو تعميق الاعتقاد في ذلك الشخص بأنه يفعل ويفعل، وأن على الجميع الالتفات إليه والاعتماد عليه وإنزال حوائجهم به.

وهذا هو الشرك بالله تعالى، ولكنني لن أخوض في الرد عليه في هذا الموضع، وإنما سوف أنقل بعض النماذج عنهم في ذلك لإثبات أنهم يعتقدون في أهل الولاية منهم أحياءً وأمواتاً أنهم يجيبون الداعي ويغيثون المستغيث، وليس الأمر كما يقوله من يروج تلك العقائد ويدافع عن الموروث الذي كان عليه الآباء والأجداد من أن ذلك مجرد توسل بهم إلى الله وإن كان بلفظ الدعاء والاستغاثة.

وإليك النصوص الصريحة والوقائع الواضحة الشاهدة على ما نقول:

أول ما نورد في ذلك تقرير عميد القوم وحجتهم وإمامهم في العلم والتصوف من يسمونه (قطب الدعوة والإرشاد عبد الله بن علوي الحداد) وهذا التقرير في قصيدة من أشهر قصائده لدى القوم، وهي «العينية» حيث يقول فيها في صفة الولي:

| | |
|---|---|
| من كل طود في العلوم وفي الحجا | متبحر متفنن متوسع |
| داع إلى الله العظيم بفعله | ومقاله والحال غير مضيع |
| ذي عفة وفتوة وأمانة | وصيانة للسر أحسن من يعي |
| وزهادة وعبادة وشهادة | منه الغيوب بمنظر وبمسمع |
| جمع الرياضة والكشوف ولم يزل | يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي[1] |

إذاً فهي حقيقة مسلّمة عند القوم أن الولي ما يزال يترقى حتى يصير ممن

(١) «شرح العينية» ص(ب) من المقدمة.

يستجيب إذا دعي[١]، فعند القوم أن الولي «يُدعى» وليس فقط يتوسّل به و«يجيب إذا دُعي» وليس الله ﷻ يجيب من دعاه متوسلاً به.

وبناءً على تلك الحقيقة المعروفة لديهم منذ عرف التصوف المنحرف في اليمن والتي عبّر عنها الحداد في عينيته، تجد الدعوى متواصلة لأوليائهم بإغاثة من استغاث بهم.

ومن ذلك ما ذكره شارح العينية المذكورة في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم حيث قال: (وكان ﵁ سريع الغوث لمن استغاث به، قال السيد الجليل العلامة المحدث الإمام محمد بن علي علوي خرد باعلوي في كتابه «الغُرر»: أخبرني الشيخ عبد الرحمٰن بن علي أن العارفين قالوا: ثلاثة من آل باعلوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسرجة ملجمة من دعا بهم أُجيب، وهم: علوي المذكور وابنه علي والشيخ عمر المحضار، وقال صاحب كتاب الغرر المذكور في ذلك شعراً:

إذا خفت أمراً أو توقّعت شدة ... فنوِّه بهم كي يدركوك ويحضروا

فنوِّه بعلوي الفتى وابنه علي ... كذا عمر فيما يجل ويعسر

فغارتهم تنجيك من كل شدة ... وعُسرٍ وضيقٍ أو بصدرك يكبر)[٢]

ولا يقتصر الأمر على أناس ينسبون إلى الولي أنه يغيث من يستغيث به، ولكن الولي يدّعي ذلك لنفسه ويفخر به، فهذا عمر المحضار يقول في قصيدة ما زالوا إلى اليوم ينشدونها في حضرة السقاف:

إني سريعُ الغوث في ... كل الشدائد فاهتف

باسمي تجدني أسرِعُ

قل يا شهاب الدين إن ... يعروك خطب يا فطن

فأنا لخطبك أدفعُ

وقال شارح العينية في ترجمة عبد الرحمٰن السقاف: (وكان يرد على من غلط في مسجده وهو بالعجز[٣] ويسمعه الغالط، وكان يقلب التراب دراهم بإذن الله تعالى، وكان يظهر لمن استغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة بحراً وبراً)[٤].

---

(١) انظر شرح هذا البيت في: «العينية» ص(١٧ ـ ١٨).
(٢) «شرح العينية» ص(٧٤١). وانظر أيضاً: «المشرع الروي» (٢/ ٢١٢).
(٣) العَجُز: ـ بفتح العين وضم الجيم ـ قرية شرق تريم تبعد منها مسافة.
(٤) «شرح العينية» ص(١٨٨).

وفي كتاب «تاج الأعراس» في مناقب الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس، قال المؤلف: (ومما أكرم الله به صاحب المناقب، وخصه به من سنيات المراتب، وكان ينفرد به دون أقرانه من أهل المظاهر والمناصب، أنه يحضر عند من ناداه وتوسل به إلى الله بصدق نية وصفاء طوية)(١).

وتقول الشيخة سلطانة الزبيدية كما في ترجمة السقاف من المشرع: (ما رأيت أحداً أسرع إجابة عند الاستغاثة من السيد محمد بن السقاف، وكانت تقول: إذا حدث أمر واستغثت بالأولياء فأول من يغيثني هو)(٢).

وقال صاحب «تاج الأعراس» في ترجمة صالح بن عبد الله العطاس: (وممن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور، وعالمها وإمامها المشهور، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام السيد أحمد بن زيني دحلان قال: إنه حصل عليَّ حال بمكة وكربتُ لذلك كرباً شديداً فاستغثت بالحبيب صالح بن عبد الله العطاس صاحب عمد وهو إذ ذاك بحضرموت ودعوته بثلاثة أصوات، فإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي، راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعون جندياً كلهم مسلحون، فحين رأيته ذهب عني ذلك الكرب وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته)(٣).

وقال كذلك في ترجمة هادون بن حسين بن هود العطاس: (ومن كرامات الحبيب هادون أيضاً ما أخبرتني به والدتي الشريفة العفيفة شيخة بنت الجد علي بن حسين بن هود العطاس الآتي ذكرها في ترجمة والدي من الباب السادس عن والدتها الشريفة العفيفة زينة بنت الحبيب هادون المذكور قالت: لما كان والدي يجدد عمارة بعض المساكن بالمشهد وعنده جملة من العمال أصبحنا ذات يوم وليس عندنا في الدار ما يفطر به الصائم من أنواع الطعام، فلما رجع والدي من المسجد الإشراق كعادته أخبرناه بالحال فقال: لا بأس، ولكنكم أوقدوا ناراً في المطبخ كعادتكم ليستشعر العمال بأن غداهم يطبخ كالعادة، ثم خرج والدي إلى عند العمال وألقى بيتاً من الشعر الحميني ارتجالاً على الذين ينقلون المدر منهم وأمرهم أن يرتجزوا به، وكان قد استنجد فيه بجده الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد وهو قوله:

---

(١) «تاج الأعراس» (١/ ٩٤).

(٢) «المشرع الروي» (١/ ١٨٤).

(٣) «تاج الأعراس» (١/ ١٠٤).

مع هادون يا بو حسن والخير واصل وهز الرمح لا تعمد[١] القبة وغافل

قالت: فلم نلبث إلا يسيراً وإذا نحن بقافلة أي عير مرسلة لمقام المشهد من أهل حجر بن دغار وفيها الذرة والتمر والدهن وغير ذلك، وبمعية العير أناسٌ من تلك الجهة أيضاً قاصدين زيارة الحبيب علي بن حسن ومعهم ثلاثة أكباش سمان للمقام، فذبحنا وقدحنا وكان ذلك اليوم من أسعد أيام العمال عليهم، انتهى.

قلت[٢]: وقول الحبيب هادون لجده علي (وهز الرمح) لما اشتهر من أن الحبيب علياً كان يلقب بأبي حربة، وسبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجرأة على مقام المشهد بعد وفاته، أنهم يرونه في مناماتهم يطعنهم بحربته، فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت ويموتون في الحال بإذن الله القائل: «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، لا سيما الذين يعتدون على غيرهم في شهر المشهد أي ربيع الأول؛ لأن الحبيب علياً قد جعله عُرضة ـ بضم العين ـ أي أماناً مؤبداً في كل سنة بين المحاربين من قبائل تلك الجهة، وأخذ عليهم العهد في ذلك ليأتي كل منهم وهو مطمئن البال إلى المشهد لحضور قصة مولد نبيهم محمد ﷺ وسماع شمائله الشريفة وما يضاف إلى ذلك من المواعظ الدينية، فكان مما أكرم الله به الحبيب علياً وعظم به شهر المولد النبوي أن من اعتدى فيه بالقتل ونقض العهد يعجل الله له العقوبة بإهلاك عدد من أولاده وقبيلته بمقدار الأيام الماضية من ذلك الشهر، فمن قتل فيه في اليوم الخامس مثلاً يهلك الله خمسة من رجاله في أسرع وقت، ومن قتل فيه في اليوم السابع يهلك الله منهم سبعة، وهكذا حتى صار ذلك عند قبائل الجهة من المجربات التي لا خلاف فيها)[٣].

وأعتذر للإطالة بنقل الحكاية كاملة وذلك لما فيها من دلالات كثيرة يجدها المتأمل، وليعرف كيف يسخِّر القبوريون الناس لمصالحهم ويبنون على حطام عقائدهم مجدهم الموهوم.

وأسألُ صاحب التاج وكل من ينشر هذه الحكايات ويغرس بها تقديس هؤلاء الناس في نفوس عوام المسلمين: أين كان الحبيب علي وحربته يوم هجم الجيش النجدي على المشهد فأخربه وهدّم قبه وكسّر توابيته؟.

---

(١) هذه الكلمة باللهجة الحضرمية معناها (لا تبقى) أي لا تبقى في القبة غافلاً عنا.

(٢) الكلام ما زال لصاحب «تاج الأعراس».

(٣) «تاج الأعراس» (١/٢٠٧ ـ ٢٠٩).

ومن ذلك أيضاً ما ذكره صاحب مقدمة ديوان العيدروس قال: (وأخبرني السيد الفقيه محمد الظمطاوي المكي وقد رويتها عن المريد الصادق نعمان بن محمد المهري أنه قال: كنا في سفينة سائرين إلى الهند فحصل في السفينة خرق عظيم فأيقن أهل السفينة بالهلاك فضجُّوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى وهتفوا بالمشايخ، فقال نعمان: فهتفت بشيخي أبي بكر بن عبد الله العيدروس، فأخذتني سِنة فرأيت شيخي وهو داخل السفينة وبيده منديل أبيض متيمماً نحو الخرق، فانتبهت فرحاً مسروراً وناديت بأعلى صوتي: يا أهل السفينة أبشروا فقد جاء الفرج، فقالوا لي: ماذا رأيت؟ فقلت لهم: رأيت شيخي رضي الله عنه دخل السفينة الساعة وبيده منديل فسدّ به الخرق فافتقدوه فوجدوا الخرق مسدوداً بمنديل أبيض)[١].

وفي نفس الكتاب في آخره قال: (وأخبرني الأمير مرجان بن عبد الله عبد السلطان عامر بن عبد الوهاب قال: كنا في محطة صنعاء الأولى فحصل علينا ما حصل، وأنا إذ ذاك في جماعة، فحمل علينا العدو ففر أصحابي ووقع في فرسي جملة أكوان[٢] فسقط بي، فزار بي العدو من كل جانب وأنا أهتف بالصالحين، ثم ذكرت الشيخ الأجل أبا بكر بن عبد الله العيدروس فهتفتُ به فإذا هو قايم، فوالله العظيم لقد رأيته نهاراً وعاينته جهاراً أخذ بناصيتي وناصية فرسي وشلني من بينهم حتى أوصلني إلى المحطة السعيدة، فعند ذلك مات الفرس ونجوت ببركات الشيخ نفع الله به وأعاد علينا من بركاته)[٣].

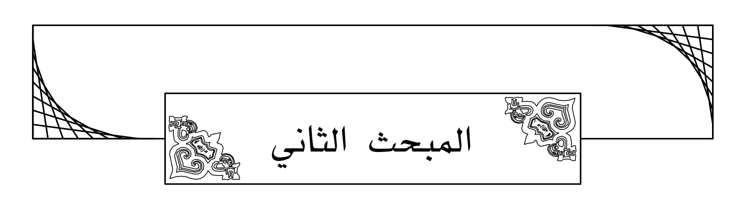
فهذه النماذج إن شاء الله كافية لإثبات أن القوم يعتقدون في أوليائهم أنهم يسمعون استغاثاتهم، وأنهم يغيثونهم عند ذلك، فحيناً يحضرون بأنفسهم، وحيناً يحصل المطلوب بدون حضورهم، وعليه فإن دعاءهم لأوليائهم ليس مجرد توسل، إذ التوسل إنما هو دعاء لله تعالى مع ذكر المتوسَّل به وسؤال الله سبحانه أن يحقق المطلوب بجاه أو ببركة ذلك المتوسَّل به، ولذلك فإن الذين يعرفون حقيقة التوسل ويقتصرون عليها لا يجيزون دعاء المتوسل بهم، ويصرحون بأنهم لا يدعون ولا يجيزون دعاء غير الله، وإنما يذكرونهم في ضمن دعائهم لله للتبرك بذكرهم وليكونوا سبباً في عطاء الله.

---

(١) مقدمة ديوان العيدروس المسمى «محجة السالك وحجة الناسك» ص(٢٤٢)، تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن باوزير، ضمن المجموعة العيدروسية.

(٢) أي: جراح.

(٣) المصدر السابق ص(٢٤٧).



المبحث الثاني

## عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة

**وفيه أربعة مطالب:**

### المطلب الأول: تعريف الرجعة وإثبات أصولها الشيعية:

**التعريف:**

قال الراغب الأصبهاني: (الرجوع: العودة إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء، مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً، وبذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله، فالرجوع العودة، والرجع الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات، ويقال: فلان يؤمن بالرجعة)(١).

وقال ابن الأثير: (والرجعة مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون: إن علي بن أبي طالب مستتر في السحاب، فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي منادٍ من السماء: اخرج مع فلان)(٢).

**أصلها الشيعي:**

هذه هي الرجعة وهي من عقائد الرافضة كما هو واضح من كلام ابن الأثير.

وقد عرّفوا الرجعة بأنها: (رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها)(٣). ويرون أن الراجعين إلى الدنيا بعد موتهم هم: (النبي الخاتم وسائر الأنبياء والأئمة المعصومون

---

(١) نقلاً عن «تقديس الأشخاص» (٢/ ٩).

(٢) «النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٠٢) للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

(٣) انظر: «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩١٣).

ومن محض في الإسلام ومن محض في الكفر دون الطبقة الجاهلية المعبر عنها بالمستضعفين)[١]، ويقصدون بمن (محض في الإسلام) أنفسهم وأتباعهم، ومن (محض في الكفر) أعداءهم من أهل السنة سيما كبار الصحابة الذين يزعمون أنهم غصبوا أهل البيت حقهم.

وبما أن الصوفية قد أخذوا جُلَّ عقائدهم عن الرافضة، فمن تلك العقائد عقيدة الرجعة، وإنما لم يسموها باسمها عند الرافضة، بل لم يجعلوا لها اسماً خاصاً، وإنما يدل على ذلك تعريفهم العملي وتصريحهم بعودة بعض المقدسين إلى الحياة ولقائهم بهم وأخذهم عنهم يقظة عياناً بأجسادهم التي تراها عيونهم الشحمية كما سيأتي.

ومما يدل على أخذ الصوفية من الرافضة ما ذكره الشعراني في ترجمة علي بن محمد وفاء: (وكان يقول: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رُفع كما رُفع عيسى عليه السلام، وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام. قال الشعراني: قلت: وبذلك قال سيدي علي الخواص رضي الله عنه)[٢].

فالقول برفع علي رضي الله عنه ثم عودته إلى الأرض لا شك أنه من عقائد بعض فرق الشيعة الغالية، وكون الصوفية يعتقدونه بهذه الصيغة يدل دلالة واضحة على أخذه عنهم.

### المطلب الثاني: إثبات اعتقاد قبورية اليمن للرجعة:

قبل أن أنقل أمثلة مما قاله القبورية في رؤية النبي ﷺ يقظة واجتماعهم به، وأخذهم العلم عنه أو مباركة ما يفعلون من بدع ومخالفات عقدية وعملية، أثبت نقلاً عن أحد منظريهم المعاصرين وهو يؤكد هذه العقيدة ويؤصِّلها وهو الدكتور محمد علوي المالكي في كتابه «الذخائر المحمدية» يقول: (أما قوله ﷺ: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» قال العلماء: هو في الدنيا قطعاً، ولو عند الموت لمن وُفق ذلك. وأما قول من أوّله برؤيا اليقظة في الآخرة، فقد رد عليه العلماء وقالوا: إن في الآخرة يراه كل مؤمن من رآه في منامه ومن لم يره كما ورد في أحاديث عدة صحيحة، بل ويراه الكفار في الآخرة والمنافقون فيعرفون قدْرَه العظيم وشرفه الكبير ﷺ، وقد يكون في الدنيا لأهل الكمال من المؤمنين وصفاء البصيرة الذين

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٩١٣).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٤٠).

وصفهم الله تعالى ووصف قلوبهم ومعارفهم بقوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

وهو تمثيل لما نوَّر الله به قلب المؤمن من العلوم والمعارف، وما فيه من المعارف، فمثل هذا القلب هو المؤهل لرؤيا النبي ﷺ في اليقظة وسائر المغيبات أيضاً)(١).

والدكتور هنا لا يكتفي بأن قلب العارف يرى النبي ﷺ يقظة فقط، بل (ويرى سائر المغيبات أيضاً) فأيُّ ضلال وقع فيه هذا الدكتور أبعد من هذا الضلال. وقد سبق ما يتعلق بعلم الغيب عند القبورية.

ومن دعاة الصوفية القبورية في اليمن وحضرموت رجل يُسمّى زين العابدين العلوي الذي ألَّف كتاباً في العقائد أسماه: «الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية» أورد سؤالاً قال فيه: (هل يمكن رؤيته ﷺ يقظة؟ فأجاب: رؤيته ﷺ في اليقظة ممكنة وواقعة، فقد ذكر العلماء ـ نفع الله بهم ـ كثيراً من العارفين بالله رأوه في المنام ثم رأوه في اليقظة وسألوه عن أشياء من مصالحهم ومآربهم)(٢).

وإليك بعض الأمثلة الدالة على اعتقاد قبورية اليمن هذه العقيدة وادعائهم أن النبي ﷺ يحضر بعض حضراتهم أو شعائرهم أو مناسباتهم أو يلقِّنهم بعض الأحاديث أو نحو ذلك.

فمن ذلك ما ذكره صاحب «تذكير الناس» في قصة طويلة وقد ذكر معارضة الفقهاء لاستخدام البرك للطهور في المسجد، فقال محتجاً عليهم: (... ولما بنى سيدنا عبد الرحمٰن السقاف مسجده بتريم ووضع هذه الجوابي المعروفة في الجهة، وهو أول من أشار بوضعها وقال: أسست مسجدي هذا والنبي ﷺ واقف في محرابه، والأئمة الأربعة كل واحد على ركن من أركانه، ارتفع الخلاف وما قاله بعض الناس من الكراهة بحضوره ﷺ)(٣).

---

(١) «الذخاير المحمدية» بواسطة «مغناطيس القبول في الوصول إلى رؤية سيدنا محمد ﷺ» ص(٢٠)، تأليف حسن محمد شداد بن عمر باعمر، مطبعة الصباح، دمشق، بدون تاريخ.

(٢) «الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية» ص(١٠٠)، تأليف الحبيب زين العابدين العلوي، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

(٣) «تذكير الناس» ص(٥١).

فانظر كيف جعل حضور النبي ﷺ حقيقياً، وأنه بذلك الحضور ارتفع الخلاف القائم في تلك المسألة، وهذا غاية الاعتقاد بحضوره حضوراً حسياً كاملاً بجسده الشريف لا مجرد روحه.

وفي الكتاب المذكور يقول في قصة طويلة للشيخ عمر بامخرمة: (فدخل الشيخ عمر إلى المدينة وأتى رباط أنس أو غيره فجلس به ينتظر الإذن في الدخول على الحضرة النبوية، فلما كان ضحوة النهار أتى إليه سيد الوجود ﷺ فوضع على رأسه كوفية مدنية... إلخ)[١] وفيه: (وقال سيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي لسيدي أحمد: أخبرني عمي علوي بن عبد الله بن حسين بن طاهر عن أبيه الحبيب عبد الله أن الحبيب عبد الله بن أبي بكر عيديد ممن يجتمع بالنبي ﷺ يقظة. وهذه شهادة عارف بالله رواها ثقة محتاط في كلامه)[٢].

وقال الحامد في «تاريخ حضرموت» في ترجمة سلطانة الزبيدية: (وصارت فيما يُروى أيضاً ترى النبي ﷺ ورجال الغيب يقظة وتكلمهم، ولها في التصوف أحوال غريبة)[٣].

وفي رسالة «الدلائل والأخبار في خصائص مدينة ظفار»: (وروي عن العالم العامل إسماعيل الحضرمي أنه قال لبعض درسته: حضرت في موضع شريف، وحضر النبي ﷺ والإمام الشافعي وأبو إسحاق الشيرازي فسمعت من قلبي عن ربي: من أحببته من خلقي جعلته رحمة لخلقي، أقر به قرارهم، وأعتمر به ديارهم، وأقضي به أوطارهم، وأمحو به أوزارهم)[٤]، الشاهد منه قوله: (وحضر النبي ﷺ والإمام الشافعي وأبو إسحاق الشيرازي) فهو دليل على اعتقاد رجعة النبي ﷺ إلى هذه الدنيا كما تزعم الصوفية.

### المطلب الثالث: في الرد على معتقدي الرجعة ورؤية النبي ﷺ يقظة:

إن عقيدة الرجعة وما ترتب عليها من إمكانية رؤية النبي ﷺ وبعض البشر

---

(١) المصدر السابق ص(٢٧٦). (٢) المصدر السابق ص(٢٧٧).

(٣) «تاريخ حضرموت» ص(٧٩٤).

(٤) «رسالة الدلائل والأخبار في خصائص مدينة ظفار»، تأليف عبد الله بن جعفر الكثيري ضمن كتاب «تاريخ حضرموت» المسمى «العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة» (١/١١٣) للمؤرخ سالم بن محمد بن حميد الكندي، المتوفى سنة (١٣١٠هـ)، طبع مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

الآخرين بعد موتهم من أوضح العقائد بطلاناً، فهي تخالف العقل والنقل، أما مخالفة العقل فلأن الميت إذا مات وضع في قعر قبره وأهيل عليه التراب وسدّت جميع المنافذ، ثم رجعوا وتولوا عنه فقسَّموا أمواله وأنكحوا نساءه ولم يبقَ له أي تعلق بالأحياء، ولو كان في الإمكان رجوعه لاتّخذ بعض الإجراءات لذلك، فلمّا لم يشرع لنا الشرع الإسلامي شيئاً من ذلك علم أنه لا أصل له.

ثم إن كثيراً ممن يقال: إنهم يخرجون من قبورهم فيراهم الناس بأجسادهم كاملة صحيحة؛ قد نُبشت قبورهم لغرض أو لآخر فلم يعثر في قبورهم إلا على عظام بالية أو تربة لا أثر فيها إلا لفتات لتلك العظام، ومن أقرب الأمثلة وأحدثها ما جرى لقبر الولي المشهور والقطب المذكور أبي بكر بن عبد الله العيدروس صاحب عدن، والذي يقول عنه أبو بكر بن عبد الله العطاس أنه كلما دخل تلقّاه (في ستمائة ألف راية من الأولياء وأخذ بيدي حتى وصلنا القبة)[1] في حكايات كثيرة يطول شرحها هذا هو القطب الذي في زعمهم أنه لم يمت؛ لأنه لا يموت إلا الحمار، عندما قامت الجماعة المحتسبة بعد نهاية حرب الانفصال في عدن بتسوية قبره، وتعدّى بعضهم إلى نبش القبر لم يجدوا من القبر إلا عظاماً مبعثرة محطمة فأين هو؟ ولِمَ لَمْ يدفع عن نفسه؟ ولِمَ لَم يسلم جسده من البلى، كل ذلك يدل على فساد هذه العقيدة.

وأما النقل: فالآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] الشاهد قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فهو صريح أنهم في ذلك البرزخ إلى يوم القيامة لا يرجعون عنه، وإن كان قصدهم من طلب الرجوع هو العمل الصالح، فكيف إذا كانت الرجعة للانتقام من أبي بكر وعمر وإقامة الحد عليهما[2]؟! ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١] فنفى الرجعة عنهم. ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، فعند الموت وفي البرزخ وعند العرض على رب العالمين يتمنون الرجوع فلا يُجابون إليه، بل يؤكد لهم عدم إمكان ذلك.

وبهذا أكتفي لوضوح المسألة واتفاق أهل السنة عليها، وحتى الصوفية لا

---

(١) «تذكير الناس» ص(٢٢٥).

(٢) انظر: «مختصر الاثني عشرية» ص(٢٠١).

يتظاهرون بالقول بها، وإن كان ما يعتقدون من رؤية النبي ﷺ وبعض أوليائهم يستلزم ذلك ويقتضيه، ولكن حيث لا يحاجّون في أصل الرجعة فلا داعي للإطالة.

## الرد على القبورية في زعمهم رؤية النبي ﷺ:

الأصل أن من مات فقد انتقل إلى عالم آخر هو عالم البرزخ، وليس هناك لقاء حسي بين مَن في ذلك العالم وبين الأحياء الذين ما زالوا في هذه الحياة الدنيا، إلا ما يثبت من ذلك بدليل صحيح صريح من آية صريحة أو حديث صحيح صريح، ومعظم القبورية إن لم يكونوا كلهم هم من المخالفين للسلف الصالح، فهم لا يثبتون العقيدة إلا بالخبر المتواتر وليس بخبر الآحاد. وهذه المسألة مسألة علمية عقدية لا مدخل للقياس فيها، إذن فعلى أصلهم لا تثبت إلا بآية صريحة أو حديث صريح قطعي الثبوت، وهم لم يأتوا من ذلك بشيء فلا آية تدل على ذلك ولا حديثاً متواتراً يدل عليه كذلك، وإنما أهم أدلتهم ما دل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري ولفظه: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي»[(١)].

والرد على ذلك من جهتين: جهة السند وجهة المعنى.

أما جهة السند فهنا مخالفتان: المخالفة الأولى للأصل القطعي المتفق عليه أن الأموات قد صاروا في عالم آخر، وأنهم لا يرجعون عنه ولا يبعثون إلّا يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]، فليس هناك بعث إلا يوم القيامة، ومعلوم أن خروج النبي ﷺ أو أي ميت من قبره بروحه وجسده إنما هو بعث، فهذه المخالفة وحدها لو كان الحديث صحيحاً للزم منها القول بشذوذه، فكيف وهذه اللفظة مشكوك أصلاً في صحتها!

أما المخالفة الثانية فإن الحديث روي عن اثني عشر صحابياً كلهم بلفظ (فقد رآني) أو «فقد رأى الحق» أو «فكأنما رآني في اليقظة» ولم يرد ذلك اللفظ إلا من حديث أبي هريرة وبالشك ففيه: «فسيراني في اليقظة أو فكأنما رآني في اليقظة»، وهذا اللفظ بالشك عند أحمد والبخاري ومسلم وأبي داود، ولم يرد لفظ (فسيراني)

---

(١) البخاري في «صحيحه» (٦/ ٢٥٦٧)، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، ومسلم (٤/ ٧٧٥)، كتاب الرؤيا، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: «من رآني في المنام فقد رآني».

بالجزم إلا من رواية واحدة عند البخاري فقط[١]، ولذلك قال الحافظ: (قوله: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» زاد مسلم من هذه الوجه: «أو فكأنما رآني في اليقظة» هكذا بالشك، ووقع عند الإسماعيلي من الطريق المذكورة: «قد رآني في اليقظة» بدل قوله: «فسيراني» ومثله من حديث ابن مسعود عند ابن ماجه، وصححه الترمذي وأبو عوانة ووقع عند ابن ماجه من حديث أبي جحيفة، «فكأنما رآني في اليقظة»، فهذه ثلاثة ألفاظ: «فسيراني في اليقظة، فكأنما رآني في اليقظة، فقد رآني في اليقظة»، وجُلّ أحاديث الباب كالثالثة إلا قوله: «في اليقظة»)[٢].

فهذا التحقيق من الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ الله يتضح منه أنه يرى شذوذ هذا اللفظ، خاصة وأنّ رواية أبي هريرة نفسه قد أتت بالشك وسقطت كلمة «أو كأنما رآني» في هذا الموضع إما للاختصار من بعض الرواة أو على سبيل السهو والغفلة.

والخلاصة أن الروايات التي بصيغة الجزم من حديث أبي هريرة وغيره وهم كثيرون بخلاف هذه اللفظة المشكوك فيها، فلا يمكن لعاقل منصف أن يتمسك بها مخالفاً تلك الروايات، خصوصاً في مثل هذا الموضع الخطير الذي ينتج عن اعتقاده فساد في العقيدة والعمل أو المخالفة لأصول ثابتة قطعية، هذا من ناحية السند.

وأما من ناحية المعنى فقد قال الإمام النووي رَحِمَهُ الله عند شرح حديث أبي هريرة هذا في مسلم بلفظ: «فسيراني في اليقظة أو كأنما رآني في اليقظة» قال: (قال العلماء: إن كان الواقع في نفس الأمر فكأنما رآني فهو كقوله ﷺ فقد رآني أو فقد رأى الحق كما سبق تفسيره، وإن كان سيراني في اليقظة ففيه أقوال: أحدها: المراد أهل عصره، ومعناه أن من رآه في النوم ولم يكن هاجر يوفقه الله للهجرة ورؤيته ﷺ في اليقظة عياناً، والثاني: معناه أنه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة؛ لأنه يراه في الآخرة جميع أمته من رآه في الدنيا ومن لم يره، والثالث: يراه في الآخرة رؤية خاصة في القرب منه وحصول شفاعته ونحو ذلك، والله أعلم)[٣].

وقوله: (يرى تصديق تلك الرؤيا) أي يحصل به ما رأى في تلك الرؤيا من عطاء أو بركة أو نحو ذلك.

---

(١) انظر: «تقديس الأشخاص» (٢/ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢).
(٢) «الفتح» (١٢/ ٣٨٣).
(٣) «النووي على مسلم» (١٥/ ٢٦).

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي ابن العربي قوله: (وشذّ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعين الرأس حقيقة)، فقوله: (شذ بعض الصالحين) إشارة إلى مخالفة الإجماع القائم على عدم رجوعه ﷺ وعدم رؤيته، حيث قال الإمام ابن حزم في مراتب الإجماع: (واتفقوا أن محمداً عليه السلام وجميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس)[١]، وبناءً على ذلك لم يقع حقيقة، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (إن جمعاً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف)[٢].

هذا تلخيص للرد على القائلين بهذا القول، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى فتح الباري (١٢/ ٣٨٣) وما بعدها، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢/ ٧) وما بعدها الفصل الأول من الباب الثاني، ففي هذين المصدرين الرد الكافي على السيوطي في رسالته (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك) وكل من قال بذلك القول.

**المطلب الرابع: لوازم هذا الاعتقاد وما يترتب عليه من مفاسد:**

القول بعقيدة الرجعة يترتب عليه عدة لوازم باطلة، ذكرها العلماء في مواطن مختلفة، وجمعها صاحب تقديس الأشخاص، ويمكن بالتتبع الزيادة عليها وإليك تلخيصها:

١ ـ أن يحيا الآن ويخرج من قبره، ويلزم منه أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى فيه شيء، فيزار مجرد القبر، ويسلم على غائب؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من العقل. «من كلام القرطبي».

٢ ـ ويلزم منه القول باستمرار التشريع.

٣ ـ ويلزم منه أن يكون من رآه في اليقظة صحابيٌّ... ولا يمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة.

٤ ـ ويلزم من هذا الاعتقاد ـ حسب ما يراه الصوفية ـ أن النبي ﷺ مفتقر إلى الحكمة، حيث ترك الحضور في المواقف الحاسمة من حياة الأمة على عهد

---

(١) «مراتب الإجماع» لابن حزم ص(١٧٦).

(٢) «الفتح» (١٢/ ٣٨٥).

أصحابه ومن بعدهم، وصار يتابع حضرات الصوفية وموالدهم وقضاياهم التافهة[١].

قلت: وهناك لوازم أخرى منها:

أ ـ فتح الباب أمام الدجاجلة لإضلال الأمة والاستخفاف بعقولها وفرض ما يريدون عليها بحجة أنهم رأوا النبي ﷺ وأمرهم بذلك أو دلهم عليه.

ب ـ فتح الباب لأن يتلاعب الشياطين ببعض العباد الجهلة بادعائهم أنهم رأوا رسول الله ﷺ أو بإسماعهم نداءه وكلامه فيغترون، ويعملون بما تدعوهم إليه تلك الشياطين.

ج ـ إن ادعاء حضور النبي ﷺ والأولياء من المتقدمين والمتأخرين يعمِّق اعتقاد الضر والنفع في المخلوقين، ومن ثم التوجه إليهم ودعاءهم من دون الله على اعتبار أنهم ينفعون من دعاهم ويحضرون لدى من استغاث بهم، وهذا شرك لا يماري فيه أحد حتى القبوريون أنفسهم؛ لأنهم يقولون: إن من اعتقد النفع أو الضر في أحد دون الله فقد أشرك بالله تعالى.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ترجمة السقاف في المشرع: (وكان يقول: إنّا لا نعتد بشيء من أعمال الظاهر، وكان عزم على الحج، ونوى أنه بعد الحج يسيح في الأرض ولا يعود إلى حضرموت، فلما وصل إلى الجوف أتاه النبي ﷺ في جمع من الصحابة والأولياء ومعهم والده، وأمروه بالرجوع إلى بلده وقالوا له: مقامك بها أنفع، فرجع ولم يحج ظاهراً، وقد شوهد في مشاعر الحج سنين عديدة وسأله بعض خواصه، هل حججت؟ فقال: أما في الظاهر فلا)[٢]، فلفظ «أتاه» ظاهر في اعتقاد إثباته إثباتاً حسياً.

وفي تذكير الناس يقول: (إني رأيت النبي ﷺ فقلت له: إنا رتبنا قراءة الصلاة المضرية كل يوم جمعة بعد صلاة الصبح في قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس فهل تبلغكم؟ قال: بلى إني في كل جمعة عند قراءتكم لها أستأذن ربي في الحضور معكم)[٣]، وفيه أيضاً: (فقيل لسيدي: هل قيل في المولد المنسوب إلى المحدّث الديبعي أن النبي ﷺ يحضر قراءته من أوله إلى آخره؟ قال: نعم، ولكن إذا

---

(١) انظر: هذه اللوازم مشروحة بأدلتها في رسالة «تقديس الأشخاص» (٢/ ٤٥) وما بعدها.

(٢) «المشرع» (٢/ ١٤١).

(٣) «تذكير الناس» ص(١٨٢ ـ ١٨٣).

رتب السلف شيئاً لا تغيره وخلّه، إلا إن كنت من السلف فأنت وذاك)، والحبيب صالح بن عبد الله العطاس يقول: (يحضر النبي ﷺ في كل مولد، عند المقام فيه، إلا مولد الديبعي فإنه يحضره كله)[1]، بل رآه أحمد بن حسن في سيئون كما في تذكير الناس: (ورأيت النبي ﷺ خارجاً من بعض البيوت في سيئون فسألته فقال: جئت لأحضر مولداً في هذه الدار لكن رأيت فيه تنباك فخرجت)[2]، وقال علوي بن طاهر الحداد: (قال سيدنا الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس: كان السيد أحمد بن علي بحر من السادة آل القديمي يجتمع بالنبي ﷺ يقظة، فقال له: يا رسول الله أريد أن أسمع عنك حديثاً بلا واسطة، فقال له: أحدثك بثلاثة أحاديث:

**الأول:** ما زال ريح قهوة البن في فم الإنسان تستغفر له الملائكة.

**الثاني:** من اتخذ سبحة ليذكر الله بها كُتب من الذاكرين الله كثيراً إن ذكر بها أو لم يذكر بها.

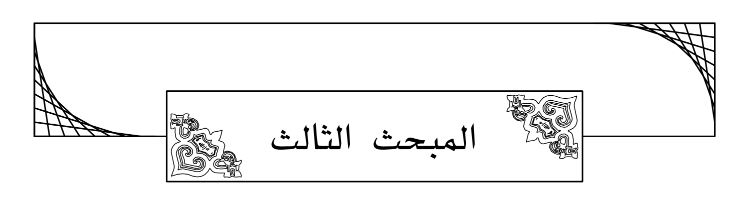
**الثالث:** من وقف بين يدي ولي لله حي أو ميت فكأنما عبدَ الله في زوايا الأرض حتى تقطع إرَباً إرَباً)[3].



(١) المصدر السابق ص(١٨٢).

(٢) المصدر السابق ص(٢٧٠).

(٣) «مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلته إلى مكة ودوعن»، مخطوط، «الرحلة الدوعنية» لعلوي بن طاهر الحداد ص(٢٣٤ ـ ٢٣٥).




## الاعتقاد بحياة الخضر عليه السلام والالتقاء به

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: حقيقة الخضر عند أهل السنة والجماعة:**

الخضر عند جماهير أهل السنة نبي من أنبياء الله، عاش كما عاش غيره من الأنبياء ومات كما مات غيره، وما جرى منه مع موسى من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار كان بوحي من الله تعالى، وليس فيه حجة على العلم اللدنّي ولا على خروج أحد من أتباع الأنبياء عن شريعتهم.

أما أن هذا هو قول جمهور أهل العلم فَلْننقل المستفيض إن لم يكن المتواتر عنهم.

**فالقضية الأولى**: كونه نبياً نقلها عنهم القرطبي في تفسيره[١]، وأبو حيان كذلك[٢]، والحافظ ابن حجر في الإصابة[٣]، والبدر العيني ولفظه: (النوع الثالث في نبوته فالجمهور على أنه نبي وهو الصحيح)[٤]، والألوسي في تفسيره قال: (فالجمهور على أنه عليه السلام نبي وليس برسول، وقيل: رسول، وقيل: ولي، وعليه القشيري[٥] وجماعة، والمنصور ما عليه الجمهور وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة)[٦].

وأما الأدلة على ما ذهب إليه جمهور أهل السنة فقد أورد وجوهاً منها الإمام ابن كثير في (البداية والنهاية) فقال: (وقد دلَّ سياق القصة على نبوته من وجوه:

**أحدها**: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ١٦). (٢) «البحر المحيط» (٦/ ٢٤٧).
(٣) «الإصابة» (٢/ ٤٢٩).
(٤) «عمدة القاري (١٣/ ٣٧ ـ ٣٨) بواسطة «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (١/ ٢٩١).
(٥) الصوفي صاحب الرسالة. (٦) «روح المعاني» (٩/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).

**والثاني**: قول موسى له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٦٦ ـ ٧٠]. فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد، بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه، فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً، ولم تكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة، ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عنه ولو أنه يمضي حقباً من الزمان قيل ثمانين سنة، ثم لمّا اجتمع به تواضع له وعظَّمه واتّبعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نبي مثله، يُوحى إليه كما يوحى إليه وقد خُص من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يُطْلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم، وقد احتج بهذا المسلك بعينه «الرماني» على نبوة الخضر عليه السلام.

**والثالث**: أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته؛ لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده؛ لأن خاطره ليس بواجب العصمة إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق، ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علماً منه بأنه إذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهما له فيتابعانه عليه، ففي قتله مصلحة عظيمة تربُو على بقاء مهجته صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته، دل ذلك على نبوته، وأنه مؤيد من الله بعصمته، وقد رأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه وحكى الاحتجاج عليه الرماني أيضاً.

**الرابع**: أنه لما فسّر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلّى، قال بعد ذلك كله ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ﴾[الكهف: ٨٢]، يعني ما فعلته من تلقاء نفسي بل أُمِرْتُ به وأُوْحِي إليَّ فيه، فدلّت هذه الوجوه على نبوته، ولا ينافي ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قاله آخرون. وأما كونه: ملكاً من الملائكة، فغريب جداً. وإذا ثبتت نبوته كما ذكرناه لم يبقَ لمن قال بولايته وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر؛ مستند يستندون إليه ولا معتمد يعتمدون عليه)[١].

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٣٢٨).

وقال الحافظ ابن حجر «باب ما ورد في كونه نبياً»: قال الله تعالى في خبره مع موسى حكاية عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ وهذا ظاهره أنه فعله بأمر الله، والأصل عدم الواسطة، ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكر وهو بعيد، ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام؛ لأن ذلك لا يكون من غير النبي وحياً حتى يعمل به ما عمل من قتل النفس وتعريض الأنفس للغرق، فإن قلنا أنه نبي فلا إنكار في ذلك، وأيضاً فكيف يكون غير نبي أعلم من النبي؟! وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح أن الله قال لموسى: «بلى عبدنا خضر»، وأيضاً فكيف يكون النبي تابعاً لغير نبي؟! وقد قال الثعلبي: هو نبي في سائر الأقوال، وكان بعض أكابر العلماء يقول: أول ما يحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً؛ لأن الزنادقة يتذرعون لكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي كما قال قائلهم:

مقام النبوة في برزخٍ ... فويق الرسول ودون الولي[1]

وفي هذه الأدلة مقنع لمن طلب الحق.

**القضية الثانية:** قضية موته وهذه القضية كذلك جمهور أهل السنة قائلون بها، نقل ذلك عنهم القرطبي[2] بل قال ابن الجوزي رحمه الله كما نقله عنه ابن القيم في المنار المنيف: (والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع المحققين من العلماء، والمعقول)[3]. ففي قوله: (إجماع المحققين من العلماء) تأكيد لما قاله القرطبي بل زيادة عليه حيث ذكر إجماع المحققين، وهو إشارة إلى أنه لم يخالف في ذلك أحد ممن يعتد به، وقد عدّد الشيخ محمد أحمد لوح القائلين بموته فقال: (ومنهم: البخاري، وإبراهيم الحربي الذي سئل عن بقائه فقال: «من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان»، وأبو الخطاب بن دحية، وأبو الحسين بن المنادي الذي قال: (بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باقٍ أم لا فإذا أكثر المغفلين مغترّون بأنه باقٍ من أجل ما رُوي في ذلك)، وابن الجوزي حيث حكم على الأحاديث الواردة في حياته بالبطلان، وحيث ألَّف كتاباً مستقلاً في الموضوع أورد فيه أدلة دامغة على موته، والقاضي أبو يعلى حيث ذكر جملة من الأدلة على موته، والقاضي أبو بكر بن

---

(١) «الإصابة» (١/ ٤٢٩).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ٤١).
(٣) «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» ص(٥٢) للإمام ابن القيم، طبع دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

العربي، وأبو حيان الأندلسي، وشيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «والصواب الذي عليه محققو العلماء أن إلياس والخضر ماتا» وحيث ذكر ابن القيم أن ابن تيمية ألّف جزءاً في وفاة الخضر، وكذلك ابن القيم، والحافظ ابن حجر، حيث استعرض أدلة الجانبين ثم قال: «والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته»، ومنهم العلامة محمد الأمين الشنقيطي وغير هؤلاء من العلماء المحققين)[١]، وقد استدل جمهور أهل السنة على ذلك بالكتاب والسنة وإجماع المحققين والعقل؛ كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه الأدلة حسب ترتيب ابن الجوزي: (أما القرآن فقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ [الأنبياء: ٣٤] فلو دام البقاء كان خالداً، وأما السنة: فذكر حديث: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإنّ على رأس مائة سنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد»[٢] متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله ﷺ: قبل موته بقليل: «ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذٍ حية»[٣]، ثم ذكر عن البخاري، وعلي بن موسى الرضا، أن الخضر مات، وأن البخاري سُئل عن حياته فقال: كيف يكون ذلك؟ وقد قال النبي ﷺ: «أرايتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد» متفق عليه.

قال: وممن قال: إن الخضر مات: إبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبو الحسين بن المنادي وهما إمامان، وكان ابن المنادي يقبِّح قول من يقول: إنه حي. وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد، وذُكر عن بعض أهل العلم: أنه احتج بأنه لو كان حياً لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ.

قال أحمد: حدثنا سريح بن النعمان، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لو

---

(١) «تقديس الأشخاص» (١/ ٤٠٠ ـ ٤٠١).

(٢) «البخاري مع الفتح» (٢/ ٤٥)، كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة ومن رآه واسعاً، و«مسلم مع النووي» (١٦/ ٨٩)، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان معنى قوله: على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة.

(٣) «مسلم مع النووي» (١٦/ ٩١)، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان معنى قوله: على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة.

أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»[١].

فكيف يكون حياً ولا يصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة والجماعة ويجاهد معه؟!.

ألا ترى أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلي خلف إمام هذه الأمة، ولا يتقدم، لئلا يكون ذلك خدشاً في نبوة نبينا ﷺ. قال أبو الفرج: وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر وينسى ما في طي إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة.

**أما الدليل من المعقول فمن عشرة أوجه:**

**أحدها**: أن الذي أثبت حياته يقول: إنه ولد آدم لصلبه. وهذا فاسد لوجهين:

**أحدهما**: أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة، فيما ذكر في كتب بعض المؤرخين، ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر.

**والثاني**: أنه لو كان ولده لصلبه، أو الرابع من ولد ولده ـ كما زعموا ـ وأنه كان وزير ذي القرنين، فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا، بل مُفْرَط في الطول والعرض. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعد»[٢]، وما ذكر أحد ممن رأى الخضر: أنه رآه على خلقة عظيمة، وهو من أقدم الناس.

**الوجه الثالث**[٣]: أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة، ولم ينقل هذا أحد.

**الوجه الرابع**: أنه قد اتفق العلماء أن نوحاً لما نزل من السفينة مات مَنْ كان معه، ثم مات نسلهم، ولم يبقَ غير نسل نوح.

والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: ٧٧] وهذا يبطل قول من قال: إنه كان قبل نوح.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣/ ٣٤٩)، تحقيق الأرناؤوط، وضعّف المحقق إسناده لضعف مجالد بن سعيد، وقال الشيخ الألباني في «تحقيق مشكاة المصابيح» (١/ ٦٣): (وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف، ولكن الحديث حسن عندي؛ لأن له طرقاً كثيرة عند اللالكائي والهروي وغيرهم).

(٢) «البخاري مع الفتح» (٦/ ٣٦٢)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ومسلم (٤/ ٢١٨٣)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير.

(٣) باعتبار الوجهين في الأول.

**الوجه الخامس**: أن هذا لو كان صحيحاً أن بشراً من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر، ومولده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب، ولكان خبره في القرآن مذكوراً في غير موضع؛ لأنه من أعظم آيات الربوبية، وقد ذكر الله ﷻ من استحياه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وجعله آية، فكيف من أحياه إلى آخر الدهر؟! ولهذا قال بعض أهل العلم: ما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان.

**الوجه السادس**: أن القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم، وذلك حرام بنص القرآن.

أما المقدمة الثانية فظاهرة، وأما الأولى: فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن، أو السنة، أو إجماع الأمة، فهذا كتاب الله تعالى فأين فيه حياة الخضر؟ وهذه سنة رسول الله ﷺ فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه؟ وهؤلاء علماء الأمة هل أجمعوا على حياته؟.

**الوجه السابع**: أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة، يخبر الرجل بها: أنه رأى الخضر فيالله العجب، هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله: أنا الخضر، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله، فأين للرائي أن المخبر له صادق، لا يكذب؟.

**الوجه الثامن**: أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمٰن، ولم يصاحبه، وقال له: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة، الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة، ولا مجلس علم، ولا يعرفون من الشريعة شيئاً؟ وكل منهم يقول: قال الخضر، وجاءني الخضر، وأوصاني الخضر!

فيا عجباً له! يفارق كليم الله تعالى ويدور على صحبة الجهال ومن لا يعرف كيف يتوضأ ولا كيف يصلي!!.

**الوجه التاسع**: أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر لو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كذا وكذا لم يُلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين، إلا أن يقال: إنه لم يأت إلى رسول الله ﷺ ولا بايعه، أو يقول الجاهل: إنه لم يُرسل إليه وفي هذا من الكفر ما فيه.

**الوجه العاشر**: أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار، ورباطه في سبيل الله، ومقامه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة، وتعليمه العلم؛ أفضل له

بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات، وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه، والعيب له؟)[١].

**أما القضية الثالثة**: وهي أنه ليس في قصة الخضر مع موسى ما يدل على إثبات العلم اللدني ولا خروج التابع عن شريعة رسوله، فهي أشد وضوحاً؛ لأن من قال ذلك إنما بنى ما بناه على كون الخضر ولياً وليس بنبي، وبذا أثبت العلم اللدني وجواز خروج التابع عن شريعة رسوله، وما دام أهل السنة قد أبطلوا تلك المقدمة وهي ولاية الخضر فقد بطلت النتيجة بلا شك، وسيأتي بيان بطلان هذه النتيجة في المطلب الثالث من هذا المبحث إن شاء الله.

### المطلب الثاني: حقيقة الخضر عند الصوفية:

لأن واضعي علم التصوف قد أخذوه عن الباطنية؛ فإنهم قد تابعوهم في العمل على هدم الشريعة الإسلامية من وجوه مختلفة، ومن تلك الوجوه عقيدتهم في الخضر حيث أقاموا مقدمتين هما كونه ولياً وليس برسول، وأنه عمل بما وهبه الله من العلم اللدني الباطني دون التقيد بشريعة موسى كما مر.

هاتان المقدمتان نتج عنهما أن من عباد الله من يحصل على العلم اللدني الذي هو علم الحقيقة، والذي هو مقدَّم على علم الشريعة، وأن من كان كذلك حُقَّ له الخروج عن الشرع الظاهر ومخالفة ما جاء به النبي ﷺ كما ساغ ذلك للخضر عليه السلام، ثم زادوا أمراً آخر هو تكريس اعتقاد أنه حي، وأنه يمكن الالتقاء به والأخذ عنه، وأن يتعلم الولي الذي حظي بلقائه منه عباداتٍ وأعمالاً يتعبد الله بها لم يأتِ بها النبي ﷺ، وربما كشف الخضر لذلك الولي بعض الأسرار وأفاض عليه بعض البركات، هذا ما عمل رواد التصوف على إثباته، وتسخير الناس لاعتقاده، حتى أصبح عند كثير من الأتباع ـ حتى من الصالحين المخلصين ـ عقيدة راسخة لا تقبل الجدل، فليس كل من قال بهذه العقيدة واعتقدها يُعتبر زنديقاً، بل منهم من هو صالح غير أنه مقلد لأولئك مخدوع بباطلهم؛ ففي نفسه أمره إلى الله، وأما في علمه وما يلقيه إلى الأمة فيجب كشفه وبيان خطئه لئلا يغتر به مغفلون آخرون، وهناك ممن يروِّج هذه العقيدة من المتأخرين من هو عالم بحقيقتها، ولكنه مراع لمصالح يضحِّي في سبيلها بكل شيء، وعلى كل فخلاصة عقيدة الصوفية القبورية في الخضر أنه:

---

(١) «المنار المنيف» ص(٥٢ ـ ٥٦).

ولي وليس بنبي، وأنه قد أوتي من العلم اللدني الذي هو علم الحقيقة، وبذلك العلم ساغ له الخروج عن شريعة موسى، وأنه ما زال حياً يرزق ولن يموت إلا على يد الدجال آخر الزمان، وأنه يظهر لبعض الأولياء ويخاطبهم ويعلمهم ويأتيهم بالهبات والبركات من رب العالمين.

## النصوص الشارحة لعقيدة الصوفية في الخضر من كتبهم:

كان من أوائل من تكلم في الخضر وأبرزه في مؤلفاته الحكيم الترمذي[1]، وذلك في كتابه «ختم الولاية» الذي يقول عنه الشيخ عبد الرحمٰن عبد الخالق: (وهذا الكتاب بنظري هو أخطر كتاب صوفي على الإطلاق)[2]، حيث قال في جوابه عن علامات الأولياء: (وللخضر عليه السلام قصة عجيبة في شأنهم وقد كان عاين شأنهم في البدء، ومن وقت المقادير فأحب أن يدركهم، فأُعطيَ الحياة حتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هذه الأمة وفي زمرتهم، حتى يكون تبعاً لمحمد ﷺ، وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل، وذي القرنين وكان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاتته وأصابها الخضر في قصة طويلة.

وهذه آياتهم وعلاماتهم فأوضح علاماتهم ما ينطقون به من العلم من أصوله.

قال له قائل: وما ذلك العلم؟.

قال: علم البدء، وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف.

فهذه أصول الحكمة وهي الحكمة العليا، وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء الأولياء، ويقبله عنهم من له حظ من الولاية)[3]، فقد لخص هذا النص معظم عقيدة القوم في الخضر، ومع ذلك أردفه ببعض النصوص لزيادة الإيضاح، فأما اعتقادهم أنه كان ولياً فيقرره التيجاني: (واعلم أن الخضر عليه السلام ولي فقط وليس بنبي عند الجمهور[4]، قال الشيخ الأكبر ـ يعني ابن عربي ـ: الخلاف فيه عند أهل الظاهر لا عندنا، فإنه عندنا مقطوع به من الأولياء لا من النبيين)[5].

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي، أحد كبار الصوفية وروّادهم، توفي سنة (٣٢٠هـ). انظر ترجمته في: «السير» (١٣/ ٤٢٩)، «طبقات الشافعية» (٢/ ٢٤٥)، «طبقات الصوفية» ص(٢١٧).

(٢) «الخضر في الفكر الصوفي» ص(١٨)، طبع الدار السلفية، الكويت، بدون تاريخ.

(٣) نفس المصدر، نقلاً عن كتاب «ختم الولاية» ص(٣٦٢).

(٤) يعني: جمهور الباطنية الصوفية وإلا فجمهور علماء أهل السنّة على أنه نبي وليس بوليّ.

(٥) «جواهر المعاني» (١/ ٢٤٦) بواسطة «تقديس الأشخاص» (١/ ٣٨٩).

وأما اعتقاد أنه ما يزال حياً فيقرره ابن عطاء الله في لطائف المنن فيقول: (قد تواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه والأخذ عنه، واشتهر ذلك إلى أن بلغ حد التواتر الذي لا يمكن جحده)[١].

كما قرر المسألتين ولاية الخضر واستمرار حياته اليافعي في «روض الرياحين» وبالغ حتى قال: (ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين)[٢]، وهذه مبالغة مردودة بما سبق نقله عن العلماء والمحدثين من أهل السنة والمحققين، ولم يذكر دليلاً له ولا لأحد ممن قال بذلك إلا أن جمعاً كبيراً من الصالحين أخبروا بمشاهدته ولقياه.

وأما المسألة الثالثة وهي: خروجه عن ظاهر الشرع والاحتجاج بذلك على ما يصدر من أوليائهم من مخالفة للشرع، فقد قرره اليافعي كذلك، فقال في الفصل الأول من الخاتمة الذي عقده في (الجواب عن إنكارٍ وقع من بعض الفقهاء المصنفين على الفقراء)[٣]، فقال بعد عدد من الحكايات ومحاولة تأويل ما فيها من المخالفة: (وعلى الجملة ما جاء عنهم مما يخالف العلم الظاهر فله محامل: أحدها: أن لا نسلِّم نسبته إليهم حتى يصح عنهم، والثاني: بعد الصحة أن يلتمس له تأويل يوافق العلم الظاهر، فإن لم يوجد له تأويل، قيل: لعل له تأويلاً في الباطن يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعالى، ويذكر عند ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، والثالث: أن يكون صدر عنهم في حال السكر والغيبة، والسكران سكراً مباحاً غير مكلف في ذلك الحال، فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق، نعوذ بالله تعالى من الخذلان وسوء القضاء، ومن جميع أنواع البلاء)[٤].

---

(١) «لطائف المنن» بواسطة «الأجوبة الغالية» ص(١٠٢).

(٢) «روض الرياحين» ص(٤٧٨). (٣) المصدر السابق ص(٤٧٢).

(٤) «روض الرياحين» ص(٤٧٧). أقول: حينما لا نسلم أن ذلك وقع منهم يلزم عليه:
**أولاً**: ألا ننقل ونشيع شيئاً مما وقع من ذلك للإنسان يعرضه للذم والتهم، هذا هو الواجب وإلا كنا ممن يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فإذا وجدنا أن محبي ذلك الإنسان ومعظميه هم الذين ينشرون ذلك عنه ويعدونه من جلائل أعماله وعقائده، ماذا نقول؟ الجواب: نقول: إنهم موقنون مسلمون بأن ذلك واقع منه وأنهم كذلك راضون به ومؤمنون أنه من كراماته ومزاياه، فكيف إذن يصح هذا المخرج؟!
**ثانياً**: حينما لا نسلم بوقوع ذلك الشيء من ذلك الشخص إنما نبرئ ذلك الشخص، أما المنهج الذي ارتضى إشاعته ونشره فلا يمكن أن يتبرأ منه أبداً، وكذلك عندما نعتبر أن ذلك حصل في حال السكر فهذا أقصى ما يمكن أن يحسن به إليه أن يستر ولا يذكر ويطوى =

الشاهد قوله: (لعل له تأويلاً في الباطن يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعالى ويذكر عند ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام) وهو واضح في أن القوم عندما يصدر من أقطابهم أو مجاذيبهم أمر ظاهره مخالفة الشريعة، وليس له مساغ فيها ولا يقره علماؤها أنهم يحيلون ذلك إلى التأويل الباطني الذي يعرفه علماء الباطن، وذلك تأسياً بالخضر الذي كان في زعمهم ولياً أعطيَ علم الباطن الذي لا يعلمه موسى، فموسى رمز لعلم الظاهر «الشريعة»، والخضر عندهم رمز لعلم الباطن «الحقيقة»، والتي هي أرفع من علم الشريعة، وبذلك يمررون كل انحراف علمي أو عملي تحت هذا التأويل وحجتهم في ذلك الخضر عليه السلام.

ومِن تناقض هؤلاء القبورية الصوفية أن عندنا في وادي عمد بحضرموت وبالقرب من مدينة عمد التي يزعمون أنها مدينة علم وولاية ومن أهلها قطبان هما: صالح بن عبد الله الحامد، وصالح بن عبد الله العطاس، ومع ذلك ففي «غيل حبب» الشِعب الرئيس لعمد قبر مجصص عنده مكان مهيأ للجلوس والاعتكاف، وفيه بعض الأواني التي يمكن أن يستخدمها الزوار، هذا القبر شائع عند العوام أنه قبر الخضر عليه السلام.

فكيف يتناسب هذا الأمر مع اعتقادهم بأن الخضر حي، وادعاء بعض أولياء عمد نفسها أنه يلتقي بالخضر؟ إنه التناقض البيِّن، فهم لا يريدون أن يهدموا معلماً من معالم القبورية، وفي نفس الوقت لا يريدون أن يفرطوا في اعتقاد حياة الخضر؛ لأنه منهج القوم واعتقاد أكابرهم، قد يقال: إنهم ليس هم الذين روَّجوه بل ولا يعتقدونه، أقول: إذا كانوا لا يعتقدونه وهذا ممكن جداً، فلماذا يقرون وجود ذلك القبر الذي يهدم عقيدة مهمة عندهم هي عقيدة حياة الخضر؟ وهم قادرون لو أرادوا هدمه لما يتمتعون به من نفوذ روحي على أهل المنطقة، بحيث لو أمروا بذلك لما خالفهم فيه أحدٌ مطلقاً.

الذي يظهر لي والعلم عند الله أن العوام ليس بالضرورة أن يتفطنوا لهذا التناقض، والأمران كليهما يستفاد منه، فاعتقاد حياته معلومة أهدافه، واعتقاد دفنه في ذلك الموضع له هدف كبير، وهو إعطاء مزيد من القداسة لتلك المدينة، أما في العالم الإسلامي فالقبور المزعومة للخضر أكثر من أن تُحصى.

= ولا يروى، وكل من ساهم في نشره وإشاعته وتعداده من فضائل ذلك الشخص هو مؤمن بمسؤولية ذلك الشخص عنه ونسبته إليه، لا باعتباره سكراناً بل باعتباره قد وصل إلى درجة عالية من القرب من الله الذي يقتضي الإذن له بذلك وأمثاله.

**بعض ما يترتب على اعتقاد حياة الخضر وولايته:**

هناك مفاسد عظيمة تترتب على اعتقاد حياة الخضر وولايته منها:

**أولاً**: فتح الباب أمام كل دجال يروِّج ما شاء من الأكاذيب ويسوِّغ ما شاء من الأعمال، بزعم أنه قد لقي الخضر وأمره بذلك أو أخبره به أو أقرَّه عليه.

**ثانياً**: نشر الكثير من البدع بزعم أن الخضر قد علّمها للولي الفلاني والشيخ الفلاني.

**ثالثاً**: تعظيم بعض الأشخاص، حيث يشاع عنهم أنَّهم يلتقون بالخضر، وقد غرس في نفوس العامة أنه لا يلتقي بالخضر إلا الأولياء الكبار والأقطاب المتمكنون.

**المطلب الثالث: نماذج من دعاوى الصوفية:**

**رؤية الخضر** عليه السلام:

رؤية الخضر والاجتماع به عند الصوفية القبورية لا تكاد تحصر، إذ جعلوا من مزايا الولي والأدلة على كماله وبلوغه المراتب العالية أنه يرى الخضر ويجتمع به، وفي بعض الأحيان يذكرون عنه ما لا يليق بأحقر الناس فكيف بنبي من أنبياء الله، وقبورية اليمن كغيرهم من القبورية لهم من ذلك دعاوى عريضة، وكذبات شهيرة.

فممن قيل عنه أنه لقي الخضر «أبو بكر بن سالم» قال في المشرع: (وكان يجتمع بالخضر وإلياس)[(١)]، وسعد بن علي بامدحج «المعروف بسعد السويني» نقل عنه في النور السافر قوله: (ولقيت الخضر عليه السلام مراراً فاستفدت منه فوائد كثيرة)[(٢)]، ومنهم إسماعيل بن عبد الملك بن مسعود البغدادي، قال الشرجي: (وكان الفقيه المذكور معروفاً بصحبة الخضر)[(٣)].

وإليك بعض قصصهم معه:

ومنها قصة الشاذلي صاحب المخا حين صار قطباً فكثرت أذية الجن في نوبته، فشكا ذلك للخضر. عندها حل الخضر مشكلته، قال صاحب تذكير الناس: (وذكر سيدي عن شيخه الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، أن الشيخ علي بن عمر الشاذلي صاحب المخا تولى القطابة وكثرت في وقته أذية الجن للإنس، فشكا ذلك

---

(١) «المشرع» (٢/ ٢٨)، و«شرح العينية» ص(٢٣٣).
(٢) «النور السافر» ص(٤٢٠).
(٣) «طبقات الخواص» ص(١٠٨).

إلى الخضر، وقال له: لِمَ لَمْ تحصل هذه الأذية إلا في نوبتي؟ فقال له الخضر: نأتيك بعودين من شجر البن من أرض الحبش تغرسهما تحت الميزاب الذي تتوضأ فيه، فأتى بهما الخضر وغرسهما الشيخ، فلما أثمرا أخذوا ثمرهما، وطبخوه في القدر وشربوه، فرفع الله عنهم أذية الجن)[١].

قلت: انظر إلى هذا التناقض فالقطب عندهم هو المتصرف في الكون وأهله، وهذا القطب لا يستطيع إزالة ضرر الجن حتى يأتيه الخضر بما يزيل ذلك.

ومنها ما ذكره شارح العينية في ترجمة عبد القادر الجيلاني قال: (وقال الشيخ العارف بالله أبو سعيد القيلوبي: رأيت رسول الله ﷺ وغيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام، في مجلس الشيخ عبد القادر، ورأيت الملائكة عليهم السلام يحضرون طوائف بعد طوائف، ورأيت رجال الغيب والجان يتسابقون إلى مجلسه، ورأيت الخضر يكثر من حضوره، فسألته، فقال: من أراد الفلاح فعليه بملازمة هذا المجلس)[٢]، ومنها ما ذكره صاحب «المشرع» في ترجمة علي بن علوي وهو يتكلم عن فضائل زوجته قال: (وحكي أن أمها الشريفة خديجة بنت محمد بن أحمد لما حملت بها أتاها الخضر عليه السلام، وقال: جئت زائراً لحملك، فقالت: أتدري ما هو ذكر أو أنثى؟ فقال: ما لي عليه تصرّف، وأعطاها شيئاً من مسك الجنة)[٣].

ومنها ما حكاه صاحب «المشرع» في ترجمة محمد بن أحمد ابن الأستاذ الفقيه المقدم: قال: (وكان يحب الاجتماع بالخضر عليه السلام، وكانت عادته يوم الجمعة أنه يمكث معتكفاً في المسجد حتى يأتي إليه من يقوده إلى الجامع، فجاءه الخضر يوماً وقاده حتى أدخله الجامع والناس ينظرونه ولا يرون معه أحداً فسألوه عن ذلك، فعرف أنه الخضر)[٤].

قلت: انظر إلى الدليل على أن ذلك الشخص هو الخضر، فالرجل كان ضريراً وجاء حسبما ذكر من يقوده إلى المسجد، فدخل المسجد والناس يرونه وحده، فلما سألوه من جاء به عَرف أو عُرف أنه الخضر، من الذي عرَّفهم؟ ولِمَ لا يكون كشأن كثير من العميان يستطيعون المشي ودلالة الطريق بدون قائد؟ ولِمَ لا يكون القائد إذا صح وجوده جنياً؟.

(١) «تذكير الناس» ص(٥١ ـ ٥٢).
(٢) «شرح العينية» ص(١٠١).
(٣) «المشرع» (٢/٢٢٨).
(٤) «المشرع» (١/١٧٥).

ومن تلك الحكايات ما ذكره بافضل عن أحمد بن حسن العطاس أنه قال: (خرج بعض الأولياء فرأى الخضر مع الكفار في حرب يسحب مدافعهم بسلسلة، فقال له: كيف هذا الحال؟ فقال الخضر: أمر اقتضته القدرة الإلهية بانسرع عليه)[(١)].

وهذه الحكاية ربما لو قرأها كثير من الناس لحكموا على فاعلها بالزندقة، حيث تجعل الأمة تستكين للكفار وترضى باستيلائهم على بلاد المسلمين باعتبار أن ذلك أمر اقتضته القدرة، ولسنا نظن ذلك بالسيد أحمد العطاس ولا بالشيخ بافضل، فبرغم ما آخذه عليهما من انحراف وخرافة واعتقادات باطلة إلا أنني لا أظن بهما الزندقة والنفاق مطلقاً، ولكنها الثقة الزائدة بمن حدثوا بذلك من دجاجلة الصوفية وتأثير التربية الصوفية تربية (سلِّم تسلَم) وقاعدة:

وإذا لـم تـرَ الـهـلال فـسـلِّـم لأنـاس رأوه بـالأبـصـار

**المطلب الرابع: إبطال دعوى القوم في ولاية الخضر عليه السلام وحياته ورؤيتهم له:**

قد تقدم ما يفيد ذلك في المطلب الأول، وأفرد هنا بعض الأدلة الأخرى والنقول عن أهل العلم في إبطال ذلك، فأول ما تمسك به القائلون بولاية الخضر هو ما فهموه من قصة الخضر مع موسى، كما جاءت في سورة الكهف. قالوا: إن موسى اعترض على الخضر وأنكر عليه، حيث قال حينما خرق السفينة: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] وحينما قتل الغلام: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] ولو كان نبياً لما أنكر عليه موسى ذلك؛ لأن النبي معصوم وموسى يعلم ذلك، فدل على أنه ولي وليس بنبي؛ لأنه لا يمكن أن ينكر موسى على من يعلم أنه نبي معصوم.

والدليل الثاني: أن الله لم يعلم موسى بنبوة الخضر، ولو كان نبياً لأخبره حتى لا يقع الإنكار على المعصوم، إذ الإنكار على المعصوم تضليل له والمضلِّل للنبي كافر.

والدليل الثالث: وهو أول دليل على عدم نبوته، رؤيا رآها إبراهيم التيمي رحمه الله فإنه تلقى كلمات من الخضر، وكان الخضر سمعها من جبريل حين لقنها للنبي ﷺ، فسأل إبراهيم في نومه النبي ﷺ عما ذكر الخضر فقال له: صدق الخضر إلى أن قال له: هو سيد الأولياء[(٢)].

---

(١) «الرحلة المكية» ص(٥١) لأحمد بن حسن العطاس، جمع محمد بن علي بافضل، ضمن «مجموع كلام الحبيب أحمد بن العطاس».

(٢) بتصرف يسير من «تقديس الأشخاص» (٣٨٩/١)، وهو نقلها عن «جواهر المعاني» للتيجاني.

(وهذه الاستدلالات لا تنهض لتجعل الخضر مجرد ولي خال من النبوة لما يأتي:

١ ـ لقوة الأدلة القاضية بكونه نبياً لا مجرد ولي، وستأتي هذه الأدلة في حينها إن شاء الله تعالى.

٢ ـ أن الدليل الأول والثاني لا يتم الاستدلال بهما على نفي نبوة الخضر إلا بعد إثبات أنه يلزم لزوماً أن النبي لا بد أن يكون عالماً بجميع أنبياء الله تعالى، وهذا أمر لم تؤيده الأدلة.

**أما أولاً:** فلأن محمداً ﷺ سيد البشر لم يتوفر له العلم بسائر الأنبياء فكيف بغيره؟ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

**وأما ثانياً:** فلأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرف الخضر، وكذلك الخضر عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرف موسى، لذلك لما قام موسى خطيباً في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: «بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك»، ولذلك أيضاً لما أتى موسى إلى الصخرة ووجد الخضر فسلَّم عليه، فرد عليه الخضر، ثم قال له: (أنىٰ بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم)[1]. متفق عليه.

ومن تأمل هذا ظهر له:

أ ـ أن موسى لم يكن يعرف الخضر.

ب ـ أنه لم يكن مبعوثاً إليه؛ لأنه كان نبياً إلى بني إسرائيل فقط.

ج ـ أن الخضر كان قد بلغه اسم موسى وخبره، ولم يكن يعرف عينه، ولا شك أنه لو كان واحداً من أفراد أمة موسى لوجب عليه أن يبحث عنه ويتبع دينه قبل هذه الحادثة وبعدها.

٣ ـ أما المنامات فهي تجارة غير نافقة في سوق المناقشات العلمية.

قال الإمام الشاطبي: إن الشريعة حاكمة لا محكوم عليها، فلو كان ما يقع من

---

(١) «البخاري مع الفتح» (٦/ ٤٣١)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، و«مسلم مع النووي» (١٥/ ١٣٧)، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام.

الخوارق والأمور الغيبية حاكماً عليها بتخصيص عموم، أو تقييد إطلاق، أو تأويل ظاهر، أو ما أشبه ذلك لكان غيرها حاكماً عليها، وصارت هي محكوماً عليها بغيرها، وذلك باطل باتفاق)(١).

**وأما القضية الثانية:** وهي قضية استمرار حياته إلى الآن، فقد استدل القائلون بها بنوعين من الأدلة:

**النوع الأول:** أحاديث وآثار.

**والنوع الثاني:** إخبار الجم الغفير من الصالحين بأنهم رأوه، ونحن نناقش كل نوع على حدة.

أما النوع الأول: **وهو الأحاديث والآثار، فقد صرَّح علماء الحديث المعنيون به أولو الدراية بتصحيحه وتضعيفه بأنه لا يصح منها شيء سوى أثر واحد، سيأتي نصه ومناقشة إسناده.**

يقول الإمام ابن الجوزي في موضوعاته بعد أن روى حديثين فيهما التقاء الخضر وإلياس كل موسم، كما روى حديثاً فيه التقاء جبريل وإسرافيل مع الخضر يوم عرفة، ثم قال: (قلت: وأما حديث اجتماعه مع جبريل ففيه عدة مجاهيل لا يعرفون، وقد أغرى خلق كثير من المهووسين بأن الخضر حيّ إلى اليوم، ورووا أنه التقى بعلي بن أبي طالب وبعمر بن عبد العزيز، وأن خلقاً كثيراً من الصالحين رأوه، وصنف بعض من سمع الحديث ولم يعرف علله كتاباً جمع فيه ذلك، ولم يسأل عن أسانيد ما نقل، وانتشر الأمر إلى أن جماعة من المتصنعين بالزهد يقولون: رأيناه وكلمناه فوا عجباً! أَلَهم فيه علامة يعرفونه بها؟ وهل يجوز لعاقل أن يلقى شخصاً فيقول له الشخص: أنا الخضر فيصدقه؟)، ثم ذكر أثراً عن علي بن أبي طالب أنه لقي الخضر متعلقاً بأستار الكعبة... إلخ. ثم قال: (هذا حديث لا يصح، ومحمد بن الهروي مجهول، وابن ـ محرر ـ [محرز] متروك.

وقال أحمد: ترك الناس حديث عبد الله بن ـ محرر ـ [محرز].

وقال ابن المنادي: لقيته وكانت بعرة أحب إلي منه)(٢)، وقد ضعفه ووهّاه العراقي في (المغني عن حمل الأسفار تخريج الإحياء)(٣).

---

(١) «تقديس الأشخاص» (١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١).

(٢) هكذا أورد ابن الجوزي هذه الأحاديث والآثار في «موضوعاته» (١/ ١٩٥ ـ ١٩٨)، تحقيق عبد الرحمٰن عثمان، طبع مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية سنة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

(٣) انظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٢/ ٧٨٤ ـ ٧٨٥) للعراقي، وابن السبكي =

وقال الإمام ابن القيم في المنار المنيف: (والأحاديث التي ذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد)[١].

وقال الإمام ابن كثير: (وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها من ضعف في الإسناد. وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره؛ لأنه يجوز عليه الخطأ، والله أعلم)[٢].

ويقول الحافظ ابن دحية: (ولا ثبت اجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى، كما قص الله تعالى من خبرهما، قال: وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر ولا يذكر علّته إما لكونه لا يعرفها، وإما لوضوحها عند أهل الحديث)[٣].

بعد هذه الأحكام العامة على الأحاديث والآثار الواردة في حياة الخضر، وأنها لا يثبت منها ما تقوم به الحجة، بعد هذا أرى أن هناك أثرين جديرين بالمناقشة الخاصة؛ لأن كثيراً من القائلين بحياة الخضر يحتجون بهما وهما:

**الأول**: الأثر الوارد في التعزية والذي رواه الحاكم في مستدركه شاهداً لحديث قبله فيه: (صيغة التعزية) متحدة معه من حديث جابر بن عبد الله، وهذا الحديث من حديث أنس رضي الله عنه قال: (لما قبض رسول الله ﷺ أحدق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا، فدخل رجل أصهب اللحية جسيم فصيح، فتخطا رقابهم فبكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «إن في الله عزاء من كل مصيبة، وعوضاً من كل فائت، وخلَفَاً من كل هالك، فإلى الله فأنيبوا وإليه فارغبوا، ونظرة إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يجبر، وانصرف، فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر وعلي: نعم هذا أخو رسول الله ﷺ الخضر عليه السلام). ثم قال الحاكم: (هذا شاهد لما تقدم وإن كان عباد بن عبد الصمد ليس من شرط هذا

---

= والزبيدي، استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، طبع دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

(١) «المنار المنيف» ص(٥٠).

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣٤).

(٣) نقله عنه الحافظ ابن حجر في «الزهر النضر في نبأ الخضر» ص(٢٠٣) ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» إدارة الطباعة المنيرية (١٣٤٣هـ).

الكتاب)[١]، فالحاكم لم يصحح الحديث كعادته، وإنما جعله شاهداً للحديث قبله في لفظ العزاء فقط دون ذكر الخضر، وبيَّن علته وهي وجود عباد بن عبد الصمد في سنده، وهو واهٍ لا يجوز الاحتجاج بخبره حتى عند من يقول بقبول الضعيف في فضائل الأعمال، فليس فيه حجة على حياة الخضر.

**أما الأثر الثاني**: فهو منسوب إلى عمر بن عبد العزيز حيث دخل المسجد وهو متكئ على شيخ ثم سُئل عنه فقال: إنه الخضر، وقد رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في «المعرفة والتاريخ» قال: (حدثني محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا ضمرة عن السري بن يحيى عن رياح بن عبيدة قال: رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه، فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جاف، قال: فلما انصرف من الصلاة قلت: مَن الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفاً؟ قال: وهل رأيته يا رياح؟ قلت: نعم. قال: ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً، قال: ذاك أخي الخضر بشّرني أني سألي وأعدل)[٢].

وفيه محمد بن عبد العزيز الرملي قال فيه الحافظ: (صدوق يهم، وكانت له معرفة)[٣]، وقال ابن الجوزي: (هو مجروح عند العلماء)[٤]، وقال أبو حاتم: (كان عنده غرائب ثم لم يكن عندهم بالمحمود، هو إلى الضعف ما هو)[٥]، وقال أبو زرعة: (ليس بالقوي)[٦].

وقال الفسوي: (حافظ)[٧]، قلت: وصف (حافظ) لا ينافي الجرح إذ قد يكون الطعن من جهة العدالة، ثم قول ابن حجر أنه يهم معارض لوصفه بالحفظ، ولعل هذا الأثر من غرائبه التي أشار إليها أبو حاتم.

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٦٠٥)، وكذلك رواه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٣/ ٦)، وقال: (وفيه عباد بن عبد الصمد أبو معمر ضعفه البخاري). قلت: قال فيه: منكر الحديث، وقال مرة: «فيه نظر» ولا يقول هذه العبارة إلا في المتهم عنده غالباً، قال ذلك الذهبي، ووهاه ابن حبان، وقال الذهبي في حديث من منكراته: «هذا إفك مبين». انظر: «الميزان» (٢/ ٣٦٩)، تحقيق علي محمد البجاوي، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥٧٧) ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، وعزاه المحقق إلى ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز.

(٣) «التقريب» ص(٨٧٢) رقم الترجمة (٦١٣٣).

(٤) نقله عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٣٣٤).

(٥) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ٨).

(٦) المصدر السابق (٨/ ٨).

(٧) «الميزان» (٣/ ٦٢٨).

نعم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا أصلح إسناد وقفت عليه في هذا الباب)[١]، وهذه العبارة لا تدل على تصحيح الأثر، لما قرر في كتب المصطلح أن قول المحدث: هذا أصح شيء في الباب ونحو ذلك من العبارات، لا تدل على تصحيح الحديث وإنما تدل على أن غيره أشد ضعفاً منه، ثم النكتة الثانية أنه قال ذلك في الإسناد، وهو لو صرَّح بصحة الإسناد فلا يعتبر تصحيحاً للمتن، فكيف وعبارة (أصلح) التي تشعر بالتوهين أكثر من إشعارها بالتصحيح. وإذا عرفت هذا فإن المتن لا يصح لعدة أمور:

منها: أنه مخالف لنص القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، (فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله)[٢]، وأكد ذلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال في تفسير الآية المذكورة: (فقوله (لبشر) نكرة في سياق النفي فهي تعم كل بشر؛ فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله، والخضر بشر من قبله، فلو كان شرب من عين الحياة وصار حياً خالداً إلى يوم القيامة؛ لكان الله قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد)[٣].

ومنها: أن غاية ما في أثر عمر بن عبد العزيز إخباره أن ذلك الشخص الذي كان متكئاً عليه هو الخضر، ومن المحتمل أن يكون ذلك الشخص من الجن، وعمر مع جلالته ليس معصوماً من الخطأ أو أنه كذب عليه بقوله: «أنا الخضر»، وليس للخضر علامة يعرف بها، والإنسان مهما علا قدره ليس معصوماً من تلاعب الشيطان، فكيف مع كل هذه العلل في السند والمتن يحتج بذلك، وقد ذكر الشيخ محمد بن أحمد لوح عدداً آخر من الأدلة على موت الخضر وردّ هذا الأثر، آثرت تجاوزها للاختصار فمن شاء التوسع فعليه بالرجوع إليه[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) «الزهر النضر» ضمن الرسائل المنيرية (٢/ ٢٣١).
(٢) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣٤).
(٣) «أضواء البيان» (٤/ ١٦٤).
(٤) انظر ذلك في: «تقديس الأشخاص» (١/ ٤٠١ ـ ٤١٠).

# الفصل الثاني

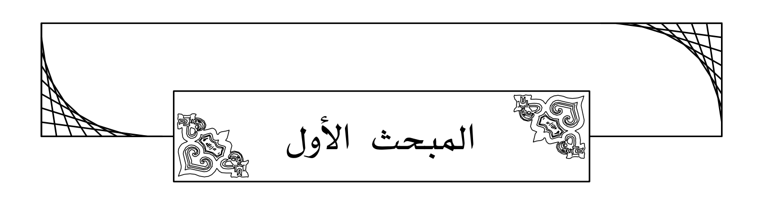
## تعظيم القبور

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة.

**المبحث الثاني:** ظاهرة البناء على القبور وإسراجها وإلباسها.

**المبحث الثالث:** الزيارات القبورية.




## اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة

### وفيه ستة مطالب:

**المطلب الأول: اعتقادهم تعظيم وبركة مقابر مخصوصة:**

منذ أن بدأ المتصوفة تعلقهم بالقبور وقالوا قولتهم المشهورة: (قبر معروف الكرخي الترياق المجرب) وهم يتوسعون في الانحراف، ويتيهون في الضلال، ويضيفون الجديد من الدجل والخرافة، ينسبون بهما الفضائل والفواضل إلى قبور أوليائهم، فحيناً تعم البركة مقابر بأكملها، وحيناً تخص قبوراً معينة، وهناك مقابر قد عممَّ قبورية اليمن البركات عليها وأعطوها القداسة والتعظيم.

فمن تلك المقابر مقبرة المِسْدَارة بقرية المخادر محافظة إب، قال الجندي في ترجمة علي بن أبي بكر التباعي: (وقبره بمقبرة المخادر وتعرف بالمسدارة بخفض الميم بعد ألف ولام وسكون السين المهملة وفتح الدال المهملة ثم ألف ثم راء مفتوحة ثم هاء، وهي من المقابر المشهورة بالبركة، إذ رأى بعض الصالحين النبي ﷺ وهو في طرفها يزور، وجماعة يسألونه الشفاعة، فقال: هذا خاتمي ذمام على أهل المسدارة من النار. ولما كان مستفيضاً لم يكد أحد من أهل القرية ونواحيها يحب أن يقبر إلا فيها تعلقاً بهذا الأثر)[1]، فانظر إلى هذه الرؤيا كيف أثرت في الناس فصدقوها وعملوا بمقتضاها، حتى إن أهل تلك النواحي لا يقبرون إلا فيها.

ومنها مقبرة الكثيب الأبيض بأبين، قال اليافعي: (وهو كثيب يزوره أهل تلك البلاد وما حولها من البلدان في كل سنة في وقت معلوم في رجب... ويقال: في ذلك المكان قبور بعض الصالحين)[2].

---

(١) «السلوك» (٢/ ١٨٣)، و«طبقات الخواص» ص(٢١٢).

(٢) «مرآة الجنان» (٤/ ٣٥٤).

وقد ذكره كذلك الجندي بشيء من البسط فقال: (وقد تطلع النفوس إلى خبر الكثيب: أما الشأن فيه فهو موضع في أبين عدن، وهو أحد المواضع المباركة في اليمن على ما ذكر الثقة، فيما رواه الرازي مقدم الذكر أن في اليمن أربعة مواضع مباركة بالاتفاق، منها الكثيب الأبيض عند وادي يرامس أرض أبين، ومنها الجند، ومنها زبيد، ومنها نجران، ولم يزل الناس ينتابون الكثيب لا سيما في رجب، ويجتمعون فيه ليلة سبع وعشرين من الشهر ويزعمون أنها سنة العلماء المتقدمين[١]، سُئل بعض فقهاء تلك الناحية من المتأخرين: هل يذكر شيئاً من فضله؟ فقال: لا أعلم إلا أني رأيت وسمعت الإجماع منعقد على قصده وزيارته وما يكون مجاناً عن باطل)[٢].

ومنها مقابر تريم الثلاث: زنبل، والفريط، وأكدر، والتي يجمعها اسم شامل هو «بشار» للثلاث التُربَ، وهذه المقابر قد بلغ فيها الغلو مبلغاً لم تبلغه أي مقبرة أخرى في اليمن، واسمع إلى فضلها من مؤرخ القوم وناشر مناقبهم وفضائلهم بغثها وسمينها وعُجرها وبُجرها المؤرخ الشلي في مشرعه: (وأما مقابر مدينة تريم فأعظمها وأحقها بالتقديم مقبرة «زَنْبَل» بفتح الزاي وسكون النون وفتح الموحدة آخرها لام، وهي مقبرة السادة الأشراف، وفيها من العلماء العاملين والأولياء والصالحين ما لا يحصى، وكان الشيخ عبد الرحمٰن السقاف يقول: «فيها من أكبر الأولياء أكثر من عشرة آلاف، وفيها ثمانون قطباً من الأشراف»، ونحو ذلك حكي عن الشيخ الولي سعد بن علي، ويقال: إن فيها عصبة من الصحابة ﷺ أرسلهم الصديق الأكبر رضي الله عنه لقتال أهل الردة مع زياد بن عبيد[٣] الأنصاري فمات كثيرون منهم بتريم ولم نعرف قبورهم، لكن حكي عن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف أنه قال: إن قبورهم شرقي قبر الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم بنحو رمية حجر، وذلك بقرب مشهد العارف بالله أبي بكر باشميلة رضي الله عنه ونفعنا بهم، (وبالجملة) فهي بقعة تأرجت بطيب تربها وأشرقت أرضها بنور ربها.

(الثانية) مقبرة الفريط تصغير فرط وهو كما في القاموس: الجبل الصغير أو رأس الأكمة والعلم المستقيم يهتدى به، جمعه أفرط وأفراط سميت باسم الجبل الذي بقربها وهي مقبرة آل بافضل والخطباء وغيرهم من مشايخ تلك الجهة، وفيها

---

(١) في الأصل: «المتقدمون» وهو خطأ. (٢) «السلوك» (٢/ ٦١٥).

(٣) كذا في الأصل والمعروف «زياد بن لبيد».

أيضاً من العلماء والفضلاء والأولياء ما لا يحصى، وحُكيَ عن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف أن فيها أكثر من عشرة آلاف ولي، وقد شاهد كثير من أهل الكشف أن الرحمة أول ما تنزل من السماء على هذه المقبرة ثم تعم سائر الجهات.

وحُكيَ عن عبد الرحمٰن السقاف وحكاه السيد الجليل عبد(١) بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ الأعظم عن بعض مشايخه بمكة أنهما قالا: إن تحت الفريط الأحمر روضة من رياض الجنة، وحُكيَ عن غير واحد من الأولياء أنه شاهد نوراً ساطعاً على قبور الخطباء لاحقاً بعنان السماء، وعن الشيخ حسن الورع بن علي أنه قال: من نظر منارة الجامع والفريط حتى سفر(٢) عليه لم يكتب عليه ذنب، وكان بعض الأولياء العارفين يقول: من وقع ظل الفريط عليه لم تمسه النار؛ ولأجل هذا يحرص أهل البلدان على أن تكون مقابرهم حذاء الفريط المذكور حيث يقع ظله عليها.

(الثالثة) مقبرة أَكْدَر بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح المهملة فراء، وتسمى هذه المقابر الثلاثة «بشَّار» بفتح الموحدة وتشديد المعجمة آخره راء وهو اسم الواقف لها، وهذه المجنات مشهورة بالبركات، في كل واحدة منها جم غفير من الأولياء العارفين ظاهرين ومستورين، من آل بصرى وجديد وعلوي، ومن آل بافضل، والخطباء، وآل باحرمي، وآل بامحسون، وآل بامروان، وآل باعيسى، وآل باعبيد، وغيرهم، إلا أن كثيراً منهم لا يعرف عين قبره بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنه المتأخرون لأمور منها: أن يعرف الميت هل بُلي أو لا؟ لأن المشهور عندهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين سنة أو نحوها، ومنها أن يعرف صاحب القبر ليزار، ويتبرك به، ويدفن عنده أقاربه، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة، وكان الشيخ محمد بن أفلح يقول: مِنْ مسجد عبد الله بن يماني إلى آخر زنبل كلها قبور، ومن ثم يقع لكثير من المشايخ أنه يخلع نعليه إذا جاوز المسجد المذكور، وقد كان كثير من أهل الكشف يشاهدون البركات الظاهرة والأنوار الباهرة في هذه الجنان، وشاهد غير واحد منهم أنهم على غاية من النعيم والنور الجسيم، ورأى جماعة رسول الله ﷺ يزورهم، وكذا الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وحكي أن الشيخ أبا سعيد قرأ سورة هود فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، جعل يردد الآية ويتفكر، ثم قال: يا أهل القبور ليت

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

شعري من الشقي منكم ومن السعيد؟ فأجابه الإمام العارف بالله تعالى أحمد بن محمد بافضل من قبره بقوله: امض يا سعيد في قراءتك ليس فينا شقي، وقيل: إن الذي أجابه هو الشيخ مسعود بن يحيى باحرمي ولعل الواقعة تعددت.

وحُكيَ عن الشيخ الزاهد الورع السيد حسن بن علي، وكان من أهل الكشف أنه قال: سأل رجل من أهل الفريط رجلاً من أهل زنبل عن أهل مقبرته فقال: خيلنا تحمل رجلنا، وسأله عن أهل مقبرته فقال: زنادقتنا[1] حشو جنتنا.

وللشيخ الإمام علي بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن السقاف:

| | |
|---|---|
| وكم بدور بذاك الحي قد برزت | تمد زوارها من فيضها الزخر |
| وكم عز بيته الأسرار قد غمرت | بفضل هطالها الزوار كالمطر |
| وذات دن دنت ترمي يحس بها | زوارها في سواد الليل والسحر |
| وذات أكدر للأكدار مجلية | تشفي بمرهمها الزوار عن ضرر |
| وارجع إلى ذكر وتوحيد ومعرفة | خصوا بها صفوة صُفُّوا عن الكدر |
| وامنحوا من عظيم الفضل كم منح | وكم عطايا وكم جود وكم غمر |
| وكم حقائق توحيد لها وهبوا | وكم جواهر أنوار وكم درر |
| وكم مواقيت أسرار ومعرفة | وكم تماكين تصريف وكم قدر |
| شيوخنا في بحار من حقائقها | قد مكنوا الكل بالأسرار والسير |
| حظوا وخصوا بجاه لا يحد له | وسع ولا فضلهم يحصى بمستطر |
| رسوخ أقدامهم يحكي رواسيها | أسود نهام تحمي الجار عن ضرر |
| بحور علم شموس في دياجرها | تهدي الضوائل والسلاك في السفر |
| أئمة الدين آل المصطفى فلهم | مكارم عدها يربو على الزهر |
| وراث طه على التحقيق أن لهم | محاسن أدهشت ألباب ذي الفكر |
| أولو الصفا والوفا أجناد خالقهم | أولو العبودة حقاً صفوة البشر |
| هم عمدة الكون أحبار العلوم بهم | باهى المهيمن للأملاك في الخبر |
| فلا مزيد على مدح الإله لهم | وذكره فضلهم في الآي والسور |
| فالقحط عنا مع البلوى يزال بهم | أيضاً وفي الجدب نُسقىٰ وابل المطر |
| وهم بدور لنا في كل مظلمة | وهم لنا عمدة في اليسر والعسر |

---

(١) زنادقتنا هنا ليس على أصلها المعروف عند العلماء ولكن المقصود: الظرفاء والمهرّجون.

قوم إلى الله طاروا عن هياكلهم حتى دنوا من رياض القدس والقدر
أهل التقى والنقى طابت مغارسهم فأينعت بثمار القصد والظفر
فحسِّن الظن واعتمد يا أخي بهم كي في معاد تفز بالأمن والوطر
واقصد رضى الله في الدنيا بحرمتهم لعل تحظى بحور الخلد والظفر

وقال الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس:

في جنان بشَّار خيامهم قد طنبت والأخدار
كم بها من أقمار[1] تلألأت أنوارهم بالأقطار

قال:

ولم يزل عني الكدر إلا إذا زرت آل أكدر
وأهل الفريط المشتهر وقبر الشيخ المنور
العيدروس بحر الدرر ليث الضراغيم الغضنفر)[2]

فانظر إلى هذه الخصائص والفضائل وما جعل فيها من كرامات ينالها الزوار ويحصل عليها الراغبون، أفلا يحمل ذلك ضعاف العقول على التعلق بهذه المقابر ومَنْ فيها، واعتقاد النفع والضر فيهم؟.

وغير مقابر تريم هناك مقابر أخر في حضرموت مباركة مجربة ـ هكذا يزعمون ـ، يقول الشلي: (والمقابر المشهورة في حضرموت أربع: مقبرة تريم، ومقبرة شبام، ومقبرة الهجرين، ومقبرة الغيل الأسفل)[3].

**المطلب الثاني: اعتقادهم بركة قبور معينة بركة عامة:**

لن أستطيع ولن يستطيع أي باحث حصر وإحصاء القبور التي أُطلِق عليها المدح والثناء، ونسبت إليها البركات، وما يضيء منها من الأنوار، وما يفوح منها من الروائح العطرية والمسكية، وما يتحقق لزائرها من الأنس والارتباط، ثم نجاح الحاجات وتفريج الكربات، إن إحصاء ذلك أمر غير متيسر قطعاً، ولكنني سأكتفي بذكر بعض ذلك ومن أماكن متفرقة من اليمن.

وأول تلك الأماكن «زبيد» فقد ذُكر عن كثير ممن قُبِرَ بها من الصالحين الثناء على قبره ونسبة الكثير من الفضائل إليه، وأكثر ما ذكر من ذلك عن قبور بمقبرة «باب

---

(١) في الأصل: «قمار».
(٢) «المشرع» (١/١٤٦ ـ ١٤٨).
(٣) «المشرع» (١/١٤٨).

سهام»، ومقدمو تلك المقبرة سبعة نفر، قال الشرجي في ترجمة إبراهيم الفشلي: (وقبره بمقبرة باب سهام، من مدينة زبيد من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، وهو أشهر السبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيام متوالية قضيت حاجته، وهم هذا الفقيه إبراهيم والشيخ أحمد الصياد، والفقيه عمر بن رشيد، والشيخ مرزوق بن حسن، والشيخ علي بن أفلح، والشيخ علي المرتضى، وفي السابع اختلاف، فمن الناس من يجعله أحد بني عقامه ومنهم من يجعله الشيخ أحمد المعترض، ومنهم من يقول غير ذلك، والله أعلم)[١].

وقد نظم هؤلاء السبعة بعضهم، فقال:

| | |
|---|---|
| بباب سهام سبعة من مشايخ | لقاصدهم ذخر وكنز لمقلل |
| فيونس إبراهيم مرزوق جبرتي[٢] | وأفلح صياد كذا ابن الرضى علي |
| زيارتهم نجح لكل حوائج | وفي الخلد سكنى للذي زار مقبل[٣] |

ولأن هذه مفخرة عند القوم لمدينة زبيد قد تسمو بها على غيرها من المدن؛ لم يرتضِ أهل تريم ذلك، بل عارضوهم بذكر ما في مقابر تريم من فضائل وفضلاء، قال الشلي بعد أن نقل تلك الأبيات: (فعارضه الإمام مبدي العلوم الغريبة والأخبار العجيبة الشيخ علي بن أبي بكر فقال:

| | |
|---|---|
| تريم بها منهم ألوف عديدة | بساحة بشار شموس الورى قبل |
| زيارة كل منهم صح أنها | لما شئت من جلب ودفع تحصل |
| وإن قيل ترياق ببغداد جربا | ففي ربع بشار شفا كل معضل |
| ويا حبذا ذاك الفريط وظله | فكم قد حوى من كامل السر منهل |
| فكم معدن كم مورد كم معظم | وكم حبر تحقيق وشيخ مدلل |
| وبلبل قلبي نفح مسك بزنبل | بها من كنوز السر كم من مجلل |
| وكم جهبذ فيها بنوا كدربها | بهم ينزل الله الغيوث لممحل |
| فلا تحتقرها رب أشعث خامل | سما سره فضلاً على كل معضل)[٤] |

---

(١) «طبقات الخواص» ص(٤٥).

(٢) كذا في الأصل: «ولست أدري من يعني».

(٣) «المشرع» (١/١٤٨)، وقد اختلفت بعض الأسماء ولا أراه يضر إذ المقصود إثبات العقائد الضالة في ذلك وليس تعيين الأسماء.

(٤) «المشرع» (١/١٤٨).

وإليك بعض القبور المفردة التي ذكرت لها بعض البركات والأسرار وتعلق بها الناس واعتقدوا فيها العقائد الضالة:

ومن مدينة زبيد أيضاً: قال الشرجي: (ومن ذلك رجل بمقبرة باب النخل يقال له المُلَبّك، بضم الميم وفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وآخره كاف، ما كان يعرف ولا سمعنا به إلا في هذا الزمان، ذكر رجل من عوام أهل زبيد أنه نبهه عليه إنسان وهو في المنام وقال له: إن صاحب هذا القبر من الأولياء، وإن من لازمه في حاجة قضيت، وشاع هذا في أهل البلد، حتى صار لهم فيه معتقد عظيم، يزورونه ويتبركون به، لا سيما العوام والنساء فإنهم يخرجون في ذلك عن الحد)(١).

وكذلك يقول الشرجي في ترجمة عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال: (وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به)، ثم ترجم لولد له وقال في آخر ترجمته: (ودفن عند والده وقبره يزار، ويتبرك به، على تربتهم أنس ظاهر وبركة)(٢)، وفي ترجمة إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي قال: (ودفن بمقبرة باب سهام من مدينة زبيد، وله هنالك مشهد عظيم لم يكن في تلك المقبرة أعظم منه، عليه أثر النور والبركة ظاهر)(٣).

## نماذج من القبور المعظّمة في محافظة تعز:

قال الشرجي في ترجمة أحمد بن علوان: (ودفن في قريته قرية «يَفْرُس» بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الفاء وضم الراء وآخره سين مهملة، وهي على نحو مرحلة من مدينة تعز، وقبره بها ظاهر معروف مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة لا سيما في آخر جمعة من شهر رجب، فإن أهل تلك النواحي يقصدونه من كل موضع؛ أهل تعز وغيرهم ويخرجون بالنساء والأولاد، وقرية الشيخ المذكور محترمة، ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه)(٤).

وفي ترجمة الفقيه الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي قال الشرجي: (وقبره بالمقبرة القريبة من مدينة الجند مشهور مقصود للزيارة والتبرك، قال الجندي: لم أرَ في اليمن تربة تتجدد معرفتها ويكثر زوارها كتربة الفقيه زيد، ولا تكاد تخلو تربته من زائر، وقلما قصدها ذو حاجة إلا قضيت حاجته، قال: ولقد أخبرني جمع لا يمكن

---

(١) «الطبقات» ص(٤١٨).
(٢) المصدر السابق ص(١٩٥).
(٣) المصدر السابق ص(١٠٦).
(٤) المصدر السابق ص(٧١).

تواطؤهم على الكذب بأخبار يطول شرحها في ذلك نفع الله به وبسلفه آمين)[١].

قلت: هل يقصد الجندي أن ذلك متواتر بالمعنى الاصطلاحي؟ إن كان كذلك فممن أخذ هذا الجمع؟ إنه في الغالب عن جماعة من تجار الخرافة والكرامات.

وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن ظفر الشميري قال الجندي: (وقد بلغتُ تربته قاصداً للزيارة، فأقمت عنده أياماً وإلى جنبه قبر امرأته المذكورة، قال: وببركته لم تزل تربته محترمة ما قصدها أحد بسوء إلا خذله الله تعالى، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته مقصداً للزيارة وقضاء الحوائج التي تطلب من الله تعالى وكثرة النذور وغير ذلك، وفي ليلة الرغائب من شهر رجب يجتمع عندها خلق ناشر. قال: وتراب تربةِ الفقيه يشم منه ريح المسك نفع الله به)[٢].

قلت: أما رائحة المسك التي تكررت ولا تزال في ترب كثير من المقدسين فإنها لعبة من لعب السدنة، يصبون الروائح العطرية على التراب ليوهموا الزوار بأن ذلك من ريح التربة والقبر المقدس.

## نماذج من قبور إب:

منها قبر الشيخ علي بن عمر قال الجندي في ترجمته: (وتربته من الترب المشهورة في البركة واستجابة الدعاء، ومن عجيب بركتها ما أخبرني بعض الثقات من أهل العناية والبحث عن أحوال هذا الرجل وأمثاله أنه كان على قبره شجرة سدر يتبرك بها الناس ويأخذ أصحاب الحموات من أوراقها يطلون بها رؤوسهم فيبرأون، واستفاض ذلك في جهات كثيرة حتى كان يؤتى لذلك من الأماكن البعيدة، ويُعْتمد في الأمراض الشديدة، ومن عادات أهل إب في غالب الأعياد أن يحصل بينهم وبين أهل باديتهم حروب كثيرة كما هو متحقق فلا يألو من ظفر منهم بصاحبه غير مفكر بالأذية بقتل أو غيره، فحصل في بعض الأعياد حرب انتصر بها أهل البادية فانهزم أهل إب إلى البيوت، ووصل أهل القرية إلى قريتهم ولم يطيقوا دخولها، فقال بعض شياطينهم: اذهبوا بنا إلى هذه الشجرة التي يعبدونها، ولنعقرها عليهم فلا ينتفعوا بها فنهاهم العقلاء وأسرع إلى ذلك الجهلاء، فضربوا العلبة بفأس حتى أوقعوها الأرض وألقى الله بقلوب أهل المدينة القوة والأنفة فخرجوا مسرعين نحوهم فهزموهم هزيمة

---

(١) «الطبقات» ص(١٣٨).

(٢) «السلوك» (٢/٢٦٣). وانظر: «طبقات الخواص» ص(٣٠٢).

شنيعة وقتلوا منهم جمعاً أولهم عاقر الشجرة، وحين وقع هبّروه بالسيوف تهبيراً عظيماً، وتعرف هذه التربة بتربة من سمع النداء بالصلاة عليه في الحرم ولم ير المنادي)[١].

ومنها قبر محمد بن عبد الله الهمداني بناحية السحول، قال في ترجمته الشرجي: (وقبره في الرباط المذكور مقصود للزيارة واستنجاح الحوائج)[٢].

ومنها قبر يحيى بن أبي الخير الإمام المشهور قال الشرجي في ترجمته: (وكانت وفاة الشيخ يحيى بقرية ذي السفال كما قدمنا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقبره هنالك من القبور المشهورة في اليمن المقصودة للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج، وله عند أهل الجبال كافة مكانة عظيمة، ولهم فيه معتقد حسن، ويروون له كرامات كثيرة، ويتوجهون به في مهماتهم، ويستغيثون به في ضروراتهم، وهو كذلك وفوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به)[٣].

## من قبور لحج وأبين:

منها قبر أبي الحسن علي بن الحسن الأصابي، قال الشرجي في ترجمته: (تُوفي سنة سبع وخمسين وستمائة بقرية المحْفَد بفتح الميم والفاء وسكون الحاء المهملة بينهما وآخره دال مهملة، وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به، ويوجد منه رائحة المسك خصوصاً ليلة الجمعة، ذكر ذلك الجندي رَحِمَهُ اللَّهُ)[٤].

ومنها قبر عبد الله بن علي بن حسن بن الشيخ علي، قال الشلي: (ولقي ربه سنة سبع وثلاثين وألف في قرية الوهط الشهيرة، وقبره بها كالشمس وقت الظهيرة مقصود بالزيارات وقضاء الحاجات ونيل المطلوبات، ومن استجار به نجا من جميع المخاوف والردى، وعمل الباشا محمد باشا على قبره قبة عظيمة)[٥].

## من قبور عدن:

منها قبر أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الباطل الصريفي، قال الشرجي في ترجمته: (. . . حتى توفي بها ـ عدن ـ وتربته هنالك من الترب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه، ولأهل

---

(١) «السلوك» (١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧).
(٢) «الطبقات» ص(٣١٩).
(٣) المصدر السابق ص(٣٦٥).
(٤) المصدر السابق ص(٢١٣).
(٥) «المشرع» (٢/ ١٩٣).

عدن فيه معتقد عظيم، وله عندهم محل جسيم، وهو فوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به)[١].

ومنها قبر الشيخ عبد الله بن أحمد العراقي، قال الشرجي في ترجمته: (ولأهل عدن فيه معتقد حسن، وله هنالك تربة معظمة)[٢].

ومنها قبر الشيخ جوهر بن عبد الله، قال الشرجي في ترجمته: (وتربته هنالك من أكبر الترب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه، ومن تعدى إلى ذلك عوقب عقوبة معجلة، وقد جرّب ذلك غير مرة، ولم أتحقق تاريخ وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ ونفع به آمين)[٣].

**من قبور شبوه:**

قبر الشيخ محمد بن عمر الحباني (وهو يقع على مكان مرتفع في المقبرة الحبانية القديمة فوق طين الجديدة، وبجانبيه بعض أولاده وأحفاده وقبورهم منورة ومقصودة بالزيارة)[٤].

قبر الشيخ أبي بكر بن إسماعيل بن محمد بن عمر الحباني (وهو في مجرى السيل في شعب الشقب، ويمر الماء من حواليه دون أن يأخذ منه شيئاً، وقد كان أهل البلاد أيام الاستسقاء يتوسلون به إلى الله، ولا يأتي الليل إلا ويأتيهم الغيث بإذن الله، وقد حضرنا هذا مراراً ونحن صغار)[٥].

قبر الفقيه علي بن محمد بن عمر الحباني صاحب الحوطة، قال المحضار: (ودفن بجوار المسجد وقد كانت عليه قبة وانهدمت)[٦]، وقال قبل ذلك: (أخبرني الثقة من أهل الحوطة أن السيد الصوفي محسن بن عبد الله بن عبد القادر المحضار صاحب مرخة جاء إلى الحوطة وكان يزورها دائماً، وليلة دخل إليها بعد العشاء فقدم المسجد بعد أن خرج المصلون، وكان جائعاً ودقّ على التابوت إلى أن خرج إليه قرص حار ولحمة، فأكل نصف القرص واللحمة، ومع الفجر جاء أحد المشايخ الكرام.. وقال للسيد محسن: أعطني من عشاء الشيبة فأعطاه النصف الباقي)[٧].

---

(١) «الطبقات» ص(٢٨٣).
(٢) المصدر السابق ص(٤١٩).
(٣) المصدر السابق ص(١٢١).
(٤) «ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان»، تأليف السيد محمد بن عبد الله بن محمد الحوت المحضار، بدون تاريخ، ولا سنة طبع.
(٥) المصدر السابق ص(٢٥ ـ ٢٦).
(٦) المصدر السابق ص(٣٥).
(٧) المصدر السابق ص(٣٤).

## من قبور حضرموت:

ومنها قبر عبد الله بن شيخ العيدروس، قال الشلي في ترجمته: (وعمل عليه قبة حسنة الباطن والظاهر والنور في أرجائها لائح وباهر)(١)، ومنها قبر الشيخ أبي بكر بن سالم، قال الشلي في ترجمته: (وتربته بها مشهورة كالشمس وسط النهار، تقصده الزوار من جميع الأقطار، بأنواع الأنذار، ومن استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس، لا يقدر أحد أن يناله ببؤس، وبني عليه قبة عالية البناء عظيمة القدر حساً ومعنى)(٢)، ومنها في مدينة الشحر قبر شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف، قال الشلي: (ومشهده في الشحر مشهور وبالأنوار مغمور وبالزيارة معمور)(٣)، ومنها قبر الفقيه المقدم، قال الشلي في ترجمته: (وقبر الأستاذ بمقبرة زنبل المشهورة، وبالزيارة والقراءة معمورة، وقبره بها كالبدر ليلة الكمال، وكالشمس وقت الزوال، مقصود بالزيارة من كل البلاد، ويهرع إليه عند النوائب من كل ناد، ويسعى الناس كل يوم لزيارته سعياً حثيثاً، ويستسقى به قديماً وحديثاً، وكان حفيده الشيخ الإمام عبد الله باعلوي كثير الزيارة له وينشد عنده:

يا دار إن غزالاً فيك هيمني ... لله درك ما تحويه يا دار

لو كنت أشكو إليها حسن ساكنها ... إذن رأيت بناء الدار ينهار

وكان يقول إذا رآه: «كل الصيد في جوف الفراء»، وكان الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد يزوره كثيراً وإذا رأى القبر الشريف قبّله، فقيل له: كيف تقبله وأنت تنهى عن تقبيل القبور؟ فقال: ما صبرت عنه)(٤).

## قبور من نواحٍ مختلفة:

فمن كمرَان قبر الفقيه محمد بن الحسن بن عبد ربه، قال الشرجي في ترجمته: (حتى توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة، ودفن إلى جنب مسجده في الجزيرة المذكورة، وتربته هنالك من الترب المشهورة، مشهورة الفضل، وآثار الفقيه وبركته ظاهرة على ذلك الموضع المبارك، وهو مأوى لعباد الله الصالحين المختفين والظاهرين، وقد تقدم في ترجمة الشيخ أحمد الصياد ما يدل على ذلك نفع الله بهم أجمعين)(٥).

---

(١) «المشرع» (٢/ ١٧٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٩).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١١٥).

(٤) المصدر السابق (٢/ ١٠ ـ ١١).

(٥) «الطبقات» ص(٢٧٨).

ومن قبور بلاد الزيدية قبر الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم المعروف بأبي طير، قال الأكوع في ترجمته: (وقبره معروف يزار ويتبرك به، وقد اندفع عوام الناس يعتقدون فيه اعتقادات باطلة حتى أخرجوه من آدميته، كما ذكر الإمام الشوكاني في رسالته «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ص(١٢) جاء فيها ما يلي:

وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع، والبخور ينفح في جوانبها، وعلى القبر الستور الفائقة فقال عند وصوله إلى الباب: أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين)[١].

ومنها قبر الإمام يحيى بن حمزة بذمار، قال الإمام الشوكاني في ترجمته: (ومات في سنة ٧٠٥ خمس وسبعمائة بمدينة ذمار ودفن بها، وقبره الآن مشهور مزور، ومما شاع على الألسن أنه إذا دخل رجل يزوره ومعه شيء من الحديد لم تعمل فيه النار بعد ذلك، وقد جربت ذلك فلم يصح، وكذلك اشتهر أنه إذا دخل شيء من الحيات قبته مات من حينه)[٢]، ونقل المعلق على الكتاب هذه الأبيات التي كتبت على قبته وهي:

نور النبوة والهدى المتهلهل ... أرسى كلاكله ولم يتحول
في قبة نصبت على خير الورى ... وأشرف في الفخار وأفضل
وعلى الإمامة والزعامة والندا ... والجود والمجد الأثيل الأكمل
وعلى السماحة والرجاحة والنهى ... وعلى المليك الأوحد المتطول
والعالم المتوحد المترهب ... المتعبد المتنفل المتبتل
يحيى بن حمزة نور آل محمد ... لب اللباب من النبي المرسل
كشاف كل عظيمة وملاذ كل ... ملمة ورجاء كل مؤمل
يا زائراً ترجو النجاة من الردى ... عن قبره وضريحه لا تعدل
لذ بالضريح وقف به متضرعاً ... واطلب رضاك من المهيمن واسأل
تحيا بكل فضيلة ووسيلة ... وتنال خيراً من علو المنزل
شرفت ذمار بقبر يحيى مثلما ... شرفت مدينة يثرب بالمرسل

---

(١) «هجر العلم» (٢/ ٧٤٣).

(٢) «البدر الطالع» (٢/ ٣٣٣).

فليهنأ أهل ذمار حسن جواره فيما مضى وكذاك في المستقبل[١]

**المطلب الثالث: اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور:**

تقدم اعتقاد القوم في مقابر معلومة اعتقاداً شاملاً لها كما تقدم اعتقادهم في بعض القبور، وإسباغ الفضائل عليها بدون تخصيص نوع معين من الكرامات التي تدرك لديها، وفي هذا المطلب أذكر إن شاء الله بعض القبور التي قيل: إن الدعاء عندها مستجاب، وما دام أن الأمر مخصوص باستجابة الدعاء فإنني سأقتصر على ذكر القبر واسم صاحبه مع المرجع فقط طلباً للاختصار، إلا ما رأيت في غير إيراد نص كلام المترجم فائدة فإنني سأذكره.

فمن تلك القبور:

ـ قبر أبي الخير الشماحي بزبيد، ذكره الشرجي[٢].

ـ قبر علي بن الحسن الأصابي بأبين (المحفد)، ذكره الشرجي[٣].

ـ قبر محمد بن علي مولى الدويلة بتريم، ذكره الشلي[٤].

ـ قبر أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ، ذكره الشلي[٥].

ـ قبر عبد الله باعلوي، ذكره الشلي[٦].

ـ قبر عبد الله بن محمد بن علي صاحب الشبيكة بمكة، ذكره الشلي[٧].

ـ قبر عقيل بن عمر أبي المواهب بالرباط قرب ظفار، ذكره الشلي[٨].

ـ قبر محمد بن عبد الرحمٰن السقاف، ذكره الشلي في كيفية زيارة مقابر تريم[٩].

**المطلب الرابع: اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور:**

ومن تلك الاعتقادات الباطلة التي يعتقدها القبورية في قبور أوليائهم أن صاحب الحاجة إذا لزم تلك القبور قضيت حاجته، وكأنها هي الواهبة لها أو الواسطة فيها، وكلا الأمرين مبني على ولاية أصحاب تلك القبور وما أعطوا من التصرف في الكون والتوسط بين الله وبين خلقه في إعطاء ما ينفع الناس.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٣٣).

(٢) «الطبقات» ص(٨٤).

(٣) المصدر السابق ص(٢١٣).

(٤) «المشرع» (١/ ٢٠٢).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٤٧ ـ ٤٨).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٧٣).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٢٠١).

(٨) المصدر السابق (٢/ ٢٠٥).

(٩) المصدر السابق (١/ ١٤٩).

فمن تلك القبور قبر محمد بن عبد الله بن يحيى الهمداني قال الشرجي في ترجمته: (وقبره بالرباط المذكور مقصود للزيارة واستنجاح الحوائج)[١]، ومنها قبر مرزوق بن حسن الصريفي، قال الشرجي: (قلّما قصده ذو حاجة إلا وقضيت)[٢]، ومنها قبر الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي، قال الشرجي: (ولا تكاد تخلو تربته من زائر، وقلّما قصدها ذو حاجة إلا قضيت)[٣]، ومنها قبر صاحبي عواجة: محمد بن أبي بكر الحكمي، ومحمد بن حسين البجلي، قال الشرجي في ترجمة البجلي: (وقبره بقرية عواجة إلى جنب قبر صاحبه الشيخ محمد الحكمي، تستنجح بهما الحوائج ويستنزل بهما القطر)[٤]، ومنها قبر محمد العيدروس بن عبد الله بن شيخ بالهند، قال الشلي في ترجمته: (ومن زاره بحسن نية وسلامة طوية أعطي سؤاله ونال مأموله ونواله)[٥]، ومنها قبر أبي الحسن علي بن قاسم العيلف بن هيش بن عمر بن نافع الحكمي، قال الشرجي: (يروى أنه من قرأ عند قبره سورة ياسين إحدى وأربعين مرة لم يقطع بين ذلك بكلام قضيت حاجته كائنة ما كانت، وقد جربتُ ذلك وصح والحمد لله على ذلك)[٦]، ومنها قبر أبي الحسن علي بن عبد الملك بن أفلح، قال الشرجي في ترجمته: (وقبره بمقبرة باب سهام من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج والمطالب)[٧]، ومنها قبر أبي بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري، قال الشرجي في ترجمته: (وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به، ويروى أن من قرأ عند قبره سورة ياسين (إحدى وأربعين) مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت، وقد جرب ذلك وصح)[٨]، ومنها قبر القاضي أحمد بن محمد باعيسى، قال الشلي وهو يتحدث عن كيفية زيارة مقابر تريم: (كالقاضي أحمد بن محمد بن محمد باعيسى، حكي عنه أنه قال: من زارني بنية صادقة، وطلب حاجة ضمنت له قضاءها أو كما قال رضي الله عنه)[٩].

### المطلب الخامس: اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين:

من القضايا المسلَّمة عند القوم أن بعض من ينسبون إلى الصلاح تظل مقابرهم

---

(١) «الطبقات» ص(٣١٩).
(٢) المصدر السابق ص(٣٣٩).
(٣) المصدر السابق ص(١٣٨).
(٤) المصدر السابق ص(٢٦٩).
(٥) «المشرع» (١/ ١٨٦).
(٦) «الطبقات» ص(٢٠٨).
(٧) المصدر السابق ص(٢٠٩).
(٨) المصدر السابق ص(٣٧٨).
(٩) «المشرع» (١/ ١٤٩).

محترمة مبجلة يأمن فيها الملتجئ إليها سواء كان محقاً في التجائه أو مبطلاً، وسواء كان طالبه والباحث عنه محقاً أو مبطلاً، ما دام الاثنان مؤمنين بقداسة تلك البقعة، معتقدين لولاية صاحبها وكراماته التي فيها تأمين اللاجئين إليه، ولكن عندما يأتي من لا يؤمن بقداسة ذلك المحل خصوصاً الطالبين ولا يعتقدون ما يعتقده عامة الأمة فيه؛ فإنه لا يحصل شيء من ذلك. فابن علوان وأبو الغيث بن جميل والعيدروس وعلي بن حسن العطاس وغيرهم كثير؛ قيل في تراجمهم أن تربتهم مأوى اللاجئين وأمان الخائفين، من التجأ إليها أمن ومن تعدّى عليها عوجل بالعقوبة، ويحكون حكايات كثيرة فمنها وقائع وقعت لمن تعدى على حرمة تلك الترب حتى قالوا: إن علي بن حسن العطاس يحمي الناس من شهر ربيع الأول ولو قبل الوصول إلى مشهده، وذلك بأن يقتل من أقارب المعتدي بعدد الأيام التي مضت من الشهر، فإن مضى يومان وحصل الاعتداء قتل اثنان وإن كان في الرابع منه قتل أربعة وهكذا(١).

إذن فالأمر محقق عند القوم بينما نجد أن هناك اعتداءات (بحسب تعبيرهم) سافرة وقعت لا على الملتجئين إليهم بل عليهم أنفسهم فلم يدفعوا عن أنفسهم، ولم يحصل على الجاني أي شيء فما السر؟.

## السر والله أعلم عدة أمور:

**الأمر الأول**: الحالة النفسية لأولئك المتعلقين، فهم عندهم الاستعداد النفسي لقبول أي شيء من قبل هذه القبور، وهذا يضعف المقاومة ويهيئ السبيل لوقوع تلك الأحوال التي يعدّونها عقوبات لمنتهك حرمة ذلك المقام، وهذا أمر شائع ومعروف، فالمجتمع الذي يكثر الحديث عن الجن ويسرد القصص الكثيرة يصيبه من أذى الجن ما لا يصيب المجتمع المُعرِض عن ذلك الذي لا يلتفت إليه، وكذلك قل في العين والطيرة ونحو ذلك، ولعل القرآن أشار إلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]، فحينما وجد الجن ذلك الضعف من الإنس نحوهم زادوا من أذيتهم.

**والأمر الثاني**: وجود خدم لبعض الأضرحة من الجن كما صرحوا هم بذلك، وسيأتي بيان هذا في موضع آخر إن شاء الله.

**والأمر الثالث**: حيل السدنة ومكرهم ودهاؤهم الذي يجعلهم يفعلون أفعالاً

(١) انظر: «تاج الأعراس» (١/ ٢٠٩).

بطرق خفية وملتوية يتوهم من لا يعرف حقيقة الحال أن تلك الأفعال صادرة عن الولي بينما هي من أفعال السدنة.

**والأمر الرابع**: وجود فئات من القبائل ترى أنها ملتزمة لذلك الولي وذريته وأن حمايته وحماية ذريته واللائذين به من واجباتهم، فهم يقومون بالانتقام ممن أخفر ذمة ذلك الولي أو أحد ذريته أو محبيه اللائذين به، فيقومون بذلك طبيعياً ثم يشاع أنه عقوبة من الولي، بينما نجد أن الذين لا يفكرون في تلك العقوبات والتصرفات المنسوبة إلى الولي لا يضرهم شيء، فالجيش النجدي الموحِّد المتوكل على الله حين هاجم حضرموت ضرب تلك القبب وأزال توابيتها وسواها كما أمر الرسول ﷺ فلم يحصل عليهم شيء، ولم ينتقم منهم أولئك الأولياء بشيء بل عادوا إلى بلادهم سالمين، وإن حصل عليهم هزيمة في معركة ما فشأن الحروب فرّ وكرّ، ونصر وهزيمة والعاقبة للمتقين.

وكذلك ما فعله الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين بقبري ابن علوان وابن العجيل وغيرهما؛ لم يصبه من أثره شيء، وأوضح من ذلك وأقرب ما فعله الشباب المحتسب بعد حرب الانفصال (ربيع الأول ١٤١٥هـ) من تسوية القبور المعظمة في عدن ومنها قبر العيدروس؛ لم ينتج عنه شيء عليهم، وهذا كله دليل على بطلان تلك المزاعم وعلى صحة التفسير الذي تقدم، والله أعلم.

ومن تلك القبور، قبر عيسى بن إقبال الهتار، قال عنه الشرجي: (ودفن بقرية التريبة بضم التاء المثناة من فوق تصغير تربة، قرية من قرى الوادي زبيد، وقبره هنالك مشهور يقصد للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يتعرض له بمكروه، ومن تعدّى ذلك عوجل بالعقوبة والقرية كلها محترمة ببركته)(١)، ومنها قبر أبي الغيث بن جميل، قال الشرجي: (ودفن بقريته بيت عطاء المشهورة، وتربته هنالك من الترب المشهورة المعظمة قلَّ أن يوجد لها نظير في اليمن، لا تكاد تنقطع من الزوار من كل ناحية، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه من أهل الدولة والعرب وغيرهم)(٢)، ومنها قبر أحمد بن عجيل، قال الشرجي في ترجمته: (ومن استجار به سلم من جميع المخاوف بل مَنْ وصل إلى قريته لم يقدر أحد أن يتعرض له بمكروه، وليس للملوك وغيرهم على أهل قريته

(١) «الطبقات» ص(٢٥١).
(٢) المصدر السابق ص(٤١٠).

تصرف ولا ولاية كما في سائر القرى، كل ذلك ببركته)[١]، ومنها قبر أحمد بن علوان، قال الشرجي في ترجمته: (وقرية الشيخ المذكور محترمة، ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه)[٢]، ومنها قبر سفيان بن عبد الله الأبيني، قال الشرجي في ترجمته: (وتربته هنالك من الترب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه أبداً، ومن تعدَّى شيئاً من ذلك عوقب أشد العقوبة من غير إمهال، وقد جرب ذلك غير مرة)[٣]، ومن تلك القبور في عدن قبر محمد بن عبد الله الصريفي، قال الشرجي في ترجمته: (ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه، ولأهل عدن فيه معتقد عظيم وله عندهم محل جسيم، وهو فوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به)[٤]، ومنها في حضرموت قبة عبد الله بن شيخ العيدروس، قال الشلي في ترجمة سقاف العيدروس: (ودفن بقبة جده عبد الله بن شيخ، وقبره مشهور عند الناس، ومن استجار به أمن من كل بأس)[٥]، ومنها كذلك قبر الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات، قال الشلي في ترجمته: (ومن استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس لا يقدر أحد أن يناله ببؤس)[٦]، ومنها قبر علي بن حسن العطاس، بالمشهد بحضرموت، قال صاحب «تاج الأعراس» ضمن حكاية ساقها: (قلت: وقول الحبيب هادون لجده الحبيب علي «وهز الرمح» لما اشتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بأبي حربة، وسبب تلقيبه بذلك أنه تواترت الأخبار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجرأة على مقام المشهد بعد وفاته، أنهم يرونه في مناماتهم يطعنهم بحربته فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت ويموتون في الحال بإذن الله القائل: «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، لا سيما الذين يعتدون على غيرهم في شهر المشهد أي ربيع الأول؛ لأن الحبيب علي قد جعله عُرضة بضم العين أي أماناً مؤبداً في كل سنة. . . إلخ)[٧]، فهذا عدد من الأمثلة على ذلك الاعتقاد من مواطن مختلفة من اليمن.

### المطلب السادس: اعتقادهم بعض القبور متخصصة في قضاء حاجات معينة:

للناس عند زياراتهم لبعض القبور حاجات كثيرة يستغيثون بها من أجل

---

(١) المصدر السابق ص(٦٣).
(٢) المصدر السابق ص(٧١).
(٣) المصدر السابق ص(١٤٩).
(٤) المصدر السابق ص(٢٨٣).
(٥) «المشرع» (٢/ ١٣٩ ـ ١٤٠).
(٦) المصدر السابق (٢/ ٢٩).
(٧) «تاج الأعراس» (١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩).

الحصول على الولد والاستسقاء والاستشفاء؛ وسيأتي ذلك تفصيلاً في السطور التالية:

## الحصول على الولد:

سبق في فروع الاعتقاد بتصرف الأولياء في الكون أن من الناس من يعتقد بأن فلاناً يعطي الولد، وذكرنا هناك أمثلة لذلك وبعض القبور التي يعتقد ذلك في أصحابها، ومن تلك القبور قبر الشيخ القرشي في مقبرة الفريط بتريم، حتى إنهم يسمونه صاحب الذرية، وليس الأمر مجرد دعاء عند قبره؛ ولكن وضع «حصاة» عند القبر[(١)].

## الاستسقاء:

كذلك مرَّ في فروع عقيدة التصرف في الكون أنهم يعتقدون في بعض الأولياء أنهم ينزلون الغيث وذكرنا أمثلة على ذلك.

ومن القبور التي ذكرناها هناك قبر الشيخ جنيد باوزير صاحب النقعة، وذكرنا قصة علي بن جعفر العطاس وقوله لأهل حريضة: با نجيكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله[(٢)]، كما ذكرت قصة باسليمان واعتماده على الشيخ سعيد بن عيسى العمودي في إنزال الغيث[(٣)]، وذكر الجندي في ترجمة الشيخ أبي بكر بن أكدر قال: (أخبرني الثقة من أهل تلك الناحية أنهما يزاران، ومتى عطش أهل حضرموت واشتد بهم الجهد وصلوا قبرهما واستسقوا بهما فما يلبثون أن يسقوا)[(٤)].

## الاستشفاء:

سبق أيضاً في فروع عقيدة التصرف بعض الأمثلة في الاستشفاء، نضيف هنا أمثلة أخرى منها ما ذكره صاحب تذكير الناس: (قال سيدي: ولما خرج الحبيب أحمد بن محمد المحضار من دوعن، لزيارة تريم وعينات، ووادي ابن راشد، بات ليلة بذي أصبح عند السادة آل البحر، فاشتدت الحمى بابنه محمد، حتى غاب عن إحساسه، فأشفق عليه والده منها، فخرج ليلاً إلى ضريح الحبيب حسن بن صالح، وكان شيخ فتحه، ووقف تجاهه، وقال: وعزة المعبود، إن لم تذهب الحمى من

---

(١) انظر: ص(٣٠٢).

(٢) انظر: ص(٣٠٤).

(٣) انظر: ص(٣٠٥).

(٤) «السلوك» (١/ ٤٦٢).

ولدي محمد لأصبح في خشامر، عند ابن علي جابر، فلما كان آخر الليل، عرق ابنه محمد وخرجت منه الحمى، وطلب الأكل، وأصبح كأنما[١] نشط من عقال، وسرحوا من يومهم)[٢].

ومنها ما قاله عبد القادر العيدروس: (... وذلك أن بعض الأصحاب من أهل حضرموت أهدى لي طيباً فقلت: هلا أهديت لي من تراب قبر سيدي الشيخ سعد بن علي رضي الله عنه؟ فإنَّ ذلك عندي من أشرف الهدايا، وأفخر أنواع الطيب، ثم أنشدت في هذا المعنى:

سألت العرفا عن طب دائي ... فقالوا تراب ذلك الجناب الأقدس

على الخبير سقطت فاغنم دواءك ... وربي إنه ترياق أنْفَسُ

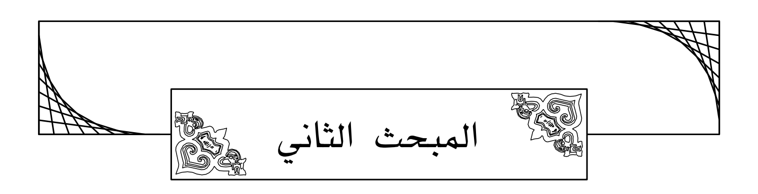
داوني يا سعد وأدرك قبل تِلافي ... وحقك أنني لك عبد أكيسُ

فأرسل إليَّ من العام القابل قليلاً من تراب ذلك الضريح الشريف في قارورة زجاج ولله الحمد...)[٣].

وقد جاء في ترجمة عمر المحضار: (مات رضي الله عنه وهو ساجد في صلاة الظهر، يوم الإثنين ثاني عشر في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وقبره بتريم يزار ويتبرك به، ترياق مجرب يعرف باستجابة الدعاء وكذلك مسجده)[٤].



(١) في الأصل: «كما نما».
(٢) «تذكير الناس» ص(٢٢٠).
(٣) «النور السافر» ص(٤٢٧).
(٤) «شرح العينية» ص(١٩٥)، و«الغرر» ص(١٩٨).



المبحث الثاني

## ظاهرة البناء على القبور وإسراجها وإلباسها

### وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها:**

أقصد بهذا المطلب إعطاء صورة تقريبية للحالة التي وصل إليها القوم من نشر لمظاهر القبورية على الرغم من النهي الصحيح الصريح عن البناء على القبور واتخاذها مساجد، وإسراجها والكتابة عليها ورفعها وإنارتها. . . إلخ، وقد مرّ ذلك كله في الباب التمهيدي.

ومع ذلك النهي وتقريره في كتب علماء الإسلام ومنهم علماء الشافعية والهادوية الذين صرحوا إما بالتحريم أو بالكراهة، بل إن ابن حجر المكي ـ وهو عمدة علماء اليمن الشافعية في الفقه ـ عدَّ ذلك كله من كبائر الذنوب، ولو أنني فصّلت في هذا المطلب وتتبعت جميع القبور المعظّمة لطال جداً بل لاستغرق مجلداً كاملاً، ولكن الأمر لا يحتاج إلى حشد الكثير من الأدلة لظهور ذلك للعيان، واستطاعة كل إنسان أن يرى تلك المشاهد والقباب والقبور المجصصة والشواهد الكبيرة ذات الكتابات الواضحة الحاملة لمناقب ومزايا أصحابها في كل مكان، فما من مدينة أو قرية في اليمن إلا ولها نصيب من ذلك يقل أو يكثر، وكلما كانت المدينة أعرق في التصوف والتشيع كان حظها أكبر كزبيد وعدن وتريم والشحر وصعدة وغيرها من المدن والقرى على امتداد الساحة اليمنية.

وحتى يسهل الوقوف على ذلك سوف أستعرض ذلك محافظةً محافظة وليس من شرطي الاستقصاء والإحاطة؛ وإنما إعطاء فكرة فقط كيفما تيسر.

**محافظتي الحديدة وزبيد:**

وأبدأ من حيث بدأت القبورية وانتشرت وفاقت غيرها وسبقت سواها سبقاً زمنياً وسبقاً من حيث الكثرة والكثافة من «تهامة»، وسأذكر الأسماء فقط دون أي

اعتبار للترتيب لا من حيث الزمن ولا من حيث المكان، ولا حتى من حيث ترتيب الأسماء على حسب الحروف:

- (أحمد بن موسى بن عجيل/بيت الفقيه)
- (إبراهيم بن علي الفشلي/زبيد)
- (أحمد بن محمد الرديني/قرية عازب الحلى)
- (أحمد بن عمر الزيلعي/اللحية)
- (إسماعيل بن محمد الحضرمي/الضَّحِي)
- (أحمد بن أبي بكر الرداد/زبيد)
- (بكر بن محمد بن حسن بن مرزوق/زبيد)
- (إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي/زبيد)
- (سليمان بن أبي القاسم الهاجري/المهجم)
- (سعد بن محمد العرضي/بيت حسين)
- (طلحة بن عيسى الهتار/التربية)
- (علي بن عبد الله الطواشي/حلى)
- (علي بن محمد المعروف بابن الغريب/قرية السلامة)
- (علي بن المرتضى الحضرمي/زبيد)
- (علي بن الحسين بن رطاس/زبيد)
- (عمر بن محمد بن رشيد/زبيد)
- (محمد بن أبي بكر الحكمي/عواجة)
- (محمد بن حسين البجلي/عواجة)
- (محمد بن عمر بن حُشَيبر/بيت الفقيه)
- (محمد بن يعقوب أبو حربة/وادي مدرر)
- (أحمد بن بكر بن يحيى المساوى/حرض)
- (علي بن أبي بكر الأجحف/الحرجة)
- (عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال/القرتب)
- (مسعود بن عبد الله الحبشي/رمع)
- (أحمد بن عبد الله بن أحمد الصريدح/المدالهه)
- (أحمد بن أبي الخير الشماحي/زبيد)
- (عثمان بن هاشم الحجري/بيت حسين)
- (محمد بن عمر النهاري/سهام)
- (أبو القاسم بن عثمان بن أبي القاسم/القرتب)
- (علي بن قاسم العليف الحكمي/زبيد)
- (علي بن عبد الملك بن أفلح/زبيد)
- (علي بن نوح بن علي الأبوي/زبيد)
- (علي بن أبي بكر بن شداد/زبيد)
- (عيسى بن إقبال الهتار/ التربية)
- (عيسى بن حجاج العامري/بيت حسين)
- (عيسى بن مطير الحكمي/ بيت حسين)
- (محمد بن عبد الله الحقيص/زبيد)
- (محمد بن إبراهيم بن دحمان/زبيد)
- (محمد بن عمر بن محمد بن شوعان/زبيد)
- (محمد بن أبي بكر الزوقري/زبيد)
- (محمد بن أبي بكر بن شبيح/العامرية)
- (محمد بن أحمد الزجاجي/زبيد)
- (مفتاح بن عبد الله الأسدي/بيت مفتاح)
- (مهدي بن محمد المنسكي/المهجم)
- (يوسف بن علي الأشكل/وادي سردد)
- (محمد بن أبي بكر الأشكل/وادي سردد)
- (أبو بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري/زبيد)
- (يوسف بن عمر المعتب/حد القحرية)

- (أبو بكر محمد بن حسان المضري/ التحيتا)
- (أبو القاسم بن محمد السهامي/ زبيد)
- (رجل يقال له ابن سيرين/ زبيد)
- (أبو بكر السلاسلي/ القرتب)
- (محمد بن يوسف الضجاعي/ وادي رمح)
- (محمد بن عبد الله المؤذن/ قرية الغصن من وادي مور)
- (محمد بن إسماعيل المكدش/ قرية الأنفة وادي سهام)
- (محمد بن أبي مليكه/ وادي سردد)
- (أبو بكر بن محمد بن علي الجندح/ حيس)
- (الفيروزآبادي صاحب القاموس/ زبيد)
- (قراء ياسين العشرة/ زبيد)
- (الحجب/ التربية)
- (الشيخ صديق/ الحديدة)
- (الساكت/ القطيع)
- (حباك الماء/ التربية)
- (الشيخ أدهل/ الزيدية)
- (سود بن الكميت/ الفاشق)
- (أحمد الجندح/ المثينة)
- (عبلة ورزم/ زبيد)
- (الشيخ البكاء/ زبيد)
- (الملبك/ زبيد)
- (الصديق بربش/ زبيد)
- (محمد بن مهنا القرشي/ وادي مور)
- (محمد بن مهنا الشريف/ قرية البرزة)
- (مرزوق بن حسن الصريفي/ زبيد)
- (أبو بكر بن محمد الحداد/ زبيد)
- (أبو الغيث بن جميل/ بيت عطاء)
- (الشيخ يونس/ زبيد)
- (عمر بن أبي القاسم الخزان/ القطيع)
- (علي بن عمر الأهدل/ المراوعة)
- (المقدم/ القطيع)
- (أحمر العين/ المنيرة)
- (حامي الحمى/ القناوس)
- (طاهر أبو الغيث/ حرض)

**محافظة تعز:**

- (أبو العباس أحمد بن محمد الصبعي/ سهفنه)
- (عبد الملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي/ الجوه)
- (أحمد بن محمد الشكيل/ المخلاف)
- (عبد الرحمٰن بن عقيل بن محمد صاحب المخا/ المخا)
- (الواسطي/ الجند)
- (أبو السرور بن إبراهيم/ الدملوة)
- (عفيف الدين سليمان بن عمر/ تعز)
- (زيد بن عبد الله اليفاعي/ الجند)
- (محمد بن عبد الله بن الخطيب/ موزع)
- (السروي/ منطقة جبا)
- (أحمد بن محمد الجماعي/ سهفنه)
- (محمد بن ظفر الشميري/ الجند)
- (الشيخ سلمان/ حبيل سلمان تعز)
- (أحمد بن علوان/ يفرس)
- (علي بن أحمد الرميمة/ صبر تعز)

ـ (علي بن عمر الشاذلي/المخا)
ـ (أحمد بن محمد الضبعي/سهفنه)
ـ (أبو بكر محمد بن ناصر الحميري/ الذنيتين قرب الجند)
ـ (عبد الله بن محمد العباس الحجاجي الشاكري/الجند)
ـ (علي بن يوسف صاحب المجرية/جبل شمير)
ـ (عمر بن عبد الرحمٰن/صاحب الحمراء)
ـ (محمد بن عبد الله الخطيب/موزع)
ـ (الحساني/جبل حبشي)
ـ (ابن ردمان/الصراهم)

## محافظة إب:

ـ (الحسين بن محمد بن الحسين السحولي/السحول)
ـ (أبو موسى عمران الصوفي/جبلة)
ـ علي بن أبي بكر التباعي/المخادر)
ـ (عمر بن عبد الرحمٰن بن حسان/الذهوب)
ـ (يحيى بن أبي الخير العمراني/ذي السفال)
ـ (عمر بن سعيد الهمداني/ذي عقب)

## محافظة لحج والضالع:

ـ (عبد الله بن علي بن حسن بن الشيخ/ الوهط لحج)
ـ (عبد الله بن حسن الجوهري/المحلة لحج)
ـ (حسن البحر/الحمراء لحج)
ـ (بهية بنت موسى/عيديد لحج)
ـ (مزاحم/لحج)
ـ (علي بن زين/الشرج)
ـ (سفيان بن عبد الله/سفيان لحج)
ـ (عمر بن علي/الوهط)
ـ (طهرور/قرية طهرور)
ـ (موسى بن حسين/الجفاية لحج)
ـ (سعيد بن عيسى/مقيبرة لحج)
ـ (عبد الله بن حسن الجوهري/ المحلة)

## محافظات عدن وأبين وشبوه:

ـ (ريحان بن عبد الله العدني/عدن)
ـ (عبد الله بن محمد بن عبدويه/كمران)
ـ (أحمد بن محمد بامعبد/رضوم شبوه)
ـ (جوهر بن عبد الله الصوفي/عدن)
ـ (أبو بكر بن عبد الله العيدروس/عدن)
ـ (علي بن حسن الأصابي/المحفد أبين)
ـ (أحمد بن علي الحرازي/عدن)
ـ (محمد بامعبد/عين بامعبد/شبوه)
(علي بن أحمد بن قيدار القريضي/عدن)
ـ (أبان بن عثمان بن عفان/عدن)[١]

---

(١) قال بامخرمة في «تاريخ ثغر عدن»: (وأظنه أبان بن عثمان بن عفان) ص(٣٣)، طبع دار الجيل، بيروت، ودار عمار، الأردن، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد.

- (العثماني/ الشيخ عثمان عدن)
- (الهاشمي/ الشيخ عثمان عدن)

**محافظة حضرموت:**

هي أكبر المحافظات تلوثاً بالقبورية بعد تهامة، بل ربما زادت على تهامة خصوصاً هذه الأيام، فإن حركة إحياء القبورية فيها قائمة على قدم وساق في شتى مناحيها من حيث إشادة وترميم المشاهد وإحياء الزيارات والشعائر القبورية، ونشر كتب الخرافة والدجل، وتأليف الرسائل لتأصيل تلك الخرافات أو الرد على المعترضين عليها.

- (عبد الرحمٰن بن محمد يعرف بسقاف العيدروس/ تريم)
- (أبو بكر أكدر/ تريم)
- (عبد الله بن عبد الرحمٰن الشهير بالنحوي/ روغه)
- (عبد الله بن أبي بكر العيدروس/ تريم)
- (عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس/ تريم)
- (عبد الرحمٰن السقاف/ تريم)
- (أبو بكر بن سالم صاحب عينات/ عينات)[1]
- (محمد بن علي الفقيه المقدم/ تريم)
- (أحمد بن حسين بن عبد الله العيدروس/ تريم)
- (أحمد بن محمد الشهير بالحبشي/ الحسيسة)
- (أحمد بن الأستاذ الأعظم/ العجز)
- (حسين بن عبد الله العيدروس/ تريم)
- (محمد بن حسن المعلم أسد الله جمل الليل/ تريم)
- (سالم بن بصري/ تريم)
- (أحمد بن عبد الرحمٰن، المشهور بـ(شهاب الدين)/ تريم)
- (محمد بن علوي بن أحمد بن الأستاذ/ تريم)
- (عبد الله باعلوي/ تريم)
- (حسن بن علي بن محمد مولى الدويلة/ تريم)
- (علوي بن الأستاذ الفقيه المقدم/ تريم)
- (عبد الله بن الأستاذ الفقيه/ تريم)
- (علي بن محمد صاحب مرباط/ تريم)
- (محمد بن عبد الله باعلوي/ تريم)
- (علي بن عبد الله باعلوي/ تريم)
- (محمد بن علي عيديد/ تريم)
- (علي بن علوي خالع قسم/ تريم)
- (الشيخ عمر المحضار/ تريم)

---

(١) هذه البلدة تحتوي على عدد كبير من الأضرحة، أشهرها سبعة، ولها قداسة ومكانة عظيمة عند قبورية حضرموت.

ـ (علي بن أبي بكر السكران/ تريم)
ـ (حسن الورع/ تريم)
ـ (سالم بن فضل/ تريم)
ـ (فضل بن محمد بافضل/ تريم)
ـ (أحمد بايحيى واسع وعمه/ تريم)
ـ (إبراهيم بن يحيى بافضل/ تريم)
ـ (أبو بكر بن الحاج/ تريم)
ـ (علي بن أحمد بامروان/ تريم)
ـ (علي بن عمر القرشي/ تريم)
ـ (أحمد بن محمد بافضل/ تريم)
ـ (علي بن محمد الخطيب/ تريم)
ـ (عبد الرحمٰن بن يحيى الخطيب/ تريم)
ـ (أحمد بن علي الخطيب/ تريم)
ـ (أحمد بن محمد بن أبي الحب/ تريم)
ـ (سعد بن علي بامدحج/ المشهور بالسويني/ تريم)
ـ (يحيى بن سالم بافضل/ تريم)
ـ (محمد الغريب/ تريم)
ـ (القطب عبد الله بن علوي الحداد/ تريم)
ـ (محمد بن علي خرد/ تريم)
ـ (محمد بن علي مولى الدويلة/ تريم)
ـ (أبو بكر بن عبد الله الشهير بالإمام/ تريم)
ـ (أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ/ تريم)
ـ (عباد بن بشر الصحابي رضي الله عنه/ القرية)
ـ (أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله/ الحسيسة)
ـ (سلطانه بنت علي الزبيدية/ حوطة سلطانه قرب سيئون)
ـ (علي بن محمد الحبشي/ سيئون)
ـ (عمر بامخرمة/ سيئون)
ـ (عيدروس بن عمر الحبشي/ الغرفة)
ـ (أحمد بن زين الحبشي/ حوطة أحمد بن زين)
ـ (الحسن بن صالح البحر/ ذي أصبح)
ـ (أحمد بن عبد الله القديم باعباد/ الغرفة)

**جرب هيصم مقبرة شبام تحتوي على عشرات القبور المعظمة والقباب والمشاهد.**

ـ (الهدار/ القطن)
ـ (وفي بلد النقعه بالقرب من حورة قبر الشيخ جنيد باوزير)
ـ (وقبر الشيخ علي بن سالم باوزير)

وأما حريضة ففيها عدد كبير جداً من القباب والمشاهد على قبور آل العطاس منها: قبر السيد عمر بن عبد الرحمٰن العطاس، وقبر طالب بن حسين العطاس، وقبر أبي بكر بن عبد الله العطاس، وقبر أحمد بن حسن العطاس وغيرهم.

وفي وادي عمد أكثر من عشرين قبراً معظماً أشهرها: صالح بن عبد الله العطاس، وصالح بن عبد الله الحامد، وقبر عمر بن حسين العطاس بنفحون.

ثم بقية قرى الوادي لا تكاد قرية واحدة تكون خالية من قبة أو مشهد أو قبر مجصص يزار في السابق، ولدي قائمة بأكثر تلك القبور آثرت عدم كتابتها للاختصار.

وهناك مناطق لم تذكر وقبور كثيرة تركتها كذلك حيث القصد التمثيل وليس الحصر.

**المطلب الثاني: القبور المنسوبة إلى الأنبياء والقبور المجهولة:**

لم يكتف القبورية بتعظيم قبور الأولياء والصالحين أو من يدّعون أنهم كذلك ممن عُرف شخصه وتحقق موقع قبره، بل جمح بهم الخيال وأعطوا لأنفسهم أعنّتها لاختراع قبور ما أنزل الله بها من سلطان، مستحلين في ذلك الكذب، أو مستسلمين للدجل، أو مصدقين الرؤى التي لا تثبت بها حجة ولا توجب عملاً، ويا ليتهم اكتفوا بآحاد الناس لكان الأمر مع قبحه أخف وأهون، ولكنهم ذهبوا يكذبون على أنبياء الله كهود وصالح وشعيب وغيرهم، أو يثبتون أنبياء ما جاء بنبوتهم دليل لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب أو مفسر معتمد، بل بموجب رؤى أو كشوف صوفية كاذبة أصبحت حقائق عند القوم، وعلى إثر ذلك أقيمت الأبنية والمشاهد وعملت التوابيت وشرعت الزيارات إليها، وغرس لها في قلوب العامة الاعتقادات التي لا تجوز إلا في الله تعالى، وما هي الحكمة من ذلك؟ ولمصلحة مَنْ تلك الخزعبلات؟!.

لا يجد الباحث المنصف جواباً شافياً كافياً إلا أن يقول: إن وراء ذلك مصالح ووجاهات وسلطة على عوام المسلمين، هذا ما يمكن فهمه من هذه المظاهر، ولا أريد أن أجزم وأعمم ولكن هذا هو أقوى الاحتمالات.

**القبر الأول: قبر رسول الله هود** عليه السلام:

ومن أشهر تلك القبور في اليمن على الإطلاق القبر المنسوب إلى رسول الله هود عليه السلام شرقي حضرموت، وهو أشهرها وأكثرها زواراً وأكثرها كذلك فضائل وكرامات مزعومة، بل إنه من أعجب وأغرب القبور المعظمة في العالم، حيث لزيارته مناسك مكانية مرتبة، ومناسك زمانية محددة، وحوله من المآثر المزعومة ما لا يوجد عند أي قبر من القبور إلا أن يكون قبور أئمة الشيعة في العراق وإيران، فهناك نهرٌ من أنهار الجنة، وبئر معطلة تضم أرواح الأنبياء والأولياء، وناقة هود المتحجرة التي هي عبارة عن صخرة ضخمة جداً ومعظمة جداً عند القوم، حتى لقد

مهدوا ما حولها ووسعوه وجعلوه موضع صلاتهم وموقع تعبدهم الجماعي عندما يقيمون صلاتهم وسماعهم وموالدهم ومواعظهم، وتحتها في الطريق إليها صخرة صغيرة مقعرة قالوا: إنها موطئ قدم هود عليه السلام، كما أن في مكة حول الكعبة مقام إبراهيم الذي فيه موطئ قدميه.

أما المناسك الزمانية والعملية فهي تَجَمُّعٌ عند مشاهد أبي بكر بن سالم وبنيه عند نية التوجه إلى شعب هود، ثم المرور بـ«المحذفة» أي المرجم الذي يرجمه جموع من الزوار، ثم المرور بقبر الكافرة الذي يُسَب ويُشْتم ويُتْفل عليه، ثم الوصول إلى الشعب والاغتسال في نهر هود الذي هو في زعمهم «من أنهار الجنة»، ثم الصلاة عند «حصاة» عمر المحضار؛ أي الموقع الذي كان يتعبد ويصلي فيه ذلك الصوفي الكبير المقدس عندهم «عمر المحضار بن عبد الرحمٰن السقاف» نقيب السادة في وقته، ثم الوقوف على البئر المعطلة والسلام على الأرواح التي فيها؛ وهي أرواح الأنبياء والأولياء، ثم الوقوف على القبر المزعوم، ثم النزول إلى تحت الصخرة المقدسة «الناقة المتحجرة» ـ كما يزعمون ـ، وعند العودة إلى تريم يختمون بالطواف سبعة أشواط حول مقابر تريم الثلاث المسماة بشار.

**المناسك الزمانية:**

١ ـ جمادى الآخرة وشهر رجب شهرا التحريض على الزيارة.

٢ ـ ليلة السابع والعشرين من رجب تقرأ قصة الإسراء والمعراج ثم تكون التهويدة[(١)].

٣ ـ ليلة آخر ربوع من رجب ليلة الإشهار الرسمي للزيارة وهي ليلة سعد لديهم.

٤ ـ الأيام المحددة للزيارة هي الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر من شهر شعبان، ويوم العاشر يوم عيد الزوار فينحرون ويذبحون الأغنام، ويتلذذون بأنواع الطعام.

٥ ـ الوقفة: تكون يوم الحادي عشر وهي مأخوذة من وقفة عرفة، فمن حضرها فقد أدرك الزيارة ومن فاتته فاتته الزيارة كما هو الحال في وقوف يوم عرفة للحجاج.

---

(١) وهي تسجيعات تحث على زيارة قبر هود، وعند آخر تسجيعة تغنى لفظة الجلالة، ثم يقول الجميع بأصوات مرتفعة: هود يا هود، يا غافل اذكر الله وقل لا إلٰه إلا الله، موجود في الكون الله الله، يا هود يا نبي الله، ياللي كلمه الغزال وحنت عليه الجمال، رسول الله مولى بلال شفيع الخلق عند الله، يا هود يا هود يا نبي الله.

٦ ـ دخلة القبائل آخر الزيارات وبعدها ينصرف أكثر الناس.

٧ ـ النفرة الأولى عصر يوم الحادي عشر من شعبان.

٨ ـ النفرة الأخيرة يوم الثاني عشر من شعبان.

٩ ـ الحلق والتقصير، عندما يقبل الزوار على بلدانهم فينزلون خارج البلد ثم يحلقون أو يقصرون ويتطيبون وربما ذبحوا الأغنام، (هذا ما ذكره بعض المؤرخين ولعله لم يعد قائماً الآن بسبب توفر المواصلات السريعة).

١٠ ـ عصر يوم الثالث عشر تبدأ الدخلات بالألعاب الشعبية والخابه[(١)]، وترديد هذه العبارة (زرنا وقد رجعنا عسى القبول).

١١ ـ تختم المناسك بالشعبانية عصر يوم الرابع عشر (ليلة الخامس عشر من شعبان، حيث يقرأون دعاء ليلة النصف من شعبان، وقد يحصل احتكاك بين الحويف[(٢)] المتنازعة، وفي تلك العصرية يكون الطواف بمقابر تريم)[(٣)].

هذا بعض ما يمكن قوله عن هذه الزيارة فالقبر غير محقق، ولئن سلّمنا احتمال وجوده في حضرموت عموماً باعتبار قربها من مواطن قوم هود؛ فإننا ننفي بقوة أي دليل على وجوده في تلك البقعة بالذات كما سبق إلى نفيها عدد من المؤرخين من قبل، فأصبحت بذلك تلك الزيارة ظلمات بعضها فوق بعض.

### القبر الثاني: قبر نبي الله صالح عليه السلام:

قال صالح بن علي الحامد: (وللنبي صالح عندنا بحضرموت قبر معروف مشهور يقصده الزوار. وهو واقع في شعب (عَسْنَب) من وادي (سَرّ)، وقد زرته أنا مع شيخنا العلامة محمد بن هادي السقاف مرتين، وزاره الكثير من العلماء والصلحاء في هذا القرن والقرن الذي قبله، ومن أشدهم عناية به السيد العارف بالله عمر بن سقاف الصافي العلوي، فقد زاره مرات، وله في هذا الشعب أشعار منها قصيدته التي يقول فيها:

(في رُبَى عَسْنَبَ محط الأماني … مهبط الوحي والبها والجلالة)

وقبره مستطيل جداً كقبر هود عليه السلام تقريباً أو أطول على سفح جبل، وعليه

---

(١) نوع من الألعاب الشعبية.

(٢) جمع حافة: أي الحارة أو الحي.

(٣) كل ما تقدم ملخص من كتاب «الكشف المبين عن حقيقة القبوريين زيارة هود عليه السلام وما فيها من ضلالات ومنكرات» للباحث.

حائط، وحوله خدور ومنازل مبنية من الحجر مطلية بالكلس زاهية منيرة يشعر الزائر حوله بالأنس والروحنة، وحوله بئر يستقي منها الزوار والسكان القريبون من هذا الموضع)[١].

وقد نقل بعض النقولات المتناقضة قبل ذلك، وكلمة للشيخ عبد الوهاب النجار قال فيها: (ويقول أهل حضرموت: إنهم ذهبوا إلى حضرموت، وأقاموا بها؛ لأن أصلهم من تلك الناحية أو هي فصيلة من أهل الأحقاف. وهناك قبر يزعمون أنه قبر صالح، وقال آخرون: إنهم أقاموا في ديارهم بعد هلاك قومهم، وآخرون: إنهم ذهبوا إلى مكة وأقاموا بها إلى أن ماتوا. وقبورهم غربي الكعبة، وأقرب الأقوال عندي إلى التصديق أنهم ذهبوا إلى الرملة ونواحي فلسطين؛ لأنها أقرب بلاد الخصب إليهم، والعربي إنما يطلب الكلأ لمرعى ماشيته والأرض ذات الماء)[٢].

ثم قال الحامد بعد أن ذكر قبر حنظلة بن صفوان والبئر المعطلة والقصر المشيد، قال: (وبعد فإني وإن كنت لست على يقين تام بكون صالح وحنظلة عليهما السلام قُبرا بحضرموت كما كنت على يقين في قبر هود عليه السلام، فإن هذه الدلائل والروايات تورث غلبة الظن بذلك)[٣].

وواضح من هذه النقول أنه ليس فيها شيء يعتمد عليه حتى في كونه في حضرموت، ولئن تنزلنا وأخذنا بذلك واعتمدناه فمن أين لنا أنه في ذلك الموضع؟!.

وفيما ذكر المؤرخ الحامد، ما يشير إلى ابتداء الاعتناء بهذا القبر وذلك خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، مع إفادته بالاعتناء التام من قبل السيد عمر بن سقاف الصافي وإشادته بذلك الموضع في قصائده وهو متوفى سنة (١٢١٦هـ)[٤]، إن في ذلك إشارة واضحة أن ذلك الرجل ربما كان هو المظهر لهذا القبر، ومنذ ذلك الحين عرف وبدأ الناس يزورونه، وهذه من مخاريق الصوفية التي يقصدون بها تأسيس أثر يذكرون به ويكون جاهاً لهم ولذرياتهم، ولكل امرئٍ ما نوى.

---

(١) «تاريخ حضرموت» ص(٧١ ـ ٧٢).

(٢) المصدر السابق ص(٧١ ـ ٧٢).

(٣) المصدر السابق ص(٧٩).

(٤) انظر ترجمته في: «التلخيص الشافي من تاريخ آل طه بن عمر الصافي» ص(٥٨ ـ ٦٢)، تأليف علوي بن عبد الله بن حسين بن محسن السقاف، المطبوع (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

### القبر الثالث: قبر نبي الله شعيب عليه السلام:

بجبل حضور غرب صنعاء بحوالي ثلاثين كيلومتراً، وعندما يطلق اسم النبي شعيب، فأول ما ينصرف الذهن إلى نبي الله ورسوله شعيب المبعوث إلى مدين، إذ لا ذكر في القرآن والحديث الصحيح إلا له، ولكن المقصود هنا ليس هذا النبي وإنما هو نبي آخر اسمه شعيب بن مهدم بن ذي مهدم، قال الهمداني في «الإكليل»: (فأولد مهدم بن ذي مهدم: شعيب النبي ﷺ ابن مهدم بن ذي مهدم، ومسجده اليوم في رأس جبل حدة حضور بن عدي، وجبل حضور يعرف بهذا الاسم وهو جبل عظيم البركة لا يزال متعصباً بالغمام، ولم ينزل الثلج على جبل باليمن إلا عليه وعند المسجد معين ماء، ولا يزال الناس يزورونه ويصلون فيه)(١). ثم أورد الهمداني ما يذكر من قصته وتكذيب قومه له وتسليط الله بختنصر عليهم، ثم قال: (هذا خبر العامة في شعيب عليه السلام وحضور).

والصحيح ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه كان يقول: نزلت هذه الآية(٢) في أهل حضور وعربايا فبعث الله إليهم شعيب بن مهدم بن ذي مهدم فكذبوه وقتلوه.

قال الهمداني: (وقيل: إن هذه الأمة كانت ما بين اليمامة والبحرين ويبرين)(٣).

وقد ذكر الرازي في «تاريخ صنعاء» رواية أخرى في تفسير تلك الآيات عن رجل مبهم ومن غير أن يسمي النبي(٤)، وعلى كل حال فلا يثبت شيء من ذلك، وإثبات نبي باسم معين إلى قوم معينين لا يمكن إثباته بمثل هذه الآثار.

### القبر الرابع: قبر حنظلة بن صفوان:

قال الحامد: (وهنا قبر بحضرموت منسوب لحنظلة، وهو واقع بسفح الجبل

---

(١) «الإكليل» لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع (٢/ ٢٨٥)، مطبعة السنّة المحمدية بالقاهرة (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).

(٢) هي قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝١٣ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ۝١٥﴾ [الأنبياء: ١١ ـ ١٥]. والأثر غير صحيح عن ابن عباس؛ لأنه من طريق الكلبي عن ابن عباس، وهي طريق واهية، وهناك آثار أخرى لا يصلح شيء منها لتقوية هذا الأثر، وانظرها في: «الدرّ المنثور» للسيوطي (٥/ ٦١٨ ـ ٦١٩)، طبعة دار الفكر.

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٨٧).

(٤) «تاريخ مدينة صنعاء» للرازي ص(١٨٧ ـ ١٨٨).

الذي غرب بور على فوهة وادي مدر، ومن العجيب أن إلى جانبه قبراً آخر في مثل طول هذا الضريح المفرط، وأهل تلك الناحية ينسبون القبرين إلى حنظل وحنظلة، فيضيفون إلى اسم حنظلة حنظلاً، ولعل العوام رأوا أن اسم حنظلة الملحق بتاء التأنيث لا يليق إلا بامرأة فجعلوها زوجه، واللائق في نظرهم أن يسمى هو حنظلاً لا حنظلة، وقد زرت أنا هذا الضريح أو الضريحين مرتين، وهما مكشوفان ليس عليهما حائط ولا سقف، وهذا يدل على نقص اعتناء القدماء بهذين القبرين)[١].

ثم ذكر كعادته بعض أقوال الإخباريين ومنها حكاية عن كتاب «مبتدأ الخلق» للكسائي عن كعب الأحبار، وهي واضحة الصنعة، ولا يشرِّف أهل حضرموت أن يكون أسلافهم بتلك الصورة القبيحة؛ صورة انتزاع الغيرة من رجالهم بحيث كانوا ـ كما قيل ـ يتهادون النساء فيما بينهم، وأنهم انصرفوا إلى الصبيان فانصرف النساء على أثر ذلك إلى السحاق. فهذا كله يدل على بطلان القصة من أصلها، ثم لو فرض مع التنزل التام أن شيئاً من ذلك صحيح، فمن أين له أو لغيره إثبات أن ذلك النبي دفن في ذلك المواضع؟! كلام لا يمكن إثباته أبداً.

وفي المقابل هناك روايات أخرى يتمسك بها قوم آخرون، فقد أبرز الرازي في تاريخ صنعاء هذا العنوان: (ذكر الرواية أن في مسجد صنعاء قبر نبي يسمى حنظلة، وأن صنعاء طريق من طرق الغيث)[٢]، وتحت هذا العنوان روي عن مطرف بن أيوب أنه يقول: (في مسجد صنعاء قبر نبي)، ثم قال في آخر المبحث: (وسمعت العامة بصنعاء يقولون: هذا النبي المقبور في مسجد صنعاء حنظلة)[٣].

فالرواية بذلك غير صحيحة ولا معتمدة، وعلى فرض صحتها فإنها مبهمة لاسم النبي، والعامة تقول إنه: (حنظلة) فيعتمد ذلك المؤرخ الرازي ويثبته، فالأمر كله أمر عامة وأشباه عامة، أو من له مصلحة من وراء إغراء العامة.

وقد ذكر ابن كثير في «تاريخه» رواية أخرى أن حنظلة هو نبي أهل حضور[٤]، وحضور قريبة من صنعاء، ولكن الرواية كذلك من روايات الإخباريين.

والصحيح أن حنظلة لا يصح أنه نبي من الأنبياء أصلاً ولكنها روايات تولد

---

(١) «تاريخ حضرموت» ص(٧٣ ـ ٧٤). (٢) «تاريخ صنعاء» للرازي ص(٢٤٩).

(٣) المصدر السابق ص(٢٥٠).

(٤) «البداية والنهاية» (١/٢٢٧)، وقد ذكر الرازي أن أهل حضور قتلوا نبيهم، وأنه لم يذكر اسم ذلك النبي. انظر: «تاريخ مدينة صنعاء» ص(١٨٧).

بعضها من بعض، وقد سبق في القبر الثالث أن نبي أهل حضور اسمه شعيب، وفي الشامل في تاريخ حضرموت لعلوي بن طاهر الحداد عند كلامه عن بلد فَيل بدوعن قال: (وفي موضع هناك قبرا حنظل وحنيظلة يزعمون أنهما نبيان والواجب هو الإيمان برسل الله إجمالاً، وإثبات ما ليس بثابت شرعاً خطر كإنكار الثابت، والورع سبيل المتقين)[١].

## القبر الخامس: قبر هادون بن هود:

يقع هذا القبر بقرية هدون بوادي دوعن بحضرموت، والغريب هنا أن قبورية حضرموت اخترعوا الرجل وكذبوا على الله فجلعوه نبياً من أنبيائه، ثم حددوا مكانه في قصة لم أدرِ كيف بلغت بهم الوقاحة أن يرووها، ويعتمدوها، ويبنوا عليها أحكاماً، ويؤسسوا عليها مشهداً عظيماً، ويقيموا لذلك المشهد زيارة سنوية، وينسبون إليه كرامات وخصائص.

والقصة الهزيلة ذكرها أحمد بن حسن العطاس ونقلها جامع كلامه في «تذكير الناس»، قال: (وصافحت نبي الله هادون عليه السلام مناماً في هذا الشباك الذي عليه، وبلغنا أنه نبي مرسل إلى أهل عكرمة[٢]، وبلغني أن الشيخ علي باراس ـ توفي سنة (١٠٩٤هـ) ـ قال: لما مرض نبي الله هادون، خرجنا به إلى هدون، أنا والخضر وإلياس، ورابع معنا، ولما وصلنا الخريبة، جلسنا تحت حصاة[٣] قريباً من خرابة، والحصاة معروفة الآن قريباً من دار باصمد، وفي الخرابة امرأة، جاءت لنا بماء، فدعا نبي الله هادون بأن يبارك الله في تلك الخريبة، فيرون أن بركة الخريبة من تلك الدعوة، ثم لما مات حملوه فدفنوه بمكانه المشهور بهدون، وأوصى الشيخ علي باراس بأن يدفنوه في محله المعروف، وقال لهم: تجدون عصا خضراء في محل القبر، أنا دفنتها في ذلك الوقت، لما جئنا بنبي الله هادون إلى دوعن، ولما مات حفروا قبره في ذلك المحل، فوجدوا تلك العصا، هكذا بلغنا والله أعلم)[٤].

ولما كانت هذه القصة عجيبة وغير معقولة لجأوا إلى تأييدها بأخرى لا تقل عنها غرابة، ولكنها ما دام أنها قد صدرت عن القطب فإن كلامه حجة ودليل لا يجوز

---

(١) «الشامل في تاريخ حضرموت» ص(١٩٢).
(٢) وهي بلدة قديمة مندثرة في ريدة الدّين بحضرموت.
(٣) تطلق الحصاة عند أهل حضرموت على الصخرة الكبيرة، كما تطلق على الحصاة الصغيرة.
(٤) «تذكير الناس» ص(٢٢٧ ـ ٢٢٨).

رده، قال جامع كلامه بعد ذكر تلك الحكاية: (فقيل لسيدي ﷺ: إن هذه من الغرائب؛ لأن ظهور الأرواح قبل خروجها إلى الأجسام غير معهود، بخلاف بعد خروجها من الأجساد! فقال سيدي: لا، ليست من الغرائب، وقد وقعت مرة واقعة كبيرة في حريضة، فلما كان الليل، أتى إليَّ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، وولده الحبيب حسين، والحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس، ورابع معهم صغير، فتشاورنا الخمسة في تلك الواقعة، ثم سألتهم عن الصبي من يكون؟ فقالوا: إن فلاناً ـ يعنون أحد السادة الموجودين ـ جده الرابع، أي وثلاثة من أجداده لم يظهروا بعد إلى عالم الأجساد،، وعلامة الأرواح التي لم تخرج من الأجساد أنها لا ظل لها، والأرواح جميعها في الصور كل روح في ثقب، وإذا نزلت الروح إلى عالم الأجساد، فلا ترجع إلى ثقبتها الأولى بل ترجع إلى أخرى)[١].

وبناءً على تلك الخزعبلات شُهر هدون، وأقيم عليه مبنى تعلوه قبتان، وجعلوا القبر طويلاً طولاً مفرطاً لا يقل عن أربعين ذراعاً وبجواره مسجد، وتقام له زيارة سنوية، وصارت حوله مقبرة كبيرة[٢].

### القبر السادس: قبر دانيال بن هادون بن هود:

يقع هذا القبر في منطقة ميفعة، محافظة شبوة، وهذا القبر المخترع هو من القبور المزعومة المكذوبة التي ظهرت بالكشف الصوفي، فقد ذكر المحضار في ترجمة الفقيه علي بن محمد الحباني أن من كراماته أنه أول من أظهر قبر نبي الله (دانيال بن هادون بن هود عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم بأسفل وادي «هدى» وكان يكثر من زيارته)[٣].

واستمر الناس يعتقدونه قبراً لهذا النبي المزعوم، ويزورونه كل عام في شهر رجب، ويدعونه وينذرون له، وقبل حوالي أربعين سنة رجع بعض أبناء المنطقة المغتربين من المملكة العربية السعودية وقد جالسوا العلماء هناك، وعرفوا الحق في هذه القضية، وأرادوا أن يزيلوا هذا المنكر، فذهبوا إليه وهدموا البناء الذي على القبر وما ارتفع منه، فظهرت المفاجأة التي كانوا يتوقعونها هم ولا يتوقعها بقية أبناء المنطقة أبداً، وذلك بأن وجدوا ذلك البناء على صخرة صماء ليس فيها قبر أصلاً

---

(١) المصدر السابق ص(٢٢٨).

(٢) انظر: «الشامل في تاريخ حضرموت» ص(١٥٣).

(٣) «ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان» ص(٣٣).

وإنما أشيد البناء على الصخر، وصوّرت صورة القبر كذباً، فظهر لذوي العقول حقيقة الأمر وبقي البعض الآخر يؤول وينتحل الأعذار وربما يوهم الناس بأن الله تعالى أخفاه عن عيون الناس. . . إلخ.

## القبر السابع: قبر النبي مولى رخيّم[1]:

ذكر ذلك صاحب «تذكير الناس»، فقال: (ومرة دخلنا معه يعني أحمد بن حسن العطاس إلى عمد، وعبرنا معه إلى النبي مولى رخيّم، ومعنا أناس آخرون، فقال لهم: ابتعدوا هناك لا تؤذوا النبي، ثم قام فتوضأ وصلى فوق القبر، ثم نام فوق القبر، فقلت له: كيف تنهاهم وتفعل.؟!. فقال: من أفضل سيد شريف حسيني علوي أو عشرون بهاراً حصى مطروحة فوقه؟)[2]. وهذه الحكاية فيها أمور لا أدري مِنْ أيها أعجب: أمن الزعم الذي لا دليل عليه بوجود ذلك النبي الذي لا يعرف له اسم وإنما سمي باسم الموضع الذي ظهر فيه، أم من استخفاف ذلك السيد بالناس ونهيهم عن قربان النبي حتى لا يتأذى بهم، أم من صلاته فوق القبر وهو فقيه يزعمون أنه مجتهد عارف بهذه الأحكام وكان يحمل زاد المعاد لابن القيم معه إذا سافر من شدة إعجابه به، أم من الاستخفاف بالنبي المزعوم حيث ينام فوق قبره، أم من التسويغ البارد لفعله ذلك وهو أنه بنومه ذلك على القبر أحسن من كوم التراب والحصى الموضوعة هناك، أم أعجب من اعتبار هذه الحكاية من نفائس كلام ذلك الرجل الذي يستحق التسجيل والإثبات في المؤلفات وتخليده للأجيال؟!

كلها عجائب ولكن العقول إذا ألغيت، والمنهاج الصحيح إذا فُقد فلا عجب عندئذ.

هذه بعض القبور المنسوبة إلى الأنبياء والتي قيل أنها موجودة في اليمن، وقد أفردتها لشهرتها أو لوجود تفاصيل عنها، وهناك قبور أخرى ذكرت جملة بدون تفصيل، من ذلك ما ذكره محمد بن سالم بلخير فيما جمعه من كلام أحمد بن حسن العطاس قال: (أخبرني رجل من (دلى) من علماء السادة أن في حضرموت خمسة وثلاثين نبياً، فقلت له: بم عرفت ذلك؟ فقال: وجدناه في كتب تواريخ حضرموت عندنا، ثم قال السيد المذكور: منهم سيدنا نبي الله هود، وولده نبي الله هادون،

---

(١) رخيّم ـ بالتشديد ـ: منطقة بوادي عمد بحضرموت.

(٢) «تذكير الناس» ص(١٦٣).

ونبي الله صالح بوادي سر بحضرموت، ونبي الله رخيم بوادي عمد، واثنين بوادي حموضة واثنين بشرج فَيْل ووادي النبي ومولى مطر وحنظل وحنظلة ببور)[١].

وقيل: إن قبر نوح عليه السلام ببلاد نهم، وهذا من المحال والله أعلم.

والخلاصة: أن تعلق القوم بالقبور جعلهم يبدعون في اختراع أنواع منها: شيء باسم الأنبياء، وشيء باسم الصحابة، وشيء باسم الأولياء، وليس على شيء من ذلك أثارة من علم، ومع ذلك تجد تعلق الناس بها، وركونهم إليها، واعتمادهم عليها؛ لا يكاد يُحد فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد اقتصرت على هذه القبور المنسوبة إلى الأنبياء لأن غيرها لا يمكن حصره، وهناك قبور مجهولة كثيرة لا يعرف أصحابها أصلاً أعرضت عنها ما عدا قبراً واحداً أرى أن أذكره للقصة المصاحبة لذكره، فقد ذكر أحمد بن حسن العطاس كما قال في «تذكير الناس» أنه (كان ببلد الرحب من وادي عمد قبر لا يعرف صاحبه، يزوره الناس، وهو قريب من محل الحراثة والزراعة، فجاء رجل يقلب الطين ويهيئها للزراعة، فأصابت المسحاة جانب القبر فانهال ترابه، وظهرت عظام الميت، فجعلها الرجل إلى جانب القبر ودفنها، فلما كان الليل رأت امرأة الرجل كأن صاحب القبر يقول لها: إن زوجك نبش عظامي ولم يردها كلها حتى إن ولياً من أولياء الله أتى إلى قبري يزورني، فأردت القيام لاستقباله فما قدرت فقولي له يرد كل شيء إلى محله، فانتبهت، وقصت الرؤيا على زوجها فأصبح زوجها إلى المحل، فوجد بعض فقرات الظهر، فدفنها في القبر، وسوّاه بالتراب، وسأل عمن زار القبر ذلك اليوم فإذا هو السيد محمد بن حسين الحامد، ثم رأته زوجة الرجل في الليلة الثانية وكأنه يقول لها: قولي له: جزاك الله خيراً لما فعلت)[٢].

فانظر إلى هذه الرؤيا العجيبة! وهل أراد السيد العطاس بذلك إثبات ولاية صاحب القبر المجهول، أم أراد إثبات ولاية السيد «محمد بن حسين الحامد»؟ الله أعلم.

وهكذا تبرز القبور المجهولة بمثل هذه الحكايات!

وقد وجدت لعلوي بن طاهر الحداد وهو من مراجع قبورية حضرموت كلاماً

---

(١) «كلام أحمد بن حسن العطاس» ص(٣١٣)، رواية محمد سالم بلخير، ضمن «مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس».

(٢) «تذكير الناس» ص(١٩٨ ـ ١٩٩).

جميلاً في هذا الموضع لا بأس من إيراده كونهم يجلّون هذا الرجل، ويرونه حجة في التاريخ على الأقل، قال في كتابه «الشامل» عند الحديث على بلدة (بلاد الماء) من وادي (دوعن): (وفوق مجرى وادي مراه عند منعطفه في الجبل غار فسيح مضيء مرتفع السقف يقال له وبره بفتح فسكون، وهو من المواضع التي كان يتعبد بها سيدي الجد ويمكث فيها أياماً، وهناك صورة قبر يقال: إنه قبر نبي، وهذه المواضع كالتي بوادي فيل وفي ناحية بور وفي وادي عسنب، يوجد لها نظيرها في البلاد الإسلامية كالمغرب ومصر وأكثرها في الشام، ولا توجد أحاديث مروية في ذلك ولا أخبار صحيحة، وأكثر العلماء ينكرون صحة ذلك، وقد ذكر السيد الشريف يوسف بن عابد الحسني في رحلته أنه وصل في طريقه إلى قرية فيها شبك من حديد وقال أهل هذه القرية: هذا قبر قديم ولربما قالوا: هذا قبر النبي خالد بن سنان الذي بعث لقومه بعد عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ووقعت فيه مراجعة بيني وبين علماء المكان إلى أن قلت لهم: إنني سمعت ممن أخذنا عنهم العلم في مدينة فاس أن الأنبياء عليهم السلام قبورهم غير ظاهرة الأثر إلا قبر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.. إلى آخر ما ذكره، وللحافظ ابن حجر والسيوطي وابن تيمية في هذه المسألة كلام مشهور)[1]. يعني أنهم ينكرون مثل هذه القبور.

**المطلب الثالث: طريقة القوم في اكتشاف القبور المعظمة وإظهارها:**

لقد عرفنا عن صوفية المسلمين في الأماكن والأزمنة المختلفة ولعهم بالقبور وتعلق الناس بها، وقد مر معنا سابقاً أن شيوخ الطرق وورثة الأقطاب ومشاهير الأولياء يتخذون من قبور أولئك الشيوخ مناطق نفوذ ومصادر دخل ومعابر إلى الجاه والمكانة عند عامة المسلمين المتعلقين بالأولياء وقبورهم، فمن كان له ولي معروف أشهر قبره ونسج له من الكرامات والمناقب ما يجذب الزوار إليه ويعلق المؤملين به، وهناك رجال طامحون ليس لهم آباء ولا شيوخ مشهورون بولاية، وقد رأوا ما عليه أبناء وخلفاء الأولياء وما صاروا عليه من الحياة الكريمة في نظرهم والمنزلة العالية عند الناس، فأعملوا عقولهم للحصول على ما حصل عليه أولئك ولم تعجزهم الحيلة، بل اتخذوا وسائل كثيرة للوصول إلى ما وصل إليه القوم، ومن تلك الوسائل اختراع مرائي ومكاشفات ينشرونها بين الناس قائلين أنهم رأوا في المنام أو عن

(١) «الشامل» ص(١٧٢).

طريق الكشف أن في الموضع الفلاني نبياً من الأنبياء أو صحابياً أو رجلاً صالحاً معلوماً أو مجهولاً، وبذلك يقام المشهد أو يرفع القبر، بل تتحول تلك البقعة القفر إلى مدينة تسمى باسم ذلك الولي المخترع[١].

وصوفية اليمن في الغالب مقلدون ناقلون عمن سبقهم من صوفية الشام ومصر والمغرب والعراق وغيرها من البلدان، وهذا التقليد في نواحي كثيرة منها هذا المسلك في اكتشاف القبور وإشهارها، ولهم فيها طرق منها: الاستناد إلى نصوص شرعية أو تاريخية قد تكون أحاديث موضوعة أو واهية، وقد تكون آثاراً عن الصحابة كذلك، وقد تكون إسرائيليات أو من كلام الإخباريين، وقد تكون آيات أو أحاديث صحيحة لكنها لا تدل على مرادهم وإنما يتعسفون في الاستدلال بها وتنزيلها على ما يريدون كما فعلوا في إثباتهم وإظهارهم لقبر نبي الله هود عليه السلام بحضرموت[٢]، وقد يسندون تلك النقول بالكشف أو الرؤيا[٣]. ومثل ذلك فعلوا عندما حاولوا إثبات قبر نبي الله شعيب عليه السلام في جبل شعيب منطقة حضور محافظة صنعاء، وقد تقدم في هذا الفصل[٤]، وعندما لا تكون لديهم نصوص منقولة فإنهم يعتمدون اعتماداً كلياً على الكشف أو الرؤيا، وإليك بعض الأمثلة:

**المثال الأول**: ما ذكره الجندي في السلوك في ترجمة المقرئ عمر بن أحمد بن الحذاء قال: (ومن عجيب ما أخبرت به عنه عام قدمت جبا أنني لما عولت على الفقيه علي بن أبي بكر المقدم ذكره بأن يصل معي إلى المقبرة ليريني القبور التي تزار، ففعل ذلك ووقف بي على قبر فقال: هذا قبر رجل يعرف بالسروي، كان درسياً صالحاً، دخل المقرئ عمر بن الحذاء هذه المقبرة فجعل يزور أهله ومعاريفه والمشهور من الفقهاء، وإذ به يسمع من هذا القبر منادياً ينادي: يا مقرئ عمر أنت ما تزور إلا أصحاب الجاهات، فالتفت إلى القبر وزاره، ولم يبرح يزوره كلما دخل المقبرة قبل كل يوم أحد، وأعلم الناس بالخبر فصار القبر مزوراً إلى عصرنا)[٥]، فبمجرد سماع هذا النداء صار القبر مزاراً واستمرت زيارته قروناً.

---

(١) انظر: «دمعة على التوحيد، قبور الأضرحة بين الحقيقة والوهم» ص(٢٨).

(٢) انظر: كتاب «الكشف المبين عن حقيقة القبوريين: زيارة هود عليه السلام وما فيها من ضلالات ومنكرات» للباحث ص(٩ ـ ٢٨) فقد أوردت ما احتجوا به من ذلك، ورددت عليه رواية ودراية والحمد لله رب العالمين.

(٣) المصدر السابق ص(٣٢ ـ ٣٥).

(٤) انظر: ص(٣٦٩).

(٥) «السلوك» (١/٣٩٢ ـ ٣٩٣).

**المثال الثاني**: ما ذكره الشلي في ترجمة أحمد بن الفقيه المقدم قال: (ودفن بالقرب من مسجد العارف بالله الشيخ عبد الله بن إبراهيم باقشير وكان قبره معروفاً ثم دثر حتى نسي محله، ثم جدّد أوائل القرن العاشر وعمل عليه قبة عظيمة، ثم رأى السيد الجليل فدعق بن محمد في المنام بعض العارفين وهو يقول له: إن قبر السيد أحمد هنا، وأشار إلى محل بقرب المسجد فجدد السيد فدعق قبراً في محل ما أشار إليه العارف المذكور وعمل عليه بنياناً)(١)، فالقبر قد نسي ولكن محبة إظهاره وتعظيمه حملتهم على التخرص فبنوا القبة العظيمة على ذلك الخرص، ثم جاءت الرؤيا فاعتبروها يقيناً وجددوا بناءً ثانياً وخسروا خسارة كبيرة لا شك، فماذا يستفاد من ذلك الجهد والغرم؟.

**المثال الثالث**: ما ذكره الشرجي في ترجمة محمد بن عبد الله المقيبعي، قال: (وقبره بمقبرة باب سهام منها مشهور يزار ويتبرك به، وهو على قرب من تربة الفقيه إبراهيم الفشلي المقدم ذكره في أول الكتاب، وأكثر الناس يزورون القبر ولا يعرفون قبر من هو، وعند رأس القبر جدار قصير، رأى بعض الصالحين في المنام النبي ﷺ قائماً عند القبر المذكور متكئاً على هذا الجدار بذراعه الأيسر مستقبلاً للقبلة يدعو، وقد رأيت جماعة من الناس يفعلون ذلك تمسكاً بهذا الأثر، ويجدون بركة ذلك، وقد فعلت ذلك مراراً ووجدت تأثيره والحمد لله رب العالمين)(٢)، فانظر إلى الشرجي وهو محدث معروف كيف صدق هذه الرؤيا وعمل بها وأقر عمل الناس بها، والمحدثون يردّون الحديث بأدنى علة ولا يعملون به فكيف بأحاديث الرؤيا، ولكنه منهج القبورية عندما تمكّن من قلبه.

**المثال الرابع**: ما ذكره العطاس قال: (وسال شعب القرين بدوعن بسيل عظيم، فأخذ قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار وجهل قبره، ولما أرادوا بناء القبة، جاء الحبيب حسن بن صالح البحر إلى دوعن زائراً فسأله الحبيب يس البار والحبيب عبد الله بن عيدروس عن موضع القبر الذي أخذه السيل فأراهم موضعه، وقال لهم: في القبب، ولا في الكبب(٣))(٤).

**المثال الخامس**: ما ذكره الشرجي في آخر الكتاب تحت عنوان «فصل في

---

(١) «المشرع» (٢/ ٨٤). (٢) «الطبقات» ص(٣٠٣).
(٣) الكبب: جمع كبة، والكبة باللهجة الحضرمية الرأس.
(٤) «تذكير الناس» ص(١٩٢).

الإجمال» قال: (ومن ذلك رجل بمقبرة باب النخل يقال له الملبك، بضم الميم وفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وآخره كاف، ما كان يعرف ولا سمعنا به إلا في هذا الزمان، ذكر رجل من عوام أهل زبيد أنه نبهه عليه إنسان وهو في المنام وقال له: إن صاحب هذا القبر من الأولياء وإن من لازمه في حاجة قضيت، وشاع هذا في أهل البلد حتى صار لهم فيه معتقد عظيم يزورونه ويتبركون به، لا سيما العوام والنساء فإنهم يخرجون في ذلك عن الحد)[١]، لقد قبلوا هذا الخبر من ذلك العامي وسلموا به وبنوا عليه ذلك الاعتقاد العظيم؛ لأن نفوسهم مهيأة لذلك.

والخلاصة: أن القوم قد بلغوا إلى درك سحيق من التفريط بعقولهم والتسليم لكل من قادهم، حتى العامي الذي لا قدم له في علم ولا ولاية يمكن أن يغيّر مجرى تفكيرهم وأن يملأ نفوسهم اعتقاداً بكلام في الغالب من باب الكذب أو مما لا تقوم بمثله حجة.

**المطلب الرابع: المشاهد التي لا قبور فيها:**

لقد رأينا في باب سابق كيف حرص الفاطميون على توسيع القبورية فوضعوا للناس قبوراً نسبوها إلى أهل البيت كذباً وزوراً، كما حرصوا على تعداد القبور للشخص الواحد، ومن أثر ذلك ظهرت عدة قبور للحسين بن علي رضي الله عنه.

وقد انتقد ذلك علماء السنة وجعلوه من الدلالة على وثنية أولئك الناس، وأنه من الوسائل التي وضعوها لجر الناس إلى الشرك وزعزعة عقيدة التوحيد، ولكن الصوفية نحوا ذلك المنحى وعددوا القبور لأوليائهم، فهذا عبد القادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ معروف أنه ببغداد وقبره ومسجده هناك ولكنك قلما تدخل بلداً إسلامياً إلا وتجد فيه قبراً منسوباً إلى عبد القادر الجيلاني، والناس يزورونه ويتبركون به ويعبدونه وينذرون له.

وهنا صوفية اليمن قد سنّوا تلك السنة فهناك قبورٌ صورية لأناس مقبورين في مواضع أخرى رأيت منها اثنين في ناحية زبيد في قرية الحمى، أحدها منسوب لإبراهيم بن أدهم، والآخر منسوب لأويس القرني.

أما عندنا في حضرموت فعادتهم إذا مات أحد كبرائهم في موضع بعيد وضع له عند أهله أو من يحبه من المريدين (نُصب) يسمونه مشهداً للزيارة والتبرك به، يقول

---

(١) «الطبقات» ص(٤١٨).

أحمد بن حسن العطاس: (ولما توفي الحبيب عمر البار المذكور، شقّ فراقه على أخيه الحبيب عيدروس فقال له جدي علي بن عبد الله العطاس: إن عادة السلف إذا مات أحد منهم في مكان بعيد يجعلون له مشهداً يتذكرونه به، ويتبركون بزيارته، فأنشأ المشهد المعروف، نجدي القرين)[١]، وقد انتشرت تلك الأنصاب (المشاهد) في أماكن كثيرة من حضرموت لأجل تلك العادة السيئة.

وهنا كلام جميل للعلامة علوي بن طاهر الحداد فقال وهو يتكلم عن قرية الباقحوم وذكر أن عندها علم مشيّد بالنورة وهم يسمونه مشهد الحبيب عبد الله الهدار.. ثم قال: (ولم أرَ من تكلم على حكم مثل هذه الأعلام من فقهاء الشافعية، ومن المقطوع به أنه إن ترتب عليها ما يخل بالإيمان من اعتقاد ضر أو نفع لغير الله تعالى فلا شك في حرمة إقامتها، وسوف يتعب نفسه من أراد أن يجد لها أصلاً من كتاب أو سنة أو يجعلها من قسم البدع المطلوبة)[٢].

### المطلب الخامس: إلباس القبور وكسوتها:

من مظاهر التعظيم للقبور عند القبورية كسوة القبور بالثياب الفاخرة المزركشة المكتوب عليها بعض الآيات القرآنية والأدعية والاستغاثات بأصحاب تلك القبور وتعداد بعض مناقبهم، وهي ظاهرة دالة على مدى اعتقادهم بل مغالاتهم في الاعتقاد في تلك القبور وأصحابها. وهذه الظاهرة منتشرة في الكثير من تلك القبور على امتداد المقابر اليمنية، ومنها ما يبدل سنوياً ويكون ليوم تبديله ميزة على سائر الأيام، كما يحصل مثلاً في يوم إلباس تابوت علي بن محمد الحبشي في مدينة سيئون بحضرموت، فله مراسم معروفة حيث تبدأ ببروز (منصب المقام) من بيته ومعه الثوب الجديد ليجد الناس بانتظاره عند الباب، ثم يزفونه باللهو والطبول والأهازيج المناسبة المشتملة على تمجيد صاحب المقام والاستغاثة به، مع ضرب الطبول ورفع الرايات إلى أن يقتحموا المقبرة ويدوسوا على قبور عامة المسلمين ليصلوا إلى قبة الحبيب علي الحبشي فيطوفون بالقبر حاملين الثوب الجديد، ثم ينزع الثوب القديم ويحل محله الثوب الجديد، وأما الثوب القديم فظني أنه يقطع ويعطى عزائم للزوار ويعلقونها على أنفسهم وأبنائهم ونسائهم، ومع ظهور قبح ذلك وإشعاره بالغلو المنهي عنه في الصالحين وتشبيه قبورهم بالكعبة وإغراء الجهلة من العوام بالتمسح

---

(١) «تذكير الناس» ص(٢١٦).

(٢) «الشامل في تاريخ حضرموت» ص(١٣٦).

بها والطواف والتبرك، وكلها إما شرك وإما من وسائل الشرك؛ مع كل ذلك لا يبقى الأمر مجرد عمل يقوم به الناس، وعند إنكاره يقول القائمون عليه: هذا من فعل الجهال كما هو شأنهم في التنصل من هذه الأمور عند ظهورها ومحاربتهم بها، أقول: لم يبق الأمر كذلك بل لقد ظهر من يؤصل لها فقد صدر كتيب بعنوان: «رفع البأس ودفع الالتباس عن حكم التابوت والإلباس»[1] وقال في «مقدمته»: (أما بعد: فقد ضمني مجلس مع بعض الإخوان من طلبة العلم، ودار البحث فيه عن بعض عادات وترتيبات أسلافنا الصالحين العلويين بحضرموت خاصة، وبغيرها من البلدان الأخرى، وزياراتهم وحضراتهم وما أثير حولها في هذا الزمن من التشكيك في صلاحيتها وأصالتها، وطال النقاش حول بعضها، وتركز حول الاحتفال الذي يقام سنوياً بمناسبة (إلباس تابوت الإمام العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشي في مدينة سيئون بحضرموت) والذي استمر العمل به من عام (١٣٦٨هـ)، والاحتفالات المماثلة له في عدن وغيرها من البلاد الأخرى، وبناء على طلب ممن يهمه الأمر فقد سجلت ما يحضرني في هذا الموضوع لعله يفيد من يطلع عليه من شبابنا المتعطشين لمعرفة الحقيقة، والحريصين على سلوك هذه الطريقة.

أما المنتقد لمجرد النقد، أو لحاجة في نفسه مبعثها الجهل والحقد، فليس لنا معه كلام، وإذا خاطبنا الجاهل نقول له: سلام، فأقول وبالله التوفيق:

إن الحديث في هذا الموضوع يتفرع إلى قسمين:

١ ـ القسم الأول: حكم رفع القبر وتجصيصه ووضع التابوت عليه والإلباس.

٢ ـ القسم الثاني: حكم الاحتفالات عامة، وحكم الاحتفال بالإلباس خاصة، وما يترتب عليه، وسأحاول مراعاة الاختصار بقدر المستطاع حتى يتمكن الشباب من قراءته ويعم به الانتفاع)[2].

وقد احتوى الكتيب مع صغره على الكذب على العلماء والمخادعة للقارئ.

أما الكذب ففي قوله: (اختلف العلماء في جواز رفع القبور وتجصيصها ووضع التابوت على القبر، وقد أجاز ذلك أكثر العلماء وجمهور الفقهاء لا سيما في الأرض

---

(١) نشرته دار المهاجر للنشر والتوزيع التي لم تضع لها عنواناً كسائر دور النشر، وهي من الدور التي أنشئت لبعث الفكر الصوفي القبوري ونشره بين الناس وقد طبع الكتيب عام (١٤١٥هـ).

(٢) «رفع البأس ودفع الالتباس عن حكم التابوت والإلباس» ص(٣ ـ ٤)، تأليف عبد القادر الجيلاني بن سالم خرد، طبع دار المهاجر، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

المملوكة والموقوفة وقفاً خاصاً وليست مسبَّلة ولا موقوفة وقفاً عاماً، ونصوصهم في ذلك صريحة واضحة تزخر بها كتب الفقه والحديث بل قال بعضهم بندبها واستحبابها)[١]، فهذا كذب صريح على العلماء فأين الذين صرحوا بجواز ذلك؟ وأين الذين صرحوا باستحبابه من العلماء لا من الصوفية الدجاجلة الجاهلين؟.

وقد سبق في الباب التمهيدي الرد على ذلك وبيان شبهات القوم ودحضها.

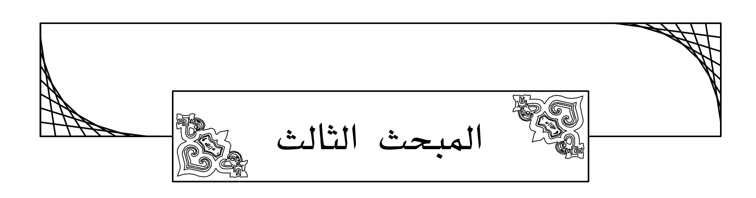
وأما المغالطة فهي تتمثل في نقله إجماع الصحابة ﷺ على ذلك أي (رفع القبور وتجصيصها والكتابة عليها) وهي مغالطة فقط في قضية الرفع، إذ معلوم أن الصحابة ومن بعدهم من العلماء وإلى اليوم يرون رفع القبور إلى أربع أصابع ونحوها وهذا معلوم مقرر، ولكن هذا المغالط جعل ذلك إجماعاً على الرفع المعروف لدى القبورية المشتملة على البناء المحكم الذي يرتفع أشباراً بل أذرعاً في بعض الأحيان، ووضع التركيبات الحجرية أو التوابيت الخشبية أو البناء حولها المشاهد ونحو ذلك، فأين ما أجمع عليه الصحابة من الرفع (أربع أصابع) من ذلك؟، إنها المغالطة والمغالطة فقط واعتقاد أن الناس لا يعقلون، فيجب أن يلقنوا ما يحب الكاتب وطائفته أن يلقنهم إياه.

وأما نسبة الإجماع إلى الصحابة بجواز الكتابة والتجصيص عليها فهو كذب صريح، أتحدَّاه أن يأتي به بسند صحيح إلى واحد منهم فضلاً عن جميعهم.

وأما إلباس التابوت فلم يأت فيه بشيء أصلاً وإنما أدخله في الاسم وتجنبه في المناقشة، وهذا من الحيل البارعة للمخادعين حيث يتضمن العنوان أموراً كثيرة ويبرزها وأنها مقصودة في البحث ثم يتكلم عما تيسر له الكلام عليه ويتجنب الكلام عن بعض المسائل، وبذلك يخرج القارئ بانطباع أن الكاتب قد بحث المسألة وأشبعها وأقام الأدلة على ما يريد فيخرج مقتنعاً بما حواه العنوان دون النظر إلى التفاصيل، وهذا ما فعله الكاتب ولكن حبل الكذب قصير وقد قيض الله لهذه الأمة من يكشف عنها غشاوة الجهل وحيل المغالطين.



(١) «رفع البأس ودفع الالتباس» ص(٣ ـ ٤).


المبحث الثالث

# الزيارات القبورية

## وفيه خمسة مطالب:

### المطلب الأول: علة زيارة القبور عند القبورية وأصلها الفلسفي:

زيارة القبور سنة سنها رسول الله ﷺ بقوله وفعله وتقريره، أما قوله فقد قال ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر الموت»[(١)]، فهذا الحديث واضح في الإذن بزيارة القبور، وبيان العلة المقصودة من تلك الزيارة، وقد سبق في الباب التمهيدي بيان تلك العلة وأقوال العلماء في ذلك الحديث، ومشروعية الزيارة بصفتها وعلتها الشرعية عند جماهير المسلمين، ولكن القبوريين لم يرتضوا تلك الصفة ولا تلك العلة واخترعوا واقتبسوا لأنفسهم علة جديدة لزيارة القبور وهي: الاستمداد منهم والاستشفاع بهم، ومن تأمل تلك العلة التي ذكروها عرف كيف تسرَّبت إلى نفوس المسلمين العقائد الوثنية الفلسفية، وكيف قَبِلَتْها ودانت بها كأنها من نصوص الوحي.

وقد شرح أبو حامد الغزالي ذلك في كتابه «المضنون به على غير أهله» فقال: (أما التقرب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام، فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد، من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام، والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة، وهذا يحصل من جهتين: الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر، ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين، أما الاستمداد فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة في ذلك، ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله، وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أو المزور، حتى تمده تلك

(١) تقدم تخريجه ص(٤٠).

الروح الطيبة بما يستمد منه، ومن أقبل في الدنيا بهمته وكليته على إنسان في دار الدنيا فإن ذلك الإنسان يحس بإقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك، فمن لم يكن في هذا العالم فهو أولى بالتنبيه، وهو مهيأ لذلك التنبيه، فإن اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم إلى بعض أحوال العالم ممكن، كما يطلع في المنام على أحوال من هو في الآخرة أهو مثابٌ أو معاقب، فإن النوم صنو الموت وأخوه، فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين في حالة اليقظة لها، فكذلك من وصل إلى الدار الآخرة، ومات موتاً حقيقياً كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى.

فأما كلية أحوال هذا العالم في جميع الأوقات لم تكن مندرجة في سلك معرفتهم، كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة في معرفتنا في منامنا عند الرؤيا، ولآحاد المعارف معينات ومخصصات منها همة صاحب الحاجة، وهي استيلاء صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب الحاجة، وكما تؤثر مشاهدة صورة الحي في حضور ذكره، وخطورة نفسه بالبال، فكذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه، فإن أثر ذلك الميت في النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده، ومن ظن أنه قادر على أن يحضر في نفس ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده، فذلك ظن خطأ، فإن للمشاهدة أثراً بيناً ليس للغيبة مثله، ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضاً جزافاً ولا تخلو من أثر، كما قال النبي ﷺ: «من صلى عليَّ مرة صليت عليه عشراً»[1]، «ومن أجاب المؤذن حلت له شفاعتي»[2]، «ومن زار قبري حلت له شفاعي»[3]، فالتقرب بقالبه الذي هو أخص

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٢٦٩٢) (٣/ ٣٢٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٦): رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات. قلت: رواه النسائي إلا أنه قال: (صلى الله عليه بها عشراً).

(٢) رواه الطبراني بلفظ: (وجبت له شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة)، كما في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٣٨) وقال: وفيه صدقة بن عبد الله السمين، ضعفه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم، ووثقه دحيم وأبو حاتم وأحمد بن صالح المصري.

(٣) رواه البزار كما في «كشف الأستار»، باب زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ (٢/ ٥٧)، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، بتحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، وقال عبد الله بن إبراهيم: لم يتابع على هذا، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٤/ ٥): رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف.

الخواص له وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل، والتقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب بكل ما له منها مناسبة إليه تقرب موجب للقرب إليه مقتضٍ لشفاعته، فإنه لا فرق عند الأنبياء في كونهم في دار الدنيا وفي كونهم في دار الآخرة إلا في طريق المعرفة، فإن آلة المعرفة في الدنيا الحواس الظاهرة وفي العقبى آلة يعرف بها الغيب إما في كسوة مثال، وإما على سبيل التصريح.

وأما الأحوال الأخر في التقرب والقرب والشفاعة فلا تتغير، والركن الأعظم في هذا الباب الإمداد والاهتمام من جهة الممد، وإن لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد، فإنه لو وضع شعر رسول الله ﷺ أو عضادته أو سوطه على قبر عاص أو مذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب، وإن كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها ببركاتها بلاء، وإن لم يشعر بها صاحب الدار وساكن البلدة، فإن اهتمام النبي ﷺ وهو في العقبى مصروف إلى ما هو به منسوب، ودفع المكاره والأمراض والعقوبات مفوضة من جهة الله تعالى إلى الملائكة، وكل ملك حريص على إسعاف ما حرص النبي صلوات الله عليه بهمته إليه عن غيره، كما كان في حال حياته، فإن تقرب الملائكة بروحه المقدسة بعد موته أزيد من تقربه به في حال حياته)[١].

هذه هي علة الزيارة، الشفاعة والاستمداد على طريقة فلسفية تنبعث من العقل وتقبلها النفوس وتنساق لها الجوارح، وقبورية اليمن وهم تلامذة الغزالي على كتبه بل مقدِّسوه ومقدِّسو كتبه حتى بالغوا في ذلك فجعلوا لكل من انتسخ جزءاً معيناً من الإحياء الجنة، وبالمقابل قالوا: (من لم يقرأ الإحياء فليس عنده حياء)، وهذا تقديس ليس بعده تقديس للإحياء ومؤلفه، وهو يسري على جميع كتبه؛ ولأجل ذلك اقتبسوا تلك العلة من الغزالي ودانوا بها ونشروها في أتباعهم، ففي كتيب بعنوان «بذل المجهود في خدمة ضريح سيدنا نبي الله هود» لعبد الرحمن بن محمد العيدروس طبع عام (١٣٢٨هـ) وهم يوزعونه هذه الأيام مصوراً ويبيعونه في مكتبات صوفية حضرموت، في هذا الكتيب ساق العيدروس جزءاً كبيراً من كلام الغزالي السابق مقراً له بعد أن قدّم له بقوله: (وقد تقرر أن زيارة ضرائح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سنة ثابتة لكل أحد، وإن توقفت على سفر وإن طال، كيف وهي من

(١) «المضنون به على غير أهله» ص(٣٥٦ ـ ٣٥٧) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي.

أعظم القربات وأجل الطاعات وأجزل الرغبات، ويتفاوت طلبها بتفاوت فضيلة الأنبياء المزورين عليهم الصلاة والسلام والأئمة رضي الله عز وجل عنهم، فإن المقصود من الزيارة الاستمداد. . .) إلخ[١]، وقد أتى بأكثر كلام الغزالي دون عزوٍ إليه وهو آكد في تبني ذلك القول. ثم نقل عن الإمام فخر الدين الرازي كلاماً يشبه كلام الغزالي من بعض الوجوه، بل ربما يكون أوضح خصوصاً أنه صرح فيه بأن ذلك هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة وإليك نص كلامه: (وذكر الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله أن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان آخر من الأنبياء أو الأولياء أو الشهداء أو الصلحاء، وكان ذلك الزائِر قوي النفس، كامل الجوهر، شديد التأثر، ووقف هناك ساعة، وتأثرت نفسه من تلك التربة، حصل لنفسه تعلق بتلك التربة وحينئذٍ يتلاقى مع نفس ذلك الميت على تلك التربة كتلاقي مرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهن إلى الأخرى، فكلما حصل في نفسه من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضاء بقضائه ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت، وكلما حصل في نفس الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة فإنه ينعكس منها نور إلى روح ذلك الإنسان، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى، والبهجة العظمى لروح الزائِر ولروح المزور، قال: فهذا هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدق وأخفى مما ذكرناه، وتمام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله عز وجل)[٢]، وهناك إشارات إلى ذلك في كلام أحمد بن حسن العطاس في تذكير الناس يرجع إليه من أراده[٣].

**والخلاصة**: أن علة زيارة القبور عند القوم للاستمداد، واعتقاد أنهم بحضورهم بين يدي الأولياء والصالحين تفيض عليهم أسرارهم وأنوارهم وبركاتهم وكراماتهم، ولذا فهم يحرصون على هذه الزيارات ويسافرون إليها إلى الأماكن البعيدة، ولو كان الغرض هو الزيارة الشرعية لعلتها الشرعية لاكتفوا بزيارة مقابر بلدانهم أو ما تيسر لهم دون تكلف، وقد كان أهل حضرموت يزورون القبور على تلك الطريقة، سواء قبر نبي الله هود حسب زعمهم أو غيره، حتى إذا كان القرن التاسع غيَّرت تلك

---

(١) «بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هود» ص(٢٠ ـ ٢٢)، تأليف عبد الرحمٰن بن محمد العيدروس، طبع بالمطبعة الفيضية حيدرآباد (١٣٢٨هـ).
(٢) «بذل المجهود» ص(٢٢ ـ ٢٣). (٣) «تذكير الناس» ص(١٩٦ ـ ١٩٧).

الطريقة التي يسمونها طريقة الفقهاء إلى الطريقة الصوفية التي الغرض منها ليس فقط السلام والترحم ولكن التوسل والاستمداد والتبرك بالمزور، والذي فعل ذلك هو عبد الله العيدروس المولود سنة (٨١١هـ) والمتوفى سنة (٨٦٥هـ) كما يقول عبد اللاه[(١)] بن حسن بلفقيه في كتابه «الفرائد في تقييد الأوابد» حيث توقف العيدروس لمدة ثلاث عشرة سنة لأجل الحصول على الإذن بذلك ثم جاء الإذن الرباني[(٢)]، فانظر كيف غيّر سنة الزيارة من الزيارة السنية إلى الزيارة البدعية، ولم يكتفوا بنسبة ذلك إلى أنفسهم بل نسبوها إلى الله، تعالى الله عما يأفكون.

### المطلب الثاني: ظاهرة الزيارات القبورية:

بناءً على العلة التي وضعها القبوريون لزيارة القبور، فقد كثرت تلك الزيارات كثرةً يستحيل إحصاؤها وحصرها، فمن زيارات مستمرة طول الأسبوع والشهر والسنة، إلى زيارات أسبوعية يخصص لها يوم الجمعة أو غيره، إلى زيارات حولية في تاريخ معين من السنة إما لاعتبار يوم ميلاد المزور أو يوم وفاته أو لكونه قد أسسها هو على ذلك في حياته، حيث يختار لها يوماً ذا مناسبة عظيمة عند القوم كيوم الثاني عشر من ربيع الأول يوم ميلاد الرسول ﷺ، أو السابع والعشرين من رجب يوم الإسراء والمعراج بزعمهم، أو آخر جمعة منه، أو يوم النصف من شعبان لما فيها من فضائل حسب اعتقاد القوم، أو لتحري يوم زيارة الحسين بن علي رضي الله عنه عند الشيعة في كربلاء، فإن أعظم زياراته أو من أعظمها زيارة النصف من شعبان، أو يوم عاشوراء وهي كذلك يوم زيارة عظيمة للحسين رضي الله عنه.

وقد كنت عزمت على حصر وتتبع تلك الزيارات زماناً ومكاناً ومع اسم الولي صاحب الزيارة ثم رأيت أن في ذلك تطويلاً لا فائدة منه، فالزيارات موجودة مشاهدة أكثرها ما يزال كما هو لم يتغير أو يُزل والكل مسلّم به، ومن إضاعة الوقت والجهد إثبات ما لا نزاع فيه، وإنما يحرص الباحث على إثبات ما ينازع فيه الخصم، لذا فسأكتفي بالإشارة إلى أن تلك الزيارات موجودة على امتداد اليمن من أقصاه إلى أقصاه، سيما البلاد الشافعية، فما من محافظة إلا وفيها عدد من تلك الزيارات، وهي تتفق في معظم أمورها وتختلف في بعضها، وسيأتي تفصيل ما

---

(١) هكذا يكتب وينطق وهو عُرف عند بعض أهل حضرموت.

(٢) انظر: «الفرائد» ص(٨ ـ ٩).

يحصل فيها في المطلب الثالث إن شاء الله، والمهم هنا هو التنويه بهذه الزيارات والإشارة إلى كثرتها واستمرارها، بل إن القوم هذه الأيام يسعون لتجديد ما اندثر منها، ففي كتاب يُعد من آخر ما نشره صوفية حضرموت وهو «الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم» والغرض منه كما يقول مؤلفه: (ودوّنته للحفاظ على تلك القيم الدينية لينتفع بها الجميع وليرسخ في الأذهان على ممر الأزمان)[1]، وخَتَمَهُ بعادة النزهة والمنادر في آخر بحثه، ثم قال: (وهكذا إلى أن يحين وقت صلاة العصر، فيصلون العصر في جماعة وينفضّون من المجلس عائدين من مواقع النزهة لذلك المندر في طريقهم إلى أحيائهم ببلدهم الغنَّاء «تريم» مسقط رأسهم، فيجمعون ما عندهم من أدوات ومن فرش، ويحملونها على الإبل والحمير، ويركب كبار السن والأطفال، ويعودون إلى حيهم بالخليف وعيديد، مارين بمسيال التربة وهم يترزحون فيما يسمى بالخابّة، وأمامهم البقارة ينعشون، والنساء على حافة الشوارع ومن شرفات ونوافذ البيوت يحجرن ويعيِّطن[2]، والجماهير محتشدة تتفرج وتشارك في تلك الأفراح يغمرها الفرح والسرور، ويعتبر هذا المندر عيدٌ كبرى ويوم سعيد، يسجل بماء الذهب وموسم عظيم جداً جداً، نسأل الله تعالى أن يحفظ لنا هذا التراث القيم، ويقيض من يقوم بإحيائه وبإعادة طابعه على ما كان وزيادة، وأن يجمع الله الشمل ويهلك ويدمر من ضيّع أو من أمات وفوّت علينا هذه العادات الحسنة، وأن يوفق الله آباءنا وشيوخنا ومقادمتنا وقياداتنا السياسية للحث على إحياء هذه العادات وهذا التراث الخالد، وأن يكون في عون الجميع ويأخذ بأيديهم ويعينهم ويعاونهم على الحرص والسعي لإحياء ما اندرس من تلك الذكريات والله الموفق والمعين، وبهذا يكون الختام لذكر نزر يسير من بعض عادات تريم الذي تضمنته صفحات هذا الدليل القويم، سائلاً المولى الكريم أن يكون جمعي لهذا الدليل خالصاً لوجه الله العلي العظيم لينتفع به الجميع، وتريم غنية عن الشهرة وحرصاً مني على إثبات ما جاء في هذا الدليل ولغرض التبرك وحصول المدد جمعت هذه السطور تطبيقاً لقول القائل: «ما كُتب قرّ وما حفظ فرّ» والله خير شهيد

---

(١) «الدليل القويم في ذكر شيءٍ من عادات تريم»، تأليف حامد بن محمد بن شهاب، طبع مكتبة تريم الحديثة، تريم، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)، ص(٨).

(٢) المراد بالحجير والتعييط: ما يسمى بالزغردة وهي صوت تردده المرأة بلسانها في فمها عند الفرح. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٣٩٤).

وهو حسبنا ونعم الوكيل. . . إلخ)[١].

وهذه العادات مع ما فيها من تجميع للنساء وحجير وتعييط منهن أمام الرجال ونظرهن إلى أولئك الذين ينعشون أي يرقصون برؤوسهم كالنساء، هذا كله يقول عنه المؤلف أنه يسجّل بماء الذهب ويدعو الله أن يحفظه، ثم يدعو بالهلاك والتدمير على من ضيع وأمات ذلك التراث وتلك القيم ـ ولعل القارئ يعجب من ذلك، فأقول: لا تعجب فإن هذا الأمر رتّبه سلفهم وجعلوه عادة، وما كان كذلك فلا اعتراض مهما اشتمل عليه من انحراف وفساد فإنها (من عادات رجال الهدى القادات الملحقة بالعبادات لقيامها على أسس العلم والمتابعات)[٢]، هكذا يقول عمر بن حفيظ في تقريظه لهذا الكتاب، وقبله قد قال أحمد بن حسن العطاس: (وهكذا السلف في عاداتهم فإنها ملحقة بالعبادات عندهم)[٣]، وهذا كلام خطير؛ أن يجعل ترتيب وعادة إنسان مهما كان ملحقاً بالعبادات ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١].

وبخصوص هذه الزيارات الحولية يقول المؤلف عند كلامه عن زيارة أحمد بن عيسى: (وتجدر الإشارة بالزيارة السنوية العامة لسيدنا المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى ويحضرها جمع كبير من الناس من تريم وسيئون وغيرهما، في يوم يتفق عليه من أيام شهر محرم، آملين إعادة تلك الزيارة حسب المعتاد وبالله التوفيق)[٤]، فهو يأمل أن تعود تلك الزيارة، إذن من يحلم بانتهاء تلك المظاهر البدعية والشركية دون عمل ودعوة وبيان لما فيها من المخالفة للسنة والوقوع في البدع والخطر على العقيدة واستمرار الفساد؛ من يحلم بذلك فهو واهم.

**المطلب الثالث: شعائر الزيارات القبورية:**

ما دام أن لكل عمل هدفاً يُقصد من ورائه فلا شك أن القائم على ذلك العمل سيجتهد أن يكون العمل مشتملاً على كل ما يحقق الهدف المقصود منه، ولا شك أن مرتبي الزيارات القبورية ولا سيما الحولية منها، قد وضعوا جملة أهداف لتلك الزيارات، من تلك الأهداف: إظهار شرف المزور، وإظهار شرف القائمين على

---

(١) «الدليل القويم» ص(٢٢٢ ـ ٢٢٣). (٢) المصدر السابق ص(٢٣٥).

(٣) «الرحلة الدوعنية» لعلوي بن طاهر الحداد، مخطوط ضمن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلته إلى مكة ودوعن، ص(٨).

(٤) «الدليل القويم» ص(١٦ ـ ١٧).

مقامه، والكسب المادي من وراء تلك الزيارة، واغتنام الزيارة لتعميق نهج القائمين على تلك الزيارات، وغرسه في نفوس العوام، هذه أهداف عامة عائدة إلى القائمين على الزيارات، وهناك أهداف خاصة بالزوار، منها: الحصول على بركة المزور ومدده كما مر في علة الزيارة، ومنها: المشاركة في السوق التجاري الذي يقام بتلك المناسبة، ومنها الفُرجة والمشاركة في الملاهي التي هي من أبرز سمات الزيارات.

ولأجل إظهار شرف المزور تراهم في بعض تلك الزيارات يُلبسون تابوته الثياب الجديدة، وينصبون عليها الأعلام الخاصة به، فإذا أقبل الزوار أقبلوا ولهم زجل عظيم، وأصوات عالية بأنواع الأراجيز والتي تكون في الغالب تمجيداً له وطلباً منه واستغاثة به، ومنها تلك العبارة التي ربما تكون عامة في معظم الزيارات على الأقل في حضرموت وهي:

يا ولي الله جئنا إليك وطرحنا الذنب بين يديك

وحيناً يأتون بطبولهم ومزاميرهم ولهوهم حتى يدخلوا إلى داخل القبة، ويطوف بعضهم بالتوابيت التي على القبور، وخذ وصفاً لواحد من تلك المشاهد بقلم من لا يتهم عند القوم في عقيدته ولا في أمانته وهو علوي بن طاهر الحداد، يقول ـ وهو يصف زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ـ: (... ثم يرتحلون إلى قيدون وقد خرج أكثر أهل البلد ولا سيما النساء والأطفال فيقومون على جانبي الساقية، وفيها تمر الطريق ينظرون إلى الواردين حتى إذا كان آخر العشية جاء أهل الخابّة يلعبون ويرقصون على طاسة يضربونها وأناشيد خشنة تشابه حركاتهم، وهم يخبون أي يسرعون في مشيهم ولذلك سموه «الخآبّة» «بالمد والتشديد» وأهلها من سكان الهجرين، ويدخل العبيد ضحوة يوم الجمعة في زفتهم وقد أحاط بهم الغوغاء، فَيصِلُون قبة الشيخ سعيد والإمام يخطب فتمتلئ جوانب المسجد بضجيج مزاميرهم ونقرهم[1] وطبولهم ولغطهم برطانتهم وضربهم التوابيت فلا يسمع خطبة الخطيب ولا قراءة الإمام إلا من دنا، وتمتلئ شوارع السوق بالنساء والرجال في زحام يتضاغطون يموج بعضهم في بعض ويصدر عن ذلك أمور يندى لها الجبين وتضحك لها الشياطين)[2].

وإليك وصفاً آخر لزيارة شهيرة أخرى هي زيارة «الحول» لعلي الحبشي صاحب

---

(١) في القاموس: النقر هو صويت تزعج به الفرس، ولعل المؤلف يريد به الأصوات المزعجة.

(٢) «الشامل في تاريخ حضرموت»، تأليف علوي بن طاهر الحداد، طبع بسنغافورة (١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م) بمطبعة أحمد المعروف، سنغافورة ص(٢١٦).

سيئون فإنها ما تزال ماثلة إلى اليوم لم تنقص بل تتطور، وقد كان الحزب الاشتراكي في آخر أيامه يشارك فيها بإرسال الجنود لحفظ النظام، قال صاحب الدليل القويم: (ثم نأتي إلى المراسيم التي يتم بها حول الحبيب علي بن محمد الحبشي بمدينة سيئون، فتبدأ تلاوة القرآن من العاشر من شهر ربيع الثاني في قبة الحبيب علي، ما بين وقتي الظهر والعصر وتنتهي بأداء صلاة العصر بمسجد الرياض[1]، ثم تستأنف الجلسة بالقبة بين العشائين بتلاوة القرآن، وتختم الجلسة بإنشاد قصيدة للشيخ بكران باجمّال قالها مديحة في الحبيب علي، وهكذا في كل ليلة تختم الجلسة بالنشيدة للشيخ بكران أو غيره، وبعد ذلك يوهب المعلم ثواب القراءة إلى روح الحبيب علي ثم يرتب القائم بالمقام الفاتحة، وبعد قراءتها يقف عند بوابة القبة في الجهة الشمالية ويقوم معه البعض من السادة آل الحبشي وغيرهم وينشدون الموخذ[2]: «الله الله يا الله لنا بالقبول» ويضربون الدفوف أثناء الموخذ وبعد الانتهاء من ذلك يؤذن لصلاة العشاء وبعد الصلاة ينصرفون، وهكذا تستمر هذه الجلسات بالقبة المذكورة وتضاف لها جلسة قبيل الفجر وتنتهي بصلاة الصبح في مسجد الرياض.

ويتوافد الكثير من الناس إلى مدينة سيئون ويمكثون بها عدة أيام لغرض حضور الجلسات بالقبة وحضور جلسة الحول، وخلال إقامتهم بسيئون يتبادلون الزيارات لبعض الحبايب والأعيان لالتماس البركة وطلب الإجازة والإلباس والإطعام، وتعتبر تلك الأيام أيام فرح وابتهاج بلقاء أهل العلم والخير والصلاح بعضهم بعضاً.

وفي اليوم الثامن عشر من الشهر في الفترة الصباحية يعقد اجتماع كبير بمناسبة التلبيسة للتابوت الذي على ضريح الحبيب علي فيتم التجمع أولاً في بيت الحبيب القائم بالمقام، وتحتوي الجلسة على السماع من قبل آل باصالح وغيرهم من المنشدين، ويدار البخور أثناء الجلسة ثم يُرتب الفاتحة القائم بالمقام، ويدعو الله، وينصرف الحاضرون ويتجمعون تحت البيت، ويتحرك الموكب الكبير تتقدمه فرقة آل باصالح، ويليهم القائم بالمقام والسادة الأعيان الذين حضروا لغرض المشاركة في التلبيسة، ثم تليهم مجموعة تحمل التلبيسة، في شكل مثال خاص بها، يرددون

---

(١) مسجد الرياض: اسم المسجد الذي بناه علي الحبشي بسيئون.

(٢) الموخذ: نوع من السماع الصوفي يحتوي على إنشاد بعض القصائد مع استخدام الدفوف في حال المشي.

ألحان وأراجيز أثناء مشيهم، وتأتي خلف هذه المجموعة فرقة الشبواني[(١)] من رجال الحافة، ويستمر ذلك الركب مواصلاً السير حتى يصلوا إلى قبة الحبيب علي فينشدون الموخذ المعتاد: «الله الله يا الله لنا بالقبول» ثم ينشد المنشد بقصيدة للحبيب علي، وبعد ذلك يتكلم القائم بالمقام ويشرح ما يتعلق باللباس، وما يقوم به الحاضرون وما جاءوا من أجله بحسن نية والتماس البركة وتعظيماً للعلم ولرجال العلم وما يستحقه أهل العلم، ويختم كلمته بتلقين الحاضرين بالجلالة وبالفاتحة والابتهال بالدعاء، ثم يخرجون من القبة بالسماع والشبواني والمرازح[(٢)] عائدين إلى بيت المقام وعلى ملامح الجميع الفرح والسرور، وجلسة ما بين العشائين لتلك الليلة تحتوي على ختم القرآن من سورة الضحى إلى سورة الناس ثم الوهبة والنشيدة المعتادة وقراءة الترجمة الخاصة بالحبيب محمد بن علي الذي توفي بتاريخ (١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٨هـ)، وتعتبر هذه الجلسة حولاً سنوياً للحبيب محمد بن علي، وذكرى تاريخية لما قام به من عمل وما رتبه لحول والده نفعنا الله بهما آمين.

وفي يوم عشرين من الشهر نفسه يتم الاحتفال الكبير الذي يضم الجموع الغفيرة التي تفد من معظم مدن وقرى حضرموت وغيرها من البلدان الأخرى، لحضور جلسة الحول المشهودة، ويكفي الحبيب علي ما قاله فيه شيخه الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس: (ستكون يا علي مغناطيس القلوب)، وتحتوي جلسة الحول على تجمع الناس والتفافهم داخل القبة وخارجها من جميع الجهات، وتبدأ الجلسة بإشارة القائم بالمقام على المعلم فيلهج ويقول: (فاعلم أنه لا إله إلا الله، فيتبعه الحاضرون مرددين معه كلمة التوحيد وبعد ذلك يبدأ ختم القرآن من الضحى إلى سورة الناس، وبعد الانتهاء من الختم يقوم المعلم بالوهبة إلى روح صاحب المناسبة وأصوله وفروعهم، ثم يقرأ الدعاء الخاص بختم القرآن، وبعد ذلك يأتون بالموخذ الذي مطلعه: يا الله ارحم علي الحبشي وحقق متابه... إلخ، ثم الإنشاد بالقصيدة:

---

(١) «الشبواني: وهي رقصة الحرب والسلم بقسميها، مسيرة العدة، والرقصة عقب الشعر، وتقام هذه الرقصة في كل مناطق حضرموت. انظر: «الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت» ص(٤٦)، تأليف عبد الله سعيد سليمان الجعيدي، دار الثقافة العربية، جامعة عدن، الطبعة الأولى (١٩١٨م ـ ١٩٤٥م).

(٢) وهي القيام بحركات وخطوات بالرجلين بصورة إيقاعية إلى الأمام والخلف أو بالقفز الجماعي في مواقعهم. انظر: «الفكر والمجتمع في حضرموت»، تأليف: كرامة مبارك بامؤمن ص(٢٩٥)، الطبعة الأولى.

لكم بشرى الإجابة والقبول    من المولى بواسطة الرسول

وبعدها تقرأ الترجمة التي جمعها ابنه الحبيب محمد، ويدار خلال الجلسة البخور والماء، وبعد قراءة الترجمة يقوم القائم بالمقام بكلمة الوعظ والتذكير ويعطي المناسبة حقها ويختم كلمته بتلقين الحاضرين الجلالة والفاتحة، ثم يرتب الفاتحة الختامية للجلسة، ثم يبتهل بالدعاء وبعد ذلك يصلون صلاة العصر، وبعد أداء الصلاة ينصرف الجميع مؤملين القبول والعيادة في عافية وسلامة، سنيناً عديدة وأعواماً مديدة.

وتبقى جلسة أخرى مهمة جداً وتعتبر مكملة للحول تسمى بالروحة، فتنعقد تلك الجلسة بالقبة بين العشائين من مساء اليوم نفسه، فيأتي الحبيب القائم بالمقام ويصحبه ركبه العظيم بعد أن صلوا المغرب بمسجد الرياض، تتقدمهم فرقة آل باصالح والجموع محتشدة داخل القبة وخارجها، وقد أدوا فريضة المغرب مترقبين وصول ذلك الموكب ليأخذ كل مكانه، ثم تبدأ الجلسة من قِبل آل باصالح وغيرهم من المسمِّعِين الذين يشير عليهم القائم بالمقام، وهكذا تستمر جلسة الروحة إلى أن يحين وقت صلاة العشاء فيصلون، وبعد الصلاة تقام المرازح يشاركهم القائم بالمقام أفراحهم بمشاركته الفعلية بينهم وتنتهي بوصوله إلى بيته العامر.

ومما نشير إليه استضافة الكثير من الوفود التي ترد من المكلا والشحر وغيرها إلى بيت القائم بالمقام خلال أيام الحول، فيمكثون عنده ببيته لمدة أيام، وفي مساء ليلة الحادي والعشرين من الشهر يوجه المتصدر الدعوة للكثير من المناصب والأعيان وغيرهم إلى بيته لحضور حفل الحول الختامي، ويحتوي ذلك الحفل على الحديث المتبادل من قبل المدعوين ويتخلل ذلك السماع من قبل آل باصالح وغيرهم من المسمِّعِين ثم تقدم وجبة العشاء، وبعد تناول الطعام تستأنف الجلسة ويدار الشاي ويتبادل الحاضرون القصص الترفيهية والتسميع من آل باصالح ويتم عليه الزفين المعروف، وتستمر الجلسة إلى وقت متأخر من الليل، وتختم الجلسة بتدوير البخور على الحاضرين ويرتب الفاتحة ويدعو الله، ويودع ضيوفه وزواره الكرام وبذلك يحصل الختام، أعاد الله على الجميع تلك المناسبة سنيناً عديدة وأعواماً مديدة ببركة الحبيب الأعظم حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه خير الأمم، وخيرة العرب والعجم، ومن سار على ذلك القدم[(١)].

ويرى الشيخ علي بن أحمد باصبرين أن ما يُفْعل من ذلك يراد به تعظيم ذلك

---

(١) «الدليل القويم» ص(٣٤ ـ ٤٠).

الولي كما أن الحجاج يرفعون أصواتهم بالتلبية تعظيماً لله تعالى. قال رَحِمَهُ اللهُ في الحادية والعشرين من المناهي الشرعية: (لا يتقرب ويعظم بالصلاة والنسك ـ عين الذبح ـ لغيره تعالى ولا ينسب الإحياء والإماتة إلا إلى الله العلي الأعلى الملك الكبير الأكبر، فالذبح لغيره المسمى بالعقيرة عند أهل إقليم دوعن وتوابعه من أعظم البليات التي ابتلوا بها وذلك حرام بالإجماع لأمور منها: قطع عصبة البهيمة متى وصلت إلى تحت مكان المعظم لتعذيب ذلك الحيوان، ومنها: كون العاقر كالإله الأعظم وذلك حرام حيث والأصل التقرب إليه بما شرع الله التقرب إليه بخصوصه، ومنها: كون العاقر يأتي بالعقيرة بجمع حافل ولربما اختلط فيه النساء بالرجال أو نظرن إليهم بزامل هو عند الجهلة لتعظيم المعقور له بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة، وهذا من أعظم المنكرات، وأعظم منها سكوت أهل العلم عنهم فيما لو فرض سكوتهم فضلاً عن رضى عاقل بذلك)[1].

فهذه بعض الشعائر العائد أثرها على صاحب المقام أو على القائم على ذلك المقام مما يتعلق بتعظيمه وإظهار شرفه، وأما الكسب المادي فيتمثل في النذور والذبائح التي يأتي بها الزوار وهي من أصناف متنوعة ما بين حبوب ونقود وأغنام وأبقار وسمن وعسل وغير ذلك، وأما ما يتعلق بما يعود على الزوار أنفسهم فهو استمداد البركات والشفاء من الأمراض والعاهات والاستسقاء عند القحط واسترضاء الولي فيما لو صدر منهم ما يتوهمون أنه أغضبه.

وقد صور علوي بن طاهر الحداد ذلك تصويراً حسناً فقال: (قيدون هي مثابة أهل بوادي الدَّيِّن والمشاجر والبلعبيد وما والاهم، ولا سيما في فصل الخريف وهو موسم نزول الأمطار وهو إحدى وتسعون يوماً أولها من دخول نجم النعام الموافق لأول يوم في جولي أو لثانيه على الخلاف الآتي شرحه، تأتي هذه القبائل يتلو بعضها بعضاً زائرة للشيخ سعيد تطلب الغيث لبلادها، والعادة أنهم يصلون إلى رأس الجبل المشرف على قيدون عشية الخميس فإذا أشرفوا عليها هللوا يقولون: عموم! عموم! يا شيخ سعيد! يا شيخ سعيد! ثم ينزلون العقبة يزملون بالزاي المعجمة أي يرتجزون، قال في «شرح القاموس»: والزمل ـ محركة ـ الرجز وسمعت ثقيفاً وهذيلاً

(١) «المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية» ص(٩)، تأليف الشيخ علي بن أحمد باصبرين، تحقيق أكرم مبارك عصبان، مصفوف بالكمبيوتر عن مخطوطة بمكتبة الأحقاف.

يتزاملون أي يتراجزون.اهـ، ويقال له الزمل والزامل، ولهم في زملهم أشعار رصينة يصفون فيها سيرهم وبُعد شقتهم وأنهم جاءوا إليك أيها الشيخ سعيد يبتغون السيل والغيث فبلادهم مسنتة وعار عليك إذا رجعنا بلا كرامة.

وأشعارهم تدور حول هذا المعنى، وكل طائفة منهم تحرص أن يكون معها شاعر ينظم لها الزوامل فيذهبون إلى ضريح الشيخ سعيد ويدورون بتابوته، وبما عنده من التوابيت وهم يزملون، ومنهم من يأتي بآنية السمن ويسمونها «صمرة»، واحدها صمار فيصبونها على التابوت، وقد يثب أحدهم إلى أعلاه ليتمكن من صبه، وأما ما يأتون به من النذور من غنم أو نقد أو حبوب فإنهم يسلمونها للخطيب أي القائم من قبيلة آل باراسين وهم خطباء مسجد الجامع، وإليهم تساق النذور ويذهب منهم رسل يبعثهم القائم المذكور إلى البوادي فيجمعون له حصة من العشور أي الزكاة وما لديهم من نذور، فإذا قضوا الزيارة دخلوا إلى المسجد وهم يزملون، وطلعوا منارته فإذا علوها صاحوا بقولهم: عموم! عموم! يا شيخ سعيد! ولا يزالون على هذا الديدن طول ليلة الجمعة ويومها قلما يرقدون أو يستريحون، ويعودون إلى بلادهم يوم السبت والخطيب القائم المذكور يضيفهم ليلة ورودهم.

وإذا مرت لهم سنين ولم يغاثوا أو توهموا أن الشيخ سعيد عاتب عليهم فإنهم يأتون بعقيرة ـ والمراد بها بقرة أو جمل ـ يأتون بها يزفونها بزاملهم، حتى إذا وصلوا إلى الباب الموصل إلى ضريح الشيخ عقروها ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سعيد قائلين: يا شيخ سعيد! بحرك! مع نحرها أو ذبحها ويعنون بقولهم: بحرك! نطلب بحرك، وبحرك معناه عندهم بحر برهانه، والبرهان هو التصرف والتأثير والكرامات، ثم يتركونها فيتكالب عليها من ضري بأكلها فيجرونها إلى بعض الدور ويوصدون الباب ثم يعملون فيها شفارهم بسرعة يبادر بعضهم بعضاً مع ضجة وتهديد وهرير ثم يخرجون ركضاً منهم المسرور؛ لأنه أخذ منها قطعة جزلة، ومنهم المتبرم والغاضب والمحروم، والنصيب الأكبر لبعض كبراء أهل البلد، وإذا كثر طبخوه وجففوه وكنزوه للأيام المقبلة، وقد يأتي القبائل بعدة من العقائر، وهم يقولون العقير بفتحتين على التخفيف والمراد بها تلك القرابين، كما فعل ذلك قبيلة الزي حين غلبوا مراراً في حربهم مع الحالكة، وقد تقدمت الإشارة إليه فإنهم جاءوا بعدة منها يطلبون بها النصر من الشيخ سعيد على أعدائهم. وهذه العقائر «القرابين» مما أهل بهن لغير الله فهي ميتة حرام أكلها والانتفاع بها، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ

لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣] ونص على ذلك العلماء في كتب الفقه لا يخفى على طالب العلم)[١].

هذه صورة مبسطة عن علل الزيارات وشعائرها وبعض ما يجري فيها مما يفسد العقيدة والأخلاق وينشر الفساد والأمراض الاجتماعية، وكثير من القبورية يزعمون أنهم هداة للخلق ومرشدون للأمة، وهم مع ذلك ساكتون عن هذه المناكر، لست جازماً أنهم يعدونها مناكر فقد مرّ في أول هذا المطلب أنهم يمجِّدونها ويرون أنها ملحقة بالعبادات، فإن كانوا يرونها منكراً فقد أماتوا شعيرة إنكار المنكر لأجل ما وجدوا عليه آباءهم، ولأجل استرضاء أتباعهم، وإن كانوا لا يرون ذلك منكراً فهو تغيير للدين كما سيأتي تعليق علوي بن طاهر الحداد على ذلك في المطلب الرابع إن شاء الله.

وأختم هذا المطلب بكلام نفيس للقاضي العلامة عبد الله بن عوض بكير ختم به رسالته المسماة «رفع الخمار عن مثالب المزار» فقال ﷺ: (ومنه يعلم أن جميع الزيارات المعروفة في الجهة مناكر وضلالة بما اشتملت عليه من الأمور المخالفة للشريعة، فكيف يسوغ الحضور فيها وهي سبيل من السبل المشار إليها فيما رواه الدارمي من أنه ﷺ خط خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[٢] فالقائمون في فعلها نوابٌ أنابتهم الشياطين عنهم، فعليك أيها الأخ بالاتباع، ولا تغتر بمدعي العلم، المثابرين على مائدة المزار، فإنهم ممن لا خلاق لهم، فقد قال ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل به. . .»[٣] الحديث.

---

(١) «الشامل» ص(٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) «أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٣٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٣)، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، والدارمي في «السنن» (١/ ٦٧)، طبع دار الكتب العلمية ببيروت، بدون تاريخ، باب كراهية أخذ الرأي، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٨)، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنعام وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الشيخ الألباني في «تخريج السنّة»: إسناده حسن.

(٣) رواه الترمذي (٤/ ٦١٢)، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي في «سننه» (١/ ١٣٥)، باب من سرّه الشهرة والمعرفة، وصححه =

وأخرج الشيخان: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما شأنك، أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[١].

وأخرج الطبراني: «أن أناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون: لم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل»[٢] وورد: «شرار الناس، شرار العلماء»[٣].

أقول: وإنما كان وزر العالم أقبح، وعذابه أعظم؛ لأنه قدوة لغيره، فإذا خاض في المخالفات ذراعاً خاض فيها غيره باعاً، فلذا لما لم يزل طلبة العلم يتهافتون على مائدة المزار تهافت الفراش على النار، غرّوا الجهلة بإيرادهم موارد الهلاك فتراهم مسارعين إليها، مثابرين عليها، حتى اقتدت العامة بهم، فباؤوا بإثمهم وإثم أتباعهم، وليحملن أثقالهم، وأثقالاً مع أثقالهم، ولو اجتنبوها واعتزلوها لتقهقرت العامة عنها)[٤].

### المطلب الرابع: الفساد الأخلاقي في الزيارات وصلته بالعقائد القبورية:

الفساد الأخلاقي في الزيارات القبورية لا شك في وجوده، وليس بالضرورة الزنا واللواط بالذات فإنهما قد يحصلان في بعض الزيارات وقد لا يحصلان في

---

= الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٩٠) رقم (١٩٧٠)، وفي «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٤٦).

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٣١)، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ومسلم (٤/ ٢٢٩٠ ـ ٢٢٩١)، كتاب الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٥٠) عن الوليد بن عقبة، وقال: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٥): وفيه أبو بكر الداهري، وهو ضعيف جداً، وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع الصغير»، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) رقم (١٨١٩)، و«ضعيف الترغيب والترهيب»، طبع مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) رقم (١٣٩٦).

(٣) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٩٦) رقم (١٦٧)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٣٣٨٠).

(٤) «رفع الخمار عن مثالب المزار» ص(٣٠ ـ ٣٢) للشيخ عبد الله عوض بكير، تحقيق فائز سالم بن سعيدان، طبع عام (١٩٩٨م).

البعض الآخر، ولكن اختلاط الرجال والنساء ونظر كل منهما إلى الآخر في حال الغناء والطبول والمزامير المهيِّجة للشهوات، كما يحصل أيضاً القمار في بعضها والسكر والمخدرات في البعض الآخر، وأنواع من الفساد قد لا نعرفها، ولذلك فإنهم إذا أرادوا مدح بعض الزيارات قالوا: إن الفساد فيها قليل أو أقل من غيرها أو نحو ذلك.

يقول العلامة ابن عبيد الله وهو يتحدث عن زيارة المشهد ـ وهي من أشهر زيارات حضرموت الحولية تقام في الثاني عشر من ربيع الأول ـ يقول: (ولا تزال تلك العادة متبعة إلى اليوم وهذا المولد من أقل الموالد بدعاً ومفاسد إلا ما قد يقع من اختلاط الرجال بالنساء، ولكن لم يشتهر عنه فساد ولا مانع أن يكون ذلك ببركة إخلاص مسوِّسه وحسن نيته)[1].

والشاهد من هذا النقل قوله: (وهذا المولد من أقل الموالد بدعاً ومفاسد إلا ما قد يقع من اختلاط... إلخ)، إنه بمثابة اعتراف أن غير هذه الزيارة أو هذا المولد فيها ما هو أعظم من مجرد الاختلاط، ولا شك أن ذلك موجود، وقد صرح لي بذلك الكثير من المعايشين لتلك الزيارات بكثير من ذلك في تهامة ومحافظة تعز ولحج وشبوة وحضرموت ـ المكلا والشحر وسيئون ودوعن وبعض البوادي ـ والذي وجدته مكتوباً صريحاً مفصلاً هو كلام العلامة علوي بن طاهر الحداد، وهو كلام قوي متين، بنبرة المنتقد المنكر لما يقع في زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ببلدة المتكلِّم قيدون، وأنا عندما أنقل هذا المثال فليس غرضي الإساءة إلى أهل قيدون أو إلى الشيخ سعيد بن عيسى وذريته، فالشيخ سعيد قطعاً لا يعلم بما يفعل الناس عند قبره، وإن كان القبورية يزعمون أنه يعلم ذلك ويتحمله عن فاعليه كما سيأتي في كلام الحداد منكراً عليهم، وذريته العقلاء لا يقرون ذلك ومع هذا كله فبجهد الأخيار من ذريته وغيرهم قد زال معظم ذلك الآن، حتى إنهم أخرجوا موقع السوق المصاحب للزيارة إلى خارج البلد، وأصبح من يزور القبر قليل جداً من الناس، وإنما همُّ الناس الآتين في ذلك الموسم هو التسوق لا غير، ولكني مضطر لإثبات هذا النقل للتدليل على ما تتضمنه تلك الزيارات من فساد، وإن كان في غابر الدهر فإن الداعين اليوم إلى إعادتها جادون في إعادتها بكل ما فيها، وكل ما فيها قبيح إلا ما شاء الله، وهذا المثال هو مثال تقريبي لباقي الزيارات؛ وإن كان لكل زيارة خصوصيتها.

---

(١) «إدام القوت» ص(١٥٩ ـ ١٦٠).

قال السيد علوي بن طاهر الحداد واصفاً ما يقع في زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي من فساد أخلاقي وعقائدي: (ويدخل العبيد ضحوة يوم الجمعة في زفتهم وقد أحاط بهم الغوغاء فيصلون قبة الشيخ سعيد والإمام يخطب، فتمتلئ جوانب المسجد بضجيج مزاميرهم ونقرهم وطبولهم ولغطهم برطانتهم وضربهم التوابيت، فلا يسمع خطبة الخطيب ولا قراءة الإمام إلا من دنا، وتمتلئ شوارع السوق بالنساء والرجال في زحام يتضاغطون يموج بعضهم في بعض، ويصدر عن ذلك أمور يندى لها الجبين، وتضحك لها الشياطين، والنساء مزينات يستترن بشقة وبرقع تبدو منه المحاجر، وترمى منها النصال، وتسل الخناجر، وتظهر المتبرجات منهن ـ وهن الأكثر ـ من أعناقهن ونحورهن وأذرعتهن وأسوقهن ما يستجلبن به نظر الرجال إليهن وتتبع الفساق لهن، ويقع مع شدة الزحام وتضاغط الأجساد ما لا يعبر عنه، وهذا المنكر الذي يغضب الله على فاعليه إنما حدث منذ سبعين سنة أو نحوها، وما كان النساء يأتين لهذه الزيارة ولا يخرجن إلى الأسواق بهذه الصفة، وقد قام في منعه شيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد فعُورض من بعضهم وكاد الأمر يفضي إلى تعب شديد، وذوو العقائد الزائغة من الجهلاء والحمقى يعتقدون أن بحر الشيخ سعيد يحمل إثمهم، ويسكت لهم على ذلك، موهماً لهم صحته من يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، ويسعى في بقاء الحال على ما هو عليه من اجتمع له الجاه ونفوذ الكلمة والجهل والبعد عن الدين والجفاء عن الإسلام.

وقد رُفع إلى الحبيب عبد الله بن علوي الحداد خبر اجتماع نساء في محل قريب من محل الرجال في الواسط قرية من أعمال الشحر، بحيث تسمع أصواتهن، فشدّد في ذلك، فكيف بمثل ما يقع في هذه الزيارة وهو الاختلاط وتضاغط تتلاحم فيه الأجسام، وتتدافع فيه الأعضاء، وأكثر المتسمين بالعلم تجبن نفوسهم من إنكار ذلك خوفاً أن يرميهم العوام والمتظاهرون بالتعالم والصلاح بفساد العقيدة؛ لأنهم لا يقرّون بحلّ الزنا والفسق للزناة والفساق في زيارة الشيخ سعيد مع أن بحره يسع، وعندهم أن بحره ينسخ الشريعة الإسلامية ويمحو حكم القرآن ويرد نهي الله، ويحل ما حرم الله، ومن صدّق قول الله ورسوله ﷺ وكتابه العزيز في حرمة الزنا والفسق هنالك فهو زائغ العقيدة، فهل سمعت بجهل أغلظ من هذا الجهل؟! وهل كانت الجاهلية التي كان عليها العرب قبل الإسلام إلا دون هذه الجاهلية؛ لأن أولئك لم يكن عندهم دين محفوظ، ولا قرآن يتلى، وإنما كانوا في فترة من الرسل بخلاف هؤلاء.

وليعلم كل من وقف على كتابنا هذا أن من كذب بحرف واحد من القرآن كفر فكيف بمن كذب بآيات منه كثيرة، وقد أخبرنا الله فيه أنه لا يغفر أحد الذنوب إلا الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؟ وأنه لا يحمل أحد ذنب غيره كائناً من كان قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر: ١٨]، وقال تعالى في أمر الزنا: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٧٠] فمن كذَّب بما دلت عليه هذه الآيات ممن له إسلام صحيح فقد ارتد وطلُقت منه زوجته وصار ماله فيئاً لمصالح المسلمين، ومن كان من صغره مصراً على هذا الاعتقاد فهو على غير ملة الإسلام، وعليه إذا أراد أن يكون مسلماً أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويؤمن بالقرآن وما جاء به ﷺ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.

ومنهم من يقول: بُصْر الشيخ سعيد. يعني: أن الأمر راجع إليه إن أراد أن يغير ذلك الفسق أو يبقيه؛ فردوا إليه الأمر والنهي والشرع والقدرة والتغيير، ومنهم من يقول: لو ما بغاه الشيخ سعيد ما وقع! وهذه الكلمة كالتي قبلها تعود إلى الكفر بالله وتكذيب الرسل والشرائع، ومعارضة أمر الله وحكمه، وقد نعى الله على المشركين مثل هذا القول مع أنهم أرجعوه إليه ﷻ لتضمنه تكذيب الرسل والكتب المنزلة ومحو الدين، فإن رسل الله دعتهم إلى عبادة الله وحده وأن لا يحرّموا شيئاً لم يحرّمه الله، فاحتجوا على الرسل بأنه لو أراد الله لما فعلنا شيئاً من ذلك فردّوا أمر الله وشرعه وما جاءتهم به الرسل بقولهم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥] يعنون به: أن الله قادر أن يمنعنا عن هذا الفعل؛ فلما تركنا عليه كان ذلك دليلاً على أنه يحبه ويرضاه، وهو مثل قول هؤلاء: «بُصْر الشيخ سعيد» أي أن الشيخ سعيد قادر على إزالة الفسق المذكور، فتركُه له مع قدرته على إزالته دليل على محبته له ورضاه، فجعلوه مع اعتقادهم أنه من الصالحين محباً للزنا والزناة، والفسق والفساق راضياً بذلك، وكان قول المشركين أدل على الفهم من قولهم؛ لأن أولئك ردوا الأمر والتغيير إلى الخالق، وأما هؤلاء فردوه إلى المخلوق ساء ما يحكمون وساء ما

يتوهمون، وسينكشف لهم الغطاء يوم القيامة ويظهر لهم ما لم يحتسبوا ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

واعلم أنا سمعنا هذه الكلمة منهم مراراً وتكراراً عند ذكر كل منكر يقع في هذه البلدة من السرقات والظلم وغير ذلك، ونسخوا بقولهم هذا الشرع ومحوه، فنسخوا مشروعية الموعظة والنصيحة والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والفرض والمندوب وأحكام الحدود والجنايات بل سائر أحكام الشرع، بل لا حاجة مع قولهم هذا إلى إرسال الرسل، ولا إنزال الكتب، ولو تنصّر الناس أو صاروا يهوداً أو عبدوا الأوثان لَمَا وجب نصحهم ولا نهيهم بل ولا حاجة لذلك عندهم، ومع أنّ ما ذكرته هنا من ضروريات الدين، فلا بدع أن ترى من يشك فيه في هذا الزمان الذي عادوا فيه إلى الجاهلية الأولى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧])[١].

ويؤكد ما ذكره علوي بن طاهر، ويبين أنّ تلك المنكرات شائعة منتشرة في كثير من تلك المواطن ما ذكره العلامة عبد الله بن عوض بكير في كتابه «رفع الخمار عن مثالب المزار» قال رَحِمَهُ اللهُ: (وأما الاجتماعات على الهيئات المعروفة في الجهة عند بعض القبور في أيام السنة، وهو المسمى بالمزار تارة وبالزيارة تارة، فحرام قطعاً لما فيه من اختلاط الرجال بالنساء مع ما يترتب عليه من المفاسد والقبائح مثل الزنا واللواط ونظر الأجنبيات ونشوز الزوجات، وخروج النساء متعطرات متزينات، ومخالفة الآباء، وغير ذلك من القبائح الظاهرة والباطنة، والمتصدي لذلك القائم فيه ممقوت عند الله وعند خلقه فإنه هو السبب في ذلك وما يترتب عليه من الشرور، وقد اتخذ ذلك عادة[٢] مؤكدة في الجهة لبعض القبور في كل سنة، حتى إنه إذا ترك في بعض السنوات تعتقد العامة وجود القحط والجدب بسبب ترك ذلك)[٣].

ولعل هذا يكفي في إثبات وجود الفساد الأخلاقي وبيان حجمه ومظاهره، وهذا هو الغرض، إذ بعد تشخيص المرض يكون العلاج إن شاء الله، وقد بدا واضحاً من كلام العلامة الحداد أن ذلك الفساد مرتبط بالاعتقاد في الولي بأنه هو المحتمل له والرافع لعقوبته، وهذا مظهر آخر من مظاهر شرك الربوبية؛ لأن التشريع والتحليل والتحريم من حق الله وحده سبحانه، وكذلك مغفرة الذنوب والتجاوز عنها

(١) «الشامل» ص(٢١٦ ـ ٢١٧).
(٢) في الأصل: «عبادة» وهو خطأ والصحيح ما أثبت.
(٣) «رفع الخمار» ص(٢٣ ـ ٢٥).

إنما هو من حق رب العالمين سبحانه: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إذن لقد تعانق فساد الأخلاق مع فساد العقائد في هذه الزيارات.

**المطلب الخامس: الانحراف العقائدي المترتب على تلك الزيارات:**

تلك الزيارات في الأصل مرتبة على عقائد ضالة، فَعِلَّة الزيارة نفسها مبنية على عقيدة شركية، حيث يعتقد الزائر أنه بزيارته يتلقى المدد من المزور، أو يكون المزور واسطة بينه وبين الله في إيصال ذلك المدد كما كان المشركون الأولون يعتقدون ذلك في أصنامهم، ونقل الله ذلك عنهم في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وهذا الكلام ليس كلامي ولكنه كلام الفخر الرازي الذي يعظمه القبورية ويعتمدون عليه، وهو أحد من وضّح علة زيارة القبور على الطريقة الفلسفية التي اقتبسها القبورية من الفلاسفة الوثنيين، فقد وقف وقفة طويلة عند هذه الآية، وحلل الغرض من اتخاذ الأصنام شفعاء لهم عند الله، وأورد عدة احتمالات لذلك ثم قال: (ورابعها: أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكبارهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله)[1].

وهذا الذي ذكره يتوافق مع العلة التي وضعها القبورية للزيارة، وكون القبوريين يعتقدون ذلك في أوليائهم قد صرحوا به، يقول الشرجي في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الباطل الصريفي: (ولأهل عدن فيه معتقد عظيم، وله عندهم محل جسيم وهو فوق ذلك ـ رحمه الله تعالى ـ ونفع به)[2].

وقال في ترجمة إبراهيم الفشلي: (وهو أشهر السبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيام متوالية قضيت حاجته)[3]، وقال في ترجمة علي بن أحمد بن قيدار القريضي: (وقبره بمقبرة مدينة عدن مشهور مقصود للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج، وأهل عدن يعتقدونه ويعظمون تربته ويروون كراماته ـ رحمه الله تعالى ـ ونفع به آمين)[4]، وقد ذكرت هذه المواضيع للتصريح فيها بالاعتقاد وإلا فجميع المعظمين يعتقد فيهم معظموهم تلك العقائد في الغالب.

---

(١) سبق كلام الرازي كاملاً في الباب التمهيدي. انظر: ص(٣٨).
(٢) «الطبقات» ص(٢٨٣).
(٣) المصدر السابق ص(٤٥).
(٤) المصدر السابق ص(٢٣١).

ومما يدل على ذلك الاعتقاد إتيانهم بالنذور لأصحاب المقامات، ومن ذلك أن هذا الزائر أو من بعث معه بالنذر قد استغاث بذلك الولي وجعل له نذراً إن تحقق ذلك المطلوب، فإذا تحقق ذلك المطلوب اعتقد أن الولي هو الذي استجاب له وأعطاه، ومن حقه عليه أن يوفي له بما نذر، فيرسل بذلك النذر وقت زيارته أو حينما يأتي مندوبه لجمع نذور الولي من أهل البوادي والقرى.

يقول الشلي في ترجمة محمد العيدروس بن عبد الله بن شيخ العيدروس المقبور ببندر سوره في الهند: (وقبره فيها كالشمس في رابعة النهار، وأشهر من علم على رأسه نار، وتأتي إليه الأنذار من جميع الأقطار، ومن زاره بحسن نية وسلامة طوية أعطي سؤاله ونال مأموله ونواله)(١).

وقال علوي بن طاهر الحداد في أثناء كلامه عن زيارة الشيخ سعيد بن عيسى: (ومنهم من يأتي بآنية السمن ويسمونها «صمرة» واحدها «صمار» فيصبونها على التابوت، وقد يثب أحدهم إلى أعلاه ليتمكن من صبه، وأما ما يأتون به من النذور من غنم أو نقد أو حبوب فإنهم يسلمونها للخطيب أي القائم من قبيلة آل باراسين وهم خطباء مسجد الجامع، وإليهم تساق النذور، ويذهب منهم رسل يبعثهم القائم المذكور إلى البوادي فيجمعون له حصة من العشور أي الزكاة وما لديهم من نذور)(٢).

وهذه النذور في الغالب لا تكون إلا لتعظيم ذلك الولي واعتقاد أنه يفعل ما عُلِّقَ عليه النذر، وذلك هو الشرك بالله تعالى، وقد نبه أحد علماء تريم على ذلك فقال في خاتمة فتوى حول النذر لقبور بعض الأولياء، بعد ذكر الأقوال والاحترازات في ذلك، وما يصح من ذلك وما لا يصح على مذهب بعض فقهاء الشافعية: (أقول: وأنت خبير بأن العامي الجاهل الصرف يخفى عليه مثل ملاحظة أن هذا التصدق لا ينعقد إلا في القرب، ومعرفة ما هو قربة وغير قربة، فليتنبه لما يجيئون به للولي أو قبره أو مشهده وهو ميت فإن الغالب يقصدون به تعظيم ذات الولي أو قبره أو مشهده وذلك باطل كما تقدم والله أعلم بالصواب)(٣).

---

(١) «المشرع» (١/١٨٦). (٢) «الشامل» ص(٢١٥).

(٣) «الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة» ص(٢٤٩)، تأليف الشيخ أبي بكر بن أحمد الخطيب رحمه الله، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى (١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م).

هذا عندما يطلبون شيئاً أو يتحقق لهم شيء يعتقدون أنه من جهة الولي، أما حينما يشعرون أنهم قصروا في حقه أو أغضبوه بشيء فإنهم يسارعون إلى إرضائه، وخصوصاً عندما تنزل بهم عقوبة كتأخر المطر عنهم أيام مواسمها أو نحو ذلك، ولهم في استرضاء الولي طريقتهم الخاصة والتي يظهر فيها الشرك عياناً.

ويقول علوي بن طاهر الحداد: (وإذا مرت لهم سنين لم يُغاثوا أو توهموا أن الشيخ سعيد عاتب عليهم فإنهم يأتون بعقيرة ـ والمراد بها بقرة أو جمل ـ يأتون بها يزفونها بزاملهم، حتى إذا وصلوا إلى الباب الموصل إلى ضريح الشيخ عقروها ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سعيد قائلين: يا شيخ سعيد! بحرك مع نحرها أو ذبحها، ويعنون بقولهم: بحرك! نطلب بحرك، وبحرك: معناه عندهم بحر برهانه والبرهان هو التصرف والتأثير والكرامات! ثم يتركونها فيتكالب عليها من ضري بأكلها فيجرّونها إلى بعض الدور ويوصدون الباب ثم يعملون فيها شفارهم بسرعة يبادر بعضهم بعضاً مع ضجة وتهديد وهرير ثم يخرجون ركضاً منهم المسرور لأنه أخذ منها قطعة جزلة، ومنهم المتبرم والغاضب والمحروم، والنصيب الأكبر لبعض كبراء أهل البلد وإذا كثر طبخوه وجففوه وكنزوه للأيام المقبلة، وقد تأتي القبائل بعدة من العقائر وهم يقولون العقير بفتحتين على التخفيف والمراد بها تلك القرابين كما فعل ذلك قبيلة الزي حين غلبوا مراراً في حربهم مع الحالكة، وقد تقدمت الإشارة إليه، فإنهم جاؤوا بعدة منها يطلبون بها النصر من الشيخ سعيد على أعدائهم. وهذه العقائر «القرابين» مما أُهِلَّ به لغير الله، فهي ميتة حرام أكلها والانتفاع بها قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ونص على ذلك العلماء في كتب الفقه لا يخفى على طالب علم)[١].

ومما يؤكد اعتقادهم في الأولياء أنهم قادرون على إعطاء ما طلب منهم ما سبق أن ذكرناه عند الكلام على اعتقادهم أن الأولياء يغيثون من استغاث بهم. ومما يخص الزيارات ويحسن إعادته هنا ما ذكره العطاس من تهديد ذلك الزائر لعلي بن حسن العطاس في يوم زيارته، وقد طلب منه مطالب أنه إذا لم يعطه تلك المطالب فسوف ينخلع عن الاعتقاد فيه ويلتحق بصالح حبيب وهو شيخ قبيلة آل علي جابر ببلدة خشامر بين القطن وشبام، هذه القبيلة التي وصلها جيش ابن قملا الذي أرسله أئمة الدعوة النجدية للدعوة إلى الله تعالى في حضرموت وجهاد من يخالف المنهج

---

(١) «الشامل» ص(٢١٥).

القويم من معتقدي القبور ونحوها، فتأثرت تلك القبيلة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودانت بها وتخلت عن الاعتقاد في أصحاب القبور، كما هو سائد في بقية قبائل ومناطق حضرموت، لذلك فهذا الزائر يهدد الولي إذا لم يعطه الكرامة في وقتها المناسب فإنه سيتخلى عن الاعتقاد فيه كما تخلت تلك القبيلة، ونص أبياته:

زوّار جينا با نزورك يا علي لي تكرم القاصد وترحب بالغريب
إن شي كرامة با تقع ذا حلها والا رجعنا لا قدا صالح حبيب[1]

وبنفس هذا التهديد توجه أحد الزوار من ذرية الشيخ سعيد بن عيسى العمودي حيث كرر الزيارة أكثر من مرة لغرض مجيء السيل ولكن السيل لم يأت، أي: لم يعطه الشيخ ابن عيسى لأولئك الزوار، لذلك جاء هذا التهديد:

مرة قفا مرة وأنا مخروس لك ذولا عيالك ما دخل فيهم جنيب
إن شي كرامة با تقع في حلها والا طلعت الدار زولت الخطيب

وقد سبق كذلك في الموضع السابق، والشاهد أن هذا الزائر يهدد الولي؛ لأنه قصّر ولم يعطه ما هو قادر على إعطائه فلذلك فسوف ينتقم منه بإخراج الخطيب من دار الشيخ سعيد، والخطيب هو سادن القبر كما مر من كلام علوي الحداد. وكلمة «زولته» أي أزلته من المكان وأبعدته عنه ولا أدري أي الشاعرين أخذ عن الآخر، ففكرة الأبيات واحدة وكأن أحدهما اقتبس من الآخر.

وبهذا نجزم أن للزيارات القبورية بعلّتها المعروفة عند القوم الأثر البالغ في هدم عقيدة التوحيد، وغرس عقيدة الشرك في نفوس الناس.



(١) «تذكير الناس» ص(٢١٩).

# الفصل الثالث

## أثر القبورية في نشر الأمراض الاجتماعية

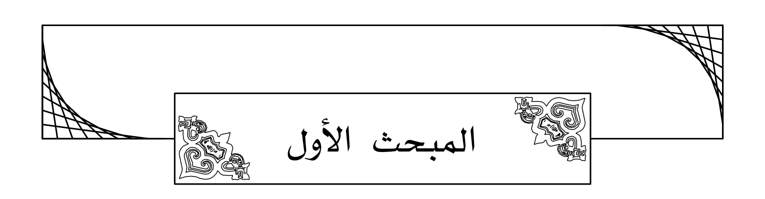
وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** أثر القبورية في نشر السحر والكهانة في اليمن.

**المبحث الثاني:** نشر الخرافة في الأمة.

**المبحث الثالث:** التمايز الطبقي: مظاهره ووسائل تكريسه.

**المبحث الرابع:** انتشار الجهل والأمية في الأمة.




## أثر القبورية في نشر السحر والكهانة في اليمن

**وفيه خمسة مطالب:**

### المطلب الأول: إثبات أن من الصوفية (القبورية) من يتعاطى علوم السيمياء وأسرار الحروف والأوفاق:

إن التفريق بين السحر والكرامات لا يكاد يميزه كل أحد بل إنه ليشتبه على أكثر العوام في كثير من الأحوال، وقد يشتبه على بعض أهل العلم حيث يتعجلون في إصدار الحكم قبل الخبرة والدراية التامة بأحوال من تجري الخوارق على يديه؛ وذلك لأن بعض السحرة قد بلغ مبلغاً كبيراً من الدهاء والمعرفة بحيث يُخفِي أعماله الخبيثة، ويتظاهر بالأعمال الصالحة، فإذا نظر إليه الناظر أحسن به الظن وسلكه في عباد الله الصالحين، ثم إذا ظهر على يديه خارق ظن أن ذلك كرامة له، فمن هنا حرص بعض الساعين إلى الجاه والمكانة والتصدر والتسمي بأسماء الولاية والاتصاف بصفاتها عند الناس أن يتظاهر بالزهد من جهة ويستخدم بعض أنواع السحر من جهة أخرى ليحسب من الأولياء، ولقلة العلم وغلبة الجهل ورواج الخرافة وما يحصل عليه من سمعة ويلتف حوله من مريدين وربما يزكيه بعض الأخيار اغتراراً بحاله، لهذه العوامل مجتمعة فشت أنواع من السحر لدى بعض مدّعي التصوف وبعض القبوريين.

يقول ابن خلدون رَحِمَهُ اللهُ في المقدمة: (الفصل التاسع والعشرون «علم أسرار الحروف» وهو المسمى لهذا العهد بالسيمياء نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص، وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه،

وزعموا أن الكمال الإسمائيَّ مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها ساريةٌ في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام.

والأكوان من لدن الإبداع الأول تتنقل في أطواره وتَعربُ عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء، لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله، تعددت في تأليف البونيّ وابن العربي وغيرهما ممّن اتبع آثارهما، وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعية بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة على الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان)[١].

وما قاله ابن خلدون عليه أدلة كثيرة، فإن من مؤسسي التصوف جابر بن حيان[٢] الذي قيل: إنه أول من تسمى بالصوفي، ومعاصره أبو هاشم الكوفي الذي قال صاحب طرائق الحقائق فيه: إنه «مخترع الصوفية»[٣]، كانا يعانيان السحر والجفر وهو من أنواع السحر أو الكهانة وكذلك علم الكيمياء[٤]. وجاء بعدهم الحلاج وقد نسبه إلى السحر كثير من العلماء[٥]، والصوفية يعتبرونه من أكابر قدمائهم وأفاضل أوليائهم، وقد سبق إثبات نسبته إليهم وثنائهم عليه[٦].

واستمرت علاقة الصوفية بالسحر، يقول الدكتور كامل الشيبي: (وقد دخلت هذه الكتب السرية في التصوف، وقد نقل لنا الأستاذ سعيد محمد حسن أنه: «كان تناول هذه الكتب وشرحها موضع اهتمام المشتغلين بالسحر والطلاسم، وكثيراً ما أسهم الصوفي الكبير محيي الدين بن عربي وحجة الإسلام الغزالي[٧] بنصيب كبير

---

(١) «مقدمة ابن خلدون» ص(٦٦٤).

(٢) هو الفيلسوف الكيميائي جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، تَزْعُم الشيعة أنه منها، وهو من أوائل الذين لقبوا بـ «الصوفي»، ووصفه ابن خلدون بأنه كبير السحرة في هذه الأمة. انظر ترجمته في: «هدية العارفين» لإسماعيل باشا مع «كشف الظنون» (٥/ ٢٤٩)، و«الأعلام» (٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤).

(٣) «الصلة بين التصوف والتشيع» (١/ ٢٠٢) للدكتور كامل مصطفى الشيبي.

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢).

(٥) المصدر السابق (١/ ٣٩٧ ـ ٤٠٣).

(٦) انظر: ص(١٨٣).

(٧) نسبت إلى حجة الإسلام الغزالي، كتب ورسائل في السحر وُجد عليها اسمه، ولكن الدكتور عبد الرحمٰن بدوي يشكك في صحة نسبتها إليه. انظر: «موقف الإسلام من السحر» (١/ ٤١)، أ.حياة سعيد با أخضر، طبع دار المجتمع، جدة، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، ولكن هناك وفق مشهور باسم وفق الإمام الغزالي، الظاهر أنه صحيح النسبة إليه.

في الاشتغال بهذه الكتب»)[١].

وقد صرح الصوفية أنفسهم بأن من علومهم علم الحروف وعلم الأوفاق، فابن سبعين يقول في رسائله: (وهذه السيمياء[٢] تنقسم إلى خمسة أقسام: الكاذبة منها التي يذكرها مسلمة المجريطي صاحب رسائل «إخوان الصفا»، والشكوك منها الذي يزعم ابن مسرة أنه وصله، والصحيح منها الذي إذا وصف للفقيه سماه «كرامة» وإذا ذكر للحكيم سماه «تصريفاً» وإذا ذكر للمقرب المحقق سماه فتنة)[٣].

ويقول أحمد بن محمد الصاوي في حاشيته على «شرح الخريدة البهية»: (سيدي محمد الخلوتي أخذ عن الشيخ دمرداش فأحبه وقربه وشغله بالطريق وأخلاه ـ أي أدخله الخلوة ـ مراراً وظهرت نجابته، وجَدَّ واجتهد، واشتهر وتلقى عنه علم الأوفاق والحرف والزايرجا والرمل فأتقن ذلك)[٤]، وأحمد الصاوي شيخ الطريقة الخلوتية في زمنه، كما أن تلك العلوم «الأوفاق والحرف والزايرجا والرمل» من علوم السحر والكهانة.

وهناك حقائق أخرى ذكرها الشيخ محمود القاسم كلها تثبت علاقة الصوفية بالسحر وعملهم به واستخدامه لإظهار الخوارق التي يقولون للناس: إنها كرامات.

ومن أكبر تلك الحقائق ما ذكره الشيخ أحمد البوني في كتابه «شمس المعارف الكبرى» وهو من أشهر الكتب التي يعتمد عليها من يتعامل بالسحر في هذه الأيام والأيام الخالية، حيث ذكر سنده بعلم الحرف الذي هو موضوع الكتاب، وقد نقل عن البوني أسانيده بعلم أسرار الحروف الذي يمثله «شمس المعارف» وكانت تلك الأسانيد تدور على أقطاب الصوفية كما أن البوني نفسه قد ترجمه النبهاني في جامع كرامات الأولياء فقال في ترجمته: (أبو العباس أحمد بن علي البوني من كبار المشايخ ذوي الأنوار والأسرار، وممن أخذ عنه المرسي، فمن كراماته أنه كان مجاب الدعوة توفي سنة (٦٢٢هـ)، قاله المناوي)[٥].

وواضح من هذه الأسانيد أن رجاله هم رجال التصوف وأقطابه ومن بينهم القطب أبو مدين المغربي الذي صدَّر التصوف إلى حضرموت.

---

(١) «الصلة بين التصوف والتشيع» (١/ ٢٠٠).
(٢) السيمياء: فرع من فروع السحر. انظر: المطلب الرابع من هذا البحث.
(٣) «الكشف عن حقيقة الصوفية» ص(٨٦٦)، تأليف محمود عبد الرؤوف القاسم، طبع المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ).
(٤) المصدر السابق ص(٨٦٧).
(٥) «الكشف عن حقيقة الصوفية» ص(٨٦٢ ـ ٨٦٣).

**المطلب الثاني: إثبات أن من صوفية اليمن من يتعاطى تلك الأنواع من العلوم:**

عرفنا من المطلب السابق أن الصوفية المتقدمين والمنتشرين في البلاد الإسلامية سيّما مصر والمغرب كانوا يتعاطون أنواعاً من السحر والكهانة، ويتعلمه المتأخر منهم عن المتقدم، كما يتناقلون سائر العلوم، وبما أن صوفية اليمن إنما أخذوا بطريقهم وسلكوا منهجهم فإنهم ساروا على طريقهم في تعلم السحر والكهانة واستعمالها، وإليك شواهد تثبت ذلك عليهم وليس على شواذ منهم ولكن على أناس وصفوا بالولاية التامة وربما بالقطبية والبدلية.

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن سالم باكثير الكندي في رحلته المسماة «الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية» وهو يذكر تنقلاته بين تريم وما حولها وأخذه عن كبار شيوخها وأئمتها: (ثم زرنا العالم الجليل المنور سيدنا عبد الله بن حمد بن عقيل مطهر، وذكر إجازته لهم في بعض الأذكار ثم قال: وأجازنا أيضاً في الأذكار والأدعية التي في «شمس المعارف الكبرى» والعمل بما فيها من الفوائد)[١].

ولم يكتفوا بمجرد النقل والرواية بل صنفوا فيها، فهذا أحد رجال «المشرع» الذي قال عنه في مقدمة ترجمته: (سالم بن أحمد بن شيخان بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبود بن علي بن محمد مولى الدويلة ﷺ، وهو جد المذكور قبله نادرة الأعصار وغرة الأمصار ـ ثم ذكر له ترجمة مطولة دليل على الاعتناء والاهتمام به وتعظيمه هذا الرجل قال ـ: ومن مصنفاته في غريب العلوم «مصباح السر اللامع بمفتاح الجفر الجامع» و«غرر البيان عن عمر الزمان» و«المشروط الأسمى الأسنى في شروط الأسماء الحسنى» و«العقد المنظوم في بعض ما يحتوي عليه الحروف من الخواص والعلوم» و«إيوان المقعد الحرفي وديوان المشهد الوصفي» يتضمن ما يتعلق بالوفق المثلث و«مرهم العطف ودرهم الصرف» و«أسفار الهالك في العمل بوبر بن مالك» و«موائد الفضل الجامعة لباباً في موارد الرمل النافعة أحباباً» و«الماء السلسال، الرحيق الأصفى في التعلق بالأسماء التي اقتضت ربوبيتها تخليق الموجودات الإمكانية وما لها منزلة وحرفاً» و«حل المغنم في حَل الطلسم» و«البرهان المعروف من موازين الحروف» و«منتهى الطلب في قسمة الرتب على الكواكب السبعة والرأس والذنب»، و«الجدول العذب الأهنى من شرب

---

(١) «الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية» ص(٢٥ ـ ٢٦) للعلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن سالم باكثير الكندي، طبع مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م).

الأسماء الحسنى» و«عقد الحكم في ورد الاسم» و«عقد اللآلئ الفخام في ورد الليالي والأيام» و«التحصينات الموانع بالدعوات الجوامع» و«التحبير في التسخير» و«وفق الطبق الوفق» وغير ذلك أضربت صفحاً عن ذكره لا لعلة، والاختصار عن ميدانه عالي الذرا صعب المجرى بنا ولنا أحرى وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد)[١].

لقد حرصت أن أسوق كلام المصنف كما هو، وفيه من المصنفات ما هو واضح أنه من علوم السحر وما يلحق بها، وفيها ما لم يتضح مع الاحتمال، من الواضح:

١ ـ مصباح السر اللامع بمفتاح الجفر الجامع.

٢ ـ العقد المنظوم في بعض ما يحتوي عليه الحروف من الخواص والعلوم.

٣ ـ إيوان المقعد الحرفي وديوان المشهد الوصفي يتضمن ما يتعلق بالوفق المثلث.

٤ ـ مرهم العطف ودرهم الصرف.

٥ ـ موائد الفضل الجامعة لباباً في موارد الرمل النافعة أحباباً.

٦ ـ حل المغنم في حَل الطلسم.

٧ ـ البرهان المعروف في موازين الحروف.

٨ ـ منتهى الطلب في قسمة الترب على الكواكب السبعة والرأس والذنب.

٩ ـ التحبير في التسخير.

١٠ ـ وفق الطبق الوفق.

فهذه عشرة مصنفات التي تبينتها ورجحت أنها في علوم من علوم السحر، وربما بعض ما لم أذكره هو من نفس القبيل، وكذلك ما أضرب عنه المترجم صفحاً.

وقد وصفوا البعض منهم ممن بالغوا في مدحه حتى قال الشلي: (شيخ بن عبد الله العيدروس رضي الله عنه الشيخ الإمام، والصديق الهمام رأس الرؤوس، وبهجة الجلوس، ذو المكارم التي أبد الدهر لا تبلى، والمجد الذي يعلو ولا يُعلى، والكشف الظاهر الجلي، والمنصب الشامخ العلي، إمام أهل عصره والمشار إليه في

---

(١) «المشرع» (٢/١٠٦).

قطره)[١] وفي ترجمة هذا الإمام قال: (وكان له معرفة تامة بعلم الحروف والأسماء كثير التصرف ويقول: إن والدي علمني ذلك في حياته وأنا صغير)[٢]، فهذا إذاً على معرفة تامة ويتصرّف بذلك العلم والأدهى أن الذي علمه ذلك أبوه، ومَن أبوه؟

إن أباه هو: (السيد الشريف محيي الدين وإمام الأولياء والصالحين، وقطب الأقطاب الواصلين، وشيخ المشايخ وغوث الأكابر، وسيد الجماعة، وسلطان الوجود، السيد عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن السقاف كنيته أبو محمد ولقبه العيدروس)[٣] هذا هو أبوه الذي علمه السحر! ولا أستبعد أن يكون أخوه الآخر أبو بكر العدني قد تعلَّم ذلك، شأن أبيه وإخوانه، ومن يشابه أبه فما ظلم[٤].

ومن هؤلاء الأولياء الذين يعرفون هذا العلم ويستخدمونه (مشيخ بن عبد الله بن الشيخ علي رضي الله عنه أحد الأولياء الصالحين والمشايخ العارفين مرشد السالكين وقدوة الناسكين)[٥].

قال الشلي: (ويقال: إنه كان يعرف علم الحرف، علّمه إياه بعض السياحين، بعد أن اختبره بأشياء يعجز عن احتمالها أكثر الكاملين، وكان يحكم الوفق الثلاثي ويتصرف به، وله كرامات كثيرة وأنفاس منيرة شهيرة، فكان يأتي بالشيء قبل أوانه، ويحضر بعض الأشياء التي لم توجد إلا في البلاد البعيدة. حكي أنه أطعم بعض أصحابه فاكهة الصيف أيام الشتاء! وأطعم بعضهم بحضرموت القات المشهور باليمن!!)[٦].

فانظر إلى منهج القوم في الكرامات، هذا الرجل قد صرح المترجم له أنه يعرف علم الحرف الذي هو من أنواع السحر وكان يحكم الوفق الثلاثي وهو كذلك،

---

(١)(٢) المصدر السابق (٢/ ١١٦ ـ ١١٧).

(٣) «شرح العينية» ص(١٩٥).

(٤) ومن هذه الأسرة كذلك رجل آخر أحسن ذلك الفن هو أخو عبد الله العيدروس علي بن أبي بكر. قال الشلي: (وأدخله أبوه الخلوة وأمره أن يقرأ أسماء الله الحسنى بغير صيام، فما تمّت سبعة أيام إلا وقد ظهر له بكل اسم روحانياً وسمع قائلاً يقول: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ أنا روح عمك علي بن السقاف، ثم خرج من الخلوة). «المشرع» (٢/ ٢١٥).

(٥) «المشرع» (٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥)، الذي في «المشرع» (شيخ)، ولكن الصحيح هو مشيخ لأن الذي يعرف بهذا الاسم هو مشيخ وليس شيخاً، ومما يدل على ذلك أن من اسمه شيخ قد تقدم في حرف الشين وهذا ترجمته في آخر الكتاب بين آخر حرف العين والنون.

(٦) «المشرع» (٢/ ٢١٥).

ومعلوم أن مَنْ هذا شأنه بسحره وعلمه بتلك الحروف والأوفاق يأتي بخوارق كثيرة مثل ما ذكره المترجم من كرامات لهذا الرجل وأكثر، ومع ذلك لا يتردد في أن يجعل ما صدر منه ـ وهو من جنس أفعال السحرة ـ كرامات.

فلو أنه لم يعلم بمعرفته بعلم الحروف والأوفاق كان يسوغ له إحسان الظن واعتبار ذلك من الكرامات، لكن بعد معرفته بذلك وإصراره على عدّ ما يصدر منه كرامات يجعلنا ذلك نشك في أكثر ما ينسب إلى أوليائهم من كرامات، ويجعلنا نقيسها على هذا الولي وكراماته، خصوصاً هذه الكرامة المباركة جلب القات من اليمن إلى حضرموت!!.

ومن هؤلاء من أولياء تهامة (يوسف بن أبي بكر القليصي) قال الشرجي في ترجمته: (وكان عالماً عارفاً وكانت له معرفة تامة بكتب البوني، وكان كثير الاشتغال بالأسماء عارفاً بخواصها، وكانت آثار بركة ذلك عليه ظاهرة)[(١)].

ومن الذين ظهر لي أنهم استخدموا السحر وعملوا به رجل سماه صاحب «تاج الأعراس» ووصفه بـ (أعجوبة زمانه وفريد عصره وأوانه والمتحدي بولايته لمعاصريه وأقرانه)، الحبيب المحبوب والفرد المطلق المجذوب محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الرحمٰن العطاس المعروف بالزنقلي، المقيم والمتوفى بقام دَرْمِغْوَرْ قريباً من بندر بمبي بأرض الهند، كان في أول أمره يتعبد في الغابات، وينفر من الناس كما هو شأن السالك المجد، حتى تكمل رياضته، قال: وكثيراً ما يأتي لزيارته أهل جهتنا المهاجرين من حضرموت إلى الهند العارفين بأنساب السادة آل العطاس، فلا يزيدهم على هذا، وربما تجرأ عليه بعض من قبائل الجعدة بالسؤال وقال له: نحن نعرف أنساب آل عطاس، فيقول الحبيب محمد: أين جنبيتك أين خنجرك؟ فينظر إلى قرابه فإذا هو فارغ، فيقول له الحبيب محمد: انظر إلى فوق فإذا هي معلقة برأسها في ورقة من ورق شجرة عنب بفتح وسكون، كان الحبيب محمد يجلس للناس تحتها وذلق الجنبية مصوَّب فوق رأس ذلك السائل فيندهش عند ذلك، ثم يقول له الحبيب محمد: الزم أدبك. انتهى.

قلت: وما ذاك إلا لكرامته على مولاه وثمرة إخلاصه في أقواله وأفعاله لوجه الله ـ قال ـ: (ومن كرامات الحبيب محمد المذكور أنه يستخدم الآساد على

---

(١) «طبقات الخواص» ص(٣٦٨).

رؤوس الأشهاد ويركب عليها، ويرسلها لحراسة بعض زائريه فتذهب معهم حتى تبلغهم مأمنهم ولا تضرهم بأدنى شيء ثم ترجع إليه ولا تزال عاكفة حواليه، حتى إنها بقيت تحرس ضريحه بعد وفاته ولا تتعرض لزوّاره بسوء وهم كذلك، ويأتون لها باللحوم غالباً كالهدية، وكان يقول لي: إنه لا يستريح إلا بحضرة الذكر أو قراءة المولد النبوي ومَن جاور عنده يحثه على الطاعات وأداء الصلوات في أوقاتها، وإذا علم أنه يتهاون بها حالاً يطرده من القرية بالكلية، وقد قال لي مرة في معرض التبجح: مَنْ الذي من الأولياء الأحياء بايبارز عمك هذا ـ وأشار إلى نفسه ـ الذي رأسه مثل القرو[١]، فاني أبرز له، وأما الأموات معنا لهم مدفع شرشرة عمر بن عبد الرحمٰن العطاس ـ قال ـ وكان عادته أنه إذا انتهى السمر أول الليل يختم ذلك بالذكر، ثم يدخل إلى سرير له في ذلك المكان فيرقد عليه، وكان يحذرني أشد الحذر أن يدخل عليه أحد أو يحرك سريره؛ لأنه إذا رقد فيه لم تسمع له فيه حركة ولا نفس ولا صوت، حتى يظهر عمود الفجر الصادق فيرتعش عند ذلك وتتحرك جثته في سريره فيهلل ثم يقوم ويبتدئ ثَم تفقد شؤون المنزل وترتيب أهل الوظائف والحراثة، ولم أره يصلي ظاهراً على أعين الناس، فلما أخبرت أخي صالح يعني صاحب المناقب بذلك قال لي: إنه أي الحبيب محمد المذكور من الذين تتجزأ أشخاصهم شخص منه يعبد الله، وآخر يقوم بخدمته وإصلاح شؤونه ووظائفه العادية، وهذا مقام معروف عند الأولياء، ثم استشهد بقول سيدنا عبد الله الحداد:

وسلِّم لأهل اللّه في كل مشكل ... لديك لديهم واضح بالأدلة[٢]

ثم قال: وخرج لموادعتي إلى بعض الطريق بمقدار مسافة العدوى، فمرينا براعي غنم فدعاه الحبيب محمد وأعطاه إناء من نحاس وأمره أن يحلب فيه شيئاً من اللبن فأتاني به، فمال بنا الحبيب محمد عن الناس إلى تحت شجرة هي موجودة عندنا في حضرموت بكثرة، ثم أخذ شيئاً من ورقها ووضعه فوق اللبن ثم أمرني بقراءة آية كذا من القرآن الحكيم، فقرأتها فجمد ذلك اللبن وصار سبيكة من أجود أنواع الفضة وقال لي: إن أرضكم حقيرة المعاش فإذا احتجت إلى شيء من الدراهم فاعمل هكذا وأجازني في ذلك من غير شرط ولا قيد، فقبلت منه الإجازة امتثالاً لأمره واستودعت منه ورجع إلى منزله، وبقيت أنا أنظر إليه وأفكر في الدنيا وسرعة

---

(١) القَرُو: إناء كبير من الخشب يوضع فيه اللبن وغيره.
(٢) «تاج الأعراس» (١/٣٥٦ ـ ٣٦٢).

زوالها فما غاب عني شخصه حتى حلفت بالله أن لا أفعل ذلك، ولا أعلّمه أحداً خوفاً من الطغيان، فلما أخبرت أخي صالح بذلك قال: إن الدنيا لا تطغينا ولا نطغى معها، فقلت له: إن أردتني أفعل ذلك فعلته وكفّرت عن يميني، فقال: إن الدنيا كلها لا تساوي حنثك في يمينك)[(١)].

قلت: من خلال النظر إلى تلك الحكاية نجد فيها أموراً:

**أولها**: ما نجده من المجاهدة الشديدة والرياضة الشاقة التي اتبعها، وهي أمر مشترك بين صوفية المسلمين وصوفية الهند، والذين بواسطتها يصلون إلى مرحلة من الروحانية التي تنخرق لهم بسببها العادة، ويصلون إلى فنون من معرفة الغائبات والتصرف في بعض الكائنات بما يشبه السحر أو به على الحقيقة، وقد ألمح الشعراني إلى أن بعض الطامحين في حصول الكرامات يتبعون تلك الطريقة للحصول على الخوارق[(٢)].

**وثانيها**: نجد تلك (الكرامة) التي هي في الحقيقة إرهاب فكري يسلطه على من يعارضه ويعترض عليه على جهة التحدي، هذه في نظري ليست من صفات الأولياء الذين يحرصون على الخمول والتواضع وإخفاء كراماتهم إن وجدت، وإنما هي بحال السحرة والمشعوذين أشبه.

ومثل ذلك: خدمة الأُسُود، وقد عرف عن أهل الهند أنهم يسحرون الوحوش من أسود وغيرها حتى تطيعهم وتمتثل أمرهم وتخدمهم، وما يحصل في السيرك شاهد على ذلك.

**ثالثها**: تحديه الأولياء الأحياء والأموات. هل من الولاية والتقوى والصديقية أن يكون الولي مخاصماً لإخوانه الأولياء مستعداً لمبارزتهم وغلبتهم؟.

**رابعها**: كونه لم يشاهده يصلي في الظاهر حسب زعمه، لِمَ لم يصلِّ في الظاهر؟ وعند الصوفية قاعدة لتبرير جرائم أوليائهم هي أن ذلك من (الملامتية) أي الذي يُعرِّض نفسه للّوم حتى لا يظهر عمله خوفاً على نفسه من الرياء والافتتان، وهي قاعدة باطلة، ولكن هذا الرجل لا يجري أمره حتى على هذه القاعدة الباطلة؛ لأنه غير متخفٍ بولايته بل مظهرها متحدياً بها، يستخدمها لإرهاب الناس، فلماذا لا يتخفى بالولاية التي كانت طريق الأولياء حقاً إخفاؤها؟ وإنما يخفي الصلاة التي لا

(١) «تاج الأعراس» (١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤).

(٢) «الطبقات الكبرى» ص(١٠٨).

يجوز بحال تركها خوفاً من الرياء أو من غيره، بل الرجل المسلم وولي الله مطالب بأدائها مع جميع المسلمين ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة: ٤٣]، فالشاهد يقول: إنه لم يره يصلي ظاهراً! فكيف يكون ولياً من لم يُرَ يصلي لمدة سنة على الأقل مدة إقامة ذلك الرجل عنده؟! وهل يكفي في إعفائه عن ذلك أن من الأولياء من يتجزأ، فجزءٌ يعبد الله، وجزء يتصرف في إصلاح شؤونه الأخرى؟! هل هذا الأمر يعفي من شاء من الأولياء من الصلاة في الظاهر؟، إذن هو ليس بولي أصلاً أو هو ولي من أولياء الشيطان.

والذي يؤكد الاحتمال الأخير ويؤكد زعمي أن الرجل يستخدم السحر القصة الأخيرة وهي القراءة على اللبن حتى يتحول إلى سبيكة فضة متى شاء!، إنّ هذا من السحر ولا شك ولا يغرنّك أن المقروء آية من القرآن فالقوم لا ينزهون القرآن عن استخدامه في السحر، وانظر «شمس المعارف» وغيره ترى كيف تخلط آيات القرآن بالألفاظ الأعجمية التي لا تعرف معانيها، بل بالشرك بشياطين الجن والإنس.

خلاصة الأمر: أن هذا ضرب من السحر وإن كان قطب زمانه الحبيب صالح بن عبد الله العطاس قد تمنى لو أن أخاه استعمله.

وفي الهند أيضاً ولي آخر أتقن عدداً من علوم السحر والكهانة هو عبد الله بن حسين بن محمد بن علي بن أحمد المعروف كسلفه بـ «بافقيه»، قال عنه الشلي: (وكان ـ رحمه الله تعالى ـ من علو همته أنه لا يسمع بشيء إلا وأحب أن يقف على أصله ومادته، ويتطلب أربابه من سائر الآفاق حتى أحكم علم الرمل والهيئة والأسماء والأوفاق، واجتهد في علم الكيمياء غاية الجهد، وجدّ في طلبه من تهامة ونجد، ويقال: إنه ناله وأصاب غرضه من بعض أهل الرياضة)[1].

ومنهم ولي آخر، قال عنه صاحب «المشرع»: (محمد بن علي بن هارون بن حسن بن علي ابن الشيخ جمل الليل أحد خلفاء الله على عباده، وأمنائه على فيوضات إمداده، أمده الله بمواد نعمه الوافرة، ومنحه نعمه الباطنة والظاهرة)، هذا الولي ـ خليفة الله على عباده ـ ذكر في ترجمته تعلمه علم الأسماء الشريفة والأوفاق واستعماله، بما لا يدع مجالاً للشك، قال: (وحكي أنه كان يُحْكِم علمَ الأسماء الشريفة والأوفاق ويتصرف بها، وكان يفتح القفل والضبة من غير مفتاح، ولما مات

(١) «المشرع» (٢/ ١٧١).

السيد عبد الله بن الطيب بمكة وكان ماله في مخازن مقفلة ولم يجد الوصي مفاتيحها ففتحها له صاحب الترجمة، وقال عبد الرحمٰن الجون: كنا بطيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فإذا ضاع علينا مفتاح الرباط أو الخلوة فتحه السيد محمد باهارون باسم الله تعالى، وإذا جاء مَنْ به علة أو مرض وقرأ عليه عوفي من ذلك، وكل مَنْ أصابه أذى من إنسي أو جني وأتى إليه يقرأ عليه أو يدعو له فلا يعود عليه، وكل من ضاع عليه شيء أخبره بموضعه، وجاء إليه بدوي فقال له: ندَّ بعيري وطلبته في الأماكن المعهودة فلم أجده، فقال: هو في وادي كذا، فذهب إليه فوجده فيه، وضاع على بعض التجار حمل سمسم فطلب من السيد أن يدعو له فأخبره بمحله فذهب إليه فوجده، وكان كل من خطر بباله شيء بحضرته كاشفه به، كان له شهرة تامة في الحرمين والديار اليمانية، وكانت ملوكها تعتقده لا سيما صاحب «دثينة» فإنه لما أتى إليه ـ كانت بلده كثيرة السرقة ـ فكان كل من سرق أخبره به السيد فعُدم السراق فيها، وأقام بها وولد له فيها أولاد، وكان له مكارم عظيمة وأيادٍ جسيمة ومنح كريمة...)[1].

كما قلت سابقاً: كونه يوجد من يستعمل السحر هذا ليس غريباً، ولكن أن يجعل ذلك الساحر من أولياء الله هو الغريب والدال على فساد منهج القوم في تعريف وتحديد الكرامات والأولياء، ويشكك في أكثر الذين يصفونهم بالولاية وينقلون عنهم كثيراً من الكرامات وخصوصاً التي لا تليق بأولياء الله حقاً أو التي يحيل العقل وقوعها على يد المستقيم الصالح.

**تنبيه:**

قد صرح السيد أحمد بن حسن العطاس أن عادة سلفهم العلويين عدم التصرف بشيء من ذلك، كما جاء في «تذكير الناس» فقال: (وبلغنا أن الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه الذي قال فيه الحبيب عبد الله الحداد: والله ما في الأكوان مثل عبد الرحمٰن، كان له اطلاع على جملة من العلوم الظاهرة والباطنة، وله اطلاع أيضاً على علم الكيمياء وما أشبهه من العلوم، ولكنه لم يتصرف بشيء من ذلك كعادة سلفه العلويين، مع ما عرفه من علوم العقل والنقل والباطن والظاهر، وسلفنا رضي الله عنهم لا يميلون إلى علم الكيمياء، وليس هو طريقهم، ولا يتعاطون إلا الأسباب الظاهرة،

(١) المصدر السابق (٢/ ١١ ـ ١٢).

ولا يتوغلون فيها، ولما كنت بمكة وقت الصغر والفراغ تعلمت أنا وجماعة شيئاً من علم الأسماء، وعملت بها ليلة فظهر عليّ أربعة نفر من خدمتها، وقالوا: ما حاجتك؟ فقلت لهم: لا حاجة لي إليكم، ولم أعمل بها من بعد ذلك، ثم سألني جماعة، وقالوا: هل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم، رأيت كذا وكذا، فقالوا: أما نحن فما رأينا شيئاً.

ويحكى أن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى أتاه بعض أهل ذلك الشأن، وأعطاه مسرجة وقال له: إذا بدت لك حاجة فأسرج فيها، فأخذها منه وأسرج فيها ليلة، فحضر حولها أربعة نفر، فسألهم من أنتم؟ قالوا: نحن خدمة هذا السراج، ما حاجتك؟ قال: إيتوني بكيس ريالات من البحر، فغابوا ساعة وأتوه بها تقطر ماء ووضعوها بين يديه، فنظر إليها ثم أمرهم بردها إلى البحر، فردوها وقالوا له: هل لك حاجة أخرى، وإلا فأطفئ الشمعة فإنها تحرق أجوافنا، فأطفأها وذهبوا، فلما أصبح جاء إلى خاله الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر يصافحه فقبض يده عنه، فقال: لِمَ لا تصافحني؟ قال: هات المسرجة التي معك، فأتى بها إليه فأمره أن يكسرها فكسرها، زهداً في الدنيا وثقة بالله وما عنده)[١].

قلت: أما ما ذكره من قصة عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه فيرده ما جاء في «تاج الأعراس» حيث قال ـ وهو يتحدث عن عبد الرحمٰن بلفقيه المذكور ـ: (ثم توجه إلى مكة ولما كان يوم الوقوف بعرفات وقعت قضية حار فيها أهل الموقف كلهم، وقع رصد على النار فلم توقد لهم ذلك اليوم نار، فاجتمع علماء مكة مع الشريف أي أمير مكة وقالوا: ما لهذه القضية إلا السيد عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه، فقال لهم: دوِّروا له، فدوَّروا له في الموقف، فوجدوه جالساً تحت شجرة متظللاً بثوبه من الشمس، فقالوا له: أجب الشريف، فقال: وما ذاك؟ فأخبروه بالواقعة، فقال لهم: هاتوا جريدتين من جريد النخل فكتب عليهن شيئاً وأمرهم أن يتبعوها بالخيل، وقال لهم: تنتهي بكم إلى مكان فيه رجل يكتب «يرصد على النار» خذوا ما بيده وامحوه، فمشت قبلهم وتبعوها حتى أوصلتهم إلى مكة فوجدوا رجلاً يكتب كما وصف لهم فأخذوا ما معه ومحوه فانحل العقد في الحال)[٢]، فظهر من الحكاية أن الرجل مشهور بذلك ومعروف، ولذلك دلّ الشريف عليه واستخدم ذلك ونجح فيه.

---

(١) «تذكير الناس» ص(٣٨٠ ـ ٣٨١).
(٢) «تاج الأعراس» (١/ ٣٤٠).

وأما الحكاية الثانية ـ حكاية أحمد بن حسن العطاس وتعلمه ما تعلم من علم الأسماء ـ فهو دليل أن البعض كانوا يتورعون عن ذلك، وأنا أوقن بذلك، وما قلت ولن أقول: إن الجميع سَحَرة، أو إنهم يعرفون تلك العلوم ويعملون بها.

ومثل ذلك: قصة عبد الله بن عمر بن يحيى وخاله عبد الله بن حسين بن طاهر فهاتان القصتان تدلان على أن من القوم من يتورع عن ذلك، وما سبق من حكايات أخرى تدل على أن جماعة منهم وممن يعدون من كبارهم وأقطابهم يمارسون ذلك ويتصرفون به حسب تعبيرهم، وما يصدر عنهم من ذلك يحسب عند أتباعهم ومروِّجي دعاياتهم من الكرامات الخارقة وأدلة على قربهم من الله وإكرامه لهم، مع أن هذا ما دام صادراً عن ذلك النوع من السحر إنما هو من عمل الشيطان وتسويله، ودليل بُعد عن الله لا قرب منه

ومما يلتحق بذلك ما هو مشهور مما يفعله المجاذيب المنتسبون لابن علوان مِن طعن أنفسهم بالحراب والخناجر في عيونهم وأماكن أخرى من أجسادهم، فإن ذلك من السحر أو ما يلتحق به، وهم عندما يفعلون ذلك يقولون: (سرّك وبحرك يا ابن علوان) أو كما يقولون، أي لتكن هذه الصفات في بحرك، أي نتلقاها بحالك، أي مما أكرمك الله به من التصريف.

وقد حكم العلامة حسين بن عبد الرحمٰن الأهدل على ذلك بأنه أحوال شيطانية فقال ـ وهو يتحدث عن السيد أحمد الرفاعي ـ:(وتبعه خلق أحسنوا الاعتقاد فيه ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيَّات حية، والنزول في النار وهي تضطرم فَتُطْفَأُ، ويركبون الأسد، ولهم مواسم يجتمع بها عندهم عالم كثير. قلت: الأحوال المذكورة أحوال شيطانية كما ذكره الحافظ ابن تيمية ثم الذهبي فاعلم ذلك والله أعلم)[1].

قلت: فهذا الحكم ينطبق على أفعال مجاذيب ابن علوان لعدم الفارق، والله أعلم.

**المطلب الثالث: إثبات أن منهم من يستخدم الجن:**

استخدام الجن دائر بين السحر والكهانة، وقد سبق الكلام عن السحر وأشهر نوع مستخدم منه عند قبورية اليمن، هو علم السيمياء أو علم أسرار الحروف

(١) «تحفة الزمن» ص(٢٧٤)، مخطوط، ولدي نسخة مصورة منه.

والأوفاق، وسبق كذلك أن منهم من يحسن الرمل وهو من علوم الكهانة، وربما كان هناك أنواع أخرى من تلك العلوم لم يُفْصَح عنها. وأحبُّ أن أضيف هنا أن هناك نوعين آخرين من استخدام الجن على اعتبار أن ذلك من الكرامات.

أما **النوع الأول**: فهو الاستخدام المباشر للجن واعتبار ذلك من كرامات المستخدم لهم، وعندي عليه حكايتان لشخص واحد ذكرهما صاحب «تاج الأعراس».

أما **الأولى**: فذكرها أثناء كلامه عن مساعي آل العطاس في الصلح بين القبائل قال: (فلما وصل الركب قبيل المغرب إلى محلة تلك القبيلة تشاور رجالها أن يغلقوا أبوابهم في وجه الركب العطاسي، فحاول السادة قرع الأبواب والنداء بأسماء كبرائهم فلم يجبهم أحد فغضب رجال الركب بأجمعهم لهذا الجفاء، ونادى الحبيب أحمد بن حسن بأعلى صوته متحمساً: (أين سالم بن محسن وجنّه) وكان حاضراً في مقدمة رجال الركب فعند ذلك التبس الحبيب بحال مهيب وأخذ يحرك يده يميناً وشمالاً، فانطلق مزنقب[1] في داخل تلك الديار على أهلها بالصيحات المفجعة التي كادت تجنّ منها نساؤهم وصبيانهم فخرج رجالهم في الحال إلى محطة الركب، وقدموا لهم العدايل ـ العرابين ـ فيما سبق منهم، وما لحق من الخطأ على مقام العطاس، وبات الكل على خير سمر، وعادت المياه إلى مجاريها)[2].

**والقصة الثانية**: ما وقع لذلك الرجل نفسه بمكة مع أميرها الشريف عون، قال العطاس: (ومنها ما وقع للحبيب سالم المذكور مع أمير مكة الشريف عون وكان مشهوراً بالبطش من غير تفكير في القضايا، فحينما دخل الحبيب سالم إلى مكة لأداء حجة الإسلام قيل له: إن الشريف عون قد منع دعوى السيادة والمخاطبة بلقب سيد بتاتاً وأنه يعاقب من بقي مصراً على ذلك، فقال الحبيب سالم: إنما جئنا إلى هذه البلاد لنؤدي ركناً من أركان الإسلام ونزور شفيع الأنام ونزداد شرفاً إلى شرفنا، وأنه لا مسوغ لي في ترك لقبي الذي وضعه علماء المسلمين على أهل بيت نبيهم كما أني لا حاجة لي بالشريف عون، فانتشر كلام الحبيب سالم بين الناس وسرعان ما بلغ الشريف عون فاستدعى الحبيب سالم وقال له: أنت القائل كذا وكذا، قال: نعم، قال: برهن لي الآن على أنك من أولاد فاطمة ﵍ فنخس الحبيب سالم الجدار،

(١) مزنقب: اسم الجني خادم ذلك الحبيب.
(٢) «تاج الأعراس» (٢/٥٦).

وقال: صب الماء يا مزنقب من هاهنا، فما تم كلمته حتى ثجا الماء بقوة وأخذ يفترش في جوانب المجلس أي غرفة استقبال الناس ويطغى على الفرش الملكية الثمينة، والشريف يقول: الأمان الأمان، يا سيد سالم أنت سيد أنت حبيب، فضرب الحبيب سالم الجدار ثانياً وقال: يكفي وخرج من عند الشريف والشريف مبهوت مما رآه، فدخل على الشريف بعض أعوانه في ذلك الحين وقال له: إن هذا من عمل السحر ثم دخل عليه أحد علماء مكة في حاجة له فأخبره الشريف بما وقع وما قيل، فقام العالم ونظر إلى الخدم يغرفون الماء وينشرون الفرش المبلولة في الشمس، فقال للشريف: يا مولانا هذه كرامة من الله لهذا السيد، فإن السحر لا جرم له وإنما هي خيالات تتراءى للناس كما وصفه الله بذلك في كتابه العزيز في قوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]. وفي الآية الأخرى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] أي والحال أنها واقفة، واستشهد له بمجيء الذي عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس فانبسط الشريف بجواب هذا العالم)[١].

فانظر إلى ما هو مغروس في فطر الناس من استنكار ذلك وعدّه من أعمال الشياطين، وقارِنْه بما جاء به ذلك العالم من التأويل واعتبار أن ذلك كرامة باعتبار أن السحر ليس له حقيقة وإنما هو خيال وخداع، وهذا خلاف ما عليه أهل التحقيق من أن الساحر قادر على أن يعمل أشياء لها حقيقة ووجود في الخارج، وأما اعتبار المصنف ذلك من قبيل ما حصل لجلساء سليمان من نقل عرش بلقيس فإنه مع الفارق الكبير جداً، كما أنه ما كان ليسلّم لولا أن الله ذكره في القرآن وهو الخبر الذي لا يُكَذّب.

**والنوع الثاني**: استخدام الجن لخدمة أضرحة الأولياء، وهذا النوع من أخطر مكائد الشيطان للمتعلقين بالقبور والأولياء، كما أنه كان من أعظم مكائده لعبّاد الأصنام حيث كان يتلبس بالأصنام ويخاطب عبّادها ويخبرهم ببعض الأمور ويجيبهم على بعض أسئلتهم، وربما حقق لهم بعض ما يطلبونه منها، وفي هذا السياق نفسه نجد أن الشيطان كاد المتعلقين بالقبور وبالذات الذين يدعون أصحابها، فنجد أولئك الشياطين يأتون إلى أولئك المستغيثين في صور الأولياء الذين استغاثوا بهم فيوقنون حينها أن الذي أغاثهم واستجاب دعاءهم هو الولي بينما هو أحد خدام ضريحه.

واسمع إلى هذه الحكاية التي يرويها أحمد بن حسن العطاس. قال صاحب

---

(١) «تاج الأعراس» (٢/٥٦ ـ ٥٧).

«التذكير»: (وقال رضي الله عنه: سافر الحبيب طالب بن حسين بن عمر بن عبد الرحمٰن العطاس، وهو أصغر أولاد الحبيب حسين بن عمر إلى صنعاء اليمن، فصرعت في ذلك الوقت بنت للإمام بسبب الجان، فأحضروا أهل العزائم والطلاسم، وبذلوا وسعهم فنطق الجني على لسانها، وقال: لا أخرج من هذه البنت إلا إن جاء حبيبي طالب بن حسين العطاس، فقالوا: وأين حبيبك هذا؟ فقال: هو مقبل عليكم في هذه القافلة التي تجيء من حضرموت إلى صنعاء بعد يومين أو ثلاثة.

فأمر الإمام فرساناً من عنده يخرجون لتلقي القافلة، والاستخبار عن الحبيب طالب بن حسين، فلما بلغوا إلى القافلة وجدوه فيها فقالوا له: نحن رسل الإمام إليك لتحضر إلى بيته سريعاً، فقال لهم: وما الخبر؟ فأخبروه به، لئلا ينزعج فركب معهم، ولما وصل إلى صنعاء استقبلوه بالإكرام، وطلب منه الإمام معالجة البنت وأدخلوه إلى المنزل المعدّ لها، فحين بدا وجه الحبيب طالب من الباب نطق الجني، وقال: مرحباً بحبيبي طالب بن حسين بن عمر بن عبد الرحمٰن، فأخذ يوبخه، ويقول له: لا حيّاك الله تعمد إلى هذه الشريفة وتؤذيها وتؤذي أهلها، فقال له: لا تعجل عليَّ واستخبرني أولاً عن بلادك حريضة وأهلها فإني خرجت منها بعد سفرك بأيام، فقال له: هات ما عندك، فقال له: بعد مسيرك وقعت الرحمة وسالت الأودية، وشربت حريضة، وفلانة توفيت، وأخبره بأخبار كثيرة، فقال له: ومن أنت؟ فقال: أنا من أخدام عمك سالم بن عمر مولى حميشة، وأنا من التسعة النفر الذين حضروا المكسر في جربك الفلاني لما اهتريت وقلت: يا سالم بن عمر يا ذخري، وربدنا المكسر حقك، قال له: مرادنا خروجك حالاً من هذه البنت، وأعطنا العهد والميثاق على أنك لا تعود، فقال: أما إذا جئت أنت فلا عذر لي عن الخروج، وعاهده على أن لا يعود أبداً، وخرج منها، فقامت البنت كأنما نشطت من عقال، وأكرمه الإمام إكراماً عظيماً، وأعطاه أربعمائة أو خمسمائة من الأشرفيات، وأعطاه جبباً من أكسية الحرير وطاسة شراب، فيها كتابات نفيسة، وهي موجودة عند ذريته إلى الآن)[١].

وفي هذه الحكاية دلالتان:

**الأولى**: أن الجن المسخرين لبعض من زعم الولاية أو لبعض الأسر تخدمهم

---

(١) «تذكير الناس» ص(١٥٢ ـ ١٥٣).

بما يحقق لهم الشهرة والجاه، وعلى ذلك فكثير مما يذكر من كرامات لبعضهم مثل: أن فلاناً أصيب بمرض ثم جاء فلان فضربه أو تفل عليه فقام كأنما نشط من عقال، وأن فلاناً جُنَّ أو تلبست به الجن.. إلخ، ومعظم ذلك من هذا القبيل فلا كرامة ولا ولاية ولكنها كهانة وتسخير للجن بواسطة السحر أو نحوه.

**الدلالة الثانية**: أن ما يشاهده ويحس به المستغيث بالأولياء والصالحين من حضور أولئك المستغاث بهم إنما هم شياطين تصوروا بصورهم وأدّوا عنهم تلك الخدمة ليعلقوا الناس بأولئك الأولياء، وهذا واضح من سياق الحكاية فالرجل (اهترا) أي دعا ذلك الولي وهو مكروب حيث كسر جربه وخشي أن يتسع الكسر فاستغاث بمن يعتقد فيه فحضر عنده تسعة نفر لرد الكسر وإصلاح الجرب، ولذلك فسوف يزداد اعتقاداً في ذلك الولي وسوف ينقل ذلك ويشيعه بين الناس وتنتشر له بذلك دعاية كبيرة، وسيترسخ بذلك اعتقاد الناس فيه بأنه ينفع من استغاث به، وهذا هو الشرك الذي لا يخالف فيه أحد من المتقدمين أو المتأخرين. ويشهد لهذا الاستنتاج شواهد أخرى:

**الشاهد الأول**: ما حدثني به أحد أحفاد الفقيه علي بن محمد المالكي صاحب «الحوطة» من مديرية ميفعة محافظة شبوة والمعروف اختصاراً (بالفقيه علي) قال: كان هناك جماعات من العبيد أو الأخدام كانوا يعتقدون في الفقيه عليّ ويزورونه في مواعيد محددة وربما تأخروا بعض السنين، فإذا حصل ذلك وجاءوا في السنة التي بعدها هم ونساؤهم فإنهم عند دخولهم إلى الضريح يتلبس الجن بنسائهم فيُصرعن حتى يأتي أحد ذرية الشيخ المذكور أياً كان منهم فيضرب النساء قائلاً: (نقضي يا فقيه علي) وعند ذلك يفقن ويتخلى عنهن الجن دون أي علاج آخر أو قراءة.

وواضح من هذه الحكاية أن أولئك الجن موكلون بذلك الضريح من أجل ترسيخ الاعتقاد فيه بين الناس الذي قد تهيأت نفوسهم له.

**الشاهد الثاني**: ما حدثني به كذلك أحد أحفاد الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب «عينات» قال: كان أبي إذا مرض يهتري بجده أبي بكر بن سالم، وفي أحد أمراضه تأخر الشفاء رغم اهترائه المتكرر، فاهترى بشخص آخر فبينما هو كذلك إذ سمع جدلاً بين شخصين لا يراهما، يقول أحدهما: أنا أتولاه، ويقول الآخر: بل أنا أتولاه، أنا أحق به فهو من ذرية مخدومي أبي بكر بن سالم.

إن هذه الحكاية صحيحة إن شاء الله حدثني بها ابن ذلك الرجل الذي كان

مريضاً وهو ثقة معروف بالاستقامة وجرى له ما جرى. ودلالتها واضحة في التأكيد على ما قلته سابقاً من وجود خدام لأضرحة الأولياء، ولو تتبعنا لوجدنا الكثير والكثير من مثل هذه الشواهد ولكن نكتفي بهذا إذ به يحصل الغرض.

**المطلب الرابع: إثبات أن علوم السيمياء وأسرار الحروف والأوفاق من علوم السحر:**

تقدم في المطلب السابق استخدام قبورية اليمن لعلوم السيمياء وأسرار الحروف والأوفاق وأنهم شاركوا في التنجيم والتسخير واستخدام الجن، وفي هذا المطلب نثبت إن شاء الله أن تلك العلوم من علوم السحر وبعضها من الكهانة، ثم نردف ذلك ببيان الحكم الشرعي لها.

أما علم أسرار الحروف وعلم الأوفاق فإنهما يرجعان إلى شيء واحد وهو علم الأوفاق، إذ عرّفوا الوفق بأنه: (علم يتوصل به إلى توفيق الأعداد والحروف، واستوائها في الأقطار والأضلاع وعدم التكرار غالباً)[١]، قالوا: (ومصطلح الأوفاق يطلق على اللفظية والحرفية والعددية والغرض منها هو العددي والحرفي، أما اللفظي فلا يطلق عليه اسم الوفق إلا على طريق المجازية)[٢].

وقد عرّف الأنطاكي علم الحروف فقال: (علم الحرف علم باحث عن خواص الحروف إفراداً وتركيباً، وموضوعه الحروف الهجائية ومادته الأوفاق، والتراكيب وصورة تقسيمها كمّاً وكيفاً وتأليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها، وفاعله المتصرف، وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعاً وانتزاعاً، ومرتبته بعد الروحانيات والفلك والنجامة)[٣].

وقد صرَّح بأن هذا العلم من علوم السحر العلامة ابن خلدون، والإمام الصنعاني حيث قال ـ بعد أن نقل تعريف الأنطاكي ـ: (هذا شأن الأسحار والابتداع، لا شأن الطريقة النبوية والاتباع، ومعلوم أنها طريقة سحرية إذ المطلوب بها أمور دنيوية محضة من جاه عند العباد، وجلب رزق من أيديهم، وإلقاء المهابة في قلوبهم وغير ذلك، ولا يتم إلا بالرواتب بألفاظ غير مأثورة بل غير لغوية، فإن

---

(١) انظر: «موقف الإسلام من السحر» (١/ ٢٧٤).

(٢) المصدر السابق ص(١/ ٢٧٤).

(٣) «تذكرة داود الأنطاكي» بواسطة «رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد والحروف والأوفاق وكم بقي من عمر الدنيا» ص(٢١ ـ ٢٢) للإمام الصنعاني، تحقيق مجاهد بن حسن الوصابي، طبع مكتبة دار القدس، صنعاء، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

من ألفاظ الرواتب ما ذكر البوني في «اللمعة النورانية» في دعوات الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء أن تقول: «هو هو هو هو ولا لا لا لا أو آه آه آه آه آه آه أو ها ها ها ها ها» وكل دعاء فيها فإنه يلاحظ فيه أحوال الكوكب التي ساعة النداء ساعته، وكل ذلك الدعاء خطاب للنجوم، وإن رأيت فيه ألفاظاً من أسماء الله فليس المراد به الرب تعالى، وإنما هو على طريقة الذين يدعونهم الحكماء وهم المشركون عباد الأفلاك، فإنه قال البوني في «لمعته» في سياق ساعة عطارد: وهي الثالثة من يوم الأحد. ثم ذكر خاتم عطارد وأنه عند الحكماء وأن شكله على هذه الصورة ومعدنه الزئبق، وحجاره الزمرُّد الأخضر، وبخوره العنبر، ومداده اللازورد. انتهى.

وله في كل كوكب من السبعة مثل هذا خاتم وشكل، وبخور ومداد، وكل مؤمن يعلم يقيناً أن هذا ليس من الشرع المحمدي، وأنه من طرق الكهانة والسحر والخطاب للكوكب وأنه الفعال، فإذا لم يكن هذا من المحرمات فأي شيء الحرام؟!!)[1] وأما ابن خلدون فقد تقدم كلامه في أول هذا المبحث.

ومما يؤكد أن علم الحروف والأوفاق من السحر ما جاء في كتاب «سر العالمين» المنسوب لحجة الإسلام الغزالي حيث قال: (أما السحر فهو عمل وكلام تداولوه بينهم في أوقات معلومة وطوالع معروفة وطلسمات مضروبة، فإذا أردت أن تولد طلسماً يصلح لما تريد، فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفاً، فإذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة أحرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد، فانظر في الإسطرلاب عند ساعة التأليف، فهو يصلح لما دلت عليه الدقيقة من الساعة، ومثال: أ ب ت ث فتأخذ الجيم، والثاء أليق عوضاً عن الجيم، ج ح خ خذ الصاد، ص ط ظ خذ العين، فيصير عقرباً، لتدوير الحروف، فضع صورتها على خاتم والقمر في العقرب تكف خاصيتها عنك أذى النساء، ترمي الخاتم في الماء فينفع سقياه الملسوع وتلقي به سواءً بين من أردت، وترش من مائه على سطح المبغض أو طريقه أو داره فإنه سيتضرر منه سنة...

«ذِكْرُ كلمات تفرق بها بين جماعة فاسدة تخافهم» تأخذ أفرداً من شعير حزام، وتقول عليه أربع مرات: «ها طاش ما طاش هطاشنة، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة»، وترميه من حيث لا يشعرون، وتنظر ما يصنع الله... وكثير مثل هذا، وقد حصرناها وشرحناها في كتاب «عين الحياة» وهو صغير الحجم كثير الفوائد.

---

(١) المصدر السابق ص(٢٢ ـ ٢٣).

ومما قال: واعلم أن هذه الصناعة «صناعة الإكسير» هي صناعة ربانية لا يقدر عليها إلا الأبدال والرجال والأبطال الذين كشف الله الرين عن عيون قلوبهم، وهذه لا تصح إلا للطائع... ونحن نذكر خواصاً دالة مظهرة لبدائعها وصناعتها مذكورة في كتاب «عين الحياة»)[١].

وللتأكد أكثر خذ هذه الشذرة من عقد «شمس المعارف الكبرى» عمدة القوم الذي يروونه بالسند ويجيز فيه أكابر مريديهم قال:

**(باب رياضة «قل أوحي» المشهورة**

اعلم أيها الأخ إذا أردت ذلك، صم ثلاثة أيام أولها الثلاثاء ثم الأربعاء والخميس، وهو صيامك عن غير ذي روح، وأن تتبخر بحصى لبان وجاوي ليلاً ونهاراً، وأنت تقرأ السورة الشريفة في مدة ثلاثة أيام ألف مرة في تلك المدة المذكورة... واجتهد أن يكون ختمك من قراءتها ليلة الجمعة الثلث الأوسط من الليل، فإنه يحضر لك خادمها، وهو رجل قصير طويل اليدين، فيجلس قدامك، ويقول لك: «السلام عليك»، فثبِّت جنانك، فإن عليه هيبة عظيمة... والعزيمة والدعوة هي السورة الشريفة بتمامها وكذا البخور. واعلم أيها الواصل أنها من الأسرار المختصة وأنها من كتب الأنبياء والأولياء وأسرارهم، وهي هذه تقول: «بسم الله الرحمٰن الرحيم قل أوحي إليّ...»، اللهم إني أسألك يا منزل الوحي من فوق سمٰوات...»، «إلا من ارتضى من رسول... وأحصى كل شيء عدداً» اللهم إني أسألك بحق المساجد لله وبحق عبادك الصالحين... يا خدام هذه الدعوة الروحانيين... أقسمت عليكم بهذه الدعوة والأسماء والسورة بحق أرقوش، كلهوش، بططهوش، كمطهلوش، بهوش، قانوش، أقسمت عليك يا روقيائيل الملك الموكل بفلك الشمس)[٢]، فهذه هي حقيقة علم الحروف والأوفاق ويدخل فيها التسخير.

يظهر مما مثّل به لهذه العلوم أن فيها استعانة بالشياطين ووضع آيات الله تعالى في غير مواضعها، والضرر الكبير بعقيدة الساحر وعقيدة من يأتيه ومن يتعامل معه، وحتى أختصر الطريق فإني أنقل كلام نخبة من العلماء يقررون حكم تعاطي السحر وينقلون الإجماع على تحريم تعلم السحر والعمل به وإتيان السحرة.

---

(١) بواسطة «الكشف عن حقيقة الصوفية» ص(٨٥٩ ـ ٨٦٣).

(٢) «شمس المعارف» ص(١٢٢ ـ ١٢٤) بواسطة «الكشف عن حقيقة الصوفية» ص(٨٦١).

يقول ابن قدامة في «المغني»: (تعلم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم، قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته)[١].

وقال النووي: (عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع).

وقال الذهبي: (الكبيرة الثالثة: السحر؛ لأن الساحر لا بد وأن يكفر، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به، قال الله تعالى عن هاروت وماروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]... الآيات، فترى خلقاً كثيراً من الضلّال يدخلون في السحر ويظنون أنه حرام فقط وما يشعرون أنه الكفر، فيدخلون في تعلم السيمياء وعملها هي محض السحر، وفي عقد المرء عن زوجته وهو سحر، وفي محبة الزوج لامرأته وفي بغضها وبغضه وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال)[٢].

وفي كلام الذهبي فائدة كبيرة هي: التنصيص على أن السيمياء من السحر الذي ذلك حكمه.

وقال الحافظ ابن حجر: (وقد استُدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو الكواكب، أما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلاً)[٣].

### المطلب الخامس: تعريف الرمل وأنه من علوم الكهانة وبيان حكمه في الشرع:

#### تعريف الرمل:

(هو علم يعرف به الاستدلال على أحوال المسألة حين السؤال بأشكال الرمل وهي اثنا عشر شكلاً على عدد البروج)[٤]، وقد أدخله بعضهم في علوم التنجيم[٥]

---

(١) «المغني» (٩/ ٣٤) لموفق الدين بن قدامة.

(٢) «الكبائر» ص(٤٥) للحافظ محمد أحمد الذهبي، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

(٣) «الفتح» (١٠/ ٢٢٤).

(٤) «كشف الظنون» (١/ ٩١٢) لحاجي خليفة.

(٥) انظر: «التنجيم والمنجمون وحكم الإسلام فيهم» ص(٣٠)، تأليف عبد المجيد بن سالم المشعبي، طبع مكتبة الصديق بالطائف، ومكتبة ابن القيم بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

وعدّه بعضهم من أنواع الكهانة[١] ولا تناقض فهو مرتبط بالاثنين وقد عدّ التنجيم من الكهانة.

وإذا عرفت ذلك فالكهانة محرمة بل من أكبر الكبائر، قال العلامة ابن حجر المكي: (الكبيرة الرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، والعشرون، والثلاثون، والحادية والثانية، والثالثة، والرابعة والخامسة، والثلاثون بعد الثلاثمائة: الكهانة والعرافة والطيرة والطرق والتنجيم والعيافة وإتيان الكاهن وإتيان عراف وإتيان طارق وإتيان منجم وإتيان ذي طيرة ليتطير له أو ذي عيافة ليخط له ـ وبعد أن سرد الآيات والأحاديث في ذلك قال ـ:

**تنبيه:**

عد هذه المذكورات هو ـ وإن لم أره كذلك ـ صريح هذه الأحاديث في أكثرها وقياساً في البقية وهو ظاهر؛ لأن الملحظ في الكل واحد، والكاهن هو الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك، وفسر بعضهم الكهانة بما يرجع لذلك فقال: هي تعاطي الإخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان، وادعاء علم الغيب وزعم أن الجن تخبره بذلك، والعرّاف بفتح المهملة وتشديد الراء قيل: الكاهن، ويرده الحديث السابق: عرافاً أو كاهناً، وقيل: الساحر، وقال البغوي: هو الذي يدّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على مواقعها كالمسروق من الذي سرقه، ومعرفة مكان الضالة ونحو ذلك، ومنهم من يسمِّي المنجم كاهناً، قال أبو داود: والطرق، أي بفتح فسكون، الزجر أي زجر الطير ليتيمن أو يتشاءم بطيرانه فإن طار إلى جهة اليمين تيمن أو إلى جهة الشمال تشاءم، وقال ابن فارس: الضرب بالحصى وهو نوع من التكهين.

والمنهي عنه من علم النجوم هو ما يدّعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان كمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك، يزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب لاقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان، وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره، فمن ادعى علمه بذلك فهو فاسق بل ربما يؤدي به ذلك إلى الكفر، أما من يقول: إن الاقتران والافتراق الذي هو كذا جعله الله علامة بمقتضى ما اطردت به عادته الإلهية على وقوع كذا وقد

(١) «موقف الإسلام من السحر» (٢١٦/١ ـ ٢٢٦).

يتخلف فإنه لا إثم عليه بذلك، وكذا الإخبار عما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف بها الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي من الوقت فإنه لا إثم فيه بل هو فرض كفاية، وفي حديث الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني ﵁ قال: (صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في إثر سماء ـ أي مطر ـ كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا ـ أي وقت النجم الفلاني ـ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[١].

قال العلماء: من قال ذلك مريداً أن النوء هو المحدث والموجد فهو كافر، أو أنه علامة على نزول المطر ومنزِّله هو الله وحده لم يكفر، ويكره له قول ذلك؛ لأنه من ألفاظ الكفرة.

وروى الشيخان: (أن أناساً سألوا النبي ﷺ عن الكاهن أو الكهان فقال: «ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدِّثون أحياناً بشيء أو بالشيء فيكون حقاً، قال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الوحي يخطفها الجني فيقرها ـ أي يلقيها في أذن وليه ـ فيخلط معها مائة كذبة».

وللبخاري: «إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قُضي في السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[٢])[٣].

وفي خصوص الرمل يقول الإمام النووي ﵀ في «شرح مسلم»: (قوله: «ومنا رجال يخطون قال: كان نبي من الأنبياء ﵈ يخط فمن وافق خطه فذاك». اختلف العلماء في معناه فالصحيح أن معناه من وافق خطه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يباح إلا بيقين

(١) البخاري (١/ ٢٩٠)، كتاب صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ومسلم (٢/ ٥٩ ـ ٦٠) مع النووي، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء.

(٢) البخاري (٤/ ١٨٠٤)، كتاب التفسير، باب حتى إذا فُزع عن قلوبهم، ومسلم (٤/ ١٧٥٠)، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهّان، واللفظ الأخير للبخاري (٣/ ١١٧٥)، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

(٣) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢/ ١٠٩ ـ ١١٠).

الموافقة، وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي ﷺ فمن وافق خطه فذاك ولم يقل: هو حرام بغير تعليق على الموافقة لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا، فالمعنى أن ذلك النبي لا منع في حقه وكذا لو علمتم موافقته ولكن لا علم لكم بها.

وقال الخطابي: هذا الحديث يحتمل النهي عن هذا الخط إذ كان علماً لنبوة ذاك النبي وقد انقطعت فنهينا عن تعاطي ذلك.

وقال القاضي عياض: المختار أن معناه أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول لا أنه أباح ذلك لفاعله، قال: ويحتمل أن هذا نسخ في شرعنا فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن)[١].

وبعد هذا التصوير البسيط لتلك الأنواع من علوم السحر والكهانة التي يتعاطاها القبورية أو بعضهم وبيان حكمها من أقوال أئمة أهل العلم وهي كلها محرمة، كيف يسوغ تعلمها أو تعليمها أو العمل بها أو إقرار العاملين بها؟ خصوصاً أن لها آثاراً مدمرة في المجتمعات، وإذا كان ذلك غير سائغ فكيف يُجْعل العالم بها والمتعاطي لها ولياً، وما يظهره من خوارق بواسطتها كرامات؟ إن هذا لشيء عجاب!.

## استخدام الجن:

وأما استخدام الجن بالصورة التي مرت فإنما هي غالباً تقع بواسطة تلك العلوم، فتلك العلوم عمدتها تسخير الجن، وبهذا تعرف حكم من يدّعي أنه يسخِّر الجن في مصالحه، أو لما يشاء من أغراض سواءً في علاج بعض الأمراض أو إخراج السحر والجن من المصروعين والمسحورين أو كشف بعض المغيبات، أو يستعين بهم على إثبات قدرته ويتحدى بهم من ينازعه ويخوف بهم من لا يقدِّره ولا يحترمه.

وفي خصوص هذا الموضوع يقول الدكتور عمر بن سليمان الأشقر ـ حفظه الله ـ في كتابه «عالم الجن والشياطين»: (هؤلاء الذين يزعمون الولاية ـ والحقيقة أن الشياطين تخدمهم ـ لا بدَّ أن يتقربوا إلى الشياطين بما تحبه من الكفر والشرك كي يقضوا بعض أغراضه.

---

(١) «شرح مسلم» (٥/ ٢٣).

ويذكر ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى ١٩/ ٣٥ ـ: أن كثيراً من هؤلاء يكتبون كلام الله بالنجاسة، وقد يقلبون حروف كلام الله ﷻ، إما حروف الفاتحة، وإما حروف قل هو الله أحد، وإما غيرهما، ويذكر أنهم قد يكتبون كلام الله بالدم أو بغيره من النجاسات، وقد يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك، فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به، وإما غير ذلك)[1].

وأختم هذا المطلب بكلام جميل حافل بالتحقيق والتدقيق، مؤيَّد بالأدلة من الكتاب والسنّة يلقي الضوء على كثير مما مر في هذا المطلب وما سبقه من مطالب، ويتناول مع موضوع هذا المطلب موضوعاً آخر طالما لهج به القبورية ووصفوا أجلَّة أوليائهم به، وهو التقاؤهم برجال الغيب.

قال ابن أبي العز[2] رحمه الله: (وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه، والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل.

واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها أو خطابها، أو السجود لها والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك، فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه، بل سده وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨ ـ ٨٩] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦] الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ

---

(١) «عالم الجن والشياطين» ص(٩٦ ـ ٩٧) للدكتور عمر سليمان الأشقر، طبع مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الرابعة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

(٢) هو الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين بن أبي العز الدمشقي الحنفي، ولد سنة (٧٣١هـ) وتوفي سنة (٧٩٢هـ)، له عدد من المؤلفات النافعة، من أشهرها: «شرح الطحاوية» الذي يُعد أفضل شروحها وأنقاها من الانحراف والبدع. انظر ترجمته: «كشف الظنون» ص(١١٤٣)، و«هدية العارفين» (١/ ٧٢٦)، و«مقدمة شرح الطحاوية»، طبع مؤسسة الرسالة (١/ ٦٣ ـ ١٠٤)، تحقيق الدكتور عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]. واتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله فإنه لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه فلا يتكلم به وإن أطاعته به الجن وغيرهم، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»[(١)] ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦] قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ يعني: الإنس للجن، باستعاذتهم بهم، رهقاً أي إثماً وطغياناً وجراءةً وشراً، وذلك أنهم قالوا: قد سُدنا الجن والإنس، فالجن تعاظم في أنفسها، وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١]. فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨] فاستمتاع الإنسيّ بالجني في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالإنس تعظيمه إياه، واستعانته به، واستغاثته وخضوعه له.

ونوع منهم يتكلم بالأحوال الشيطانية، والكشوف ومخاطبة رجال الغيب وأن لهم خوراق تقتضي أنهم أولياء الله، وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين قد عصوا!! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين.

والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحزاب: حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس، وثبت عمن عاينهم أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم، وتيقنوا وجودهم، خضعوا لهم.

---

(١) مسلم (١٧٢٧/٤)، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك.

وحزب عرفوهم، ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء.

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا: يكون الرسول هو ممداً للطائفتين، فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه.

والحق: أن هؤلاء من أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن ويسمون رجالاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾. وإلا فالإنس يؤنسون أي يُشهدون ويُرون، وإنما يحتجب الإنسي أحياناً لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظن أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله، وسبب الضلال فيهم وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمٰن.

ويقول بعض الناس: الفقراء يسلِّم إليهم حالهم، وهذا كلام باطل، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل، وما خالفها رد، كما قال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(١). وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(٢).

فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً)(٣).

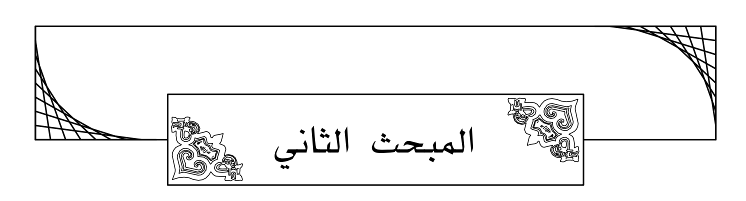


---

(١) رواه البخاري (٢/ ٩٥٩)، كتاب العلاج، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ومسلم (٣/ ١٣٤٣)، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام ورد محدثات الأمور.

(٢) مسلم، الموضع السابق.

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٧٦٤ ـ ٧٦٨).




## نشر الخرافة في الأمة

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: تعريف الخرافة:**

**في اللغة:**

قال ابن الأثير: (وفي حديث عائشة: «قال لها: حدثيني، قالت: ما أحدثك حديث خرافة»[(١)] خرافة: اسم رجل من عذرة استهوته الجن؛ فكان يحدث بما رأى، فكذبوه وقالوا: حديث خرافة، وأَجْرَوهُ على كل ما يكذبونه من الأحاديث، وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه. ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «خرافة حق» والله أعلم)[(٢)].

وقال ابن منظور: (والخرافة الحديث المستملح من الكذب، وقالوا: حديث خرافة، ذكر ابن الكلبي في قولهم خرافة أن خرافة من بني عذرة أو من جهينة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس، ورُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «وخرافة حق». وفي حديث عائشة رضي الله عنها، قال لها: حدثيني قالت: ما أحدثك حديث خرافة، والراء فيه مخففة ولا تدخله الألف واللام لأنه معرفة إلا أن يريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل، أجروه على كل ما يكذبونه من الأحاديث وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه)[(٣)]، فهو إذن في اللغة ما يستملح من الكذب ويتعجب منه.

---

(١) الحديث رواه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٥٧)، وأبو يعلى (٧/ ٤١٩) من حديث مجالد بن سعيد عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة، والحديث ضعيف لوجود مجالد بن سعيد قال عنه في «التقريب»: ليس بالقوي، وقد ضعفه الشيخ الألباني في «سلسلته الضعيفة» (٤/ ٢٠٢) حديث رقم (١٧١٢)، وضعفه كذلك حسين أسد، محقق «مسند أبي يعلى» (٧/ ٤٢٠).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٥).

(٣) «لسان العرب» (٩/ ٦٥ ـ ٦٦).

**في الاصطلاح:**

الناس يقرنون الخرافة بالبدع فيقولون: «البدع والخرافات» و«هذا من خرافات الصوفية».

ويقصدون به بدعهم ومحدثاتهم، والصحيح التفريق، فالبدع هي «المحدثات في الدين» وأما الخرافات فهي «ما يشيعه القبوريون وغيرهم من المبتدعة من المناقب والكرامات المخترعة التي لا أصل لها، ولا يثبت وقوعها بسند شرعي أو دليل مادي، فتردها العقول وتمجها الأذواق السليمة».

**المطلب الثاني: الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الولاية:**

لقد حدّد الله تعالى مفهوم الولاية وحقيقة الولي بسهولة بعيداً عن التكلف، فقال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]، فولي الله هو المؤمن المتقي له، ليس له سيما غير الإيمان والتقوى، فكلما تحقق بهما زاد ولاية وقرباً من الله تعالى، ولا يشترط ظهور الخوارق على يديه ولا صدور الشطح ولا التبجح عنه، ولا أن يكون من نسب معين أو من أتباع طريقة معينة؛ بل نسبه الإسلام ومتبوعه محمد ﷺ وكفى، يسلك للهداية سبلها ويدخل الولاية من أبوابها، ويترقى فيها كلما ازداد بعد الفرائض بالنوافل، وبعد الإيمان باليقين والإحسان، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ويقول الرسول ﷺ: «إن الله تعالى قال: مَن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[(١)]، فجعل المدخل فعل الفرائض، والمصعد الذي يرتقي به في درجات القرب فعل النوافل، ورتب على ذلك الحفظ التام والرعاية الكاملة والمعية الشاملة، هذا هو الولي الذي جاء الوحي بصفته وحدد طريق وصوله إلى تلك الولاية.

---

(١) البخاري (٥/ ٢٣٨٥)، كتاب الرقاق، باب التواضع من حديث أبي هريرة.

والصوفية القبورية المنحرفة لم ترضَ ذاك السبيل ولم تسلك ذلك المنهج؛ بل اتخذت للوصول سبلاً مبتدعة؛ إما بالمجاهدات التي تشبه مجاهدات البراهمة والبوذيين، أو بدعوى الوهب الذي لا يستند إلى سبب من الأسباب المعروفة، أو بمنحة من الولي الأكبر والقطب الأعظم الذي أوكل إليه تصريف هذا الكون فقالوا: (إن نظرة واحدة منه تنقل المريد إلى مواطن الرجال)[1]، وحيناً يمنحون الولاية للمجانين أو الفسقة المجرمين، قد يتعجل بعض القراء فيتعجب أو يغضب من هذا الكلام، ولكن لو أنه صبر حتى أقص عليه بعضاً من أخبار القوم لزال تعجبه وذهب غضبه إن شاء الله.

## طريقة عرض الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الولاية:

الخرافات في هذا الباب كثيرة جداً لا يمكن حصرها وضبطها، ولكن ما دام الغرض هو إعطاء أدلة على ما ذكرته في المقدمة فسوف أبوّب ما أورده من تلك الخرافات؛ حتى يسهل استيعابها ويتيسر لي حسن عرضها.

### نشأة الولاية وتكوينها:

ابتداء الولاية منذ الحمل بالولي وقبل خروجه إلى هذه الحياة، بل والولي ما يزال في صلب الوالد قبل أن يقذفه في رحم أمه بل قبل أن يتزوج بها، جاء في «شرح العينية» في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم: (ولما أبطأ عن التزوج، نطق ذريته من ظهره: نحن في ظهرك تزوج وإلا خرجنا من ظهرك، وكان لا تحمل له امرأة إلا نطق حملها: أنا ابنٌ صالح أو عبدٌ صالح)[2].

### الجنين يفصل النزاع الدائر بين أبويه حول تسميته:

جاء في «الجزء اللطيف»: (وأخبرني بعض الثقات أن الشيخ عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه تنازع هو وزوجته عائشة بنت الشيخ عمر المحضار رضي الله عنهما في تسمية ولدها الشيخ أبي بكر، وهو يقول نسميه أبا بكر وهي تقول نسميه عمر، وهو إذ ذاك حمل في بطنها، فلم يلبث قليلاً إلا وجاءهم الشيخ سعد بن علي مدحج فقال لهما: إن الولد الذي في بطنك يا عائشة أتاني الآن إلى المسجد وقال: إن اسمي أبو بكر)[3].

---

(١) انظر: «تذكير الناس» ص(٢٦٠).
(٢) «شرح العينية» ص(١٧٣).
(٣) «الجزء اللطيف»، تأليف أبي بكر العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية ص(٩).

**ويقرأ في اللوح المحفوظ حين ولادة أمه به:**

وقال علي بن محمد الحبشي: (وقالوا: إن سيدنا أبو بكر العيدروس العدني لما تعسَّرت به أمه في الولادة قال أبوه سيدنا عبد الله بن أبي بكر: هذا ولدي ما بايخرج حتى يقرأ اللوح المحفوظ باقي معه أسطر بايتمها وبايخرج)(١).

**ولِيّان يتنازعان في بطن أمهما أيهما يخرج أولاً ثم يقع الصلح على أن الذي يتأخر يكون له الظهور في المستقبل:**

في كتاب «الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر» قال: (وفي مجموعة العلامة الكبير المحقق الحبيب علي بن محمد الحبشي جمع السيد الفاضل محمد بن عمر مولى خيله قال: إن الشيخ أبا بكر وأخاه عقيلاً تكلما في بطن أمهما الشريفة طلحة بنت عقيل بن أحمد بن أبي بكر السكران، فقال الشيخ لأخيه ما معناه: إن أردت الخروج قبلي فاخرج والظهور في المستقبل سيكون لي، وإلا فأخرج قبلك ولك ذلك، فاختار أخوه الخروج وارتضى به، وكان الظهور لصاحب الترجمة نفع الله بهم)(٢).

**وولي يؤذِّن في بطن أمه:**

في التعليق على الموضوع السابق من «الجواهر» قال: (وفي كتاب «أنيس السالكين» جاء فيه: أنَّ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين كانوا يسمعونه يؤذِّن في بطن أمه وقت الأذان. انتهى)(٣).

**وولي آخر يعطس في بطن أمه ويحمد الله:**

قال صاحب «تاج الأعراس»: (وقال الإمام المحقق والبحاثة المدقق الحبيب علي بن حسن العطاس في السِفْر الأول من كتابه «القرطاس في مناقب العطاس»: ولقِّب بالعطاس؛ لأن ذلك كان كرامة له فإنه عطس في بطن أمه فحمد الله وسمع ذلك منه وهو في بطن أمه، وهي أعني العطسة لا تزال في ذريته تسمع منهم آناً بعد آن في كل زمان على تعاقب الأحيان حتى لا يندرس أثر تلك الكرامة، وأول من

---

(١) «كنوز السعادة الأبدية» ص(٢٢٧).

(٢) «الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر»، تأليف عبد الله بن أحمد الهدار (١/ ٣١)، طبع دار الفكر الحديث، القاهرة (١٣١١هـ ـ ١٩٧١م). وانظر: «تاج الأعراس» (١/ ٣٨).

(٣) «الجواهر» (١/ ٣١).

عطس في بطن أمه هو سيدنا عقيل بن سالم شقيق الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب «عينات» فصارت باقية في عقبه غير أنه لم يشتهر بها من أولاد سيدنا عقيل إلا سيدنا عمر بن عبد الرحمٰن فإنها صارت علماً عليه وعلى أولاده بل وأولاد أخيه عقيل بن عبد الرحمٰن وعبد الله بن عبد الرحمٰن، وأما بقية أولاد سيدنا عقيل بن سالم فإنه يقال لهم آل عقيل بن سالم، فائدة: اسم العطاس إذا قلبته صار الساطع فافهم)[١].

**إنشاء الأولياء وتلقيهم الولاية والعلم:**

قلت في المقدمة: إن الصوفية قد انحرفوا في مفهوم الولاية، وترتب على ذلك الانحراف عدد كبير من الانحرافات، من ذلك الحصول على الهداية والولاية والعلم، وهذه أمثلة تبين بعض تلك الانحرافات.

**الأقطاب تصنع الأبدال:**

قال الشرجي في ترجمة علي بن المرتضى الحضرمي: (يُروى أنه خرج يوماً من مدينة زبيد إلى ناحية البحر ومعه فقير من فقرائه، فمروا في طريقهم بشيء من زرع الذرة، فقال الشيخ للفقير: خذ معك شيئاً من هذا القصب، ففعل الفقير وبقي متعجباً في نفسه من ذلك، حتى بلغا محلة لعبيد يقال لهم: السناكم، بفتح السين المهملة وقبل الألف نون وبعده كاف مكسورة، يأكلون الميتات ويشربون المسكرات، ولا يعرفون الصلوات، ولا شيئاً من الشرائع، فوجدهم الشيخ يشربون ويلعبون وفيهم شيخ طويل يضرب لهم في طبل، فقال الشيخ للفقير: ادع لي هذا الذي يضرب بالطبل فدعاه فلما وصل إلى الشيخ قال للفقير: اضربه بالقصب الذي معك، فضربه حتى استوفى منه حد السكر، ثم قال له الشيخ: امشِ معنا، فمشوا حتى بلغوا البحر، فأمره الشيخ أن يغتسل ويغسل ثيابه، ففعل ثم علمه كيفية الوضوء والصلاة ثم صلى بهم الشيخ صلاة الظهر، فلما فرغوا قام الشيخ وفرش سجادته على البحر، وقال له: تقدم، فقام ووضع قدميه على السجادة ومشى على الماء حتى غاب عن العين، فالتفت الفقيه إلى الشيخ وقال: وامصيبتاه لي معك كذا وكذا سنة ما حصل لي شيء من الأمر، وهذا حصل له هذا المقام في ساعة واحدة، فقال له الشيخ: يا ولدي إيش كنت أنا، هذا فعل الله تعالى، قيل لي: فلان من الأبدال توفي في أرض الحبشة، فأقم فلاناً مقامه، فامتثلت أمره)[٢].

---

(١) «تاج الأعراس» (١/٣٨ ـ ٣٩).
(٢) «الطبقات» ص(٢٢٢).

فانظر إلى هذا الولي الذي جاءه الأمر من رب العالمين ينصب لأهل أفريقيا بدلاً مكان البدل الذي كان لديهم، وكأن الأمر تخصصات إدارية، لكل جهة مسؤول هو يولي ويعزل فيها، ثم انظر كيف كان الاختيار لذلك الجاهل المغرق في الجهل الذي لا يعرف من طاعة ربه شيئاً ولا يتورع عن شيء من معصيته كيف تحول في ساعة واحدة إلى بدل! والبدل عندهم له منزلة خطيرة، ثم كيف أعطي تلك الكرامة؟ ولا أدري أهي كرامة للولي الأول أم الثاني؟ فسبحان الله عما يفترون!.

**طرق أخذ بعضهم للعلم:**

**طائر يصب العلم في فم الولي فيصبح فقيهاً عالماً إماماً عارفاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة:**

قال الشرجي في ترجمة محمد بن حسين البجلي: (يروى أنه كان في بدايته يقرأ على الفقيه إبراهيم بن زكريا مقدم الذكر، فاتفق أنه مرض فلم ينتظره أصحابه الذين زاملوه في القراءة فلما عوفي ذهب إلى بلد شيخه هو وأخوه الفقيه علي، وكان صَحِبَه ليستمع منه القراءة، فلما حمي عليهما النهار عدلا إلى ظل شجرة، فنام الفقيه محمد، فجاء طائر فجعل فمه في فمه، وجعل يصب فيه شيئاً له رائحة طيبة، وأخوه ينظر إليه، فلما استيقظ الفقيه قال لأخيه: ارجع بنا، فرجعا إلى بلدهما فاتفق أن مرض الفقيه محمد بعد ذلك، فوصل إليه شيخه الفقيه إبراهيم يزوره في جماعة من الدرسة، وألقى عليه الفقيه إبراهيم عدة مسائل، فأجاب عنها جواباً شافياً، فقال له: يا فقيه محمد هذا علم أعطيته ليس هذا من القراءة، ثم فتح الله عليه بعد ذلك بمعرفة تامة في دقائق العلوم، وكان له في الحقائق مصنف سماه «اللباب»)[١].

**ويتكرر المشهد ويأتي الطائر الأخضر ليصب العلم في فم ولي آخر وزيادة على ذلك تنفلق الصخرة ليظهر منها كف أبي بكر الصديق ليصافحه وينصبه شيخاً:**

وقال الشرجي كذلك في ترجمة أحمد بن علوان: (كان أبوه كاتباً يخدم الملوك ونشأ هو على طريقة أبيه من الاشتغال بالكتابة، وقرأ في النحو واللغة وغير ذلك من فنون الأدب، ثم قصد إلى باب السلطان ليخدم معه مكان أبيه، فبينما هو في الطريق إذ وقع على كتفه طائر أخضر ومدّ منقاره إلى فمه، ففتح الشيخ فاه فصب فيه الطائر شيئاً فابتلعه، ثم رجع من فوره، ولزم الخلوة من حينه، واعتكف أربعين يوماً، ثم

---

(١) «الطبقات» ص(٢٦٧ ـ ٢٦٨).

خرج وقعد على صخرة عظيمة يذكر الله تعالى، فانفلقت الصخرة عن كف، وسمع قائلاً يقول له: صافح هذا الكف فقال: ولمن هو؟ فقيل له: كف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسمع قائلاً يقول له: قد نصبتك شيخاً. وإلى ذلك أشار في بعض كلامه يخاطب أصحابه حيث قال: وشيخكم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم ألقى الله تعالى له القبول والمحبة في قلوب العالم، وتبعه خلق كثير من الناس، وظهرت كراماته وتواترت مكاشفاته، وكان له كلام حسن في الوعظ على طريقة ابن الجوزي، حتى كان يقال له: جوزي اليمن، وجمع من كلامه في ذلك كتباً كثيرة، وله في التصوف فصول كثيرة أيضاً يتكلم فيها على لغات شتى.

سئل بعض أصحابه عن معرفة الشيخ لتلك اللغات وهو عربي، وأهل بلده لا يعرفون غير العربية، ولم يعلم له خروج عن بلده، فقال: كان روح الشيخ مهبطاً لأولياء الله تعالى، ولهم لغات كثيرة يتكلمون بها على لسان الشيخ، فكان ينطق بها كما يقولون، والدليل على ذلك أنه كان يكتب كلامه ثم يستعرضه، فما لم يدركه من ذلك غسله، وكان متى علم أن في الحاضرين من لا يفهم كلامه قال: يا قائماً في الماء وهو عطشان)[١].

**وولي ثالث يخرج إليه الولي الميت يقرئه القرآن:**

قال صاحب «تذكير الناس»: (وقال سيدي علي بن محمد الحبشي مخاطباً لسيدي أحمد رضي الله عنه: صلينا مرة خلف الحبيب أحمد بن محمد المحضار صلاة الصبح، فلما قضى الصلاة التفت إلينا، وقال: قراءتي برزخية هل أعجبتكم؟ قلنا: ما أحسنها قراءة، فقال: إني لما كنت أتعلم القرآن ضربني المعلم ذات يوم ضرباً مؤلماً فهربت منه، وجئت إلى قبر الشيخ يوسف بن أحمد بحر النور، فلما دخلت عنده ظهر لي الشيخ من قبره، وعليه حلة من ذهب، وقال: أنا أقرئك القرآن، تعال إلى عندي كل يوم فكنت آتيه فيخرج من قبره يقرئني، وكنت إذا جن علي الليل وأنا عنده يطلع قدامي حامل المصباح إلى بيتي، فقال سيدي أحمد لسيدي علي: وأنا سمعت هذا منه)[٢].

**تجزؤ الولي وتضخم جسمه وسريانه في الكون وتحول أعضائه إلى نور ورؤية الآيات مكتوبة عليها وسماعها وهي تذكر الله تعالى:**

قدمنا في مطلب سابق قول صالح بن عبد الله العطاس بأن الولي يتجزأ؛ فيكون جزء منه يعبد الله، وجزء آخر يتصرف في أمور معاشه، وذلك عند ذكر الولي الذي

(١) «الطبقات» ص(٦٩).

(٢) «تذكير الناس» ص(١٢٨).

لم يُر يصلي أبداً، وفي «المشرع» في ترجمة حسين بن أحمد بن عبد الرحمٰن اشتهر والده ببابريك، قال الشلي: (وشهد له غير واحد أنه كان يتجزأ، منهم الشيخ عبد الرحمٰن بن علي قال: رأيته في مسجد العيدروس ورأيته في مسجد سرجيس، ورجعت إلى مسجد العيدروس فرأيته، ورجعت إلى مسجد سرجيس فوجدته فسألت أهل المسجدين فقالوا: ما غاب عنا، وكذا حكي عن السيد الجليل محمد بن علوي الملقب سطيله)[١]، فانظر إلى هذا التأكيد والاستدلال على تجزؤ الأولياء وهو أمر مستحيل عقلاً ولم يأت ما يثبته شرعاً.

وقال الشرجي في ترجمة الشيخ عبد الله باعباد: (وكان الشيخ عبد الله نفع الله به قد تطرقه في بعض خلواته حالة حتى يعلوه نور عظيم، وقد يغيب شخصه في ذلك النور، وربما عظم جسمه حتى يملأ البيت)[٢].

وقال علي بن محمد الحبشي: (ولما جاء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى إلى قرسي وفيها الحبيب أحمد بن عبد الله بافقيه وأولاده شيخ ومحمد، وكلهم رجال فحضرت صلاة فقدموا فيها الحبيب عبد الله بن عمر إماماً، وكان الحبيب علوي بن هاشم جالساً في ناحية لم يصل معهم، فقال الحبيب محمد في نفسه: كيف هذه الولاية وفيها خرق الشريعة؟ وكيف تكون ولاية بلا صلاة؟ فكاشفه والده الحبيب أحمد وقال له: يا محمد، فقال: مرحباً، فقال له: ارفع رأسك فرفع رأسه فإذا تسع صور على صورة الحبيب علوي يصلين في الهواء ، فقال له: هل تضر صورة واحدة جالسة لا تصلي وتسع يصلين؟ ويذكر عنه أنه رؤيَ في نحو عشر بلدان، وفعل في كل بلد ضيافة في وقت واحد.

والتجزيء لا يكون إلا للرجال، أخبرني محمد محروس، وكان من الرجال، قال: إن عمر مشغان كان يتردد في عقيل بن حسن الجفري، وأنه مرة جاء سأل عنه وسار على ستة ديار أو سبعة فوجده فيهن كلهن، ولا هو في الظاهر متهوم بهذا الأمر كله، ولكنه له تعلق بالحبيب أبي بكر والحبيب حسن)[٣].

**وولي آخر يسمع ذكر الله من قلبه وجميع جوارحه:**

قال الشلي في ترجمة عبد الرحمٰن السقاف: (ولما ضعف آخر عمره عن تلك المجاهدات اتخذ قارئاً يقرأ القرآن عنده وهو يسمعه، وربما قرأه معه مدارسة، وكان

---

(١) «المشرع» (٢/ ٨٨).
(٢) «الطبقات» ص(١٧٨).
(٣) «كنوز السعادة» ص(٥٥ ـ ٥٦).

مع ذلك لا يدخل وقت الصلاة إلّا وهو في المسجد، متطهراً منتظراً للجماعة، وإذا قام للصلاة قام لها كأنه شاب، وربما اقتصر على الفرض، وحكي أن تلميذه عبد الرحيم بن علي الخطيب وقع في نفسه شيء في ذلك فكاشفه الشيخ، وقال له: إن إسماعيل بن محمد الحضرمي صلى الفرض وقام ليصلي النفل فنودي: صلِّ الفرض ونم عرض[1]، وكانت أعماله قلبية وأكثر طاعاته مخفية، وكان لا يفتر قلبه ولسانه عن ذكر الله بالليل والنهار، وكان يسمع لقلبه رجيف بالذكر والاستغفار، وكان جمع من المشايخ الكبار يسمعون جميع أعضائه وشعره وبشره يذكر الله، واعترض بعض فقرائه عليه مخاطرة في مخالطته للعوام فسمع قلبه في حال خوضه في الحديث معهم يذكر الله فتاب عما خطر بباله)[2].

وقبل هذا كان يذكر في ترجمة السقاف أيضاً أن أخاه العارف بالله[3] قال: (وقعت بيني وبين أخي عبد الرحمٰن خصومة في نخل السوم، فقلت في نفسي: بماذا يفتخر علي يصوم وأصوم ويصلي وأصلي وأبونا واحد وضيفي أكثر من ضيفه، فرأيت في منامي شخصاً يقول لي: قلت كذا وكذا؟، قلت: نعم، قال: فسر معي، فأتى بي إلى أخي عبد الرحمٰن فوجدنا جسده نوراً وعلى أعضائه مكتوب بالنور صورة الإخلاص ولا إلٰه إلا الله محمدٌ رسول الله ثم قال لي: إذا وصلت إلى هذا المقام فتكلم فأذعنت له من يومئذٍ)[4].

**ومن الرتب التي يدعونها لأوليائهم:**

ما جاء في «تذكير الناس» قال: (وجرى ذكر سيدي الحبيب الإمام الحسن بن صالح البحر، في مجلس حضرة سيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي، وسيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، فقال سيدي الحبيب علي: رأيت الأخ علي بن سالم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، فقال لي: إن فوق العرش رتبة، يتراءاها أهل العرش كما يتراءى النجوم أهل الدنيا، فسألت: لمن هذه الرتبة؟ فقيل لي: هذه رتبة حسن بن صالح البحر)[5].

**الأقطاب الجهال:**

أما ولاية الله تعالى فليس من شرطها التبحر في العلم، وأن يُعرف كل ولي لله

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) «المشرع» (٢/ ١٤٤).
(٣) كذا في «المشرع».
(٤) «المشرع» (٢/ ١٤٣).
(٥) «تذكير الناس» ص(٢١٩ ـ ٢٢٠).

بالعلم ويعد من أهله، ولكن شيخ الطريقة أو الجماعة والمرشد لها لا بد له من ذلك لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[1]، فواضح من الحديث أن المتصدر للناس على جهل أنه يَضِل ويُضِل، وهكذا وضع الصوفية قاعدة نظرية جيدة؛ فقالوا: (من تصوف قبل أن يتفقه تزندق)، ولكن هذا لم يطبقوه فجعلوا كثيراً من الجهلاء والعوام مرشدين ومشايخ طريق، هذا واقعهم.

وأنا أقول: فعلاً إن ذلك قد حصل، وكثير من أولئك الجهال المتصدرين قد تزندقوا وخرجوا عن حدود الشرع، ولم يبق بأيدي معظمهم إلا التأويل لكلامهم وأفعالهم التي لو صدرت من إنسان غير مشهور لحكم الكل أنه زنديق.

يقول الشرجي في ترجمة جوهر بن عبد الله الصوفي: (كان عبداً عتيقاً لبعض التجار، وكان يتعاطى التجارة في مدينة عدن، وهو مع ذلك يحب الصوفية والفقراء ويكثر المجالسة لهم، فلما حضرت الشيخ سعد الحداد الوفاة وكان له رباط وأصحاب، فقال له أصحابه: يا سيدي من يكون الشيخ بعدك؟ قال: الذي يقع على رأسه الطير الأخضر في اليوم الثالث من وفاتي، فلما كان ذلك اليوم اجتمع الفقراء وحضرهم جماعة من الفقهاء وجمع كثير من عامة الناس، وكان الشيخ جوهر من جملة من حضر، وإذا بالطائر الذي وصفه الشيخ جاء وحط في طاقة من الرباط، فعند ذلك استشرف للمشيخة أكابر أصحاب الشيخ سعد، فجاء وحط على رأس الشيخ جوهر من بين سائر الحاضرين، فقام إليه الفقراء ليقعدوه موضع المشيخة فبكى وقال: أين أنا من هذا وأنا رجل عامي لا أصلح لذلك، فقالوا له: قد أقامك الحق في هذا المقام فسيعلمك ما تجهل ويتولى عنايتك، فقال: إن كان ولا بد فأمهلوني ثلاثة أيام أسعى في رد حقوق الناس، فأمهلوه، ثم قعد بعد ذلك في منصب المشيخة، وكان جوهراً كاسمه، وظهرت له الكرامات، ولاح عليه للخيرات إمارات)[2].

**وآخرون منهم ينقلون الفتوى مباشرة عن رب العالمين:**

قال في «تذكير الناس»: (وسئل الشيخ أحمد الرملي عن مسألة وهو راكب على

---

(١) البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (١/ ٥٠)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٤/ ٢٠٥٨).

(٢) «الطبقات» ص(١٢٠ ـ ١٢١).

بغلة فأطرق وطأطأ رأسه إلى الأرض، والتفت يمنة ويسرة، ثم رفع رأسه وأجاب السائل، فسأله السائل عما صنع، فقال له: إنك لما سألتني لم يكن لي علم بها فتصفحت كتب المشرق والمغرب فلم أظفر بها، ثم نظرت اللوح المحفوظ فلم أجدها، ثم أخبرني قلبي عن ربي أو قال: نزل بها ملك)[١].

**الأولياء المجانين:**

المجنون غير مكلف ولا يحكم عليه بعدالة ولا بفسوق، كما أنه لا يوصف بولاية ولا بشقاوة؛ لأن مناط التكليف العقل وهو غير موجود، وإنما تكون المراتب تبعاً للأعمال والاعتقادات والمقاصد، وكل ذلك في حق المجنون غير متوافر، ولكن الصوفية لأن ولايتهم ليست دائماً متعلقة بأشخاص الأولياء، وإنما بما يجري على أيديهم أو ألسنتهم مما قد يكون من إلقاء الشيطان ينظرون لما يجري على يد المجنون الذي قد ركبه الشيطان وتوصل من خلاله إلى مآرب كثيرة من إضلال الناس، ينظرون إلى ذلك المجنون على أنه ولي من أولياء الله أو قطب أو بدل.

يقول الشرجي في ترجمة الشيخ الصديق الملقب بربش: (كان رجلاً مجذوباً لا يزال مقيداً لما تغيّر عقله وبطش بالناس، وكان كثير الكشف، قلّ أن يأتيه أحد إلا ويكاشفه بحاله، وبما جاء بسببه، فكان لأهل زبيد فيه معتقد عظيم)[٢]، وفي ترجمة أبي بكر السلاسلي قال عنه: (كان قد تنسّك في بدايته وصحب الصوفية، وكان كثير المجاهدة، فحصلت جذبة خرج بها عن حسه، فكان يمشي عرياناً في الشوارع، ولا يتستر بشيء وإن ألبسه أحد ثوباً طرحه، وكانت هذه حاله حتى توفي سنة خمس وسبعين وسبعمائة، ولأهل البلد فيه معتقد عظيم حياً وميتاً نفع الله به آمين)[٣].

**الأولياء المتظاهرون بالفسق وترك الفرائض:**

من أولئك الذين أظهروا أموراً غير لائقة «عمر بن مدافع الصوفي» قال الجندي في ترجمة والده: (ثم عمر كان يخالط الأمراء والكبراء، وكان محبوباً عند أبيه، وحصل له منه نصيب وافر بحيث إنه ما همّ أحد بالإساءة إليه إلا وبليَ ببلاء ظاهر، وكان من المترفين يلبس الثياب الفاخرة، ويذكر عنه أمور غير لائقة بالشرع، فحملت ذلك على ما جاء في الآثار «من سبقت له العناية لم تضره الجناية»، ذكر بعض

---

(١) «تذكير الناس» ص(٢٥).
(٢) «الطبقات» ص(٤١٨).
(٣) «الطبقات» ص(٤١٧ ـ ٤١٨).

الثقات أن المظفر لما كَثُر سماعه ما هو عليه من الخلطة همّ أن يغير عليه شيئاً من المسامحات فرأى الشيخ في المنام قائلاً يقول له: يا يوسف إن غيّرت على عمر غيّرنا عليك، ولم يزل محترماً له حتى توفي سنة ثمانين وستمائة)[١].

ومنهم ريحان بن عبد الله العدني، قال الشرجي في ترجمته: (كان عبداً حبشياً عتيقاً لبعض أهل عدن، وكان صاحب كرامات خارقة ومكاشفات صادقة وكانت طريقته التخريب، يظهر الوله وربما يكشف عورته، وذكر بعض كرامات، إلى أن قال: وقال الإمام اليافعي أيضاً: سمعت بعض الفقهاء الكبار من أهل عدن يقول: رأيت الشيخ ريحاناً يفعل بعض الأشياء المنكرة فقلت في نفسي: انظر هذا الفاعل التارك الذي يقال: إنه صالح. يقدم على هذه المنكرات، قال: فلما كان الليل احترق بيتي)[٢].

قلت: هذا هو البرهان والدليل على صدق الأولياء وصلاحهم، من اعترض عليهم نزلت به كارثة فعند ذلك يسلم لهم حالهم، وهذا والله عكس الحقيقة؛ إذ إن ذلك إنما هو تأكيد لولاية الشيطان لهم ودفاعه عنهم وإخضاعه خصومهم بتلك الكوارث ينزلها بمنتقديهم.

ومن أولئك عيسى بن طلحة الهتار، قال عنه الشرجي: (ويحكى عن الشيخ المذكور أنه كان يجتمع بالنساء وله معهن محادثات وأخبار كثيرة والله أعلم بما يصح منها، ويروى أنه لما حضرته الوفاة نهى أولاده وأصحابه عن مثل ذلك وقال لهم: إنكم لا تطيقون ذلك، وكان قد ذكر قبل ذلك كرامة من كراماته المتعلقة بذلك فقال: ومن كراماته أنه كانت امرأة مغنية مشهورة بالفجور، جاءت إلى الشيخ يوماً تزوره وتتبرك به، فلما وقع عليها نظر الشيخ نفع الله به، تابت إلى الله ورجعت عما كانت عليه، فزوّجها الشيخ بعض الفقراء، وعمل لهم وليمة، وجمع عليها الفقراء وكانت عصيدة لم يجعل لهم عليها شيئاً من الإدام كما جرت العادة، وكان قاعداً ينتظر من يصل، وكان للمرأة صاحب من أمراء الدولة، فلما علم بذلك أرسل لهم بزجاجتين من الخمر، وقال للرسول: قل لهم يجعلون هذا إداماً على طريق الاستهزاء، فلما وصل الرسول إلى الشيخ قال له: هاتِ يا ولدي أبطأت علينا وأخذ الزجاجتين فصب من إحداهما سمناً لم ير مثله، ومن الأخرى جلاباً لم ير مثله، ثم قال للرسول: اقعد كُل مع الفقراء، فقعد وأكل شيئاً لم يطعم أحسن منه، فلما رجع إلى الأمير

---

(١) «السلوك» (٢/ ١٤٠ ـ ١٤١).

(٢) «الطبقات» ص(١٣٥ ـ ١٣٦).

أعلمه بذلك، فجاء إلى الشيخ واعتذر منه، وقبّل يديه ورجليه، فعفا عنه الشيخ، ويقال: إنه تحكم على يده هو ورسوله، وأن الرسول ترك خدمة الأمير ولزم صحبة الشيخ، وكان من جملة الفقراء)(١).

ومن أصحاب المخالفة الظاهرة التي لا تأويل لها إلا عند الباطنية، ما جاء في «تاريخ النور السافر» في ترجمة عبد الرحمٰن بن عمر باهرمز. قال العيدروس: (وحكي أنه «نفع الله به» كان عندما يرد عليه الحال يطلب النساء الحسان من ذوات الجمال، فيغنين بين يديه ويرقصن، فكان هذا دأبه في أكثر الأوقات، وكان الفقيه عمر أبا مخرمة على طريقة الفقهاء، فسمع بذلك فقصد الإنكار على الشيخ ومنعه من ذلك، فسافر من بلده إليه بهذه النية، فلما وصل إلى أثناء الطريق بدا له أن يرجع فرجع إلى بلده، ثم سمع عنه أيضاً أمثال هذه الأشياء التي ظاهرها مخالفة الشرع، فما أمكنه الصبر عن ذلك فسار إليه ثانياً، ودخل عليه، فلما وقع بصره على الشيخ كاشفه وقال له: عمر عاد وقتك ما جاء، فرجع كذلك إلى بلده وامتثل ولم يحصل منه إنكار على الشيخ لما سبق له من الفتح على يديه، ثم سار إليه ثالثاً، فلما دخل عليه أمر الشيخ «نفع الله به» بعض النساء الحسان ممن كانت ترقص عنده أن تعتنقه، فما هو إلا أن فعل به ذلك خرّ مغشياً عليه، فلما أفاق تلمذ للشيخ وحكمه في ذلك الوقت، وفتح الله عليه ببركة الشيخ وصار من كبار العارفين المربين، وقيل: إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال له: صلّ ركعتين إلى الشرق، فامتثل، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه)(٢).

فانظر هذا الولي القطب، فإن حاله لا ينفع فيه إلا غناء النساء الأجانب الحسان ورقصهن؛ بل إن ذلك الرقص والغناء يكون سبباً لإدخال الرجال في دائرة الولاية كما ترى، وأعظم من ذلك الذي يعتبر كفراً لا فسقاً أمره لذلك الرجل بالصلاة إلى عكس القبلة! فأي ولاية هذه التي تكون من كراماتها الكفر بالله تعالى؟

قال العطاس في ترجمة أحمد بن عبد الله العطاس وهو يعدد إخوانه: (فمنهم علوى بن عبد الله ذو الأشعار الرايقة والجذبات الصادقة والكرامات الخارقة ـ ثم أسهب في وصفه إلى أن قال ـ: ومن كرامته في حياته ما اشتهر عنه بمكة المحمية حينما كان مجاوراً بها، أن الشيخ العلامة محمد البسيوني كان يحب الحبيب علوي المذكور، ويتردد عليه إلى رباط السادة بسوق الليل، فدخل يوماً على الحبيب

---

(١) «الطبقات» ص(٢٥٠ ـ ٢٥١).
(٢) «النور السافر» ص(٥٩).

علوي وهو جالس في خلوته وحده حين ورود الحال عليه،فقام الحبيب علوي وأقفل باب الخلوة، ثم تناول كأساً من الطاقة فيها خمر وهو يهدر كالجمل الهايج وقال للشيخ: اشرب هذا بوجه السرعة واخرج من عندي، فخاف الشيخ على نفسه من الحالة التي رأى الحبيب عليها وأخذ الكأس وصبه بين صدره وثيابه، وأظهر للحبيب علوي أنه قد شربه، وخرج مرعوباً فلما وصل إلى بيته خلع ثيابه وأمر جاريته بغسلها وأخبر أهله بما كان من أمره مع الحبيب علوي وأمرهم بكتم ذلك فأخذت الجارية في غسل الثياب، وبقيت لمعة صغيرة في القميص لم يخرجها الصابون فجعلت الجارية تمصها بفمها حتى ذهب أثرها، وكان من عادة هذه الجارية أنها تتدارس القرآن في أوقات الفراغ مع أهل الشيخ وبناته، ففتح الله عليها من ذلك اليوم في تفسير القرآن بالعلم اللَّدني فأخذت تفسر لهم معاني الآيات تفسيراً بليغاً سهلاً، فتعجب من ذلك أهل الشيخ وسألوها عن سبب هذا الفتح، فلم تعرفه، فأخبروا الشيخ بما صار إليه أمر الجارية فاختفى يوماً في منزل من البيت وأمر أهله أن يتدارسوا القرآن معها كعادتهم فشرعت تفسر لهم ذلك فلم يطق الشيخ صبراً لما سمعه من التفسير الذي لم يطرق سمعه من عالم، ولا رآه في كتاب، وخرج إليهم وجعل يسأل الجارية عن أول يوم وجدت فيه انشراح صدرها، فقالت له: في اليوم الذي وقعت لك فيه الواقعة مع السيد المجذوب، فتفطن الشيخ لذلك، وقال لها: هل ذقت شيئاً من آثار الخمر الذي أصاب الثياب؟ فقالت: لا، ولكنها بقيت لمعة في القميص لم يخرجها الصابون فمصصتها بفمي حتى زالت فأخذ الشيخ من الأسف ما لا مزيد عليه، وعاد إلى الرباط يسأل عن الحبيب علوي فقيل له: إنه قد سافر إلى حضرموت، فاعترضته المنية بجدة، فزاد أسفه وعرف أنها خمر من عالم الأمر، وأن الحبيب علوي من نقباء نوبة ذلك العصر الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. انتهى)[1].

ومن ذلك ما ذكره علي الحبشي في «كنوز السعادة» حيث قال عن الحبيب أحمد الهدار الذي يقال له «المحجوب» والذي قبته بالقرب من مسجد بازرعة بالمكلا: (وذكروا أن الحبيب أحمد المذكور كان إذا رأى امرأة في الطريق قبصها في ثديها، والحكمة في ذلك أنه يخرج شهوة الزنا منها، فقال بعض السادة لزوجته: إن خلّيتي عمي أحمد يقبص ثديك فعلت بك وفعلت، فلما كان في بعض الأيام

---

(١) «تاج الأعراس» (٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩).

أقبلت تلك المرأة تسير وزوجها يمشي في تلك الطريق، فإذا الحبيب أحمد واصل إليها فأسرعت المشي وخبَّت خوفاً من الحبيب أحمد ومن زوجها، فخبَّ الحبيب أحمد وراءها وقال لها: ما لك عذر من قبصة عمك أحمد وإن خبيتي، فلحقها وقبصها في ثديها وزوجها ينظر، وقال لها: تأتين بسبعة أولاد كلهم يركبون الخيل على رغم أنف زوجك، فقال زوجها: إن كان هكذا فلا بأس، فولدت الأولاد السبعة وركبوا الخيل كما ذكر الحبيب)[١].

ومثل ذلك وأشنع: ما ذكره أحمد بن حسن العطاس قال: (وكان بمكة عند باب السلام واحد من المجاذيب وإذا خرج أحد من الناس ذكراً كان أو أنثى قبض على فرجه، ومن قبض على فرجه ذلك المجذوب لم يعص الله أبداً)[٢].

ومن أولئك الأولياء عندهم زين بن أحمد بن سميط، قال ابن عبيد الله: (فمن ذلك أن لآل الشحر اعتقاداً فيه حتى إنهم ببساطتهم يمكّنون نساءهم من مصافحته، فدخل عليه الشيخ أبو بكر بن سعيد الزبيدي، وعنده فتاة جميلة فعلقتها نفسه وتبعها هواه، فتوسل إليه أن يخطبها له، فقال له: ما يمنعك عنها إلا بخلك! فقال له: اطلب ما تريد، فخرج ثم عاد، وقال: إن أهلها يطلبون ثلاثمائة ريال فنجع بها طيبة نفسه، فوعده أن يجيء إلى ذلك المكان من آخر ليلته، وعقد له بعجوز قد تغضن وجهها وانتثرت أسنانها وانطبق عليها قول البحتري:

والسِّنُّ قد بَيَّنَتْ فناءَكِ في ... شدق على الماضِغَيْنِ منخسفُ

ودفع لتلك العجوز عشرة ريالات، وهرب هو بالباقي إلى شبام)[٣].

قلت: انظر إلى جهل أولئك الناس وغفلتهم وسيطرة الخرافة على عقولهم حتى أصبحوا يعتقدون الولاية في مثل هذا الرجل ويمكنونه من الخلوة بنسائهم!.

وأختم هذه الفقرة بنقل من كتاب «مواهب القدوس»، ولا أعلق عليه ولكني أدع التعليق عليه للقارئ فلربما فهم منه أفضل من فهمي، قال العلامة بحرق عن القطب العيدروس: (وكان سهر سيدي قدس الله روحه من أعظم الكرامات الخارقة للعادة عند الأطباء والحكماء، فإنه ضخم الصورة مواظب على الأغذية الحارة الرطبة

(١) «كنوز السعادة الأبدية» ص(٢٣٧).
(٢) رواية محمد بن عوض بافضل ضمن «مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس» ص(٧٢)، مخطوط.
(٣) «إدام القوت» ص(٢٠١).

كثير الشرب بحيث يتدعى بالماء وهو في مجلس طعامه مرتين فأكثر، والحكماء تقول: «من شرب كثيراً نام كثيراً»، وذلك مشاهد بالتجربة، وما ذاك إلا لملكة حصلت له حتى صار التطبع طباعاً، والتكلف هوى مطاعاً، وكان سيدي قدس الله روحه يروض العوام من الفقراء والغلمان ليحفظهم عن المعاصي بالسهر فيوهمهم أنه يريد الأنس بهم، ويجعل لكل من واظب منهم معه على سهر الليل كله مرتباً يعطيه إياه في صبيحة كل ليلة في مقابلة سهره، ويزيد من يخشى عليه الانهماك في المحرمات في المرتب فتراهم ملازمين للسهر ليلاً والنوم نهاراً، حتى تمضي على أحدهم مدة سنين ولا علم له بما الناس فيه رغبة في تحصيل ذلك المرتب، وقد حفظه الله ببركته من حيث لا شعور له بذلك من الفواحش بالليل ومن الغيبة وغيرها بالنهار، فلله درّه ما ألطفه في سياسته، وما أظرفه في تربيته، وما أرأفه بعباد الله، وما أرحمه بخلق الله، وكثيراً ما كان يقول: إني إذا رأيت المؤمن قد وفقه الله لأداء الفرائض واجتناب الكبائر أرحت خاطري منه؛ لأنه قد صار مع الركب يمشي على قدميه، وإنما أشغل خاطري وأصرف عنايتي وأبذل جهدي في خلاص من رأيته منهمكاً في العصيان واقعاً في حبائل الشيطان.

قلت: ولا يخفى أن هذا مقام عظيم وقد وصف الله نبيه الكريم بقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي عنتكم وهي المشقة ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٩].

قال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[1] متفق عليه.

ويروى عن الشيخ الكبير العارف بالله «عمر بن ميمون» صاحب أحور أنه كان من أصحاب الفقيه القطب الرباني «إسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليمني» قدس الله أرواحهم لما توطن أحور كتب إليه الفقيه إسماعيل يقول: كيف آثرت سكنى أحور على تهامة؟ فأجابه: إن أكثر أهل تهامة مشاة على أقدامهم، وإني وجدت أحور بلداً ساقطاً لكثرة الزنا فيها والربا والخمر وغيرها من الفواحش فأرجو أن ينقذ الله أحداً منهم من النار على يدي، فرد عليه الفقيه إسماعيل: هنيئاً لك قد ظفرت بما لم يظفر

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٠٧٧)، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ومسلم (٤/ ١٨٧٢)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

به، فهدى الله به خلقاً كثيراً ومن أجل ما انتفع به الشيخ القطب الفرد «شهاب الدين بن أبي الجعد» قدس الله أرواحهم، ولهم رضي الله عنهم مقاصد صالحة يرشدهم الله إليها ويكون هو المتولي لهم فيها لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

فيجب تسليم أحوالهم، وتطلّب التأويلات الحسنة والمحامل الجميلة، وقد قال الفقيه العالم الرباني الشيخ محيي الدين النووي قدّس الله روحه بعد أن حثّ على ذلك: لا يحرِّم التأويل ـ أي لما يصدر من المشايخ ـ إلا شقي، قلت: ولقد كنت أستشكل أشياء تصدر من سيدي الشيخ قدس الله روحه تقصر عنها عقول أمثالنا القاصرة، وكنت بتوفيق الله أعرضها على أرباب البصائر، وما منهم أحد إلا ويأمرني بالتسليم ويشهد عندي بعلو مقام سيدي، وأنه على هدى من العليم، ومنها أني عرضت على سيدنا وشيخنا الفقيه العالم العارف بالله الجليل الرباني محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني رحمه الله تصرفات مالية يباشرها سيدي في قبضها وصرفها في ظاهر الأمر في غير مصارفها، فقال لي: أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل، والحل والعقد والتصرفات كلها، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً، فقلت له: أما الباطن فبصائرنا عنه قاصرة وأما الظاهر فما وجهه؟ فقال: وجهه أن أهل البيت أفضل من سائر الناس، وآل باعلوي أفضل من سائر أهل البيت باتباعهم السنّة وبما استقر لهم من العبادة والزهادة والكرم وحسن الأخلاق، والشيخ أبو بكر أفضل آل باعلوي بالاتفاق فهو أفضل أهل زمانه. وتوفي الفقيه محمد باجرفيل المذكور في ربيع الأول سنة (٩٠٣هـ) ثلاث بعد التسعمائة بغيل أبي وزير أعمال الشحر، وجرفيل بجيم ثم فاء.

قلت: وأما سيدي قدس الله روحه فكان يقول ليزيل الإشكال عن خواص أصحابه: إذا كان صاحب المال يجب عليه بذله لسلامة أبدان المضطرين إليه ولو وجب عليهم غرم العوض، فبذل المال من أي جهة كان لسلامة أديان الهالكين الواقعين في حبائل الشيطان أوجب، ولو لزم الباذل غرم بدله، والرجاء من الله أن يبرئ ذمة الفاعل ذلك بمنّه وكرمه، ولا يخفى أن هذا مسلك دقيق، وإنما الأعمال بالنيات التي لا يطلع عليها إلا عالم الخفيات، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، واعترضت مرة بخاطرة[١] ولساني على سيدي قدس الله روحه في إلباسه غلمانه ثياب المخيطة بالذهب، فأجابني: بأنا قلدنا من يبيح ذلك من العلماء، ثم

(١) كذا ولعله: (بخاطري ولساني).

رأيت في النوم كأن النبي ﷺ أقبل من مكان في موكب عظيم والطبول والنقوط تضرب بين يديه ﷺ فقيل لي: إنما فعله ليعلم أمته بجواز ذلك، فلما ولى ﷺ رأيته في صورة سيدي الشيخ أبي بكر راكباً على بغلته، وسمعت قائلاً يقول: يجب على القطب الوارث للمقام المحمدي أن يعمل بكل مسألة قال بها عالم من علماء أمة محمد ﷺ ولو مرة واحدة لئلّا يقع ذلك العالم في الحرج، فعلمت بذلك وبتصور النبي ﷺ في صورة سيدي الشيخ أن سيدي هو القطب الوارث للمقام المحمدي)[١].

## الدعاوى الكاذبة:

يقول الرسول ﷺ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[٢]، ويقول ﷺ: «رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره»[٣]، وعلى ذلك كان الصالحون يحرصون غاية الحرص على إخفاء ما يمكن إخفاؤه من أعمالهم، وكانوا يخفون أكثر ما يتوهم أنه من الكرامات، وللصالحين في إخفاء الكرامات كلام طويل.

والصوفية كثيراً ما يمدحون بعض الأولياء بحب الخمول وكراهة التظاهر بالولاية وإظهار الكرامات، ولكن يبدو أن هذا الكلام نظري فقط عند كثير من الصوفية؛ إذ كثيراً ما ترى التنافس العظيم بين أوليائهم والتحدي لمن انتقدهم أو أنكر عليهم، والتباهي بإظهار الخوارق التي لا يصلها غيرهم، أو الزعم بما وصلوا إليه من مقامات لأنفسهم أو لبعضهم البعض، وهذا باب كبير لا أستطيع الإحاطة به وإنما أذكر نبذاً منه.

### استخدم الشيطان حتى غرس له نخلاً:

قال الشلي في ترجمة محمد بن حسن المعلم المشهور بأسد الله: (ومما اشتهر عند الناس أن الشيطان تعرض له بالأذى الفاحش فأمسكه صاحب الترجمة واستخدمه في أموره حتى إنه غرس نخلاً وجعله يسوق الماء فيه، وهذا النخل معروف عند أهل الجهة)[٤].

---

(١) «مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس» للعلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمي، ضمن المجموعة العيدروسية، نشرها طاهر بن محمد العيدروس ص(١٣ ـ ١٤).

(٢) مسلم (٤/ ٢٢٧٧)، كتاب الزهد والرقائق.

(٣) مسلم (٤/ ٢٠٢٤)، كتاب البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين.

(٤) «المشرع» (١/ ١٧٨).

**وآخر يقول إنه هو الله:**

ومنها ما ذكره الشلي أيضاً في ترجمة الفقيه المقدم بعدما ذكر ما يرد عليه من الواردات والتجليات قال: (وحكي أنه قيل له وهو في تلك الواردات: كل نفس ذائقة الموت، فقال: ليس لي نفس! فقيل له: كل من عليها فان، فقال: ما أنا عليها! فقيل له: كل شيء هالك إلا وجهه، قال: أنا من نور وجهه!!، وسمع أعرابياً يقول: هل محمد بن علي هو الله؟ فقال: أنا الله، وخرّ مغشياً عليه، وقال: ما لي حاجة إلى محمد ومحمداه)(١).

وهذه الدعاوى التي تقشعر منها الأبدان قد حاولوا تأويلها بأساليب شتى، ولكن لو كانت في حالة سكر أو جنون فلِمَ لا يعترفون بذلك؟ وأنه كان مجنوناً من الخمرة الربانية! ثم يسترون عليه ما يدور منه حال غياب حسه وذهاب عقله، والواقع أنهم لا يعتقدون ذلك، ولكنهم يعتقدون أن ذلك من أعظم مناقبه وأشهر كراماته؛ لأنه يتكلم بلسان الحق الذي أذن له بإظهار ذلك، ومن يقرأ تراجمه في «الغرر» أو «المشرع» أو «الجواهر» أو «شرح العينية» أو غيرها يجد فيه من المبالغة في المدح بما لا يُقبل حتى في الأنبياء، ولم يدّعوه صلوات الله وسلامه عليهم.

بل قد صرحوا بأنهم خاتم الأولياء، قال الشلي: (وصح لمحبيه أن ينشدوا فيه:

والمقفى ما بعده من ولي ... فهو لا شك خاتم الأولياء

وخاتم الأولياء في اصطلاحهم: من بلغ مقام الوراثة المحمدية، وهو مقام القطبية الكبرى كما يقال لمن ملك الروم قيصر والفرس كسرى)(٢).

وقد مر معنا تعريفهم للقطب الأكبر وما نحلوه له من صفات الربوبية، فكيف وهو يحمل تلك الصفات لا يحق له أن يتبجح بمثل هذه الدعاوى؟ إلا أن طريقة القوم أنهم عند من يقبل ويسلم يقصون هذه القصص على أنها حقائق، وعند من يعترض يحاولون تأويلها والله أعلم.

**وثالث يقول:**

إنه يسحق الدنيا ويسحق الآخرة ثم يرمي بهما حتى لا يبقى إلا الله، وأنه يذكر الله حتى تقف الحروف، وأنه أسري به ليلة أسري بالنبي ﷺ، وإليك ذلك كله بقلم الشلي حيث قال في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة: (وترد عليه أحوال

---

(١) «المشرع» (٢/ ٩).

(٢) «المشرع» (٢/ ٣).

آثار بركتها عليه بادية، وإذا ورد عليه حال تكلم على مسائل في الشريعة والحقيقة وخاض من العلوم في بحار عميقة، وسأله ولده عن ذلك فقال: ما تقول إلا وقد أفنينا الدنيا والآخرة، أول ما تبدو لنا الدنيا نسحقها، ثم تظهر الآخرة فنسحقها، ثم نبذهما جميعاً حتى لا يبقى غير الله فحينئذ يقع الوجد، وأنشد:

ولما حضرنا للسرور بمجلس أضاءت لنا من عالم الغيب أنوار
وطافت علينا للعوارف خمرة يطوف بها في حضرة القدس خمار
فلما شربناها بأفواه كشفنا أضاءت لنا منها شموس وأقمار
تخاطب أرباب القلوب بلطفها وتبدو لنا وقت المسرة أسرار
رفعنا حجاب الأنس بالأنس عنوة وجاءت إلينا بالبشائر أخبار
وغبنا بها عنا ونلنا مرادنا ولم يبق منا بعد ذلك آثار
وخاطبنا في سكرنا عند صحونا كريم قديم فائض الجود جبار
وكاشفنا حتى رأيناه جهرة بأبصار فهم لا تواريه أستار

وكان إذا طرقه الحال يضطرب جسده ويلين حتى أن بعضهم وضع إصبعه في جسده فانخسف محل إصبعه، وورد عليه حال مكث به سبعة أيام حتى تقيأ دماً أسوداً، قال ولده العارف بالله الشيخ عبد الرحمٰن السقاف: لو لم يتقيأ لقتله ذلك الحال، وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ الإمام عبد الله بن علوي حتى غشي عليه، ثم أقيمت الصلاة فصلى معهم، فلما فرغوا قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبد الله: صلى ابن أخيك بلا وضوء لأنه زال عقله، فأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سلم، فقال: وعزة الحق إني توضأت وشربت من الكوثر ونفض لحيته فتقاطر منها الماء، ثم قال: يا فقيه نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدكت، ثم أنشأ يقول:

الحب حبي والحبيب حبيبي والسبق سبقي قبل كل مجيب
نوديت فأجبت المنادي مسرعاً وغطست في بحر الهوى وغدى بي
لي تسعة وثلاثة مع تسعة والعقد لي وحدي وعلا نصيبي
ما تعلموا أني المقدم في الملا ليلة سرى باليثربي سرىٰ بي)[1]

**ومن الدعاوى المتعلقة بدخول الجنة وهم في الدنيا:**

ما جاء في «العقود العسجدية» قال: (فكان الشيخ القطب الكبير سيدي

(١) «المشرع» (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

عبد الرحمٰن السقاف يقول لبعض جلسائه: اِروحوا رجلي فإنها كانت في الجنة، وكذلك سيدي وشيخي أبو بكر العطاس ﷺ يقول: وكان سيدي القطب الغوث الفقيه المقدم محمد بن علي يطوف بالجنة فلم أرَ فلاناً في الجنة، وما يدخل فقيري النار، أما الجنة فهو من أهلها يعني في اللوح المحفوظ)(١).

وهنا ننقل قصة باخريصة فقال عبد الرحمٰن الخطيب صاحب «الجوهر الشفاف»: (روى المشايخ ﷺ أن فقيراً من فقراء شيخ شيوخنا الشيخ محمد بن علي ﷺ واسمه أبو خريصة سافر إلى أرض بعيدة ومكث مرابطاً فيها حتى انقطع خبره، ثم بعد ذلك جاء إنسان إلى شيخ شيوخنا وقال له: إن أبا خريصة مات فأطرق الشيخ ساعة، ثم رفع رأسه وقال: أبو خريصة ما مات، فقيل: كيف تقول هذا وقد جاء الخبر بموته؟ فقال الشيخ ﷺ: نظرت إلى قصور الجنة قصراً قصراً فما رأيت أبا خريصة فيها، ولا يدخل فقيري النار، ثم بعد ذلك بمدة قدم أبو خريصة بنفسه من ذلك السفر سالماً غانماً معافىً بحمد الله تعالى وعونه، ثم بركات الشيخ محمد بن علي)(٢).

وقال الحبشي في «كنوز السعادة الأبدية»: (وكان الشيخ عمر المحضار يكبس رجلَيْ والده الشيخ عبد الرحمٰن السقاف فرأى فيهما صفرة، فقال له: ما هذا؟ فقال له: إن أباك كان هذه الساعة يطوف في الجنة، وإن هذه الصفرة من زعفرانها، وأخاف يا ولدي أن يكون هذا استدراجاً)(٣).

وما زلنا مع الحبشي في دعاواه، فها هو يحكي خرافة أخرى يقول: (قال الحبيب أبو بكر العطاس: صلينا نحن والحبيب محمد المشهور في مسجد باعلوي، فقال لي: يا أبا بكر بانتنسم بانزور السماء «مثل ما تقول بانروح النخل» قال: فطلعنا من سحاب إلى سحاب، إلى أن وصلنا إلى السماء ورجعنا وصلينا المغرب في باعلوي)(٤).

وأما هذا الولي فأمره أعجب! إنه يختار دخول النار ليخرج منها أهل تريم،

---

(١) «العقود العسجدية» ص(٢٣٨) بواسطة «أوهام العوام»، جمعه أحد طلبة العلم لم يذكر اسمه، مخطوط.

(٢) «الجوهر الشفاف» (١/ ٩٦ ـ ٩٧).

(٣) «كنوز السعادة» ص(٣٩٣)، ويشهد له ما في «شرح العينية» ص(١٨٥) فهو قريب جداً من هذا.

(٤) «كنوز السعادة» ص(٣٨٨ ـ ٣٨٩).

قال في «شرح العينية»: (قال السيد الشيخ الكبير محمد بن حسن المعلم: أشهد أن الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة، وقف بين يدي الله تعالى بعد وفاته، وخوطب بهذا الخطاب ثلاث مرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦] فلم يرد جواباً، والملائكة محيطة به، وإذا النداء من قبل الحق ﷻ يقول لملائكته: اذهبوا به حيث شاء فإنه محبوب، فقال: اذهبوا بي إلى النار، فلما وصلها رمى بنفسه فيها، وجعل يسير فيها ذاهباً ومقبلاً، ويخرج منها كل من رآه فيها من أهل تريم حتى أخرج الجميع، إلا اثنين أو ثلاثة، كلما أخرجهم عادوا إليها، فبقي يشفع لهم)[(١)].

ويقول أيضاً: (قد ذكرنا الله باللسان والقلب، ثم تفنى الحروف، ثم تفنى اللسان فيبقى في القلب شمعة من نور متصلة بالله تعالى)[(٢)].

وقصة الإسراء والمعراج قد أغرم بها القوم وادعاها جماعة منهم، قال أحمد بن زين الحبشي في ترجمة الفقيه المقدم: (وكان من جملة ما كتب به إلى الشيخ سعد أنه قال: عرج بي إلى سدرة المنتهى سبع مرات وفي رواية: سبعة وعشرين مرة في ليلة واحدة وفي رواية: سبعين مرة)[(٣)].

وليس الإسراء خاص بالأولياء بل حتى مواشيهم تعرج إلى السماء، فَأَتَان الفقيه محمد بن علي قالوا إنها: (تعرف طرق السماء كما تعرف طرق الأرض)[(٤)].

وأخيراً خذ هذه الدعوىٰ مع تأويلها وتبريرها وبيان ما يلبسون به من صرف لهذه المعاني عن ظواهرها. قال صاحب «تاج الأعراس»: (قال المترجم: وحين انتهى صاحب «المناقب» رضوان الله عليه من دور التخلية واستمر في طور التحلية حصل معه في أواخر إقامته بمكة جذب قوي في الظاهر غير أنه لم يخرجه عن بساط الشريعة؛ لأنه من أهل الرسوخ والتمكين، بل هو من أهل عين اليقين كما شهدت له بذلك الفحول وتناقلته عنهم وعنه الأئمة العدول، أخبرني الشيخ الثقة عبد القادر بن عمر بايزيد يعني الآتي ذكره في الباب السادس قال: كنت مجاوراً بمكة المحمية أيام إقامة الحبيب صالح بها يعني: صاحب «المناقب» رضوان الله عليه، وكان يساورني بما يقع له في سلوكه، فقال لي مرة: إني خرجت إلى المسجد الحرام في بعض الليالي وطفت بالكعبة فحصل لي الإسراء إلى السماء إلى آخر ما قال الشيخ

---

(١) «شرح العينية» ص(١٨٠).
(٢) المصدر السابق ص(١٨١).
(٣) المصدر السابق ص(١٥٨).
(٤) «الجوهر الشفاف» ص(٩٥).

عبد القادر المذكور في محادثة بينهما طويلة لا تخرج عن هذا الموضوع، وهذا الإسراء هو حال معروف عند الأولياء وأمر مألوف لدى أهل القرب والاصطفاء، تعرفه أرواحهم المباشرة لهذه الحكمة، وتتحدث به أشباحهم عند الإذن لهم في التحدث بالنعمة، قلت: ولعل ذلك حين ورد عليه الحال، وجذبته عناية ذي الجلال، إلى مواطن القرب والكمال، حيث تنتهي الأعمال وتخلع النعال، وهناك تخلع على ذلك الواصل خلعة معنى الحديث: لا يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل:

رتب تسقط الأماني حسرى دونها ما وراءهن وراء

فإياك ثم إياك أيها القارئ والانزعاج وتحريك الرأس والاشمئزاز، فلكل فن مصطلح ولكل قوم منهج ومسرح ولكل بحر ساحل ومجدح، وبالمثال يتضح الإشكال، فإن لفظة الكلام يكون المراد منها في عبارة الفقهاء: ما أبطل الصلاة من حرف مفهم أو حرفين وإن لم يفهما، وفي عبارة النحويين: ما جمع قيوداً أربعة كما هي معروفة لديهم، وفي عبارة علماء التوحيد: هو نفس الفن كله يسمى علم الكلام وهلمّ جراً، بينما لفظه عندهم واحد باتفاق الجميع، فمن هو المخالف منهم يا ترى! وهنا يحسن الاستشهاد للمتسرعين بمثل الحريري حيث يقول: (سائل الركبان قبل المنتجع)، قلت: ومعناه أنك إذا رأيت قوماً سفراً فإياك أن تأخذ فراشك وتهرول وراءهم بل اسألهم أولاً من هم؟ وأين يريدون؟ لتكون على بصيرة من أمرك وذا خبرة في سيرك.

وها أنا أرشدك إلى ما نقله صاحب «الفتوحات المكية» في اصطلاح رئيس الصوفية إن لم تكتف بهذا، فإن اكتفيت به فأقول لك: إن الإسراء في اصطلاح القوم يكون بمجرد الروح لا الجسد كما هو معروف عندهم ويتداول بينهم.

ولعلك تقول هنا: كيف تفارق الروح الجسد ولا يموت صاحبها؟ فخذ الجواب دفعة واحدة: قال العلامة المحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني في كتابه «التعريفات» ما نصه: الروح الإنساني هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر، تعجز عن إدراك كنهه العقول، وتلك الروح قد تكون مجردة، وقد تكون منطبقة في البدن، بخلاف الروح الحيواني التي هي جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن أي فإنه ملازم للجسد لا ينفك عنه إلا بالموت المعبر عنه بزهوق الروح. انتهى المراد من كلام الجرجاني.

واعلم أني قد تثبَّتُ قبلك في هذا المقام الذي تزل فيه الأقدام وتتصادم دونه فرسان الأقلام بين إقدام وإحجام، فحين وصلت عند هذه الجملة ترددت في إثباتها فأرسلت إلى سيدي الحبيب العلامة ترجمان الشيبان المشير إليَّ بالاقتطاف من تلك الأغصان، ومن إليه المرجع في هذا الشأن، الحبيب علوي بن محمد الحداد أستفتيه في ذلك، فكتب إليَّ الحبيب علوي المذكور بما نصه حرفياً: الحمد لله والسلام على سيدي الحبيب العلامة علي بن الحسين ورحمة الله وبركاته أكتب هذا وأنا مزكوم وشبه محموم، وصلني تعريفكم الذي تقولون فيه أن معكم تردداً في إثبات تلك الجملة التي أشار فيها الحبيب إلى الإسراء به، وقد ظهر لي أن هذا الإسراء الذي وقع له إنما هو بروحه ولا مانع من ذلك إذا كان بالروح، وقد وقع للحبيب عبد الله الحداد ما يشبه هذا أظنه في مسجد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بقيدون، وقال سيدي العارف بالله محمد مولى الدويلة: (ليلة سري باليثربي سري بي) فالأولى، إبقاء الكلمة على ما هي ما دام أنها لم تصادم قاعدة من القواعد الشرعية، وهذه أمور معروفة عند أهلها ولا يسع أهل حسن الظن إلا التسليم لهم، وقد سأل سائل الحبيب عبد الله الحداد عن عبارة في غنية الشيخ عبد القادر الجيلاني ﵁ توهم الجهة، فقال الحبيب عبد الله: إن في القرآن ما هو أعظم من ذلك. انتهى.

وليس يخفى على سيدي أن أهل الحجاب والإنكار وأهل سوء الظن والاستكبار لا ينفعهم دليل وحسبنا الله ونعم الوكيل، فلندعهم وشأنهم وما أقامهم الله فيه، قال الإمام مالك: أو كلما جاءنا لكع غيّرنا سنة؟ انتهى.

فالله يجعلنا من أهل التسليم والقلب السليم ولا يحرمنا مما تفضل به على من أحبهم وصفّى مشربهم، وأنت يا فقيه أهدى من أن تُهدى، وأعلم من أن تُعلم، قال سيدي الحبيب علي بن سالم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم في كتابه «فيض الله العلي»: كلامنا هذا إنما هو مع أهل مشاهد الجمال المتجلي عليهم به، وأما أهل الجلال فليس لنا معهم كلام. انتهى.

والمحنة على المتعرضين أن يكون معهم في بعض الأحوال سلاح أهل الظاهر فيجعلونه على القوم سلاحهم الباتر، قال سيدي الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي من قصيدة في هذا المعنى:

وأما الشريعة حد سيف باتر

انتهى. وعسى الله أن يرفع عنا السواتر، حتى نبصر ما أبصره أهل البصائر،

والسلام من الفقير إلى الله علوي بن محمد الحداد، انتهى كلام الحداد الخبير بالرمز والمراد من كلام الآباء والأجداد ولله المراد فيما أراد)(١).

فانظر إلى القوم يمشّون ما هَذَا به أولياؤهم بالترغيب حيناً، وبالترهيب حيناً آخر، وبالتأويل البعيد حيناً ثالثاً، وقد ظهر أنهم يشعرون بغرابة الأمر واستبعاد تصديقه، ولكنهم يحتجون على إثبات القضية بأن فلاناً قد قال بمثلها وهو من الأقطاب، ولا يمكن أن يقول بغير الصواب، والأصل أن هذه الأمور مستحيلات عقلاً فإن ثبت ما يؤيدها من الشرع قدم الشرع على العقل وإن لم يثبت إلا دعاوى قلنا لأرباب تلك الدعاوى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، وتمثلنا بقول الشاعر:

والدعاوى إن لم تقيموا عليـ ... ـها بينات أبناؤها أدعياء

## قول على الله بغير برهان، مع إنزال المرض بمن يغضب عليه:

وفي ترجمة عمر المحضار من «المشرع» ذكر أنه قال لابن أخيه الشيخ عبد الله العيدروس: (إن رجلاً يغضب لغضبه جبار السماوات وأشار إلى نفسه، وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء؟ فقال: إني لم أدع على أحد، ولكني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نار لا تنطفئ إلا بعدما يصيبه ذلك المرض أو يتوب)(٢).

### المطلب الثالث: الانحرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الكرامة:

إن الانحراف في مفهوم الكرامة تابع للانحراف في مفهوم الولاية، فحينما غلا القوم في الولي، وأعطوه خصائص من خصائص الإلٰهية؛ نسبوا إليه من الكرامات ما لا تكون إلا من رب العالمين، حتى الرسل الكرام لم يدعوها لأنفسهم.

هذا جانب وجانب آخر هو الإساءة إلى الولي من حيث إرادة الإحسان إليه، حيث تنسب إلى بعضهم كرامات يستحي المرء من ذكرها؛ إلا لإثبات ذلك وتعرية ذلك المنهج الذي أدى إلى هذا المستوى من السخافة، كما أن هناك كرامات هي إدانات لمن نسبت إليهم، ومن هنا فإن العقلاء من القوم قد تنبهوا لذلك وضجوا من إغراق قومهم في هذا الباب.

---

(١) «تاج الأعراس» (١/ ٤٧ ـ ٥١).
(٢) «المشرع» (٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

## من تلك الكرامات رد الشمس أو إيقافها:

قال الشرجي في ترجمة إسماعيل الحضرمي: (ومن ذلك ما يحكى أنه قصد مدينة زبيد في بعض الأيام، فقاربت الشمس الغروب وهو بعيد عن المدينة، فخشي أن تغلق الأبواب دونه، فأشار إلى الشمس أن تقف فوقفت حتى بلغ مقصده، وهذه الكرامة مشهورة بين الناس مستفيضة)(١).

وقريباً منها وقع لأهل تريم، فقد جاء في «تذكير الناس» قال: (وحكى سيدي رضي الله عنه أنه دخل بعض الأولياء السياحين إلى تريم مع غروب الشمس فحبس الشمس عن الغروب ليصلي العصر فأشرفت عليه امرأة من بيتها وكاشفته وقالت له: فك الشمس علينا لنفطر)(٢).

## التّألي على الله:

التألي على الله سبحانه وتعالى معناه: أن يقول العبد على الله سبحانه وتعالى قولاً جازماً بأنه سيفعل، أو سينزل أو سيغفر لفلان أو لا يغفر لفلان، وقد ثبت في ذلك حديث صحيح زجر عن هذا التألي، فعن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»(٣). ومن أسس عقيدة أهل السنّة والجماعة ألا يقطعوا لأحد بجنة أو بنار، كما جاء ذلك في عقيدة الإمام الطحاوي رحمه الله حيث قال: (نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة...)(٤).

ولكن القوم رفعوا أنفسهم فوق ذلك واستغلوا التولية والعزل التي يزعمون أنها أعطيت لهم، فهبوا يجزمون أن فلاناً نجا من فتنة القبر، وفلاناً لا يدخل النار، ومن فعل كذا فأنا ضمين له بالجنة، وأكثر ذلك لربط الناس بهم وحثهم على تعظيمهم وتقديسهم.

### فقيره لا يدخل النار:

ذكر الشلي في ترجمة الفقيه المقدم من جملة خصائصه وكراماته قال: (ومنها

---

(١) «الطبقات» ص(٩٧).
(٢) «تذكير الناس» ص(٢٥٥).
(٣) رواه مسلم (٤/٢٠٢٣)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر.
(٤) «العقيدة الطحاوية» ص(١٩)، بتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

أن خادمه باخريصة سافر سفراً طويلاً فبلغ أهله أنه قد مات، فتعبوا وأتوا إلى الأستاذ فأطرق ساعة، وقال: لم يمت باخريصة فقيل له: قد جاء الخبر بموته، فقال: إني اطلعت على الجنة فلم أجده فيها؛ ولم يدخل فقيري النار، ثم جاء الخبر بحياته وقدم هو بعد مدة)[١].

**وهذا عندما يسأل في قبره عن ربه يقول (شيخي عبدالله باعلوي) فيُعفى من السؤال ويقال له: مرحباً بك وبشيخك:**

جاء في «المشرع» ترجمة عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم: (ومنها أن رجلاً أنشد أبياتاً تتعلق بالبعث والحساب فتواجد صاحب الترجمة وخرّ مغشياً عليه، فلما أفاق قال للرجل: أعد الأبيات، فقال الرجل: بشرط أن تضمن لي الجنة، فقال: ليس ذلك إليَّ، لكن اطلب ما شئت من المال، فقال الرجل: ما أريد إلا الجنة، فقال: إن حصل لنا شيء ما كرهنا، ودعا له بالجنة، فحسنت حالة الرجل، وانتقل إلى رحمة الله وشيّعه صاحب الترجمة وحضر دفنه وجلس عند قبره ساعة، فتغيّر وجهه؛ ثم ضحك واستبشر فسئل عن ذلك، فقال: إن الرجل لما سأله الملكان عن ربه فقال: شيخي عبد الله باعلوي، فتعبت لذلك فسألاه أيضاً فأجاب بذلك، فقالا: مرحباً بك وبشيخك عبد الله باعلوي، قال بعضهم: هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد موته)[٢].

**رؤيا بأن من قرأ على فلان دخل الجنة وتمسّك الناس بذلك وقرأوا عليه من أجلها:**

قال الشرجي في ترجمة محمد بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الزوكي: (رأى النبي ﷺ في المنام يقول له: من قرأ عليك دخل الجنة، وقد أخذ عنه غير واحد من العلماء تمسكاً بهذا المنام)[٣].

**وذاك يضمن لمن حصّل إحياء علوم الدين وجزّأه الجنة:**

قال الشلي: (ولما بلغني أن سيدي الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه قال: من حصل كتاب «إحياء علوم الدين» وجعله في أربعين مجلداً ضمنت له على الله بالجنة، فحصلته كذلك بهذه النية ولله الحمد)[٤].

**وآخر يقول من رآني دخل الجنة:**

قال الشلي في ترجمة عمر بن عبد الله العيدروس: (وكان السيد الجليل

---

(١) «المشرع» (٢/ ٩).
(٢) «المشرع» (٢/ ١٨٨).
(٣) «الطبقات» ص(٣٢٨).
(٤) «المشرع» (٢/ ١٤٩).

المعروف بصائم الدهر القديمي الحسيني القائل: من رآني دخل الجنة، يعظم صاحب الترجمة)[(١)].

**أما هذا فمن قَبّلَ قدمه دخل الجنة:**

قال الشرجي في ترجمة إسماعيل الحضرمي: (ومن ذلك أنه كان قد اشتهر بين الناس أن من قبّل قدم الفقيه إسماعيل دخل الجنة. وحكى الفقيه إبراهيم العلوي عن الفقيه أحمد بن أبي الخير عن والده الفقيه أبي الخير، أنه سأل الفقيه إسماعيل عن ذلك فقال: قدم علينا بقرية الضحيّ رجل من أهل الخير، فلما صلينا الجمعة صعد المنبر وقال: يا أيها الناس رأيت النبي ﷺ في المنام وسمعته يقول: من قبّل قدم الفقيه إسماعيل الحضرمي دخل الجنة، قال الفقيه أحمد بن أبي الخير: وكان يقال للرجل المذكور ابن الزعب من أهل حصى، وهؤلاء بنو الزعب قوم أهل ولاية وصلاح، وسيأتي ذكرهم في حرف العين إن شاء الله تعالى.

ويروى عن الفقيه أحمد بن سليمان الحكمي المفتي بمدينة زبيد أنه قال: لما سمعت حديث تقبيل قدم الفقيه إسماعيل وقع في نفسي من ذلك شيء، ثم اتفق أني قصدت الفقيه إلى منزله بزبيد لقصد السلام والزيارة، فلما دخلت عليه قال: مرحباً بك جئت تقبّل قدمي، ثم مدّ رجليه فقبّلتهما. قال الإمام اليافعي: وكان الجلّة من العلماء يقبّلون قدمه)[(٢)].

**وهذا يستجاب الدعاء عند تواجده:**

قال الشلي في ترجمة محمد ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف: (وكان والده يحبه ويثني عليه وكان يقول: إن الدعاء يستجاب عند تواجد ولدي محمد، فكان الناس عند ذلك يسألون الله ويدعونه فينالون ما يطلبون)[(٣)].

## كرامات ممجوجة لا تُستساغ:

**منها قلب الغائط إلى ذهب:**

جاء في «كنوز السعادة الأبدية»: (كان الحبيب أحمد الهدار هذا المتأخر عظيم جم، وكان له تلميذ في الشحر من السادة آل البيض وكان صاحب ثروة فتقاصرت عليه الأشياء فقال: ما معي لهذه الشدة إلا شيخي، فتوجه إليه فلما وصل وادي

---

(١) «المشرع» (٢/ ٢٤٦).
(٢) «الطبقات» ص(٩٨ ـ ٩٩).
(٣) «المشرع» (١/ ١١٣).

عينات اطلع عليه الحبيب أحمد فتلقاه إلى الوادي، فلما أقبل على السيد جاء إليه ليصافحه فقال له: جئت إلينا بغيت من القزة الخامّة، قف هنا أولاً وأعطني رداءك فأعطاه السيد رداءه، فغاب الحبيب خلف حصاة وتخلى في ذلك الرداء وطواه وما فيه، ثم جاء إلى السيد ورتب له الفاتحة وقال له: هاك الرداء ولا تفكه إلا في الشحر، فلما وصل السيد إلى الشحر فكّه فوجد ما فيه قد تحول ذهباً خالصاً، فانظر إلى هذه الكرامة العظيمة من هذا الحبيب أراد أن يريه قدر الدنيا وخستها وأنها خراءٌ وقذر)[1].

وفي «تذكير الناس» قال: (بلغنا أن السيد حاتم الأهدل كان حريصاً على مجلس الإخوان في الله ويشق عليه فراقهم، وكان له مملوك أمره أن يجلس بالباب، فإذا أراد أحد من إخوانه قضاء الحاجة والخلاء نظر إلى ذلك العبد فينتقل الحدث إليه فيروح العبد إلى الخلاء وينوب عنه)[2]، وفي نفس الكتاب قال: (ووقع للحبيب هادون بن هود بن علي بن حسن العطاس أنه لما زار المدينة المشرفة بات ليلة بالحرم فتحركت عليه بطنه وذهب ليخرج فوجد الأبواب مقفلة فراح إلى ناحية في أخريات الحرم ووضع الخارج في ثوبه، فلما كان الصباح ذهب إلى خارج المدينة ليرميه فإذا هو ذهب يتلألأ)[3].

## المطلب الرابع: آثار انتشار الخرافة:

لقد ترك الاستسلام للخرافة وإساغتها وتقبلها لدى الأمة آثاره المدمرة في نفوس الناس، وظهرت تلك الآثار على ملامح حياتهم في شتى مناحيها، ففي العقائد ضعف الاعتماد على الله حينما ربيت الأمة على أن الله قد فوّض أمورها إلى الأولياء؛ فهم يحيون ويميتون وهم يشفون ويمرضون ويرزقون ويسلبون، بل هم يجمعون من شاءوا ويفرقون بين من أرادوا، فبهذا أصبح الاتجاه إليهم والاعتماد عليهم، فإليهم يتوجه بالدعاء والاستغاثة، وإليهم يهرع بالنذور والذبائح، وفي أعتاب أضرحتهم يرتمي المضرور والبائس، وحتى في أحلك الظروف التي كان مشركو الجاهلية يتخلون فيها عن معبوداتهم ويلجأون إلى الله كما صوّر الله حالهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ الآية [الإسراء: ٦٧].

---

(١) «كنوز السعادة» ص(٢٣٦).
(٢) «تذكير الناس» ص(٤٨).
(٣) المصدر السابق ص(٤٨).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]. وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢)﴾ [يونس: ٢٢].

وعوام المسلمين بل وبعض المحسوبين على العلم لم يصلوا وللأسف إلى ذلك الإدراك، فإذا نزلت الشدة الشديدة والكارثة العظيمة هرع كل منهم يدعو شيخه ويستغيث به وينذر له من دون الله، وعظم خوفهم منهم حتى إن الإنسان ليخاف أن يغضب الولي أكثر مما يخاف أن يغضب الله، وأوضح دليل على ذلك قضية الحلف بالله والحلف بالأولياء؛ فإن الناس في تلك الأعصار التي ترسخت فيها الخرافة كان الواحد منهم يكون له اليمين على أخيه فيعرض عليه أن يحلف بالله فلا يقبل إلا أن يحلف بمعظّمهم، وبالفعل فإنه يجترئ على الحلف بالله كاذباً ولا يجترئ على الحلف كاذباً بالولي، وقد خرجوا ذلك تخريجاً مقبولاً لديهم قالوا: إن بحر الله تعالى واسع، وأما بحر الولي فهو ضيق، أي أن عفو الله وحلمه واسع فلا يعجل بالعقوبة، وأما الولي فهو شديد الغيرة على مقامه ومكانته فمن تجرأ عليه وحلف به كاذباً عاجله بالعقوبة، وحسبك ما في هذا من التنقص لجناب الله تعالى وإفراغ القلوب من خوفه.

وكما انعكس أثر الخرافة على النفوس فإنه كذلك انعكس على العقول، فسيطر عليها الأوهام، واستسلمت لما يلقى إليها، ولم يبق مجال للتأمل والتفكير والإبداع، كما انعكس الأثر على الحالة الاجتماعية فتميز فئات بالجاه والمنصب والميزات السياسية والاقتصادية على حساب فئات أخرى.

كما أثّرت الخرافة حتى على النواحي السياسية فلم تعد الأمة تفكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيقاف الحاكم المنحرف عند حده؛ لأن أصحاب السلطة الروحية في نظر العوام أدرى بالمصالح والمفاسد ولو كان هذا الحاكم غير صالح لأزالوه بالبرهان وما يملكون من القوى الخارقة، والحال أن القوتين الروحية والسياسية في كثير من الأحيان تكونان متحدتين ضد الأمة[١].

---

(١) ومن أصدق ما يعبر عن هذه الحالة ما جاء في قصيدة الشاعر الواعي المجرب المغترب عن البلاد البعيد عن آثار تلك الخرافات (صلاح أحمد الأحمدي) وهي وإن كانت باللغة الدارجة =

وهكذا تجد التأثير في النواحي المختلفة، حتى لقد ملّ وسئم من ذلك المفكرون، حتى من المنتمين إلى الأسر المستفيدة من ذلك، فهذا ابن عبيد الله السقاف له في ذلك صولات وجولات في كثير من كتبه وقصائده[١].

وهذا حسن بن علوي بن شهاب قد صرح بأعلى صوته شاكياً ومندداً بتلك الحال داعياً إلى إصلاحها[٢]، وغيرهما كثير بين مقلٍّ ومكثر.

---

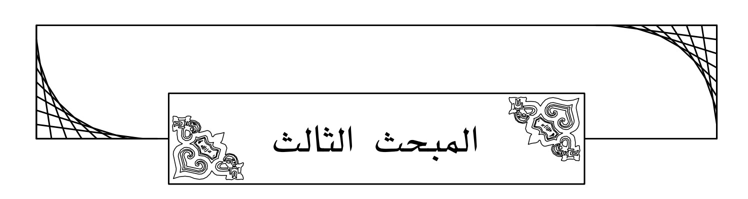
= إلا أنها بديعة وقوية ومعبرة، فلذا آثرت أن أنقلها كاملة هنا كما جاءت في كتاب «إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت»، تأليف عبد الخالق البطاطي، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، ص(١٠١ ـ ١٠٢) يقول ﷺ:

أبديت بك وأدعوك يا جيد وغيرك ما يجود ... يا حي يا قيوم يا مطلق من الساق القيود
أسألك غفرانك إذا بيت وحدي في اللحود ... قال القعيطي: طول ليلي ما تهنيت الرقود
لا هم من دنيا ولا من عشق منسوع الجعود ... شيبة في التسعين متوجه إلى دار الخلود
عسى يقع مسكني في الجنة وعالحوض الورود ... ولا علي قاصر ولا السلطان يطلبني نقود
ساكن في الدكن بلد عثمان سلطان الهنود ... سلطان بن سلطان بن سلطان عالفرة يذود
ولكنني اتأثرت من خفض الشرف بعد الصعود ... أخبار بلغت ما تسر القلب من أرض النجود
راحت جهة لحقاف لحمة فاس سرحت بالبرود ... راحت مع الصاحب بلا قيمة ولا عسكر يقود
وشيدوا فيها الكنائس والبراكس للجنود ... آه على لوطان يا غبني على مثوى الجدود
كم صحت كم ناديت قد بينت به قبل الوجود ... لكننا معذور واحد عود ما مني وقود
أين الدول؟ أين آل عبد اللّه وهمدان الأسود؟ ... وين ابن مطلق؟ وين ربعه؟ وين بن سالم عبود؟
أين القعيطي؟ أين يافع لي تطرح في الربود ... ذي يرعضون السيل محري يطلعونه في سنود
اللي لهم عادات بالجودات من عاد أو ثمود؟ ... وين التميمي والمناهل؟ وين بن عبد الودود؟
أين الشنافر؟ أين نهد اللي يزرون الشدود؟ ... أين الجعيدي؟ أين كنده لي تعزووا بن كنود؟
والعوبثاني هم ويا سيبان شرحان الحدود ... وين باصرة؟ وين صالح محمد بو عمود؟
أين الذي قالوا حميناها بأسوار الجدود؟ ... هم حضروا البيعة وهم كانوا على البيعة شهود
وبا يعادون المدارس والمساجد والسجود ... والخمر في لسواق باتبسط به أفراخ اليهود
وتبرجت مرات في لسواق حلوات الخدود ... يا مر جوفي يا حياة الذل يا مر الكبود
يا مر جوفي يا حياة الذل يا مر الكبود؟ ... والا إلى مكة ونترعوى لفيصل بن سعود
ابن الإمام العادل المنصف على رغم الحسود ... وجاور الكعبة وزور المصطفى فخر الوجود

عليه صلى الله دائم عد حنات الرعود

(١) «ديوان ابن عبيد الله» ص(٤٠٥) وما بعدها، قسم التركيات وص(٤٣٨) وما بعدها «القصائد الإمامية» للسيد عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف، وغير هذين الموضعين من الديوان.

(٢) انظر: مقال الشيخ علي سالم بكير عن هذا الرجل وكتاب «نحلة الوطن» في مجلة الحكمة اليمانية، العدد (١٣٧)، إبريل (١٩٨٧م).




## التمايز الطبقي مظاهره ووسائل تكريسه

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: عدالة الإسلام وتسويته بين الناس:**

إن من أعظم المبادئ التي جاء بها الإسلام العدل بين الناس والتأكيد على المساواة بينهم من حيث الأنساب، فهم كما قال النبي ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»(١)، وحذر من الفخر بالأنساب فقال: «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عبّية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب»(٢)، وأبان الحكمة في جعلهم شعوباً وقبائل وأنها لمجرد التعارف فيما بينهم، وجعل علة التكريم والتفاضل بينهم هي التقوى قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣] ومع ذلك أكد على أخوَّتهم ووجوب العدل بينهم فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠] وأكد وحدتهم فقال: ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢] وأبان النبي ﷺ أن الميزة في الآخرة بالأعمال لا بالأنساب فقال: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(٣)،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٤١١).

(٢) رواه أحمد، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب (٢/ ٣٦١ ـ ٥٢٤)، والترمذي، كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات (٥/ ٣٨٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الشيخ الألباني في «غاية المرام تخريج أحاديث الحلال والحرام» ص(١٥٤)، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٥٢) (٤٠٧)، وأبو داود (٣٦٤٣). انظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٨٤) للإمام الحافظ ابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

وأنذر فاطمة فمن دونها من قرابته بأن مجرد قرابتهم له لا تغنيهم يوم القيامة فقال: «يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً»[(١)] وإذا كان هناك فضل بالنسب، وهذا الفضل قد حدد وفصل؛ وجب على الأمة الاعتراف به وأداؤه كما ينبغي، كالخصائص التي خص بها أهل البيت من حبهم واحترامهم والصلاة عليهم وحقهم في الفيء والخمس ومنع الزكاة عليهم، هذه الأمور معروفة وقد أقرها المسلمون وعملوا بها أو على الأقل أثبتوها في كتب العقائد والأحكام وطالبوا الأمة بأدائها، وما تكونت بسبب ذلك طبقة متميزة مترفعة على الناس بحكم نسبها في القرون الفاضلة ولا في سائر القرون، خلا في نطاق نفوذ الشيعة؛ فإنها الفرقة الوحيدة التي جعلت قضيتها الأولى تمييز آل الرسول ﷺ عن سائر المسلمين، وأسبغت عليهم أوصافاً وقضت لهم بأحكام ومنحتهم مزايا ما أنزل الله بها من سلطان، وما ادعاها آل البيت من العلماء الأفاضل في عهد الصحابة والتابعين قبل بروز نحلة التشيع الغالي، وكذلك الترفع على الناس بالعلم أو بالصلاح، فها هي طبقة أبناء العشرة المبشرين بالجنة بين سائر المسلمين وهم أفضل أمة محمد ﷺ بشهادة الرسول ﷺ لا بشهادة دجاجلة الصوفية أو رجال الغيب الذين هم شياطين من شياطين الجن أو الخضر المزعوم أو المرائي الموهومة أو الكاذبة، هل عرفت بين المسلمين طبقة مترفعة عنهم هي طبقة أبناء العشرة؟ كلا والله ما حصل بل كانوا يزوّجون الناس ويتزوّجون منهم، وكذلك طبقة العلماء والفقهاء هل ظهرت هذه الطبقة في غير نطاق الصوفية والقبورية أو الشيعة الغالية؟ الجواب: لا.

### المطلب الثاني: إثبات وجود طبقات مترفعة على المجتمع باسم النسب والعلم والولاية:

قد أخبر النبي ﷺ بأن عدداً من أمور الجاهلية ستعود إلى الأمة وتستمر فيها من الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[(٢)] وعادت تلك الأمور كلها إلى الظهور ومنها التفاخر بالأحساب والطعن في الأنساب.

ومعقول أن يتفاخر مِلِك مستكبر بآبائه وأجداده، وأن يتعاظم تاجر جاهل

---

(١) انظر: «مختصر صحيح مسلم» للحافظ المنذري ص(٣٦)، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

(٢) رواه مسلم (٥/ ٢٣٥) مع النووي، كتاب الجنائز، باب تحريم النياحة.

بماله، وأن يتباهى قبيلي متعصب بنسبه وحسبه، لكن من أغرب الأمور أن يتباهى صالح بصلاحه أو عالم بعلمه أو مدع أنه من آل الرسول ﷺ، وهو يعرف طريقهم ثم يتعالى على الناس بذلك!، لكنّ قوماً من اللائذين بهذا النسب والمستفيدين منه هم الذين سنّوا سنّة التفاخر والتعالي وادعاء أحقية الملك والخلافة بهذا النسب، وهم الذين ضخموا قضية أهل البيت وأحقيتهم بالإمامة حتى جعلوا ذلك أصل عقيدتهم، ومن قرأ أصول الإثني عشرية والإسماعيلية عرف ذلك، وعندنا في اليمن طائفتان تدّعيان ذلك، وتسخران كل جهودهما لتبنيه هما أئمة الزيدية الهادوية الذين ركّزوا على الخلافة الظاهرة وجعلوها محور عقائدهم وأحكامهم، وبسببها كفَّروا وضلَّلوا وفسقوا واستحلوا أموال مخالفيهم واشتد غضبهم على فرقة المطرِّفية وهي في الأصل منهم؛ حينما خالفت في مبدأ التفاضل بالنسب، وأجازت الإمامة في غير قريش فانتدب لهم معاصرهم الإمام عبد الله بن حمزة ووضع تلك القاعدة الظالمة التي يقول فيها:

أما الذي عند جدودي فيه ... فيقطعون لِسَنه من فيه
ويؤتمون ضحوة بنيه ... إذ صار حق الغير يدعيه[1]

وبناءً على ذلك قام بإبادة فرقة المطرِّفية إبادة كاملة، حتى لقد هدم مساجدهم وقراهم وقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ولا ذنب لهم إلا أنهم خالفوا في ذلك الأصل[2]، ومن عجيب ما فعل أنه كتب على جدار أو باب مسجده:

أقسمت قسمة حالف بر وَفِيّ ... لا يدخلنك ما حييت مطرفي

وقد وُضِعَتْ في ذلك أحاديث وقُعِّدَتْ قواعد ليس لها أصل.

وفي بلاد الشافعية وخصوصاً في حضرموت قامت خلافة باطنة إمامها القطب وسلاحها البرهان ووسيلتها لبسط نفوذها تفريق الأمة وتقسيمهم إلى طبقات، لكل طبقة وظيفتها التي تتكامل مع بقية الطبقات الأخرى في قيام تلك الخلافة الباطنة وترسيخها وحمايتها ومدها بكل ما تحتاجه من دعم معنوي وعسكري واقتصادي، وحتى السلطات السياسية جندت لخدمة هذه الخلافة، وإليك الأدلة على ذلك من كتب القوم أنفسهم.

---

(١) «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (١/ ٥٤٧).

(٢) انظر: «تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري» ص(١٨٢ ـ ١٩٢) علي محمد زيد.

قال ابن عبيد الله في رسالته «نسيم حاجر»: (إن العلويين الحضرميين ومن لفّ لفّهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه، إذ طالما سمعنا ممن لا يحصر عداً أو لا يضبط كثرة منهم من يقول: إنها لما زويت عنهم الخلافة الظاهرة عوّضوا بالخلافة الباطنة، فصارت إلى علي ثم إلى ابنه ثم علي زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق، وهكذا في الأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم، ألا ترى أنهم يقولون بقطبانية هؤلاء، وما القطبانية إلا الإمامة بنفسها، واذكر في الكتاب ما اتفقوا عليه من قطبانية الفقيه المقدم، ما يزعم له بعضهم من الخلافة الراشدة، وتأمل ما جاء في الحكاية (٣٣٧) من «الجوهر الشفاف» وما علق به عليها مؤلفه، فإنها صريحة في أن الشيخ السقاف ليس بحنبلي ولا شافعي ولا مالكي ولا حنفي، وإن تلك هي صفة القطب الذي يولي من يشاء ويعزل من أراد، لا رادَّ لحكمه ولا معقب لأمره، وما جاء في «النور السافر»، وتناقله من بعده الشيخ محمد بن أحمد باجرفيل من الاعتذار عن تصرفات الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس (العدني) وحاصله: أن العلامة بحرق سأله عن تصرفات مالية يباشرها الإمام العدني يقبضها ويصرفها بغير مصارفها في ظاهر الأمر، فقال له: أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد والتصرفات كلها. انتهى. وذكر هو وغيره أن الشيخ علي بن أبي بكر كان يشهد للعدني بالقطبية وهي الخلافة التامة الباطنية ليس غير، ولا ننسىٰ ما جاء في «عقد الجواهر والدرر» للشلي أن الشيخ علي بامحسون كان ناظراً على مسجد سرجيس «بتريم»، فطلب الإذن للتصرف فيما يتعلق بالمسجد من السيد عبد الله ابن الشيخ العيدروس الأوسط وقال له: إذا تحقق أنك صاحب الوقت، فأذن له بعد إلحاح، وما أكثر ما يتمثل به أعيانهم من قوله:

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم     من الملك إلا رسمه وعقابه

وممن تمثل به سيدي الإمام أحمد بن محمد المحضار في قصة طويلة ملخصها أنه حج في سنة وبمعيَّته السادة الأجِلّاء: عبد الرحمٰن بن علي بن عمر السقاف المتوفى «بسيئون» سنة (١٢٩٢هـ)، ومحمد بن علي بن علوي بن عبد الله السقاف المتوفى وهو ساجد بمسجد الشيخ عمر المحضار «بتريم» سنة (١٣٠١هـ)، وصديقي السيد شيخ بن محمد الحبشي المتوفى «بسيئون» سنة (١٣٤٨هـ)، فاجتمعوا بأحد الأمراء من الأشراف إما في «المخا» وإما في «أبي عريش»، فالعهد بالرواية بعيد، ولما أخبروه عن أمراء بلادهم بعد أن أحفاهم السؤال، قالوا له: إن أحدهم (وهو القعيطي) من حمير، والثاني (وهو الكثيري) من همدان، اقتحمتهم عينه، ولامهم

على خضوعهم لمن سواهم، فقال له المحضار: إنما هم خدم لنا، والأمر أمرنا، وتمثل بالبيت، والقصة مبسوطة «بالبضائع»، فتراهم لا ينظرون إلى غيرهم من الأمراء إلا بما ينظره الفقيه إلى ولاة الضرورة من نفوذ أحكامهم بقدرها خشية الاضطراب.

ومنهم من يرى أنه لا يقوم سلطان من غيرهم إلا كان عليه نظر من القطب صاحب الوقت، فيصير كالنائب عنه ليس إلا وهو موجود في كلامهم بكثرة، ورأيت بخط شيخ مشائخنا السيد عبد الرحمٰن بن علي السابق الذكر عن أبيه ما معناه: إن هؤلاء الأمراء لا يعدون إلا باغين ظالمين، وما أدري أقال ذلك من تلقاء نفسه أم كان ناقلاً عن أحد من الأئمة؟ فإن العهد بالاطلاع عليه قد تقادم، وسواء كان من مقوله أو منقوله فإن له اتصالاً بالقصة التي جرت لهم مع ذلك الشريف)[1].

وكذلك يقول صالح بن علي الحامد في «تاريخ حضرموت»: (ولما لدى العلويين في تلك العهود من الفضل والعلم يضاف إلى ذلك ما هم عليه من النسك والصلاح والقيام بوظيفة الدعوة والإرشاد وإخماد الفتن، كان لهم من الود والإجلال لدى جميع الطبقات في الشعب الحضرمي والثقة ما خوّل لهم قيادة الشعب وإدارة دفة الثقافة والتعليم فيه، وكوّن لهم بحضرموت سلطة دينية جعلت لهم بين السكان المكان المرموق والكلمة النافذة.

ويعلم باستقراء أخبار ذلك العصر أن الزعامة في العلويين بعد الإمام الفقيه المقدم بقيت في أبنائه يتداولونها، ثم إنها انحصرت بعد الإمام السقاف المتوفى سنة (٨١٩هـ) في ذريته خاصة. قال الطيب أبو مخرمة في «تاريخه» في ترجمة الإمام السقاف ما نصه: (ولأولاده ونسله إلى الآن الميزة والرئاسة على آل أبي علوي). اهـ.

وقد شهدت الدلائل والآثار على أن العلويين في تلك الأزمنة أداروا دفة الحياة الثقافية والإصلاحية بكل إخلاص، وساروا بالبلاد سيراً مرضياً في تواضع لا تشوبه أنانية، وفي نزاهة تامة وذلك ما جعلهم يرغبون عن الإمارة، ويتنحّون بكل قواهم عن كراسي الحكم، تاركين ذلك عن رضى واختيار لغيرهم، حتى قال البرزنجي: ما في آل أبي علوي إلا أنهم بلدهم لغيرهم، وهم وإن ابتعدوا عن الحكم ورغبوا عن الولايات اعتباراً لأنها من حظوظ الدنيا أو لغير ذلك، فإنها لا تقوم إلا على

---

(١) «نسيم حاجر» ص(٨ ـ ١٠).

تأييدهم، ولا ترسخ قوائمها إلا على إرادتهم غالباً منذ نزلوا بحضرموت، ولذلك لما ذكر الشيخ الشوّاف في منظومته الدارجة السيد علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى أشار على ما ذكرنا إذ قال:

والشيخ علوي الأول هو ذاك ذي قد دوّل
والأرض منها زوّل من كان جاهل بالله

وكلمات «دوّل الأرض وزوّل» لها مدلولاتها في الإشارة إلى التأثير في إقامة دولة وإزالة غيرها.

ومع ذلك فهم لا يزالون يراعونها عن كثب أشد الرعاية، ويتابعون تطوراتها وتغيراتها في حيطةٍ وحذر، باذلين في ذلك كل إرشاد وتقديم جهد المستطاع)[١].

وقال أحمد بن حسن العطاس: (وأهل البيت يستحقون الخلافة جميعهم بالنيابة عن متبوعهم الأعظم ﷺ، وإنما لا تظهر بكمالها إلا في فرد واحد، إذا جاءت نوبته المطلقة فحينئذ تحن إليه الأرواح وتعكف عليه الأشباح، بمعرفة خفية وشؤون جلية)[٢].

هذه هي مكانة صوفية حضرموت وبالذات آل أبي علوي عند أنفسهم ومن يدين لهم بالولاء والاتباع، وقد سخروا الخرافة أسوأ تسخير لتثبيت ذلك؛ فأظهروا للناس أن كل قيام دولة أو سقوطها إنما هو بإرادتهم، وكل نصر أو هزيمة لقبيلة فإنه مرتبط بسلطتهم أو سلطة أقطاب الصوفية الآخرين «المنطوين فيهم». يقول صالح بن علي الحامد: (ولم تتبدل الدولة «بتريم» حتى شاء الله، وذلك بعد أن رضي العلويون، ورأوا في ذلك المصلحة العامة)[٣].

وتلك السلطة الظاهرة عند أئمة الزيدية قد أذاقت الأمة صنوفاً من القهر والاستعباد والسخرة ضج منها الأحرار وسجلها المؤرخون وحملت المخلصين على العمل على محاربتها محاربة لا هوادة فيها، ذو الفكر بفكره وذو السياسة بسياسته وذو المال بماله حتى هيأ الله الانعتاق منها[٤].

وفي بقية المناطق كانت المعاناة أطول وأشمل؛ غير أن وقعها لم يكن بذلك

---

(١) «تاريخ حضرموت» ص(٦٤١ ـ ٦٤٢). (٢) «تذكير الناس» ص(٣٦٦).
(٣) «تاريخ حضرموت» ص(٦٤١).
(٤) انظر على سبيل المثال: كتاب «ابن الأمير وعصره»، وكتيب «الإمامة وخطرها على وحدة اليمن» للأستاذ الزبيري.

الظاهر المزعج كما هو شأن سلطة الأئمة، خصوصاً أن التمهيد لها والتربية عليها وإقناع الناس أن هذا هو واجبهم وأنه في مصلحتهم حيث سينالون بذلك بركة الأولياء وستفيض عليهم أسرارهم وإمدادهم؛ إن ذلك قد خفف المعاناة وأطال أمر الاستسلام لها.

وفي المطلب التالي ما يلقي الضوء على تلك السلطة وأساليب الاستفادة من سائر طبقات المجتمع.

### المطلب الثالث: مظاهر التمايز الطبقي:

وقد ترسّخ ذلك التمايز وظهر بعدة مظاهر:

**المظهر الأوّل**: تقسيم المجتمع إلى طبقات متفاوتة لكل طبقة ميزاتها وحدودها وعليها مهام وحقوق يجب أن تلتزم بها، مع أن للطبقة العليا الاستفادة من كل ما هو من حقوق الطبقات الدنيا ولا عكس.

الطبقة العليا (السادة): وهي ذات أرفع وأوسع امتيازاً وهم ذرية أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، ويسمون في حضرموت بـ (آل باعلوي) وهم فيما بينهم يتفاضلون كذلك كما سيأتي رغم أنهم ينتمون إلى رجل واحد.

الطبقة الثانية: المشايخ وهي مرتبة اصطلاحية لا تقوم على نسب معين إذ تنتمي فئة المشايخ إلى عدة قبائل، منهم من تنتسب إلى آل البيت، ومنهم إلى بقية بطون قريش ومنهم إلى غيرهما من سائر القبائل العربية، فميزتهم لا على سبيل النسب ولكن على مقياس التصوف. فأكبر أجدادهم إغراقاً في التصوف أرفعهم منزلة وأكثر أجدادهم «انطواءً في أهل البيت» أي تبعية لهم أرفعهم كذلك، مع ما يضاف إلى ذلك من صفة الفقه في الدين التي تحرص هذه الطبقة أن يكون منها من يتصف بها وخصوصاً في السابق.

والطبقة الثالثة: القبائل حاملة السلاح وهي التي بقيت متمسكة بأنسابها متعصبة لها متماسكة فيما بينها معتمدة على قوتها وحميتها.

الطبقة الرابعة: وهم القبائل العربية التي اندمجت في المجتمع وانشغلت بالحرف المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة وما يلتحق بذلك، وهؤلاء قد يتفاوتون أيضاً فيما بينهم بحسب مهنهم، وهذا التقديم والتأخير قد يختلف من منطقة إلى أخرى، ويسمون القرار أو الحرثان أو المساكين بحسب اصطلاح المناطق المختلفة.

والطبقة الخامسة: هم «الصبيان» أي الخدم و«العبيد» أي الموالي الذين كانوا مماليك وقد يفرق بين هاتين الفئتين فتصبحان طبقتين يقدم الصبيان على العبيد في بعض المناطق، ويقدم العبيد على الصبيان في مناطق أخرى[١]، وفي بقية مناطق اليمن تفاوت؛ وإنما قد يكون علة هذا التقسيم بشكل أقل، وقد تكون درجات سلم التفرقة أقصر.

والذي يظهر أن أساس هذه التفرقة وهذا التفاضل هو التسلط الروحي الذي فرضه شيوخ الطرق الصوفية يضاف إليه النسب الهاشمي الذي يفاخر به أولئك الشيوخ، وقد لعبت الخرافة دوراً بارزاً في هذا التمايز إذ قد بنى شيوخ التصوف لأنفسهم تلك المنازل وأشادوها بما يبثون في المجتمع من تلك الخرافات والتي هيأوا المجتمع للقبول بها وتصديقها والعمل بما تدعو إليه، وهكذا تكونت وتطورت عبر الأيام، فمن جمع بين شرف النسب العرقي والنسب الروحي فهو القمة في الشرف، وكلما كان غالياً في التصوف كثير الشطح والمجازفات والتبجح كان أرفع وأسمى، والدليل على ذلك أن آل باعلوي في حضرموت كلهم من ذرية رجل واحد، وكلهم قد اعتنقوا التصوف ودانوا به، بل إن معظمهم ـ إن لم يكونوا جميعهم ـ يرجعون إلى الصوفي الكبير «الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي» ومع ذلك يتفاوتون فيما بينهم، ويرى بعضهم لأنفسهم ميزة على غيرهم لانتسابهم لمن كان أكثر تصوفاً بل أكثر شطحاً ودعاوى، فهذا واحد من آل حامد من ذرية الشيخ أبي بكر بن سالم الذين يعدون أرفع السادة الحضارم منزلة يقول في أبيات له مفتخراً بنفسه وجماعته:

حامدي حامدي ما نا كاف ولّا خرد
حامد وترباة رخية ند عشرة يهد

يقول: هو من آل الحامد وليس من آل الكاف ولا من آل خرد، فآل حامد أشرف وأرفع قدراً من تلك القبيلتين رغم أن الجميع من آل باعلوي.

وقوله: ترباة رخية أي من سكان وادي رخية حيث تحولت تلك القبيلة من السادة إلى القَبَلِيَّة وحملت السلاح، فلذا فإنه «ند عشرة» أي مقابل عشرة في الحرب والضراب، وهي المعنية بقوله: «يهد» أي يقاتل.

---

(١) انظر: «الفكر والمجتمع في حضرموت» ص(٥٨ ـ ٦٦)، و«الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت» ص(٢٥ ـ ٤٠).

وفي المقابل يقول أحد المنتمين إلى إحدى القبائل التي تعد من المستوى الأقل عندهم:

لا جئت باماري صحابي ماشي معي بيرق وقبه
نحنا على دين الصحابة والكافر إلا في الهربه

يقول: إذا جئت لأفاخر أصحابي من القبائل المتعالية ليس معي حجة أقدمها؛ لأن ميزان التقدم هو البيرق والقبة شعار السلطة الصوفية، فكل ولي معترف به مسلّم له بالولاية والتقدم، فشعار الفضل والتقديم أن يكون على قبره قبة ولخليفته ومنصب مقامه بيرق[١]. وقوله في الهربة أي في (أوروبا).

وبهذا يتضح أن للقبورية أثراً كبيراً في هذا التمايز وأنه بقدر الإغراق في القبورية تكون الرفعة والمنزلة؛ ولأن الصوفية من عادتها أن تجعل موضع شيخ طريقتها مقدساً وتسبغ على خلفائه القداسة المقتضية للتسلط؛ ولأن تلك السلطة بحاجة لدعم معنوي ودعم سلاح ودعم مادي وأتباع تظهر بهم مكانة المتبوع فقد جاءت بقية الطبقات.

فطبقة المشايخ وهم الطبقة المثقفة الوحيدة في الغالب بعد السادة فإن مهمتها الدعم المعنوي من نشر لفضائل أولياء السادة وترويج لخرافاتهم وتعظيم لمقاماتهم بين بقية الناس، وكلما كان الواحد منهم أكثر تقليداً وفناءً فيهم كلما كان مقامه أرفع وثناؤهم عليه أكثر؛ ولذا فإنهم يمدحونه بأنه «منطوٍ في أهل البيت».

كما قالوا في الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، أو «خزانة آل باعلوي» كما قالوا في الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وهكذا، وطبقة المشايخ قد حصلت هي الأخرى على امتيازات متقاربة بقدر شهرة جدودها وسعة ولايتهم وسطوع برهانهم.

وأما القبائل فإنها القوة الضاربة في المجتمع، وقد تعمد السادة بدرجة أساسية وربما بعض المشايخ إبقاء هذه الشريحة جاهلة غير متعلمة ليسهل التحكم فيها وتسخيرها في مصالح أولئك الأسياد، فما من قبيلة من قبائل اليمن الشافعي إلّا ولها اعتقاد في ولي من الأولياء وتدين بالتبعية لخلفائه وتعطي العهود والمواثيق لكل من يتقلد المنصبة من خلفاء ذلك الولي، وهذا أمر متواتر لا ينكره أحد، وقد نص عليه

---

(١) يقول صاحب «تاريخ العرب»: والغالب أن مؤسس كل طريقة كان يصبح إمام مذهب صوفي، ويكتسب شيئاً من الصفات الإلٰهية ويصبح مقره بعد موته مقام تقديس واحترام. انظر: «الصلة بين التصوف والتشيع» (١/ ٤٧٤).

في بعض كتب التاريخ والتراجم وغيرها، ولدى تلك القبائل اعتقادات جازمة أنه متى ما أغضبت القبيلة خليفة الولي أو خفرت ذمة أحد من أفراد ذريته فهي معرضة للعقوبة من ذلك الولي، ولذلك فإنها تبادر باعتذار للأحياء والأموات وتقدم العقاير للأضرحة كما مر شرحه في فصل سابق.

وقد يحرك مناصب السادة والمشايخ مجاميع القبائل ويزجون بهم في حروبٍ يكون المستفيد الوحيد منها هو ذلك المنصب وأصحابه، وكم تراق من دماء وتذهب من أنفس في سبيل ذلك، وقد تسلط قبيلة على قبيلة أخرى يحركها المنصب؛ لأن إحدى القبيلتين خرجت عن الطاعة أو خفرت الذمة، كما أنهم قد يستخدمون تلك القبائل أو البعض منها في تطويع بقية الشرائح المنزوعة السلاح المستضعفة فيها إذا قصرت في أداء ما عليها من إتاوات مالية لمقامات المناصب والأولياء أو للحكام من السادة أو المشايخ، وهكذا فيما لو قصر أحد أولئك المستضعفين فيما هو متعارف عليه من السخرة والخدمة بل وبعض العادات التي تتجلى فيها إهانة للمساكين والعظمة والكبرياء للمتعالين[١].

وخذ مثالاً على تلك السلطة بذكر بعض الأسر ذات السلطة ومن يتبعها من القبائل، قال الشاطري: (ومن أبرز العائلات التي تحدرت منها المناصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم ولهم وجاهة عظيمة لدى القبائل اليافعية والمهرة والمناهيل وغيرهم، وآل العطاس ووجاهتهم أكثر لدى قبائل الجعدة ونهد، وآل العيدروس وجاهاتهم لدى القبائل الشنفرية والتميمية، وهذه أسر علوية شهيرة، وللمشايخ العموديين وجاهة عظيمة لدى قبائل دوعن، كما أن لآل أبي وزير وجاهة لدى قبائل الساحل، ولآل أبي عباد وجاهة لدى بعض القبائل البدوية، وهذه أسر شهيرة من المشايخ تحدرت فيها مناصب معروفة.

---

(١) وللإنصاف فإن السادة والمشايخ كثيراً ما يتدخلون في حال نشوب الحرب بين القبائل ويوقفون الحرب ويعقدون هدنة بينهم لا يجرؤ أحد منهم في الغالب على نقضها، وبذلك يصدون شروراً كثيرة ويحولون دون وقوع المزيد من إراقة الدماء، ولكن اللافت للنظر أنهم لا يسعون لحل القضايا حلاً جذرياً وإنما يوقفون الحرب القائمة فقط لتعود بعد الهدنة إلى ما كانت عليه أو أكثر، وهم كذلك لم يحاولوا إخراج تلك القبائل من جهلها أبداً ولم يقضوا على أسباب تلك الفتن والحروب، ولست أستطيع الجزم إن كان لهم في ذلك أهداف ومصالح أم أن الوضع غير قابل لها، مع أن تراجم الكثير من أقطابهم توحي بقدرتهم الفائقة على ذلك لو أرادوا.

وهناك أسر أخرى علوية وغير علوية لها منصبها ووجاهتها ألتمس العذر لعدم الإطالة بذكرها؛ لأن المقام يقتضي ذلك، كما أني من أجله لم يمكني التفصيل بتعدد أسماء القبائل المتعلقة لنفوذ المناسب، والمهم إعطاء صورة عامة عنها طبق الواقع إذ ذاك، ولكثير من المناصب خدم وحشم وخيول ومماليك، وعلم وطبول قلّ أن تفارقهم)[١].

وأما طبقة الحرثان «المزارعون» والتجار فإنها تمثل البعد الاقتصادي، فإنه من المعروف أن أرباب المقامات وخصوصاً المقامات الشهيرة كمقام منصب آل الشيخ أبي بكر في عينات، ومناصب آل العطاس في حريضة وعمد، ومنصب مقام الشيخ سعيد بن عيسى العمودي في «بضة»، وغيرها من المقامات فإنه قد فرض لها على كثير من الحرثان والذين يسمون «فقراء» ـ فقراء الشيخ أبي بكر، أو فقراء الشيخ سعيد ـ نصيب معلوم من زكاة أموالهم يوردونه إلى تلك المقامات، هذا بالإضافة إلى النذور والصدقات التي تشترك فيها جميع الطبقات وربما طلبوا منهم طلبات محددة في مناسبات معينة وهم لا يستطيعون بحالٍ رفض الطلب؛ لأنهم يخافون من بطشهم أحياناً بتسليط بعض القبائل عليهم، أو لخوفهم من الأولياء أن يغضبوا عليهم وينتقموا منهم.

وأما طبقة الصبيان والعبيد فإنها للخدمة في شتى شؤون المناصب والمقامات في كثير من الأحيان دون مقابل، ولا يستطيعون أن يرفضوا ذلك كما هو الشأن في الطبقة السابقة بل أشد، وتلك الطبقات المتسلطة لا تجد أي حرج في الاستهزاء والازدراء بالطبقات الدنيا وذمها وإظهار حقارتها، بل إذا أرادوا أن يمثلوا لدناءة الأصل ولؤم الطبع فإنهم يمثلون بهم دون أي تحرج، ولو على مسامعهم، وكمثال على ذلك استمع إلى هذه الحكاية من عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف مفتي حضرموت يرويها عن علي بن حسن العطاس صاحب المشهد والموصوف بالقطبية والعلم والأدب.

يقول ابن عبيد الله واصفاً شعر الحبيب علي بن حسن العطاس: (وله ديوان عذب كأنه اللؤلؤ الرطب وهو يمر في منظومه ومنثوره مع خاطره لا يتكلف ولا يتنطع ولا يدع شيئاً بباله إلا نفث به لسانه وعسل به قلمه، من ذلك أن جماعة من

---

(١) «أدوار التاريخ الحضرمي» ص(٢٩٠ ـ ٢٩١).

قرار شبام أتوا عنده فأكرمهم وأسبغ قراهم ومعهم جمّال من آل مهري سأل عنه الحبيب عند حضور العشاء فقالوا له: إنه عند المراكيب فأخِّرْ عشاءه حتى تفرغ، قال: لا يمكن أن نأكل إلا ويده مع أيدينا، واتفق أن الحبيب دخل شباماً بعد أمة من الزمان واجتمع بكل أولئك في الجامع، ولم يقل له أحد تفضل إلى منزلي وأَبَوْا بلسان الحال أن يضيفوه، فاضطر إلى الخروج من شبام قريب المغرب فلاقاه ابن مهري وعزم عليه وألح وذبح له منيحة ولده، فأنشأ الحبيب قصيدة يقول فيها:

علي بن حسن حوط الحيوار وأمسى مزار ... وأمسيت يا جحي جنة بعد ما كنت نار

يا لقروي القار يا عرق الحدج يا لحمار ... حب القبيلي وقيراط القبيلي بهار

وإن جئت صر القبيلي ما لطف في الصرار[1]

الشاهد من الأبيات قوله: (يا لقروى القار يا عرق الحدج يا لحمار) فهذا سب واضح فقول «القار» أي المر وهو كناية عن الخبث فقد وصفه بالخبث وكنّى عن ذلك بالمرارة التي شبهها بعرق الحدج «أي الحنظل» الذي يضرب به المثل في عدم الاستساغة، وأفحش من ذلك وأظهر جعله هذه الطبقة حميراً ولا يخفى ما في هذا الوصف من الفحش والبذاءة، ووصف أفراد الطبقات الضعيفة بـ«الحمار» عادة مستمرة إلى اليوم من قبل الثلاث الطبقات المتسلطة إلا القليل ممن عصمه الله بالعلم والخوف من الله تعالى.

**المظهر الثاني**: اعتبار الكفاءة بالأنساب، فالطبقة العليا لا تزوج الطبقة السفلى مع إعطاء العليا الحق في التزوج ممن هي دونها، وهذا مخالف لأصل العدل والمساواة في الإسلام الذي جعل التفاضل والتكريم بالدين لا بالنسب، وهو مخالف كذلك لأصل الكفاءة التي اعتبرها النبي ﷺ حين قال: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[2] وفي رواية: «كبير»[3]، وهذا المظهر ما زال قائماً إلى اليوم إلا ما شاء الله.

---

(1) «إدام القوت» ص(160).

(2) رواه الترمذي (3/ 385)، كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاء من ترضون دينه فزوّجوه، وابن ماجه (1/ 632)، كتاب النكاح، باب الأكفاء، والحاكم (2/ 164 ـ 165)، كتاب النكاح، والخطيب في «تاريخ بغداد» (11/ 61)، وحسّنه الشيخ الألباني في «الإرواء» (6/ 266 ـ 268).

(3) أخرج هذه اللفظة البيهقي في «سننه» (7/ 82). وانظر التخريج كاملاً في: «إرواء الغليل» (6/ 266 ـ 268).

ومن الأدلة على أن هذا الأسلوب مقصود، وله أهدافه التي هي ليست مجرد الجهل والعصبية، ما حدث بين الحضارم العلويين والإرشاديين في جنوب شرق آسيا من خصام بل صراع وصل إلى حد القتال وإراقة الدماء وما ترتب على ذلك من آثار كبيرة، وكان السبب في ذلك كله هو إفتاء الشيخ أحمد السوركتي شيخ الإرشاديين بجواز زواج العلوية من غير العلوي، فثارت ثائرة العلويين وأقاموا الدنيا وأقعدوها من أجل ذلك، وأُلِّفَت ردود كثيرة من كتب ومقالات صحفية وخطب ومحاضرات وغير ذلك، وقد ظهر من مجموع تلك الردود أن هذه الفتوى خطيرة غاية الخطورة على الترتيب الاجتماعي المستقر في حضرموت، وهدم له وإفقاد العلويين ميزة ظلوا محتفظين بها قروناً طويلة.

ولا أريد الإسهاب في هذا الموضوع فمن أحب الاطلاع عليه فليرجع إلى كتب ورسائل الطرفين ومن أشهرها رسالة «صورة الجواب» للشيخ أحمد السوركتي و«فصل الخطاب» للشيخ أحمد العاقب زميل السوركتي وأبرز مناصريه، وكتاب «القول الفصل فيما لقريش وسائر العرب من الفضل» للسيد علوي بن طاهر الحداد، وديوان ابن شهاب فله قصائد في الموضوع تمثل وجهة نظر العلويين، وفتوى السيد عمر بن سالم العطاس بتحريم زواج العلوية بغير العلوي، ومجلة المنار[(١)] الصادرة بالقاهرة ففيها مقال ضَافٍ للشيخ محمد رشيد رضا، وكتب التاريخ المعاصرة لتلك الحقبة والتالية لها.

أقول: إن مجمل ما دار في تلك المعارك وما ترتب عليها ليؤكد مدى اعتماد العلويين على هذا الأصل واهتمامهم به لما يترتب عليه من ميزة اجتماعية لهم.

**المظهر الثالث**: التميز بلقب «سيد» الذي كان مختصاً بالعلويين لا يشاركهم فيه غيرهم حتى من المشايخ الذين هم أرفع الطبقات بعدهم، وقد تناولت معاركهم المشار إليها سابقاً هذه الميزة، وقد جدّ الإرشاديون في تعميم هذا اللقب على كل رجل من أي طبقة كانت، وذلك بعد أن فقد معناه اللغوي، فلجأوا للعرف السائد لدى المعاصرين من العرب في شتى البلاد العربية من إطلاق سيد على الرجل وسيدة على المرأة المتزوجة، وقد نجحوا إلى حد كبير في تعميم هذا اللقب، والأسوأ من اختصاصهم بلقب سيد اختصاص رجالهم بوصف «الشريف» ونسائهم بوصف «الشريفة» والمبالغة في ذلك، حتى إن بعض الألفاظ أو التصرفات ليدل ظاهرها على

---

(١) الجزء (١٥)، العدد غرة شعبان (١٣٢٣هـ ـ ٣ سبتمبر ١٩٠٥م).

اختصاص الشرف بهم وأنه لا شريف سواهم، من ذلك أن يقف الرجل في بعض المناطق على المجلس الذي يضم عدداً كبيراً من الناس فيقول: (حد شريف في المجلس) أي: هل يوجد شريف في المجلس؟ فإن وجد أحد منهم قيل له: نعم هو ذاك، وإن لم يوجد قيل له: لا، فانظر كيف يترتب على هذا السؤال وجوابهم نفي الشرف عن جميع الحاضرين.

**المظهر الرابع والخامس**: تميز العلويين دون سواهم بتقبيل الأيدي ولباس العمائم بشكل خاص لا يشركهم فيه غيرهم، يقول صاحب تذكير الناس: (وسئل سيدي عن تقبيل أيدي الأشراف هل هو سنة أم بدعة؟ فقال ﵁: لمّا خرج السادة العلويون إلى جهة حضرموت ميّزهم أهل الجهة بعلامتين: العمامة، وتقبيل اليد، فالتقبيل بقي إلى الآن، والعمامة شاركهم فيها غيرهم، وكان سيدي إذا قابل أحداً من المشتهرين بالعلم والفضل أول مقابلة يقبّل ما بين عينيه ويقول: هذه خاصة للعلم ثم يصافحه، وكان لا يدع أحداً يقبّل باطن كفه بل يعاتب كل من أراد ذلك، ويقول: ما الفرق بين باطن الكف وظاهرها؟ أما يكفي ظاهرها عن بطانها، ولا يدع أحداً يصافحه قبل صلاة الصبح ويقول المصافحة بعد الصلاة أولى)[١].

## المطلب الرابع: نماذج من الخرافات التي استخدمها القبورية لتعميق سلطتهم واستعلائهم:

**النموذج الأول**: ما ذكره الشرجي في ترجمة الفقيه إسماعيل الحضرمي: (أن من قَبَّل قدمه دخل الجنة)[٢].

**النموذج الثاني**: ما ذكره الشرجي كذلك في ترجمة عبد الله بن عمر الناشري قال: (وبلغ في آخر عمره مبلغاً عظيماً من الصلاح حتى كان يقال: إن من قبَّل بين عينيه دخل الجنة)[٣].

**النموذج الثالث**: ما ذكره الشرجي في ترجمة علي بن أبي بكر بن شداد قال: (ومن كراماته أنه كان يقال: من مشى خلفه أربعين خطوة غفر له)[٤].

**النموذج الرابع**: ما ذكره الشرجي في ترجمة الفقيه أبي بكر بن محمد بن عمران قال: (وكانت له كرامات ظاهرة، منها أن بعض الناس رأى النبي ﷺ في

(١) «تذكير الناس» ص(١٠٦ ـ ١٠٧).
(٢) «طبقات الخواص» ص(٩٨ ـ ٩٩).
(٣) المصدر السابق ص(١٨٦).
(٤) المصدر السابق ص(٢٣١).

المنام يقول له: من قبّل قدم الفقيه أبي بكر دخل الجنة)[١].

**النموذج الخامس**: ما ذكره الشرجي في ترجمة عيسى بن حجاج العامري قال: (ويروى أنه دخل عليه بعض الفقهاء فرأى جماعة من أصحابه يقبّلون يده ورأسه عند الدخول وعند الخروج، فقال له: يا شيخ ما هذا التقبيل الذي ليس بسنة؟ فقال له: يا فقيه العبد المؤمن ريحانة الله في أرضه ولا بأس بشم الريحان عند الدخول وعند الخروج)[٢].

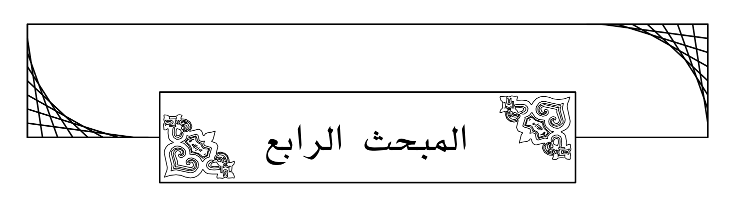
**النموذج السادس**: ما ذكره صاحب تذكير الناس قال: (وجاء في القراءة على سيدي في مناقب الشيخ سعيد بن عيسى العمودي أنه قال: من صافحني أو صافح من صافحني، فهو في الجنة، فقال سيدي أحمد: الحمد لله، قد صافحناه مراراً، فقال الحاضرون: ونحن نريد أن نصافحك، فقام الحاضرون فصافحوه، قال سيدي: وجاءت إليَّ شريفة من الصالحات من دوعن، وقالت: دعني أقبّل رأسك فإني رأيت رسول الله ﷺ يقول: من أراد الخير والبركة، فليقبّل رأس السيد أحمد بن حسن العطاس، فلم يرض ذلك، ثم جاء رجل آخر من الصالحين المحبين لأهل البيت وقص مثل الرؤيا السابقة، وطلب من سيدي تحقيق الرؤيا فتركه سيدي وما أراد من تقبيل رأسه الشريف)[٣].

**النموذج السابع**: قال صاحب تذكير الناس وهو يحكي كلام أحمد بن حسن العطاس فيما يتعلق بتقبيل الأيدي: (وقال: إني إذا دخلت على أحد من الصالحين يعني من أهل البرزخ، أبدأ أولاً بتقبيل قدمه، ثم تقبيل ركبتيه، ثم يده ثم رأسه ووجهه، وحضر عند سيدي جماعة من السادة أهل تريم، ومنهم الحبيب محمد بن سالم السري، فطلب الحبيب محمد المذكور من سيدي المصافحة كما صافحه النبي ﷺ والتشبيك كعادة السلف الصالحين، فصافحه وشابكه بيده، ثم طلب منه جميع الحاضرين المصافحة فصافحهم جميعهم)[٤].

فهذه سبعة نماذج كلها تدل على تعبيد الناس لهذه الطبقة المتعالية واعتبار أن تقبيل أيديهم وأرجلهم ورؤوسهم أمر مطلوب من قبل الله تعالى موعود عليه بالجنة ومغفرة الذنوب، وقد أخذ الناس بهذا وتداولوه وتزاحموا عليهم يقبّلون رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم، بل إن العادة في كثير من القرى والبوادي قديماً أن عوام الناس، من شيوخ قبائل فمن دونهم كانوا إذا دخلوا مجلساً فيه أحد من السادة جثوا على ركبهم وزحفوا كذلك من عند الباب إلى عند ذلك الرجل ثم قبّلوه.

---

(١) المصدر السابق ص(٣٨٥).
(٢) المصدر السابق ص(٢٥١ ـ ٢٥٢).
(٣) «تذكير الناس» ص(١٠٧).
(٤) المصدر السابق ص(١٠٧).



## المبحث الرابع

## انتشار الجهل والأمية في الأمة

**وفيه ثلاثة مطالب:**

### المطلب الأول: حال اليمن قبل انتشار التصوف من الناحية العلمية:

لقد كانت العلوم الشرعية شائعة سائدة منتشرة قبل ورود الصوفية وانتشارها في القرن السابع في جميع البلاد اليمنية زيدية وشافعية، ولكن بعد ورود التصوف وانتشاره بدأ العلم ينحسر في البلاد التي سيطر عليها، فيما عدا فترات متفرقة تكون الدولة فيها قوية محبة للعلم والعلماء فيزدهر العلم إلى جانب التصوف، ولكن لكل منهما كيانه المتميز بل ربما حصل الصراع العنيف بينهما كما حصل في زبيد أيام الدولة الرسولية، ولتصور حالة العلم فيما قبل انتشار التصوف يمكن مراجعة طبقات فقهاء اليمن للجعدي، فقد ذكر أعداداً كبيرة من العلماء من سائر مخاليف اليمن، ومن قرأ الطبقة السابعة من طبقاته[1] علم ذلك، فقد أورد أعداداً من العلماء من زبيد وسائر بلاد تهامة ومن إب والجند ولحج وعدن وأبين وشبوة وحضرموت وظفار وسائر بلاد اليمن الشافعي، وقد ذكر مؤرخو حضرموت أن العلم اندثر في أوائل القرن السادس حتى رحل الشيخ سالم بافضل لطلب العلم إلى أماكن عديدة منها العراق وغيره، وأطال الغيبة حتى ظن أهله أنه قد مات، ثم عاد بأحمال من الكتب فعكف على نشر العلم حتى (حصّل العلم على يديه خلق، حتى إنه ربما بلغ في تريم ثلاثمائة مفتٍ في عصر واحد)[2].

ومع أن هذا الكلام فيه مبالغة ظاهرة، إلا أنه يدل على كثرة العلم وتوفره في البلاد، ويشهد لانتشار العلم وظهوره في حضرموت ما ذكره الشلي في ترجمة الفقيه

---

(١) انظرها في: «الطبقات» ص(١٥٤).

(٢) انظر: «الجوهر الشفاف» (١/ ٦٢ ـ ٦٣)، و«تاريخ حضرموت» للحامد ص(٤٧٢ ـ ٤٧٣)، وقد مات الشيخ سالم بافضل ﵀ سنة (٥٨١هـ).

المقدم حيث قال: (وكان أهل حضرموت مشتغلين بالعلوم الفقهية وجمع الأحاديث النبوية، ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية ولا من يكشف اصطلاحاتهم السنية فأظهر الأستاذ «الفقيه المقدم» علومها ونشر في تلك النواحي أعلامها)[1].

فظهر من مجموع هذه النقول ومما أورده الجعدي في الطبقة المشار إليها كثرة العلم والعلماء وسعة انتشار العلم في جميع مخاليف اليمن، وأن تلك العلوم تشمل علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة وغيرها من العلوم النافعة، ولكن ما مصير تلك العلوم بعد ورود التصوف؟ هذا ما سنعرفه في المطلب الثاني.

**المطلب الثاني: أثر انتشار التصوف في انحسار العلوم الشرعية:**

التصوف يعتمد على ما يسمى بالعلوم الباطنة أو علوم «الباطن» والعلوم اللّدنية التي سبيلها الكشف والذوق والمَرائي، قلت: بل والدعاوى الكاذبة.

وهذه السبل لا يمكن أن يحصل بها علم الشرع قطعاً، إذ منهج تلقي العلم الذي سار عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم إلى يوم الناس هذا هو التعلم والجلوس إلى العلماء والرحلة إليهم والأخذ عنهم بمختلف طرق الأخذ المبينة في مواضعها، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك حيث قال: «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه»[2].

فلما تمكن التصوف في اليمن وانتشر، عزف الناس أو كثير منهم عن الطرق الصحيحة، واعتمدوا على تلك الطرق الواهية التي هي مقتبسة من وحي الشيطان لا من وحي الرحمٰن، فتأثر بذلك العلم الشرعي ونضب معينه، ولا يعني هذا أن العلم انتهى من اليمن ولا أنه ليس ممن ينتسب إلى التصوف عالم أو فقيه فهذا موجود، ولكنه ضعيف جداً، أما بعض العلوم كالحديث والتفسير وعلوم العقيدة فقد كادت تنتهي في بعض المناطق، ولم يسجل من هو عالم بها، مع إقامة الدليل على ذلك من وجود مؤلفات جليلة في ذلك العلم أو تخرج محدثين أو مفسرين على يد ذلك الشيخ.

وأما كثير مما نقرأه من تراجم أقطاب الصوفية وأوليائهم من أنه مفسر محدث فقيه فمعظم ذلك دعاوى لا دليل عليها في الواقع، وإلّا فأين مؤلفاتهم فيما يزعمون

(١) «المشرع» (٢/ ٥).

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٢٧)، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٠٥).

أنهم علماء فيه من تلك الفنون، وخصوصاً كبار الأقطاب والأولياء الذين تُسبغ عليهم صفات من قرأها حسب أن مؤلفات ذلك القطب تفوق في عددها مؤلفات السيوطي وفي إتقانها مؤلفات ابن حجر وفي تنوعها مؤلفات ابن الجوزي، فأولئك لم يثبت لأحدهم كتاب محرر محقق اعتمده الناس ودانوا به، ولم يذكروا في كتب مؤرخي العلماء ولا في طبقات الفقهاء إلا ما ندر ولا في طبقات المحدثين ولا المفسرين، بل لا يكادون يذكرون في كتب غير اليمنيين من المؤرخين، رغم تقدم تاريخ وفاة بعضهم.

وعلى كل حال فقد اعترف بعض مؤرخيهم بجناية التصوف على العلم وأثره في إضعافه، قال السيد صالح الحامد في تاريخه: (ومع ما أثره التصوف على العلويين بالخصوص بحضرموت من حيث الاجتهاد في النسك والعبادة وما أثره على الحياة العلمية والأدبية من أثر فعال صرف مجرى النشاط الدراسي للعلم عن مجراه السابق من المبالغة في التماس الفقه والحديث، وتلقفه عن الشيوخ والمحدثين والفقهاء، إلى تلقي التصوف والانقياد والتحكيم للشيوخ الصوفية، والتزام تعليمات ذلك ورسومه، أجل إنه مع ذلك فهو يراعي الأسباب المعاشية ويتخذ في فهم التوكل السبيل الوسط القائم بين الإفراط والتفريط، وبقدر ما فترت الوجهة العلمية شيئاً ما في ميدان الحديث والفقه والفنون العربية في الظاهر حينئذ في أبناء حضرموت، ازداد نشاطهم في مسرح التصوف، وإكبابهم على النسك والعبادة والمجاهدة)[١].

ثم ذكر تصوف القوم وما نالوا به من محبة الله وما فتح به عليهم من أذواق وتجليات ثم قال: (وبالجملة، فبمقدار ما نقصت العلوم الأخرى كالحديث وفنون العربية والأدب والشعر من إكباب وجدٍّ من جانب المتنورين والخواص بحضرموت في تلك العهود، زاد ذلك في ناحية التصوف والزهادة والاجتهاد في العبادة، أي أنهم بقدر ما فقدوا من كسب العلوم الظاهرة وفنون الأدب، قد حظوا بما منحوه من أذواق التصوف ومشاربه القربية، فكان لهم بذلك خير عوض)[٢].

وهكذا المؤرخ المعاصر السيد محمد بن أحمد الشاطري مع ثنائه على أهله وأهل بلده بالعلم والثقافة وتضخيم ذلك جداً، نجده لا يستطيع إخفاء ما لحق بالعلم من نقص بسبب التصوف الذي هيمن على حياة الناس، فها هو يقول: (إلا أنه مع الأسف نجد في كل جيل لاحق نقص في المستوى عن الجيل السابق من ناحية

---

(١) «تاريخ حضرموت» ص(٧١٨). (٢) المصدر السابق ص(٧١٨).

الغزارة العلمية، وكمال الاستقامة، وإن كان قد يوجد فيه أفراد ممتازون لا يدانيهم أحد من متوسطي الأجيال التي سبقت، وبلغ الحال بجمهور الأجيال المتأخرة، وحتى عصرنا هذا نقص الوعي العلمي والصوفي إلى درجة جعلت الفرق فاضحاً وواضحاً بينهم وبين جمهور من سبقهم، فشاهدنا كثيراً منهم يشتغلون بسرد كتب التصوف في المجامع ويتصوفون تصوفاً معكوساً، يستغنون بهذا عن الاشتغال بالعلوم الشرعية والعربية والعقلية والكونية، فتقلص ظل العلم والثقافة والعبادة والتصوف الحقيقي بهذا الإقليم الذي هو بأشد حاجة إلى نهضة علمية خلقية تجمع بين محاسن القديم والحديث.

فنحن لا نجازف وإنما نقرر الحقيقة إذا قلنا: إن رجال العلم والثقافة كثيرون في هذا الدور ويعدون بالآلاف وأكثرهم يتخصصون في العلوم التي أشرنا إليها؛ إلا أن روح الصوفية الفلسفية التي تأثروا بها جعلت أكثريتهم الساحقة ينكرون ذواتهم ولا يهتمون بالمظاهر ولا بكثرة التأليف رغماً عن غزارتهم العلمية، وعمق معرفتهم، ولا بتنميق العبائر وبهرجة الألفاظ، ونجد كتب التواريخ مشحونة بتراجم العديد منهم ومثلهم في علمهم بعلومهم والتزامهم بالمبادئ الإسلامية، وملازمتهم للطاعات وتهذيب النفوس مثل الغني الخبير في فنه بحيث لم يترك فيه زيادة رحمهم الله)[1].

ولم يكن الأمر مجرد انشغال بعلم الباطن والتصوف عن علوم الشريعة والعقيدة؛ ولكنه وصل الأمر إلى الحط من علوم الشريعة وتفضيل علوم الباطن عليها، وإليك بعض النماذج من ذلك:

**النموذج الأول**: ما أورده الشلي في ترجمة عبد الرحمٰن السقاف قال: (وكان يقول لهم: اجتهدوا في الأعمال القلبية فإن الأوقية من أعمال الباطن تعدل بهاراً من عمل الظاهر، وذكر في بعض الأيام في درسه فضل الفقه فعزم ولده عمر أن يفني عمره في الفقه ويترك غيره من العلوم فلما انقضى المجلس ناداه وقال له: يا عمر اجتهد في أعمال القلوب. إن الفقهاء معهم قبس ومع الصوفية جذوة، وأوقية من عمل الباطن تعدل بهاراً من عمل الظاهر)[2].

**النموذج الثاني**: ما ذكره الشرجي في ترجمة سفيان الأبيني قال: (كان فقيهاً عالماً فاضلاً عارفاً، اشتغل في بدايته بالعلم اشتغالاً كلياً، فسمع ذات يوم قائلاً

---

(١) «أدوار التاريخ الحضرمي» ص(٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٢) «المشرع» (٢/ ١٤٢).

يقول له: إن أردتنا فاترك القولين والوجهين، فترك ذلك واشتغل بالله تعالى حتى ظهرت عليه علامات القبول)[١].

**النموذج الثالث**: ما قاله أحمد بن حسن العطاس: («أهل البيت» طريقتهم العمل وما لهم من العلم إلا ما يرشدهم إلى العمل ويحفظه لهم. وأما باقي الأشياء يتلقونها من حضرة الفيض ويأخذون العلوم المطلقة والمقيدة من حضرة التقوى المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢])[٢].

**المطلب الثالث: تجهيل الأمة:**

مر بنا في المطلب الثاني كيف أثر انتشار التصوف في انحسار العلم بشكل عام حتى لدى الطوائف الساعية إلى التصدر والعلو، وإذا كان الأمر كذلك فليس من المستغرب أن ينعدم العلم لدى غيرهم من الطبقات، بل هذا هو الواقع الذي لا ينكره أحد، ولقد جأر بالشكوى الكثير من الغيورين حتى من السادة والمشايخ أنفسهم، غير أن ذلك لم يجدِ ولم يغير من الواقع شيئاً إلا في الفترة القريبة التي يسميها البعض عصر النهضة الحديثة.

وقد سبقت الإشارة إلى الشكوى المُرة التي أطلقها صاحب نحلة الوطن، أما علوي بن طاهر الحداد فقد بالغ في نسبة الجهل إلى بوادي حضرموت حتى شكك في إسلامهم ونقل عن عبد الله بن علوي الحداد ما يشهد لما يقول، حيث قال وهو يتكلم عن أسباب إنشاء رباط قيدون: (يحيط بقيدون من الجانب الغربي والجانب الغربي الجنوبي أهل بوادٍ في مسافة أيام يكثرون التردد إليها، فإذا كان فيها معهد علمي كان معيناً على ثباتهم على اسم الإسلام، والانتساب إليه، وإن كانوا خلوا من عقائده وأعماله وقد استبدلوا الجبت والطاغوت بأحكامه؛ وإنما بقوا على هذا الانتساب لعدم من يستجرهم إلى دين سواه، ولو وجد لم يكن عندهم ما يمنعهم من اتباعه لا من معرفة ولا تربية، ولا مخالطة لأهله ولا ثبات على شيء من عقائده وأركانه؛ فإنهم قد استدبروه جملة إلا أفراداً لا يبنى على مثلهم حكم، وعلى هذا أكثر البوادي بجهات حضرموت الباقية، حتى لقد قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد: إنا لا نقطع بإسلام أهل بوادي حضرموت، ولا نجد منهم ما يدل على إسلامهم إلا محبتهم للصالحين.اهـ. وكلامه ﷺ يفهم أن أهل زمانه منهم كانوا

---

(١) «الطبقات» ص(١٤٦).

(٢) «الرحلة المكية» ص(٩).

يحبون الصالحين لما هم عليه من الدين، وتلك محبة دينية لا شك فيها، ولكن أكثر أهل البوادي اليوم لا يعقلون لمثل هذه المحبة معنى، وإنما يعظمون من اشتهر عندهم بأنه يكرم[١] ويلوح[٢] فالحامل على تعظيمهم الرغبة في الكرامة، والرهبة من اللوحة، سمعت سيدي وشيخي وعمي الحبيب العارف بالله العالم العامل الزاهد صالح بن عبد الله الحداد يقول: جاء جماعة من البادية للزيارة، وجاؤوا إلى العرض عشية وأخذ الأخ محمد يعلمهم «مراده به شيخنا الحبيب محمد بن طاهر» فلما ذكر لهم البعث، قال أحد شبانهم: من التقت عليه الصروف ما عاد يثور أي لا يعود فيقوم، ومراده بالصروف جمع صرف وهي الأحجار الرقاق التي تسد بها اللحود، قال: فقال له شيوخه: هه! اسكت ما أحد يكذِّب كلام الصالحين، فكان عمي إذا حدث بهذه القضية يقول ما معناه: انظر فما هنا رب ولا نبي ولا قرآن، وإنما غاية ردهم: ما أحد يكذب بكلام الصالحين، فبواد قد عادت إلى مثل هذه الجاهلية ما أحقها بدعوة دينية يصرخ بها صاحب علم يهزهم[٣] هزاً ولا يكون ذلك إلا بكثرة الدعاة إلى الله ولن يوجدوا بغير تعليم)[٤].

وكفى بهذا النص تصويراً للجهل الذي خيم على البلاد رغم الدعاوى الكبيرة بوجود علماء أعلام عظام ومرشدين كبار؛ بل أقطاب وأغواث أقامهم الله تعالى لحفظ الكون وأهله، فأين كل أولئك عن هذه البوادي وهؤلاء العوام لينقذوهم من هذا الجهل البالغ والضلال البعيد؟! إن المتأمل للنص تظهر له حقيقة مُرّة هي أن هناك انحرافاً في منهج الدعوة والإرشاد والتعليم، فحب الصالحين الذي جعله عبد الله الحداد دليلاً على إسلامهم بل هو الدليل الوحيد على ذلك في نظره لم يأت من فراغ؛ بل هو ناشئ عن تعليم وتعبئة وتربية والذي علمهم ذلك كان بمقدوره أن يعلمهم محبة الله ورسوله ويعلمهم ولو بعض واجباتهم، فلما تعلموا محبة الصالحين ولم يتعلموا ذلك دل على أنّ من يأتيهم ويطوف بهم ويلتقي بهم في الملتقيات والزيارات من الوعاظ والمرشدين إنما كانوا يذكرونهم بمحبة الصالحين ويسردون على مسامعهم حكاياتهم ويعددون كراماتهم، مما أورثهم محبتهم والتعلق بهم

---

(١) أي: أن له كرامات يمد بها من يشاء.
(٢) يلوح في لهجتهم أي يضر ويؤذي من لم يعتقده أو من يؤذيه.
(٣) هكذا قرأناها لأنها غير واضحة في الأصل المنقول منه.
(٤) «الشامل في تاريخ حضرموت» ص(٢١٨).

والخوف من مخالفتهم أو إسخاطهم، ومن أوضح الأدلة على أنهم قد ربّوا على ذلك خوفهم الشديد من الأولياء مع عدم خوفهم من الله تعالى، والتجاؤهم إليهم ونذرهم لهم عند الأزمات والشدائد مع عدم التجائهم إلى الله أو النذر له، كل ذلك يدل على سوء التربية والانحراف في التعلم، وإن دعاة ومرشدي تلك الأزمان بدل أن يعبّدوا الناس لرب العالمين عبَّدوهم لآبائهم وأجدادهم.

وحقيقة أخرى يجب أن تقال وهي: إن ما ذكرناه آنفاً ليس هو الوصف الوحيد للجميع بل إن هناك أفراداً من العلماء والصلحاء كانوا سالمين من ذلك الانحراف فهم يسوؤهم انتشار الجهل، ويودون تعليم الأمة بعض أمور دينها وخصوصاً العبادات؛ ولكننا نجد أن بعض أولئك أيضاً يفرقون بين الناس، فأبناء السادة والمشايخ ومن يلتحق بهم يُفتح لهم باب التعليم كاملاً ويُحثون عليه ويدفعون إليه دفعاً؛ بينما أبناء الطبقات الأخرى يرون أن يقتصر على تلقينهم ما يحتاجون إليه من أمر العبادات مع منعهم من القراءة والكتابة حتى لا يلجوا باب العلم ويترقوا في سلمه؛ لأن ذلك مضر بهم ومضر بالأمة حسب زعمهم.

وإليك وثيقة مهمة تثبت ما أقول وتجلّي حقيقة تفكير القوم ومنهجهم في التعليم، وهي عبارة عن رسالة أرسلها أحد العلماء الغيورين والحريصين على تبصير الأمة بأمور دينها مما يتعلق بالعبادة فقط، ومع رغبة السيد المذكور في تعليم الناس على اختلاف طبقاتهم؛ إلا أنه لم ينسَ التأكيد على أن يكون ذلك التعليم عبارة عن تلقين فقط دون تمكينهم من الاعتماد على أنفسهم والسماح لهم بالانطلاق في ميادين العلم الواسعة، والرسالة نقلها بنصها محمد بن هاشم في تاريخ الدولة الكثيرية، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإليك مكتوباً عثرنا عليه كتبه بيده الحبيب أحمد بن عمر بن سميط العلوي إلى السادة العلويين بالجهة الشرقية ننقله هنا بنصه تبركاً وإفادة للقراء بمثال من تلك المساعي الطاهرة، قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم وبه الثقة، يخص سادتي الحبائب الأجلاء الأعلام الحبيب عبد الله بن الحسين بن طاهر، والحبيب عبد الله بن أبي بكر عيديد وكافة السادة من آل أبي علوي حفظهم الله وأدام النفع بهم لنا ولسائر المسلمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نعلمكم أنه وصل خط للفقير من السلطان عمر بن عبد الله بن علي بن مقيص الأحمدي، وعرف بالشأن الذي تصدى للقيام به، فالله يبارك له ولنا ولجميع المسلمين في ذلك، ويسخر له على ذلك أعواناً وبطائن من أهل العلم والفضل والصلاح، إذا نسيَ ذكروه، وإن ذكر أعانوه، ويشرح صدره لقبول نصحهم وإرشادهم في عافية للجميع. وإن رأيتم يا سادتي أن ترشدوه

وتعولوا عليه في أن يقيم عُلمة خاصة لتعليم مهمات الدين التي يلزم الكل تعلمها ولو بالرحلة ولو إلى الصين، ويحمل الكل من جهال طبقات الناس على دخولها من شريف وقبيلي وحراف وساني وسائل سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، ويكون ذلك تلقيناً من غير حضور قلم ولا دواة لما فيهما من المضرة لبعض الناس ممن يقل خوفه من الله كما تفيدون ذلك، ويُجعل لذلك ما يُرغِب أهل الفاقة والحاجة في دخولها للتعلم، كما لا يخفاكم أن ذلك من أهم المهمات ومن أقوى داعٍ لحصول النفحات، ورسّخوها في الجهة، المشار إلى ذلك بحديث: إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها. وهذا إن شاء الله من التعرض، ولا ترون علينا فالحاضر يرى ما لا يرى الغائب:

ومن عجب إهداء تمر لخيبر وتعليم زيد بعض علم الفرائض

والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. من المستمد: أحمد بن عمر بن زيد بن سميط)[١].



(١) «تاريخ الدولة الكثيرية» ص(١٦٢)، تأليف محمد بن هاشم، الجزء الأول، طبع على نفقة الخاصة السلطانية سنة (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م).



# الباب الثالث

# مواجهة علماء اليمن للقبورية

وفيه فصلان:

**الفصل الأول:** أساليب القبورية في محاربة خصومها.

**الفصل الثاني:** موقف علماء اليمن من القبورية وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها.

# الفصل الأول

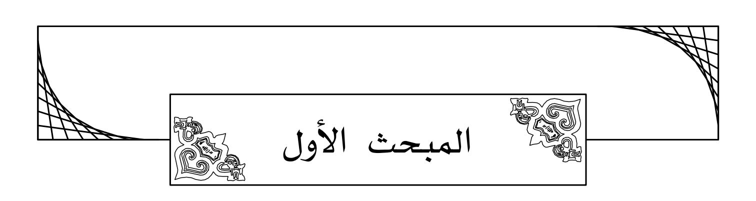
## أساليب القبورية في محاربة خصومها

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** أساليب الاحتواء والاختراق.

**المبحث الثاني:** الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية.

**المبحث الثالث:** استخدام القوة في محاربة الخصم.




# أسلوب الاحتواء والاختراق

## وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: محاولة احتواء المخالف:

إن رواد القبورية في الأمة الإسلامية هم الباطنية الشيعة، ومن جاء بعدهم من الصوفية، إنما هم تلاميذهم وأتباعهم والناقلون لعقائدهم وأساليب دعوتهم وطرق تثبيت دولتهم، مع شيء من التطوير الذي يتناسب مع وضعهم بين أهل السنة، ولا يخفى على من قرأ التاريخ براعة الباطنية في احتواء المخالف، والتأثير عليه بالطرق والأساليب الملتوية الكثيرة، وسنرى في هذا المطلب صورة منها، وهكذا تلاميذهم الصوفية استخدموا تلك الطرق والأساليب مع مخالفيهم هنا في اليمن، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

سبق عند الحديث عن الإسماعيلية بيان طرقهم في الدعوة، وكيفية الوصول إلى إقناع المدعو، والترقي به درجة درجة حتى يصل إلى القناعة التامة بما هم عليه، وهناك صورة واضحة في طريقة الاحتواء وتحويل الخصم إلى أن يصبح من أقوى المناصرين لهم، وهي احتواء علي بن محمد الصليحي الذي كان أبوه قاضياً من علماء أهل السنة خصوم الإسماعيلية، وكيف استطاع داعية الإسماعيلية احتواء ابنه علي حتى كان هو الذي أسس دولة الإسماعيلية الفاطمية في اليمن، قال الخزرجي: (أجمع علماء التاريخ ورواة الأخبار من أهل اليمن أن القاضي محمد بن علي الصليحي والد الأمير علي بن محمد الصليحي كان فقيهاً عالماً سنيّ المذهب، وكان قاضياً في بلده حسن السيرة مرضي الطريقة، وكان أهله وجماعته يطيعونه ولا يخرجون عن أمره، وكان الداعي عامر بن عبد الله الزواحي يلوذ به، ويركب إليه كثيراً؛ لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه، فرأى يوماً ولده علياً فلاحت له فيه مخايل النجابة، وكان يومئذ دون البلوغ، وكان الداعي عامر بن عبد الله الزواحي كلما

وصل إلى القاضي يتحدث مع ولده علي المذكور، ويخلو به، ويطلعه على ما عنده حتى استماله، وغرس في قلبه ولبِّه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مذهبه، وقيل: كانت عند الداعي عامر بن عبد الله الزواحي حلية الصليحي في كتاب «الصور»، وهي من الذخائر القديمة، فأوقفه منه على مستقبل حاله وشرف مآله، وأطلعه على ما أطلعه عليه سراً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعاً، ثم مات الداعي عامر بن عبد الله الزواحي، فأوصى له بجميع كتبه، وأعطاه مالاً جزيلاً قد كان جمعه من أهل مذهبه، وقد كان رسخ في ذهن الصليحي ما رسخ، فعكف على الدرس، وكان ذكياً فلم يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها، وبالجد السعيد تدرك غاية الأمل البعيد، فكان فقيهاً في مذهب الإمامية، متبصراً في علم التأويل، ثم صار يحج بالناس دليلاً على طريق السراة، ولم يزل كذلك نحواً من خمس عشرة سنة، وكان الناس يقولون له: بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره، فكره ذلك، ونكره على من يقوله مع كونه قد شاع على ألسنة الخاصة والعامة، فلما كان في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثار في رأس مسار وهو أعلى جبل في تلك الناحية)[١].

تلك صورة من صور الاحتواء الإسماعيلي للمخالفين، وفي تاريخ الصوفية الكثير من تلك الصور، من ذلك قصة الصوفي عبد الرحمٰن بن عمر باهرمز مع الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة، فقد كان الصوفي باهرمز له طريقة قبيحة في تصوفه، وهو أنه عندما يرد عليه الحال ـ كما يقولون ـ يجمع النساء الحسان متزينات بأحسن الزينة فيغنين ويرقصن حتى يذهب ما به، وهذا أمر منكر لا إشكال فيه، وقد سمع عمر بامخرمة بذلك فأنكره، وعزم على الذهاب إليه للإنكار عليه، فرحل أول مرة، ثم رجع من الطريق، ثم عزم وصمم حتى دخل عليه فلما رآه الشيخ كاشفه بنيته وعزمه وقال له: (عاد وقتك ما جاء)، فرجع إلى بلاده، ثم عاد الثالثة، وعند دخوله عليه أمر بعض النساء الحسان اللاتي يرقصن عنده أن تعتنقه، قال العيدروس: (فما هو إلا أن فعل به ذلك خر مغشياً عليه، فلما أفاق تلمذ للشيخ، وحكمه في ذلك الوقت، وفتح الله عليه ببركة الشيخ، وصار من كبار العارفين المربين، وقيل: إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال له: صلِّ ركعتين إلى المشرق، فامتثل، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه)[٢].

---

(١) «العسجد المسبوك» ص(٥٦). وانظر: «قرة العيون» ص(١٧٣ ـ ١٧٤).

(٢) «النور السافر» ص(٥٩).

**المطلب الثاني: محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطهم:**

إن البدع في الغالب تكون مخالفة للفطرة، مناقضة لأدلة الشرع وأصوله، يرفضها العقل السليم الذي لم يتلوث بأمراض الشبهات؛ ولهذا لم يبق أمام دعاة البدع إلا الكيد والمكر وأساليب اللف والدوران لمقاومة الخصوم والتغلب عليهم، وقبورية اليمن من أولئك المبتدعة، لم يدعوا أسلوباً من أساليبهم إلا اتبعوه، ومن ذلك أسلوب الدس والمكيدة وبث الفتنة في صفوف المخالفين، وإليك بعض الأمثلة على ذلك.

**المثال الأول**: ما فعله والي الدولة الصليحية على الجند من بث الفتنة بين فقهائها حتى يسلم هو وأهل نحلته من انصرافهم لمقاومتهم والعمل على إزالة دولتهم، قال الجندي في ترجمة الفقيه الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي: (وكانت مدرسة الفقيه عن يمين المنبر، وربما اتكأ وقت التدريس على المنبر، وكان أصحابه فوق ثلاثمائة متفقه، في غالب الأيام يقوم بإعالتهم قوتاً وكسوة، وكانوا يملؤون ما بين الباب والمنبر كثرة، وكان الفقيه أبو بكر شيخه يقرئُ في الزاوية التي تحت جدار بئر زمزم[1]، وكان أصحابه في غالب الأحوال نحو خمسين طالباً، هكذا ذكر بعض معلقي أخبارهم، ولم يزل ذلك من شأنهم حتى تمت الحيلة من المفضل[2] في التفريق بينهم، وذلك أنه مات ميت من أهل الجند، فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما يقبرون، وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند فحانت منه نظرة إلى المقبرة، فرأى فيها جمعاً عظيماً مبيضين، فسأل عن ذلك،فقيل: قُبرانُ ميتٍ، غالب من حضره من الفقهاء، فعرض بذهنه ما فعله ابن المصوع[3] مع أخيه حيث قتله، وقال: هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة، فكيف مع الكثرة؟ ثم قال لحاضري مجلسه: انظروا كيف تفرقون بينهم، وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف، فجعلوا يولّون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً، ويعزلونه، ويولّون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر، ثم يولّون إمامة الجامع كذلك، ثم النظر في أمر المسجد كذلك حتى ظهر السباب بين الحزبين، وكاد يكون بين الإمامين، فعلم الإمام زيد ذلك، فارتحل

---

(١) بئر في مسجد الجند يسمى بذلك.

(٢) المفضل: والي الصليحيين على الجند.

(٣) ابن المصوع: أحد فقهاء أهل السنّة ثار في جماعة على أخي المفضل أحد أمراء الصليحيين فقتلوه واستولوا مدة على قصره ثم أمسك بهم.

مهاجراً إلى مكة)[١].

فانظر كيف لجأ هذا الباطني الإسماعيلي إلى الدس بين هؤلاء الفقهاء الطيبين! وكيف استطاع بخبثه وطيبتهم أن يفرقهم، وأن يملأ صدورهم حقداً على بعضهم البعض حتى قضى على دعوتهم!.

**المثال الثاني**: ما ذكره الأستاذ صلاح البكري في «تاريخ الإرشاد بإندونيسيا» من عمل القبورية أصحاب الرابطة العلوية لزرع الفتنة بين أصحاب الإرشاد ـ لولا أن سلم الله ـ وقُضيَ على الفتنة قبل استفحالها.

قال الأستاذ البكري تحت عنوان «أول مؤامرة ضد جمعية الإرشاد»: (من الأحداث الخطيرة التي قام بها دعاة العنصرية، تلك المؤامرة ضد حياة جمعية الإرشاد الإسلامية، فقد اتصل بعض آل باعلوي وأنصارهم برئيس الجمعية الشيخ سالم بالوعل، وسيطروا على عواطفه بأوهام فارغة، وهيمنوا على أفكاره حتى صار كالآلة الصماء في أيديهم، ولا غرابة، فهو أمي ساذج أو كما يقول الحضارم: «على تَوّه»، واقترحوا عليه إبدال اسم «جمعية الإرشاد» بالجمعية الكثيرية؛ ليدخل في الإدارة أعضاء من قبيلته آل كثير؛ ليفوزوا بالأكثرية عند اجتماع الإدارة، وأزمع الشيخ بالوعل على ذلك، ثم أعلن لجميع الإرشاديين في العاصمة وفي خارجها ليجتمعوا في جاكرتا (بتافيا)، وأقبل الإرشاديون أفراداً وجماعات من العاصمة ومن خارجها، فشك البوليس الهولندي في هذا التجمع الذي لم يسبق له مثيل، فاتصلوا بنقيب العرب الشيخ عمر منقوش، يستفسرون منه الأمر حتى اطمأنوا، ولما رأى الشيخ بالوعل قدوم الإرشاديين أعلن تأجيل الاجتماع إلى أجل غير مسمى. ولكن وفود الإرشاد قررت إقامة الاجتماع كما نُشر في الصحف، وفعلاً اجتمعوا في دار الجمعية وأحضروا كاتب عدل ومحامياً، وتقرر في هذا الاجتماع فصل الرئيس الشيخ سالم بالوعل من الإدارة ومن الإرشاد، وتكونت إدارة جديدة للإرشاد من كبار الشخصيات وهم:

| | |
|---|---|
| الشيخ غالب بن سعيد بن تبيع | رئيساً |
| الشيخ محمد عبيد عبود | كاتباً |
| الشيخ عبد الله بن عبد القادر بن هرهرة | أميناً للصندوق |

---

(١) «السلوك» (١/ ٢٦٣).

الشيخ سالم عمر بالفاس مستشاراً

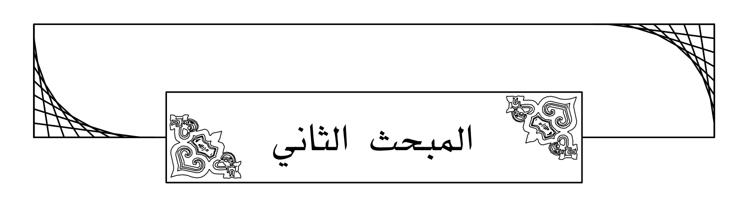
كان ذلك عام ١٩٢٠م.

بذلك سلمت جمعية الإرشاد من المكيدة التي دبرها المرجفون والرجعيون ودعاة العنصرية ومن على شاكلتهم من الأغبياء والمخدوعين.

أما الشيخ بالوعل فقد اعتبر فصله من إدارة الإرشاد ومن عضويتها إهانة شنيعة؛ لذلك رفع دعوة ضد جمعية الإرشاد هي والأعضاء الجدد الذين أدخلهم في العضوية قبيل حضور الوفود، وذهب بهم إلى دار الجمعية فوجدها تحت حراسة البوليس، فعاد إلى منزله بزملائه الأعضاء، وهناك قرروا إبطال قرار الفصل وحل جمعية الإرشاد، ثم رفع دعوة ضد الإدارة الجديدة بأنها غير شرعية، ولكن أراد الله لجمعية الإرشاد أن تزدهر ويتألق نجمها في إندونيسيا، ثم أُسدل الستار على الدعوتين إلى الأبد[١].



(١) «تاريخ الإرشاد في إندونيسيا» ص(٢٢ ـ ٢٣)، تأليف صلاح عبد القادر البكري، الإدارة المركزية لجمعية الإرشاد الإسلامي، جاكرتا، إندونيسيا، الطبعة الأولى (١٩٩٢م).




## الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية

**وفيه مطلبان:**

### المطلب الأول: تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم:

وهذه سمة أخرى من سمات الباطنية أن يربوا المجتمع بشكل عام على التسليم لهم وعدم معارضتهم، وأن المعارضة سبيل إلى الحرمان، وما أفلح من اعترض، والفوز والقبول في التسليم للقادة والأئمة والأولياء؛ وذلك أن علومهم الباطنة المزعومة لا يمكن إقامة الحجة عليها، فلا كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عقل يمكن أن يدل عليها، فما بقي إلا أن يسلّم السامع، وأن يلغي عقله حتى لا يحرم، وكذلك تصرفاتهم المخالفة للشرع والعقل لا يمكن تبريرها إلا بذلك، ولو ذهبتُ أبحث عن الأمثلة، وأحصرها لضاقت عنها مساحة هذا المطلب، ولكن أضرب أمثلة قليلة تدل على أمثالها وأشكالها:

**المثال الأول**: في كتاب «السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية» التي ألقاها صاحبها (علي الحبشي) في مجالسه التي كان يعقدها؛ لتعليم الناس وإرشادهم؛ ولتدريس وتربية طلابه، وتلقاها وجمعها أحد طلابه وهو (محسن بن عبد الله بن الحبيب الإمام محسن بن علوي السقاف)، وردت هذه الحكاية، قال: (وأورد الشيخ عبد العزيز الدباغ كلاماً في حسن الظن وكونه نافعاً، وإن لم يكن المعتقَد فيه متصفاً بذلك، فقال: كان رجل تاجراً وله مال كثير، فاشتاقت نفسه إلى ما مع الرجال أهل الكمال، وعزم أن يتجرد إلى الله، وينقطع إليه، وكان في البلد رجل مشهورٌ بالصلاح وتربية المريدين، وهو في الباطن على خلاف ذلك، فكان إذا رجع إلى خلوته يأتون إليه ناس من أصحابه على طريقته، فيلهون ويسكرون، فباع الرجل التاجر جميع ما معه وصيره نقداً، ثم سار إليه ومعه ذلك المال؛ ليتحكم له ويوصله إلى الله، فصادف وقت خلوته، فلما دق الباب أشرفت جارية، فقالت: من بالباب؟ فقال: عبد العال، وكان واحد من أصحابه أهل الملاهي اسمه عبد العال،

فلما أخبرت الشيخ باسمه ظن أنه صاحبه، فقال لها: افتحي له الباب، فطلع الرجل، فوجد الجواري والشراب وآلات اللهو عنده، فما التفت إلى شيء قط بل جثا بين يدي الشيخ، فخجل لما رآه غير صاحبه، وهو يظهر الصلاح، فقال له: يا سيدي، أنا رجل أريد الطريق إلى الله، وأريد أن تسلّكني، وتدلني على الله، وهذا ما معي من المال، فلما وضعه بين يديه تقاصر الخجل، فقال: إن الوظائف جميعها مشغولة إلا عمل في حديقة لنا بعيدة، خذ المكتل والمسحاة، وسر إليها، واشتغل فيها إلى أن يفتح الله عليك، فامتثل أمره، ولم يغير حسن ظنه فيه ما شاهده عنده، وحين وصل إلى الحديقة، ابتدأ في العمل، ومات أحد الأبدال في تلك الليلة، فاجتمعوا هم والقطب، فقالوا: من يصلح بدله؟ فقالوا: فلان، يعنون ذلك الرجل الذي في الحديقة؛ بسبب حسن ظنه، فدعوا منه، وقالوا له: خذ هيل بلا كيل، واتصل بربه، فاطلع على حالة شيخه، فقال: أنا قد أدركت مطلوبي، وهو يصطلح هو وربه)[(١)].

هذه هي التربية التي يربون بها أتباعهم، وينشئون عليها أجيالهم، فهل سيكون لدى خريج هذه المدارس أي غيرة أو نخوة تدفعه لإنكار منكراتهم، والاعتراض على أي شيء يقدمون عليه من أقوال أو أفعال مهما بلغت في القبح والسوء؟! وليس هذا هو المثال الوحيد، ولكن الأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

**المثال الثاني**: ما ذكره الشلبي، وهو يتحدث عن كرامات الأولياء ووجوب التسليم لهم فيها، وإن ظهر منهم أي مخالفة، فإنهم لا شك أن لهم في الباطن ما يسوِّغ ذلك، قال: (وأنا أورد قصة، فيها أبلغ زجر وآكد ردع من الإنكار على أولياء الله تعالى وأتمّ حث على اعتقادهم والتأدب معهم وحسن الظن بهم ما أمكن، وهي ما حكاه إمام الشافعية في زمنه «أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون» قال: دخلت بغداد في طلب العلم، فرافقت ابن السقاء بالنظامية، وكنا نزور الصالحين، وكان ببغداد رجل يقال له: الغوث يظهر إذا شاء، فقصدنا زيارته، ومعنا الشيخ عبد القادر الجيلاني، وهو يومئذ شاب، فقال ابن السقاء: لأسأله مسألة لا يدري جوابها، وقلت: لأسأله مسألة، وأنظر ما يقول، وقال الشيخ عبد القادر: معاذ الله أن أسأله شيئاً وأنا بين يديه أنتظر بركته، فدخلنا عليه، فلم نره إلا بعد ساعة، فنظر إلى ابن السقاء مغضَباً، وقال: ويحك يا ابن السقاء تسألني مسألة لا أدري جوابها، وهي كذا وجوابها كذا، إني أرى نار الكفر تتلهب فيك، ثم نظر إليّ وقال: يا

---

(١) «كنوز السعادة» ص(٣٧٤ ـ ٣٧٥).

عبد الله تسألني؛ لتنظر ما أقول فيها وهي كذا وجوابها كذا، لتخران[1] عليك الدنيا إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك، ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر، وأدناه منه، وأكرمه، وقال له: يا عبد القادر، لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك كأني أراك ببغداد، وقد صعدت الكرسي متكلماً على الملأ، وقلت: قدمي هذه على رقبة كل ولي، وكأني أرى الأولياء في وقتك، وقد حنوا رقابهم؛ إجلالاً لك، ثم غاب عنا، فلم نره بعد. قال: فأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله، وأجمع عليه الخاص والعام، وقال: قدمي هذه على رقبة كل ولي، فأجابه في تلك الساعة أولياء الدنيا، قال جماعة: وأولياء الجن، وطأطأوا رؤوسهم وخضعوا إلا رجلاً بأصبهان فسُلِب حاله، وممن طأطأ رأسه أبو النجيب السهرودي، وأحمد الرفاعي، وأبو مدين، والشيخ عبد الرحيم القناوي، قال ابن أبي عصرون: وأما ابن السقاء فإنه اشتغل بالعلوم حتى فاق أهل زمانه، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيح، وسمت مليح، فأدناه الخليفة، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم، فأعجب به، وجمع له القسيسين، وناظرهم، فأفحمهم، وعظُم عند الملك، فأراد فتنته فتراءت له بنت الملك، فافتتن بها، فسأله أن يزوجها له، فقال: لا إلا أن تتنصر، فتنصر والعياذ بالله، وتزوجها، ثم مرض، فألقوه بالسوق يسأل القوت، فمر عليه من يعرفه، فقال له: ما هذا؟ فقال: فتنة حلّت بي بسببها ما ترى، فقال: هل تحفظ القرآن؟ قال: لا إلا قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢]، ثم جاز عليه وهو في النزع، فقلبه إلى القبلة، فاستدار عنها، فعاد فاستدار عنها، فخرجت روحه لغير القبلة، وكان يذكر كلام الغوث، ويعلم أنه أصيب بسببه. قال ابن أبي عصرون: وأما أنا فجئت إلى دمشق، فأحضرني السلطان نور الدين الشهيد، وأكرهني على ولاية الأوقاف، فوليتها، وأقبَلت علي الدنيا إقبالاً كثيراً، فقد صدق الغوث فينا كلنا. انتهى.

فهذه الحكاية التي كادت تتواتر في المعنى بكثرة ناقليها وعدالتهم فيها أبلغ زجر عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقاء نعوذ بالله من ذلك)[2].

قلت: هذه من خرافات القوم ولا يرهبنا وصفه لها بأنها كادت أن تتواتر، فأين أسانيده بذلك؟ ثم لو فرض تواترها، فلا تعدو أن تكون من أخبار الكهنة الذين يخبرون

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «المشرع» (١/ ١٦٧).

ببعض المغيبات، ويصدقون في بعضها؛ لأن الولي الحق ليس من شأنه أن يظهر متى شاء، ويختفي عن الأبصار متى شاء، وليس من شأنه أن يبشّر عبد القادر بذلك العلو والاستكبار الذي يجعله يتحدى الأولياء ويقول: (قدمي على رقبة كل ولي)، ولكن الرجل قد بلغ بعض ما يريد من إقناع قرّائه بالتسليم للأولياء وعدم الاعتراض عليهم؛ لما يترتب على التسليم من الفوز والفلاح، وعلى الاعتراض من الطرد والحرمان.

**المثال الثالث**: ما نقله الشرجي عن أبي بكر بن أحمد بن دعسين في ترجمته أنه: (كان يقول: أقل درجات الإيمان أن تسلم للأولياء أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، فإن لم تعرف معناها، ولا اهتديت إليه، فاحمل جميع أمورهم على أحسن الأشياء وأعدلها، وما صح عنهم فسمع وطاعة وحب كرامة)[1].

قلت: هذه أقل درجات الإيمان فما أعلاها يا ترى؟.

**المثال الرابع**: ما ذكره صاحب تذكير الناس، قال: (وقال سيدي أحمد: وقد أمدّ الله الوقت للشيخ عمر أبي مخرمة من بعد العصر إلى المغرب ثلاثين ألف سنة، فاستشكل بعضهم هذا، فقال له سيدي: أما في بالك حديث يوم القيامة طوله خمسون ألف سنة، وأنه يكون على المؤمن كأخف صلاة صلاها في الدنيا وهذا منه، فقيل له: وكيف صارت كل المدة ليالي أو أياماً أو غير ذلك؟ فقال: هذا علم تصديق وإيمان، ما هو علم هاتوه أشوفه)[2]. فقوله: (هذا علم تصديق وإيمان ما هو علم هاتوه أشوفه)، واضح جداً أنه ليس من علم الدليل والحجة التي يصح أن يطالب بها السامع، وإنما هو علم تصديق وإيمان لا اعتراض وانتقاد، وقوله: (هاتوه أشوفه) يعني أرني إياه حتى أنظر إليه.

**المثال الخامس**: من قواعدهم المسلّمة وكلماتهم الدارجة المنتشرة، قول عبد الله بن علوي الحداد:

وسلِّم لأهل اللّه في كل مُشْكِلٍ ... لديك، لديهم واضحٌ بالأدلةِ[3]

وقول الآخر:

وإذا لم تر الهلال فسلِّم ... لأناسٍ رأوه بالأبصار

هذه خمسة أمثلة تدل كلها على ما عنونا له في هذا المطلب، وهو تربية الأمة

---

(١) «الطبقات» ص(٣٩٠).
(٢) «تذكير الناس» ص(١٢٥).
(٣) «الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم» لعبد الله بن علوي الحداد ص(٤١)، طبع مطبعة المدني بالقاهرة سنة (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م).

على الرضوخ والاستسلام وإلغاء العقول وتجاوز القواعد والأصول الشرعية؛ لأجل أن يمشي ما يريده القوم، ويسلم لهم ما يأتون من أقوال وأفعال دون حاجة إلى أدلة شرعية أو عقلية، وقد اقتصرتُ على هذه الأمثلة الخمسة مع وجود الكثير من الأمثلة في تراث صوفية اليمن، أما صوفية البلاد الأخرى فلا أخال قواعدها في هذا الموضوع خافية على المتابع لتواريخهم.

**المطلب الثاني: استخدام الخرافة[1] والشعوذة[2] والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف:**

لقد سعى الصوفية والباطنية لترسيخ وتعميق القدرات الخارقة للأئمة والأولياء، حتى لقد بالغوا في ذلك، فوصفوهم بعلم الغيب وتصريف الكون والقدرة على إظهار الخوارق التي لم يُظهر مثلها الأنبياء، وأنهم قادرون على أن يتجزؤوا بأجسادهم، وأن يكون الواحد منهم في عدة أماكن في آنٍ واحد، وكل ذلك قد مر، حتى أصبح حكم الناس على صلاح الشخص هو إظهاره تلك الخوارق مع ادعاء الولاية، وعندما ترسَّخ ذلك في أذهان المجتمع، وتربى عليه، بادروا بافتراء الأكاذيب ورواية الخرافات عمن يريدون أن يسبغوا عليهم صفة الولاية حتى يقنعوا الناس بولايتهم، كما بادر طلاب الجاه والمناصب في الرياضات الموصلة إلى خرق العادات، وتعلموا أنواعاً من علوم السحر، حتى أتقنوا ذلك، وعملوا به، وعقدوا الصلح مع الجن؛ ليقوموا لهم بأعمال خارقة يطلعونهم على مغيبات واقعة، ثم جعلوا ذلك كله سلاحاً يشهرونه في وجه كل من يخالفهم، وينكر عليهم، وهذه عدة أمثلة توضح ذلك وتثبته:

**المثال الأول**: ما ذكره الشلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة، قال: (وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ الإمام عبد الله بن علوي حتى غُشي عليه، ثم أقيمت الصلاة، فصلى معهم، فلما فرغوا، قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبد الله: صلى ابن أخيك بلا وضوء؛ لأنه زال عقله، فأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سلم فقال: وعزة الحق إني توضأت، وشربت من الكوثر، ونفض لحيته، فتقاطر منها الماء، ثم قال: يا فقيه، نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدكت، ثم أنشأ يقول:

الحب حبي والحبيب حبيبي ... والسبق سبقي قبل كل مجيب
نوديت فأجبت المنادي مسرعاً ... وغطست في بحر الهوى وغدي بي

(١) تقدم تعريف الخرافة في الباب الثاني ص(٤٣٣).

(٢) الشعوذة: خفة في اليد وأخذ كالسحر، يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين، وهو مُشعْوِذ، ومشعوَذ. انظر: «القاموس المحيط» ص(٤٢٧).

لي تسعة وثلاثة مع تسعة ‏ والعقد لي وحدي وعلا نصيبي
ما تعلموا أني المقدم في الملا ‏ ليلة سرى باليثربي سرى بي)[١]

فانظر إلى هذه الدعوة العريضة والتي برهانها أنه نفض لحيته، فتقاطر الماء منها، ولو كان ذلك الماء من ماء الكوثر، هل سيذهب هكذا هدراً ولا يعرف له ميزة عن غيره من المياه، ولا تظهر له رائحة، ولا يبقى في موضعه؟ إلى آخر ما يمكن أن يظهر من الدلائل، ثم أعجبُ لهذا الفقيه وسرعة تصديقه وتسليمه واقتناعه بما حكى هذا الرجل عن نفسه!.

**المثال الثاني**: ذكر الشلي في ترجمة الشيخ عمر المحضار أنه قال: (قال لابن أخيه الشيخ عبد الله العيدروس: إن رجلاً يغضب لغضبه جبار السماوات، وأشار إلى نفسه)[٢]، ثم استدل الشلي على إثبات ذلك بقوله: (وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء؟ فقال: إني لم أدعُ على أحد، ولكني إذا غضبت على أحد، وقع في باطني نار لا تنطفئ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض، أو يتوب)[٣]. هذه الحكاية الله أعلم بصحتها ولكن على فرض صحتها، فإنها رادع قوي لكل من يفكر أن يخالف هذا الشيخ، وربما كان ذلك من السحر إذ الصحيح أن الساحر قد يصيب المسحور بعوار واختلال في عقله أو في بدنه، والقصة بغضِّ النظر عن صحتها أو عدم صحتها فالغرض منها حاصل حين تُروى، ويتداولها الناس، فإنه يترتب عليها هيبة عظيمة من التعرض لإغضاب من يدّعي الولاية.

**المثال الثالث**: ما قدمناه في الباب الثاني في مطلب التصرف في الكون[٤] عن «مرآة الجنان»[٥] في قصة أحمد بن أبي الجعد وسعيد بن عيسى العمودي، حيث ذكر أنه عندما أقام ابن أبي الجعد الشيخ سعيد؛ للإنصاف من نفسه، قال: (من أقامنا أقعدناه فقال الشيخ أحمد: ومن أقعدنا ابتليناه، فأصاب كل واحد منهما ما قال لصاحبه، وصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلىً في جسمه حتى لقي الله تعالى)، وهذه الحكاية تصب في نفس الغرض، وهو إرهاب الناس من التعرض للأولياء ومخالفتهم.

---

(١) «المشرع» (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٤٢).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).
(٤) انظر: ص(٢٩٦).
(٥) وانظر أيضاً: «طبقات الخواص» ص(٧٣).

**المثال الرابع**: ما ذكره صاحب «تذكير الناس» عن أحمد بن حسن العطاس أنه ذكر حكاية طويلة منها أن عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس دخل مصر، قال: (وحصلت بينه وبين أهل مصر مناظرة في الإمامة، وقال لهم: أنا أحق بها منكم؛ لِمَا اجتمعَ فيَّ من الشرف والعلم والتبرع، فقالوا له: لا نسلم لك إلا بدليل، فتوجه بحاله إلى القناديل التي في المسجد فابتلعها، فقالوا له: هذه ولاية، ومسلّمون لك فيها)[1].

والحكاية ظاهرة الدلالة على أن برهان الولاية هو هذه الخوارق التي لا يبعد أن تكون من السحر.

**المثال الخامس**: ما حكاه الشلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة، قال: (وأكثر أعماله قلبيات، وكان يخفي أعماله عن أصحابه حتى عن أهله، وربما اعترض عليه بعض من اتصف بالعلم وليس من أهله، حتى إن بعضهم قام يصلي، والسيد عنده نائم، فقال في نفسه: أنا ساجد وقائم وهذا مضطجع نائم، ويدّعون أنه قدوة للعالم. فلما سجد عجز عن رفع رأسه، فتاب عما وقع له في نفسه، فأمر صاحب الترجمة بعض من عنده بأن يرفع رأسه من السجود، ولما فرغ اعتذر إليه، وعاهده على أن لا يعود)[2].

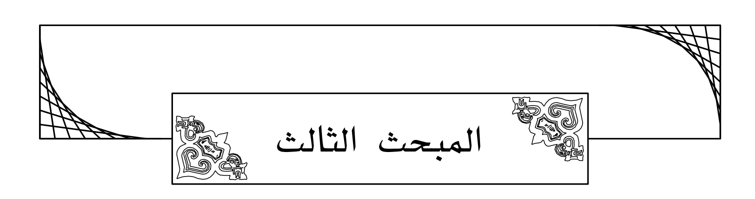
فانظر إلى ما لقي هذا العالم من العقوبة والتأديب لقاء اعتراضه على هذا الولي، ثم كيف سلَّم له ولايته، وتاب من الاعتراض عليه.

**المثالان السادس والسابع**: ما تقدم[3] نقله عن «تاج الأعراس» في مطلب استخدام الجن حيث نقلنا هناك حكاية سالم العطاس الذي كان له جني، اسمه «مزنقب»، وكيف سلطه على تلك القبيلة التي أبت أن تستقبل الركب العطاسي حسب تعبير المؤلف: (فصرخ بهم مزنقب صرخات، روّع بها نساء القبيلة وأطفالها؛ مما اضطر رجال القبيلة إلى الرضوخ لآل العطاس واسترضائهم والاعتذار إليهم وضيافتهم).

وحكايته مع شريف مكة وكيف فجّر «مزنقب» الماء في مجلس الشريف مما اضطره للتسليم له كذلك.

---

(١) «تذكير الناس» ص(١٢٩ ـ ١٣٠). وانظر: «تاج الأعراس» (١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).
(٢) «المشرع» (١/ ٢٠٠).
(٣) انظر ما تقدم: ص(٤٢٠).


المبحث الثالث

# استخدام القوة في محاربة الخصم

## وفيه أربعة مطالب:

### المطلب الأول: اللجوء إلى السلطان:

اللجوء إلى السلطان شأن المبتدعة والباطنية في كل زمان ومكان؛ لفقدهم الدليل المقنع، فيلجأون إليه، يداهنونه، ويطْرُونه، ليدافع عنهم وعن باطلهم، ويدفع خطر خصومهم:

لا يفزعون إلى الدليل وإنما ... في العجز مفزعهم إلى السلطان

ويقول العلامة الحسين بن عبد الرحمٰن الأهدل في كلامه عن الصوفية: (فإن عادة هذه الطائفة أعني «ابن عربي» وأتباعه التحبب إلى الدولة وإيراد أحاديث وروايات في فضائلهم، حتى يجعلوا السلطان الجائر من الأبدال[١] والعادل هو القطب، وربما ألقوا في سمعه أن له درجة التحكيم والتفويض فيما فعله بلا حرج؛ ولذلك لم يكد يتبع[٢] إنكار العلماء من قديم الزمان وهذا من مكرهم، قاتلهم الله)[٣]، وكلام الأهدل هذا هو الذي استفاض، بل تواتر معناه، وهناك مواقف كثيرة جداً للصوفية في التزلف إلى السلاطين والتمكين لأنفسهم لديهم منذ نشأة الصوفية إلى اليوم، والذي يعنينا هم صوفية اليمن وقبوريتها، فإليك بعض تلك المواقف: من ذلك تبشيرهم بالملك أو بخلوده في أعقابهم، ومنه ما ذكره الخزرجي في «العسجد» في ابتداء أمر الدولة الرسولية، قال: (قال صاحب السيرة المظفرية: أخبرني الشيخ الصالح سليمان بن منصور بن حزينة قال: لما وصل الملك

(١) في الأصل: «الأنذال» وهو غلط واضح. وقد صححه كذلك عبد الله الحبشي عند نقله في «الصوفية والفقهاء» ص(٧٤).

(٢) كذا هو يتبع، وهو محتمل، ومحتمل أن يكون (ينفع) هو الصحيح.

(٣) «كشف الغطاء» ص(٢١٨).

المسعود[١]، وعبر طريق خبت القحرية، وكان على قارعة الطريق شيخان من مشايخ الصوفية الصالحين، يسمى أحدها المغيث، والآخر الهدس، فقال أحدهما للآخر: هل ترى ما أرى؟ فقال له: وأي شيء تراه؟ قال: أرى شخصاً إن سار سار العسكر جميعه. فقالوا: لعله الملك المسعود فقال: لا، بل هو الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، والملك في عقبه إلى آخر الدهر)[٢].

ومن ذلك بشارة صاحبَي عواجة: محمد بن أبي بكر الحكمي، ومحمد بن حسن البجلي مؤسس الدولة الرسولية عمر بن علي بن رسول المذكور سابقاً بانتقال الملك إليه وتقوية عزمه عليه.

قال الأستاذ عبد الله الحبشي تحت عنوان «تاريخ الصوفية في عهد بني رسول»: (ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسوليين يبتدئ ببداية هذه الدولة، بل قبل البداية بسنوات عدة، فالمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الوطيدة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ـ حكمه من ٦٢٩ ـ ٦٤٧هـ ـ وبين الفقيه الصوفي محمد بن أبي بكر الحكمي سنة ٦١٧هـ وصاحبه الصوفي محمد بن حسين البجلي المتوفى سنة ٦٢١هـ وهما من كبار الصوفية في اليمن. ويقال: إنهما اللذان قوّيا عزمه في الاستيلاء على الحكم بعد مشاهدتهما تضعضع الدولة الأيوبية وتنافس أمرائها فيما بينهم على الحكم. ونحن إذا أدركنا أن موت الحكمي كان قبل قيام الرسولي بالحكم بنحو عشر سنوات، ندرك مدى العلاقة التامة بين الصوفية ودولة بني رسول، ولندع الباحث المعاصر الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، يشرح هذه المسألة، فيقول: (عرف ذلك الشاب المتطلع لملك اليمن عمر بن علي الرسولي وهما قد تنبآ له بالملك ما يمكن لطموحه المتطلع من الاستفادة من نفوذهما الروحي، فأخذ في تقديرهما، وكانا عند قدوم مساح الأرض الزراعية لتقدير الخراج على المزارع، يكتبان أغلب أراضي أهل جهاتهما، فلما جاء دور الفقيهين لمسح أراضيهما وأخذ الضرائب عنهما، عفا عنهما الأمير عمر بن علي الرسولي وقد بلغ ذلك نحو خمسة عشرة ألف دينار، وأدركا بلا شك مطمعه البعيد، فأخذا يروجان مقالتهما السابقة بملك اليمن له ويشيعان ذلك سراً، ثم يذيعانه مقدماً؛ لتهيئة النفوس والعقول لوثبته، وشاعت كلمتهما، فتقبلها الناس بالترقب)[٣]. إذاً فالدولة الرسولية،

(١) آخر ملوك الأيوبيين في اليمن. (٢) «العسجد» ص(١٩٢).
(٣) «التصوف في تهامة» ص(١١٩)، «الصوفية والفقهاء» ص(٤٥ ـ ٤٦).

تدين للصوفية بوجودها بعد أن مهدوا لها عند الناس، وأصبحت مما ينتظر وقوعه. ولا أحتاج إلى تعليق على ما قرره الأستاذان الحبشي والعقيلي.

ومن تلك البشارات بشارة الصوفي إبراهيم بن الحسن بن أبي بكر الشيباني للملك المظفر، قال الشرجي في ترجمته: (وكانت له كرامات ظاهرة، من ذلك أنه زاره الملك المظفر في أيام والده الملك المنصور بن رسول، ولازمه في الملك بعد أبيه، فضرب الفقيه بيده على كتف المظفر، وقال له: المُلك لك ولذريتك لا أسد الدين ولا فخر الدين، يعني بني عمه. وكان المظفر يخاف أن ينازعوه في الملك بعد أبيه، فكان كما قال. تولى الملك المظفر وذريته من بعده وبطُل أسد الدين وفخر الدين، فلما صار الملك إلى الملك المظفر، سامح الفقيه في خراج أرضه وأراضي أهله، ولم يزالوا على الجلالة والاحترام مدة المظفر وبعده)[١].

ومن تلك البشارات بشارة إسماعيل الجبرتي للملك الأشرف بانهزام جند قصدوه، فكان كما قال الشوكاني: (وصارت له عنده منزلة وكلمة لا ترد)[٢]. ذلك بعض ما لدى صوفية تهامة، ولدى صوفية حضرموت ما يشابهه، أو يزيد عليه. من ذلك ما ذكره صاحب «تاريخ الدولة الكثيرية» في ترجمة بدر أبي طويرق تحت عنوان «نسبه واهتمام العلويين به» قال: (تصدّى جماعة من السادة العلويين في أوائل ظهوره للبحث والتنقيب عن سلسلة نسبه، ثم أسفرت نتائج بحوثهم عما يأتي:

هو بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير بن ظنة بن عبد الله بن حرام بن عمر بن سبأ الأكبر، ثم ينتهي النسب إلى يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام.

هكذا جاء في دشتة العلامة زين العابدين بن عبد الله بن شيخ العيدروس العلوي، قال: ولما أن تحققوا صحة هذه النسبة ذهب سبعة منهم إلى ضريح النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، اعتكفوا هناك متضرعين إلى الله سبحانه، أن يقيض هذا السلطان لحفظ القطر كله. قال: وظهرت آثار الإجابة في السنة نفسها، إذ طرق بدر جميع الجهة الحضرمية، واستولى عليها من عين بامعبد غرباً إلى ظفار شرقاً، وذلت له رقاب أهلها في بضعة شهور، ولم يبق بها إلا مواضع

---

(١) «الطبقات» ص(٤٧ ـ ٤٨).

(٢) «البدر الطالع» (١/ ١٣٩) وسيأتي كلام الشوكاني كاملاً في هذا المطلب.

حقيرة، استكملها فيما بعد، كما سيأتي)[١]. فالقوم عندما لاحظوا أمارات النجاح وعوامل النصر واستعداد هذا السلطان لتكوين سلطنة قوية واسعة ذات نفوذ، أحبوا أن يكون لهم عنده يد، فمثلوا هذه الرواية، وأحكموا فصولها، وأقنعوا بها السلطان، وكسبوا وده.

وقريباً من ذلك فعل بعضهم مع منصب آل عمودي الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبي ست، قال علوي بن طاهر الحداد، وهو يتكلم عن نسب آل العمودي الذي أثبته محمد بن ياسين باقيس إلى أبي بكر الصديق في كتاب له باسم «النبذة»: (وفي هذه النبذة التصريح بنسبهم على ما يقوله السادة الأشراف العلويون وهو مخالف، لما يقوله المؤرخون، وسيأتي بسط القولين ومستندهما في بابه. قال: ـ أي الحبيب عبد الله الحداد ـ فزرنا الشيخ العارف بالله معروف باجمال مؤذن بضرفون[٢] ومن في تربته، وطلعنا بضة، واجتمعنا فيها بكثير من أهل الفضل من آل العمودي وغيرهم. منهم السيد عمر باعقيل باعلوي وزوجته الصالحة بنينة، ومن آل العمودي الشيخ عبد القادر والشيخ مطهر والشيخ عبد الرحمٰن والشيخ سعيد أولاد الشيخ الكبير الشهير عبد الله بن عبد الرحمٰن بوست،وهو والي منصب آل العمودي أعني: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن، وسمي بوست؛ لأن له في كل يد ست أصابع؛ لأنه شبيه بعبد الله بن عبد الرحمٰن ابن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنه جدهم، وينسبون إليه على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم في بعض مكاشفاته، ولا تكون إلا حقيقة؛ لأن الكشف الصادق إخبار عن عين اليقين، وهو حق وصدق، وقد أمر ﷺ بالأخذ بأقوال الصالحين في الأثر المروي عنه ﷺ، وهذا منه)[٣]، ثم قال: (وأما ما ذكره الشيخ محمد بن ياسين عن الحبيب عبد الله الحداد عند ذكر الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله أبي ست وانتساب آل العمودي إلى أبي بكر الصديق، وقوله: «على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم» فمراده بالبعض المذكور السيد الشريف أستاذ الفقهاء والمتكلمين، وإمام الزهاد الورعين أحد الأولياء المعتقدين عبد الرحمٰن بن علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمٰن السقاف، له كتاب فيه الوقائع التي وقعت له في اليقظة والمنام وما بينهما، وهي اطلاعات روحية، تتمثل لهم فيها المعاني والأرواح، ذكر أنه اجتمع

---

(١) «تاريخ الدولة الكثيرية» ص(٣٦).
(٢) موقع بقرب بضة بوادي دوعن.
(٣) «الشامل» ص(١٦٣).

بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسى، وسأله عن نسبه، فذكر له سلسلة نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والقصة أطول مما ذكرنا، وقد رأيناها بقلم بعض أشياخ آل العمودي)[١]، ثم قال: (وقد نقل الشيخ عبد الرحمٰن بن عثمان ـ الآنف الذكر ـ تلك الواقعة، وكتبها في مصحفه، ومنه نقلتها، وهي: وذكر الشريف عبد الرحمٰن بن علي: أن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الإمام أبي بكر الصديق كان له ست أصابع، السادسة على صورة الإبهام تليها. وكان ذا فراسة وفهم في الأمور. كان إذا دخل البلد لا يستطيع أحد من أهل البلد أن يكذب خشية أن يعرفه ويسمع كذبه بفراسته. وكان يقول له والده عبد الرحمٰن: سيخرج من صلبك ولدٌ اسمه كاسمك، وصورته كصورتك، والله إني أنظر إلى أصبعه الزائدة تتحرك عند حركتك، وتكون له فراسة كفراستك، وفهم كفهمك ووالله لولا أنه في غرة كل موجود ليس كمثله شيء، لقلت: إنك هو، وهو أنت. وكان الشيخ محمد بن عمر باعفيف يقول لشيخه الشيخ عبد الرحمٰن: ياسيدي، أهو قد ظهر؟ فيقول: لا، إلا أنه قريب الظهور انتهى. والحبيب السيد الشريف عبد الرحمٰن بن علي المنسوب إليه هذه الواقعة الكشفية الروحية ولد سنة (٨٥٠هـ)، وتوفي سنة (٩٢٣هـ). وقد تحققتْ بولادة الموعود به الشيخ المعمر عبد الله بن عبد الرحمٰن المذكور في أواخر القرن العاشر، وتوفي سنة (١٠٧٢هـ)، وكان له في كل يد ست أصابع، الزائدة على صورة الإبهام تليها. وهذه الحكاية من أغرب ما يروى)[٢]، وقد كان عبد الرحمٰن أبو ست العمودي حاكماً على منطقة دوعن مدة طويلة.

وهذه النماذج وغيرها كثيرة كافية للدلالة على منهج القوم في استرضاء السلاطين والحكام؛ لكسب تأييدهم، وضمان وقوفهم معهم ضد مخالفيهم، ولم ينتهِ هذا المنهج أو يتغير، فصوفية اليوم هم صوفية الأمس، وإن ما حدث أيام حرب الانفصال ربيع الأول ١٤١٥هـ من صوفية حضرموت لكافٍ في الدلالة على ذلك. فقد وقفوا مع الانفصاليين بكل ما أوتوا من قوة، وقد تبارى خطباؤهم في تأييد حركة الانفصال، وأصدروا البيانات المؤيدة لها، وأفتوا بأن القتال في صفوف الاشتراكيين جهاد في سبيل الله؛ لأنه دفاع عن الأنفس والأعراض والأموال إلى غير ذلك من المواقف، بل إن بعض من يكتب اليوم في التنظير للصوفية والدفاع عنها قد قَبِل أن يكون وزيراً للأوقاف في حكومة الاشتراكيين الانفصاليين، ولكن سرعان ما

---

(١) المصدر السابق ص(١٦٥ ـ ١٦٦). (٢) المصدر السابق ص(١٦٦).

تغيرت المواقف، وتبدل الولاء، وتناقضت الخطب والبيانات بمجرد انتصار القوات (الحكومية) وأصبحوا يتظاهرون بتأييدها، وأنهم كانوا مؤيدين لها طيلة المحنة التي مرت بها البلاد، ولا أدري كيف يثق الحكام بمن هذه مبادؤهم ومواقفهم؟! أم أنها مناورات من الطرفين على حد قول الأول: (كلانا عالمٌ بالترهات).

وإليك أخي القارئ الكريم بعض المواقف التي استعان فيها الصوفية بالحكام ضد مخالفيهم.

**الموقف الأول**: ما ذكره الخزرجي في ترجمة الفقيه حسين بن أبي بكر السودي، قال: (وكان فقيهاً صالحاً فاضلاً مشهوراً بالفقه والصلاح، وشهدت له كرامات كثيرة، وكان معظماً عند الناس، ولكن بلغ الملوك عنه أنه يتصل بإمام الزيدية في عصره، وهو محمد بن مطهر، فكرهوه، وهموا بأذيته، فكان لا يستقر في موضع ينالونه فيه، وكان ينكر على الفقراء الرقص والسماع؛ فلذلك أجمع الفقراء والفقهاء عليه، ولم يزل حذراً من السلطان حتى توفي في السنة المذكورة سنة «٧٠٤هـ»)[(١)].

**الموقف الثاني**: ذكره شيخ الإسلام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة إسماعيل الجبرتي، قال: (وكان أول ظهور أمره أنه بشّر السلطان الأشرف بانهزام جند قصدوه، وكان الأمر كذلك. وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا ترد، وكان منزله ملجأ لأهل العبادة ولأهل البطالة وأهل الحاجات، فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة، وأهل البطالة للسماع واللهو، وأهل الحاجات لوجاهته، فإنه تتلمذ له أحمد بن الرداد، ومحمد المزجاجي، فجالسا السلطان، وكان مغرى بالسماع والرقص داعياً إلى نحلة ابن عربي حتى صار من لا يحصل نسخة من الفصوص، تنقص منزلته عنده، واشتد البلاء على العلماء الصادعين بالحق، بسببه وفيه يقول بعض الأدباء، وكان منحرفاً عنه ومعتقداً لصلاح صالح المصري:

صالح المصري قالوا: صالح ... ولعمري إنه للمنتخب
كان ظني أنه من فتية ... كلهم إن تمتحنهم تختلب
رهط إسماعيل قطاع الطر ... يق إلى اللّه وأرباب الريب
سفل حمقى رعاع غاغة ... أكلب فيهم على الدنيا كلب

---

(١) «العقود اللؤلؤية» (١/ ٣٠٢).

وقد كان قام صالح المصري هذا على صاحب الترجمة، فتعصبوا له حتى نفوه إلى الهند، ثم كان الفقيه أحمد الناشري عالم زبيد يقوم عليه وعلى أصحابه، ولا يستطيع أن يغيرهم عما هم فيه؛ لميل السلطان إليه)[١]. فانظر كيف استُغِلَّ نفوذ هذا الصوفي على السلطان إلى هذه الدرجة من الظلم والاضطهاد للخصوم، وهناك مواقف كثيرة سيجدها المتتبع لو بحث عنها.

ولصوفية حضرموت مواقف تندرج في نفس هذا المسلك الدنيء، وتسير على ذات المنهج الرديء، وكان أبرزها في أثناء الصراع الذي نشب في إندونيسيا بين العلويين والإرشاديين: فمن ذلك سعيهم لدى حكومة بريطانيا وإقناع قنصلها في العاصمة الإندونيسية بتافيا (جاكرتا) بأن الإرشاد تعمل ضد السياسة البريطانية، قال صلاح البكري: (وقد تأثر القنصل لجهله حقيقة الإرشاد، فأرسل إلى الحكومتين القعيطية والكثيرية ليأخذوا حذرهم من كل إرشادي يدخل حضرموت، ويرسل المسؤولون في الحكومتين منشوراً على كافة الحضارم بإندونيسيا)[٢]. ثم ذكر نص البلاغ الذي يتهدد ويتوعد كل من بقي في جماعة الإرشاد، ويصفه بأنه عدو لوطنه ولمواطنيه عاقاً لهم مخالفاً لجماعتهم في كل مقوماتهم ساعياً في تسميم عقولهم وأفكارهم[٣]، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل تحول إلى اضطهاد حقيقي للإرشاديين في بلدهم الأصلي حضرموت، قال البكري: (لم يكتف آل باعلوي وغيرهم من المعارضين لثورة الإرشاد الدينية الحرة عند هذا الحد، فاتجهوا بوشاياتهم إلى حضرموت، واستطاعوا أن يؤثروا على السيد حسين بن حامد المحضار وزير الحكومة القعيطية بمدينة المكلا. فقد كان هذا الوزير يتلقى الرسالة تلو الرسالة من قريبه السيد محمد المحضار ببندووسو بجاوه، يحرضه على عرقلة كل إرشادي يأتي من إندونيسيا إلى وطنه بحضرموت. وقد تأثر الوزير بتلك الرسائل إلى حد كبير، فأخذ يضطهد كل إرشادي قادم إلى حضرموت، وأسهم في ذلك والي دوعن عمر بن أحمد باصرة ـ أسهم في التعذيب ـ إرضاءً لوزير الحكومة القعيطية)[٤].

---

(١) «البدر الطالع» (١٣٩١ ـ ١٤٠)، وقد ذكر طرفاً من قصة صالح المصري الخزرجي في «العقود اللؤلؤية» (٢/ ٢٢٥) في حوادث سنة (٧٩٧هـ)، وعبد الله الحبشي في «الصوفية والفقهاء» ص(١١٨).

(٢) «تاريخ الإرشاد» ص(٧٩).

(٣) المصدر السابق ص(٨١).

(٤) المصدر السابق ص(٨٤).

ولم يكتفوا بالتنكيل بالمنتمين إلى جمعية الإرشاد فحسب، بل تعدى الضرر والاضطهاد إلى أسرهم وأقربائهم للضغط عليهم وحملهم على إخراج أقاربهم من جمعية الإرشاد، وقد شرح ذلك الأستاذ البكري، وأوضح أن نائب السلطنة بدوعن تولى ذلك، وأورد على ذلك دليلاً هو رسالة من أحد أقرباء عضو من أعضاء الإرشاد. هذا نصها:

(الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

إلى جناب الأكرم المحترم العزيز الأخ سالم بن أحمد بامصفّر سلمه الله تعالى آمين. وعليه مني السلام وأزكى التحية والإكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام. صدر المرقوم من قيدون، والعلم خير ولطف وعافية، نرجو الله الكريم أنك وكافة المعارف بخير وعافية.

قد سبقت إليك جملة كتب وفيها من الحقائق كفاية، وعرفناك أن نحن بغيناك تخرج من هذه الجمعية «جمعية الإرشاد»؛ الله الله لحيث المشقة ضاوية علينا، وقد وصّىٰ لنا المقدم، وبتينا إلى عنده، وأعطى لنا مهلة لما شهر شعبان، من خرج من هذه الجمعية يخبر الحبيب محمد بن أحمد المحضار ولعاد عليه شيء، ومن لا خرج بايوصي المقدم لأهله، وأنت بُصْرك .الله الله في الجواب مطلوب وأما فينا فما تحتاج إلى وصاة والسلام.

حرر في ١٢ ربيع الثاني سنة: ١٣٣٨هـ.

**طالب الدعاء**

**محمد بن أحمد بامصفر)**[1]

ولم يكتف العلويون بذلك، بل ذهبوا إلى أبعد منه حيث وشوا إلى شريف مكة وحذروه هؤلاء الإرشاديين، ووصفوهم له بأنهم نواصب يبغضون آل البيت، ولديهم أفكار سامة، يريدون منعهم من الحج والعمرة ودخول أراضي الحجاز؛ حرصاً على سلامة أهله وسائر الحجاج من انتقال عدوى هذه الأفكار إليهم؛ ومنعاً من أن يلتقي هؤلاء الخوارج بإخوانهم الذين على شاكلتهم، يعنون أتباع الدعوة النجدية، وقد أورد البكري نص الرسالة المتضمنة لذلك[2].

هذه بعض الأدلة على لجوء القبوريين إلى السلطان أياً كان هذا السلطان مسلماً أو كافراً، ما دام أن الالتجاء إليه سيحقق لهم غرضاً.

---

(١) «تاريخ الإرشاد» ص(١٢١).

(٢) المصدر السابق ص(٨٢ ـ ٨٣).

وقد لفت نظري سقاف بن علي الكاف في مؤلفه «حضرموت عبر أربعة عشر قرناً» حين أرخ لهذه الحوادث، وقد حاول أن يضبط نفسه، وأن يقاوم مشاعره، فلم يتحامل تحاملاً ظاهراً على أصحاب الإرشاد، ولكنه أورد رسالته إلى وزارة الخارجية البريطانية ليومئ إلى القارئ أن هؤلاء القوم حملهم بغضهم لخصومهم وهواهم المتبع على أن يلجأوا إلى العدو الكافر، ويستعينوا به على خصومهم وقد نسي أن أصحابه قد فعلوا أكبر من ذلك وأكثر وليس فقط مع بريطانيا، بل مع بريطانيا وهولندا وغيرهما من دول المسلمين والكفار، وأن بريطانيا استجابت لطلب العلويين وجارتهم على رغبتهم، وضايقت الإرشاديين في بعض مستعمراتها[١].

**المطلب الثاني: اللجوء إلى القبائل المسلحة وحملها على إخضاع خصومهم:**

تقدم بيان ما وصلت إليه الصوفية القبورية من سلطة ونفوذ على القبائل، والإشارة إلى أنها تستخدم ذلك النفوذ ضد كل من يخالفها، وتسخرها لتهديد وأذية خصومها، وقبل أن نذكر تسخير الصوفية للقبائل في ضرب الخصوم الأباعد، نذكر قصة طريفة تؤدي الغرض، وتظهر مدى استخدامهم لذلك النفوذ والزج بالقبائل في فتن لا ناقة لهم فيها ولا جمل، قال محمد بن هاشم تحت عنوان «قضية التابوت»: (الذي يظهر أن نفسيات السراة والزعماء من السادة وغيرهم من أهل ذلك القرن قاسية متصلبة، لا تعرف المرونة، ولا تجنح إلى المجاملة. وربما تغلّب على القوم التعسف الأناني، والتعصب الأعمى الذي تنكره العقول، وتمجه الأذواق، وتقف الطباع السليمة حسرى دون شأوه. وقضية التابوت يستنتج منها ما ذكرناه، ويعلم منها مبلغ التخبط السياسي الذي تعانيه حضرموت في ذلك العهد وإليك ما قالوه عنها، قالوا: «وفي سنة ١١٦١هـ كانت واقعة التابوت الذي أرسله الشيخ العمودي لضريح الحداد، وهو شبيه التابوت الذي على قبر المحضار». فاختلف رأي السادة فبعضهم رضي ذلك كالحبيب أحمد بن علي ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ومنهم من لم يرض كالسادة آل العيدروس، وكذلك اختلف رأي القبائل على هذا حتى وقعت الحرب على وضعه. وأصابت رصاصة رأس السيد صالح بن علي بن أحمد ونفذوا به إلى

(١) قد يقول قائل: وأنت فعلت نفس الشيء، فذكرت ما صدر عن العلويين، ولم تذكر ما صدر عن الإرشاديين. قلت: لا سواء، فالكاف مؤرخ لحضرموت ومن المفترض أن يكون عادلاً منصفاً لكل أهل حضرموت، وأما أنا فقد حددت منهجي وهو الكلام عن الصوفية فقط ناقداً وكاشفاً عن حقيقتها، ولست مجرد مؤرخ ناقل للأحداث.

عينات حيث قضى نحبه. وبقي التابوت موضوعاً في بعض الديار بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامة البعسي، وصمم الحبيب أحمد بن علي على وضعه على الضريح فجاء الرتبة من يافع ووضع بحضورهم قيل: على رضى من آل همام ممزوج بخداع.

وبعد وضعه قام السادة آل العيدروس وعظم عليهم الأمر واستنجدوا بالشنافر وساروا على أحيائهم فصار بعد ذلك ما صار من حريق التوابيت كلها التي على القبور. ثم تراجع الناس واجتمع الرأي على إرجاع التوابيت فأعيدت على حالها وأصلحن بأعواد هندية مصهرة)[1].

ومما يظهر نفوذ أولئك الصوفية وتسخيرهم للقبائل ما قاموا به إزاء الحملة النجدية على حضرموت، والتي استهدفت وادي حضرموت من المشهد جنوباً غربياً إلى عينات في الشمال الشرقي، أو إلى قبر هود شرق عينات، فبعد الكر والفر والأخذ والعطاء، وحينما همَّ النجديون بدخول وادي عمد والذي أول مُدنهِ مدينة حريضة، جمع آل العطاس قبائل تلك المنطقة وكوّنوا منهم جيشاً كبيراً تصدى للنجديين وكسروهم وذلك عندما بدأ الضعف يَدبُّ فيهم بسبب هجوم محمد علي باشا على عاصمتهم الدرعية وقد فصل ذلك صاحب تاج الأعراس في عدة مواضع[2]، ومما قال وهو يتحدث عن القائد العام لجيش حضرموت علي بن جعفر العطاس: (ومما أكرمه الله به من دقة النظر، فمن فطانته ودقة سياسته أنه جعل على كل قبيلة من تعتقده وتحترمه من السادة المتقدم ذكرهم زيادة على غيره)[3]، وكانت القبائل التي جمعها آل العطاس وقادوها بأنفسهم قبائل الجعدة قال: (ومما يجدر بالذكر هنا أن المقدم عمر بن علي باصليب المشجري لما بلغه الخبر بهجوم الوهابيين على بلد حريضة جاء إليها في ثلاثمائة رام من قومه آل باصليب سكان حالة باصليب والمعقل بوادي عمد منجداً للسادة آل العطّاس وقبائل الجعدة ففرحوا بهم ومنهم، وشكر الحبيب علي بن جعفر المقدم باصليب وقومه.. إلخ)[4].

---

(١) «تاريخ الدولة الكثيرية» ص(١١٥ ـ ١١٦). وانظر: «جواهر تاريخ الأحقاف» (٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩)، تأليف العلامة محمد بن علي بن عوض باحنان، طبع مكتبة الفجالة الجديدة، القاهرة (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م).

(٢) انظر: (١/ ١٧٤) و(١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) و(١/ ٢٣٤).

(٣) «تاج الأعراس» ص(٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٣٤).

وهذا نموذج آخر من استخدام القبائل للحفاظ على مصالح آل باعلوي وإلا فالجيش النجدي ما كان يريد إلا أن يطهر البلاد من أدران القبورية، وأن يصلح ما أفسده الصوفية والقبورية من عقائد الناس، وصاحب المصلحة الحقيقية في ردعه وصده هم القبوريون. أما سائر الأمة فكان من صالحهم أن ينتصر وأن يزيل مظاهر القبورية التي أفسدت عقائد الناس، وأن يعلموهم دينهم كما حصل في المناطق التي استولوا عليها في كثير من أرجاء الجزيرة العربية كما قرر ذلك شيخ الإسلام الشوكاني في ترجمة «الشريف غالب بن مساعد» من «البدر الطالع» قال وهو يتكلم عن حروبه مع صاحب نجد «عبد العزيز بن سعود»: (فإن صاحب نجد تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة. فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز. ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئا ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها، ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام)[1].

وقد أكد ما قلت عن الجيش النجدي العلامة ابن عبيد الله في مادة المحيضرة من «إدام القوت» حيث قال: (ولم يفسد حرثاً ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب، وسوّى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب، كثره بعض العلويين، كصاحبنا الفاضل السيد علوي بن سهل بدون مبرر من الدليل)[2]. مع أن أهل حضرموت في تلك الفترة بأمس الحاجة إلى من يعلمهم أمر دينهم ويبصرهم بما هم عليه من أخطاء في العقائد والأعمال. فكان قيام تلك القبائل تضحية بمصالحها الحقيقية للحفاظ على مصالح سادتهم، ولما لم يكن هناك مقاومة تذكر من علماء حضرموت تستحق التصدي القوي لها باستخدام القبائل لم أر شيئاً واضحاً في ذلك إلا في الصراع العلوي الإرشادي، فقد حاول آل باعلوي أن

---

(١) «البدر الطالع» (٢/٥).

(٢) «إدام القوت» ص(١٢٢ ـ ١٢٣)، الحلقة (٤٠) المنشور في مجلة العرب.

يستفيدوا من نفوذهم الروحي على قبائل يافع، فكاتبوهم يحرضونهم على مواجهة الإرشاديين وقمعهم ولكن الأحوال قد تغيرت، والعقول قد تفتحت، والعقائد التي كانوا يعتقدونها فيهم قد ظهر زيفها، فلم يسعفوهم ولم يستجيبوا لمطالبهم، بل سخروا بها، وإليك بعض رسائلهم إلى قبائل يافع لذلك الغرض:

**الرسالة الأولى**: من محمد بن أحمد المحضار إلى علي بن حسن بن نقيب اليافعي قال فيها: (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله مهدي السلام الخاص من الشيخ المكرم والمحب المحترم علي بن حسن بن نقيب وعلى من بقي له اتصال بالحبيب والشيخ مولى الكثيب[١] وأما من خرج عن دائرة أهل البيت فيأكله الكلب أو الذئب، وما له في الأمر من نصيب، وكتاب الشيخ علي وصل وفرحنا به وزواج الأولاد صالح وصالح مبارك وقدوم إلى خير، وبودنا أن نرسل واحداً من الأولاد ولكنهم معذورون وبالنية حاضرون، والسلام وسلموا على الخال طالب عوض وسمعنا بعزمه إلى الحج والزيارة وربح التجارة وفرحنا له، ومنّ الله على الجميع، والسلام منا ومن الأولاد عليكم ولأهل الوداد. أما أهل الفساد «يعني الإرشاديين» فلهم الإبعاد وأشد من بعد عاد والمولى بالمرصاد والشفيع سيد الرسل يوم الميعاد والتناد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. وبلغنا أن الإمام «يحيى إمام اليمن» مجهز على يافع، ويافع لا يصلح الأمر ويطفي الجمر إلا الأخ محمد بن علي الحييد؛ لأن الإمام يكاتبه ويافع قدهم حقه[٢] أن بغيته يعزم أجمعوا على الذي يليق به من الخرج والفتح على يده، وخبر الإمام واجب الانتباه له ـ يعني إمام اليمن ـ لأن الأمر مهم جم جم، ومعه قصد ـ لعل الكاتب يقصد من سؤاله غزو حضرموت ـ لا يقدرون يافع ولا غيرهم بمقاومته وهو هزم التركي ومعه دولة كبيرة والله يختار.

**حرر في بندووسو في ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨هـ**

**الداعي/ محمد بن أحمد المحضار[٣]**

---

(١) مولى الكثيب: هو أبو بكر بن سالم صاحب عينات، سمي مولى الكثيب لأنه عندما قربت وفاته حاول بعضهم أن يستخلفه فأبى وقال: (إذا ما لحقنا حد متأهل با نطرحه في كثيب عينات) فاشتهر الكثيب منذ ذلك الوقت وقالوا عنه: إنه ترياق مجرب ودواء ناجع للأمراض المستحكمة المعدية)... إلخ. انظر: «الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر» ص(١١٧).

(٢) قوله: «قدهم حقه» أي: إنما هم حقه أي: ملكه، وهذه العبارة كثيراً ما يطلقها السادة على أتباعهم والمتعلقين بهم أنهم حقهم أو فقراؤهم أو عسكرهم وهكذا.

(٣) «تاريخ الإرشاد» ص(١١٨ ـ ١١٩).

**والرسالة الثانية**: أيضاً من المحضار ذاته (الحمد لله ونسأله بالاسم الأعظم والحبيب الأكرم ﷺ ومحبهم يغنم نخص المحبين بني مالك لا يزالون ملوك الممالك ما زال الكل في مسلك المصطفى سالك، والشيخ أبو بكر ضامن لهم بذلك وفوق ما هناك[١] ونهدي السلام للجميع ونخص منهم الشيبان والشبان، جاء العزم إليكم بعد مولد ربيع الأول، والحذر شيء يدخل عليكم مما دخل على الكثير من أهل الزمان الذين استحوذ عليهم الشيطان وخرجهم من الأمان وسيخرجهم من الإيمان. بلغنا أنه وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير وشنو النكير. وإن بلغنا دخول شيء المكان تركنا كليران (بومي أيو) والله المستعان.

**محمد بن أحمد المحضار)[٢]**

وقد علق الأستاذ البكري على هذه الرسائل فقال: (لم يستطع السيد المحضار الوقوف أمام تيّار النهضة الفكرية ولم تؤثر رسائله في يافع فلم يقيموا لكلامه وزناً ولا لتهديداته ثمناً، بل كان الأمر بالعكس، كانوا يهزؤون برسالته كل الهزء)[٣].

## المطلب الثالث: اعتماد التصفية الجسدية للخصوم:

مرّ بنا الأذية الكبيرة التي قام بها إسماعيل الجبرتي وأعوانه ضد الذي كان ينكر عليهم في زبيد «صالح المصري»[٤]، وقد ذكر الشوكاني العجائب من ذلك مما يحاول القبورية والمنحرفون فعله بدعاة السنة كما في كتاب «أدب الطلب» سواء ما وقع للإمام محمد بن إسماعيل الأمير أو له شخصياً أو لغيرهما، وقد تناقل الناس ذلك في أنحاء اليمن في الجبال والتهائم وحضرموت وما بين ذلك. ومما تناقلوه: الضرب ومحاولة القتل بالسلاح واستخدام السم ولكني في مثل هذه القضايا لا أعول على ما كان متداولاً بين الناس دون أن يكون مكتوباً، وعليه فإنني أقتصر على ما ذكره صلاح البكري مما حدث ضد أصحاب الإرشاد بإندونيسيا. فقد قال تحت عنوان «محاولة اغتيال رائد النهضة الدينية»:

---

(١) انظر: هذه العبارة وقارنها بكلام دعاتهم اليوم الذين يقولون إنهم موافقون لخصومهم بأن من اعتقد الضر والنفع لغير الله فهو مشرك، فأي نفع أعظم من هذه الضمانة باستمرار السلوك على سبيل النبي ﷺ.

(٢) «تاريخ الإرشاد» ص(١١٩ ـ ١٢٠).

(٣) المصدر السابق ص(١٢٠).

(٤) تقدم في هذا البحث.

(حاول جماعة من آل باعلوي اغتيال الشيخ أحمد محمد السوركتي، وذلك بدس السم داخل فاكهة تسمى «بلمنبنق» وكان الشيخ مولعاً بأكلها فابتاع منها كمية وأكلها وبعد لحظات شعر بمغص شديد وأخذ يئن من شدة الألم فاستدعى طبيباً، وبعد الفحص قرر الطبيب أنه مسموم، ولو لم يسعفه الطبيب بالدواء لذهب الشيخ إلى رحمة ربه، وهكذا أراد الله تعالى للشيخ أن يعيش ليستمر في تأدية رسالة الإسلام. وفي مدينة بوقور هاجم جماعة من العلويين وأنصارهم الشيخ عبد العزيز الكويتي ضيف إندونيسيا ومؤيد الحركة الإرشادية الحرة وضربوه بآلة حادة في رأسه ولكن عناية الله أحاطت به وأنقذته من الموت)[١].

وهناك حادثة أخرى ذكرها ابن عبيد الله وهو يتحدث عن حاكم تريم، فيقول: (وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعليق بوحيد عصره، وفريد دهره، مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة، الذي انتهت إليه رياسة العلم بتريم، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، المتوفى بتريم سنة ١٢٤٨هـ، وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبد الله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على الالتزام بها، ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير)[٢].

وأما الإمام الشوكاني فقد طالت شكواه من الخصوم الجهلة والمتعصبة القبورية وغيرهم وذكر أنواعاً من الأذى الذي حاولوا أن يلحقوه به وبغيره من دعاة السنة والتوحيد، فقال ﵀: (ومن عجيب ما أشرحه لك أنه كان في درس الجامع بعد صلاة العشاء الآخرة في صحيح البخاري يحضره من أهل العلم الذين مقصدهم الرواية وإثبات السمع جماعة، ويحضره من عامة الناس جمع جم لقصد الاستفادة بالحضور، فسمع ذلك وزير رافضي من وزراء الدولة وكانت له صولة وقبول كلمة بحيث لا يخالفه أحد وله تعلق بأمر الأجناد، فحمله ذلك على أن استدعى رجلاً من المساعدين له في مذهبه فنصب له كرسياً في مسجد من مساجد صنعاء، بمكان يسرج له الشمع الكثير في ذلك المسجد حتى يصير عجباً من العجب، فتسامع به الناس وقصدوا إليه من كل جانب لقصد الفرجة والنظر إلى ما لا عهد به، والرجل الذي على الكرسي يملي عليهم في كل وقت ما يتضمن الثلب لجماعة من الصحابة

(١) «تاريخ الإرشاد» ص(١٣٥).

(٢) «إدام القوت» ص(١٢٢)، الحلقة (٤٠) من مجلة العرب.

صانهم الله، ثم لم يكتف ذلك الوزير بذلك حتى أغرى جماعة من الأجناد من العبيد وغيرهم بالوصول إليَّ لقصد الفتنة، فوصلوا وصلاة العشاء الآخرة قائمة ودخلوا الجامع على هيئة منكرة وشاهدتهم عند وصولهم، فلما فرغت الصلاة قال لي جماعة من معارفي: إنه يحسن ترك الإملاء تلك الليلة في البخاري فلم تطب نفسي بذلك، واستعنت بالله وتوكلت عليه، وقعدت في المكان المعتاد، وقد حضر بعض التلاميذ وبعضهم لم يحضر تلك الليلة لمَّا شاهدَ وصول أولئك الأجناد، ولما عقدت الدرس وأخذت في الإملاء رأيت أولئك يدورون حول الحلقة من جانب إلى جانب ويقعقعون بالسلاح ويضربون سلاح بعضهم في بعض، ثم ذهبوا ولم يقع شيء بمعونة الله تعالى وفضله ووقايته. ثم إن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الإمامي هو ومن يوافقه في هواه ويطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة واستعانوا برسائل بعضها من علماء السوء، وبعضها من جماعة من المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد أهل العلم. وحاصل ما في تلك الرسائل أني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأنه إذا لم يتدارك ذلك الخليفة بطل مذهب آبائه ونحو هذا من العبارات المفتراة والكلمات الخشنة والأكاذيب الملفقة.

ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمنا جميعاً عقد المودة وسابق الألفة فرأيته يقول فيها مخاطباً لإمام العصر: إن الذي ينبغي له ويجب عليه أن يأمر جماعة يكبسون منزلي ويهجمون مسكني، ويأخذون ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب، فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب، ولولا أن تلك الرسالة بخطه المعروف لديّ لما صدقت، وفيها من هذا الزور والبهت الكلمات الفظيعة شيء كثير، وهي في نحو ثلاثة كراريس، وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم الله منه فشَّردَه إمام العصر إلى جزيرة من جزائر البحر مقروناً في السلاسل بجماعة من السوقة وأهل الحرف الدنيئة وأهلكه الله في تلك الجزيرة، ولا يظلم ربك أحداً)[١].

**المطلب الرابع: تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة:**

هذا مسلك لأهل الباطل قديم، فأعداء الرسل قد استخدموه وقريش قد أكثرت

---

(١) «أدب الطلب» ص(٣٢ ـ ٣٣) للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء.

منه لتشويه صورة النبي ﷺ فقالت: «ساحر» و«شاعر» و«مجنون» و«كذاب» و﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ﴾ [النحل: ١٠٣] إلخ. تلك الألقاب الكاذبة والإشاعات المغرضة المضللة، وما زال ذلك شأنهم مع العلماء القائمين مقام النبي ﷺ والوارثين له، وهو نفسه يتكرر مع علماء اليمن ودعاته كلما واجهوا جهّال ومنحرفي قومهم في سائر أنحاء اليمن، فأئمة التجديد قد عانوا أشد المعاناة من ذلك المسلك الظالم لدى خصومهم، وعبروا عنه بأساليب مختلفة، يقول العلامة الإمام محمد بن إبراهيم الوزير حاكياً ما لقيه من متعصبة عصره: (وإني لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة، وسلكت سنن الطريق العتيقة، تناولتني الألسنة البذيئة من أعداء السنة النبوية، ونسبوني إلى دعوى في العلم كبيرة، وأمور غير ذلك كثيرة حرصاً على ألا يُتَّبَع ما دعوت إليه من العمل بسنة سيد المرسلين والخلفاء الراشدين والسلف الصالحين، فصبرت على الأذى وعلمت أن الناس ما زالوا هكذا:

ما سلم الله من بريته ... ولا نبي الهدى فكيف أنا)[(١)]

ثم جاء دور المقبلي ولقي من الأذى ما لقي حتى أنه حين قال بيته المشهور:

قبَّح الإلهُ مفرِّقاً ... بين الصحابة والقرابة

أجابه أحد غلاة الزيدية فقال:

أطرق كرا يا مقبلي ... فلأنت أحقر من ذبابة

وقال الآخر:

المقبلي ناصبي ... أعمى الشقاء بصره

فرق ما بين النبي ... وأخيه حيدرة

لا تعجبوا من بغضه ... للعترة المطهرة

فأمه معرفة ... لكن أبوه نكرة[(٢)]

والبيت الأول فيه وقاحة وخسة، والأبيات الأخرى فيها قذف له ولأمه. وقد أعرب الإمام العلامة محمد بن إسماعيل عن ذلك وشكا منه أمرّ الشكوى. قال في قصيدته النجدية:

---

(١) من مقال محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه «العواصم والقواصم» للقاضي إسماعيل الأكوع (١/ ٢١ ـ ٢٢).

(٢) «هجر العلم» (١/ ٢٧١).

وأقبح من كل ابتداع سمعته … وأنكاه للقلب الموفق للرشد
مذاهب من رام الخلاف لبعضها … يعض بأنياب الأساود والأسد
يصب عليه سوط ذم وغيبة … ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد
ويعزى إليه كل ما لا يقوله … لتنقيصه عند التهامي والنجدي
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية … ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه غدا … يتابع قول الله في الحل والعقد
ويتبع أقوال النبي محمد … وهل غيره بالله في الشرع من يهدي
لئن عدّه الجهال ذنباً فحبذا … به حبذا يوم انفرادي في لحدي[(١)]

وأما الشوكاني فقد جمع إلى همه هموم المتقدمين عليه، وشكا مما أصابه وأصابهم وحلّ به وبهم، وهو لا شك أصدق تعبيراً فالنائحة الثكلى ليست كالمستأجرة، وقد تقدم كلامه في المطلب الثالث فارجع إليه.

وعندما نشب الخلاف بين العلويين وأصحاب الإرشاد في إندونيسيا تفنن العلويون في تشويه سمعتهم وإطلاق الألقاب المنفرة عليهم فكان مما أطلقوا عليهم من ألقاب: (أنهم وهابيون، ونصارى، وأنهم يعملون ضد مصالح هولندا وإنجلترا والقعيطي والكثيري، وأنهم خوارج يبغضون أهل البيت)[(٢)].

وهذه عبارة مقتطعة من رسالة محمد بن أحمد المحضار إلى يافع في منطقة «يومي أيو» في إندونيسيا يقول أثناءها عن أحد الإرشاديين: (وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير وشنوا النكير)[(٣)]. وقد وصفوهم في رسالتهم إلى شريف مكة بما يلي: (وينهون إلى مقامكم السامي أنها نجمت من مدة قريبة من الخوارج في هذه البلاد، عقيدتها بغض أهل البيت الطاهر وتحقير النبي ﷺ وبث الدسائس وإيقاد الفتن، ولهم من النشرات الجمة ما يبين خبيث قصدهم)[(٤)] هذه شذرات مما صدر عن القوم من تشويه وطعن لخصومهم.

---

(١) «ديوان الأمير الصنعاني» ص(١٦٧)، طبع منشورات المدينة، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م).
(٢) «الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت» ص(١٥٢).
(٣) «تاريخ الإرشاد» ص(١٢٠).
(٤) المصدر السابق ص(٨٢).

# الفصل الثاني

## موقف علماء اليمن من القبورية وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

**التمهيد:** في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد والمؤامرات.

**المبحث الأول:** موقف علماء اليمن من القبورية الإسماعيلية وجهودهم المشكورة لمواجهتها.

**المبحث الثاني:** المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية.

**المبحث الثالث:** الردود الواردة أثناء كتب الفنون المختلفة.

**المبحث الرابع:** الجهود العملية لمواجهة القبورية.

## التمهيد: في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد والمؤامرات

لقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الدين وبقائه واستمراره إلى أن يرث الأرض ومن عليها، لا يقضي عليه عدو من الكافرين، ولا يطمس معالمه مبتدع من المبتدعين، حتى تغيب السنّة كلها، وتحل البدعة محلها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقد فصّل رسول الله ﷺ وسائل ذلك الحفظ، فوعد بوجود طائفة من العلماء العاملين والأخيار المجاهدين القائمين على حفظ هذا الدين في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[(١)].

ولا يمنع وجود هذه الطائفة القائمة على الحق؛ من تسرب بعض البدع، واندثار بعض السنن، وانحراف بعض المفاهيم على مرور الأيام؛ لذلك فقد أخبر النبي ﷺ بأنه بعد كل فترة، يقيض الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها، فقال: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[(٢)].

والحمد لله فقد صدق الله ورسوله، وحُفظ الدين، وجُددت معالمه، رغم هدم الهادمين وكيد الكائدين وبدع المبتدعين، ولقد حظي اليمن بما سبق له من عناية الله سبحانه ولطفه بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر من ذلك، وصار مجددوه وأعلام علمائه ودعاته مجددين للأمة كلها، وليسوا مجددين لليمن وحده، فرزقهم الله القبول التام والثقة المطلقة عند سائر الطوائف وفي سائر البلاد الإسلامية، فكتبهم هي من أهم مقررات جامعات العالم الإسلامي المرموقة، ومراكزه العلمية، وقد أقبل

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٠٥).

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٥١٢)، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، والحاكم (٤/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣)، كتاب الفتن والملاحم. وانظر: تصحيح شيخنا الألباني رحمه الله للحديث في سلسلته الصحيحة (١١/ ١٥٠ ـ ١٥١).

الباحثون على دراسة شخصيات المجددين اليمنيين ومناهجهم في العقيدة والدعوة والعلوم المختلفة من تفسير وحديث وعقائد وغير ذلك.

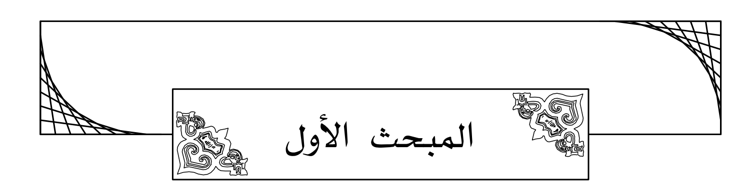
وبرغم ما سلف في الفصل الأول من أساليب مختلفة سلكها القبورية لمواجهة علماء أهل السنة، وما قاموا به من جهد جهيد وكيد شديد لمواجهة هؤلاء العلماء؛ إلا أن تلك الجهود والأساليب الماكرة الكثيرة، كلها لم تفلح في صد العلماء عن معارضتهم وكشف ضلالهم وبيان حالهم، وإن كانت مناطق اليمن تختلف في قوة وضعف تلك المواجهة، فعلماء البلاد الزيدية بحكم قوتهم وكثرتهم وعدم تمكن النفوذ الروحي في بلادهم، ولسعة أفق المذهب الزيدي والفقه الهادوي وحثه على الاجتهاد؛ كانت جهودهم أكبر، ومواجهتهم وسلطان علمهم على القبورية أقهر، وقد شاركوا في مقاومة كل أنواع القبورية من إسماعيلية وأصحاب وحدة الوجود وعموم القبورية مقدسي القبور.

وكان لعلماء زبيد موقف مشرف في صد أهل وحدة الوجود ومقاومتهم حتى اندثر مذهبهم أو كاد، وأما بقية المناطق كالجند وما حولها وعدن وحضرموت، فقد كانت مواقفهم أضعف وأقل، وذلك أنه وبعد دخول التصوف ورسوخه في هذه المناطق في القرن السابع وما بعده، احتوى المتصوفة الساحة العلمية، وهيمنوا عليها هيمنة شبه تامة، فالعلم حُصر في قبائل وأسر محددة هي الأسر العلوية التي أصبح كل علمائها من المتصوفة على تفاوت في غلوهم واعتدالهم فيه، إلا ما ندر، والنادر لا حكم له، ثم الأسر التي تُوالي هذه القبيلة موالاة تامة، وترى أنها تابعة لها «منطوية فيها» حسب تعبيرهم، وفي المقابل فقد أعطى العلويون لهذه الأسر امتيازات كبيرة مقابل التزامهم بطريقهم، وعملهم على الترويج لأفكارهم وتلميع شخصياتهم؛ ولذلك فقد أصبح العالم الذي يستطيع أن يبصر بغير منظارهم، ويصل إلى ما عند غيرهم، أصبح في حرج عظيم حيث يرى الحق، ولا يستطيع الإفصاح عنه والعمل به، فتجده يرضخ لما عليه القوم، وإن كان في قرارة نفسه منكراً له؛ إلا من أراد الله لهم الخير وهيأهم لإقامة الحجة وسلوك المحجة، وتحمل التبعة، وهم أقل من القليل، متناثرون عبر القرون الطويلة والبلاد الشاسعة، ولم يستطع أحد أن يظهر بذلك المظهر حسب علمي إلا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد انتشار الدعوة السلفية في اليمن بواسطة تلاميذ الإمامين ابن الأمير والشوكاني، وكذلك ظهور وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصولها إلى تلك المناطق، واتصال بعض علماء هذه البلاد بعلمائها في الحجاز ونجد، واطلاعهم على كتبهم

ورسائلهم، فقد هزت تلك الدعوة الجزيرة العربية كلها، وحركت ذلك الركود الذي خيم عليها قروناً طويلة، ووصل أثرها إلى كل أرجائها، بل وكل أرجاء العالم الإسلامي، كما أسهمت حركة الإرشاد في إندونيسيا بجهود كبيرة في إيقاظ علماء وطلبة العلم في حضرموت وما جاورها، وأزالت كثيراً من الحجب التي كانت تغطي الحقيقة، وحطمت كثيراً من القيود التي كان الناس يرسفون فيها، وأسقطت تلك الهيبة التي صنعها القبوريون لأنفسهم وأوليائهم، وسيّروا بها الناس كما أرادوا.

هذا هو موجز موقف العلماء من القبورية، وإليك تفاصيله في المباحث الآتية.





المبحث الأول

## موقف العلماء اليمنيين من القبورية الإسماعيلية وجهودهم المشكورة في مواجهتها

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية:**

لم يجمع علماء اليمن ومثقفوه وحكامه على ذم شيء من البدع الطارئة كإجماعهم على كفر ومروق الطائفة الإسماعيلية الباطنية؛ مما حملهم على التصريح بكفرها ونشر قبائحها، ومحاربتها بشتى الوسائل من القتال إلى الردود العلمية، ومما يوضح ذلك؛ عبارات المؤرخين وثورات الفقهاء ومقاومة الأئمة والملوك لها حتى أزالوها،، وقضوا على دولتها وكيانها، وإن كان مقتهم والتصريح بالتكفير في حق علي بن الفضل وصاحبه منصور اليمن أشهر وأظهر من مقت الصليحي، وما ذاك إلا لأن الصليحي كان أدهى من سابقيه مستفيداً من أخطائهما، فتجنب إظهار الكثير مما أظهر الأولان من العقائد والأفعال الممقوتة، وكان بالرعية أرأف وألطف، وبذلك كسب شيئاً من التعاطف لشخصيته لا لنحلته، وكذلك الملكة الحرة والمعروفة عند العامة بـ «الملكة أروى» كانت ذات شخصية عظيمة وحنكة سياسية كبيرة، ثم كونها امرأة ظهرت بتلك القوة وذلك الدهاء في ذلك العصر، كل ذلك خفف من حدة المقت نحو الصليحيين كشخصيات.

أما مبادؤهم وعقائدهم فكانت موضع اتفاق من سائر اليمنيين كلهم بمقتها وبذمها، حتى لقد نحتوا من اسم هذه الطائفة عبارة مختصرة فقالوا «السمعلة»، وجعلوها شعاراً للذم، والطعن فيمن تطلق عليه.

وهذه بعض عبارات المؤرخين يصفون دخول هذه النحلة إلى اليمن على يد علي بن الفضل وصاحبه، ومن أوائل المؤرخين الذين أبدوا الموقف اليمني من هذه الطائفة العلامة ابن سمرة صاحب طبقات فقهاء اليمن، فقد قال: («فصل» ثم لحق

باليمن كله في آخر المائة الثالثة وأكثر المائة الرابعة فتنتان عظيمتان:

فتنة القرامطة: وقد عمت العراق والشام والحجاز، وإن اختلف تأثيرها في البلدان فَمَلَكَ المخلاف اليمني علي بن الفضل ـ لعنه الله ـ وأظهر فيه ما هو منسوب إليه ومشهور عنه على منبر جامع الجند بقوله:

خذي الدف يا هذه والعبي وغني هزاريك ثم اطربي

فذكر القصيدة، ثم قال: والشعر طويل، وكله تحليل محرمات الشرع والاستهانة به، فقتل أهل اليمن قتلاً ذريعاً قبل هذا، وملك الحصون والأموال العظيمة)[(١)].

وبعد أن ساق الجندي تاريخ ابن الفضل ومنصور اليمن قال: (قال ابن جرير[(٢)]: وكان عنوان كتاب ابن الفضل إلى أسعد: من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن أبي يعفر، وكفى بهذا الكلام دليلاً على كفره، فنسأل الله العصمة)[(٣)].

وقال الخزرجي في «العسجد المسبوك» بعد أن ذكر طرفاً من أخبار منصور وعلي بن الفضل: (فلما صار علي بن الفضل في صنعاء أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم، وارتكب محظورات الشرع، وادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه: أشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وأباح لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات)[(٤)]، وقد نقل ابن الديبع كلام الخزرجي بنصه دون أن يعزوه إليه، وهو إقرار له[(٥)].

وقال الأكوع في تعليقه على قرة العيون: (القرامطة فرقة من الباطنية، واحدها قِرْمِطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة وياء النسبة، والقرمطة تقارب الشيء بعضه من بعض، يقال: «خط مقرمط» إذا كان متقارب

---

(١) «طبقات فقهاء اليمن» ص(٧٥ ـ ٧٦).

(٢) ابن جرير: هو إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني، توفي سنة (٤٥٠هـ) صاحب «تاريخ صنعاء»، وقد قال الأكوع في «تعليقه على السلوك (١/ ٢١٠)»: إنه لم يعثر على هذه الرسالة فيما لديه من تاريخ ابن جرير، وأنا كذلك لم أعثر عليها في النسخة المطبوعة غير أن ابن جرير كان لا يذكر ابن الفضل إلا وقال: (لعنه الله).

(٣) «السلوك» (١/ ٢١٠).

(٤) «العسجد» ص(٣٩).

(٥) «قرة العيون» ص(١٤٢).

الحروف و«ومشي مقرمط» أي متقارب الخطو، سمي به أبو سعيد الأشعب؛ لأنه كان قصيراً دميماً مجتمع الخلق أسمر كريهاً؛ فلذلك سمي قرمطياً. فنسبت إليه القرامطة لاتباعه، قال الإمام نشوان[١]: والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي، وجمعه قرامط، وقرامطة.

قلت: وهي منظمة سرية خطيرة، تكونت من جماعة فارسية من المجوس، اندست بين المسلمين متظاهرين بالدين والورع، وهدفها تقويض دعائم الإسلام وإعادة السيادة الفارسية، ثم اتخذت التشيع لها شعاراً لما أعجزتها الحيل. وكان منشؤها بفارس ولها خلايا بكل مكان، ثم امتدت جذورها إلى العراق وكُر التشيع، وأصبح مركزاً هاماً لبث دعوتهم في ظل البكاء والعويل على ما نال أهل البيت من التشريد والتنكيل، وألفوا قلوباً حانية على هذا المبدأ الذي استهوى بريقه ضعفة النفوس والسذج من الناس، واعتنقه البعض عن طيب خاطر وسماحة نفس بدون مناقشات للغايات والأهداف، والبعض اعتنقه طمعاً في الوصول إلى المناصب والجاه والمال، واستفحل أمر هذه العصابة، وعمَّ خطرها، وتطاير شررها، وقُوضت ممالك، وكانت فتنة صماء، جرّت على الإسلام والمسلمين ويلات وحروب لا ينادي وليدها، ونال منها اليمن شرارة انطفأت بعد حين)[٢].

ويقول نشوان بن سعيد، وهو من علماء ومؤرخي الزيدية: (وسار علي بن الفضل الخنفري إلى أرض يافع، فاشتدت وطأته باليمن، واستولى على أكثر مخاليفه، وأعلن بالكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرّب المساجد، وكان يدّعي أنه نبي)، ثم ذكر بعض تلك الأبيات، ثم قال: (وابن الفضل أول من سنَّ القرمطة في اليمن، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي، فجمعه قرامطة)[٣].

أما القاضي حسن بن أحمد العرشي، وهو كذلك من علماء ومؤرخي الزيدية، فقد أطال في بيان حالهم وكشف عوارهم والتحذير منهم، فقال: (اعلم أن الباطنية ـ أخزاهم الله تعالى ـ أضر على الإسلام من عبدة الأوثان، وسموا بها؛ لأنهم

---

(١) نشوان بن سعيد الحميري، توفي سنة (٥٧٣هـ). انظر: «الأعلام» (٨/ ٢٠)، و«مقدمة الحور العين» لنشوان الحميري ص(١٦ ـ ٢٥)، تحقيق كمال مصطفى، طبع دار آزال، بيروت، والمكتبة اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية (١٩٨٥م)، و«السلوك» (١/ ٩٩٢).

(٢) «قرة العيون» تعليقاً ص(١٢٢ ـ ١٢٣).

(٣) «الحور العين» ص(٢٥٣ ـ ٢٥٤).

يبطنون الكفر، ، ويتظاهرون بالإسلام، ويختفون حتى تمكنهم الوثبة وإظهار الكفر، وهم ملاحدة بالإجماع ويسمون «بالإسماعيلية»؛ لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين فيما يزعمون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، و«بالعبيدية»؛ لدعائهم إلى عبد الله بن ميمون القداح الذي نسبته الباطنية إلى ما يزعمون من الأئمة المستورين.

والعبيديون من أولاد عبيد الله، ولاة مصر ذلك الزمن، والآن يسمون «شيعة»؛ لكونهم مظهرين أن أئمتهم من أولاد الرسول، حين عرفوا أنه لا يستقيم لهم إمالة الحق، والدخول إلى دهليز الكفر، إلا بإظهار المحبة والتشيع، ولهم قضايا شنيعة وأعمال فظيعة، كالإباحية وغيرها، وقد تابعهم على ذلك من ذهب عنه النور الإيماني، واستولى على لبّه الهوى الشيطاني، وهم مع ذلك ينكرون القرآن والنبوة والجنة والنار، ولولا أن حياتهم معلومة عندهم، مرتبة بينهم لأنكروها.

وعلى الجملة فدينهم النجوم، وظواهرهم التخوم، ولا يكاد يظهر مذهبهم لأتباعهم إلا لمن رسخ دينهم في قلبه، وتراهم إذا وجدوا لأنفسهم قوة أظهروا أمرهم، وأعلنوا كفرهم، فإن غُلبوا ولم تساعدهم الأيام؛ كمنوا كما تكمن الحية في جحرها، وهم مع ذلك يؤملون الهجوم والوثبة، وأن ينهشوا عباد الله، وقد أفصح السيد «الدافعاني» عن أطراف من أحوالهم في رسالته بعد اختلاطه بهم، وتردده عليهم، ولا ينبغي لذي معرفة وقوة أن يعرف منهم أحداً يقتدر عليه فيتركه وشأنه، فإنهم ـ أهلكهم الله تعالى ـ شياطين الأرض)[١].

وكلامه عام يشمل ابن الفضل ومنصور اليمن والصليحيين، بل إنه قد بيّن في مقدمة كتابه هذا أن من جملة ما حمله على تأليفه (أنه سمع راوياً يروي عن أناس، وذُكر عندهم بنو الصليحي، وما فعلوه من جوامع وصدقات، فترحموا عليهم جهلاً بأنهم دعاة الباطنية وأصحاب الطائفة العبيدية، فقلت: الآن اتخذ الجهل من الناس مأخذه، وفتح لهم فاه وأطبق نواجذه، فقلت قصيدة مستغربة وكلمة منظومة معربة، سميتها مسك الختام)[٢].

هذا هو موقف علماء ومؤرخي اليمن من الإسماعيلية، وهو مع ما فيه من المقت لهم وتكفيرهم لا يرقى إلى المستوى المطلوب الذي يجب أن يصل إليه الرد والبيان لحالهم وسوء معتقدهم وخطورة مكائدهم ودسائسهم، وربما كان للأولين

---

(١) «بلوغ المرام» ص(٢١ ـ ٢٢).
(٢) المصدر السابق ص(٤).

العذر في ذلك كونهم قد حاربوهم حرباً عسكرية وسياسية حتى أزالوا دولهم، وطهروا اليمن من وجودهم.

ولكن يجب ألا يخفى على علماء اليمن وحكامه أن مجرد زوال دولة الباطنية لا يكفي، فدولتهم قد زالت قديماً بزوال ابن الفضل ومنصور اليمن وأتباعه، ولكن نارها ما زالت تدب تحت الرماد حتى مرت بها ريح الصليحي، فأشعلتها أقوى من ذي قبل، وملك جميع اليمن كما هو معلوم، ثم زالت دولته، وبقي فكره وعقائده ودعوته، وبقي دعاته يخلف بعضهم بعضاً، ويوصي بحفظ الدعوة والحفاظ عليها في دور الستر كما يقولون حتى يحين دور الظهور الجديد، وبقيت كتبهم متوفرة، وهي أعظم ما يقوم عليه منهج الإسماعيلية في العالم كله، هذه الكتب محفوظة كما يؤكّد ذلك الدكتور حسين الهمداني في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء وبعض المكتبات الخاصة وبعض المتاحف ودور الكتب العالمية، وقد بدأت موجة إحياء لهذه الكتب ونشر وتحقيق في أكثر من بلد؛ وذلك للتحول الجديد في العالم وطغيان الحرية الفكرية والعقائدية، فبعد أن كان الباطنية يتخفون غاية التخفي بعقائدهم، ويخفون كتبهم عن أهل نحلتهم حتى يصلوا إلى مستوى معين من الفهم والقناعة بما لديهم، أصبحوا اليوم يتباهون بما هم عليه، وينشرون تلك الكتب على الملأ، ويتظاهر بعض الباحثين بانتسابه إليهم، ويؤرخ لهم مادحاً شارحاً لبعض قضاياهم التي كانت في غاية السرية.

إذاً هذا الفكر الضال والمعسول في نفس الوقت الذي ينبني على الفلسفة والخطاب العقلي والعاطفي في آنٍ واحد، جدير بالاهتمام والحذر واتخاذ التدابير الواقية من بعثه وافتتان الناس به في المستقبل.

واسمع إلى الدكتور حسين الهمداني، وهو أحد الباحثين الباطنية الإسماعيلية المحدثين، وهو يمني حيث يقول في كتابه «الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن» تحت عنوان «الثروة العلمية الفاطمية في اليمن»: (ترى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي، وجمع شتات التراث الفكري وتسجيلها في كتب ومؤلفات، وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي، قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله

الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي، وكلف القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من علوم إلى اليمن، ثم قررت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة من شؤون الملك. وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية. فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر بن الوليد القرشي، والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي، والوادعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لا يستهان به. وأثبت الداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائة، بل إلى أيامنا هذه، ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية)[١].

كما أن الأستاذ عبد الله الحبشي ذكر في كتابه مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ستة عشر داعياً ومؤلفاً من دعاة الإسماعيلية اليمنيين الذين خلفوا ثروة علمية وعقائدية ضخمة، كلها يقصد بها تعميق وترسيخ الفكر والعقيدة الإسماعيلية لدى اليمنيين[٢].

ذلك المخزون الفكري وإن كان ضالاً غير مستساغ لدى العقلاء، فإنه قد يستساغ لدى الجهلاء، ولدى المفتونين بالغرائب، ولدى المندسين الذين دأبوا على بث الفتن والشقاق من خلال العقائد الضالة والأفكار الهدامة. هذا بالإضافة إلى الاهتمام الكبير والمتزايد باليمن من قبل هذه الطائفة هذه الأيام، وما يعتمل داخل

(١) «الصليحيون» ص(٢٩٧ ـ ٢٩٨).

(٢) «مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن»، تأليف عبد الله محمد الحبشي، الصفحات (٩٥) و(١٠٠) و(١٠٢) و(١٠٦) و(١١١) و(١١٢) و(١٢١) و(١٢٣) و(١٢٥) و(١٢٦)، طبع مركز الدراسات اليمنية، صنعاء.

تجمعات هذه الطائفة في مناطق تواجدها وعلاقاتها المريبة مع جهات أجنبية، ربما عملت على زعزعة أمن اليمن واستقراره.

وكذلك الظاهرة التي برزت في السنوات الأخيرة ما يسمى لدى تلك الطائفة في الخارج «الحج إلى اليمن»؛ وذلك لتتبع قبور دعاتهم في مناطق مختلفة في اليمن، سبقت الإشارة إلى بعض منها. ومما يدل أن وراء الأكمة ما وراءها، أنهم لم يقتصروا على زيارة تلك القبور والانصراف عنها، ولكنهم يشترون ما حولها من أرض ودور ومدارس وأي شيء، حتى يتحول الضريح وما حوله إلى ملك خاص بهم، يقيمون فيه المساكن في الظاهر، ولا ندري ما وراء المساكن، وقد شاهدت قبراً لهم معظماً في زبيد، وقد ملكوا سكناً واسعاً بجواره، فإذا جاءوا للزيارة نزلوا فيه، وانطلقوا منه إلى بقية المزارات، كما رأيت قبراً آخر في قرية الحمى من نواحي زبيد، يسمونه قبر «حضرة خواجه أويس القرني عاشق رسول الله ﷺ» هكذا مكتوب عليه، وقد دخلته وهو ضمن مباني مدرسة صغيرة قديمة، فاشتروا حسب إفادة بعض أهالي المنطقة مساحة من الأرض، وبنوا عليها مدرسة جديدة على أن تكون المدرسة القديمة والقبر لهم، ورأيت قبراً عالياً مغطى بثوب موشى ـ لعله من الحرير ـ مطرز بآيات من القرآن وبعض العبارات الأخرى، وهو في غاية من النظافة، ومفروش بفراش من السجاد، والبخور يفوح منه مما يلقي له مهابة في نفس الزائر.

فهذه الأماكن ما يدرينا أنها تتحول إلى مقار للفتنة والمؤامرة في يوم من الأيام! وهل كانت بدايات اليهود المهاجرين إلى فلسطين إلا بهذه المثابة؟ أوَ ما نخشى أن يأتي يوم يقال فيه: لا بد من وطن قومي لهذه الطائفة؟

ولا يسعني في نهاية هذا المطلب إلا أن أسجِّل تحذيري للعلماء وللحكام ولكل غيور على أمن اليمن وسلامته واستقراره:

أرى خلل الرماد وميضَ نارٍ ... يوشك أن يكونَ لها ضرامُ

لئن لم يطفها عقلاءُ قوم ... يكون ضرامها جثثٌ وهامُ

**المطلب الثاني: أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن:**

سبقت الإشارة إلى ضعف المواجهة العلمية لهذه الطائفة، ولكن مع ذلك فإن علماء اليمن لم تُخلِ الساحة تماماً من الردود وبيان فساد عقائد ومناهج هذه الطائفة، ومن المؤمل أن يقوم العلماء المعاصرون بسدّ ذلك النقص.

## العلم الأول

## محمد بن مالك بن أبي القبائل[(١)] الحمادي

هذا الإمام هو أشهر من رد على الإسماعيلية من اليمنيين، بل إن رسالته أصبحت مرجعاً لكل من يكتب عنهم، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، والذي لم يُعثر له على ترجمة، كما أكد ذلك القاضي محمد بن علي الأكوع في مقدمة كتابه[(٢)] غير أن الجندي قد أفاد ما يأتي في ترجمة علي بن الفضل: (على ما ذكره الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي الفضائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة، وكان ممن دخل في مذهبهما ـ منصور وابن الفضل ـ أيام الصليحي، وتحقق أصل مذهبهما، فلما تحقق فساده رجع عنه، وعمل رسالة مشهورة يخبر بأصل مذهبهم ويبين عوارهم ويحذر من الاغترار بهم)[(٣)]، وقد استنبط القاضي الأكوع أن وفاة الحمادي كانت في أيام علي بن محمد الصليحي ما بين عامَي (٤٣٩هـ ـ ٤٥٩هـ) حيث لم يدرك مقتل الصليحي سنة (٤٥٩هـ).

وكتاب الحمادي من أهم الكتب الكاشفة عن حقيقة الإسماعيلية في اليمن، بل هو أهمها؛ وذلك لما انطوى عليه من مشاهدة واحتكاك وخبرة من الداخل، قال رحمه الله في فاتحة كتابه:

(قال محمد بن مالك ـ رحمة الله تعالى عليه ـ: اعلموا أيها الناس المسلمون، عصمكم الله بالإسلام، وجنبنا وإياكم طرق الآثام، وأرشدكم، ووفقكم لمرضاته، وسددكم، أني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي كما يسمعون، وما يتكلم به عليه من سيء الإذاعة وقبح الشناعة، فإذا قال القائل: هو يفعل، ويصنع، قلت: أنت تشهد عليه غداً، فيقول: ما شهدت، ولا عاينت، بل أقول كما يقول الناس. فكنت أتعجب من هذا أولاً، ولا أكاد أصدق، ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس، ونطقت به الألسن، فتارة أقول هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم، ولا سمع به فيما تقدم في سالف الأمم، إنما هذه عداوة له من الناس للمآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس، وكنت كثيراً ما أسمعه يقول: حكم الله لنا على من يظلمنا، ويرمينا بما ليس فينا.

---

(١) ابن أبي القبائل هذا الذي ذكره الأكوع في تحقيقه لكتابه «كشف أسرار الباطنية»، وذكره فؤاد سيد في تحقيقه لكتاب «طبقات فقهاء اليمن» لابن سمرة الجعدي ص(٧٨)، ومنهم من ذكره بابن أبي الفضائل والله تعالى أعلم.

(٢) «كشف أسرار الباطنية» ص(٤٥).

(٣) «السلوك» (١/ ٢٠١).

فرأيت أن أدخل في مذهبه؛ لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه، فلما تصفحت جميع ما فيها، وعرفت معانيها، رأيت أن أبرهن على ذلك؛ ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته؛ نصيحة لله وللمسلمين؛ وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين، والله موهن كيد الكافرين.

فأول ما أشهد به وأشرحه، وأبينه للمسلمين وأوضحه، أن له نوّاباً يسميهم الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم بالمكلبين تشبيهاً بكلاب الصيد؛ لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويلبِّسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها باطل. يحضّونهم على شرائع الإسلام، من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينثر الحب للطير؛ ليقع في شراكه، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به وينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفة، وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعملونه والانقياد لما يأمرونه، قالوا حينئذٍ: اكشف عن السرائر، ولا ترض لنفسك، ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله وممثوله، واعرف معاني الصلاة والطهارة، وما روي عن النبي ﷺ بالرموز والإشارة، دون التصريح في ذلك والعبارة، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة، لممثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه، فيقول: عمَّ أسأل؟ فيقول: قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فالزكاة مفروضة في كل عام مرة، وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأيضاً فالصلاة والزكاة لها باطن؛ لأن الصلاة صلاتان، والزكاة زكاتان، والصوم صومان، والحج حجان، وما خلق الله ـ سبحانه ـ من ظاهر إلا وله باطن، يدل على ذلك ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم)[1].

(١) «كشف أسرار الباطنية وأسرار القرامطة» ص(٦٣ ـ ٦٥).

وقد بدأ كتابه بذكر الدعاة المأذونين، وكيفية قيامهم بتلك الدعوة، وكيف يؤوِّلون، ويعلمون الناس أن لكل شيء ظاهراً وباطناً، فالصلاة لها باطن والزكاة لها باطن... إلخ، ثم ذكر تدرجهم بالمدعو حتى يصل إلى الدرجة التي يبيح له الإمام المبيت مع زوجة الداعي، ثم مع زوجات الواصلين إلى تلك الرتب العالية عندهم(١)، ثم ذكر المشهد الأعظم وما فيه من إباحية، ثم يختم الفصل بقوله: (قال محمد بن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله ـ تعالى ـ لهم بالمرصاد، والله ـ تعالى ـ عليَّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد عليَّ بجميع ما ذكرته عالم به، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله واللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخزى الله من كذب عليهم، وأعد له جهنم وساءت مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه، فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته.

فأديت هذه النصيحة للمسلمين حسب ما أوجب علي من حفظ هذه الشهادة، فإن الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها، قال الله ﷻ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، والله أسأله أن يتوفانا مسلمين، ولا ينزع عنا الإسلام بعد أن أتانا بمنّه ورحمته)(٢).

ثم قال تحت عنوان «المقالة في أصل الدعوة الملعونة»: (وقد رأيت أيها الناس، وفقنا الله وإياكم للصواب، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب، أن أذكر أخبار هذه الدعوة الملعونة؛ لئلا يميل إلى مذهبهم مائل، ولا يصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب إنذار لمن نظره، وإعذار لمن وقف عليه واعتبره)(٣)، ثم ابتدأ في تاريخ تلك الدعوة وأخبارها إلى آخر الكتاب.

والكتاب يعد من أهم وأقدم المراجع المؤرخة للباطنية والكاشفة عن حقائقهم خصوصاً باطنية اليمن؛ ولذا فلا يحصى من نقل عنه قديماً وحديثاً، وقد طبع عدة طبعات من آخرها وأفضلها طبعة «مركز الدراسات والبحوث اليمني» بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع سنة (١٤١٥هـ).

ولقد حاول البعض التشكيك في بعض ما احتوى عليه الكتاب، إما باعتبار

---

(١) المصدر السابق ص(٦٩).
(٢) المصدر السابق ص(٧٠).
(٣) المصدر السابق ص(٧٠ ـ ٧١).

ذلك غير معقول، أو بدافع قومي أو وطني، ولكن الشهادة التي صدّره بها القاضي الأكوع عن المقريزي تشهد للحمادي بصدق ما ذكره، وكذلك يشهد له كثير من النقول عن كتب الإسماعيلية أنفسهم التي أوردها الباحث الكبير إحسان إلٰهي ظهير في كتابه الفذ «الإسماعيلية تاريخ وعقائد» ومن أراد التأكد فليرجع إليه في الباب السادس «الإسماعيلية والتأويل الباطني»[١] و«الإسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات الله عليه»[٢]، إلا موضوع «المشهد الأعظم» أي جمع الرجال مع النساء، وكذلك المبيت مع زوجة الداعي وزوجات من يليه فلم أجد إلى الآن ما يشهد له فلا أستطيع الجزم بإثباته كما لا أستطيع نفيه.

## العلم الثاني

## الإمام يحيى بن حمزة

وهو الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، وهو خلاف أكثر أئمة اليمن الذين يرجعون إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، ولد بصنعاء سنة (٦٦٩هـ) (واشتغل بالمعارف العلمية وهو صبي، فأخذ من جميع أنواعها على أكابر علماء الديار اليمنية، وتبحر في جميع العلوم، وفاق أقرانه، وصنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون)[٣]، (وهو من أكابر أئمة الزيدية بالديار اليمنية، وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان وسلامة صدر وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل ومبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن، وهو كثير الذب عن أعراض الصحابة المصونة رضي الله عنهم، وعن أكابر علماء الطوائف رحمهم الله)[٤]، وله في ذلك «الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين»[٥].

وكتبه كثيرة جداً، أوصلها بعضهم إلى مئة مجلد، ومنها رسالتاه اللتان رد فيهما على الباطنية، وهما «الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام» و«مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار» وقد طبعتا، ولكني لم أحصل على أي منهما.

وهذا الإمام لم يقتصر على الرد على الإسماعيلية بقلمه ولسانه، بل حاربهم بسيفه وسنانه، كما ذكر ذلك صاحب أعلام المؤلفين الزيدية[٦]، ولست أدري شيئاً

---

(١) «الإسماعيلية تاريخ وعقائد» ص(٤٧٣ ـ ٥٣٨).
(٢) المصدر السابق ص(٥٤٦ ـ ٥٩٢).
(٣) «البدر الطالع» (٢/ ٣٣١).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٣٢).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٣٢).
(٦) «أعلام المؤلفين الزيدية» ص(١١٢٤).

عن مضمون الكتابين غير أن الظن أنهما مفيدان ومحققان، فقد وُصِفَ هذا الإمام بالتحقيق والنبوغ.

وهو مع مكانته العلمية وشهرته بين علماء اليمن، قد صدرت عنه بعض الفتاوى التي يظهر بجلاء مخالفتها للأدلة، من أشهرها تجويزه بناء المشاهد والقباب على قبور الخلفاء وذوي الفضل، وهذه الفتوى هي التي رد عليها الشوكاني برسالته «شرح الصدور بتحريم رفع القبور»، وقد ذكر بعض تلك المسائل القاضي إسماعيل الأكوع في ترجمته في كتابه هجر العلم[١].

وقد توفي رحمه الله في موضع اعتزاله بعد أن تخلى عن الإمامة بقصر هران بذمار سنة (٧٤٩هـ)[٢].

**المطلب الثالث: المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية الإسماعيلية:**

لقد عثرت ـ أثناء بحثي عن هذه الطائفة وتاريخها وموقف العلماء منها ـ على عدد من الردود عليها من علماء اليمن، ولا أزعم أن هذه الأسماء التي سأذكرها في هذا المطلب هي كل ما كتبه اليمنيون في ذلك، ولكن هذا ما وقفت عليه.

١ ـ ٣ ما سبق ذكرها؛ وهي رسالة الحمادي «كشف أسرار الباطنية»، و«الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام» و«مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار» وكلتاهما للإمام يحيى بن حمزة.

٤ ـ «الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار»؛ للشيخ حُميد بن محمد المحلي الهمداني المعروف بحميد الشهيد، وكان من كبار الهادوية في عصره، قتل سنة (٦٥٢)[٣].

٥ ـ «الرسالة القاطعة في الرد على الباطنية» (جزءان)؛ للشيخ محمد بن يحيى بن أحمد بن حنش، توفي سنة (٧١٩)[٤].

٦ ـ «العضب المسلول في الرد على الباطني المخذول» لأبي العطايا عبد الله بن يحيى بن المهدي توفي سنة (٨٧٣)[٥].

---

(١) «هجر العلم» (١/ ٥٠٢).

(٢) انظر ترجمته في: «البدر الطالع» (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٣)، و«هجر العلم» ص(٥٠١ ـ ٥٠٦)، و«أعلام المؤلفين الزيدية» ص(١١٢٤ ـ ١١٣١).

(٣) «هجر العلم» للأكوع (٢/ ٨٨٢)، و«مصادر الفكر» للحبشي ص(١٠٧).

(٤) «هجر العلم» (٣/ ١٣٠٦)، و«مصادر الفكر» ص(١١٢).

(٥) «مصادر الفكر» ص(١٢٢).

٧ ـ ومن أوسع وأفضل تلك الأعمال كتاب معاصر يحمل عنوان «الشيعة الإسماعيلية، رؤية من الداخل» لعلوي طه الجمل.

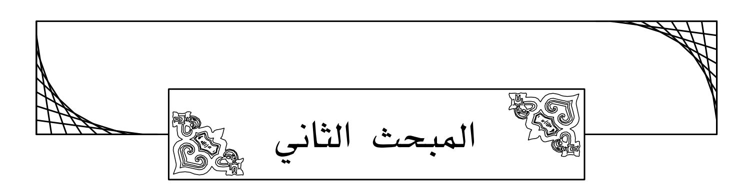
هذه هي الكتب المفردة، وهناك من تعرض لهم أثناء بحوث أخرى وضمن كتب غير مخصصة للرد عليهم منها:

أ ـ ما كتبه الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، المتوفى سنة (٨٤٠هـ)؛ في كتابه «إيثار الحق على الخلق» في عدة مواضع.

ب ـ محمد بن الحسن الديلمي المتوفى سنة (٧١١هـ)، في كتابه «قواعد عقائد آل محمد»، وغير ذلك من كتب العقائد والتاريخ.

وعندما بدأت موجات الحجاج الإسماعيلية تتوافد على اليمن، وظهر نشاطهم ونشاط إخوانهم من اليمنيين، تحرك بعض العلماء والدعاة من المعاصرين لمواجهة ذلك خطابة ومحاضرة وربما تأليفاً، والواجب أن تأخذ هذه الفرقة حظها من العناية والاهتمام على مستوى الخطر الذي تشكله.






## المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية

**وفيه أربعة مطالب:**

**المطلب الأول: جهود علماء اليمن الأعلى «صنعاء وما يليها»:**

لقد كان لعلماء هذه الجهة النصيب الأوفر والحظ الأكبر من الجهود العلمية والعملية في مواجهة القبورية وقد تقدم بعض جهودهم في مواجهة الباطنية الشيعية، وفي هذا المبحث سألقي الضوء على جهودهم في مواجهة عموم القبورية، ولم تكن تلك الجهود العظيمة لأن بلادهم كانت أكثر قبورية من غيرها، ولكن كان هناك عاملان أساسيان لذلك:

**الأول**: هو الاجتهاد والتجديد الذي تميز به علماء هذه الجهة، فاتسعت آفاقهم، وزالت الموانع من طريقهم؛ سواء موانع النظر العلمي، أو موانع الجهر بكلمة الحق التي حالت دون علماء جهات أخرى أن يقولوها.

**الثاني**: أنه لا يوجد من يتبنى القبورية، ويدافع عنها بقوة من علماء تلك الديار، وإنما الذي يروج تلك القبورية هم الحكام دون اعتقاد؛ بل لدوافع إظهار العظمة لديهم، فلم يكن لهم حماس الصوفية المعتقدة في الأولياء والحكام الخاضعين لسلطان الصوفية.

ولذا فسوف تطالعنا أسماء عديدة، لها إسهاماتها في هذه الجهود من جوانب مختلفة، ولكنني سأكتفي بدراسة أكثر تلك الأسماء تأثيراً، وهما الإمامان شيخا الإسلام «محمد بن إسماعيل الأمير» و«محمد بن علي الشوكاني»، مع استعراض بعض آثارهما في هذا المجال، وأما بقية الأسماء فسأذكرها مجردة، مع تاريخ الوفاة وبعض مصادر الترجمة، واسم الأثر الذي تركه ذلك العالم في مواجهة القبورية وموضوعه.

## العلم الأول
## من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى
## الإمام محمد بن إسماعيل الأمير

هو علامة اليمن ومجدد علم الحديث بها، البدر المنير محمد بن إسماعيل بن صلاح، الأمير الكحلاني ثم الصنعاني، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد بكحلان ليلة الجمعة منتصف جمادى الأولى سنة (١٠٩٩هـ)[١]، ثم ارتحل مع والده إلى صنعاء، وهناك أكب على طلب العلم على أشهر وأفضل علمائها، (ورحل إلى مكة، وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن)[٢]، وقد عدد الشوكاني تلك المحن التي وقعت عليه[٣].

وقد تفرد في عصره من بين علماء اليمن بأمور هي من أعظم خصال المجددين، وأزكى ثمار اجتهاد المجتهدين، أولها الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك ووسائله، وهذا ما سنراه في الجزء الثاني من هذه الترجمة، وكان ذلك قبل أن يسمع بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فلما سمع بها وبما يقوم به ابن عبد الوهاب في ذلك السبيل، فرح فرحاً شديداً، وتقوّى بذلك، ووجد المساعد على دعوته التي كان يظن أنه وحده عليها، فراسله بقصيدته الشهيرة المعروفة بالقصيدة النجدية، والتي مطلعها:

سلامٌ على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

وقال مبدياً سروره بما يدعو إليه ذلك الإمام:

لقد سرني ما جاءني من طريقة ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقد ضمّن هذه القصيدة أهم ملامح دعوته إلى التوحيد والاجتهاد ومحاربة البدع، وأثنى على الإمام ابن عبد الوهاب بذلك.

ولكن هناك أموراً ساعدت على شيء من التردد تجاه الشيخ ابن عبد الوهاب؛

---

(١) «هجر العلم» (٤/ ١٨٥٤).
(٢) «البدر الطالع» (٢/ ١٣٣).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١١٣ ـ ١٣٦).

وهي أنه لم يبادر بالجواب على الصنعاني، وترتب على هذا السبب أسباب أخرى، من أهمها أن القصيدة انتشرت، وسار بها الركبان، وبلغت الحجاز والشام والعراق وغيرها من البلدان التي لابن عبد الوهاب فيها أعداء، فسارعوا بالكتابة لابن الأمير، يلومونه على مدحه لابن عبد الوهاب، ويختلقون المطاعن والمثالب، ويهوِّلون الأمر بحيث يصوّرون له أنه بسبب هذه القصيدة ارتفع شأن هذا الرجل، واغتر به أناس مع ما عنده من أخطاء، ويحمِّلون ابن الأمير مسؤولية من اغتر بقصيدته، ولكن ذلك كله لم يؤثر فيه، كما صرح بذلك في مقدمة قصيدة الرجوع. غير أنه بعد فترة ورد إليه رجل من أهل نجد، يزعم أنه من طلاب محمد بن عبد الوهاب، وذكر لابن الأمير بعض الأمور عن صاحبه لم ترق له، ولم يُعِر ذلك اهتماماً، ثم ورد رجل آخر يظهر عليه سمت وسيما صلاحٍ ونباهة في طلب العلم حسبما يصفه ابن الأمير؛ فأكد ما قاله الوافد الأول وأحضرٍ حسب زعمه بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي فيها تبرير تكفير سائر الأمة، والوجهة في قتل مخالفيه وأخذ أموالهم، فلما تجمع ذلك كله وجد ابن الأمير نفسه مضطراً لمسح ما فعلته القصيدة الأولى من دعاية لابن عبد الوهاب، فنظم قصيدته التي مطلعها:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

وأبان فيها ما بلغه عن ابن عبد الوهاب مما لا يرتضيه، وأهمه تكفير الأمة قاطبة، والتَّجاري على الدماء والأموال، وأقول:

أما القضية الأولى فهي قطعاً غير صحيحة، وجميع مؤلفات الإمام ومؤلفات أبنائه وأحفاده وأعلام الدعوة النجدية موجودة متداولة، وليس فيها شيء من ذلك، أعني التكفير العام المطلق للأمة، وإنما فيها التحذير من الشرك والحكم العام دون التعيين لمن وقع في الشرك بأنه مشرك، ما لم يكن معذوراً، وتاب عن ذلك، فدعوى تكفير الأمة قاطبة مما افتراه عليه أعداؤه لتشويه سمعته.

وأما القضية الثانية وهي التجاري على دماء المسلمين وأموالهم فهي مبنية على حكم من يحاربهم، فمن اعتقد هو وأتباعه أنه مرتد معاند، لم يقبل النصح، ولم ينصح للدعوة، استحل قتاله، وغنم أمواله، وذلك بعد البلاغ والإعذار، كما تنص عليه كتبه وكتب أتباعه، وأما وصول الأمر إلى حد الاغتيال دون إنذار ودون دعوة، فما علمت أن الشيخ وأتباعه العلماء يجيزون ذلك بهذه الصورة المذكورة، وأما أن يحصل من بعض الجنود وقُوَّادِهم شيء من التجاوز في القتل أو في نهب الأموال أو

ما أشبه ذلك، فهذا ممكن، وليس العيب فيه على الشيخ، ولا على دعوته.

وعلى كل حال فتأخُّر جواب الشيخ ابن عبد الوهاب على الشيخ ابن الأمير فتح المجال للطرف الثالث وهم الناقمون على الشيخين جميعاً، فسعوا للإيقاع بينهما، وخصوصاً أنهم لمسوا قضية حساسة لدى ابن الأمير، وهي قضية قتل الناس وأخذ أموالهم باسم الدين والشرع والجهاد في سبيل الله، التي كان قد سنّها بعض أئمة اليمن، وضاق بها علماء اليمن ذرعاً، ومن أشدهم ابن الأمير فكم له في ذلك من مكاتبات وقصائد تعد ثورة على تلك الأوضاع، فخشي أن يذم أئمة اليمن، ويمقتهم لذلك الظلم، وفي نفس الوقت يمدح إمام نجد الذي يجاري أئمة اليمن في ذلك البغي والظلم.

هذه في نظري هي الأسباب الحاملة على نظم القصيدة الأخيرة؛ ولذلك ومن أجل أن يقطع الطريق على من يصطاد في الماء العكر، فقد أكد تمسكه بما جاء في القصيدة النجدية من العقيدة والمنهج، وإنما كان الرجوع عن تلك القضايا المحددة فقال:

نعم واعلموا أني أرى كل بدعة ... ضلالاً على ما قلت في ذلك العقد
ولا تحسبوا أني رجعت عن الذي ... تضمنه نظمي القديم إلى نجد
بلى كل ما فيه هو الحق إنما ... تجاريك في سفك الدما ليس من قصدي
وتكفير أهل الأرض لست أقوله ... كما قلته لا عن دليل به تهدي)[1]

والقصيدة ثابتة عن الإمام ابن الأمير، وليست مقولة على لسانه، والسبب فيها ما ذكر، وليس هو تراجعاً عن ذلك المنهج، وقد أشار الشوكاني في «الدر النضيد» إلى شرح هذه القصيدة لابن الأمير[2]، فمن أنكرها من علماء نجد وغيرهم كان إنكاره لها عن عدم اطلاع على ما ذكر من أسباب وملابسات، وما ذاك إلا غيرة على الإمام ابن الأمير من أن ينسب إليه ما يخالف ما عرف عنه من الدعوة إلى التوحيد والاتباع، ومحاربة الشرك والابتداع.

وأما الأمر الثاني فالدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المقيت، وهذا الأمر تطفح به كتبه التي خصص منها رسالة لهذا الغرض بعنوان: «إرشاد النقاد

---

(١) «الديوان». وانظر مقدمة هذه القصيدة ص(١٧١ ـ ١٧٣).
(٢) «الدر النضيد» ص(١٠٢).

إلى تيسير الاجتهاد»، كما تعرض لهذا الأمر في الكثير من كتبه الكبيرة والصغيرة، وأعلنه في العديد من قصائده، ومنها هذه القصيدة النجدية التي تكلمنا عنها آنفاً حيث قال:

وأقبح من كل ابتداع سمعته ... وأنكاه للقلب الموفق للرشد
مذاهب من رام الخلاف لبعضها ... يُعض بأنيابِ الأساود والأسد
يصب عليه سوط ذم وغيبة ... ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد
ويُعزى إليه كل ما لا يقوله ... لتنقيصه عند التهامي والنجدي
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ... ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه غدا ... يتابع قول الله في الحل والعقد
ويتبع أقوال النبي محمد ... وهل غيره بالله في الشرع من يهدي
لئن عده الجهال ذنباً فحبذا ... به حبذا يوم انفرادي في لحدي[١]

وتجد هذا الاتجاه في ديوانه في عدة مواضع بارزاً، وقد جرّ عليه هذا ضروباً من المحن كما مر.

والأمر الثالث مقارعته للأئمة وتشديده النكير عليهم في المظالم التي يرتكبونها بحق الأمة في دمائها وأموالها، وهو فاشٍ في كتبه ورسائله وقصائده، ومن أشهر تلك القصائد وأذيعها وأبعدها ذكراً القصيدة التي مطلعها:

(سماعاً عباد الله أهل البصائر ... لقولٍ له يفنى منام النواظر)[٢]

وقد شجب فيها ظلم الأئمة وميل بعض القضاة عن مقتضى العدل، وسكوت العلماء عن قول كلمة الحق، وبالجملة فقد وهب نفسه وراحته ووقته وعلمه لإعلاء كلمة الحق ورفع راية التوحيد وقمع البدع والمنكرات، ومن طريف ما قام به في الحفاظ على التوحيد ومحاربة الشرك ما ذكره «زبارة» في «نشر العرف» تحت عنوان «صنم المخا وفتنة الخطبة بصنعاء» قال: (وأرشد المهدي العباس إلى إزالة أصنام كانت ببندر المخا لطائفة البانيان، وألف البدر رسالة في ذلك نفيسة، فبادر المهدي إلى الأمر بإزالتها وهدم بيوتها، وقبض جميع أموالها، وقد كان لها مال واسع يقدر بنحو خمسين ألف ريال، فأخذ وأوصل أحد الأصنام إلى حضرة الإمام والبدر لديه، فأمر البدر بكسره، وكان في صورة أنثى، فديس بالنعال)[٣].

---

(١) «الديوان» ص(١٦٧).
(٢) «الديوان» ص(٢٤٤ ـ ٢٤٧).
(٣) «نشر العرف» (٣/ ٤١).

وقد التف حوله نخبة كبيرة من طلاب العلم من طبقات متفاوتة من المجتمع، قال عنها الشوكاني: (وقد كان أكثر أتباع صاحب الترجمة من الخاصة والعامة، وعملوا باجتهاده وتظاهروا بذلك، وقرأوا عليه كتب الحديث وفيهم جماعة من الأجناد، بل كان الإمام المهدي يعجبه التظهر بذلك، وكذلك وزيره الكبير الفقيه أحمد بن علي النهمي وأميره الكبير الماس المهدي، وما زال ناشراً لذلك في الخاصة والعامة غير مبال بما يتوعده به المخالفون له، ووقعت في أثناء ذلك فتن كبار، وقاه الله شرها)[١].

وبواسطة طلابه والمقتدين به من العلماء والدعاة، وصلت إلينا الدعوة السلفية اليمنية، والحمد لله، خلّف ثروة ضخمة من الكتب التي تُشد إليها الرحال في التحقيق والتجديد ودقة الفقه والاستنباط، من أوسعها انتشاراً «سبل السلام» و«تطهير الاعتقاد» و«العدة حاشية شرح العمدة» لابن دقيق العيد، ومؤلفاته كثيرة جداً، قال القاضي الأكوع: (وله رسائل كثيرة، يضيق المقام بذكرها)[٢] ومعظمها في تلك الاتجاهات التي أشرنا إليها، وسيأتي التعريف بما يخص القبورية من مؤلفاته التي اطلعنا عليها أو بعضها، ولقد اهتم العلماء والمؤرخون وطلاب الدراسات العليا بدراسة جوانب مختلفة من حياته وفكره، فمنهم الإمام الشوكاني في «البدر الطالع»، والقاضي الحيمي في كتابه «طيب السمر»، والجرموزي في كتابه «سلافة العصر»، والقاضي أحمد قاطن في كتابه «الدمية والتحفة»، وعبد الله بن عيسى في كتابه «الحدائق»، وعبد الله الحبشي في كتابه «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن»[٣].

وقد ترجمه ترجمة واسعة «زبارة» في «نشر العرف»، والقاضي الأكوع في «هجر العلم»، كما كُتبت عنه عدد من المؤلفات الخاصة والرسائل العلمية منها: كتاب «الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار» للدكتور «أحمد محمد العليمي»، وكَتب علي عبد الجبار ياسين السروري كتاباً بعنوان: «ابن الأمير الصنعاني حياته وفقهه»، نال بها درجة الماجستير، وكتب الباحث قاسم صالح ناجي الريمي رسالة بعنوان «الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني»، نال بها درجة الماجستير، وكتب عنه العلامة عبد الرحمٰن طيب بعكر كتاباً بعنوان «مصلح اليمن محمد إسماعيل الأمير دراسة حياته وآثاره» وكتب الأساتذة قاسم غالب أحمد، وحسين أحمد السياغي، ومحمد بن

---

(١) «البدر الطالع» (٢/ ١٣٧). (٢) «هجر العلم» (٤/ ١٨٥٧).
(٣) «مقدمة الديوان» ص(٤٧)، بقلم حفيده الأستاذ عبد الرحمٰن علي الأمير.

علي الأكوع، وعبد الله بن عبد الوهاب الشماحي، ومحمود إبراهيم زائد كتاب «ابن الأمير وعصره»(١).

هذا هو الإمام محمد بن إسماعيل الأمير أحد أبرز مجددي اليمن ومن أوائل من فتح باب مواجهة القبورية في اليمن الأعلى.

## جهود ابن الأمير في مواجهة القبورية:

لقد احتلت مواجهة القبورية حيزاً واسعاً من حياة ابن الأمير وجهده وجهاده، ولن أستطيع الإحاطة بكل ما كتب في هذا الجانب، فبعضه ما زال مخطوطاً، وبعضه ضمن مؤلفات كبيرة متناثر في ثناياها، والقصد هو إلقاء الضوء على منهج الرجل في مواجهة القبورية، وسيظهر ذلك ـ إن شاء الله ـ من خلال استعراض ما يقع عليه الاختيار من كتبه.

## الأثر الأول من آثار ابن الأمير المفردة في مواجهة القبورية:

### «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»

هذه الرسالة هي أشهر كتبه المفردة في هذا الموضوع، وقد تداولها الناس، وطبعت عدة طبعات في بلدان عديدة، قال في مقدمتها بعد الحمد والثناء والصلاة والسلام على النبي ﷺ: (وبعد فهذا «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد»، وجب عليّ تأليفه، وتعين عليّ ترصيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتخاذ العباد الأنداد، في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور، لا يحضر للمسلمين مسجداً، ولا يُرى لله راكعاً ولا ساجداً، ولا يعرِف السنة والكتاب، ولا يهاب البعث والحساب، فواجب عليّ أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره)(٢).

وقد احتوى الكتاب على خمسة أصول وعدد من الفصول، كلها تدور حول إخلاص العبادة لله تعالى، وبيان ما وصل الناس إليه من جاهلية باعتقادهم في أصحاب القبور، ونقد كثير من الأوضاع المبتدعة المتعلقة بذلك.

وللشيخ كتب أخرى مفردة في هذا الموضوع، منها كتاب بعنوان: «الإنصاف

---

(١) «هجر العلم» (٤/ ١٨٥٥).

(٢) «تطهير الاعتقاد» ضمن «مجموعة رسائل في علم التوحيد» ص(٢٧ ـ ٢٨).

في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف»، ألفه حينما اطلع على جواب لأحد القبوريين، أجاب به على سؤال ورد إليه، فجاء في ذلك الجواب: (إن للأولياء ما يريدون، وإنهم ممن يقول لأي شيء أرادوه كن فيكون، وإنهم من القبور لقضاء الحوائج يخرجون)[1]، إلى آخر ما ذكره المجيب من نواقض الاعتقاد الصحيح قال: (فتعين إيقاظ أهل الغفلة والمنام، من القاصرين والعوام، ببيان حقيقة الولي وما ورد في صفته من الآثار، وبيانه من الكتاب والسنة والأخبار، ثم بيان رد ما أورده المجيب من الهذيان، وأنه جعل الأولياء من جملة الأصنام والأوثان، ووصفهم بأنهم كالإله تقدّسَ وتعالى، وأنهم يقولون للشيء كن فكان، فرأيته يتعين إبانة الصواب، وبيان حقيقة ما افتراه من الأوتاد والأنجاب والأقطاب، وما خالف فيه بهذه البدعة من أدلة السنة والكتاب)[2].

ثم تتبع ذلك المجيب، بأن يورد مقطعاً من كلامه، ثم يتعقبه بالرد وبيان الحق في تلك المسألة، وقد طُبع الكتاب عام (١٤١٧هـ) بتحقيق مجموعة من الطلاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية تحت إشراف الشيخ «حسن علي حسين العواجي» المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين في نفس الجامعة.

كما أن له كتاباً يتعلق بالقبورية، ولا يظهر علاقته بهم إلا بعد النظر الفاحص فيما يمارسون، ذلكم الكتاب هو المسمى «رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد والحروف، والأوفاق، وكم بقي من عمر الدنيا، وذكر المهدي المنتظر»، والذي يخص موضوعنا منها هو ما يتعلق بالحروف والأوفاق، وقد تكلم في المسألة الأولى عن حروف «أبجد، هوز» وأبان أنها ليست في دلالتها على الأعداد من وضع اللغة العربية، ثم انتهى إلى القول بأن جعلها دلالة على الأعداد أمر اصطلاحي، لا حجر فيه، ولا ضير على متعاطيه، ونهي ابن عباس عنه وأنه من السحر يدل على أنه عرف أنه اصطلاح لليهود يستعملونه في الأسحار، وهذا يأتي بحقيقته في المسألة الثانية[3].

وفي المسألة الثانية قرر أن علم الأوفاق علم مبتدع وحادث، لا يعرف له دليل من كتاب ولا سنة ولا فعل صحابي ولا غيره، وبعد أن فنّده، وحكم بعدم وجود أصل شرعي له، نقل تعريف داود الأنطاكي له، ثم قال: (قلت: وهذا شأن الأسحار

(١) «الإنصاف» للصنعاني ص(٢).
(٢) المصدر السابق ص(٣).
(٣) «رسالة شريفة» للإمام الصنعاني ص(١٨).

والابتداع، لا شأن الطريق النبوية والاتباع، ومعلوم أنها طريقة سحرية، إذ المطلوب بها أمور دنيوية محضة، من جاهٍ عند العباد، وجلب رزق من أيديهم، وإلقاء المهابة في قلوبهم وغير ذلك)[١].

وإنما قلت: إن هذه الرسالة هي من ضمن مواجهة القبورية؛ لأنه سبق في الباب الثاني أن كثيراً من أولياء القبورية ذكروا أنهم يتعاطون علم الحروف والأوفاق، ويتصرفون بها ويعدون ما ينتج عن ذلك كرامات لأولئك الأولياء، وهو في الحقيقة من السحر، فناسب جعل هذه الرسالة من جملة الردود عليهم، وقد حقق هذه الرسالة الأخ: مجاهد بن حسن بن فارع الوصابي المطحني، وراجعها شيخنا الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله وطُبعت من قِبَل دار القدس بصنعاء عام (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

كما أن هناك رسالة صغيرة هي عبارة عن إجابة على سؤال عن حكم الذبح على القبور بعنوان «مسألة في الذبائح على القبور وغيرها» حققها أخونا «الشيخ عقيل بن محمد المقطري» وراجعها محدث اليمن العلامة «مقبل بن هادي الوادعي»[٢] رحمه الله، وهي رسالة صغيرة جداً، أبان فيها حرمة تلك الذبائح، وفصل فيها، وقد عد الذبح على باب الدار وعلى جدرانها، وكذلك ما سمي عند العامة بـ «الهجر» ونحوه: من الذبائح المحرمة، ولكن الذابح لا يكون بذلك مرتداً، وأما الذابح للقبور فإنه يكون مشركاً، وذبيحته ذبيحة مشرك (...فإن الذابح لابن علوان مثلاً، لا يكون إلا عن اعتقاد أنه يضر وينفع، ويعطي ويمنع، ويشفي المرض ويذهب عن الأبدان العليلة الأدواء، وهذا بعينه الذي كان عليه عباد الأوثان وأتباع الشيطان، فإنهم كانوا ينحرون لها، ويهتفون بأسمائها، ويدعونها، ويخافونها، ويرجونها، ويطوفون بها، ويناودنها بمثل «على الله وعليك»، كما يفعله الآن عباد القبور والقباب والمشاهد التي يجب هدمها)[٣].

كما يعد من هذا الباب شرحه على رجوعه عن القصيدة النجدية المسمى

---

(١) المصدر السابق ص(٢٢).

(٢) كتبت هذه السطور بعد وفاة الشيخ بأربعة أيام، حيث وافاه الأجل المحتوم آخر يوم السبت أول يوم من شهر جمادى الأولى عام (١٤٢٢هـ) تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأخلف على المسلمين خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣) «مسألة في الذبائح على القبور وغيرها» ص(٤٤)، طبع مكتبة دار القدس، صنعاء، ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

«إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبد الوهاب» أو «النشر الندي بحقيقة أقوال ابن عبد الوهاب النجدي»، ذلك أن الرجل لم يرجع كما سبق عن أصل ما كان في قصيدته الأصلية النجدية، وإنما رجع عن مدح محمد بن عبد الوهاب وبيان ما بلغه عنه مما لا يرتضيه، وهذا كله لا يغير من منهج تلك القصيدة، وبالتالي فالشرح يؤكد ما كان في تلك القصيدة من مواجهة للقبورية، ويوضحه ويقيم الأدلة عليه، كيف لا وهو قد صرح فيها بأن القبوريين قد أصبحوا مشابهين لعباد «ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر».

ولعل الله أن يهيء نشر ذلك الشرح؛ ليتضح صحة هذا الكلام؛ وليخسأ من يتشدق أمام العوام وأشباه العوام، بأن الصنعاني رجع عما جاء في قصيدته النجدية مطلقاً، وأنه عاب على ابن عبد الوهاب دعوته إلى التوحيد من أصلها، ومحاربته للشرك والقبورية من أساسها، هذه بعض جهود الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في مواجهة القبورية.

## العلم الثاني
## من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى
## الإمام شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني

هو الإمام شيخ الإسلام أحد مشاهير أعلام اليمن ومجددي الدين فيه، وأحد رواد النهضة الحديثة والصحوة المباركة ورموز السلفيين في العصور المتأخرة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني، ترجم لنفسه، وسلسل نسبه إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]، وولد رَحِمَهُ اللَّهُ في «هجرة شوكان» وسط نهار يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (١١٧٣هـ)، ونشأ بصنعاء في كنف والده الذي يعد من كبار علماء صنعاء في وقته، وقد أقبل على طلب العلم بشكل منقطع النظير، أعانه على ذلك الحال الميسور لأسرته، إذ وفَّر له التفرغ للطلب، وعدم الانشغال عنه بطلب المعاش، كما كان من أسباب نبوغه وترقيه في الطلب، وسرعة البلوغ إلى المطلب والأرب، النفس الأبية، والهمة العلية، وتشجيع الأب، ودفع به إلى الارتقاء وجود مجموعة من أكابر العلماء من طلاب الإمام ابن الأمير والمتأثرين به، وهكذا واصل مشوار التعليم، ثم صار يعيد الدروس لزملائه وأقرانه، ثم اشتهر بين أساتذته

(١) «البدر الطالع» (١/٤٧٨ ـ ٤٨٠).

وأشياخه قبل بلوغ العشرين من عمره[١]، وما إن بلغ العشرين حتى أصبح مفتياً ترد إليه الفتاوى من جهات مختلفة من اليمن، وكان يفتي بدون أجر، وذلك أمر مستغرب في زمنه وفي وطنه.

ولقد امتحنه الله تعالى بامتحان عظيم، وهو تولي القضاء، بل قضاء الأقضية أو بالتعبير العصري «رئاسة القضاء»، فنجح في الامتحان ونجا من الافتتان، وأجمع مترجموه على نزاهته، وحسن سيرته فيه، بل لم يعد رئيساً للقضاء فحسب، وإنما من أقرب المقربين إلى أئمة عصره الذين عايش حكمهم، وهم: الإمام المنصور علي بن المهدي العباس (١١٨٩ ـ ١٢٢٤هـ)، وابنه الإمام المتوكل على الله أحمد (١٢٢٤ ـ ١٢٣١هـ)، وحفيده الإمام المهدي عبد الله (١٢٣١ ـ ١٢٥١هـ)، ولقد كان لقربه منهم أثر كبير في كثير من الإصلاحات، ومنها حمله على الاستجابة لطلب الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود من الإمام المهدي هدم المشاهد والقباب المقامة على القبور في صنعاء ونواحيها، فصوّب الإمام الشوكاني ومن معه من العلماء ذلك، وحثوا الإمام عليه، فوقع الهدم لتلك المشاهد، كما سيأتي في مطلب الجهود العملية لمواجهة القبورية.

كما أثر عليه في غير ذلك من جوانب الإصلاح، وهذا جانب مهم من جوانب شخصية الشوكاني، وهو جانب الإصلاح السياسي والاجتماعي، والذي مارسه عملياً ومن موقع القرار بخلاف الإمام ابن الأمير، الذي كان يمارسه من خارج نطاق السلطة.

والجانب الثاني كما بدأه سلفه من علماء اليمن، من تمزيق قيود التقليد الأعمى والعصبية المقيتة، فقد قام في ذلك الجانب بجهود جبارة نظرياً من خلال دعوته إلى ذلك وتأليفه فيه وتأصيله في عدد كبير من كتبه ورسائله، حتى أنّا سنجد أنه جعل مدخله إلى نقد فتوى الإمام يحيى بن حمزة في رسالته «شرح الصدور بتحريم رفع القبور»، جعل مدخله إلى ذلك التأكيد على الرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما[٢]، وقد أخذ ذلك حيزاً كبيراً من تلك الرسالة، وهكذا شأنه في كثير من رسائله، إضافة إلى كتابه الخاص في ذلك، المسمى «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد».

---

(١) انظر ترجمته لنفسه في: «البدر الطالع» (١/ ٢١٤ ـ ٢٢٥).
(٢) انظر: «مقدمة شرح الصدور» من «مجموعة رسائل في علم التوحيد» ص(٦٥ ـ ٦٩).

وأما الجانب العملي فهو ما يراه كل مطالع لمصنفاته الفقهية والحديثية، وحواشيه وشروحه، فكلها ينطلق فيها من هذا المنطلق، ولا يبالي بمن خالف، أو وافق فيما يذهب إليه.

والجانب الثالث هو دعوته إلى الاتباع ونهيه عن الابتداع، وجهاده في سبيل إخلاص كلمة التوحيد، وحربه لعقائد الشرك والتنديد، وسيأتي في آخر هذا المطلب دراسة بعض آثاره في ذلك.

غير أني أود قبل الخروج من هذا الجانب أن أرد على قوم ظفروا بقصيدة للإمام الشوكاني في ديوانه، فهموا منها أنه يعادي الإمام محمد بن عبد الوهاب، ويرد عليه وعلى علماء نجد وأمرائها، فطاروا بذلك فرحاً، وانتسخوها، وصاروا يوزعونها على أتباعهم، والواقع أن القارئ لا يجد فيها ما يفرح به أولئك، غير أنهم قد اتخذوا سياسة التأثير النفسي على الأتباع، فإنهم عندما يوزعونها هم، وربما جعلوا لها مقدمة تبين أن هذه القصيدة رد فيها الشوكاني على الوهابية، ونقض ما يدعون إليه من محاربة الأولياء والمعتقدين فيهم... إلخ، فإن التابع المسكين سيتأثر بتلك المقدمة المكتوبة أو الشفوية، ويعتبر أن القصيدة من هذا الباب دون تأمل لما فيها، مما هو في الحقيقة رد عليهم، وتأكيد على منهج الشوكاني الذي كرس له حياته، ولم يحد في هذه القصيدة عنه، إذ عرف عنه تجويز التوسل بالصالحين، وقرره في أكثر من كتاب من كتبه، مع اعتباره دعاء غير الله شرك أكبر، وقد رد على ابن الأمير حين قال: إنه من الشرك العملي، وذلك في الدر النضيد[1]، وكل ما في الأمر أن الإمام الشوكاني حذر من التسرع في تكفير الأمة بما دون الشرك من البدع، كالبناء على القبور، وجعل التوابيت عليها، أو التوسل الذي يراه هو مباحاً، أما مَن دعاهم من دون الله، واعتقد فيهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله، فقد اعتبره من الشرك المخرج من الملة، قال رحمه الله في تلك القصيدة:

| | |
|---|---|
| ومن يأتي إلى عبد حقير | فيزعم أنه الرب الودودُ |
| فهذا الكفر ليس به خفاءٌ | ولا رد لذاك ولا جحودُ |
| ولست بمنكر هدماً لقبرٍ | إذا لعبت بجانبه القرودُ |
| وقالوا: إن ربَّ القبر يقضي | لنا حاجاً فتأتيه الوفود |

(١) انظر: «الدر النضيد» ص(١٠٢ ـ ١١٦).

كـذبـتـم ذاك ربُّ الـعـرش حـقـاً ... تـعـالـى أن تـكـون لـه نـدودُ
ومـن يـقـصـد إلـى قـبـر لأمـرٍ ... بـغـيـر تـوسـل فـهـو الـكـنـودُ(١)

وهذا الكلام واضح في مراد الإمام رَحِمَهُ اللهُ، ومنسجم مع منهجه، ولئن كان فيه شيء من التعميم والإطلاق فيجب إرجاعه إلى كلامه البين الواضح، وأما قوله قبل هذه الأبيات:

فـإن قـلـتـم قـد اعـتـقـدوا قـبـوراً ... فـلـيـس لـذا بـأرضـيـنـا وجـودُ

فيجب أن يقارن بينه وبين ما في سائر كتبه، ومنه ما جاء في «الدر النضيد»، حيث قال:

(وإذا علمت هذا، فاعلم أن الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية، أمرٌ غير ما ذكرناه من التوسل المجرد، والتشفع بمن له الشفاعة، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام، وبعض الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء، من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله، وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء، وهذا إذا لم يكن شركاً فلا ندري ما هو الشرك؟! وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر)(٢).

فإن قيل: هذا عام، ولا يدل على أن هذا موجود في اليمن، قلت: يؤكد دلالته على ذلك ما جاء في نفس الكتاب بعد أن سرد الأدلة على تحريم أنواع من الشرك ووسائله، حيث قال وهو يؤكد ما ينتج عن تعظيم القبور وتفخيمها من عقائد باطلة: (وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة، وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب «ذي بين» رَحِمَهُ اللهُ، فرآها وهي مسرجة بالشمع، والبخور ينفح من جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة، فقال عند وصوله إلى الباب: أمسيت بالخير، يا أرحم الراحمين)(٣).

إذاً كيف نؤول قوله: (فليس لذا بأرضينا وجودُ)، قلت: يُؤَوَّل ـ والله أعلم ـ

(١) «الديوان» ص(١٦٣)، قال المعلق على كلمة (كنود): الكنود: الكفور. قلت: وكذلك هو في «القاموس» ص(٤٠٣).
(٢) «الدر النضيد» ص(٢٨).
(٣) «الدر النضيد» ص(٤٨).

أن هذه القصيدة هي في إطار المراسلات الرسمية بين إمام اليمن ومعه الشوكاني، وبين أئمة نجد، الذين كانت العلاقات معهم يسودها الود حيناً والنفور حيناً، وخوف إمام اليمن من زحف الجيوش النجدية على بلاده حيناً، فجاءت هذه القصيدة لتهدئة الأوضاع وإقناع النجديين بأنه ليس في اليمن ما يستوجب محاربتهم له وزحفهم عليه، فجاز مثل هذا التعبير المخالف للواقع لأجل دفع فتنة الاقتتال بين الطرفين والله أعلم.

وبعد معرفة هذه الجوانب المهمة أقول: إن الإمام الشوكاني خلّف لليمن ثروتين عظيمتين:

**أما الأولى**: فهي طلابه وأصحابه الذين ساروا على نهجه، وتعلموا منه المنهج السلفي النقي، وحملوه إلى أن وصلنا اليوم كما وضعه، وهم كُثر، وقد أورد منهم الأستاذ عبد الغني قاسم عدد اثنين وتسعين رجلاً[1]، منهم من هو عالم، ومنهم من أصبح إماماً مجتهداً، أو قاضياً عادلاً، أو والياً كبيراً، وهؤلاء الطلاب هم أساس المدرسة السلفية القائمة في اليمن اليوم، والتي يعدّ رأسها اليوم القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني عضو مجلس الإفتاء حالياً.

**والثروة الثانية**: هي كتبه ومصنفاته، التي اتفق على الثناء عليها في الجملة الموافق والمخالف، وصارت مراجعاً للكثير من المؤسسات العلمية في شتى بقاع العالم الإسلامي، وتنافس لاقتنائها العلماء وطلاب العلم في كل مكان، وهي كثيرة جداً، حصر الباحث عبد الغني قاسم منها (٢٧٨) مائتين وثمانية وسبعين مؤلفاً، وأفاد أن المجال مازال مفتوحاً لاكتشاف غيرها في مظانٍ حددها، هي: المكتبات المنزلية للأسر اليمنية التي توارثت ملكية مخطوطات علماء اليمن، أو في مكتبات كل من الهند «حيث يوجد تلاميذه» وتركيا «إسطنبول»، وإيطاليا وبريطانيا، وسائر متاحف ومكتبات أوروبا الغربية والشرقية، حيث تسربت إلى خارج اليمن.

---

(١) الشوكاني حياته وفكره ص(٢٣٨ ـ ٢٦٦) للدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجبي، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، وقد قال عقب أن سردهم: (وقد اكتفى الباحث بهذا القدر من تلاميذ الشوكاني، وعددهم اثنان وتسعون تلميذاً «وإلا فهم مئات بل ألوف»، وتلاميذ الشوكاني أكثر من أن يحصوا).

**مترجمو الشوكاني:**

كما لا يحصى عدد تلاميذه بالدقة، ولا تعرف مؤلفاته بالتحديد من كثرتها، كذلك لا يحصى عدد من ترجم للشوكاني وأشاد بعلمه، وأظهر جوانب من شخصيته، وحتى لا أطيل على القارئ فلن أشغل نفسي بمن أفرده بالترجمة من الأقدمين، ولا من ترجم له في كتب التراجم والتواريخ العامة؛ وإنما أذكر بعض الباحثين الذين درسوا نواحي من حياة الشوكاني وعلمه وفكره، وقدموا في ذلك رسائل علمية للحصول على درجات علمية من قبيل الدكتوراه والماجستير.

**فمنهم دون التزام بترتيب معين:**

١ ـ د. محمد بن حسن الغماري، له رسالة دكتوراه بعنوان: «الإمام الشوكاني مفسراً».

٢ ـ د. عبد الغني قاسم الشرجبي، له رسالة دكتوراه بعنوان: «الإمام الشوكاني حياته وفكره».

٣ ـ د. عبد الله نومسوك، له رسالة بعنوان: «منهج الإمام الشوكاني في العقيدة».

٤ ـ د. صالح بن عبد الله الظبياني، له رسالة دكتوراه بعنوان: «اختيارات الإمام الشوكاني الفقهية من خلال كتابيه نيل الأوطار والسيل الجرار».

٥ ـ د. زياد علي «من ليبيا» له رسالة دكتوراه بعنوان: «الفكر السياسي والقانوني عند محمد بن علي الشوكاني».

٦ ـ د. عادل ياؤوز «من تركيا»، له رسالة دكتوراه بعنوان: «الإمام الشوكاني محدثاً».

٧ ـ د. سمير حسين، له رسالة دكتوراه بعنوان: «الشوكاني ومنهجه في الفقه الإسلامي من خلال كتابه السيل الجرار».

٨ ـ صالح محمد صغير مقبل، له رسالة ماجستير بعنوان: «محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية».

٩ ـ خالد بن إبراهيم بن عبد الله الديبان، له رسالة ماجستير بعنوان: «قضايا العقيدة عند الإمام الشوكاني».

١٠ ـ عبد الله فارع عبده العزعزي، له رسالة ماجستير بعنوان: «الشوكاني مؤرخاً، دراسة في منهجه التاريخي في كتابه (البدر الطالع لمحاسن ما بعد القرن السابع)».

١١ ـ سالم بن محمد باكوبن، له رسالة دكتوراه تحت الإعداد بعنوان: «الإمام الشوكاني وجهوده في الدعوة».

١٢ ـ برنارد هيكل اللبناني، له رسالة باللغة الإنجليزية بعنوان: «الشوكاني والوحدة الفقهية في اليمن».

قال القاضي إسماعيل الأكوع: (وتوجد رسائل دكتوراه وماجستير أخرى لم أذكرها؛ لأنها لم تنشر بعد)(١).

وهناك مئات المقالات الصحفية والأبحاث العلمية المتفرقة في الصحف والدوريات وغيرها، كل ذلك يدل على عظمة هذا الرجل واهتمام العلماء به. وقد توفي رحمه الله سنة (١٢٥٠هـ).

## جهود الشوكاني في مواجهة القبورية:

وأما عن جهوده في مواجهة القبورية فهي كثيرة مشكورة، وقد ترك عدة آثار في ذلك:

**الأثر الأول «شرح الصدور في تحريم رفع القبور»** وهو رد على الإمام يحيى بن حمزة الذي قال كما نقل عنه صاحب البحر الزخار: (لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين، ولم ينكر)(٢)، فرد عليه، ومهد لذلك بالتذكير بالعودة إلى الكتاب والسنة والالتزام بما جاء فيهما، وما جناه التقليد على أهله وعلى الناس من كوارث، ثم جعل هذه المسألة كالمثال على تلك القاعدة، وقد نوَّه الشيخ العلامة محمد حامد الفقِّي بالشوكاني وكتابه في مقدمته لشرح الصدور فقال: (وله «الشوكاني» من الرسائل في مفردات المسائل كثير جداً، فمنها رسالته هذه «شرح الصدور بتحريم رفع القبور» وهي رسالة تنادي بأنه من الشجاعة وقوة اليقين بحيث وقف هذا الموقف الفذ في وجه جموع أهل اليمن وغيرهم، يرد على الإمام يحيى خطأه ـ وناهيك بمنزلة الإمام يحيى من نفوس الزيديين ـ هذا الرد المفحم، وينادي عليه في صراحة المؤمن الذي لا يخشى في الله لومة لائم: أخطأت في تجويز رفع القباب والمشاهد على قبور الصالحين والملوك،

---

(١) «أئمة العلم المجتهدون في اليمن» للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع، مصفوف بالكمبيوتر (تحت الطبع).

(٢) «شرح الصدور» من «مجموعة رسائل في التوحيد» ص(٧٠).

ويا لها من شجاعة لله وفي الله! ولو أن العلماء كانوا بهذه الشجاعة في قولة الحق، وكانوا بالصدق والإخلاص في النصيحة كذلك، لكان شأن المسلمين اليوم غير ما هم عليه من الذلة والهوان.

والله يجزي الإمام الشوكاني وإخوانه الصادقين خير الجزاء، ويوفقنا لمثل ما وفقهم، ويحشرنا يوم القيامة مع إمامنا وإمامهم وإمام المهتدين عبد الله ورسوله محمد ﷺ)[١].

وقد اعتنى العلماء بهذه الرسالة وطبعت طبعات عديدة.

**الأثر الثاني كتاب «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»**، وهو أيضاً جواب على سؤال ورد إليه عن ذلك الموضوع، وقد صدّر الجواب بتوضيح بعض المصطلحات التي يؤدي الخلط فيها إلى الغلط، وهي: الاستغاثة، والاستعانة، والتشفع، والتوسل، وقد شرح معانيها، وأبان الفروق بينها، وقد رجح جواز التوسل بالصالحين على اعتبار أن ذلك توسل بأعمالهم الفاضلة، واحتج لذلك، وردّ على من منع منه، ومسألة التوسل من المسائل التي جرى فيها الخلاف قديماً وحديثاً، والصحيح والله أعلم أنها من البدع المحدثة التي لم يثبت لها دليل عنه ﷺ، ولا عن أصحابه بالمعنى الذي يريده مجوّزو ذلك التوسل، هذا في أصل المسألة، وأما ما هو حاصل اليوم عند جماهير المسلمين من عوام وأشباههم، وصوفية وغيرهم من المنحرفين، فإن التوسل يستعمل ويراد به الاستغاثة المجمع على المنع منها واعتبارها شركاً فلينتبه لذلك.

ثم إنه بعدما فرغ من تقرير موضوع التوسل، قرر بقوة وحزم أن دعاء غير الله شرك، وأنه تعبير عما تنطوي عليه نفوس من يدعون غير الله من الاعتقاد فيهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، وقد سبق نص كلامه كاملاً قبل قليل[٢]، وقد نوّع الكلام، واستطرد استطرادات حسنة، وبيَّن كثيراً مما يقع فيه الناس من نواقض التوحيد، ومما هو وسائل إلى ذلك، ونبه على حرمة الحلف بغير الله والطيرة، وفرّق بين الشرك والكفر الأصغر والأكبر إلى غير ذلك من الفوائد الجليلة.

**الأثر الثالث «رسالة في وجوب توحيد الله ﷻ»** وهي مأخوذة من كتابه الكبير

---

(١) المصدر السابق ص(٦٣ ـ ٦٤).

(٢) انظر: الصفحة رقم (٥٤٨).

المسمى «العذب المنير في جواب عالم بلاد عسير»، وقد كان السؤال متعلقاً بالتوحيد، وكون الدعاء عبادة، وهل يعذر الجاهل في ذلك... إلخ.

فأجاب شيخ الإسلام جواباً شافياً مقنعاً مليئاً بالأدلة من الكتاب والسنة مستشهداً بأقوال أهل العلم، وبيّن منزلة الدعاء من الدين، وحكم صرفه لغير الله، وحقيقة شرك المشركين الأولين؛ وهو اتخاذهم لأصنامهم شفعاء عند الله، وأن من هذه الأمة من يتخذ أصحاب القبور شفعاء، وهو بذلك مساوٍ لمشركي الجاهلية، ومنهم من يدعوهم من دون الله، وهؤلاء أغلظ شركاً من مشركي الجاهلية، ثم تعرّض لتقسيم الكفر إلى كفر أكبر وكفر أصغر، وإلى خفاء الشرك وكثير من أنواعه على كثير من المسلمين حتى وقع فيه بعض من ينسب إلى الأدب والعلم، ثم بيّن خطورة اتخاذ المشاهد والقباب على القبور المبالغ في تعظيمها وتزيينها، ثم بيّن الحكمة من لعن رسول الله ﷺ متخذي القبور مساجد.

ثم أنكر إدخال قبر النبي ﷺ في المسجد، وما بني عليه بعد ذلك، وكيف كان اهتمام النبي ﷺ بإزالة القبور المشرفة بحيث بعث أميراً من أهله هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه لطمس التماثيل، وتسوية القبور.

هذا مجمل ما احتوت عليه الرسالة، وهي قيِّمة في بابها، فرحمه الله وغفر له وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وهذه الرسالة قد قام بتحقيقها ونشرها د. محمد بن ربيع بن هادي المدخلي الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد طبعت للمرة الثانية عام (١٤١٩هـ).

تلك ثلاثة نماذج من جهود شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله، الخاصة في مواجهة القبورية، وهناك جهود أخرى كثيرة موزعة أثناء تراثه العظيم الذي خلّفه ليستضيء به العلماء، ويتربى عليه الطلاب، ويرجع إليه المختلفون في كثير من القضايا، فهو لم يغفل مواجهة القبورية في تفسيره، ولا أغفلها في شروحه للأحاديث وكتب الفقه، وما سها عنها في فتاواه وردوده على الأسئلة عند أدنى مناسبة، فقد عاش هذه القضية بكل حواسه، وتفاعل معها بكل عواطفه، لذلك قال د. إبراهيم هلال وهو يتكلم عن دعوة شيخ الإسلام الشوكاني إلى إخلاص شهادة لا إلٰه إلا الله: (وقد أخذت هذه الدعوة منه حيزاً كبيراً، بحيث صار فيها في اليمن إماماً كابن عبد الوهاب في الحجاز من قبل، وابن تيمية في مصر والشام، ولاقى من جرائها الكثير من المتعصبين ومن المقلدين، ورُمي بالنصب من أجلها، ومن أجل

دعوته إلى الاجتهاد والرجوع بالتشريع إلى طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين)[١].

### المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء اليمن الأعلى سوى ما تقدم:

ولعلماء اليمن الأعلى الآخرين جهود مشكورة مباركة في هذا المجال، وقد ألف الكثير منهم في الرد على القبورية رسائل مفردة، فمنهم:

١ ـ محمد بن محمد السماوي، المتوفى سنة (١٤١٠هـ)، مترجم في هِجَر العلم (٣/١٤٠٧)، له رسالة بعنوان: «التوصل إلى تحريم التوسل»[٢]، في الرد على القائلين بجواز التوسل.

٢ ـ يحيى بن محمد شاكر، المتوفى سنة (١٣٧٠هـ)، مترجم في هجر العلم (٤/٢٠٨٨)، له رسالة بعنوان: «دفع المشكك في وقوع شطر هذه الأمة في الشرك»[٣]، في الرد على من يقول بامتناع وقوع أحد من هذه الأمة في الشرك، كما له رسالة أخرى بعنوان: «السيف القاطع لأماني أهل الشرك والمطامع»[٤]، وجّهها إلى الإمام يحيى حميد الدين، انتقد فيها عدداً من المنكرات، ومن أهمها المشاهد التي على القبور، وأوصاه فيها بهدمها وإزالتها، وكذلك إزالة البدع والمنكرات والرجوع إلى الكتاب والسنة، وإفساح المجال للعلماء من أهل السنة لتعليمها والعمل بها.

هؤلاء بعض من اطلعت على تأليفهم في هذا الباب، ولا شك أنه يوجد سواهم، وعدم اطلاعي لا يعني عدم وجود شيء من ذلك.

## المطلب الثاني: جهود علماء اليمن الأسفل (من إب إلى عدن) في مواجهة القبورية:

### العلم الأول

### القاضي العلامة عقيل بن يحيى الإرياني

القاضي العلامة النابغة عقيل بن يحيى بن محمد بن عبد الله الإرياني، وصفه القاضي إسماعيل بن علي الأكوع بقوله: (عالم أديب كاتب شاعر له مشاركة قوية في

---

(١) «قطر الولي على حديث الولي» ص(٣٧)، تحقيق وتقديم إبراهيم هلال، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) «هجر العلم» (٣/١٤٠٧).

(٣) المصدر السابق (٤/٢٠٩٣).

(٤) المصدر السابق (٤/٢٠٩٣).

الفقه وعلوم العربية، سلك مسلك أهل السنة في اتباع أدلة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونعى على المقلدين والمعتقدين بالأولياء جمودهم، وندد بمن يعتقد فيهم الخير، وأنهم يشفعون لمن يلتمس الخير عندهم، أو عن طريقهم، فاتهمه بعض الغلاة بأنه ينزع إلى عقيدة الوهابية فقال:

إن أنا نزّهت إلهي عن الأ ... نْداد قالوا أنت وهابي
لكن لي بالمصطفى أسوة ... فقومه سمَّوه بالصابي)[1]

وقد ترجم له ابن أخيه الأديب مطهر بن علي الإرياني ترجمة مطولة في التقديم لرسالته موضوع البحث، عندما نشرها أخوه القاضي عبد الرحمٰن بن يحيى الإرياني، ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد، وذكر ذكاءه ونبوغه، وعدد العلوم التي أتقنها رغم عمره القصير والمجالات التي شارك فيها، وأبرز السمات التي كان متميزاً بها: (إخلاص التوحيد كله لله، وتشدده في ذلك إلى حد عدم السكوت حيث سكت الآخرون عن بعض ممارسات العامة واعتقاداتهم الباطلة بالأولياء وزيارة أضرحتهم والتقرب إليهم والهتاف بأسمائهم عائذين بهم عند حدوث أي حادثة كزلة قدم طفل أو وقوع دابة من أنعامهم، أو نحو ذلك مما نظر إليه على أنه إشراك صريح لله في وحدانيته، وبحكم تمسكه الشديد بمبدأ «إخلاص التوحيد كله لله»، لم ينظر إلى هذه المسألة على أنها شبهة إشراك أو جهالات مضلة مما يقع في الكثير من العامة، بل نظر إليها على أنها الشرك بعينه كما نرى في كتابه هذا)[2].

ولم يعمّر طويلاً، بل اخترمته المنية في ريعان شبابه ـ رحمه الله تعالى ـ، فقد (كان مولده سنة (١٣٢٤هـ)، ووفاته سنة (١٣٤٦هـ)، فكان عمره أقل من اثنين وعشرين عاماً رحمه الله رحمة واسعة)[3]، وأثره الوحيد هو كتاب «السيف الباتر لأعناق عباد المقابر»، وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب:

**الباب الأول**: في أمور يجب التنبيه عليها، واشتمل على ستة تنبيهات: التنبيه الأول على قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ثم أورد تسع خصال وقع فيها التشبه بالمشركين في هذه الأمة، التنبيه الثاني في أن من مكائد الغلاة التشنيع على أهل الحق، التنبيه الثالث في أن من مكائد الغلاة إفهامهم العوام بأن ما يحصل

---

(١) «هجر العلم» (١/ ٨٧).

(٢) «مجموعة رسائل في علم التوحيد» ص(١٢٧).

(٣) المصدر السابق ص(١٢٤).

عند قبور الصالحين من محبتهم، ومن أنكر ذلك فهو من مبغضيهم، التنبيه الرابع في أن كثيراً ممن يظهر عقيدة الغلاة، وينتصر لهم، ويصوب أقوالهم المخالفة لما جاءت به الرسل هم زنادقة، لا يعترفون أن للعالم إلهاً ولا صانعاً... إلخ، التنبيه الخامس أن من مكائد الغلاة التي كادوا بها العوام قولهم لهم: إن مَن خالف ما نحن عليه من عبادة القبور، نزلت به المصائب، التنبيه السادس في أن الغلاة يدّعون رؤيتهم النبي ﷺ عياناً بجسده يقظة.

**وأما الباب الثاني**:فهو في الاستغاثة وما يتعلق بها، بيّن حال القبوريين في هذا الموضوع، ثم استشهد على أن ذلك شرك بالآيات الكريمة، وقارنهم بمشركي العرب، وبيّن أن المشركين السابقين لم يعتقدوا أن أصنامهم تخلق أو ترزق، وإنما اتخذوها شفعاء عند الله كشأن هؤلاء المعتقدين للقبور وأصحابها، ثم أورد بعض الآيات الآمرة بالالتجاء إلى الله ﷻ، وقد تكلم على البسملة والفاتحة، وبيّن ما فيها من الوجوه الدالة على وجوب توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، ثم عزز بذكر آيات أخرى، مما يبين ذلك المقصود، ثم نقل نقلاً طويلاً من إغاثة اللهفان لابن القيم رحمه الله، ثم نقلاً عن العلامة «محمد رشيد رضا» من تفسيره «تفسير المنار»، ثم عقد فصلاً للتفريق بين الاستغاثة والتوسل، ثم تحدث عن التوسل، وقرر أنه إن كان التوسل عقيدة في المتوسَّل به فهو من النوع الأول، وإن لم يكن له فيه عقيدة وإنما أراد ذكره عند دعاء الله ﷻ متبركاً بذلك الاسم فقط، فقد اعتبر هذا القسم «بدعة من أعظم البدع وأشنعها»، ثم عقد فصلاً آخر، أكد ما مر الكلام فيه في شأن الدعاء والذبح ونحوه. وبعده فصلٌ آخر يتضمن ما قاله الخصم من إثبات للأقطاب وبطلان ذلك بالدليل الواضح، وبعدما عرّف القطب على مصطلح الصوفية قال: (أما إثبات الأقطاب على هذه الصفة فمروقٌ من الدين وعدول عن سبيل الموحدين وخروج عن الصراط المستقيم)[1]، ثم أورد الأدلة على بطلان قول الصوفية، ثم عقد فصلاً قال في فاتحته: (ويلحق بذلك من شنيع مقالات أهل القبور في هذا الوقت قولهم: إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان أو مكان)[2]، ثم أبطل ذلك، ثم كرّ على «عباد القبور» حسب تعبيره واعتقادهم الفضل والولاية بمن قد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وعدد أولئك الأقطاب في زعمهم من أمثال ابن عربي

(١) «السيف الباتر لأعناق عباد المقابر» ضمن «مجموعة رسائل في علم التوحيد» ص(٢١٩).
(٢) «السيف الباتر» ص(٢٣١).

وابن الفارض وعبد الكريم الجيلي، ثم أورد أمثلة من كلامهم، ورد العلماء عليه وبيان حكم هؤلاء عندهم.

**وأما الباب الثالث**: فقد عقده «في حكم زيارة القبور والسفر إليها» ذكر الأحاديث الناهية عن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة، وما أخذه العلماء منها من منع السفر إلى مشاهد الصالحين، ثم عقد فصلاً نقل تحته كلاماً لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ من «إغاثة اللهفان» يوضح فيه مكائد الشيطان التي كاد بها الناس حتى عبدوا القبور.

وأما الخاتمة فقد خصصها لشبه الخصم، والرد عليها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وجعل في آخره قصيدة تزيد على أربعين بيتاً في نفس الموضع، لا بأس من إيرادها هنا:

قل الحق واصدع بالذي فيه تؤمر ... ولا تخشَ غير الله والله أكبرُ
وبالعرف فأْمر والتزم نهي منكر ... لتنجو غداً من حر نار تسعر
ولله فاخلص بالعبادة وحده ... فليس سواه للأنام يدبر
سميعٌ عليم شاهد غير غائب ... لطيف خبير رازق متكبر
سماعاً عباد الله مني نصيحة ... هي الحق فاصغوا وانصتوا وتدبروا
نصحتكم أبغي الفلاح لكم غداً ... وحق الذي يولي النصيحة يُشكر
ألا نزهوا أوطانكم ونفوسكم ... عن الشرك والأوثان كي تتطهروا
فهذي قبور الأوليا بينكم لها ... يُحج ويستسقى لديها وينحر
وها هي كالأصنام بين ظهوركم ... إليها لدى وقع الشدائد يجأر
جعلتم لرب العالمين مشاركاً ... فيا ويح مَن مِن بعدِ الإيمان يكفر
أتدعون ميْتاً زاعمين بأنه ... يجيب الذي يدعو ويُغني ويفقر
ومن بعد قلتم إنهم شفعاؤكم ... إلى الله فهو الخالق المتجبر
وأقسم بالرحمن جل بأنه ... نظير مقال الجاهلية فاحذروا
كما قلتمُ قالوا فسيقت إليهم ... خيول متينات الأعنة ضمّر
دعاؤكم مخ العبادة فاعلموا ... كما قال طه الصفوة المتخير
وكم منكم يدعو «ابن علوان» قائلاً ... دعوتك مضطراً فجاهك أكبر
أيا حابس الحنشان والفيل بل ويا ... مقيِّد كل الجان أنت المسخِّر
دعوتك أرجو أن تلبي دعوتي ... وأيقنت أن النجح لا يتعسر
فأنت الذي في كل وقت تجيبنا ... إذا ما إجابات الإله تؤخر

فهذا هو الشرك الصريح الذي له تكاد السماوات العلى تتفطر[(١)]

## العَلَم الثاني

## من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأسفل

## العلّامة الكبير الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبَّادي رحمه الله

العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّادي رحمه الله، ولد بقرية من قرى إب، نشأ بها ثم سافر أسفاراً عديدة وطويلة، وصل خلالها إلى كابول، وأخذ بها عن الحافظ محمد تقي الدين الأفغاني في القرآن الكريم وفقه الشافعية وغيرهما من العلوم، ثم ارتحل إلى الهند، وطلب بها العلم ثمانية عشر شهراً تقريباً، ثم سافر إلى عمان، وتزوج من «صور»، وأقام بها اثنتي عشرة سنة، وحج من هناك مرتين، ثم رجع إلى بلاده ومنها إلى لحج، ثم عدن حيث استقر في الشيخ عثمان إماماً لمسجده الذي عُرف باسمه ويسمى كذلك مسجد «زكُّوا»[(٢)].

وقد عرف في عدن بدعوته إلى الكتاب والسنة وتجريد التوحيد لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ، وكانت بينه وبين علماء عدن من الصوفية القبورية مصادمات وخصام بسبب ذلك، ولعله من أوائل الدعاة المعاصرين السلفيين في الشطر الجنوبي من اليمن سابقاً.

غير أني لم أجد له ترجمة ما عدا النبذة اليسيرة التي قدّم بها العلامة البيحاني لمنظومته: «هداية المريد»[(٣)] ولئن تجاهله المترجمون فلن يتجاهله رب العالمين ـ سبحانه ـ، أسأل الله أن يكتبه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

### أثره في مواجهة القبورية:

الأثر الوحيد المكتوب للعبّادي هو منظومته «هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد»، وهي منظومة متوسطة كلها في العقيدة والدعوة إلى التوحيد والاتباع، والتحذير من الشرك والابتداع، والرد على المخرفين والدجاجلة، كما وصفهم الشيخ البيحاني[(٤)] رحمه الله في التعليق عليها.

---

(١) المصدر السابق ص(٢٧٥ ـ ٢٧٦).

(٢) انظر: مقدمة «هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد» لتلميذه العلامة محمد بن سالم البيحاني ص(٣ ـ ٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «هداية المريد» ص(٥).

وقد افتتحها بمقدمة أبان فيها منهجه وغرضه منها، فهي في اعتقاد السلف ونصيحة لإخوانه في الله، يحذرهم فيها من البدع والمحدثات[1]، ثم عرّف العلم، وحث عليه لا سيما علم التوحيد، فهو المقدم على كل العلوم، ثم معرفة حقيقة الإيمان بما يجب الإيمان به، ثم معرفة الفروع، وحذّر من الجهل بالتوحيد ثم الجهل عموماً[2]، ثم ابتدأ في شرح العقيدة عموماً، وبدأ بتوحيد الأسماء والصفات، ثم انتقل إلى شروط التوحيد، ثم حذّر من الاعتقادات الباطلة، وركّز على قول من قال: «لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه»، وحذّره من هذا القول، وبيّن أن الأصنام إنما عبدت بهذا الاعتقاد، ثم استمر في شرح مراده حتى وصل إلى نقطة مهمة في مسيره، هي التحذير من الشرك، وبيّن قبحه وسوء عقابه في الدنيا والآخرة، وعدّد هنا بعض المكفرات، ثم وقف مع بعض ما يفعله القبورية عند القبور من أنواع العبادات كالاستغاثة وحلق الرأس، والطواف والاعتكاف عند القبور[3]، ثم حذّر من تكفير المسلم بغير بينة[4].

ثم انتقل إلى الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة، وأطال في هذا الفصل، وتعرض لرد بعض الشبهات التي يوردها المبتدعة لإثبات بدعهم، مثل جمع الناس على صلاة التراويح في زمن عمر والأذان الثالث للجمعة في زمن عثمان، وأبان أن ذلك قد أقره الصحابة؛ وبذلك يصير سنة بإجماعهم، وأن الرسول ﷺ قد صلاها جماعة في حياته فلا حجة للمبتدعة[5]، ثم تعرض للحقيقة والشريعة، وأبان أن الحقيقة هي ما جاء بها الكتاب والسنة، لا ما جاء بها الصوفية المبتدعة، ثم انثنى عليهم في السماع الصوفي المبتدع والأوراد والأذكار البدعية، وفنّد ذلك، وسخِر منهم في رقصهم ووجْدهم؛ لأنهم إنما يفعلون ذلك عندما يذكر التشبيب والتغزل وتشبيه المرأة بغصن البان، ثم يزعمون أن ذلك من محبة الله، ثم أرشد إلى الذكر المشروع الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[6]، ثم نهى عن الغلو المذموم[7]، وبعده حذّر من التكييف والتشبيه في صفات الله تعالى، ثم تعرض لحكم البناء على القبور، وحذّر من ذلك، وبيّن زيارة القبور الشرعية، وحثّ عليها والزيارة البدعية،

---

(1) «هداية المريد» ص(٦ ـ ٧).
(2) المصدر السابق ص(٧ ـ ٨).
(3) المصدر السابق ص(٢٣ ـ ٢٥).
(4) المصدر السابق ص(٢٣ ـ ٢٥).
(5) المصدر السابق ص(٢٦ ـ ٣١).
(6) المصدر السابق ص(٣٢ ـ ٣٦).
(7) المصدر السابق ص(٤٠ ـ ٤٤).

وحذّر منها، وما يترتب عليها من الغلو في أرباب القبور وما يحدث في تلك الزيارات من مفاسد عقدية وأخلاقية، وخلص إلى مشايخ الطرق وما يكيدون به الناس من الحيل والمكايد، لأجل ابتزازهم وأخذ ما في أيديهم والضحك على عقولهم[١]، وانتهى ببيان التصوف المحمود، ويعني به الزهد والورع وتخليص القلب من أمراضه، والذي يكون مبنياً على العلم النافع جالباً للعمل الصالح، وعدّد الأعمال الصالحات والآداب الحسنة التي يتحلى بها سالك هذا السبيل، وما ينبغي له من مداومة ذكر الله تعالى على الصفة الشرعية لا البدعية[٢].

هذه هي منظومة العلامة العبّادي، وقد علق عليها العلامة البيحاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقات مهمة نافعة، وقد طبعت مرتين، الطبعة الأولى لم أطلع على تاريخها، ثم طبعت مرة أخرى عام (١٣٨٩هـ) مع نفس التعليقات التي وضعت على الطبعة الأولى.

## العَلم الثالث

## من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأسفل

## الإمام العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي المشهور «بالبيحاني»

هو الداعية السني الكبير محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، مؤسس المعهد الإسلامي بعدن، ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ببيحان» سنة (١٣٢٦هـ)، وعند بلوغه الرابعة عشرة من عمره أرسله والده إلى تريم بحضرموت؛ ليتعلم هناك في رباطها المشهور الذي يقوم عليه السيد عبد الله بن عمر الشاطري، فمكث أربع سنوات، ثم عاد إلى بيحان، فمكث فيها سنتين، ثم توجه إلى عدن سنة (١٣٤٦هـ)، فلازم الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّادي، وتزوج ابنته، ثم رحل إلى مصر للالتحاق بالأزهر، فدرس في بعض معاهده، ثم في كلية الشريعة فيه، غير أنه ما لبث إلا سنة دراسية واحدة، اضطر بعدها إلى العودة إلى عدن حيث استقر في مدينة كريتر، وأسس فيها مسجد العسقلاني، الذي عُرف بالشيخ، وعرف الشيخ به، ومكث هناك يدعو إلى الله، ويقيم الدروس العلمية والوعظية، وينشر السنة المطهرة ويحارب البدع والخرافات والشركيات، كما كان على وعي سياسي جيد، فكان ينبه قومه إلى خطورة الاستعمار والانسياق وراء ثقافته ومبادئه الكافرة، ويدعو للتخلص منه.

---

(١) المصدر السابق ص(٤٧ ـ ٥٦).

(٢) المصدر السابق ص(٥٦) إلى آخر المنظومة.

ومن أبرز مآثره المعهد الإسلامي الذي أسسه هناك على نفقة جمع من المحسنين، والذي أُمم في أيام الاشتراكيين وأصبح مقراً لوزارة الداخلية، كما أنه كان نشيطاً في التأليف، فألّف أكثر من اثنين وعشرين كتاباً من أشهرها كتاب «إصلاح المجتمع» الذي لقي قبولاً واسعاً، وانتشر في أقطار المسلمين عموماً، وتعددت طبعاته.

وقد أصبح الشيخ علماً بارزاً لا في محيط اليمن وحدها، ولكن على مستوى العالم العربي والإسلامي، وكانت شهرة الشيخ بدعوته للكتاب والسنة ومحاربة الجهل والشرك والبدعة والخرافة، يشهد بذلك مترجموه، وتنطق به كتبه، فقد تعرض في إصلاح المجتمع في أكثر من مناسبة إلى ما كان شائعاً من البدع والشركيات، ودعا إلى التخلص منها، وقد سبق نقل شي من كتابه إصلاح المجتمع في الباب التمهيدي.

كما ظهر توجهه ذلك ناصعاً جلياً في تعليقاته على منظومة شيخه أحمد العبّادي، الموسومة «هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد» فقد نقد الشركيات، ونعى على أربابها، وطالب بإزالتها، بل صرح أنه قام بمحاولة لدى حكومة عدن لإزالة ما يحدث من الشرور في الزيارات مثل «زيارة العيدروس والهاشمي» وغيرها، وكادت أن تنجح تلك المساعي لولا اعتراض بعض الجهال وسدنة القبور[١].

كما بيّن البدع العملية مثل السماع الصوفي وبدع الأذكار، وفنّد الكرامات الزائفة التي يروّجها الصوفية، ويلبّسون بها على العوام قال: (يزعم بعض أهل حضرموت أن دابة الفقيه المقدم كانت تعرفُ طرق السماء، وأن زوجته سئلت عن حالها، فقالت: (لسنا بخير بعد الفقيه، وقد كانت أخبار السماء في حياته تأتينا صباح ومساء)، وفي «المشرع الروي» من هذه الخرافات ما لا يحصى كثرة، فليته لم يبرز إلى حيز الوجود، أو ليتها أكلته دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان بن داود، والويل لمن كذّب بشيء من هذه الكرامات المكذوبة، فإنه يعد في نظر القوم كافراً ملحداً زنديقاً، وكأن التصديق بها أعظم شأناً من التصديق بالمعجزات، فنسأل الله حماية الإسلام وصيانته من هذه الخزعبلات والخرافات)[٢].

وقد لاقى في سبيل دعوته تلك كثيراً من المحن والمصاعب، فصبر وصابر،

---

(١) «هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد» بتعليق الشيخ البيحاني ص(٥٠).

(٢) «التعليق على هداية المريد» ص(٣٥).

وكانت دعوته مفتاحاً من مفاتيح الصحوة المباركة في جنوب اليمن آنذاك، وبعد الاستقلال ومجيء الاشتراكيين إلى عدن لاقى من الإهمال والتهميش، بل من المضايقة والتهديد ما لا يطاق، ففرّ إلى الشطر الشمالي كما كان يسمى ذلك الوقت، فاستقر في مدينة تعز معززاً مكرماً من الدولة والشعب، واحتضنه محبوه فيها، وأغدقوا عليه، وأجلّوه، وأكرموه بما لا مزيد عليه، وفي عام (١٣٩٢هـ) حج حجته الأخيرة، ثم عاد إلى تعز وبعد عودته بيوم واحد انتقل إلى جوار ربه، رحمه الله رحمة واسعة، وكانت وفاته في (١٠/ ١٢/ ١٩٧٢م) في تعز[١].

## الأثر الخاص بمواجهة القبورية من آثار البيحاني رحمه الله:

أما الأثر الخاص بمواجهة القبورية من آثار البيحاني رحمه الله فهو «الصارم القرآني في الرد على درر المعاني»، ودرر المعاني اسمه الكامل «درر المعاني في الرد على العبّادي وتلميذه البيحاني» وهو رد على منظومة العلامة العبادي المسماة هداية المريد، والتي عرفت بها سابقاً، وكان العلامة البيحاني قد علّق عليها تعليقات مهمة وقوية، فانزعج القبورية للمنظومة والتعليقات عليها انزعاجاً كبيراً، فردوا بذلك الكتاب، فقام الشيخ البيحاني رحمه الله بالرد عليهم بكتابه الصارم القرآني.

والكتاب ما يزال مخطوطاً عند أحد أقارب الشيخ لم يطبع بعد، ولم أستطع الاطلاع عليه غير أنني بعد محاولات حصلت على صورة لفهرس الكتاب وأربع صفحات منه فقط، وبالنظر إلى الفهرس يمكن أن نتعرف على صورة مجملة للكتاب، فقد صدّر الكتاب بقصيدة للقاضي الإرياني، ولم يبين أي القضاة من بني الإرياني هو، ولكن ظني أنه القاضي عقيل بن يحيى، والقصيدة هي التي ختم بها «السيف الباتر لأعناق عباد المقابر» والتي مطلعها:

قل الحق واصدع بالذي فيه تؤمر ... ولا تخش غير الله والله أكبر

ومن أبياتها القوية في مهاجمة القبورية قوله:

لحا الله عبَّاد القبور فإنهم ... لقد بدلوا دين الإله وغيروا[٢]

ثم بعد الخطبة تكلم عن مصادر الكتاب، ثم تعرض للكلام عن الكتاب

---

(١) انظر ترجمته في: «أنباء الزمان فيمن رحل من علماء بيحان خلال قرنين من الزمان» ص(٨١ ـ ٩٢)، تأليف عبد الله عبد القادر العليمي باوزير، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).
(٢) «مجموعة رسائل في علم التوحيد» ص(٢٧٥ ـ ٢٧٦).

المردود عليه «درر المعاني»، وذكر أنه مدح الصحابة والسلف الصالح؛ متوصلاً بذلك إلى ذم شيخ الإسلام ابن تيمية، والتهكم به وبمن يتابعه، ثم إن الخصم تعرض لهداية المريد، وهاجمها فعلّق الشيخ على ذلك، ثم ذكر أن الخصم كذب عليهم، ـ لعله يريد نفسه وشيخه العبّادي ـ ثم ذكر عقائدهم في الله وصفاته وملائكته ورسله، وأولياء الله وصفتهم وخوارق العادات، وبيّن بعد ذلك من هو الولي، ثم تعرض لتاريخ الدعوة، وإلى من ينتسب مذهب الوهابية، وفي أي عصر ظهر، وكيف كان ظهوره، ثم ألمح لخيانة الخصم في النقل، بعد ذلك عرَّف بشيخ الإسلام ابن تيمية، وثناء الناس عليه، وما قيل فيه من الرثاء.

ثم جاء عنوان «نقد وتحليل»، ولعله موضوع رسالة الخصم، ثم تعرض لكتاب «كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب» وهو لمؤلف شيعي من العراق اسمه «محسن الأمين العاملي»[(١)]، وتعرض كذلك لكلام ابن حجر «وهو المكي الهيتمي» في ابن تيمية ورد عليه، وذكر أن الخصم استعان في رده بشواهد الحق «للنبهاني»، وأنه تشبث بالصواعق الإلهية لسليمان بن عبد الوهاب أخي الشيخ، كما عرّج على الشطي أحد خصوم الدعوة الوهابية، ويظهر أن الشيخ رد على الجميع، ثم ذكر اتفاق الشيخين ابن الأمير ومحمد بن عبد الوهاب في العقيدة، ثم عاد بعد ذلك ليذكر كلام الناظم «العبّادي» والمعلق «البيحاني» في عموم المسلمين، وبعد ذلك تكلم عن الحلف والذبح لغير الله، ثم نصوص زعماء الوهابية في عموم المسلمين، واستعرض بعد ذلك نصوص الكتاب والسنة الناهية عن دعاء المخلوق، وبعده عنوان «كلام المغالين في أصحاب القبور» ثم جهل الخصم بما يقول وكذبه على الصحابة والتابعين وجرأته في ذلك، ثم بشرية الرسول ﷺ، وبعد ذلك كله تعرض لتهمة الخصم له ولشيخه بكراهة الرسول ﷺ، ثم تكلم على طلب الشفاعة وأدلة الخصم عليها، خلص بعده إلى الكلام عن التوسل؛ ما يجوز منه وما لا يجوز، وأبطل أدلة الخصم، ثم نقل كلام الشيخ محمد عبدُه المصري في التوسل ودعاء الصالحين، ثم أوضح كلام الناظم والمعلق في الاستغاثة واحتجاج الخصم بالمجاز العقلي والأحاديث الضعيفة والرد عليه في ذلك، وتوالت العناوين: («استدلاله بالقرآن» وكلام العلماء «الشرك بالله والاستعانة بغيره» الحياة البرزخية «غلط الخصم ومغالطته»

(١) انظر: «دعاوى المناوئين» ص(٥٦) لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تأليف عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، طبع دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

رفع القبور والبناء عليها «نصوص العلماء وأقوالهم» هدم المساجد والقباب المبنية على القبور، دفاع الخصم عن التماثيل «إنكاره على ابن القيم: «شرقه بحديث أبي الهياج» «دفاعه عن رفع القبور» «شد الرحال لزيارة القبور» كلام الناظم والمعلق في النذر «واحتجاج الخصم بما لا يفهم» الكلام على إهداء ثواب القراءة للميت»).

هذه عناوين الكتاب ومنه يعرف مضمونه، فهو في الرد على القبورية فيما يعتقدون في القبور من العقائد الضالة، وفيما يأتون عندها من الأعمال القبيحة، وما يوجهونه من تهم وافتراءات لخصومهم دعاة التوحيد، ودفاع عن أولئك الدعاة ورد عن أعراضهم وتبرئة لمناهجهم من الانحراف الذي رماها به القبورية، هذا هو ما ظهر لي من ملامح الصارم القرآني للشيخ البيحاني عليه رحمة الله.

وفي نفس السياق تأتي رسالته الصغيرة «زوبعة في قارورة» فجهود البيحاني في مواجهة القبورية ومواقفه منهم هي اللائقة بالعالم السني المتابع لمنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

ولعل في رسالة الدكتور أحمد هجوان عن «الإمام البيحاني» ما يكشف مزيداً من هذه المواقف ولكني للأسف لم أطلع عليها.

**المطلب الثالث: جهود علماء تهامة في مواجهة القبورية:**

لقد تميز علماء وفقهاء تهامة بموقفهم الصلب والقوي من أصحاب وحدة الوجود، وأما موقفهم من القبورية العامة التي أبرز سماتها تعظيم القبور وأصحابها، فلم يكن بذلك الموقف القوي والواضح، وإن كنا لم نلمس من علمائهم الذين لم يتأثروا بالصوفية ذلك الانسياق وراء القبورية، كالذين تأثروا بالصوفية من أمثال المحدث «أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي صاحب التجريد الصريح»[1] فإن الشرجي له كتاب «طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص» ملأه

---

(١) الشرجي المذكور: هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، ولد سنة (٨١٢هـ) بزبيد، ومات بها سنة (٨٩٣هـ)، وهو من أشهر محدثي زبيد وله: «التجريد الصريح مختصر صحيح البخاري» وغيره من الكتب، كما له في المقابل «طبقات الخواص» الذي تحدثت عنه في الأصل، وهذا من التناقض العجيب، كما ذكر له كتاب آخر بعنوان «الفوائد في الصلات والعوائد». قال الحبشي في «مقدمته للطبقات»: (وهو مجموع من الأحاديث والأدعية المأثورة، إلا أنه شابَهُ بكثير من الطلاسم والأوفاق المدسوسة، قال: وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٤هـ)، وأعادت طبعه عدة مرات مكتبة الحلبي بالقاهرة). «الطبقات» ص(٦)، هذا هو الشرجي رحمه الله، لم ينفعه علم الحديث حين تأثر بأفكار وعقائد الصوفية.

بالخرافات، ونقل فيه من الطامات ما يلحقه بركب الشعراني المشهور بنقل الطامات والهلوسة الصوفية، والشلي الحضرمي صاحب المشرع الروي الذي ملأه بالخرافات والدجل، بحيث يعجب القارئ كيف بلغت الجرأة به إلى هذا الحد، والاستخفاف بعقل القارئ إلى هذه الدرجة، فالشرجي لا يكاد يقلّ عنهما في كتابه «طبقات الخواص».

أقول: إن علماء تهامة الذين حاربوا أصحاب وحدة الوجود مع حسن ظنهم بالكثير من القبورية إلا أنهم لم يوافقوهم على الكثير من شطحهم وخرافاتهم، وكثيراً ما يجد القارئ لكتبهم ـ مثل كتب العلامة الحسين بن عبد الرحمٰن الأهدل ـ نقدهم في بعض أمورهم وتصرفاتهم، ولكن لم تظهر المواجهة إلا بعد انتشار الدعوة السلفية التي قادها «الإمام ابن الأمير والإمام الشوكاني، رحمهما الله» ووصول دعاة وجنود الدعوة النجدية إلى تهامة في القرن الثالث عشر، فمنذ تلك الفترة ظهر من يحارب القبورية بقوة وجرأة وعلم وبصيرة، ومع ذلك فموقفهم من القبورية إذا قورن بموقفهم من أصحاب وحدة الوجود عد ضئيلاً، وإذا قورن عدد من تصدى للقبورية بمن تصدى لأصحاب وحدة الوجود كان قليلاً، وأنا أكتفي بعلم واحد من أعلام تهامة هو:

## العلّامة حسين بن مهدي النُّعمي التهامي ثم الصنعاني

قال عنه السيد محمد بن محمد زبارة في «نشر العرف»: (السيد العلامة النبيل التقي الفهامة الحسين بن مهدي النعمي التهامي ثم الصنعاني)[1]، ولد كما يظهر بمدينة «صبيا» من أرض تهامة، ثم وفد إلى صنعاء للأخذ عن علمائها في حياة الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ وصار من جملة أصحابه، حتى لقد اتهم هو والإمام الصنعاني بمخالفة مذهب الهادي والتظاهر بذلك[2]، وقد ذُكر عنه العمل بالسنة وإحياء ما اندثر منها[3]، ورغم ذلك فقد استمر العلامة النعمي في دعوته وتعليمه للسنن ومحاربة

---

(١) «مقدمة معارج الألباب في مناهج الحق والصواب» للنعمي ص(١٧)، تحقيق محمد حامد الفقي، تخريج علي حسن عبد الحميد، طبع مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، وكل ما في ترجمتي له مأخوذ عنه حيث لم أعثر له على ترجمة في موضع آخر والجزء الأول من «نشر العرف» ليس متوفراً هذه الأيام.

(٢) «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب» ص(١٨).

(٣) المصدر السابق ص(١٨).

البدع مجللاً محترماً[١]، حتى إن إمام العصر «المهدي» قد أذن له في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان المخالف من خاصة المهدي، وقرأ «الإمام» على المترجم له أياماً في «شرح العمدة لابن دقيق العيد»[٢]، وتوفي رحمه الله سنة (١١٨٧هـ)، هذا هو العلامة النعمي لم يحفل به المترجمون، ولكن كتابه العظيم الذي سنعرض له يشهد بعظمته وسعة علمه، ويصور لنا منهجه الذي هو منهج السلف الصالح، منهج التجديد الذي عرفناه من ابن الأمير والشوكاني رحمهما الله.

## أثره في مواجهة القبورية:

أثره المطبوع المتداول في مواجهة القبورية هو كتاب «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب» هذا هو الاسم المختصر للكتاب، وقد وُجد على طرة النسخة الخطية ما يلي:

(معارج الألباب، في مناهج الحق والصواب لإيقاظ من أجاب بحسن بناء المشاهد والقباب، ونسي ما تضمنته من المفاسد، وهي عجب من الخطوب عجاب، وأحال أخذ الحكم من دليله في هذه الأعصار فَسدَّ باب الحكمة وفصل الخطاب، وعطَّل الانتفاع في هذه الأزمان بعلوم السنة والكتاب، إلى غير ذلك مما يأتيك بيانه وتحقيقه ـ إن شاء الله ـ بأحسن تحرير وجواب)[٣].

هذا ما كتب على طرة الكتاب وهو معرِّف به، مبين عن وجهته، مشير إلى السبب الدافع إلى تأليفه، وهو الرد على من أجاب باستحسان تلك المشاهد والقباب على قبور الأولياء، وقد نص على هذا السبب في مقدمته الكافية فقال: (وبعد، فلما كان في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبوية، وقفت على صورة سؤال، وغير ما جواب في شأن ما يسر الله هدمه، وافتقاده من المشاهد والقباب، وإزالة ما أزيل منها بالتدمير والخراب؛ لما تفاحشت خطوب مفاسدها في هذا الزمان، وضاهت رسوم الجاهلية الجهلاء النافية للتوحيد والإيمان، مع كون وضع القباب أمراً صادم المأثور الصحيح من النهي الصريح، فهو بمجرده ممنوع شرعاً، كما قد شرحت ما جاء فيه ضمن رسالة مستقلة وجيزة، أسفرت عن وجهه الصبيح واسمها: «مدارج العبور على مفاسد القبور».

(١) المصدر السابق ص(١٨).
(٢) المصدر السابق ص(١٨).
(٣) «معارج الألباب» ص(١٤).

وكان قبل هذا التاريخ بمدة يسيرة، ألقى إليّ بعض أعيان الزمن بمدينة صنعاء اليمن ـ حاطها الله وسائر بلاد الإسلام من طوارق المحن والفتن ـ كتاباً ورد عليه من مكة المشرفة، ذكر فيه ما حاصله:

أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة، وأنه أجاب فيه مفتو الأربعة المذاهب بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد، وأشار بتخريب تلك المعاقل والمعاهد)[١]. وبعد أن أبان خواء ذلك الجواب، وعدم استناده إلى سنة ولا كتاب، وإنما (أجابوا: بأنه صرح به في المنهاج وشرحه، وهو الذي فهمه ابن عبد الحق من عبارة الروضة بالجواز)[٢]؛ كرّ على المجيبين، وندد بأصلهم الذي عليه يعتمدون، وإليه يرجعون، وهو التقليد المحض والمنع من إعمال النظر في الأدلة، وقد شنع عليهم، وأطال النفس في ذلك، شأنه شأن مشايخه وزملائه من المدرسة السلفية في اليمن، وقد استغرق ذلك باقي المقدمة.

**أما الباب الأول**: فجعله في أبحاث متفرقة تتعلق بتلك الأجوبة، منها الرد عليهم في أخبار استدلوا بها، وقد أخلّوا بشروط الاستدلال إما دراية أو رواية، فالدراية كونهم لم يستدلوا بها على وجهها كاستدلالهم بحديث «من آذى لي ولياً» على حرمة المشاهد والقبور.

وقد حاكمهم أولاً إلى أصلهم و(على جواز أخذ الحكم من دليله وإمكان الاجتهاد في هذه الأعصار) فكيف يجيزون لأنفسهم خلاف ما أصلوه؟ ثم ناقشهم في الجزم بكون هذا المدفون ولياً، وأبان جانباً مما ينسب إلى من يوصفون بالولاية من الشطح والتخريف، وكيف يكون هدم هذه القباب إيذاءً لأولياء الله وهو امتثال لأمر رسول الله ﷺ؟! ثم رد عليهم حديث: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» وأن ذلك لا يثبت عن رسول الله ﷺ[٣]، وأخذ يبدي ويعيد في موضوع الاجتهاد والتقليد إلى نهاية الفصل[٤]، وهكذا في الفصل الذي يليه، رد على من قال منهم: (ولا يدعي الاجتهاد في زماننا هذا إلا من جهل شروط الاجتهاد وعريَ عن أصول الفقه)، واستمر في رده إلى نهاية الباب الأول[٥].

**أما الباب الثاني**: فجعله (في ذكر جملة شافية من الأحاديث الصحيحة

---

(١) «معارج الألباب» ص(٢٦ ـ ٢٧).
(٢) المصدر السابق ص(٢٩).
(٣) «معارج الألباب» ص(٣٩ ـ ٤٩).
(٤) المصدر السابق ص(٤٥ ـ ١٠١).
(٥) المصدر السابق ص(١٠١ ـ ١١٨).

والأخبار الصريحة، الشاهدة بأن وضع القباب والبناء على القبور من أصله، وتشريفها والكتابة عليها وتجصيصها واتخاذها مساجد وما يتصل بذلك: أمر تقرر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجازم بالنهي عنه، وبعد أن نقل من ذلك جملة كثيرة علّق على بعضها، ونقل نقلاً طويلاً عن ابن القيم من «إغاثة اللهفان»، ثم علّق على بعض كلام ابن القيم وانتهى الباب[(١)].

**أما الباب الثالث:** فجعله للرد المباشر على تلك الأجوبة، حيث يذكر جملة من الجواب، ثم يرد عليه، وقد استغرق هذا الباب بقية الكتاب، ولم يقتصر على تفنيد شبههم المتعلقة بالمشاهد والقباب، وإنما تطرق إلى ضلالات المتصوفة، وأنواع الشرك التي تُرتكب عند المشاهد والقبور، وما يجب على المسلمين والعلماء تجاه ذلك، وهو نقاش قوي ومنهج سوي مفيد لطالب العلم في رد شبه القبورية.

فرحم الله العلامة النعمي، وغفر له، وجزاه خير الجزاء على ما قدم، وله أثر ثانٍ أخص في الموضوع بعنوان: «مدارج العبور على مفاسد القبور» ذكره في مقدمة المعارج (٢٧)، ولا أعلم عن وجوده شيئاً، وأما مضمونه فهو في النهي عن البناء على القبور، وما يلحق بذلك حسب إشارة المؤلف.

## المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء تهامة:

ولغير من تقدم مؤلفات ورسائل مفردة تعنى بمواجهة القبورية في بعض الجوانب، وإليك جدولاً بأسماء هؤلاء العلماء وأسماء مؤلفاتهم:

١ ـ محمد بن أحمد الأهدل المتوفى سنة (١٢٧١هـ)، وله رسالة بعنوان «تحذير الإخوان المسلمين من تصديق الكهان والعرافين» ووجه كونها في مواجهة القبوريين أن بعض القبوريين هم الذين يقومون بالكهانة والعرافة باعتبار ذلك من الكرامات، المرجع هجر العلم (٤/ ٢٠١٥).

٢ ـ حسن بن خالد الحازمي: المتوفى سنة (١٢٣٤هـ) أو (١٢٣٥هـ)، له رسالة بعنوان «قوت القلوب بمنفعة توحيد علام الغيوب» واضح من العنوان أنها في الدعوة إلى التوحيد وقطعاً في التحذير مما يضاده من عقائد وأعمال القبورية، المرجع هجر العلم (٣/ ١٢٢٤).

٣ ـ الحسين بن عبد الرحمٰن الأهدل المتوفى سنة (٨٥٥هـ) له رسالة بعنوان

(١) المصدر السابق ص(١٢٠ ـ ١٥٦).

«القول النضر على الدعاوي الفارغة بحياة الخضر» يرد بها على عقيدة مشهورة من عقائد القبورية وهي القول بحياة الخضر وزعم الالتقاء به والأخذ عنه. المرجع هجر العلم (٤٦/١).

٤ ـ قادري بن أحمد الأهدل ما زال حياً ـ حفظه الله ـ له منظومة بعنوان «بهجة القلوب بتوحيد علام الغيوب» وهي مطبوعة مع هداية المريد للعبّادي، وقد تناول فيها الكثير من انحرافات القبورية، وأبان ضلالها وكشف عوارها.

**المطلب الرابع: جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية:**

لم تترسخ القبورية في أي ناحية من نواحي اليمن كما ترسخت في حضرموت، حيث سيطر القبورية فيها على كل شيء، سيطروا على الحكام، ووجّهوا السلاطين وسعوا لجلب الاستعمار، وكان لهم عنده مكانة مرموقة، وأمسكوا بزمام القيادة العلمية والروحية في البلد بقبضة حديدية، لم تترك لسواهم وسوى الدائرين في فلكهم متنفساً؛ لذلك لا نرى تلك المعارضة للفكر الصوفي في حضرموت مثل ما عورض في زبيد وصنعاء أو غيرهما من أنحاء اليمن، وحتى كتابة التاريخ فقد احتكروها بين قادة التصوف وأنصارهم، فجاء تاريخ حضرموت كما يشاؤون لا كما هو في الحقيقة، لذلك لا غرابة أن يقل أو ينعدم المواجهون للقبورية فيها، ومن ظهر فإنما ظهر بعد أن حصلت للقبورية الهزات العنيفة بفعل الدعوة السلفية في صنعاء وفي نجد؛ حيث وصلت الجيوش النجدية إلى قلب وادي حضرموت، والتقى دعاتها بالناس، فتأثر بهم رجال من شتى الطبقات حتى من السادة العلويين[١]، ثم دعوة الإرشاد بأندونيسيا، ومن هؤلاء الذين برزوا:

### العَلَم الأول

### الشيخ علي بن أحمد باصبرين

وهو العلامة الفقيه المحدث الأديب الداعية علي بن أحمد باصبرين رحمه الله لم يُعرف تاريخ ولادته وتاريخ وفاته بالتحديد؛ ولكن العلامة الشيخ علي سالم بكيّر يرجح أنه (عاش في النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر)[٢]، وكان هذا الإمام متميزاً بالشجاعة متظاهراً بحمل السلاح، يقول عنه

---

(١) انظر: «إدام القوت» ص(٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) «رجال وكتب» للشيخ علي سالم بكيّر باغيثان، طبع دار حضرموت للدراسات والنشر ص(١٠٩).

علوي بن طاهر الحداد: (كان شجاعاً ذا عزم لا يزال متمنطقاً بمسدس أو مسدسين)[١].

وكان ذا غيرة شديدة حملته على إنكار الكثير من المنكرات والعمل على تغيير بعضها باليد، يقول الحداد: (وأحسب أن له يداً في الثورة التي وقعت بجدة على قناصل الدول وهي واقعة مشهورة، وقد تمكن من الفرار فسلم، وهو الذي أثار العوام على الأبنية التي جعلت على الجمرات الثلاث بمنى فهجموا عليها وأخربوها)[٢].

كما كان مبرزاً في العلم متفوقاً فيه، وصفه أحد العلويين بقوله: (وهو إمام في كل العلوم)[٣]، وكان عاملاً بعلمه داعياً إلى ما هو مقتنع به، لم يجمد على ما كان عليه أهل مصره وعصره؛ بل دعا إلى التوحيد وحذر من الشرك وزيف الخرافات وحارب المنكرات؛ ومن أجل ذلك حاربه علماء حضرموت ونازعوه وحذروا منه، يقول ابن عبيد الله: (وجرت بينه وبين علماء تريم منازعات في عدة مسائل، منها التوسل والاستغاثة ومنها ثبوت النسب بمشجّرات العلويين المحررة، وكان الشيخ يبالغ في إنكار ذلك وألِّفت رسائل من الطرفين)[٤]، ونقل مستنكراً ما قاله أحمد بن حسن العطاس عن هذا الإمام فقال: (وفي مجموع كلام العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس أن بعض العلماء المصريين قال له: «نعرف من الحضارم حدة الطبع، وأنت بعيد عنها» قال له: «من عرفت من الحضارم؟» قال له: «عرفت الشيخ علي باصبرين، وجلست معه في الحرمين سنين، فرأيت من حدته ما لا مزيد عليه»، فقال السيد أحمد: «ذاك رجل من أهل البادية، وتلقى شيئاً من العلم، وقد حجر سلفنا وأشياخنا على المتعلقين بهم الأخذ عنه؛ لأنه ليس بأهل للإلقاء ولا للتلقي، ولا يخفى عليكم ما في طباع البادية من الغلظة والجفاء»، انتهى. وفي هذا غض من مقام الشيخ علي لا يليق بالإنصاف، وقد علمت أن السيد عمر بن حسن الحداد قرأ عليه وهو من مراجيح العلويين)[٥].

ويبرز اتجاهه التجديدي من خلال بعض مؤلفاته ومنها: «إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد» ذكرها في المسألة التاسعة من «المهمات الدينية»

---

(١) «الشامل» (١/ ١٣٥). وانظر: «إدام القوت» ص(١١٠).
(٢) «الشامل» (١/ ١٣٥).
(٣) «إدام القوت» ص(١١٠).
(٤) «إدام القوت» ص(١١١).
(٥) «إدام القوت» ص(١١٠ ـ ١١١).

المتعلقة بالنهي عن قول العوام (يا ولي الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يديك) بعد أن علق عليها قال: (ومن أراد توضيح ما في المقام فعليه برسالتي المسماة «إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد»)(١).

وهذه الرسالة لم نعثر عليها، ولكننا عثرنا على «المهمات» وسوف يأتي الحديث عنها حين نتكلم عن أثر هذا العالم في مواجهة القبورية، وله مؤلفات أخرى منها خمسة كتب في الفقه الشافعي، وكتاب عن أنساب السادة العلويين سماه «حدائق البواسق المثمرة في بيان صواب أحكام الشجرة» فرغ من تأليفه سنة (١٢٩٨هـ) قاله ابن عبيد الله(٢)، ورسالة في الرد على بعض من اعترض عليه في رسالة الشجرة المذكورة(٣). إضافة إلى تلك الكتب هناك كتاب مخطوط في مكتبة الحرم المكي بعنوان: «إتحاف الناقد البصير بخصوص صحيح الجامع الصغير» ذكره شيخنا الألباني في مقدمة كتابه صحيح الجامع الصغير وقال: إنه اطلع عليه في مكتبة الحرم المكي، وقد نقد المؤلف حيث إنه يتابع السيوطي على تصحيحه دون تحقيق من قبله(٤).

هذه نبذة عن الشيخ علي باصبرين رحمه الله وهو مترجم في «الشامل في تاريخ حضرموت»، و«إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت»، «وتاج الأعراس» وكلها تراجم موجزة.

## أثر هذا العَلم في مواجهة القبورية:

كان الأولى أن أدرس رسالة «إتحاف صالحي العبيد» التي أشرت إليها سابقاً ولكنها مفقودة؛ لذا لجأت إلى الرسالة الأخرى وهي: «المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية».

وهي رسالة صغيرة حصر فيها المؤلف مجموعة من المناهي التي قد ارتكبها الناس، ولم يتقيد بباب من أبواب العلم، وإنما نوّعها بحسب أهمية تلك المناهي

---

(١) «المهمات الدينية» ص(٦).

(٢) «إدام القوت» ص(١١١ ـ ١١٢). وانظر لمزيد الفائدة: تعليق ابن عبيد الله بذكر ما دار بين الشيخ علي وبعض السادة حول الرسالة المذكورة وفيه كلمة للمحضار لفظها: (وبعض الناس قوله وبوله سواء) وهي تدل على مبلغ العنجهية لدى هؤلاء الناس.

(٣) ذكرها ابن عبيد الله في نفس الموضع السابق.

(٤) «صحيح الجامع الصغير»، طبع المكتب الإسلامي (١/ ١٤ ـ ١٥)، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

المرتكبة، فاشتملت الرسالة على خمس وسبعين مسألة، قال في مقدمتها: (ولقد جمعت في هذه العجالة خمساً وسبعين مهمة من مهمات الدين مما عم الابتلاء بالتلبس بها، وقد أرسلت منها نسخاً عديدة لكل كبير بلد أو قرية، كل هذا خروجاً من عهدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ الجهد في بذل النصيحة لهذه الأمة المباركة، لعل وعسى أن ينتفع بها مؤمن صالح، ويرتدع بها وينيب غاوٍ بجهالته طالح)[(١)].

وقد مضى في تلك المهمات إلى أن قال: (التاسعة) مما يحرم، ما يقال عند إقبال الزائرين إلى المزور:

(يا وليّ الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يديك)

وقد علق على ذلك وبين ما فيه من الغلو، وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ثم أحال على رسالته السابق ذكرها، ومضى إلى المهمة (الثامنة عشرة) وفيها تعرض لما عند بعض جهات حضرموت أنهم: (إذا ميزوا زكاة أموالهم بنحو حَجْر والرِّيَد[(٢)] يقولون: هذا لله وللشيخ سعيد أو حق الله وحق الشيخ سعيد مثلاً)[(٣)]، ثم تكلم عن ذلك من الناحية الاعتقادية والناحية الفقهية، وقد حكم أن هذا القول خلاف الصواب، وأنه مبني على اعتقاد أنهم (إذا فعلوا ذلك يأمنون عاهات أموالهم وإلا فيصابون بعاهة في أنفسهم وأموالهم، أو من الله إذا أغضبوا الشيخ بمخالفة عادتهم من إعطائهم ما لا يستحقه، مع نسبة الآثار إلى ما يتوهم الجاهل أنه منه، وذلك خلاف الصواب والحق أن موجد الآثار وأسبابها هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد القائل سبحانه: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾) [الكهف: ٥١]، والحق أنه لم يشبع المسألة وربما كان ذلك لأجل الاختصار، وفي المهمة (العشرون) تحدث عن النذر وأنه (لا يصح إلا إن كان لمن يملك ـ ومنه المسجد ـ طاعة لله وقربة بها يتقرب إليه تعالى لا لميت وبهيمة ما لم يرد غيرهما المعتبر، ولا معصية أو مكروهاً أو مباحاً لآدمي أو جني أو معظّم ما غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لرجاء ما لم يقضهِ الله له لو لم يشفع له هذا المعظم، أو دفع ما قد قضاه الله وأبرمه عليه في سابق علمه، فهذا محرم بل كفر في

---

(١) «المهمات» ص(٣).
(٢) هما جهتان معروفتان من جهات حضرموت.
(٣) «المهمات» ص(٨).

حق العالم والجاهل الذي أخبره بمقتضى ما يتضمن ذلك من هو من أهل الإخبار والتعليم)[١].

والشيخ قد أبان جانباً مهماً من الحق في هذه المسألة؛ وهو تحريم النذر للأموات، وأنه متى صاحبه ذلك الاعتقاد صار كفراً في حق العالم والجاهل الذي قد أخبره به من هو أهل للإخبار، ولكن هنا أمران:

**الأمر الأول**: تصحيح النذر عند إرادة المعتَبَر ممن له علاقة بالقبر فإن هذا موهم جداً ومغرٍ للعوام بالنذر لتلك المشاهد والقباب ومن فيها، وتَرتُّب الاعتقاد إن لم يكن موجوداً حال النذر، والغالب أنه لا ينذر لها ولم يقصد من عندها من الزوار وغيرهم إلا مع وجود الاعتقاد فيهم، ولذلك فقد انتقد هذا المسلك الشيخ أبو بكر الخطيب في فتاواه معللاً بأن (الغالب أنهم يقصدون تعظيم ذات الولي أو قبره أو مشهده وذلك باطل والله أعلم بالصواب)[٢]، وكذلك الرسول ﷺ عندما نذر الرجل أن يذبح إبلاً ببوانة سأله: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قال: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قال: لا، قال: فأوف بنذرك»[٣]، وهذا يدل على أن النذر لو كان لمكان فيه وثن أو عيد لما أجازه؛ لئلا يظن ظان أن ذلك لتعظيم تلك البقعة، وهكذا هنا فإن قصد تعظيم ذلك المشهد والقبر هو الغالب، فكان الواجب سد هذه الذريعة وعدم تصحيح النذر من أصله.

**الأمر الآخر**: جعل النذر شركاً ـ إن وجد الاعتقاد والتعظيم ـ هذا فيه قصور، إذ النذر عبادة لله تعالى وليس كما يفهمه بعض الفقهاء مجرد هبة أو عطية، ولذلك فجعله لهذا المشهد أو القبر هو في حد ذاته قربة وعبادة، وصرف ذلك لغير الله شرك، ولو لم يوجد التعظيم؛ لأن الحامل عليه هو الخوف أو الرجاء كما ذكره الشيخ آنفاً، بخلاف ما لو نذر لحيّ فإنه في عرف الفقهاء بمعنى العطية أو الهبة، وعلى ذلك درج الناس فيما يتعاطونه بينهم فيقول قائلهم: نذرت لابني أو أخي أو فلان بكذا أي وهبته، فما كان من هذا القبيل فلا يمنع إلا إن قارنه التعظيم والتقرب والله أعلم.

أما المهمة (الحادية والعشرون) ففيها يقرر المؤلف أنه لا يتقرب ولا يعظم بالصلاة والنسك «الذبح» إلا لله تعالى، ولا ينسب الإحياء والإماتة إلا لله تعالى،

---

(١) «المهمات» ص(٩). (٢) «الفتاوى النافعة» ص(٢٤٩).

(٣) تقدم تخريجه في الباب التمهيدي ص(٦٠).

وهذه أمور معلومة لا إشكال فيها وإن كان من الناحية العملية بعض القبورية أو جلّهم يخالفون في الذبح فيجيزونه لغير الله، ويتأولون ما يفعل من ذلك عند العوام، والذي لا علة له إلا «تعظيم من ذبح له» يتأولون ذلك بتأويلات باطلة، وكذا الإحياء والإماتة، هذا أصل من الناحية النظرية متفق عليه، أما من الناحية العملية فالصوفية ينسبون لأوليائهم الإحياء والإماتة ـ كما جاء في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم من المشرع وغيره ـ وقد تقدم إثبات اعتقادهم لذلك في الباب الثاني، وذلك غاية الإلحاد والعياذ بالله، ثم يرتب على ما تقدم تحريم العقيرة[١]، لكونها يهل بها لغير الله، ولغير ذلك من المحظورات التي تترتب على ذلك، ويأتينا هنا بفائدة جديدة جليلة وهي أن الزامل[٢] الذي يكون غالباً مصاحباً لزيارات الأولياء هو: (لتعظيم المقبور له بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة، وهذا من أعظم المنكرات، وأعظم منها سكوت أهل العلم عنهم فيما لو فرض سكوتهم فضلاً عن رضى عاقل بذلك)[٣]، وهذه النكتة لم أعرف من نبه عليها غيره ولكن لا أستبعد صحة ما قرر في ذلك إذ إنّ هذا هو الشأن في معظم الزيارات إن لم يكن فيها جميعاً وهذا أولاً، وثانياً: أنها فعلاً تعتبر تعظيماً للولي وذلك برفع الرايات التي هي شعاره واشتمالها غالباً على أبيات شعرية في مدحه أو دعائه والاستغاثة به. وثالثاً: أن خليفة ذلك الولي المسمى عندنا «منصب مقامه» يعطى في هذه الزيارات من التعظيم والتفخيم وإظهار مقامه وقدره شيئاً عظيماً كما نبه عليه «الصبان» في كتابه: «زيارات وعادات» «زيارة نبي الله هود»[٤]، فرحم الله الشيخ باصبرين.

والمهمة (الثانية والعشرون) يقرر فيها أن الحلف بغير الله تعالى وصفاته وأسمائه شرك، ثم قسم الشرك إلى جلي وخفي، وأن الجلي هو المخرج من الملة والخفي لا يخرج من الملة، ثم تعرض لصيغ من الحلف وتكلم عنها، ثم فرّق

---

(١) قال في «القاموس»: (والعقيرة ما عقر من صيد أو غيره) ص(٥٦٩)، وفي «العرف»: هي جمل أو ثور يسوقه الزوار عند زيارتهم للولي: إما إرضاء له لما قد يظنون أنه ساخط عليهم أو تقرباً لطلب حاجة منه.

(٢) الزامل في «العرف»: هو نوع من الرجز يؤتى به عند المناسبات كالأفراح ونحوها وكذا في الزيارات.

(٣) «المهمات» ص(٩ ـ ١٠).

(٤) زيارات وعادات «زيارة نبي الله هود» ص(٤٠ ـ ٤١)، تأليف عبد القادر محمد الصبان، طبع المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية.

بين ما كان المقصود به تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو يخاف منه كخوفه، أو يرجى منه نفع لم يقضه الله، أو يدفع عنه ضر قد كتبه الله فهو الحرام الكفر اتفاقاً، أما إذا سلمت العقيدة من ذلك فلا كفر جلي وفي الخفي خلاف والورع تركه مطلقاً[١]. وهذا تفصيل جيد، أجود منه لو صرح بتحريم النوع الثاني وإن لم يكن شركاً.

والمهمة (الستون): قال: لا يجوز لأحد حكاية ما صورته منكر، وإن صدر عن بعض الأكابر فمحمول على أنه مؤول عنده بتأويل غير متبادر للعامة، أو أنه صدر حال غيبة عن تعقل مقوله بوجه من الوجوه، أو أنه من قول غيرٍ كجني كما قال بعضهم:

أنا عرشها والكرسي    أنا للسما بانيها
ولولا الحيا من جدي    نار الجحيم أطفيها[٢]

والنهي عن ذلك في محله، وأما التأويل لذلك فبعيد وقد تقدم إيضاح ذلك[٣].

المهمة (الحادية والستون): قال فيها: (من المحرمات قول بعض المعتقدة جواباً لقول المعتقد ادعُ الله لي بالجنة «أنت في الغدفة أو ضماني»)[٤]، وهذا القول يتكرر كثيراً من بعض أقطاب القوم في مناسبات مختلفة وهو محرم ـ كما ذكر الشيخ ـ إن كان مجرد جرأة عن غير اعتقاد، أما من اعتقد أنه يملك ذلك فهذا طاغوت؛ لأنه زعم لنفسه حقاً من خالص حق الله تعالى.

هذه هي المهمات التي تعرض فيها الشيخ للقبورية ونقد بعض عقائدهم وأعمالهم، وأما بقية المهام فإنها منكرات يقع فيها الكثير من الناس وهي معاصٍ لا علاقة لها بالقبورية.

والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ قد تحرر من غل التقليد لمعلميه والتأثر بمجتمعه إلى حد كبير، وحسبه ذلك ما دام مجتهداً باحثاً عن الحق جاداً في العمل به والدعوة إليه، وقد بقي لديه بعض آثار مدرسة حضرموت لم يستطع التخلص منها وهي قليلة في جانب ما حقق من إصابة للحق، فرحمه الله وغفر له.

---

(١) «المهمات» ص(١٠).
(٢) «المهمات» ص(١٦).
(٣) «المهمات» ص(١٦).
(٤) «المهمات» ص(١٦).

## العَلَم الثاني
## من أعلام المواجهين للقبورية في حضرموت
## الشيخ محمد بن علي بافضل رحمه الله تعالى

للأسف لم أعثر لهذا الشيخ على ترجمة مكتوبة، ويقال: إن هناك ترجمة كتبها هو لنفسه بعنوان «حياتي» غير أنني لم أتحصل عليها، وهي عند بعض أولاده كما أخبرني بعض أقاربه، فلذلك أكتب ملامح عامة عنه فأنا أعرفه، وقد جالسته وحضرت درساً من دروسه في مدينة «القَطْنْ» بلده الذي ولد وعاش فيه معظم حياته.

كانت دراسته الأولى في رباط تريم على يد شيخه الشهير عبد الله بن عمر الشاطري، ثم هاجر إلى الصومال ومكث هناك ردحاً من الزمن، ولعله هناك التقى ببعض المصريين من أنصار السنة وبذلك تحول إلى الاطلاع على كتب الإمامين ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله، وأئمة الدعوة السلفية في مختلف العصور حتى صار بذلك من أعلام الدعوة السلفية.

يقول فضيلة الشيخ «السيد السيد رجب» المدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تقديمه لكتابه «دعوة الخلف إلى طريقة السلف» وهو يتكلم عن أعلام الدعوة الذين أشعلوا المشاعل لينيروا الطريق وليوضحوا السبيل ليسترشد الحائر ويهتدي السائر: (ومن هؤلاء العالم الفاضل، والشيخ الوقور، والمربي الأمين، والقدوة الطيبة، والمجاهد المكافح الذي صابر وثابر وأفنى شبابه وصحته في سبيل الدعوة وإبلاغ الحجة وأداء الأمانة وإيقاظ الغافلين، والأخذ بيد العاملين، والذي نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، ذلكم هو الشيخ «محمد علي بافضل»، بارك الله فيه وأطال عمره ونفع به وجزاه بكل خير، فقد جاهد وناضل في سبيل عقيدته في كل مكان حل به وأقام فيه، ومن يذهب إلى الصومال يجد مسجداً فخماً سمي باسمه، أقامه وشيّد أركانه، وكان إمامه وخطيبه ومدرس العلم والمعرفة لرواده وأحبابه وإخوانه ومعارفه، فهذا درس التفسير، وذاك درس الحديث، وهذا درس الفقه، بل كان يدرس النحو والصرف وهكذا.

وكلٌّ حسب منهج دراسي منظم، ومستويات علمية متباينة، فربّى رجالاً فاهمين عالمين عاملين، جمعوا بين طلب الدنيا والدين، والشباب والشيوخ من حوله ملتفون، كان لهم العالم والمرشد والأخ والصديق والأب والرفيق، يلتفون حوله ويستجيبون لنصحه، ويعملون بتوجيهاته ويستشيرونه في أخص أمورهم، وإن أنس لا

أنسى ليلة وداعه وهو مغادر الصومال بعد إقامته فيه مدة طويلة إلى موطنه العزيز والجموع محتشدة في ذلك المسجد بمقديشو، والرجل يفيض على الجميع من علمه وتجاربه ونصائحه وكانت كلماته مشوبة بأنفاس كبد محترق تلفح الآذان، والناس في حزن عميق وألم للفراق شديد، ثم يحمِّلني تبعة القيام بالمسجد ويعهد إليَّ بتحمل الأمانة ولكن أنّى لي ولأمثالي أن نملأ هذا الفراغ ونقوم بذلك العمل الكبير والمجهود العظيم فجزاه الله خير الجزاء)[١] هذه لمحة عن حياة الشيخ وجهده في المهجر.

وأما في الوطن فأنا أسجل ما بلغني عنه وما شاهدته منه مباشرة:

فلقد سمعت بالشيخ وجهوده ودعوته إلى الكتاب والسنة في آخر حياته رَحِمَهُ اللَّهُ، حوالي عام اثنين أو ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية، حيث وصف بالدعوة إلى التوحيد والسنة ومحاربة البدع والشركيات وبيان خرافات الصوفية وتزييفها، وما كان قائماً به من نشر العلم والإفتاء في مدينته القطن، ثم شاء الله بعد مدة أن أزور القطن وأصلي المغرب والعشاء في مسجدها الجامع حيث يدرس الشيخ، وقد كنت ذاهلاً عن الشيخ ودعوته التي وصفت لي من قبل، فلما كان بين العشائين فإذا بالشيخ يتصدر الحلقة العلمية ليدرس طلابه من كتاب فقه السنة «للسيد سابق» وفي سيرة الرسول ﷺ ولا أذكر ما هو الكتاب الذي كان يدرس فيه وقتها، فجلست في الدرس وسمعت كلاماً قيماً غريباً على ما هو معروف في الأوساط العلمية الحضرمية آنذاك، وبعد انتهائه من الدرس أردت أن أتأكد مما سمعت، فسألته عن بعض الأمور المتعلقة بالبدع والشركيات المنتشرة في البلاد، فأجاب جواباً صريحاً واضحاً بما يشفي غليل محب السنة والتوحيد، فاطمأننت إليه واقتربت منه وتعرفت عليه وعرفته على نفسي، فقال لي: (لقد أجبتك على تلك الأسئلة بما سمعت لأنني هنا في القطن، ولو كنت من شبام وحدرا لسبطونا على تلك الأجوبة) هكذا بهذه اللهجة الدارجة ومعناها: أنه لما أجابني بما أجابني لأنه في بلد القطن الذي قد استجاب أهله للدعوة السنية وآمنوا بها، ولو أنه كان في مكان آخر من بلد شبام أو ما كان شمالاً عنها لضرب على تلك الإجابة لما عليه أهل تلك الديار من التعصب والخرافة، وعندها عرفت أنه ذلك العالم السلفي الذي حُدِّثْتُ عنه من قبل، ثم دعاني إلى منزله فاعتذرت فواعدني من اليوم الثاني حيث أخذني إلى مسجد جديد

---

(١) «دعوة الخلف إلى طريقة السلف التقديم» ص(ج ـ د).

كان يقوم على عمارته، وفي أثناء تجولنا في المسجد كان يشكو إلي سوء الأوضاع في البلاد ومحاربة النظام الشيوعي للدين وأهله وما يلاقيه هو من رقابة ومتابعة شديدة، ثم إنه رَحِمَهُ اللَّهُ سافر إلى المملكة العربية السعودية، حيث وافاه الأجل في مدينة جدة حوالي عام (١٤٠٤هـ)، وقد ترك أثراً طيباً في بلده وكان له طلاب ومحبون فيها وفي غيرها، كلهم سائر على نهجه ومقتبس من طريقته ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

## الأثر الذي خلّفه «دعوة الخلف إلى طريقة السلف»:

وواضح من عنوانه أنه دعوة إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم في جميع الأمور من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات وسائر شؤون الحياة، ولقد لخص موضوع الكتاب المؤرخ الشهير سعيد عوض باوزير في المقدمة التي قدم بها للكتاب فقال: (آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، هذا هو موضوع الكتاب الذي جمعه المؤلف من أوثق المصادر.

دعوة إلى التوحيد الخالص دون إشراك، وإيمان برسالة خاتم الأنبياء دون انحراف، وتمسك بتعاليم مستقاة من أصولها الصحيحة دون ابتداع، في ميدان الاعتقاد يدعو الكتاب إلى إصلاح كل ما أفسدت البدع والأباطيل من جوهر العقيدة، وفي ميدان السلوك والعبادة يدعو إلى رفض كل زيادة ليست في كتاب الله الكريم ولا في سنة رسوله المطهرة)[1].

وبعد كلام عام عن أزمة المسلمين وأن لا حلَّ لها إلا بالرجوع الحق إلى الإسلام قال المقدم: (ربما تثير بعض النقاط التي عالجها الكتاب حساسيات بعض الناس، أو تصطدم بوجهات نظر خاصة بهم، ولكنني واثق بأن المؤلف لم يكتب ما كتب عن هوى أو غرض وإنما كان يصدر عن عقيدة امتزجت بروحه وقلبه، يدافع بها عن دين الله الحق، طالما تحدث بها لسانه، قبل أن يتناولها قلمه، فالمؤلف من خطباء الحضارم الموهوبين وأساتذتهم المستنيرين، تعرفه المنابر والحفلات، كما تعرفه فصول الدراسة، وقاعات المحاضرات)[2]. والكتاب قد جعله المؤلف على طريقة السؤال والجواب:

وقد شمل توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وما يضاد ذلك من الإلحاد والشرك، وقد ركز على توحيد الربوبية بعض الشيء لوجود التشكيك فيه

---

(١) «دعوة الخلف ـ المقدمة» ص(٥ ـ ٦). (٢) «دعوة الخلف ـ المقدمة» ص(٥ ـ ٦).

في تلك الفترة؛ فترة انتشار الإلحاد في العالم كله، وعندنا في حضرموت بسبب النظام الشيوعي الذي كان جاثماً على صدر البلاد وأهلها، ثم تكلم على السنة وما يتعلق بها وما يضادها من البدع، كما عرج على الفكر الصوفي الحضرمي ونقد بعض خرافاته، وأبان بعض ما يحتوي عليه من الشعوذة والدجل، وخصص بعض البدع التي تتفرد بها حضرموت مثل «صلاة الخمسة فروض» التي تؤدىٰ آخر جمعة من رمضان، حيث يصلون الفرائض الخمسة الفجر ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء في آن واحد وذلك بنية قضاء ما فات أثناء السنة الماضية وأول من أحدثها في حضرموت «الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي صاحب عينات»، ولذلك فإن أكثر من يتعصب لها هم المنسوبون إليه، ولا تزال مستمرة بشكل رسمي وبطقوس واعتقادات، خاصة في بلده عينات إلى اليوم، كما تعرّض لبعض الأمور التي دعا الواقع إلى طرقها؛ كمسألة المرأة في الإسلام، وتعدد الزوجات، وموضوع الإسلام والرق، هذا مجمل ما اشتمل عليه ذلك الكتاب فهو مهم جداً ومفيد للغاية فرحم الله مؤلفه وأجزل له الثواب.

## العَلَم الثالث

## العلامة القاضي عبد الله بن عوض بكير

وهو العلامة الكبير والقاضي الشهير، داعية السنة في وقت تَغَلُّب البدع، ورافع راية التوحيد في مجتمع تجوس خلاله أنواع من الشرك، ويتصدر فيه دعاة الخرافة، الشيخ عبد الله عوض بكير.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في مدينة «غيل باوزير» سنة (١٣١٤هـ)[(١)]، قرأ القرآن في أحد كتاتيب قرية «القارة» من ضواحي الغيل، وبعد مرحلة من العمل والكدّ التحق بركاب الشيخ عمر مبارك بادبَّاه في قرية «الصداع»، وأقام لطلب العلم لديه نحواً من خمسة عشر عاماً، قرأ خلالها عدداً من الفنون حتى تقدم على أقرانه وأصبح شيخه يوكل إليه بعض المهام؛ من تعليم طلاب، وإمامة مسجد، وردٍ على فتاوى[(٢)].

ثم انتقل إلى رباط الغيل فترة، ثم ارتحل إلى بلاد الصومال «جيبوتي» و«مقديشو» مرتين لتحصيل العلم ولقمة العيش معاً، وهناك التقى ببعض

---

(١) «القضاء في حضرموت في ثلث قرن» لابن المترجم العلامة عبد الرحمٰن عبد الله بكير، النسخة الخطية ص(١٤).

(٢) المصدر السابق ص(٢٦ ـ ٢٨).

علماء الأزهر[١]، ثم عاد واستقر إماماً لمسجد النور بالقارة، وقد حصّل من العلم حظاً كبيراً مكَّنَه من أن يكون مرجعاً لمجتمعه الصغير، عليه يعرضون أسئلتهم وإليه يرجعون في حل مشاكلهم، ويراجعونه فيما يقع لهم من قضايا، ومنها ما قد يصدر لهم أو عليهم من أحكام قضائية وفتاوى شرعية، فكان يعلق عليها بما يراه الحق، وبذلك انتشر خبره وسار ذكره حتى وصل (مجالس العلماء ودخل مكاتب الحكام واستمع إلى آرائه الوزراء والسلاطين، فتوجهت إليه الأنظار ترقبه وتراقبه)[٢]، (وبالإضافة إلى قوة عارضته الفقهية في المناظرات الشفوية والكتابية، مما أكسبه سمعة علمية طيبة، وحنكة في معالجة القضايا الفقهية، وإبراز خفاياها ودقائقها. . بالإضافة إلى ذلك كان صريحاً في الحق لا يماري ولا يداري، نزيهاً لا تمتد عينه إلى متع غيره، محارباً للبدع أياً كان القائم بها، لا تأخذه في الله لومة لائم، فقد كتب الرسائل وألقى الخطب، وكاتب من يتوسم فيه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشنعاً على كثير من البدع التي تعمل باسم الدين، وأظهر وأبان وجه الحق في كثير مما يُتخذ تحت شعار الدين، بينما هو في حقيقته باطل وجاهلي فألَّف من بين ما ألَّف:

١ ـ مثالب المزار: وهي رسالة في منكرات زيارات القبور، وأن زيارة القبور مشروعة كما شرعها الدين الإسلامي، وبغير ذلك تعتبر منكراً يجب إنكاره وتجب إزالته وتغييره.

٢ ـ تطهير الفؤاد من سيّء الاعتقاد: وهي رسالة توضح كثيراً من المعتقدات الفاسدة الشائعة في الجهة سواء كانت مما يتعلق بالموتى أو بالأحياء أو بالجمادات أحياناً، وما يفعل باسم كبراء الجن، كما يقول أرباب تلك المعتقدات.

٣ ـ الدفوف في المساجد: وتلك رسالة أوضح فيها حكم ضرب الدفوف في بيوت الله التي يجب أن تُنَزَّه عن مثل هذه المعازف والملاهي، ولقد ترسم فيها طريقة السلف الذين سبقوه وعنهم نقل ما نقل)[٣]. (كان هذا من الشيخ رحمه الله في عهد اشتدت فيه الخصومات بين الإرشاديين والعلويين في مهجرهم في أندونيسيا وسنغافورة، وألقت تلك الصراعات بظلالها على الوطن، وأصبح مَن يصنف أنه مِن الإرشاديين أو يتهم بذلك منبوذاً، بل مُعرّضاً لأنواع من الأذى، ولذلك فقد اتهم

---

(١) «القضاء في حضرموت» ص(٢٨ ـ ٢٩). (٢) المصدر السابق ص(٣١ ـ ٣٢).

(٣) المصدر السابق ص(٣٢ ـ ٣٣).

بالإرشادية كما اتهم بالوهابية، وإن لم يكن كما يقول ابنه الشيخ عبد الرحمن ملتزماً لواحدة من الطائفتين، بل قد يؤديه اجتهاده إلى موافقته إحداهما في أمور ومخالفتها في أمور أخرى، ولكن الإرهاب الفكري الكبير الذي كان يمارس لا يرضى بأنصاف الحلول ولا يعرف للاجتهاد معنى، «وإنما كُن معنا أو أنت ضدنا»، ولكن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ما بالى بذلك بل صمد في وجه كل تلك الزوابع، ولكن لما شاع عن الشيخ من سعة في العلم وبصيرة في الرأي ونزاهة في المعاملة وعدل في الخصومة وقوة في الموقف، كل ذلك أرغم معاصريه على احترامه، وحَمَل المسؤولين على أن يخطبوا وده، وأن يطالبوه بتحمل مسؤولية القضاء الشرعي، والقرب من السلطان للاستفادة منه في الرأي والمشورة، وقد نفر من ذاك بادئ الأمر، ولكنه رضخ له بعد إلحاح وبعد تأمل في المصالح والمفاسد، ودخل سلك القضاء وتدرج فيه بعد أن عُرف عدله ونزاهته وقوة إدراكه ونفوذ بصره حتى أصبح رئيس القضاء، وعضو مجلس الدولة، ولقد قام من خلال منصبه ذلك بإصلاحات قضائية وإدارية جبارة، سبق بها عصره وتفردت بها حضرموت عن سائر البلدان المجاورة، كما أصلح القضاء وطوّره وحافظ على تحكيم الشريعة، فإن له بصمة أخرى عظيمة هي رئاسة لجنة الشؤون الدينية والتي كان من مهامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة الآداب الإسلامية، والدعوة إليها، والتنفير من كل مفسدة خلقية، والدعوة إلى السنة ومحاربة البدع في الدين)[1]، (فحاربت من البدع ما حاربت ونجحت، ولاحقت من المفاسد الخلقية ما لاحقت وأصلحت)[2]، (ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقيل على أصحاب الشهوات، ومحاربة البدع شديد على أرباب الهوى والشبهات، وإلغاء بعض ما في البدع والزيارات البدعية مضر بالسدنة ومن يجنون من ورائها أنواع الثمرات، وحرك إبليس جنده؛ فحوربت هذه اللجنة من قبل أشخاص لهم في البدع والمحافظة عليها قَدَمُ راسخ، أَوْ لَهُم في طقوس هذه البدع مصالح مادية ومصالح روحية، بل إن لهم في البدع مصالح رهيبة، وهي في نفس الوقت تمثل المخدِّر العام للشعب كي ينصرف عنهم ولا يلاحقهم في بدعهم وأهوائهم، وبالمحافظة عليها وباستمرارها سيكون الشعب متلهياً بها منصرفاً إليها، غير متطلع لمستقبل، ولا عابئ بحاضر، كيف لا وهي تملأ أكثر أيام العام، ولا تنتهي مناسبة بدعة حتى تبدأ مناسبة جديدة لأخرى، ويتبع هذه البدع من المفاسد والمناكر والمحرمات ما يندى له جبين

---

(١) «القضاء في حضرموت» ص(١٨٣). (٢) المصدر السابق ص(١٨٣).

الدين ويتصبب له عرقاً وجه الأخلاق. . . بل وتتبعها مفاسد اجتماعية تصل إلى حد التفريق بين الزوج وزوجه، والابن وأبيه.

وما أكثر البدع اليوم وما أكثر مروِّجيها والمغشوشين بها، وأشدها شؤماً وأكثرها لؤماً؛ هو بدعة ما يسمى بالزيارات لما يؤتى فيها من المنكرات، والصد عن دين الله بعبادات أعمق جاهلية؛ لأنها باسم(١) تقام وباسم الدين تتحدث. والزيارات بدعة في الدين، وبدعة في حضرموت، وبحسبك أن تعلم أنها لا تستند لسند في العادات والتقاليد حضرمي أصيل.

وقد كان للجنة الشؤون الدينية في عهد السلطان صالح مع هذه البدعة بصورة خاصة مواقف خاصة، مما جعل السلطان رَحِمَهُ اللهُ ـ اقتناعاً منه بمضارها ـ يوقفها ويأمر بإلغاء طقوسها ومراسمها أياً كانت، ولكن القوم ـ هداهم الله ـ وغفر لهم ولنا، أعلنوا عدم تمسكهم بدينهم إذا كان يقف في طريق ما ألفوه، وأنت عليم بما يترتب على هذا من حكم شرعي)(٢).

وقد أخبرني أحد معاصري الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أنه منع الحضرة التي كانت تقام عند القبر الذي تحت مسجد عمر ويسمى قبر «علوية» أيام وجوده في القضاء، وأقفل المكان وعزم على تأجيره مستودعات أو نحو ذلك، ولكنه لم يتمكن من تأجيره، وإنما بقي مقفلاً مدة طويلة، ولكن بعد وفاته أعيد فتحه وأعيدت الحضرة التي تعمل له، وها هو اليوم وصمة عار على جبين المكلا وأهل المكلا، وبقعة سوداء يطالعها كل من يزور هذه المدينة من الغرباء، فيحكم على أهلها الطيبين محبي السنة أنهم من المخرفين والخاضعين لسلطان الدجل والشعوذة ولا منكِر، بل المنكرون كثير ولكن من يستجيب لهم؟؟

كما أنه كان قد أبطل الحضرة التي كانت تقام في مسجد الروضة بالمكلا، وقد أعادها القبوريون هذه الأيام، وكما كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عالماً وقاضياً ومصلحاً؛ كان كذلك شاعراً وأديباً مرهف الحس قوي العارضة، وبعد عمر طويل قضاه في التعلم والتعليم والإصلاح، انتقل إلى رحمة ربه في يوم الإثنين السابع عشر من جمادى الثانية عام ألف وثلاثمائة وتسعة وتسعين للهجرة؛ رحمه الله رحمة واسعة، وقد

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «القضاء في حضرموت» ص(١٨٣ ـ ١٨٤).

ترجمه الأستاذ سعيد عوض باوزير في الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي[١].

### آثاره في محاربة القبورية:

كما سبق فإن للشيخ ثلاثة آثار في مواجهة القبورية وسيكون الكلام هنا عن اثنين منها، وأما الثالث فسأذكره مع قائمة المؤلفات المفردة لأهل حضرموت.

**الأثر الأول**: هو «رفع الخمار عن مثالب المزار» وهو عبارة عن رسالة صغيرة أجاب فيها فضيلته على سؤال من محب كما يقول؛ بعد أن تردد في الإجابة عليه لما في زمانه من الانتكاس، ثم عزم فأجاب وأجاد وبيّن أن المزار المعروف في الجهة، أي جهة حضرموت، محرم لأنه يشتمل على جملة من المفاسد العقدية والأخلاقية، وقد أورد جانباً من الأحاديث الناهية عن الابتداع وطبّقها على هذه الزيارات، ثم ذكر أنواعاً من المفاسد الأخلاقية مثل الاختلاط بين الرجال والنساء والذي قد تصل نتائجه إلى الزنا وقد يحصل اللواط كذلك، مع ما فيها من الملاهي التي هي مقصد أكثر الزوار وليس مقصدهم الاعتبار وتذكر الموت، وقد شن حملة على من يحضرها من المتزيين بزي العلم مع سكوتهم على تلك المناكر وقال: (إنهم أشرار لا أخيار)، وأجاب على شبهة يطرحها البعض وهي: أن هناك خيراً في هذه الزيارات، مثل الموالد التي تقام فيها والمواعظ، فأبان أن الموالد هنا لا تكون مشروعة أصلاً، ولو فرض أنها سائغة لكان الواجب تنزيهها عن هذه الأماكن التي يظهر فيها الفساد عياناً، وعلى افتراض أن في ذلك شيئاً من الخير؛ فإنه قليل لا يساوي ما فيها من الشر.

ثم ذكر داهية من دواهي المخرفين التي لقنوها العوام وهي: اعتقاد بعضهم (أن من حضر سبع مرات عند قبرٍ على مثل تلك الحال فكأنما حج البيت الحرام) قال: (وهذا عين المحادة لله بل ربما كان كفراً)[٢].

وقد كانت عاطفة الشيخ وغيرته بادية واضحة، وحرقته على ما يفعل قومه قوية بارزة، فها هو يصل به الانفعال إلى أن يقول: (وبعض الجهلة يوقِف على مثل هذه الجرائم وقائف، ويجعلها باسم المقام، ولا شك أن مثل هذا المقام، مقام أئمة

---

(١) «الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي» ص(١٨١ ـ ١٨٣)، تأليف سعيد عوض باوزير (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م).

(٢) «رفع الخمار» ص(٢٥ ـ ٢٦).

النار فيحرم الوقف عليه، وتحرم الصدقة؛ لكون ذلك إعانة على المعصية، ولا تجوز الإعانة على مثل ذلك، فمن أعان فيه بشيء فهو من جملة العاصين الممقوتين)[(١)].

والرسالة لم تتعرض لبعض الأشياء المهمة الحاصلة في تلك الزيارات، ومنها الاعتقادات الباطلة والأعمال الشركية، وليس ذلك لأن الشيخ لا يرى ذلك من المخالفات ففي الأثر الثاني سيظهر قوله فيها، ولكن الذي يظهر أن الرسالة مبتورة أو ضائع منها بعض الأوراق، ويشهد لذلك قول ابنه الشيخ «عبد الرحمن بكير» في خاتمة الرسالة: (انتهى ما وجدناه بخط الوالد وبقلمه، عليه رحمة الله، وربما كان للموضوع بقية فلنحتفظ بالموجود ولنبحث عن المفقود، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه)[(٢)].

**أما الأثر الثاني**: للشيخ بكير فهو «تطهير الفؤاد من سيئ الاعتقاد»، وهي رسالة صغيرة لا زالت مخطوطة، اطلعت عليها بخط ابن المؤلف الشيخ عبد الرحمن عبد الله بكير، نسخها من خط والده، وفرغ من نسخها يوم (٢٤) من شهر شعبان عام (١٣٩١هـ)، وقد كان الشيخ عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتبها عام (١٣٤٣هـ)، وتقع في حوالي (٤٠) صفحة، بدأها بعد المقدمة بتعريف الإيمان ثم التأكيد على الإيمان بالقضاء والقدر، ثم عنون (وجوب الاعتماد على الله وحده) وأورد تحت هذا العنوان الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، ثم ثنّى بـ(لا يجوز سؤال غير الله ولا دعاؤه) وأورد كذلك ما في الباب من الآيات والأحاديث. واستمر على هذا المنوال يبرز العنوان المناسب ثم يسوق تحته من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم ويعلق على ذلك بما يناسبه، ومما يؤكد حرقته وغيرته على التوحيد والاتباع كثرة شكواه من المتزيين بزي أهل العلم الذين يرون المنكر فلا ينكرونه، بل يشارك بعضهم فيه، والبعض الآخر يُري العامة طريق الابتداع ويحثهم عليه.

وكان من عناوين هذه الرسالة غير ما ذكر: (من يتوكل على الله فهو حسبه)[(٣)]، و(الاستعانة لا تكون إلا بالله)[(٤)]، و(دعاء غير الله شرك)[(٥)]، و(ألفاظ شركية تلفظها العامة)[(٦)]، و(اعتقادات شركية تعتقدها العامة)[(٧)]، و(يجب التحذير من كل ما يجر

---

(١) المصدر السابق في نفس الموضع.
(٢) المصدر السابق ص(٣٢).
(٣) «تطهير الفؤاد من سيئ الاعتقاد»، مخطوط ص(٤).
(٤) المصدر السابق ص(٦).
(٥) المصدر السابق ص(٧).
(٦) المصدر السابق ص(٨).
(٧) المصدر السابق ص(٨).

إلى الشرك)[١]، و(وجوب تصحيح الاعتقاد وتصفية الباطن)[٢]، واستمر متعرضاً للعلماء المفتونين، ثم انتقل إلى البدع وركز على بدعة الحضرات التي تقام في المساجد وغيرها، وما يصاحبها من دعوات شركية مع السماع الصوفي واستخدام الدفوف في المساجد، كما أخذ يكرر العناوين الدالة على كفر وشرك من يدعو غير الله وأن ذلك من الكفر الصريح، كما فرّق بين التوسل والدعاء، وذكر أن التوسل مشروع عند أهل السنة والجماعة كما جاء في الأحاديث الصحيحة لكن ينبغي الدخول من بابه[٣]، وبين دعاء غير الله الذي عبر عنه بأنه إحداث دين لم يكن، ثم عاد ليقرر أن المبتدعين جهلة غير مؤتمنين على الشريعة[٤]، وبعده تعرض لبداية عبادة الأصنام وأنها كانت بسبب الغلو في الصالحين، ثم عنون (البدع في الدين ابتداءً وسيلة من وسائل الشرك انتهاءً)[٥]، وهكذا يمضي مع البدع ليقول: (نهي الإسلام عن البدع حسم لوسائل الشرك)[٦]، و(جميع بدع القبور منافية للدين)[٧]، ثم ذكر أن الفعل المفضي إلى المفسدة ممنوع، ثم يأتي للقوم من الباب الذي لا يستطيعون سده فيقول: (مع الشيخ ابن حجر في بدع القبور)[٨]، ومن المعلوم أن ابن حجر المكي هو عمدتهم في الفقه، وبعد ذلك يعنون: (الصلاة عند القبور والوقف والنذر عليها أو لها)[٩]، ويواصل تحت هذا العنوان النقل عن ابن حجر، ثم يحذر من الحلف بغير الله وأنه من الشرك أو الكفر به، ثم يتعرض لفعل الموالد عند القبور لأنه إذا منعت الصلاة عندها مع أن المصلي لا يقصد إلا الله وحده وإنما يخشى من أن يجره التبرك بذلك القبر إلى الشرك، فإن الموالد أولى من ذلك؛ لأنها إنما أقيمت للتبرك بصاحب القبر وتعظيمه[١٠]، ثم يختم بنقد الزيارات القبورية. وقد سبق تفصيل رأيه في ذلك عند الكلام على «رفع الخمار عن مثالب المزار»، ويطيل حتى ينهي الرسالة بذلك.

بقي شيءٌ لفت نظري وهو نقده على من نسب كثيراً من البدع القبورية للسيد علي بن محمد الحبشي، واعتباره غير راض عن ذلك لما عُرف عنه من العلم والورع والتمسك بما كان عليه سلفه من علماء آل باعلوي بحضرموت، وهذا إحسان ظن من

---

(١) المصدر السابق ص(٩).
(٢) المصدر السابق ص(٩).
(٣) المصدر السابق ص(١٦).
(٤) المصدر السابق ص(١٨).
(٥) المصدر السابق ص(٢١).
(٦) المصدر السابق ص(٢٢).
(٧) المصدر السابق ص(٢٣).
(٨) المصدر السابق ص(٢٥).
(٩) المصدر السابق ص(٢٩).
(١٠) المصدر السابق ص(٣٢).

الشيخ بالسيد علي المذكور، ربما لأنه لم يطلع على كتاب «كنوز السعادة الأبدية» والذي جمعه أحد طلاب علي الحبشي من كلامه، والذي يحوي من الخرافات ما لا مزيد عليه، وكذلك نقل بعض صور القبورية والعقائد الضالة على وجه الاستحسان، بل في معرض التعليم للناس والحث على تلك البدع والأعمال والعقائد.

ظني والله أعلم أن الشيخ عبد الله لو اطلع على هذا الكلام لغيّر رأيه، ولم يدافع هذا الدفاع الكبير عن علي حبشي والله أعلم.

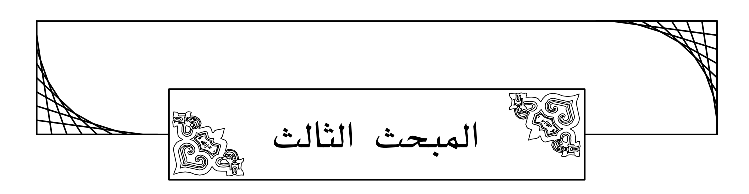
## المؤلفات المفردة في الرد على القبورية لعلماء حضرموت:

١ ـ العلامة الشيخ محمد بن عمر العماري وله رسالتان في مواجهة القبورية إحداهما «فتوى حول الاستغاثة بغير الله» مطبوعة وهي رسالة قصيرة، والثانية رسالة بعنوان «دق بالمسمار على الضاربين بالطار أو نصيحة وإنذار» وموضوعها الاعتراض على السماع الصوفي أو ما يسمى عندنا في حضرموت «الحضرات» في المساجد والمشاهد.

٢ ـ العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بكير عضو هيئة الإفتاء الشرعية، من المعاصرين حفظه الله وله رسالة بعنوان: «شن الحروب على مقبرة الشيخ يعقوب» وهي رسالة كان الباعث عليها الهجمة الوقحة التي شنها رجال ومسؤولو الجبهة القومية أيام حكمها على مقابر المسلمين ودكّها للبناء عليها وتمرير الطرق فيها دون مبرر، وقد تعرض فيها للزيارات الشرعية والبدعية.

٣ ـ العلامة الشيخ الفقيه أبو بكر أحمد بن عبد الله الخطيب الأنصاري التريمي الحضرمي الشافعي المتوفى سنة (١٣٥٦هـ)، له رسالة صغيرة اسمها: «نصيحة الإخوان عن إتيان السحرة والكهنة وأهل الجان» توجد ضمن مجموع فتاواه المسمى «الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة» جمع سالم بن حفيظ بن عبد الله بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، من (٣٠١ ـ ٣٢١) من ذلك المجموع.





المبحث الثالث

## الردود الواردة على القبورية في كتب الفنون المختلفة

**وفيه أربعة مطالب:**

**المطلب الأول: الردود على القبورية في كتب التاريخ:**

إن جميع من له إدراك وفهم ـ ولو كان بسيطاً ـ يدرك بسهولة ضلالات القبورية وانحرافاتها، وقد تناثر نقد العلماء وردهم على تلك الضلالات والخرافات في ثنايا ما كتبوا من شتى الفنون، وأنقل إليك جملة مما ظفرت به من كلامهم:

فمن المؤرخين القاضي العلامة محمد بن علي الأكوع رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في مقدمة السلوك للجندي منتقداً عليه شدة ولوعه بتتبع الكرامات والزيارات وما يقال عن المقابر وما لها من فضائل: (ومؤرخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولوع بشدة وبشكل جدي وكبير بذكر كرامات الأولياء والمنامات والمرائي الخلابة التي هي أغرب من الخيال وتلحق بقسم المستحيل وبحديث خرافة.

وكان يصدر أحكامه بتلك الكرامات عن عقيدة راسخة لا تقبل الجدل والمناقشة وعن نفس مؤمنة بذلك خصوصاً إذا تلقاها عن الثقات فإنها تصير عنده من القطعيات.

والحق أن أكثرها بالخرافات أشبه وبخرق العادات أعلق، وبالبله السذج ألصق؛ لأن البعض منها يخرجها عن حد المعقول إلى حيز المحال والتجديف، على أنا لا ننحي باللائمة على مؤرخنا الجندي الذي انساق وراء هذه العاطفة الروحانية الزايفة؛ لأن الوسط الذي كان يعيش فيه الجندي كان ملغماً بهذه الخرافات، ومنغمساً في هذا الجو القدسي في نظرهم كما سبقه إلى هذا غيره، وسير الأئمة وغيرهم مليئة بهذه الحكايات.

**خدعة الملوك:**

ومما يستغرب أن الملوك والرؤساء انجرفوا وراء هذه الظاهرة ومع السواد

الأعظم وفي هذا المسار كما يحكي لنا الجندي في عدة مواقف عن ملوك عصره ومن قبلهم.

وأعتقد جازماً أن انسياق الملوك والرؤساء وراء هذه الروحانية الزائفة «خدعة سياسية» لا تمت إلى عقيدتهم بصلة، كيف لا وبعض الملوك مهزوز العقيدة مضطرب في الإلهيات. وإنما يقصدون من وراء ذلك تضليل العامة وجعلهم في متاهة الجهالات وحتى يبتعدوا عن تتبع مساوئ الحكام والبحث عن كبائر جرائمهم، وقد يكون البعض منهم صادقاً في ذلك والله من وراء العلم.

ويبدو أن هذه الظاهرة وهذه البلوى عمت جميع الأقطار الإسلامية، وما السيد البدوي والدسوقي والسيدة زينب وأضرابهم في القطر المصري، والشيخ عبد القادر الجيلاني والبسطامي وغيرهم في بغداد، والنابلسي وابن عربي بالشام وقل في المغرب العربي وإفريقية المسلمة وإيران وغير ذلك إلا من هذا القبيل.

أما كرامة أولياء بلادنا اليمن الأعلى فهم الأولياء المسلحون الذين يحملون السيف والرمح ويجالدون على الإمامة ويقاتلون دونها، وذلك مثل الإمام الهادي والإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين وسيل الليل أحمد حسن وغيرهم، والعجب أن تخرج من ثنايا هذا الصراع الدموي كرامات وعجائب وغرائب. وتعليل هذه الظاهرة والموجة العارمة التي نزلت في بلاد الإسلام، هو ابتعاد المسلمين عن روح الدين الحنيف الصحيح الذي جاء عن محمد بن عبد الله ﷺ وأتباعه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وبما أدخله أعداء الإسلام من الشوائب والبدع التي صدأت جوهره الصافي النقي وولدت مثل هذه القضايا وكانت سبباً لتأخر المسلمين كما قيل، وصدق رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه»[1]. هذا وليس هنا بسط القول عن هذه المسألة، فمن شاء معرفة ذلك فعليه بكتب ابن تيمية وكتب تلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى، وفي كتاب الله جل شأنه ما فيه مقنع، وحسبنا ذلك)[2]. وهكذا نرى هذا العلامة المؤرخ ينتقد هذه الظواهر ويحللها، ويبين موقف الحكام منها، ويربط بين تبنيهم لها وسياسة الملك التي يعملون على تثبيتها، وأنهم ما جاروا القبورية إلا للاستفادة منهم في ذلك.

المؤرخ الثاني: القاضي العلامة إسماعيل بن علي الأكوع وهو أخو القاضي

---

(١) تقدم تخريجه ص(٨٠).

(٢) «مقدمة السلوك» للجندي (١/ ٢٧ ـ ٢٨).

محمد وقد تعرض للقبورية في عدة مواضع من كتابه «هجر العلم»، منها ما في بيت الفقيه في ترجمة «أحمد بن موسى بن العجيل» حيث قال في معرض الترجمة: (وكان على قبره تابوت وقبة أزالهما الإمام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين سنة ١٣٤٨هـ حينما كان ولياً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق ـ التي كانت تعرف من قبل بالمعازبة ـ لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادها ودخولها تحت حكمه. كما أزال الإمام أحمد كذلك التابوت من على قبر أحمد بن علوان في يَفْرُس من ناحية جبل حبشي سنة ١٣٦٢هـ لاعتقاد جهلة العامة في صاحبي القبرين الضر والنفع، وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صنعاً في كلتا الحالين ولو أن يده امتدت إلى سائر القباب والتوابيت الأخرى التي يعتقد عامة الناس في أصحابها الضر والنفع لأجزل الله مثوبته وأحسن إليه، ولا سيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخير والبركة، ويرجون منها النفع، ودفع الضر والشر)[١]، ثم ذكر كلام الشوكاني في وصف قبة الإمام «أحمد بن الحسين» نقلاً عن الدر النضيد وتقدم ذلك النقل[٢]، ثم ذكر رسالتين مهمتين لإمامين من أئمة الزيدية يأمران فيهما ببناء مشاهد على قبور بعض المقربين إليهما ثم قال حفظه الله: (وكان الواجب على الإمام أحمد هدم القبور التي يلتمس العامة منها الخير والبركة امتثالاً لأمر الرسول ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بهدم القبور، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: «قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[٣]. وأفضل التشيع بالإمام علي رضي الله عنه الاقتداء به، والعمل بسيرته التي هي مقتبسة من سيرة المشرّع العظيم رسول الرحمة ﷺ إذ لا يكفي المحبة باللسان والمخالفة في العمل)[٤].

وفي ذي الجنان «قرية أحمد بن علوان» قال في ترجمة ابن علوان: (وقد فتن به العامة في عهده وبعد وفاته وحتى اليوم فقبره مقصود للزيارة، وكنت أعتقد أن افتتان الناس به إنما حدث بعد وفاته)[٥]، وبعد أن ذكر موضوعاً عن الزبيري وقصيدة له في هدم قبر ابن علوان وستأتي إن شاء الله في موضعها ثم قال: (ولكن الأخ

(١) «هجر العلم» (١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).
(٢) انظر: ص(٥٤٨).
(٣) تقدم تخريج الحديث ص(٥٣).
(٤) «هجر العلم» (١/ ٢٢٥).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٧٥٠).

القاضي فضل بن علي الأرياني أطلعني على قصيدة لأحمد بن علوان تدل على أنه كان يدعي لنفسه أموراً خارقة للعادات، نذكرها هنا، ونذكر كذلك جواب الفقيه علي المقصري السرددي عليها، ومن يطلع عليهما لا بد أن يحكم عليه بأنه كان يزعم لنفسه كرامات اختص بها وأن أتباع طريقته قد فتنوا به في حياته. نسأل الله الهداية والتوفيق إلى اتباع أحكام كتابه وسنة رسوله ﷺ على الوجه الذي يرضاه)[1]. وهذا كله يدل على توجه الرجل وحرصه على سلامة المعتقد ومقته للقبورية والقبوريين.

المؤرخ الثالث: الأستاذ صلاح البكري وهو من مؤرخي حضرموت المنتمين إلى جمعية الإرشاد بأندونيسيا وقد عنون في كتابه «تاريخ حضرموت السياسي» هذا العنوان «الخرافات»، عدّد تحته الكثير من تلك الخرافات المتعلقة بالقبور وبالاعتقاد بالجن وتقديم ما يدفع شرهم من ذبائح أو كسر بيض على باب الدار لئلا يحتلها الجن، وأبان من يقف وراء تلك الخرافات، ولا أطيل فهذا نص كلامه: (ولقد ابتنى بعض العلويين قباباً كثيرة لبعض موتاهم رحمهم الله، ووضعوا على أجداثهم التوابيت، ودعوا الناس لزيارتها، والتبرك بها، والتوسل إليها لقضاء الحاجات واستنزال البركات، وقد يوجد في القبة خزانة «تيحه» في داخلها إناءان: أحدهما للنقود والآخر للزيت الذي يقدمه المريض لطلب الشفاء، وأقرباء الميت هم الذين يتمتعون بهذه القرابين والنذور، وقد يبالغ بعض المرضى في الضلال فيأكلون قليلاً من تراب ذلك القبر لطلب الشفاء، وإني لأذكر أني حينما كنت في حضرموت وأنا يومئذ لم أبلغ سن الرشد أصبت بحمى، فذهبت إلى قبة المرحوم عمر بن محمد الهدار العلوي الواقعة على مقربة من حوطة أحمد ناصر، وأكلت قليلاً من تراب قبره، وقبلت تابوته، وتوسلت إليه ليذهب الآلام، ويعيد إلي صحتي كاملة غير منقوصة، ووضعت في الخزانة أوقية وربعاً، وعدت إلى البيت وأنا أرتعد من حمى الورد، ومن حسن حظي أني في اليوم الثاني شفيت من مرضي، ولكن من سوء حظي أن ازداد اعتقادي في الهدار واعتمادي عليه من دون الله، فذهبت في الحال إلى السوق وابتعت رطلاً من زيت السمسم، ثم ذهبت إلى قبة الهدار، ووهبت له الزيت في الخزانة، وهكذا ذكرت صاحب القبة في السراء والضراء خفية وجهرة، وهو لا ينفعني بشيء، ولم أذكر الله ﷻ، الذي هو أقرب إلي من حبل الوريد، وبيده كل شيء.

---

(١) «هجر العلم» (٧٥١/٢).

ويوجد في الروحانيين وبوجه أخص في العلويين من يصنع التمائم والعزائم للمرضى وغيرهم من طلاب الحاجات، ويبالغ بعض الدجالين من أصحاب السلطة الروحية فيسقون المريض ماءً ممزوجاً ببزاقهم للشفاء، ويتجرع هذا المريض «المغفل» ذلك البزاق القذر، وهو مسرور كل السرور متوهماً أن الشفاء آتٍ لا ريب فيه.

وهناك كتب ألفت ورسائل دونت كان لها أثرها السيئ في عقلية الشعب، وتسميم أفكاره، وإفساد عقيدته، وفي مقدمة هذه الكتب «المشرع الروي» لصاحبه الشيخ محمد بن أبي بكر الشلي المشحون بالكفريات والخزعبلات، ثم كتاب: «الجوهر الشفاف» وغيرهما.

ويقسم كثير من الناس بالأضرحة ويخافونها إذا حنثوا في أيمانهم أكثر مما يخافون الله، فقد يطلب المشتكي من خصمه أن يقسم على ضريح مقدس خيراً من أن يقسم بالله أو بالقرآن، ويعتقدون أن لتلك الأضرحة قوة الانتقام إذا كان المقسم حانثاً، وأهم الأضرحة التي يقسمون بها هي:

| الاسم | المكان | الاسم | المكان |
|---|---|---|---|
| أحمد بن زين الحبشي العلوي | حوطة أحمد بن زين | الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي | عينات |
| عبد الله العيدروس العلوي | تريم | سعيد بن عيسى العمودي | قيدون |
| عمر بن محمد الهدار العلوي | حوطة أحمد ناصر | معروف باجمال | بضة |
| علي بن حسن العطاس العلوي | المشهد | عيدروس بن عمر الجيشي العلوي | الغرفة |
| حسن بن صالح البحر العلوي | ذي أصبح | عمر المحضار العلوي | تريم |

وفي زعمهم أنه إذا أراد الشخص أن يأتيه كساء من أبيه أو من أحد أقربائه المهاجرة في جاوة أو في غيرها، فما عليه إلا أن يذهب إلى إحدى القباب ويقطع جزءاً صغيراً من ثوبه، ويرطبه باللعاب، ويقذف به في الحائط، ولا تمضي سنة إلا وقد نال مطلوبه؛ ولذلك تظهر الحيطان في بعض القباب كأنها مغطاة بطبقة من الورق المزخرف أو زينت بنقوش مختلفة الألوان.

وبعض المرضى وبالأخص إذا كان صغيراً يُطاف حوله حَمَل مراراً، ثم يقطع جزءاً من أذنه ويعلقه في ذراع المريض، ويذبح ذلك الحمل ويوزع لحمه على

الجيران بعد أن يأخذ الدجال الذي أشار لهم بتلك العملية جزءاً كبيراً منه. وأول ما يعمله الشخص الذي يريد أن يبني بيتاً أن يدق أربعة أوتاد في البقعة التي سيبني فيها المنزل لطرد عين السوء، وذلك بعد أن أخذ رأي أحد الروحانيين، وعندما يتم بناء البيت يذبح حملاً على عتبته كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بإنزال السفينة لأول مرة في البحر بكسر زجاجة خمر، وفي بعض أجزاء حضرموت يذبح صاحب البيت شاة، ويأخذ من دمها بيده ويخضب الباب، وبعضهم في أثناء عملية البناء ويأكل البناؤون لحمها، ويريقون دمها على الحيطان، وعندما يدخل صاحب البيت لأول مرة يكسر بيضتين على عتبة الدار، وأخريين على الدرج، وأخريين عند الطابق العلوي)[١].

والمؤرخ الرابع: الذي نستشهد ببعض كلامه هو الأستاذ كرامة سليمان بامؤمن صاحب كتاب «الفكر والمجتمع في حضرموت» وهو كتاب حديث تناول موضوعاً مهماً جداً وجانباً حساساً من جوانب الحياة في حضرموت، هو جانب الفكر مرتبطاً بالمجتمع، وقد كشف أسراراً وأبان مخبآت لم يرق للبعض ظهورها ولذلك فالكتاب ومؤلفه مستهدفان بالتشهير وهذا أقل ما يمكن أن أقوله، وإلا فيمكن أن يكون أكثر من التشهير، وإليك نموذجاً واحداً من ألصق ما احتوى عليه الكتاب بموضوعنا «القبورية» قال ـ حفظه الله ـ تحت عنوان «نقد الفكر الصوفي ما له وما عليه»:

(الإنسان كما أشرنا سابقاً مكون من جسم وروح لا يتفرقان إلا عند الموت. والتوازن بين نشاطهما هو ما دعا إليه الإسلام. والتصوف جنوح نحو نشاط الروح مقتبساً فلسفته من ثقافات الأمم السابقة للإسلام، خاصة الثقافة المسيحية التي سنّت الرهبنة والتنسك والخلوة في الكهوف والأديرة، وترك طيبات الحياة المباحة كعدم الزواج عند الرهبان والراهبات قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، والاعتدال في التصوف قولاً وعملاً والالتزام بالكتاب والسنة دون تأويل ومغالاة لا يخرج المتصوف عن عقيدته التوحيدية وشريعته الإسلامية. وكم من هؤلاء الصوفية المستقيمين قد عرفهم العالم الإسلامي واليمن وحضرموت. وقد وقفوا في وجه الغلو والانحراف الصوفي واستنكروا ما صدر من المغالين من شذوذ وانحراف ومحذور قولاً وعملاً.

ومما يعقّد مشكلة التصوف الضعف البشري أمام حالات مذهلة تتراءى للمتصوفة

---

(١) «تاريخ حضرموت السياسي» ص(١١٩ ـ ١٢١).

فتفقدهم توازنهم ولا يثبت إلا الراسخون في العلم والعقيدة. ولا سيما أن كثيراً من مثل هذه الأحوال وخوارق العادات تحصل للبر والفاجر وللمسلم وغير المسلم. ناهيك عن أن للشيطان أحابيله لغواية الإنسان كما أن للعلم والسحر دورهما في كثير مما يصوره بعض الصوفية أنه كرامات، كما تستغل الصدف والفراسة للادعاء بالكرامات.

ولا تقتصر الخطورة في غلو الصوفية وانحرافاتهم وشذوذهم عليهم أنفسهم فحسب فهذه أمرها سهل ومحصور. وإنما الخطر كل الخطر في التأثير على الناس والمجتمع وخاصة على العوام والسذّج؛ لأنهم أكثر فئات المجتمع تأثراً وانصياعاً لمؤثرات الفكر الصوفي المنحرف. ويجب أن ننظر إلى المتصوف وأحواله حالة خاصة به وحده. أما أن يجعل من أحواله وتصرفاته منهاجاً يقتدى بها ـ وأمامنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي أصحاب رسول الله والتابعين ومن اهتدى بهديهم ـ فهذا مما يجب أن لا يكون. ولا يصح إطلاقاً أن نجزئ القرآن الكريم والحديث الشريف الصحيح إلى ظاهر للعامة وباطن للخاصة، يؤولون معاني ألفاظ القرآن الكريم كما نزلت من عند الله على رسول الله ﷺ، وألفاظ السنة كما تحدث بها الرسول ﷺ لعامة المسلمين ويطلقون عليها علوم الشريعة.

وفي تقديرنا إن أخطر وأوسع ثغرة فكرية تهدد بنيان الإسلام وتشوه عقيدة المسلم هو هذا المدخل في تجزئة القرآن الكريم والسنة إلى ظاهر وباطن وإلى شريعة وحقيقة. ولا تقف الخطورة عند تجزئة الإسلام إلى منهاجين وعلمين أحدهما للخاصة والآخر للعامة، بل تتعداها إلى تقسيم المجتمع الإسلامي إلى طبقتين أو فئتين اجتماعيتين هما فئة التعالي وهي فئة الخاصة المحدودة في المجتمع، وفئة الأتباع ـ وهي فئة العامة العريضة في المجتمع ـ، ويتمادى التمييز الاجتماعي في غيه عندما تكون فئة الخاصة هي المدبرة والمسيرة لحياة ومعاش وسعادة فئة العامة من خلال سلطتها الروحية المطلقة التي يمثلها الديوان المصرفي وجهازه التنفيذي الهرمي اللذان تطرقنا إليهما فيما سبق.

وإذا رجعنا إلى آداب وتراث الفكر الصوفي الحضرمي؛ نجده مليئاً بحالات التصرف المطلق من قبل الأقطاب والأولياء والأحياء والأموات في حياة الناس من شفاء الأمراض، ورزق الأطفال، وغفران الذنوب، ورد الكوارث، وتأديب المتطاولين، وقتلهم أحياناً بالقدرة، واستئناف حياة الأموات من جديد واللقاء بالأحياء. يقول السيد علي بن حسن العطاس: (من قام لله بالقدرة كلامه يتم). وهناك من يقول تأكيداً لمقولة العطاس هذه: (إن بعضهم كان يكلم الصوفي الشهير

بدوعن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بعد موته ويشاوره) في أموره. كما يروي البعض الآخر أنه كان يخاطب الفقيه المقدم أمام قبره، بل ويخرج الفقيه المقدم من قبره ليتناول مع زائره القهوة، ويتبادل أطراف الحديث.

إن عودة الروح مسألة قديمة وكان فراعنة مصر يعتقدون بعودة الروح إلى الجسد بعد الموت. ولهذا كانوا يهيئون مدافنهم كالأهرامات بكل ما سيحتاجه الميت من أدوات ومأكولات وغيرها. بينما يروي لنا الرسول ﷺ أن روح المؤمن بعد وفاته تُعَلَّق على[1] شجر الجنة ولا تعود إلى الجسد إلا عند البعث. وفي الواقع إن كيفية حياة الإنسان بين الموت والبعث وعلاقة الروح بالجسد وعذاب القبر ونعيمه، وتلاقي الأرواح هي من الغيبيات، ونكتفي بالتسليم بما جاء نصه في القرآن والحديث ولا نزيد. ويعلمنا الرسول ﷺ أيضاً أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ورّثه لعلماء ينفعون به الناس، وصدقة جارية تصدق بها قبل مماته، وابن صالح يدعو في حياته لأبيه الميت. إن التطرف في تمجيد الأولياء والأقطاب يؤذي الأولياء أنفسهم ويخرجهم عن بشريتهم. وقد تبرأ الرسول ﷺ من الغلو في الدين، أو طلب شيء منه لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠])[2].

ونقد المؤرخين لهذه العقائد والأعمال ليس مختصاً بمؤرخي أهل السنة والمعارضين للقبورية، ولكن بعض المؤرخين المحسوبين على القبوريين هم كذلك ينقدون هذه الأمور ويحذرون منها، وقد تقدم كلام المؤرخ العلوي علوي بن طاهر الحداد في مباحث الزيارات القبورية، وقد كان شديد الانتقاد لهم مصرحاً بأن بعض تلك العقائد والأعمال هي كفر بالله تعالى فارجع إلى هناك[3].

### المطلب الثاني: الردود على القبورية التي جاءت على ألسنة الشعراء:

وهذا الباب واسع جداً فقد تفنن الشعراء في الرد على القبورية من جوانبها المختلفة، فمن ناقد لبعض العقائد، ومن ناقد لبعض البدع والأعمال كالسماع ونحوه، ومنهم من ينتقد المتظاهرين بالولاية ممن هم في الحقيقة من المحتالين على خلق الله، ومنهم من يصف القبور المعظمة وما يفعل عندها من مناكر وضلالات، وهذه بعض تلك القصائد:

---

(١) الصحيح «تعلق في» والمعنى: أنها تأكل.
(٢) «الفكر والمجتمع» ص(٢٢٨ ـ ٢٣٠). (٣) ص(٣٨٩).

وأبدأ بشاعر من شعراء حضرموت وكبير من كبرائها العلامة الشاعر الصوفي المتشيع أبو بكر بن شهاب الدين العلوي المتوفى سنة (١٣٤١هـ)، وله قصيدتان: الأولى في كشف مخاريق من يدعي الولاية ويتظاهر بمظاهرها ويتقمص لباسها، ثم من وراء ذلك يختل الغافلين ويصطاد أموال الجاهلين، بل ويتعدى الأمر إلى النساء وما يفعل تجاههن باسم الدين والولاية.

قال جامع ديوانه: (وقال نفع الله به في وصف دجاجلة المتصوفة بزماننا:

هل للغرائب من حكيم عاقل … أو عالم يقضي بحكم فاصل

أمِنَ الذئاب المُعط صنفٌ ناطق … في صورة البشر السوي الكامل

أأقول: كلا والعيان مكذبي … كلا بل المفتي أسير السائل

معط الذئاب الناطقات هم الأُلى … جعلوا التصوف صنعة للداجل

فترسموا برسومه كي يحسبوا … صوفية مثل الفضيل الفاضل

يضعون للتمويه والتغرير في … مشكاة نور الحق نار الباطل

لبسوا العبايا والمسابح والحبى … والطيلسان يدار فوق الكاهل

والمظهرين البر والتقوى وإد … مان التنسك خدعة للجاهل[1]

وإذا خلوا عكفوا على شهواتهم … من لاعب أو شارب أو آكل

هجروا كتاب الله واستغنوا بألـ … حان السماع ورقصه المتداول

زعماً بأن الطار والمزمار والـ … أوتار تنعش كل قلب ذاهل

أيقوم دين الله بالسفهاء من … ذي مزهر أو زامر أو طابل

بئس الطوائف لا مرام لهم ولا … مرمى سوى جمع الحطام الزائل

ولهم حبائل لاجتلاب المال لم … تدرك غوائلها لغير الفاتل

ويطوف أطراف البلاد دعاتهم … ودهاتهم من كل صل صائل

ممن يبيع ولا يبالي دينه … بيع المزاد ولو بشاة شائل

في كل واد لا تطيش سهامهم … مع كل حاف يَحْفِدون وناعل

ويذيع كل ما افترى من نعت شيـ … ـخهم القوي ولو خرافة هازل

من صومه وصلاته وقيامه … جنح الظلام وزهده في العاجل

* * *

(١) في الأصل: «للجافل».

يروون عنه خوارقاً للرسل ما   وقعت ولا اتفقت لساحر بابل
ولأجل نفي الريب مهما حدثوا   حلفوا لسامع إفكهم والقابل
وهنالك الأستاذ يجهد فكره   في سلب ثروة كل غر غافل
يترقب الفرص التي فيها قطيـ   ـع الصيد يبدو مكثباً للنابل
يثني على أهل الثراء مصوباً   أفعالهم مستدرجاً للفاعل
زيدٌ ربيعُ نَدى وعمروٌ في مقا   مِ كذا وبكرٌ في الرعيل الواصل
ويشير رمزاً في الحديث بأن ما   يحكيه من إلهام غيب نازل
حتى إذا اعتقدوا علو مقامه   ومشت عليهم حيلة المتحائل
غمروه جوداً واستزاروه التما   ساً للتبرك في المقر العائلي
ولمسحه رأس الصغير ووضعه   يده الكريمة فوق بطن الحامل
ومتى تحكَّم مصلحاً في حالة   جعل البخيل فريسة للباذل
وتراه يصدع بالمواعظ خاطباً   في القوم بهرة كل جمع حافل
يملي زخارف زوره متأوهاً   متباكياً ليرق قلب الناكل
طوراً يرغب في الثواب وتارة   أخرى يندد باللئيم الباخل
وإذا رأى في الجمع من أكياسه   ملأى من التبر الوفير الطائل
أوحى إلى أحد الشياطين الأُلى   منهم تعوذ كل غول غائل
فيقول: يا مسكين زر شيخ الشيـ   ـوخ تنل به أقصى أماني الآمل
وإذا أتى ألفاه في المحراب في   جد وشغل بالعبادة شاغل
ويقال بعد الانتظار هنيهةً:   ادخل فأنت اليوم أسعد داخل
ولك البشارة إن رزقت ولاءه   بالانتشال من الحضيض السافل
فإذا تقدم قال شيخ السوء أهـ   ـلاً يا بني ومرحباً بالواصل
إني لرؤيتك ابتهجت ولست أد   ري سر هذا الابتهاج الحاصل
فلعل في لوح السوابق بيننا   سر اتصال بالأواصر واغل
ولعل حالك في أمور الدين والد   نيا على دعة ولطف شامل
إن كنت محتاجاً فخذ ما تبتغي   تقوى به وتقيم ميل المائل
لا تخشَ إملاقاً عليَّ ولا عليـ   ـك فنحن في كنف الرسول الكافل
أعلمتَ أني بعد ختم وظيفتي   سحَراً أعرتني غفوة المتثاقل
فرأيته صلى عليه الله مبـ   ـتسماً يقول وكان أصدق قائل
أبشر فأنت وتابعوك بذمتي   ورعايتي لمقيمكم والراحل

نُب عن نبيك في مواساة العفا ... ة المعوزين وفي عظاة الجاهل
جُد بالنوافل ما استطعت على اليتا ... مى والأيامى والفقير العائل
خذ ما تشاء من امرئٍ سبقت له الـ ... حسنى ولم يعبأ بعذل العاذل
وأنا الضمين لمن يعينك بالغنى ... طول الحياة وفي الجنان مخاللي
فيصدِّق المسكين كاذبَ قصة ... ممزوجة بزعاف سمٍّ قاتل
فيشاطر الأستاذ خالص تبره ... لسداد ذي عوزٍ ورفد أرامل
ولكم لهم في السر غامض حيلة ... إبليس لم يطمع لها بمماثل
ولهم من الجنس اللطيف لطائف ... أبَتِ المروءة شرحها للناقل
لكن على الأزواج عار المرسلا ... ت فهم أشد بلادة من باقل
هذي طرائقهم وهذا شأنهم ... تعساً لهم من خائن ومخاتل
أفهكذا كانت طريق مشايخ الـ ... إسلام أرباب السلوك العادل
كالتستري وكالسري والكالجنيـ ... ـد الحبر والشبلي أو كالشاذلي
كلا وحاشى بل هم عمد الهدى ... وسحائب الفيض العميم الهاطل
الزاهدون المتقون العارفون ... بربهم من كل بر عامل
وهم البراء من الأُلى كذبوا على ... حضراتهم وخصومهم في الآجل
فإليك ربي المشتكى وبك العيا ... ذ من انتقامك والعذاب الهائل
واسمح بإرشاد الجميع إلى طريـ ... ـق الحق واصفح عن خطايا الخاطل
وتغش بالرحمات روح المصطفى ... والمرتضى تعداد طش الوابل
ضاعف صلاتك والسلام عليهما ... وبنيهما مدد الوجود الشامل
والصحب من بسيوفهم ثلت عرو ... ش الشرك واندرست رسوم الباطل
ما تاب ذو خطأٍ وآب مفرط ... وأناب عبد في العتيم الحائل)[١]

وهذه القصيدة تجسد حال الكثير ممن يدعي الولاية على امتداد الأرض اليمنية، بل على امتداد البلاد الإسلامية وللأسف الشديد، وهؤلاء لا شك يخرجون من تحت عباءة المتصوفة والشيعة القبورية.

وهناك قصيدة أخرى لهذا الشاعر في نفس المعنى أضيفها هنا:

قال جامع ديوانه: (وقال نفع الله به:

---

(١) «ديوان ابن شهاب» ص(١٩٣ ـ ١٩٦)، طبع مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ودار التراث اليمني، صنعاء، الطبعة الثانية سنة (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

العلم والمجد رضيعا لبان  والجهل يرمي ربّه بالهوان
لا يدعي العلم امرؤ جاهل  يخاف أن يفضحه الامتحان
فهو لدى أشكاله باسل  وإن جرى البحث الشرودُ الجبانُ
بلى يقول الجاهل المدعي  العلم نور مشرق في الجنان
العلم سر الله إلهامه  في القلب لا لقلقة باللسان
العلم إما ظاهر وهو في الـ  كتب وللأحكام فيه البيان
أو باطن يعرفه أهله  وهو لديهم واجب أن يصان
يومي بما يملي إلي أنه  في أشرف القسمين رب العنان
وقد علت أصوات أمثاله  بمثل هذا فالأمان الأمان
نشكو إلى الرحمن من هذه الـ  غوغاء شكوى من رماه الزمان
من ماكر ذي سبحة أو مرا  ء قارئ همساً وذي طيلسان
ورامز بالغيب في حيلة  يلفظ بالقول الكثير المعان
رواد صيد كلهم حاذق  في الرمي لا يصطاد إلا السمان
شباكهم دعوى الكرامات والـ  كشف وتزوير المرائي الحسان
هذا يرى المختار في نومه  وذاك يستخبره بالعيان
كأنه من بعض أتباعهم  يحضر في كل مكان وآن
ومنهم المخبر عن برزخ الـ  موتى شقي أو سعيد فلان
وقد أراني الله شيخاً له  جماعة رجلاه مصفرّتان
فقلت: ماذا نابه؟ قيل: من  وطء حشيش الجنة الزعفران
أفٍ لقوم همهم كيدهم  وجمعهم للمال من حيث كان
بالمال تلقاهم سكارى كما  يسكر من يشرب خمر الدنان
إن أحسن الظن بتلبيسهم  مُثْرٍ رأوا تطهيره بالختان
من كان ما الإنسان يخشاه من  مستقبل الدارين يعطي الضمان
وإن رأوا في عقله خفةً  باعوه في الدنيا قصور الجنان
وكم وكم قد موهوا زائفاً  فظنه البله ثمين الجمان
يا رب يا منان أنت السريـ  ـع الغوث والمفزع والمستعان
وفّق رجال الدين للصدق والـ  إخلاص والإعراض عن كل فان
ونزّه الإسلام عن غش أهـ  ـل المكر والتدليس كيلا يهان
واغفر ذنوب الكل واصفح ومن وصل  قلوبنا اغسل كل ريب وران

أزكى ما تصلي على من أشرقت من نوره الخافقان
والآل أهل المجد والصحب ما أمالت الريح الغصون اللدان)[١]

وللشاعر الأديب والعالم الثبت ـ مفتي حضرموت في زمانه والشاعر المبرز على أقرانه العلامة عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف ـ نقد لاذع وبيان ساطع في نقد دجاجلة الصوفية والمتاجرين بالولاية حسب تعبيره، إليك بعضاً منه وهو مقدمته لإحدى قصائده في الموضوع: (وقد اتفق لي في شرح الشباب أن أفضت في درسي كجاري عادتي في النعي على الخرافيين وتفنيد مزاعمهم وأنكرت قول بعضهم: إن أتان الفقيه المقدّم ـ قدّس سره ـ كانت تعرج إلى السماء وتأتي بخبرها طرفي النهار، مع أن البراق لا يقدر على ذلك، فلو أنها حضرت ليلة المعراج لأغنت عنه؛ لأن البراق لم يجاوز إيلياء على الأصح، وقول بعض آخر عن بعض العلويين: إنه كانت له زوجة شريفة مضى لحملها ستة أشهر، فتزوج فلاحة فنشزت الشريفة؛ فخيرها بين الرجوع أو يأخذ الحمل من بطنها إلى بطن الفلاحة، ولما أصرت فعل ما تهدَّدها به، وولدت الأخيرة لثلاثة أشهر من حين الدخول! وقول آخر: إن أحد الأولياء مات عن زوجة صالحة من غير ولد فاشتد حزن تلك الصالحة وعظم وجدها عليه، فكان يتردد عليها من ضريحه حتى أحَبَلها بعد موته، فجاءت بولد نسبوه إليه!.

وطالما أنكرتُ مثل هذه الأضاليل التي لها يتذمر الإسلام، وتنتكس الأعلام، وتكل عن عدّ شرها الأقلام، فما حصلتُ إلا على الملام، وذلك هو الذي استغرق جهدهم في تشويه سمعتي والتمضمض بعرضي والتقول عليّ والسعاية بي ـ لولا وقاية الله.

ومع هذا فلا يتظنّى امرؤ أني أحط من مراتب الأولياء السامية، أو أغمط من فضائلهم النامية، كلا والله فإنني أتبرك بمواطئ أقدامهم وأتشرف بأن أعدّ في جملة خدّامهم، وبحمد الله قد حصل لي الحظ الأوفى من اعتنائهم، والنصيب الأكبر من صدق ولائهم، أولئك الذين لا اعتراض لشرع عليهم بحال، ولا للنقد في طريقهم أبداً مجال، ومن زعم أن بين الشريعة والحقيقة تخالفاً وقع في الضلال، وقد قال الشعراني: سمعت المرصفي يقول: لا يكمل الرجل في مقام العلم والمعرفة حتى يرى الحقيقة مؤيدة للشريعة، وأن التصوف ليس بأمر زائد على السنة المحمدية وإنما هو عينها، وقال: سمعت الخوَّاص يقول مراراً: ومن ظن أن الحقيقة تخالف الشريعة أو عكسه فقد جهل. انتهى.

---

(١) «ديوان ابن شهاب» ص(٢٣٧ ـ ٢٣٨).

وجاء عن غير واحد من العارفين أن الطرق إلى الله تعالى مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ، وقال: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء وقد أخلّ بحكم واحد من الشريعة فقولوا: إنه زنديق، والأدلة في هذا عن الصوفية فضلاً عمن سواهم من الفقهاء لا يضبطها الحصر.

ولئن اشترط القشيري الحفظ للأولياء؛ فالعصمة بالاتفاق لا تكون إلا للأنبياء، وقد أُثر عن إمام دار الهجرة أنه كان دائماً يقول: كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر الأعطر.

ويعجبني من الآلوسي تأويله ما ذكره ابن عربي «الطائي» من حياة أربعة من الأنبياء وأنهم لا يزالون في الأرض وقوله بعد ذلك ما معناه: حسب الشيخ منا أن نؤول كلامه حتى يتفق مع كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وأما العكس فمما لا سبيل إليه إذ الدين يصير بذلك لعبة لعّاب. انتهى بمعناه)[١].

وقال في القصيدة الرابعة عشرة: (وهذه في وصف بعض حال المموِّهين ووجوب الاعتماد عليها والاطراح لما عداها:

سوق الفضيلة في أيامنا رخصا ... كأن ما فيه من درّ الكمال حصى
لا حظّ إلا لأبناء السفاح ومن ... نمته أم حصان كابد الغصصا
ما زالت الناس قبلي يشتكون لما ... يلقون من قلة الأحرار والخلصا
واليوم أطلب إنساناً فأعوزني ... ولم أجد غير وحش تلبس القمصا
فهل حقيقة هذا الجيل ثابتة ... أم لا؟! فإشكال هذا الأمر قد عوصا
ما للزمان قد استشرى الفساد به ... والخير فيه على أعقابهم نكصا
غنيمة المرء بعد الناس عنه فلا ... تفرح بآت ولا تحزن لمن شخصا
ولا يغرّك زي النسك من أحد ... فكم تنسك دجال ليقتنصا
يمشي الهوينا بشيء في عمامته ... كأنه الرّوق لكن في امتداد عصا
كأنما هو حاو لا تفارقه ... رقطاء يغوي بها من عقله نقصا
مموّه يذكر الأخيار منتهزاً ... بذكرهم من صغار الأنفس الفرصا
يروي غريب كرامات بلا سند ... وربما اختلق الأخبار والقصصا
خلوا الخرافات والأحلام إن لنا ... ديناً قويماً من الأوهام قد خلصا

---

(١) «ديوان ابن عبيد الله» ص(٢٥٨ ـ ٢٥٩).

ما في شريعتنا وهم ولا شبه ... لكن عزائم صدق مازجت رخصا
وهذه سيرة الهادي وسنته ... من حاد عنها ولو قيد البنان عصى
خير النبيين من شباكه لنهى ... أهل النهى قد غدا من حبه قفصا
له وللمرتضى منّا التحية ما ... غنّى الحمام وما بان النّقا رقصا
وما هدي الركب بالريح النسيم وما ... أنضى الدليل بأنواع الحدا القلصا)[1]

## الأستاذ الزبيري:

وللأستاذ الشاعر محمد محمود الزبيري مشاركة في نقد القبورية قالها حينما أمر الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين بإزالة قبر ابن علوان وتسويته ونقل رفاته إلى مكان مجهول، فاهتبل الزبيري هذه الفرصة وأنشأ قصيدة طويلة مدح الإمام فيها ببيتين أو ثلاثة ثم أخذ في نقد القبورية فقال:

(كذلك المجد إما رافعاً علماً ... أو باعثاً أمماً أو هادماً صنما
يا من يجدد من آثار أمته ... ما لو رأى جده المختار لابتسما
جرح على كبد الإسلام متسع ... وضعت فيه ذباب السيف فالتأما
خديعة للجماهير التي زعمت ... بأن من دينها أن تعبد الوهما
قالوا: له كتب في القبر يكتبها ... ينهى ويأمر أنى شاء محتكما
فليت شعري أسحر ذاك يزعمه ... أم أنه اتخذ القرطاس والقلما؟
أم أنه اتخذ القبر المقيم به ... عرشاً يدبر فيه اللوح والأمما[2]؟
كاد ابن علوان إذ بَرَّدتَ مضجعه ... يسعى بأكفانه للعرش مستلما
يشكو إليك أناساً أحدثوا بدعاً ... ما كان وصاهم فيها ولا علما
جاؤوه وهو رهين القبر منتظرٌ ... هول السؤال يخاف الويل والنقما
يعتد منطقه كي يستجاب له ... وقتاً تضيع فيه الألسن الكلما
فبينما هو يخشى هفوةً سلفت ... صغيرةً فيه فيما قال أو زعما
إذا به يجد الدهماء تعبده ... جهراً وتجعله رباً، وإن رغما
فظل يرجف من خوف ومن خجل ... ويقرع السن من أعدائه ندما
فكاد يهرب من مولاه معتذراً ... إليه لو أنه أحيا له قدما

---

(١) «ديوان ابن عبيد الله» ص(٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٢) تلك الأبيات التي قبل الرقم نقلت من مجلة الإكليل (٣٩) مقال لعبد الله البردوني، بينما الأبيات التي بعده نقلت من كتاب «هجر العلم» فلذلك فرق في العزو.

ربّاه، إني لم أرض الذي صنعوا!! وكيف أرضى ربي عندك التهما
قد عشت عبداً فلما آن منقلبي إليك صيّرني أهل الهوى صنما
ما كان أخلص توحيدي لو انهمو ترسموا الدين والآيات والحكما؟
وكيف تخلق خلقاً ثم أسألهم عبادتي دون من أولاهم النعما؟
وكيف أطلب حقاً أنت مالكه الـ قهار تأخذ من ناواك واجترما؟
وكيف أجعل نفسي ندّ من خلق الـ أفلاك والشمس والأقمار والديما؟
لو كنت أدفع عن نفسي لما وجدت للموت طعماً ولا ذاقت له ألما
لو كنت أزعمها رباً لما دفنت بين التراب وصارت جيفة ودما
ما كنت آمرهم إلّا بما أمرت به الأناجيل والقرآن والحكما
ما دمت فيهم فقد كنت الشهيد لهم وكنت أزجر من ثنّى ومن ظلما
لما توفيتني كنت الرقيب على ما يصنعون، وكنت الشاهد الحكما
وأنت أعلم من نفسي بما صنعت نفسي وأعدل من جارى ومن حكما)(١)

وقد أطال الزبيري الاعتذار عن ابن علوان وأنه غير راض عما يعمله الناس عند قبره، ولكن القاضي الأكوع كما سبق في المطلب الذي قبل هذا قد صرّح أنه وجد من كلام ابن علوان نفسه ما يدل على افتتان الناس به في حياته وادعائه تلك الخوارق التي تحمل الناس على التعلق به، وهذا شأن كثير من أقطاب الصوفية.

وفي نفس الحادث يقول الشاعر المناضل زيد الموشكي:

(يا عين هذا الصنم الأكبر وهذه «يفرس» والمنكر
هذا ابن علوان وذا قبره يعبده العالم لا يفتر
يا عين هذا هبل آخر وقد يفوق الأول الآخر)(٢)

## الشاعر والأديب علي أحمد باكثير:

وأما علي أحمد باكثير الشاعر الكبير والأديب الشهير ففي مسرحيته «همام»، أو «في بلاد الأحقاف» قد شخص لنا الولي «ولي الله» الذي عرفه مجتمعه الحضرمي تلك الحقبة من الزمن الذي لم يبق علم ولا تصوف كما يصرح بذلك جمع من عقلاء تلك البلاد في ذلك الزمن، وإنما رسوم ومظاهر وراءها نفوس فارغة من الصلاح، وقلوب خاوية من الإيمان، وعقول مردت على الكيد والاحتيال، ويا ليت القوم

(١) «هجر العلم» (٢/ ٧٥٠ ـ ٧٥١).

(٢) مجلة الإكليل، مقال البردوني (٣٩).

كانوا عصابة سرقةٍ أو قطعِ طريق أو شبه عصابات «المافيا» إذن لهان الأمر إذ يوجد ذلك في كل مكان، ويأخذ الناس حذرهم منهم، وتتحمل السلطات مسؤولية ملاحقتهم، ولكن باسم الدين وباسم الولاية وباسم الكرامات هذا ما لا يطيقه مسلم عرف الإسلام، لذلك جاء نقد الأديب باكثير عنيفاً وفي صورة صارخة من السخرية والهزء بهذا النوع من الناس فاسمعه يصف الولي المحتال:

(ولـي الله ذو الـجـبـو ... ة والأرديـة الـخـضـر!
وذو الـعـمَّـة والـمـسـواك ... قـد أربـى عـلـى الـشـبـر![1]
ورب الـسـبـحـة الـغـار ... ق فـي الـتـسـبـيـح والـذكـر
بـهـا يـذكـر فـي الـنـاس ... ولا يـذكـر فـي الـسـر
ومـن يـمـشـي بـعـكـازيـن ... مـن أتـبـاعـه الـكُـثـر
يـطـأطـئ رأسـه لـلأر ... ض كـالـبـاحـث عـن سـر)[2]

وبعد أن كشف باكثير عن شخصية الولي الحي الذي يعتقد الناس فيه الصلاح وهو يمكر بهم ويحتال عليهم، يتجه اتجاهاً آخر إلى ولي ميت وماذا يدور حول قبره وأثناء زيارته، وماذا يريد الناس منه، ثم ختم المشهد بغضب همام وثورته على هذه الخرافات وهذا الجهل والتجهيل، وقد صرح بذلك في وجه داعية الخرافة.

فهذا همام بطل المسرحية يسأل محمداً أحد أشخاصها قائلاً:

(مـحـمـد هـات عـن قـيـدو ... ن مـاذا كـان مـن أمـر؟
ومـا شـاهـدت فـي الـمـوسـم ... مـن عـرف ومـن نـكـر؟
وهـل وفـقـت فـي الإنـكـار ... والـتـذكـيـر والـزجـر؟

فيجيبه محمد:

تـوافـى الـنـاس أفـواجـاً ... إلـى قـيـدون كـالـذر
فـمِـن سـاعِـيَـة تـمـشـي ... ومـن راكـبـة الـحـمـر
هـنـاك الـسـاحـة الـكـبـرى ... تـحـاكـي سـاحـة الـحـشـر
بـهـا مـا شـئـت مـن لـهـو ... ومـن لـغـو ومـن هـذر
وقـد غـصـت بـأشـتـات ... مـن الآسـاد والـعـفـر!

---

(١) في الأصل: تقديم المسواك والصواب ما ذكر.
(٢) همام أو في بلاد الأحقاف لعلي أحمد باكثير ص(٤٧)، منشورات الصبان وشركاه، الطبعة الثانية (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م).

تبارت ثم في الحلية والأبراد والخمر
وقد يقتلن بالمعصم أو بالنظر السحري!!
من الظهر إلى العصر إلى منبلج الفجر!
هناك الخسر في الدين وحسب الناس من خسر
ولا يربح في تلك الـ ـزيارات سوى التجر
وأما سادن القبة فهو الرابح المثري!
تساق لداره الأكيا س من حب ومن تمر
و«للصندوق» ما يبا ع من ورق ومن تبر!

* * *

ولما حضر الوقت تداعوا كضحى النفر
وأمُّوا نحو قبر الشيـ ـخ بالطبل وبالزمر
يصيحون ولي الله جئناك إلى القبر!
أتيناك لكي تحمل عنّا ثقل الوزر
وكي تسبل يا قطب علينا ضافي الستر
وفي الأنفس حاجات بها يا سيدي تدري!
أتيناك لكي تقضىٰ ونحظى منك بالسر

* * *

ولما وصلوا القبة داروا دورة الحمـ
وأهوت راح ذاك الجمـ ـع في التابوت بالنقر
فلا تسمع إلَّا ما يصيب السمع بالوقر
هناك الناس غير الناس في الإخبات والذكر!
فهذا خاضع شاك وهذا دمعه يجري
وهذا ينشج النشجة تستعصي على الصدر!
وهذا يرعد الرعد ة في أعضائه تسري!
وهذا ينذر النذر وهذا جاء بالنذر
وهذا صائح يا سيدي عطفاً على فقري
على عجزي وإهمالي على ضعفي على ضري
وقد جُلِّلَت القبة بالزينة والستر
وبيضات من البلو ر علقت على الجدر!

فمن حمر إلى صفر ... إلى زرق إلى خضر

ومصباح كبير الضوء ... مثل الكوكب الدري

وللتابوت معنى من ... جلال العتق والقدر[(١)]

قد اسود من التقبيل ... في مختلف العصر!

عليه ضبب الفضة ... في أسود كالحبر

فتبدو كثغور الزنـ ... ـج إذ تضحك من أمر!

فثم الضم والتقبيل ... بالثغر وبالنحر

تلاقى فيه دمعا ... الشاب والجارية البكر

ولما سكن الجمع ... سكون الموج في البحر

تراءى الناس شيخاً ذا ... شقاشق فيهم هدر

ينادي أيها الناس اهـ ... ـنأوا بالفوز والنصر

بهذي النعمة العظمى ... بنيل الفضل والفخر

قصدتم باب ذي عطف ... وذي جود وذي بر

وأنَّ الشيخ لا يترك ... من زار بلا أجر!

عليكم بخلوص القصد ... في السر وفي الجهر

وبالتسليم للأقطا ... ب والخدمة والصبر

وإيّاكم وسوء الظـ ... ـن بالصوفية الغر

فأهل الله هم جازوا ... مناط النهي والأمر

ملوك لهم التصريـ ... ـف في البر وفي البحر

* * *

سمعنا أن في (حدرى) ... تباشير من الكفر[(٢)]

تصدى ناشئ غر ... بلاه الله من غرّ!

يربي الشعر كالفسا ... ق إذ يعنون بالشعر

تلقى من فنون العلـ ... ـم ما زاد على القدر

فأغواه وأرداه ... وجاء النفع بالضر

---

(١) العتق: القدم.

(٢) تطلق حدرى على ما سفل من حضرموت كشبام وسيئون وتريم، وعلوى على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين.

ومــن شــقــوتــه اســتــحــلــى حــمــيــم الأدب الــمــزري
جــريّ الــقــلــب لا يــعــبــأ بــالــتــهــديــد والــزجــر
يــبــث الــسـم فــي الــجــاهــل والــعــلامــة الــحــبــر
يــســيء الــظــن بــالأقــطــاب أهــل الــمــدد الــســري!
لــه أتــبــاع ســوء كــلــهــم يــدعــو إلــى الــشــر

* * *

هــنــا قــمــت وقــد ضــاق بــي الــواســع مــن صــدري
ومــا بــالــيــت بــالــغــوغــاء فــي عــســكــرهــا الــمــجــر
وقــلــت اســكــت عــجــوز الــســوء يــا داعــيــة الــنــكــر
عــدو الله والإصــلاح! هــل تــهــذي ولا تــدري؟
أتــدعــو الــنــاس لــلــنــكــر وتــهــجــو داعــي الــخــيــر
فــصــاح الــشــيــخ غــولــوه فــذا مــن شــيــعــة الــغــر
فــلــولا أن تــســلــلــت مــن الــجــمــهــور بــالــفــر
لــكــانــوا أعــدمــونــي مــهــجــتــي بــالــضــرب والــدفــر[1]

* * *

همام يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه:

حــمــاك الله مــن ســوء وقــاك الله مــن شــر
لــقــد قــمــت مــقــامــاً لا يــوازي عــظــمــة شــكــري
ولا بــد لــذي الإصــلاح مــن عــزم ومــن صــبــر!)[2]

هذه بعض القصائد في نقد القبورية العامة، وهناك قصائد أخرى كثيرة في هذا الباب ولكنني أكتفي بما سبق لئلا يطول هذا المطلب.

### المطلب الثالث: نُقول عن بعض من يعتقدهم القبورية في نقد عقائدهم وأعمالهم:

الباطل لا يمكن الإجماع عليه؛ لأنه لو حصل ذلك للبَّس على الناس دينهم؛ ولبطلت خصيصة من خصائص هذه الأمة، وهي أنها «لا تجتمع على ضلالة»، فالطائفة المنصورة دائماً ظاهرة في مخالفة الباطل وإنكار المنكر في أي جانب كان.

وفوق ذلك فإن من المحبين لأهل الباطل والواثقين بهم المقلدين لهم من هو

---

(١) الدفر: الدفع في الصدر.

(٢) همام ص(٤٨ ـ ٥٢).

من أهل الخير والصلاح، ولو رجع إلى نفسه ودرس الأمر بعيداً عن المؤثرات لميّز الحق من الباطل ولظهر له خطأ كثير مما استصوبه أصحابه، فلذلك عندما تتاح لهذا النوع من الناس تلك السوانح فإنهم يقتنصونها وتظهر على أقوالهم وأفعالهم، وهناك من هو متمكن في الضلال ولكن يأبى الله إلا أن يجري كلمة الحق على لسانه أو قلمه، فمن أجل ذلك كله عقد هذا المطلب لإيراد نماذج من تلك الفتاوى والتقريرات التي وردت إما من القبورية أو ممن هو محسوب من أنصارهم وأتباعهم من علماء وفقهاء اليمن، ولن أخوض في نوايا أولئك الناس أو أحكم عليهم بضلال أو هداية، إذ المقصود هنا فقط هو تأييد الحق الذي يعرفه أهل السنة، ويقررونه ويستدلون عليه بالأدلة الشرعية المعتمدة بما يقوله من يحسب القبورية أنه منهم أو من أنصارهم وأشياعهم.

**النموذج الأول**: فمن ذلك فتوى السيد عبد الله بن محفوظ الحداد مفتي ساحل حضرموت في زمنه[(١)]، إذ سأله بعض أهالي تريم عن الاستغاثة بالأموات: ما حكم تلفظ القائل عند حدوث مكروه، مثل سقوط طفل: يا لله يا شيخ سعيد، أو يا لله يا محضار، وأحياناً يقول: يا محضار احضر.... إلخ.

فأجاب: (الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد، إن مثل هذه العبارات من العبارات الشركية التي يجب على المسلم أن يتنزه عنها. فقد قال الرسول ﷺ لمن قال: ما شاء الله وشئت: «أجعلتني لله نداً؟» وهذه الاستغاثات ممنوعة، لأنها موهمة وتؤدي إلى خلل في العقيدة، خصوصاً العامي الذي يعتقد أن

---

(١) السيد عبد الله بن محفوظ الحداد وهو ممن عاصرته مدة وعملت معه في بعض الدورات الشرعية التي أقامتها وزارة الأوقاف والإرشاد بحضرموت، والرجل درس في رباط تريم ثم سافر مبتعثاً إلى السودان وتخرّج من هناك وعاد ليتولى رئاسة محكمة الاستئناف بالمكلا ثم رئاسة القضاء بحضرموت واستمر فيه إلى عام ١٩٧٠م ثم استقال منه.
وهو قد استفاد من تفرغه أيام الحزب الاشتراكي في أول عهده وعهد الجبهة القومية فقرأ كثيراً، ومما قرأ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكنه مع ذلك ظل متمسكاً بالأشعرية على طريقة الغزالي، وكان يكره الخوض في مجال البدعة، بل إن له كتاباً أيّد فيه أصل الابتداع في الأمور العملية وردّ على صاحب كتاب «السنن والمبتدعات» وكان يغضب عندما يسأل عن حكم القباب التي على القبور، ثم بعد اشتداد موجة التصوف تعاطف مع المتصوفة أكثر وكان يقول إن علي بن حسن السقاف ـ صاحب الأردن الذي ألف رسائل في تأييد بعض البدع وردّ على الشيخ الألباني وابن تيمية وغيرهما ـ يقول عنه: إنه مجدد هذا القرن، ومع ذلك كان يفتي هذه الفتاوى في أن الاستغاثة بغير الله شرك إلى آخر حياته رحمه الله.

لهؤلاء الأولياء تصرفاً وأنهم يحضرون عند الاستغاثة بهم، وإنما يستغاث بالله جل جلاله لا بغيره من الملائكة أو الرسل أو الأولياء والصالحين، فكل مما يجب منعه ومحاربته. ومع الأسف فإن هذه الألفاظ يكررها العوام، والعلماء يسمعون فلا ينهونهم ولا ينبهونهم على خطرها؛ لأنها تتصل بالعقيدة. فالله هو النافع الضار المحيي المميت مالك الملك لا شريك له، ليس لأحد معه شرك ولا تصرف.

قال في «بغية المسترشدين»: «مسألة ك»[١] جعل الوسائط بين العبد وربه فإن صار يدعوهم كما يدعو الله في الأمور ويعتقد تأثيرهم في شيء من دون الله فهو كفر، وإن كان نيته التوسل بهم إلى الله في قضاء مهماته مع الاعتقاد أن الله هو النافع الضار المؤثر في الأمور دون غيره، فالظاهر عدم كفره وإن كان فعله قبيحاً. اهـ.

قلت: فإن قوله: الظاهر عدم كفره. أن ذلك حرام؛ لأنه يؤدي إلى الكفر خصوصاً من العوام الذين أصبحوا يعلنون مثل ذلك في كلامهم وحتى عند الجنائز ـ فأهل السوق يقولون: يا محضار، وأهل النويدرة يقولون: يا شهاب الدين ـ وهذا إن لم يكن كفراً صريحاً فهو قريب منه، ويجب على العلماء التنبيه عليه والتحذير منه ومنع إعلانه في المجتمعات كالجنائز ونحوها من الحريق وغيره، وليأخذوا بالسبيل القويم الأسلم. وإذا كنا نعذر بعض العلماء مما ورد في أشعارهم؛ لأنهم علماء يعلمون ما يقولون، فإذا نادى ميتاً؛ فإنما لأجل مدحه لا للاستغاثة به. وإن كان فيه استغاثة حملناه على المحمل السليم لعلمه، أما أن نترك العامة يأخذون الألفاظ ويعلنونها كأنها من الأذكار فهذا ما لا يجوز قطعاً. والساكت عن الحق شيطان أخرس. والله المستعان)[٢].

ولما انتشرت هذه الفتوى ومضت مدة لانتشارها شكك البعض فيها فعاد أحد طلابه إليه وذكر له ذلك فأصر على صواب تلك الفتوى، وأصدر فتوى أخرى فرّق فيها بين الاستغاثة التي يحرمها ويعتبرها من الشرك وبين التوسل المعروف بالأولياء بأشخاصهم أو بأعمالهم وهو ممن يجيز التوسل، وهذا نص الفتوى الثانية: (إن المتوسل متوجه بطلبه إلى الله، وذكر المتوسل به على سبيل التحبب، وأما الاستغاثة

(١) حرف الكاف رمز للشيخ العلامة محمد بن سليمان الكردي مفتي الشافعية في زمانه معزو إلى فتاواه.

(٢) هذه الفتوى صدرت بخطه وتوقيعه وختمه ثم طبعت في ورقة أخرى ووزعت في حياته ولا زالت النسختان محفوظتين.

فيمكن اعتبارها توسلاً ظنياً لمن يفهم وينوي طلب الدعاء، وإلّا فإنها ممنوعة وبالذات للعوام الذين قد يعتقدون في المستغاث به القدرة على تحقيقها استقلالاً، ولهذا فهي محرمة على العوام وعلى إظهارها الفتوى بها، ونعذر العلماء الذين جاءت في أشعارهم لعلمنا بصحة عقيدتهم وأنهم إنما يقصدون التوسل بالمستغاث به وطلب دعائه)[١].

وهذه الفتوى وسابقتها للعلامة الحداد لم تصل إلى المستوى المطلوب أو لم تخلُ من بعض المآخذ، ولكن المراد من إثباتها هنا إثبات أن مبدأ اعتبار الاستغاثة بغير الله شرك شائع ومعروف عند كل من خلع ربقة الهوى والتقليد ومن تعصب بدون بصيرة، وإن اختلفت العبارات وتفاوت مستوى التحقيق والتدقيق في الفتاوى.

ويقرب من ذلك ما قرره العلامة عبد الله بن أحمد باسودان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من أكابر فقهاء حضرموت في وقته، ومن المنطوين في السادة العلويين؛ بل يعتبر شيخاً للكثير منهم في كتابه «ذخيرة العباد شرح راتب الحداد»: (وقد فشت في العامة اعتقادات فاسدة في أولياء الله، فإن مرضوا قالوا: هذا صدر من فلان، وإن شفوا قالوا: بركة سيدي فلان، فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم؛ حلفوا بهم ونذروا لهم من دون الله، واستشفوا بهم من دون الله، فإن أجرى الله سبحانه الوادي قالوا: شيء لله يا فلان، وإن قبض الله عليهم المطر قالوا: قبضها فلان.. والله سبحانه القابض الباسط المحيي المميت وكل شيء بيده في ملك ملكوت، ولو ذهبنا لما في الكتاب والسنة من التحذير في ذلك لعرف الناس أنهم قد هلكوا، وأكثر هؤلاء بل كلهم أتباع الدجال نعوذ بالله من الضلال، ويقع من هؤلاء في زيارة قبور الأولياء أو غيرهم كثيرٌ من الجهالات والمآثم المتكررة، هذا ما قاله الشيخ عبد الخالق المزجاجي الزبيدي)[٢].

والمهم في هذا النقل قوله: (فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم وحلفوا بهم ونذروا لهم من دون الله واستشفوا بهم من دون الله)، وهذا هو الرد الحاسم على المزايدين

---

(١) وهذه الفتوى حررت يوم الاثنين ١٢ صفر ١٤١٦هـ وهي كذلك محفوظة بخط المفتي وتوقيعه.

(٢) «ذخيرة العباد شرح راتب الحداد» ص(١٢٤ ـ ١٢٥) بواسطة «طريقة السادة العلويين» نقلاً عن كتبهم ص(٧ ـ ٨)، كتبها مجموعة من الشباب كنوا عن أنفسهم بـ (مخلصون) وقدم لها السيد عبد الله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدي.

من المعاصرين، الذين يقولون: إن تلك الأفعال التي يفعلها العامة[١] إنما هي مجرد أعمال لا تقوم على اعتقاد ضر ولا نفع، ولو صح أن هناك اعتقاد ضر أو نفع لقلنا بشركهم، فهذا العالم الذي تعتبرونه من أجلّ علمائكم يصرح بأن هذه الأعمال ما صدرت إلا عن اعتقاد.

أما نحن فنقول: إن مجرد فعل هذه الأعمال وصرفها لغير الله شرك ولو لم يصحبه اعتقاد، وانظر ما قرره الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في هذه المسألة في «الدر النضيد»[٢].

ويشبه ذلك ـ أيضاً ـ ما نقله علوي بن طاهر الحداد عن «الإمام» الحداد المشهور «عبد الله بن علوي» حيث قال: (وأما الغلو في الأولياء فسببه الجهل وقلة المعرفة بعقائد الدين، وقد ينتهي ببعض الناس إلى أن يثبت لهم القدرة على الضر والنفع كما يثبت لله عَجَّلَ، وهذا انتكاس على أم الرأس وفقد لحقيقة الإيمان والإسلام. قال الإمام العارف بالله محيي الطريق وداعي الفريق الحبيب عبد الله بن علوي الحداد العلوي: التصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجاد لله تعالى وحده لا شريك له، ولا تأثير للولي ولا غيره في شيء قط لا حياً ولا ميتاً، فمن اعتقد أن للولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى. انتهى)[٣].

وهو كالذي قبله يثبت أن للعامة اعتقاداً منحرفاً في الأولياء بفقد حقيقة الإيمان والإسلام وأن (من اعتقد أن للولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى). وفي مسألة الذبح لغير الله قال العلامة عبد الرحمٰن المشهور في «بغية المسترشدين» «مسألة ب»[٤]: (القنيص المعروف بحضرموت من أكبر البدع المنكرات والدواهي المخزيات، لكونه خارجاً عن مطلوبات الشرع، ولم يكن في زمن سيد المرسلين

---

(١) إن هذا القول إنما هو تنصّل من الحقيقة وإلا فهو قول العامة وكثير من الخاصة، ولئن كان العامي تربى على ذلك واعتقده تقليداً؛ فإن بعض من يحسب من الخاصة من يقوله ويدافع عنه ويقيم الحجج بزعمه على صحته، ثم عند المناظرة يراوغ ويقول: إنما هذا فعل العامة ومن اعتقد الضر والنفع في غير الله فقد أشرك، فله مذهبان: مذهب عند الأتباع هو تأصيل ذلك وتأييده، ومذهب عند الخصوم هو المراوغة والتقية وإسكات الخصم بما يوافقه وإن كان خلاف ما يعتقده ذلك المناظر.

(٢) «الدر النضيد» ص(١١٠).

(٣) «عقود الألماس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس» (١/٤٧).

(٤) يعني أن هذه المسألة من فتاوى عبد الله بن الحسين بن عبد الله بافقيه كما في «مقدمة العينية» ص(٢).

والصحابة والتابعين ﭫ أجمعين، ومن بعدهم من الأئمة ولم يرجع إلى أساس ولم يبن على قياس، بل من تسويلات الرجيم وتهويسات ذي الفعل الذميم والعقل الغير المستقيم؛ لأن من عاداتهم أنه إذا امتنع عليهم قتل الصيد قالوا: بكم ذيم[(١)]. فيذبحون رأس غنم على الطوع ـ يعني العود الذي تمسك به الشبكة ـ تطهيراً للقنيص من كل شك ووسواس فالذبح على هذه الصفة لا يعجل قتل ما لم يَحْضُر أجله، إذ الأجل كالرزق والسعادة والشقاوة له حدّ ووقت مقدر كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، وفي الحديث: «فرغ الله من أربع: من الخَلق والأجل والرزق والخُلق». ثم الذبح على مثل هذه الحالة يتنوع إلى ثلاثة أمور: إما أن يقصد به التقرب إلى ربه، ولم يشرك معه أحداً من الخلق، طامعاً في رضاه وقربه وهذا حسن لا بأس به، وإما أن يقصد به التقرب لغير الله تعالى كما يتقرب إليه معظماً له كتعظيم الله، كالذبح المذكور بتقدير كونه شيئاً يتقرب إليه ويعول في زوال الذيم عليه فهذا كفر والذبيحة ميتة، وإما أن لا يقصد ذا ولا ذا بل يذبحه على نحو الطوع معتقداً أن ذلك الذبح على تلك الكيفية مزيل للمانع المذكور، من غير اعتقاد أمر آخر فهذا ليس بكفر ولكنه حرام والمذبوح ميتة أيضاً. وهذا هو الذي يظهر من حال العوام؛ كما عرف بالاستقراء من أفعالهم. كما مقت هذه الصور الثلاثة أبو مخرمة فيمن يذبح للجن)[(٢)]. والشاهد في النص اعتبار الذبح لغير الله على سبيل التعظيم شرك بالله تعالى، وتصريح هؤلاء الثلاثة العلماء الكبار به وهم من مشاهير علماء حضرموت المحسوبين من قدوات الصوفية: بامخرمة، وبافقيه، والمشهور.

وفي نفس الموضوع يقول ابن عبيد الله مفتي حضرموت في وقته: (ولنضرب مثلاً بأولياء الرحمن فإن من استخف حقهم وأنكر خصوصيتهم اقتحم الغلط وأتى بأكبر شطط، ومن طلب منهم ما لا يطلب إلا من جبار السماوات واعتقد أن لهم تأثيراً من دون الله فقد وقع في صريح الإشراك)[(٣)].

---

(١) الذيم: يظهر أنه اصطلاح خاص بالقوم ولم يفسره المصنف ولعله مانع من موانع حصول الصيد بسبب معين.

(٢) «بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين»، تأليف عبد الرحمٰن بن محمد باعلوي، طبعة دار الفكر، بدون تاريخ، ص(٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٣) «مذكرة طريقة السادة العلويين»، كتبها مجموعة من الشباب كنّوا عن أنفسهم بـ (مخلصون) وقدم لها السيد عبد الله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدي ص(١٠) عن رسالتي «المساواة والملكية» للسيد عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف.

وفي الحلف بغير الله يقول عبد الله بن حسين بن طاهر: (وأحذركم الحلف بالله في جميع شؤونكم ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، وأما الحلف بالآباء والجدود وبكل مخلوق ـ وإن عظم ـ فهو محذور ويختلف الحكم فيه باختلاف المقصود، فبعض صوره قادح في التوحيد وما دون ذلك فمكروه؛ للنهي الشديد، وأشدّ من ذلك الحلف بالأمانة فالمحتاط من كف عن ذلك لسانه)[١]. والشاهد: جعله بعض صور الحلف قادحاً في التوحيد ولعله يقصد إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به.

وهذا ظاهر عند الذين يصرون على ألا يقبلوا الحلف إلا بالولي ويرفضون الحلف بالله، وكذلك الذين يتهيبون من الحلف بالولي ولا يتهيبون الحلف بالله.

وفي النذر قد سبق ما قاله العلامة أبو بكر الخطيب وموضع الشاهد قوله: (أقول وأنت خبير بأن العامي الجاهل الصرف يخفى عليه ملاحظة أن هذا التصدق لا يعتقد إلا في القرب ومعرفة ما هو قربة، فليتنبه لما يجيئون به للولي أو قبره أو مشهده وهو ميت، فإن الغالب أنهم يقصدون به تعظيم ذات الولي أو قبره أو مشهده، وذلك باطل كما تقدم، والله أعلم بالصواب)[٢]، أقول: والذي تقدم قوله: (الذي تحصّل للفقير من كلام أئمتنا الشافعية ـ رحمهم الله تعالى ـ ملخصاً من كلام طويل لهم في مثل هذه المسألة أن ما تصدق به على النبي أو الولي الميتين أو على قبرهما أو مشهدهما مثلاً سواءً كان بنذر أو وقف، ومثل ذلك الأمل[٣] المعروف بالجهة عندنا أنه قصد به تمليك الميت أو القبر أو المشهد بطل؛ لعدم صحة تمليك من ذكر، وكذا لو نوى بذلك التقرب إلى من ذكر؛ لأن القرب إنما يتقرب بها إلى الله تعالى لا إلى خلقه، ومثل ذلك ما إذا كان المتصدق به شمعاً أو زيتاً، ومثله السليط والقاز عندنا وقصد به الإسراج للتنوير تعظيماً للبقعة أو القبر أو التقرب إلى من دفن فيها أو نسبت إليه، كما يعتقده بعض العامة فإنهم يعتقدون أن لهذه الأماكن خصوصيات بنفسها ويرون أن التصدق عليها مما يندفع به البلاء..)[٤].

أقول: واضح من هذا النقل أن هذا الفقيه يوافق في قوله هذا القول الصحيح

---

(١) «المجموع» لعبد الله بن حسين بن طاهر ص(٢٣٧) بواسطة «طريقة السادة العلويين» ص(٨ ـ ٩).
(٢) «الفتاوى النافعة» ص(٢٤٩).
(٣) الأمل يشبه نذر المكافأة كأن يقول: إن شفي مريضي فللولي الفلاني كذا وكذا.
(٤) المصدر السابق ص(٢٤٨ ـ ٢٤٩).

من أن النذر لغير الله شرك إذا كان عن اعتقاد في المنذور له، وهذا على قول من يجعل النذر بمعنى الهبة أو العطية، وأما من يقول: إن النذر لايسمى نذراً إلا إذا كان عبادة؛ فإنه يكون النذر ـ على قولهم، وعلى من نذر على هذا الوجه ـ شركاً ولو لم يصحبه تعظيم.

يقول السيد عبد الرحمٰن المشهور في التفريق بين الكرامة والسحر والإشارة إلى أن بعض من يدعي الولاية قد يكون من السحرة المشعوذين والتنصيص على بعض المجاذيب من أتباع الرفاعي أو أحمد بن علوان أن بعضهم إنما يفعل ذلك بطريق السحر، وتأكيده على أن الكرامة لا تكون على يد فاسق ولا يتعلم من حصلت على يده سببها ولا يسعى إليها وأن من التشبه بأصحاب الكرامات من ليسوا منهم من يستعملون الجان يقول في ذلك كله: «مسألة»[١] (خوارق العادة على أربعة أقسام: المعجزة المقرونة بدعوى النبوة المعجوز عن معارضتها الحاصلة بغير اكتساب وتعلم، والكرامة: وهي ما تظهر على يد كامل المتابعة لنبيه من غير تعلم ومباشرة أعمال مخصوصة، وتنقسم إلى ما هو إرهاص: وهو ما يظهر على يد النبي قبل دعوى النبوة، وما هو معونة: وهو ما يظهر على يد المؤمن الذي لم يفسق ولم يغتر به، والاستدراج: وهو ما يظهر على يد الفاسق المغتر، والسحر: وهو ما يحصل بتعلم ومباشرة سبب على يد فاسق، أو كافر، كالشعوذة: وهي خفة اليد بالأعمال وحمل الحيات ولدغها له، واللعب بالنار من غير تأثير، والطلاسم والتعزيمات المحرمة، واستخدام الجان وغير ذلك. إذا عرفت ذلك علمت أن ما يتعاطاه الذين يضربون صدورهم بدبوس أو سكين أو يطعنون أعينهم أو يحملون النار أو يأكلونها وينتمون إلى سيدي أحمد الرفاعي أو سيدي أحمد بن علوان أو غيرهما من الأولياء، أنهم إن كانوا مستقيمين على الشريعة قائمين بالأوامر تاركين للمناهي عالمين بالغرض العيني من العلم عاملين به؛ لم يتعلموا السبب المحصل لهذا العمل فهو من حيز الكرامة وإلا فهو من حيز السحر، إذ الإجماع منعقد على أن الكرامة لا تظهر على يد فاسق، وأنها لا تحصل بتعلم أقوال وأعمال، وأن ما يظهر على يد الفاسق من الخوارق من السحر المحرم تعلمه وتعليمه وفعله ويجب زجر فاعله ومدعيه، ومتى حكمنا بأنه سحر وضلال حرم التفرج عليه؛ إذ القاعدة أن التفرج على الحرام

---

(١) أي: أن هذا النقل عن الشيخ عبد الله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى كما في «المقدمة» ص(٢).

حرام؛ كدخول محل الصور المحرمة، وحرم المال المأخوذ عليه، والفرق بين معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء وبين نحو السحر أن السحر والطلسمات والسيمياء وجميع هذه الأمور ليس فيها شيء من خوارق العادة؛ بل جرت بترتيب مسببات على أسباب، غير أن تلك الأسباب لم تحصل لكثير من الناس، بخلاف المعجزة والكرامة فليس لهما سبيل في العادة، وإن السحر مختص بمن عمل له، حتى إن أهل هذه الحرف إذا طلب منهم الملوك مثلاً صنعتها طلبوا منهم أن يكتب لهم أسماء من يحضر ذلك المجلس فيصنعون ذلك إن سمي لهم، فلو حضر آخر لم ير شيئاً، وأن قرائن الأحوال المفيدة للعلم القطعي المحتفّة بالأنبياء والأولياء من الفضل والشرف وحسن الخلق والصدق والحياء والزهد والفتوة وترك الرذائل وكمال العلم وصلاح العمل وغيرهما، والساحر على الضد من ذلك)[1].

وهذا تفصيل حسن لخوارق العادات وتمييز للمعجزة عن الكرامة من الاستدراج والسحر. والفائدة الكبيرة والقاعدة العظيمة التي تجلي الفرق بين الكرامة والسحر، أن الكرامة لا تكون بتعلم لما يحدث ذلك الأمر فإن كان ذلك الخارق ناتجاً عن سبب ظاهر وتعلم له؛ كان الخارق من حيز السحر لا من حيز الكرامة. ولو أننا مع الصوفية جميعاً وقفنا عند هذه القاعدة وطبقناها تطبيقاً حاسماً وسليماً؛ لاتضح أن معظم ما تطفح به كتب الصوفية في مناقب أوليائهم مما صح نسبته إليهم من باب السحر لا من باب الكرامة؛ لأن جماعات منهم اشتهروا أو ثبت عنهم تعلم السيمياء أو علم الحروف وذلك من السحر كما في هذا النقل وغيره، فمن ثبت أنه عالم بذلك مستعمل له فاسم الفسق قد وقع عليه، ثم ذلك الخارق قد أصبح صادراً عن تعلم فانتفى أن يكون من حيز الكرامة ولم يبق إلا أن يكون من حيز السحر، وكذلك من يتعاطى الرياضة التي هي في صورة عبادات لم يشرعها النبي ﷺ فإن تلك الرياضة سبب يتوصل به إلى إظهار خوارق للعادات، وقد نص الشعراني على أن بعض النصابين يمارسون الرياضات ليوهموا الناس أنهم من الأولياء ذوي الكرامات[2].

فاتضح أن هناك فارقين أساسيين بين الكرامة والسحر أو الاستدراج وهما: التعلم واتخاذ الأسباب، فمتى وجد هذا الفرق حكم على الخارق بأنه سحر، ولو كان على يد من يظهر عليه سيما الصلاح؛ لأنه قد يكون في الباطن بخلاف ذلك. وأما الفرق الثاني: وهو الاستقامة للكرامة، والفسق للسحر والاستدراج؛ فإنه قد

---

(١) «بغية المسترشدين» ص(٢٩٨ ـ ٢٩٩). (٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (١/١٠٨).

تحايل عليه الصوفية ولم يبق له أثر لديهم ولا لدى أتباعهم؛ حيث قرروا أصلاً خطيراً وهو أن الولي يتجزأ ويظهر بمظاهر مختلفة وأن ما تراه لديه مما ظاهره الفسق فإنه في الباطن شيء آخر، بل إن الخمر إذا رأيته يشربها فإما أنها خمر لَدُنِّية من الحضرة الربانية، وإما أنها مشروب آخر ظهر لمصلحة في صورة الخمر، وكل ذلك قد ضربت عليه أمثلة، وأيضاً نقلت عنهم كيف يعتذرون لمن لم ير يصلي قط، وأنه فحص فظهر أن له عشر صور، صورة واحدة هي التي رآها المعترض لا تصلي بينما تسع صور دائبة في العبادة، وصدّقهم من رأى ذلك ونقل الحادث على أنه كرامة من أشهر وأكبر كرامات ذلك الولي. فلنتأمل هذا الفرق ثم نحكم بموجبه على كل خارق من الخوارق على يد من كان من الناس.

## شهادة حق من أصحاب وحدة الوجود:

قلت في مبحث سابق: إنني لم أجد لعلماء حضرموت قولاً فاصلاً واضحاً في أصحاب وحدة الوجود مع عموم إحسان الظن بهم واعتبارهم من الأولياء، ولكنني اطلعت أخيراً على نقل نقله علوي بن طاهر الحداد عن الشيخين الشافعيين: الشهاب الرملي، وابن حجر المكي يدل على أنه موافق لهما فيه، وهذا النقل مهم جداً خصوصاً عن ابن حجر المكي الذي اشتهر عنه التأويل لأصحاب وحدة الوجود. يقول الحداد:

(وسئل الشيخ أحمد الرملي عن القائل بوحدة الوجود فقال: يقتل هذا المرتد وترمى جيفته للكلاب؛ لأن قوله هذا لا يقبل تأويلاً. وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى، واستحسن الشيخ ابن حجر منه هذه الفتوى، وكان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصوفة القائلين بها ويؤول كلامهم فرجع عن التأويل)[١].

## وأخيراً طعنة من الحداد في صميم دعاوى قومه:

قال جامع كتاب النفائس العلوية في المسائل الصوفية: (وسأله بعض الأصحاب أيضاً عن الكبش الذي يعتاد أهل الغيل تركه في بيوتهم ويسمونه مسايراً. فأجاب رضي الله عنه ونفعنا به: أما الكبش الذي يعتاد تركه أهل الغيل في بيوتهم ويسمونه «مسايراً» وكلما ذهب أبدلوه بغيره، فهذا والعياذ بالله من الشرك بالله، والشرك ظلم عظيم، وهو وأمثاله سبب تسلط الشيطان وجنوده على العاملين به. فإن الله تعالى قد سلّط الشيطان على من يتبعه من بني آدم، وهذا من الاتباع له. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ

(١) «عقود الألماس» (١/ ١٠٤).

عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ [الحجر: ٤٢])[١]. موضع الشاهد أنه جعل اتخاذ هذا الكبش شركاً. ومن المعلوم ضرورة أن متخذه لم يعتقد أنه يضر وينفع من دون الله قطعاً؛ لأنه يعرف هذا الكبش ويعرف حقيقته ومن أين جاء، وكيف يموت وينتهي، ومع ذلك كان اتخاذه شركاً. إذن فكيف لا يكون من يدعو غير الله مشركاً إلا إن كان يعتقد استقلاله بالضر والنفع من دون الله، وصورة الدعاء لغير الله أظهر في الإشراك من صورة اتخاذ هذا الكبش؟.

**المطلب الرابع: فتاوى وبيانات جماعية للتحذير من عقائد وأعمال القبورية:**

لكي يعلم القارئ الكريم أن موقف علماء اليمن المعاصرين هو موقف أسلافهم الكرام الرافض للقبورية بعقائدها وأعمالها، أسوق في هذا المطلب عدداً من الفتاوى والبيانات الجماعية، التي انتقد كاتبوها والموقعون عليها أعمالاً من أعمال القبورية أو أيدوا خلافها، وهي تتناول البناء على القبور وبعض الزيارات والشعائر القبورية وادعاء علم الغيب.

**الفتوى الأولى**: كانت رداً على سؤال بعث به أحد القائمين على بعض القباب في جهة تهامة ونص السؤال هو: (ما قولكم سادتي العلماء رضي الله عنكم في قضية عظيمة الخطر هي ما يمارس الناس من أعمال، فهم يقربون الذبائح إلى القبور وينذرون لها ويذبحون لها ويستعيذون بها ويعتقدون فيها النفع والضر والحياة والموت «ورأس برأس» فهل هذا يرضاه الإسلام يا علماء الإسلام؟ وهل ارتفاع القبور والقباب من الإسلام في شيء؟ وهل يؤجر عليها فاعلها؟ فأنا منصوب قبة الشيخ داود بن الزين والناس يأتون إلي بريالات وكباش وعجلان وأشياء أخرى يقولون: هذه حق الشيخ داود. وإذا نهيتهم قالوا: الولي سيضرك، أولئك كانوا يعملون ويقبلون، فلماذا لا تسير على ما ساروا عليه، قولوا لنا كلمة الإسلام في الموضوع ـ وفقكم الله ـ والسائل مستفيد، وهناك قباب كثيرة ومناصيب أخرى والعمل هو العمل، ويأتي جهلة بدوان ويقومون بحركات ورعشات، أفتونا لا خلا عنكم الوجود).

وقد جاءت الفتوى هكذا: (الحمد لله حيث كان الحال ما شرحه السائل، فالتقرب بالذبائح إلى القبور والأولياء والاستعانة بهم والنذر لهم دائر بين أمرين

---

(١) «النفائس العلوية في المسائل الصوفية» ص(١٢٧ ـ ١٢٨) لعبد الله بن علوي الحداد، طبع دار الحاوي، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

خطيرين، إما كفر بواح، وإما وسيلة إلى الكفر، ذلك أنه إذا صدر هذا الفعل الشنيع ممن نشأ في دار الإسلام عالماً بأحكام الشرع في مثل هذا معتقداً النفع والضر من الولي يكفر فاعله، فتجري عليه أحكام الردة جميعها، وإن كان قريب عهد بالإسلام أو نشأ في غير دار الإسلام، أو في دار الإسلام نائياً عن أماكن المعرفة، فيكون هذا الفعل في حقه وسيلة من وسائل الكفر، فيجب تعليمه وتبيين الأدلة له وإقامة الحجة عليه، فإن انتهى بعد ذلك منها وإلا فحكمه أن يكفر.

فعلى كلٍّ يجب على ولاة الأمر الردع من مثل هذه الأمور، والأخذ بيد من حديد لكل من يقدم على هذا المنكر الفظيع ولو أدى ذلك إلى هدم القباب الموضوعة على القبور سداً للذرائع، هذا ما نعتقده في هذا الموضوع والله على ما نقول وكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

وقد كتب الفتوى أحد كبار علماء زبيد المعاصرين وهو الشيخ أسد بن حمزة بن عبد القادر وصادق عليها جمع من علماء زبيد وغيرها، ومنهم: محمد بن محمد بن سليمان الأهدل، محمد بن علي البطاح الأهدل، أحمد بن عبد القهار بن صالح، محمد بن عبد الجليل العزي، عبد الجليل بن علي خليل، محمد بن عبد الله بازي، محمد بن عيدروس علوي، عبد المجيد بن عزيز الزنداني، عمر بن أحمد سيف، علي بن محمد واصل، حامد بن مختار شرف، محمد بن أحمد كديش «عضو محكمة الحديدة التجارية»، محمد بن علي مكرم، حسين بن محمد عثمان الوصابي، أحمد بن عبد الله سعيد الضافري، عبد الله بن قاسم الوشلي، أحمد بن محمد عامر، وعلي بن محمد الوشلي، محمد بن محمد عزيز القديمي، وإبراهيم بن حسين صائم الدهر، عبد الرحمٰن الوشلي، عبد الرحمٰن بن عبد الله الأهدل، هذه الأسماء التي تبيَّنْتُها وهناك أسماء لم أتبيّنها.

وقد علّق حاكم زبيد السابق رَحِمَهُ اللهُ عبد الله الأنباري على الفتوى فقال: (أنا أقرر ما قرره الأئمة السادة العلماء بمنع كل بدعة قبيحة تخالف منهج الشريعة المطهرة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فالضر والنفع بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والذبح لغير الله لا يجوز، ومن ثبت تعاطيه لذلك فيمنع ويضبط حتى يتوب. وفق الله الجميع لخدمة كتابه وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاهتداء بهديه، وجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)[١].

---

(١) لدي صورة طبق الأصل من هذه الفتوى وقد وردت ضمن كتيب بعنوان «الفتاوى اليمنية =

**الفتوى الثانية**: كما وزعت فتوى أخرى على شكل ملصق علّق في المساجد وغيرها يحتوي على فتوى مقاربة للفتوى السابقة ملخصة من مجموع ما أفتى به العلماء، وإليك نص السؤال وملخص الجواب:

**نص السؤال**: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فإن في بلادنا قبور رجال صالحين، مرفوعة ببناء فوق الأرض، فيها حفرة صغيرة، بداخلها تراب يتبرك ويستشفى به، وتقام لهذه القبور زيارات سنوية موسمية في شهر رجب الحرام وغيره، يذبح فيها الكباش لأصحاب القبور، ويجتمع عندها الرجال والنساء والباعة والألعاب، ويحتفل بهذه الزيارات كالاحتفال بيوم العيد، وتهان فيها القبور أيما إهانة. فما هو قول السادة العلماء والأئمة الفضلاء في رفع القبور بالبناء؟ وما حكم هذه الزيارات؟ وهل هي الزيارات الشرعية التي حث عليها أبو القاسم محمد ﷺ؟ أفتونا مأجورين. نفع الله بكم الإسلام والمسلمين).

وقد تفضل أصحاب الفضيلة العلماء بالإجابة على هذا الاستفتاء. ننشر هنا خلاصة إجاباتهم:

**أولاً**: أوضح العلماء في فتاواهم على أنه لا أحد من الخلق لا ملك ولا نبي ولا ولي يضر أو ينفع، وأن الأموات لا ينفعون الأحياء ولا يغنون عنهم من الله شيئاً بل الأموات بحاجة إلى دعاء الأحياء لهم، والاستغفار لهم، وإذا كان سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف يملك ذلك غيره ممن هو دونه؟! وعليه فلا يجوز اعتقاد النفع والضر في أصحاب القبور مطلقاً؛ لأنه من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

**ثانياً**: أوضح العلماء أن شد الرحال إلى القبور بدعة محدثة منكرة، وقد جاء الشرع بالنهي عن شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، كقول النبي ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

**ثالثاً**: أكد العلماء على حرمة رفع القبور أكثر من شبر لقول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: «لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» أخرجه مسلم.

**رابعاً**: أكد العلماء على حرمة البناء على القبور مطلقاً، وتجصيصها، والكتابة

---

= في تحريم رفع القبور والزيارات البدعية والشركية»، وهو من سلسلة باسم «السلسلة الدعوية» رقم (٩) ويوزع مجاناً، بدون تاريخ.

عليها، والقعود عليها، لحديث جابر بن عبد الله: «نهى رسول الله ﷺ أن يقعد على القبر، وأن يجصص أو يبنى عليه» أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وفي رواية: «نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء» أخرجه أبو داود وابن ماجه.

**خامساً**: بيّن العلماء الفرق بين الزيارة الشرعية للقبور، التي تكون للعظة، والاعتبار، وتذكر الآخرة، والدعاء والاستغفار للميت. وبين الزيارات البدعية والشركية التي يتقرب فيها إلى أصحاب القبور بالذبائح، والنذور، والاستغاثات، وما إلى ذلك من أمور الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام، وأن هذه الأمور لا تكون إلا لله ﷻ وحده لا شريك له، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [لأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣] ولقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢] ولقول النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله» أخرجه مسلم.

**سادساً**: أكد العلماء على أن وضع حفرة على القبر وجعل التراب فيها للتبرك والاستشفاء به من وسائل الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام.

**سابعاً**: أكد العلماء على تحريم وخطورة ما يجري في هذه الزيارات؛ من الاختلاط بين الرجال والنساء، وخروج الباعة، والطبول، وما يجرّه من الفتن، والفواحش والموبقات، علماً أن النبي ﷺ: «لعن زوَّارات القبور» أخرجه أحمد والترمذي.

**ثامناً**: أوضح العلماء تحريم تخصيص شهر من السنة لزيارات قبور الأولياء، خاصة في شهر رجب الحرام، وأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك الذي لا يغفره الله ﷻ إن مات صاحبه عليه لقول النبي ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً» أخرجه أبو داود.

وإليك أسماء بعض العلماء والمشايخ الذين أفتوا ووقعوا على هذه الفتوى: (١) محمد بن إسماعيل العمراني (٢) مقبل بن هادي الوادعي (٣) د. إبراهيم القريبي (٤) د. عبد الوهاب الديلمي (٥) محمد الصادق مغلس (٦) عبد المجيد الزنداني (٧) عبد العزيز الدبعي (٨) عبد المحسن ثابت (٩) عبد المجيد الريمي (١٠) عقيل المقطري (١١) محمد بن عبد الوهاب الوصابي (١٢) د. أحمد محمد زبيلة (١٣) أحمد حسن المعلم (١٤) إسماعيل العنسي (١٥) محمد المهدي (١٦) عبد الرحمٰن بن عبد الله شميلة (١٧) حسين بن محفوظ (١٨) عمر أحمد سيف (١٩)

عبد القادر الشيباني (٢٠) صالح الوادعي (٢١) طارق عبد الواسع (٢٢) عبد الله الحاشدي (٢٣) ناصر الكريمي (٢٤) عيسى شريف (٢٥) أحمد حسان (٢٦) علي بارويس (٢٧) علي بن فتيني (٢٨) عبد الله الحميري (٢٩) أحمد أهيف (٣٠) أمين جعفر (٣١) عمّار ناشر (٣٢) محمد الوادعي (٣٣) عارف أنور (٣٤) علي مقبول الأهدل (٣٥) محمد سالم الزبيدي (٣٦) محمد سعد الحطامي (٣٧) حسن صغير الأهدل (٣٨) مراد القدسي (٣٩) إسماعيل عبد الباري (٤٠) حسن الزومي (٤١) حاكم زبيد عبد الكريم النعماني (٤٢) محمد المعمري (٤٣) عبد الله فيصل الأهدل (٤٤) عمر سقيم.

**الفتوى الثالثة: نص السؤال**: ما حكم الشرع في هذه النتيجة التي يصدرها هذا الرجل، والتي يذكر فيها ما سيحدث للأشخاص والبلدان، وكذلك مختلف الأحداث والتغيرات السياسية والاقتصادية والكوارث وغير ذلك، معتمداً كما يقول على علم الجفر والنجوم وغيرها؟ وهل يجوز إصدارها أو بيعها وشراؤها؟

وقد تفضل أصحاب الفضيلة بالإجابة عن التساؤل، ننشر هنا خلاصة تلك الإجابات، آملين أن نتمكن مستقبلاً من نشر إجابات العلماء مفصلة.. والله الموفق.

ركز العلماء على أن عمل هذا الرجل هو ادعاء لعلم الغيب، وأن من أصول العقيدة الإسلامية المقررة عند أهل الملة أن الله استأثر بعلم الغيب فلا يعلمه أحد سواه، وأدلة ذلك جدّ كثيرة، ومنها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

٥ ـ وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النحل: ٧٧].

٦ ـ وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦].

وعلى هذا فعلم الغيب محجوب عن جميع الخلق، بما في ذلك الملائكة والنبيون، قال الله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾

[البقرة: ٣٢]. وقال الله حكاية عن محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقال الله آمراً نبيه محمداً ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال الله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. وقال الله عن الجن: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

فالله قد حجب علم الغيب عن أكرم خلقه وهم الأنبياء والملائكة إلا ما أعلمه الله لهم، أبَعد هذا يأتي هذا ويدعي معرفة الغيب؟! إن من ادعى علم الغيب قد نازع الله، وكذب القرآن، وفارق هذه الملة.

ركز العلماء في إجابتهم على أن هذا العمل من الكهانة التي جاء الإسلام بتحريمها، إذ إن الكاهن هو الذي يدعي معرفة علم الغيب، وما سيقع من أحداث مستقبلية، وأن صاحب هذا العمل كاهن، والرسول ﷺ يقول: «ليس منا من تطيّر أو تُطيِّر له أو تكهَّن أو تُكهِّن له» رواه البزار والطبراني.

وأن من أتى كاهناً، فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يوماً، كما جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ، أما إن سأله وصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد، كما جاء عن النبي ﷺ في سنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في الإرواء «٢٠٠٦»، هذا في السائل فما بالك بالمسؤول.

علم النجوم الذي يدّعي صاحب هذه النتيجة الاعتماد عليه في معرفة علم الغيب يقول فيه الرسول ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني في السلسلة «٧٩٣».

وقد جاء في البخاري عن قتادة: (خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة السماء، وعلامات يهتدىٰ بها، ورجوم للشياطين، فمن تأوّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به).

وقال الإمام الخطابي في معالم السنن: (علم النجوم المنهي عنه هو: ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويدعون أن لها تأثيراً في السفليات، وهذا منهم تحكّم على الغيب، وتعاطٍ لعلم قد استأثر الله به، فلا يعلم الغيب سواه).

وأما علم الجفر (وأنه العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر والذي يحتوي على ما كان ويكون، وأن الرسول خَصّ به علياً وذريته من بعده)، فأمر وهمي لا حقيقة له. وأدلة ذلك كثيرة ويكفي منها:

ما جاء عند البخاري من سؤال أبي جحيفة لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يعطىٰ رجل في كتابه، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر. وما جاء عند مسلم برقم «١٩٨٧» عن علي قوله: (ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا) وأخرج صحيفة مكتوب فيها: «لعن الله من ذبح لغير الله...».

فعلم الجفر باطل، وما بني على باطل فهو باطل.

وبناءً على ما سبق؛ فقد أكد العلماء على أنه لا يجوز التصريح بإصدارها، كما أنه لا يجوز طبعها، ولا بيعها، ولا شراؤها، ولا تداولها. وأنه يجب على الجهات المختصة مصادرتها والأخذ على يد صاحبها ومحاكمته، وأنه يجب عليه التوبة إلى الله والابتعاد عن هذه الضلالات، وأنه يجب إسداء النصيحة لكل من يقتنيها أو يطلع عليها، وتبيين مخاطر ذلك على العقيدة والتوحيد لعموم المسلمين. تلك هي بعض أهم النقاط التي ركز عليها العلماء سارعنا في إخراجها؛ إقامة للحجة؛ وتوضيحاً للحق؛ ونصحاً للخلق.

أما العلماء الذين تكرّموا بالإجابة على هذا التساؤل فهم:

(١) محمد بن إسماعيل العمراني، (٢) عمر أحمد سيف، (٣) عبد المجيد الريمي، (٤) محمد الصادق، (٥) حسين عمر محفوظ، (٦) محمد المؤيد، (٧) حسن حيدر الوصابي، (٨) على العديني، (٩) مراد القدسي، (١٠) أحمد حسان، (١) عارف أنور، (١٢) عمار بن ناشر، (١٣) عبد الله بن أحمد المرفدي، (١٤) أحمد مقبل بن نصر، (١٥) عبد الرحمٰن قحطان، (١٦) عقيل المقطري، (١٧) عبد الله سيف، (١٨) عبد الله سنان، (١٩) طارق عبد الواسع، (٢٠) عبد الملك داود، (٢١) عبد القادر الشيباني، (٢٢) فاضل محمد عبد الله، (٢٣) يحيى الجهراني، (٢٤) د. حسن الأهدل، (٢٥) أمين عبد الله جعفر، (٢٦) د. عبد الله الأهدل، (٢٧) محمد سعيد الحطامي، (٢٨) عمر علي سقيم، (٢٩) حسن صغير الأهدل، (٣٠) عبد الرحمٰن عبد الله الأهدل، (٣١) أحمد حسن المعلم، (٣٢) عبده

عبد الله الحميدي، (٣٣) حميد عقيل، (٣٤) محمد المهدي، (٣٥) القاضي علي البعداني، (٣٦) محمد بن علي الرحبي، (٣٧) عبد الله بن غالب الحميري، (٣٨) عبد الرحيم الشرعبي، (٣٩) عبد الله عبده الإبي، (٤٠) يحيى السوسوة.

كما تم الاعتماد على فتوى حول الموضوع لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ومعه لجنة الإفتاء الدائمة المكونة من كل من: عبد العزيز آل الشيخ، صالح الفوزان، بكر أبو زيد، عبد الله الغديان.

**الفتوى الرابعة**: السؤال: ما حكم شد الرحال إلى الجند من قبل الرجال والنساء؟ وما صحة ما ينسب إلى النبي ﷺ في ذلك؟

ما حكم الموالد التي تقام داخل المسجد ليلة ذلك اليوم؟ وما حكم ما يفعله المجاذيب من طعن الرؤوس؟

ما حكم اختلاط الرجال بالنساء داخل المسجد؟

ما صحة ما يشاع من أن الذهاب هو حج الفقراء؟

وقد تفضل أصحاب الفضيلة العلماء بالإجابة على تلك الأسئلة. ننشر هنا خلاصة إجاباتهم، آملين أن نتمكن من نشرها كاملة ومفصلة.

**أولاً**: أكد أصحاب الفضيلة على أنَّ شد الرحال إلى الجند بقصد التقرب والتعبد بدعة محدثة منكرة. وقد جاء الشرع بالنهي عن الابتداع، فالنص النبوي يقول: «وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» ويقول: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

هذا وقد جاء نص نبوي آخر له صلة بحرمة شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. يقول الرسول ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»، وأما ما يردده بعض الجهال أن الرسول ﷺ قال: «إلى أربعة مساجد» بإضافة مسجد الجند، فكذِب على النبي ﷺ والرسول يقول: «ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

ولا يخفى على أحد خطورة الابتداع في الدين، ويكفي في ذلك قوله ﷺ: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدعها» حسّنه الألباني.

ومما يزيد النكارة، ويشدد الحرمة ممارسة منكرات أخرى في ليلة ذلك اليوم في ذلك المكان، ومنها: السحر الذي يفعله المجاذيب، وامتهان المسجد باختلاط الرجال والنساء ـ وهو منكر في حد ذاته، ومضغ القات وغير ذلك.

**ثانياً**: أكد العلماء على أن تخصيص أول جمعة من رجب هو بدعة أخرى لا دليل عليها، وكذلك اتخاذ ذلك المكان بعينه في ذلك الوقت ومن باب اتخاذه عيداً، مع العلم أن الرسول ﷺ نهى عن اتخاذ قبره عيداً، فهذا المكان من باب أولى.

**ثالثاً**: أكد العلماء على أهمية محبة الرسول ﷺ، وعلى أنها من الأمور الواجبة على كل مسلم، بل لا يتم إيمان المرء حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، كما أكدوا على أهمية تدارس سيرته وتعلمها وتعليمها، وليس من ذلك إقامة الموالد، سواء في تلك المناسبة أو في غيرها، بل الموالد أمر محدث لم ينص عليه كتاب ولا سنة، ولم يفعل في عهده ﷺ، ولا في عهد صحابته الكرام، ولا في عهد التابعين، ولا في عهد الأئمة الأربعة، وهم أكمل الناس حباً لرسول الله، وأكثرهم تعظيماً له وقد كمّل الله دينه، وأخبر عن ذلك بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ وليست هذه الموالد من الدين الذي أكمله الله، بل تدخل في قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

**رابعاً**: أكد العلماء على أن ما يحصل ممن يُسمَّون بالمجاذيب هو نوع من السحر المعلوم حُرْمته، ومعلوم ما جاء في صحيح البخاري أن عمر كتب إلى ولاته: (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة) وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية [البقرة: ١٠٢].

**خامساً**: أكد أصحاب الفضيلة على حرمة الاختلاط في ذلك المكان وفي غيره، وعلى النكارة الشديدة لشد الرحال من قبل النساء إلى ذلك المكان، فإن كانت المرأة لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها للصلاة جماعة إذا ترتب على خروجها فتنة؛ فهذا من باب أولى.

والاختلاط أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات وسبب في كثرة الفواحش.

**سادساً**: أشار العلماء إلى أنه لم يثبت في فضل رجب أو في فضل العمل في رجب شيءٌ، وأنه كغيره من الشهور، غير أنه فقط من الأشهر الحرم، وقد ألّف الحافظ ابن حجر رسالة في ذلك..

**سابعاً**: ذكر بعض الباحثين ممن أجاب على السؤال: أن مسألة بناء معاذ لمسجد في الجند بحاجة إلى مزيد من البحث والتحري، وحتى لو ثبت ذلك فليس في ذلك أدنى دليل على ما يفعل من شد الرحال إلى هناك، فالصحابة بنوا العديد من المساجد

في الشام والعراق ومصر وغيرها، ولم يكن ذلك البناء مدعاة إلى شد الرحال إليها.

**ثامناً**: أكد العلماء على أهمية دور العلماء والمرشدين في إنكار مثل هذه البدع؛ قياماً بواجب النصيحة: «الدين النصيحة»، وقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه...».

وأكدوا على أهمية دور أصحاب السلطان في ردع المنتفعين من ذلك؛ لما يقومون به من التغرير بالعامة والتلبيس عليهم، وأكدوا ـ أيضاً ـ على أهمية تضافر الجهود في إزالة هذا المحدث وغيره من المحدثات.

**تاسعاً**: أكد العلماء على أن القول بأن الذهاب إلى هناك يعدل حجة هو من الكذب على الله، ومعلوم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦ ـ ١١٧].

## والعلماء الموقعون على الفتوى هم:

(١) عبد الله سيف الحيدري، (٢) أحمد حسن المعلم، (٣) عقيل بن محمد المقطري، (٤) عبد الله بن غالب الحميري، (٥) محمد بن محمد المهدي، (٦) عبده عبد الله الحميدي، (٧) علي بن علي البعداني، (٨) عبد الرحيم الشرعبي، (٩) محمد بن علي الرحبي، (١٠) علي بن يحيى شمسان، (١١) حميد قاسم عقيل، (١٢) عبد الملك داود عبد الصمد، (١٣) عبد القادر الشيباني، (١٤) يحيى بن محسن الجهراني، (١٥) فاضل محمد عبد الله، (١٦) عبد العزيز الدبعي، (١٧) سعيد بن سعيد حزام، (١٨) أحمد مقبل بن نصر، (١٩) عبد الله سنان، (٢٠) د. حسن شبالة، (٢١) عبد الله بن فيصل الأهدل، (٢٢) عبد المجيد الريمي، (٢٣) عبد الرحمٰن سعيد البريهي، (٢٤) عبد الله بن سعيد الحاشدي، (٢٥) كمال بن عبيد القادر بامخرمة، (٢٦) محمد الصادق مغلس (٢٧) عبد الله علي صعتر، (٢٨) عبد المجيد الزنداني، (٢٩) د. عبد الوهاب لطف الديلمي، (٣٠) صالح الضبياني، (٣١) علي بن عبد الله العديني، (٣٢) حسن بن محمد حيدر الوصابي، (٣٣) مراد بن أحمد القدسي، (٣٤) مهيوب بن حسين المعولي، (٣٥) د. علي مقبول الأهدل، (٣٦) عبد الله عبده الإبي، (٣٧) القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، (٣٨) محمد عبد الرحمٰن غنيم، (٣٩) د. صالح صواب، (٤٠) حسين عمر محفوظ، (٤١) محمد بن علي الوادعي، (٤٢) صالح بن علي الوادعي، (٤٣) أحمد حسان،

(٤٤) محمد بن علي المؤيد، (٤٥) طارق بن عبد الواسع، (٤٦) عبد العزيز البرعي.

**الفتوى الخامسة**: فتوى بمنع ما يسمى «زف الختاميات» التي يقيمها القبورية في بعض مدن حضرموت كالمكلا والشحر وغيرها، والزف هو السير الجماعي من المسجد الذي يقام فيه الحفل «حفل ختم القرآن» إلى قبر ومشهد معين، ويصحب ذلك السماع الصوفي بالدفوف والطبول وأنواع من الملاهي، ويحتشد لحضوره جمع كبير من الناس رجالاً ونساءً وأطفالاً، ويحصل فيه مفاسد كبيرة، يقول أخونا الشيخ أحمد برعود في كتابه «الأضواء البهيّة على بعض العادات الحضرمية» وهو يتكلم عن تلك العادة «البدعة» بدعة الختاميات: (ولقد أمليت على هذه الفتوى وكتبتها بيدي ووقع عليها المشايخ المذكورون في نفس الجلسة عدا السيد عباس حامد الحداد لم يكن حاضراً، كما زكى الفتوى السيد عبد الله بن محفوظ الحداد. فإليك أخي القارئ نص الفتوى.

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وبعد: فقد اتفق طلبة العلم بمدينة الشحر على أن تمنع زفوف الختاميات بعد نهاية الصلاة والقرآن لما يترتب على ذلك من المفاسد والمنكرات التي لا تتفق مع الشرع الشريف، فعليه نطلب من حكومتنا الموقرة أن تمنع وأن تلاحظ من يخالف هذا الأمر؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، كما نطلب من السيد الفاضل عبد الله بن محفوظ الحداد في هذا الموضوع أن يصدر فتوى لمنع الزفوف؛ منعاً لما يحصل بسببها من المنكرات والمفاسد، وبعد هذه الفتوى ينبغي ويلزم كل مسلم أن يمنع أهله من الحضور لمثل هذه المجموعات التي تحصل فيها المنكرات حصولاً ظاهراً، ومع العلم أنه ليس هناك ختم حقيقي للقرآن الكريم كما كان السلف يقرأون من أوله في الصلاة ثم يختمونه في إحدى الليالي ويدعون الله بعد الختم ويحضره الناس في المسجد ثم يتفرقون إلى بيوتهم، هذا وبالله التوفيق.

وكذلك نعلم حكومتنا الموقرة أن في هذه الليالي من رمضان يجتمع كثير من النساء في الأسواق لشراء حوائجهن، فيجتمع بسببهن كثير من الشباب فيحتكون بالنساء احتكاكاً متعمداً يأباه الشرع الحكيم وأهل النفوس الزكية، فالمطلوب من حكومتنا الموقرة أن تقوم بملاحظة هؤلاء الناس ودفعهم عن النساء، وهم المسؤولون بين يدي الله سبحانه وتعالى.

**والله الموفق**

**٢١/رمضان ١٤١١هـ**

**التوقيع:**

«الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي، الشيخ سالم خميس حبليل، الشيخ السيد عباس حامد الحداد».

الحمد لله وأنا بدوري أزكي ما قاله مشايخ الشحر وعلماؤها، وأضم صوتي إلى صوتهم لتقوم الحكومة بمنع هذه المنكرات المحدثة.

**التوقيع**

**عبد الله بن محفوظ الحداد**(١)

بيان بشأن أحداث تسوية القبور بعدن بعد انتهاء حرب الانفصال سنة (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

وقد صدرت ردود فعل كثيرة تجاه تلك الحوادث معظمها كانت في معرض النقد والاستهجان لذلك العمل، منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي إسلامي أو غير إسلامي، كما صدرت عدة بيانات تعبر عن مواقف أصحابها منه، ومعظمها إما رسمي يراعي سياسة الدولة التي كانت في موقف محرج أمام الجهة الإعلامية التي جوبه بها الحدث، أو كانت منطلقة من منطلق حزبي تعبر عن الموقف الرسمي للحزب، فلذا لم يبرز فيها الحكم الشرعي كما هو عند علماء الشرع السالمين من تلك الضغوط والحسابات الأخرى. وما رأيت في تلك البيانات والكلمات والمواقف ما يمثل الحكم الشرعي الصريح إلا هذا البيان الذي وقعه مجموعة من خيرة علماء اليمن ونشرته مجلة المنتدى التي كانت تصدر تلك الفترة من صنعاء في عددها.

وهذا نص البيان وأسماء الموقعين عليه: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد: فقد تابع العلماء الموقعون على هذا البيان الأحداث الأخيرة في عدن:

**الأول** منها: نتج عنه تسوية القباب والقبور التي تعلق بها عوام الناس من قديم حتى أضفوا عليها من القداسة والتعظيم إلى درجة عبادتها من دون الله تعالى، متمثلة في دعائها لكشف الضر وتفريج الكرب والذبح والنذر لها.

**والحدث الثاني**: وهو حدث لا صلة له بالأول ألا وهو اشتباك مسلح بين

---

(١) «الأضواء البهية على بعض العادات الحضرمية»، تأليف أحمد بن علي برعود ص(٣٧)، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م).

رجال الأمن وبعض الشباب وذلك حول مقر ما يسمى بمليشيا الحزب الاشتراكي وسببه خلاف في ملكية المنزل.

كما تابع العلماء البيانات السياسية والمقالات الصحفية ورأوا أن الحقيقة الشرعية ضاعت بين دهاء سياسي وسبق صحفي، وكلا الأمرين لم ينطلقا من ضوابط شرعية وثوابت عقدية في ديننا الإسلامي.

لهذا رأى الموقعون على هذا البيان أن يبينوا الحكم الشرعي في هذه القضية حتى لا يشملهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩]، كما أن هذا البيان ينطلق من قوله ﷺ فيما رواه مسلم من حديث أبي سعيد[1] الخدري: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

## الشرك وخطره:

من المعلوم من الدين بالضرورة ومن قطعيات الشريعة ويقينياتها خطورة الشرك وأنه مخرج من ملة الإسلام وموجب لصاحبه عدم المغفرة وحبوط العمل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وإن أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام قام على محاربة الشرك وتأسيس التوحيد، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء: ٥٢]، وإن من وسائل الشرك التي ابتليت بها الأمة تعظيم الصالحين ونصب القباب لهم فكانت نتيجة ذلك الغلو أن دعوهم من دون الله بحجة أنهم أولياء صالحون، وهذا من تزيين الشيطان وإضلاله؛ لأن الغلو في التعظيم يجر إلى العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

نعم الواجب توقير أولياء الله ومحبتهم وإثبات الكرامات لهم؛ ولكن لا يجوز دعاؤهم والاستعانة بهم والذبح والنذر لهم كما يفعله الخرافيون.

والزيارة الشرعية لأموات المسلمين سنة؛ لأنها تذكرهم بالآخرة، أما الزيارات

---

(١) الصحيح أن الحديث من رواية أبي رقية تميم بن أوس الداري.

المبتدعة التي تكون موسمية ويجتمع لها الرجال والنساء ولاعبو القمار، ويحدثون حول تلك القبور من المفاسد البدعية والشركية والسلوكية، ما لا يرضى بها عاقل، بل هي من المنكرات والصور التي شوهت جمال الإسلام وصفاءه، ويجب على العلماء إنكارها والبراءة منها.

وقد أنكر العلماء قديماً وحديثاً هذه الظواهر، وهذه أقوالهم:

### ١ ـ قال ابن حجر الهيتمي المكي:

(وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قندل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره) اهـ. الزواجر عن اقتراف الكبائر «١/ ١٤٩».

### ٢ ـ الإمام الشوكاني:

وقال في الدر النضيد ص٢٢: (وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب «ذي بين» رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع، والبخور ينفح في جوانبها، وعلى القبر الستور الفائقة، فقال عند وصوله إلى الباب: «أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين»).

### ٣ ـ قال الإمام الصنعاني في «تطهير الاعتقاد»:

(وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم: «على الله وعليكم» ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها.

فأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون: يا زيلعي يا ابن العجيل، وأهل الجبال: يا أبا طير، وأهل اليمن: يا ابن علوان).

### ٤ ـ فتوى دار الإفتاء المصرية:

هذا وقد صدرت فتوى من دار الإفتاء المصرية في عهد الشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ «٢/ ٧/ ١٩٢٨م»، ونصها: (اعلم أنه يحرم رفع البناء على القبر ولو للزينة، ويكره للإحكام بعد الدفن بل تكره الزيادة العظيمة من التراب على القبر؛ لأنه بمنزلة البناء، وهو منهي عنه لما في صحيح مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ

أن يجصص القبر وأن يبنى عليه. انتهى من الدر المختار وحاشية رد المحتار).

وحين نقول: يجب إنكار الشرك ومظاهره فلا يعني ذلك إعطاء الفرصة للذين يصطادون في الماء العكر، ولكن لا بد من الحكمة في ذلك واتخاذ الوسائل الناجحة في استئصال كل المظاهر التي تسيء إلى ديننا وأمتنا، ومراعاة المصالح والمفاسد، وهدم كل مظاهر الشرك من النفوس والقلوب أولاً بواسطة نشر الوعي بين المسلمين بالوسائل المشروعة حتى يتيسر هدمها في الواقع، ألا ترى أن النبي ﷺ أوكل إلى خالد بن الوليد بعد أن استقر في قلبه هدم العزى، حتى قال خالد رضي الله عنه:

يا عزُ كفرانك لا غفرانك ... إني رأيت الله قد أهانك

ولقد حرص الحزب الاشتراكي على دعم الخرافيين الذين تحالفوا معه وأيدوه في قرار الانفصال؛ وذلك سعياً منهم في طعن الإسلام وتدميره باسم الإسلام.

وإنه ممّا ينبغي التنبيه عليه أن الحامل لبعض الشباب المسلم على تسوية القبور التي قدست من دون الله هو ما قدمنا من مسلمات الدين وضرورياته، وما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» متفق عليه.

وروى مسلم في صحيحه أن علياً رضي الله عنه قال لأبي الهياج الأسدي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته».

إلا أن بعض الساعين إلى الفتنة والحاقدين على وحدة الأمة استغل الحدث أبشع استغلال بغية ضرب المسلمين بعضهم ببعض وشقّ صفهم ولبس الحق بالباطل، وتشويه الحقائق حتى صيروا المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

وأدخلت قضيتان في بعضهما مع أن كلاً منهما منفصلة عن الأخرى، فقضية تسوية القبور كانت يوم الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٤١٥هـ وما قبلها من أيام ومرت بسلام.

وقضية الصراع حول مركز المليشيا كانت يوم السبت ٢٨ ربيع الأول ١٤١٥هـ، وهي القضية المؤسفة جداً التي أدت إلى سفك دماء الأبرياء سواء من الأمن أو الشباب، فسفك الدماء بهذه الطريقة يدل على عدم مسؤولية وتصرف أرعن يجب التحقيق المنصف لمعرفة المتسبب لهذه الحادثة، وحتى لا يكون بداية سيئة وخطرة يستغلها أعداء شعبنا لتفجير صراعات داخلية واستغلالها سياسياً في الخارج، وتلك هي أمنية الانفصاليين.

وعلى ضوء ما تقدم نوصي بالتالي:

١ ـ على ولاة الأمر والعلماء القيام بواجبهم الشرعي في محاربة الشرك

ومظاهره واتخاذ الوسائل الشرعية لذلك وتكوين هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتتولى محاربة جميع ظواهر الفساد، وهذا يسد أبواب الفوضى والاضطراب.

٢ ـ اتحاد كلمة العلماء وخصوصاً في مثل هذه المواقف الخطرة، وأن يصدروا عن مواقف مشتركة ومنسقة تخدم دين الله ﷻ.

٣ ـ على الشباب الرجوع إلى العلماء والالتفاف حولهم، وأن لا يقدموا على عمل دون الرجوع إلى العلماء ومعرفة توجيهاتهم والحكم الشرعي في ذلك، مع العلم أن ما حصل في عدن لم يكن بمشاورة العلماء مما أدى إلى هذه النتيجة غير المرضية.

٤ ـ أن يتم تغيير المنكرات بالحكمة ومراعاة الواقع وقاعدة المصالح والمفاسد.

٥ ـ أن يحذر المسلمون الفرقة والتنازع؛ لأن هذا مما يضعفهم ويقر عيون أعداء الإسلام.

٦ ـ تشكيل لجنة من العلماء والالتقاء بالشباب لمعرفة ملابسات الحادث والعمل على إطلاق سراحهم.

٧ ـ أن يقوم ولاة الأمر برعاية مصالح الأمة وشبابها وصيانة دينها، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

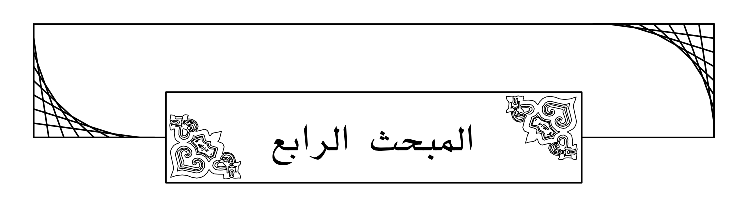
٨ ـ يجب عدم إعادة الأضرحة وتشييدها وخاصة بعد معرفة الحكم الشرعي في ذلك، ويجب إنفاق الأموال المرصودة لذلك للمتضررين من الحرب وخاصة في المحافظات الجنوبية.

**والله من وراء القصد**

**صادر عن مجموعة من علماء اليمن بتاريخ ١١ ربيع الآخرة ١٤١٥هـ**

**العلماء الموقعون على البيان هم:**

(١) عقيل المقطري، (٢) عمار بن ناشر، (٣) طارق عبد الواسع، (٤) عبد العزيز الدبعي، (٥) عبد القادر الشيباني، (٦) أحمد علي معوضة، (٧) علي محمد بارويس، (٨) عارف أنور، (٩) أحمد الشيباني، (١٠) عبد الكريم الضراسي، (١١) زيد بن ثابت، (١٢) عبد الله سنان، (١٣) مجاهد الوصابي، (١٤) علي صالح عنان محمد، (١٥) عبد المجيد الريمي، (١٦) محمد عبد الله الإمام، (١٧) يحيى الجهراني، (١٨) د. عبد الوهاب الديلمي، (١٩) حمود علي ناصر السعيدي، (٢٠) علي العديني، (٢١) عبد الله الحاشدي، (٢٢) مراد القدسي، (٢٣) يحيى علي محمد جغمان، (٢٤) صالح الوادعي، (٢٥) محمد الوادعي، (٢٦) أحمد مقبل، (٢٧) خالد أحمد سعيد.




# الجهود العملية لمواجهة القبورية

وفيه أربعة مطالب:

## المطلب الأول: أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على القبورية:

### التعريف:

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة تجديدية، هدفها إعادة الأمة إلى ما كان عليه الأمر في عهد النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وذلك بالدعوة إلى التوحيد الخالص، وتنقية عقائد الأمة مما داخلها من عقائد ومفاهيم منحرفة، أدت إلى الشرك بالله تعالى، ودعوة للاتباع الكامل للنبي ﷺ وتنقية عبادات الأمة مما ألصق بها من البدع والمحدثات، والمجاهدة لإقامة الشرع في حياة الأمة وإزالة ما يخالفه. هذا ملخص ما يمكن أن تُعرَّف به دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

### نشأتها:

نشأت الدعوة السلفية التي جددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب «دعوة الإسلام الأولى» في ذهنه، بعد أن بدأ في طلب العلم، وبدأ يقارن بين ما يتعلمه من مبادئ الشرع وأحكامه وما يرى عليه الناس، ثم بدأ فعلاً عندما عاد من رحلاته إلى بلده، ولكن الدعوة راوحت مكانها بل كاد أن يُقضى عليها بالقضاء على الشيخ نفسه، حينما عزم أمير العيينة على تصفيته جسدياً[(١)]، فهاجر من العيينة إلى الدرعية، وفيها نشأت الدعوة النشأة الأخيرة العملية، ومنها انطلقت حينما وجد الشيخ المناصرة الكاملة من قبل أميرها محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ وذلك سنة (١١٥٧هـ).

---

(١) «عنوان المجد في تاريخ نجد» ص(١١)، تأليف عثمان بن بشر، طبع مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.

وبعد أن تقبلت الدرعية وأهلها دعوة الشيخ وآمنت بها، وصَدَقتْ في ولائها، انطلق دعاتها حاملين مبادئها إلى ما حولها من ديار نجد، ثم إلى الإحساء والمناطق الشرقية، وإلى الحجاز وسائر أرجاء الجزيرة العربية، وكان بعض ذلك في حياة الشيخ والإمام محمد بن سعود وبعضه بعد موتهما في أيام عبد العزيز بن محمد بن سعود على يد ابنه سعود، وكان من فضل الله على عباده أنه في زمن قصير تحقق للدعوة نجاح كبير، وطُهِّرت نجد وما حولها من البدع والشركيات ووسائلها، ثم أخذ أئمة الدعوة من أبناء وأحفاد الإمامين يسيرون في الأرض دعاة مجاهدين، فمن أجاب قبلوا منه، ومن أبى قاتلوه.

### المآخذ على الدعوة النجدية:

وعندما تكاثر الأتباع والأنصار حدث من بعضهم حوادث غير مرضية، وقضايا على خلاف مقتضى الشرع.

وهذا طبيعي فليس كل الجند بل ولا كل القادة هم من العلماء العاملين والدعاة المخلصين، وإنما هناك من يركب الموجة، وهناك من يطمع في الغنيمة، وهناك أصناف من الناس مختلفو المقاصد وجرائرهم كلها تلقى على كاهل الشيخ ودعوته، وقد صار لتلك الدعوة صدىً واسعاً، وانتشرت لجيوشها رعب كبير بين الناس، وخاف كل ذي سلطة على سلطته من أمراء وأشراف وشيوخ طرق، كلهم رأوا أن الدعوة تهددهم، فبدأت الحرب بشتى وسائلها، الحرب العسكرية والحرب الدعائية، وغيرها من أنواع الحروب، وكان الذي تولى كبر ذلك الدولة العثمانية بإسطنبول، وذلك لأمرين أساسيين:

**الأمر الأول**: السياسة، إذ خشيت على أجزاء كبيرة من أطراف مملكتها، ومن أهم تلك الأطراف الحجاز بما فيه مكة والمدينة، أن تخرج عن سيطرتها.

**الأمر الآخر**: أن الصوفية الاتحادية كانت هي المسيطرة على الخلفاء، وهم أعدى أعداء هذه الدعوة للاختلاف العقدي بينهما.

فمن هناك طارت الدعايات، وانتشر الشائعات ضد دعوة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وكانت كما وصفها الشيخ الإمام ابن الأمير: (وأتتنا فيها جوابات من مكة المشرفة ومن البصرة وغيرهما، إلا أنها جوابات خالية عن الإنصاف)[1]. واستغل خصومها بعض الهفوات التي يقع فيها بعض المحسوبين على الدعوة فضخموها،

(١) «الديوان» ص(١٧٢).

وزادوا فيها، واتخذوها أدلة على ضلال الدعوة وانحرافها، ولكن ذلك كله ما زاد الدعوة التجديدية هذه إلا رسوخاً وانتشاراً وقبولاً في الأرض؛ خصوصاً بعد أن دخلت الحجاز، وحكمت الحرمين، والتقى دعاتها بالحجاج من كل مكان مباشرة، فعرف الناس الحقيقة، وتبين لهم زيف الدعايات التي كانوا يسمعونها فحملوا هذه الدعوة إلى بلادهم، ونشروها بين أهليهم وإخوانهم، وها هي الدعوة «الوهابية» كما سميت وشاع ذلك عنها، لا يخلو بلد من بلدان المسلمين من حاملين لها فيه، وكم من علماء وجمعيات وهيئات علمية ودعوية تسير على الخط السلفي الذي جدده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ في مشارق الأرض ومغاربها، رغم أن الدولة العثمانية وبواسطة واليها على مصر محمد علي باشا قد حاولوا القضاء عليها، وتمكنوا من القضاء على الدولة والقوة العسكرية والكيان السياسي، ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء على ما أشربته قلوب الناس من الحق، فما خرج الجنود الغزاة من نجد حتى عادت الدعوة والقوة والدولة بشكل قوي، ربما أقوى من ذي قبل، وها هي قائمة إلى اليوم في أوسع مداها وأقصى انتشارها.

## علاقة الدعوة النجدية باليمن:

من الطبيعي أن الداعية الموقن بصحة ما يدعو إليه المخلص لمبادئه محب الخير لأمته، لا تقف همته عند حد، ولا يكتفي في نشر دعوته ببلد دون بلد؛ لذا فإنه قد كان اليمن كل اليمن مستهدفاً للدعوة مُعرّضاً لدعاتها وجيوشها، ولقد شقت جيوشها الطريق إلى اليمن من جهتين، من الغرب عبر الحجاز وجبال السراة حتى وصلت إلى مناطق عسير جبالها وتهائمها، فكانت القاعدة لها بعد أن انضم أهلها إليها، وفتنوا بمبادئها، ودخل بعض أشرافها وأمرائها مع النجديين، وآزروهم على نشر الدعوة حتى وصلوا إلى الحديدة، بل إلى زبيد وحيس وما حولها[(١)].

وحينما بلغت الدعوة النجدية تلك المكانة من الاستيلاء على البلاد ودخول القبائل معها والقول بما تدعو إليه، تجاوبت القبائل اليمنية لذلك، وشعرت بضعف دولة صنعاء في عهد الإمام «المنصور» أحد الأئمة الذين عاصرهم الإمام الشوكاني، وتقدمت تلك القبائل حتى حاصرت صنعاء بعد عام (١٢١٦هـ)[(٢)]، وكانت الرسل في

---

(١) «البدر الطالع»، ترجمة الشريف حمود بن محمد صاحب أبي عريش (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).
(٢) «فرجة الهموم والحزن» للواسعي ص(٢٣٤)، والشوكاني حياته وفكره ص(٥٥).

أثناء ذلك ترد إلى صنعاء من الدرعية بالدعوة إلى التوحيد وهدم القباب والمشاهد، وحينما أحس الإمام المتوكل بالضغط الشديد شاور من بحضرته في هدم تلك القباب والمشاهد، فقالوا له: إن كان هذا الهدم لوجه الله وتنفيذاً للشريعة فنعمّا هو، وإن كان إنما هو مجاملة لأصحاب نجد فلا فائدة[١]، قال الشوكاني: (ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها)[٢] كما أنني لا أشك أنهم عندما مروا بمدن وقرى تهامة قد أزالوا ما فيها من مشاهد وقباب وسووا ما فيها من قبور مشرفة؛ لأن هذه هي عادتهم في كل مكان يستولون عليه، وإن لم أظفر بذلك في مرجع خاص، والفرقة الأخرى من جهة الصحراء حتى وصلت حضرموت.

## وصول الدعوة النجدية إلى حضرموت:

وصلت الدعوة النجدية إلى حضرموت رسمياً بوصول الجيش النجدي الذي يقوده ناجي بن قملا وكان ذلك في سنة (١٢٢٤هـ)، فاستولوا على الكسور، وفيها حورة وهينن وحواليهما، وصَالَحَ ابن قملا القبائل اليافعية والنهدية والشنفرية، وهدم غالب رؤوس القباب المبنية على القبور من دوعن غرباً إلى قبر هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شرقاً[٣]، ولم يكن التأثير مقتصراً على هدم القباب فقط، بل وصل إلى إقناع القبائل وجماعات من أبناء حضرموت بهذه الدعوة وحملهم لها ورفضهم للخرافات والعقائد القبورية التي كانت سائدة في البلاد، ومن تلك القبائل قبيلة «آل علي جابر» ببلد خشامر وما حولها في منطقة العقّاد بين القطن وشبام، وحتى بعض رجال السادة العلويين تابعوهم على ذلك، كما ذكر ابن عبيد الله في «إدام القوت» عند كلامه على الحوطة «حوطة أحمد بن زين»[٤] وبشكل أوسع في منطقة «المحيضرة» إحدى ضواحي تريم وهو يتكلم عن السلطان عبد الله عوض غرامة، فقد قال: (وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعلق بوحيد عصره وفريد دهره مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة، والذي انتهت إليه

---

(١) «حوليات يمانية» ص(٢٢ ـ ٢٣). (٢) «البدر الطالع» (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).

(٣) «تاريخ حضرموت» المسمى بـ «العدة المفيدة» (١/ ٣٢١) للشيخ العلامة سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، و«تاج الأعراس» (١/ ١٧٤).

(٤) انظر: «إدام القوت» لابن عبيد الله ص(٢٢٧).

رياسة العلم بتريم، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، المتوفى بتريم سنة (١٢٤٨هـ)، وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلّم عبد الله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على الالتزام بها، ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير، ولم يقدر عبد الله غرامة على حمايته بتريم؛ لأن غرامة لا يملكها كلها، وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى تريم سنة (١٢٢٤هـ)، بقيادة الأمير علي[١] بن قملا، فطوى بهم حضرموت، ولم يفسد حرثاً، ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب، وسوّى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب، كثّره بعض العلويين ـ كصاحبنا الفاضل السيد علوي بن سهل ـ بدون مبرر من الدليل، وأقاموا بتريم نحو أربعين يوماً، وعاهده عبد الله عوض غرامة، وعبد الله بن أحمد بن يماني على أن يكف الأذى عن بلادهما، على شرط أن يقوما بنشر دعوته التي لاقت هوى من نفوسهم وقبولاً من خواطرهم)[٢].

إذاً فهذا إمام كبير وعلامة شهير من سادة تريم، كان يوافق أهل نجد على منهجهم، وقد اتهم بنشر هذا المنهج وتعليمه لهذا السلطان، حتى إن السلطان عبد الله عوض غرامة أرسل رسالة عزاء في قتيل قتل في مشاجرة بغير قصد، جاء فيها: (إننا لا نريد ذلك ولا نحبه، وإنما كان قتله على غير اختيار منا، ولكن شؤم أعمالكم والتفاتكم إلى غير الله وعبادتكم للأموات والقبور هو الذي جر عليكم المصائب، وسيجر عليكم ما هو أعظم)، قال ابن عبيد الله: (ويقال: إن هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد المتقدم، ذكره السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، والله أعلم)[٣]، بل هناك نص أوضح وأصرح في استجابة الكثير من قبائل حضرموت وبعض السادة العلويين للدعوة الوهابية، بل وطلبهم وصول دعاتها إلى حضرموت، يقول ابن عبيد الله في ترجمة أحمد بن سالم منصب عينات: (وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى حضرموت، بطلب من بعض السادة وآل كثير، ولم يكن لهم عسكر كثير، وإنما كانوا ينشرون دعوتهم، ويستجيب لهم الناس، وكان ممن استجاب لهم آل علي جابر بخشامر، غربي شبام، وبعض السادة وبعض آل كثير وعبد الله عوض غرامة بتريم)[٤]، ولكن وجود النجديين في حضرموت لم يدم طويلاً حيث كان

---

(١) كذا قال والصواب: ناجي بن قملا.

(٢) «إدام القوت» الحلقة (٤٠) في مجلة العربي التي تصدر في الرياض.

(٣) «إدام القوت» ص(١٢٣).

(٤) «إدام القوت» ص(٤٣).

وصولهم إليها في آخر عمر الدولة السعودية الأولى، والتي انتهت بوصول القوات المصرية إلى الدرعية سنة (١٢٣٣هـ)[١]، وكانت جيوشهم قد وصلت إلى ساحل ينبع سنة (١٢٢٦هـ)[٢]، وما بين هذين التاريخين كان أهل نجد مشغولين بقتال القوات المصرية، ومن هنا قلّت إمداداتهم إلى جيوشهم التي تقاتل في أطراف الجزيرة العربية ومنها الجيش الذي بحضرموت؛ ولذلك فقد هزم هذا الجيش بالقرب من حريضة على يد قبائل الجعدة وقيادة السادة آل العطاس[٣]، ورجعوا إلى بلادهم.

ولكن آثار دعوتهم ما زالت موجودة، وكان أشهر بلد استقرت على مبادئ هذه الدعوة هي بلد خشامر وأهلها آل علي جابر؛ لذلك كان من النوادر أن أحداً إذا أراد من وليٍّ كرامة فلم تحصل يهدِّده باللجوء إلى آل علي جابر في خشامر، كما ذكر في تذكير الناس قول الذي قال في زيارة المشهد:

زوار جينا بانزورك يا علي ... لي تكرم القاصد وترحب بالغريب
إن شي كرامة باتقع ذا حلها ... والا رجعنا لا قَدَا صالح حبيب[٤]

أي إذا لم تكرمنا فإننا سنذهب إلى صالح حبيب شيخ آل علي جابر الوهابيين، وقول الآخر حينما جاء إلى الحسن بن صالح البحر، وله ولد مريض، فخاطبه بقوله: (وعزة المعبود إن لم تذهب الحمى من ولدي محمد لأصبح في خشامر عند بن علي جابر)[٥]. وكل ذلك قد تقدم.

وما لبث الناس بعد ذهاب النجديين إلا يسيراً، فنشأت جمعية الإرشاد بإندونيسيا، فتواصل التأثير ولله الحمد، حتى جاء الله بهذه الصحوة التي هي سلفية سنية منابذة للقبورية متمسكة بمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم. نسأل الله أن يتم نوره، ويعلي كلمته، ويهدي الجميع للتمسك بما يرضيه.

### المطلب الثاني: دعوة الإرشاد بإندونيسيا وأثرها على القبورية في اليمن:

من خلال العوامل التي أدت إلى قيام دعوة الإرشاد يمكننا أن نتعرف على أهم ملامحها، فالعوامل التي أدت إلى قيامها هي:

١ ـ الجهل المركّب الذي يسود العرب في إندونيسيا.

---

(١) «عنوان المجد» ص(١٩١ ـ ٢١٤).
(٢) المصدر السابق ص(١٥٧).
(٣) انظر: «تاج الأعراس» (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٧).
(٤) «تذكير الناس» ص(٢١٩).
(٥) «تذكير الناس» ص(٢٢٠).

٢ ـ تمادي العنصريين في استعلائهم على الناس واستغفالهم لهؤلاء ماديّاً واجتماعيّاً.

٣ ـ كثرة البدع والخرافات[1].

من خلال هذه العوامل يتضح أن هذه الدعوة كانت ثورة على الجهل الذي كان يسود العرب في مهجرهم، ووسيلة إزالته العلم، وثورة على التعالي العنصري، والمطلوب هو التساوي والعدل الذي جاء به الإسلام، وثورة على البدع والخرافات، وسبيل ذلك هو نشر التوحيد والاتباع وتعلم الإسلام الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن مجموع ذلك نتعرف على جمعية الإرشاد الإسلامية بإندونيسيا، فنراها تقوم على ثلاثة أصول:

١ ـ نشر العلم وإفشائه بين سائر الطبقات.

٢ ـ المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الشرائح في المجتمع.

٣ ـ محاربة البدع والخرافات ونشر ضدها من التوحيد والاتباع.

وهذه الأصول كلها نقض لبعض أركان القبورية في اليمن، وقد سبق ذكرها مفصلة في الباب الثاني في آثار القبورية.

وقد وصلت هذه الدعوة إلى اليمن وإلى حضرموت بوجه خاص موطن مؤسسي هذه الجمعية، وكان لها أثرها الطيب؛ حيث تنبه الناس من غفلتهم واستيقظوا من رقدتهم، فهرعوا إلى العلم، ورفضوا التمايز الطبقي، ودعوا إلى التوحيد والسنة ورفض البدع والخرافات والشركيات، وقام بعضهم بتسوية بعض القبور في مناطقهم، وأذكر أن أحدهم في قريتنا عمد إلى ثوب كان يكسى به صناديق مكتبة الشيخ عمر بن أحمد العمودي الشهيرة والمعروفة عند المؤرخين بـ «المكتبة الشُعبية» وعند العوام بخزانة الشيخ عمر بن أحمد، قام ذلك الشخص بأخذ هذا الثوب الذي تكسىٰ به صناديق الكتب ـ على جهة التعظيم ـ وألقاه في بئر معطلة بالقرب من الخزانة، وذلك الرجل هو الشيخ عبد الرحيم بن محمد المهجوس العمودي رَحِمَهُ اللهُ، وكان أول من أعلن الدعوة إلى السنة ومحاربة البدع والشركيات في ذلك البلد، وبالقرب من هذه القرية في قرية «الرضحين» كان هناك رجل آخر من أعضاء جمعية الإرشاد عاد إلى

(١) «تاريخ الإرشاد» ص(٦).

البلد من إندونسيا بالمنهج السني والدعوة إليه، وكتب السنة من حديث وتفسير وعقيدة وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد نفع الله به أهل منطقته فهم إلى اليوم ولله الحمد على السنة والتوحيد لا وجود للخرافة بينهم، ذلك الرجل هو الشيخ: عبد الله باسعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهكذا لم يبق وادٍ أو منطقة من مناطق حضرموت إلا ووجد فيها مثل ذلك الرجل، وفي كثير من الأماكن كان لهؤلاء أنصار وأعوان، يحملون هذه الدعوة ولو في أنفسهم وأقاربهم.

ومما يدل على وجود هذا الأثر ضجة القبوريين من هذه الدعوة والشكوى منها ونشر الدعاية ضدها، من ذلك ما هو مكتوب، ومنه ما هو على الألسنة.

**المطلب الثالث: جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في المواجهة العملية للقبورية:**

إن القبورية لم تترسخ في اليمن الأعلى مثلما ترسخت في بقية مناطق اليمن، وذلك أن الفرقة الزيدية والمذهب الهادوي ليس فيهما من الغلو ما في مذاهب أهل الرفض والباطنية من الإسماعيلية والصوفية الغلاة؛ لذلك لم يكن في أصل المذهب الهادوي ترخيص في البناء على القبور، ولا في عقائد الزيدية اليمنية الأولى شيء من ذلك، وإنما طرأت تلك الأقوال في القرن السابع عندما توافد الصوفية على اليمن وحينما بنى بنو أيوب المشاهد على قبور سلاطينهم وميزوها عن قبور الناس، عند ذلك سرت العدوى إلى ديار الزيدية، وبقيت محصورة على الأئمة الحاكمين وأسرهم ومقربيهم، فهي فتوى سياسية أكثر منها شرعية، واعتماد على إلحاح الواقع لا على أدلة الشرع؛ ولذلك فليس هناك تعظيم للقبور التي في ذلك الجزء من اليمن كما هو في بقية الأجزاء الأخرى، وليس هناك فلسفة لزيارتها كما يوجد عند الصوفية؛ لذلك كله كان من السهل على علماء تلك البلاد وبعض حكامها أن يدركوا الحكم الصحيح لتلك المشاهد وأن يتمكنوا من هدمها وإزالتها بيسر أكثر مما عليه الحال في مناطق الصوفية، كذلك فقد كانت هناك جولات لبعض العلماء وبعض الأئمة وجهود عملية لإزالة بعض تلك المشاهد وتسوية القبور المعظمة عند بعض العامة، وقد اطلعت على جولتين من تلك الجولات:

**الجولة الأولى**: على عهد الإمام المهدي العباس بن الحسين بن القاسم المولود (١١٣١هـ) والمتوفى سنة (١١٨٩هـ) والذي كان معاصراً للإمام ابن الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى (١١٨٢هـ)، فقد قام هذا الإمام بهدم كثير من تلك المشاهد

والقبور المعظمة بتحريض جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى. قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ الله: (وقد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ ومن أتباعهم رحمهم الله، في هذه المسألة بما يشفي ويكفي، ولا يتسع المقام لبسطه، وآخر من كان منهم نكالاً على القبوريين، وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية، مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين بن القاسم رَحِمَهُ الله، فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس وسبباً لضلالهم وأتى على غالبها، ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها فهدمها، وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء ترسلوا إليه برسائل، وكان ذلك الحامل له على نصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين)[١].

**أما الجولة الثانية:** فقد تم فيها إزالة القباب والمشاهد في اليمن الأعلى بجهود علماء صنعاء وحث أئمة الدعوة النجدية، قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ الله في ترجمة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود في البدر الطالع: (وما زال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة، ويكتب إليّ أيضاً مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأماكن المجاورة لها وفي جهة ذمار، وما يتصل بها)[٢].

وقد ورد هذا الخبر مزيداً ومفصلاً في كتاب «حوليات يمانية» الذي حققه ونشره السيد عبد الله الحبشي حيث قال: (وفي سنة (١٢٢٩هـ) تهيأ المتوكل على خروجه على النجدي على تهامة، وعلى الشريف وعاهد الإمام القاضي عبد الله العِكام، ووصل وقد رحل المتوكل من صنعاء إلى ذمار، وبقي خارج ذمار، وطلب المغلَّبات من الإمام، ولم يتم منه بشيء ونهب محل اليهود في ذمار لا رحمه الله، وتعدى إلى الطريق المسبلة، ورحل خارج اليمن، وتبعه المتوكل وجرت بينهم حروب.

وفيها وقعة السرايم خارج جبلة، وخاب السعي من النفوذ على تهامة، فكلما هيأهم المتوكل للتحضير على المخالفين طلبوا المغلَّبات، وما مقصدهم إلا الفساد، ووقع لهم شيء من المال ورجعوا بلادهم، ورجع الإمام إلى صنعاء، ورجح مكاتبة

---

(١) «الدر النضيد» ص(١٢٦ ـ ١٢٧). (٢) «البدر الطالع» (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).

النجدي ومداهنته، حتى وصل من الدرعية المطاوعة الآخرون؛ الأمير محمد، ويوسف القرماني وجماعة معهم، وخاطبوا المتوكل في خراب المشاهد والقباب المنصوبة على قبور الصالحين والأئمة الهادين، فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته، وأجاب عليه العلماء بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنجدي وقبول قوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة لا على الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض، فرجح المتوكل الأمر بهدمها وهدمت التي في صنعاء وما حولها؛ قبة صلاح الدين، وقبة المنصور حسين في الأبهر، وقبة الفليحي، وسدة قبة المهدي العباس التي فيها القبر، ولم يبق إلا قبة المتوكل للصلاة، وهدمت قبة أحمد بن أحسن في الغراس، وأرسل على بقية النواحي بهذا)[١].

ومن هذا النص نفهم أن أصحاب نجد قد شددوا على الإمام في صنعاء في هذا الأمر وقد وجد الإمام نفسه مضطراً لقبول ضغوطهم والعمل بما يدعون إليه، ولكن أراد أن يحمل المسؤولية العلماء بدل أن يتحملها بمفرده، وكان العلماء يتحينون هذه الفرصة؛ لأنها تحقق جزءاً مهماً من دعوتهم، ولذلك كان جوابهم: (بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنجدي وقبول لقوله، فهذه القباب ورفع القبور بدعة على الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض، فرجح المتوكل الأمر بهدمها)[٢]. فهذا جهد كبير كان الدافع له دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتنفيذه برغبة وقناعة تامة من علماء اليمن، والنتيجة هي هدم تلك القباب وتسوية تلك القبور المشرفة وإن كانت قد أعيدت إلى سالف عهدها فيما بعد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

**ونموذج آخر** قام به أحد الأئمة ولكن هناك شكوك في دوافعه، تلك الجهود هي التي قام بها الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين حينما كان ولياً للعهد في أيام أبيه وحاكماً للواء تعز، فقد قام بهدم قبة أحمد بن موسى بن العجيل في مدينة بيت الفقيه عام (١٣٤٨هـ)، وتحطيم تابوت أحمد بن علوان وإخراج رفاته ثم دفنه في مكان مجهول عام (١٣٧٢هـ)، وهذا العمل من حيث إنه تحقق به أمر مطلوب شرعاً فهو جيد، ولكن الشكوك ساورت الناس حينما اقتصر على هدم مشاهد البلاد

---

(١) «حوليات يمانية» ص(٢٢ ـ ٢٣).

(٢) هنا في التعليق على الكتاب ص(٢٢) رقم (٧). قلت: وفي هذه المناسبة ألّف العلامة محمد بن علي الشوكاني رسالة «شرح الصدور في تحريم رفع القبور».

الشافعية بينما البلاد الزيدية فيها مشاهد كثيرة، ومنها ما قد فتن به بعض الناس، ومع ذلك لم يمسها بشيء من ذلك، قال القاضي إسماعيل الأكوع في «هجر العلم» بعد أن ذكر هدم الإمام أحمد لهذين المشهدين: (وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صنعاً في كلتا الحالين، ولو أن يده امتدت إلى سائر القباب والتوابيت الأخرى التي يعتقد عامة الناس في أصحابها الضر والنفع لأجزل الله مثوبته وأحسن إليه، ولا سيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخير والبركة، ويرجون منها النفع ودفع الضر والشر)(١)، ثم استطرد في الموضوع إلى أن قال: (وكان الواجب على الإمام أحمد هدم القبور التي يلتمس العامة منها الخير والبركات؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ)(٢).

قلت: وفي هذا إشارة إلى أن الإمام أحمد ما فعل ما يجب عليه، وما كان مقصده تطبيق أمر الشرع بشكل خالص؛ وإلا لعمم ذلك، وربما يعتذر له بأن هذه المشاهد تحت سلطته بينما غيرها ليس له عليها سلطة، فقد مرّ أن أباه كان يؤكد تلك المشاهد التي على قبور الأئمة، وقد أمر ببناء واحد منها في منطقة أرحب على قبر الإمام أحمد بن هاشم الويسي المتوفى سنة (١٢٦٩هـ) والمدفون في (دار أعلا من أرحب للتبرك به، وهددهم بأنهم إن لم يفعلوا ذلك فإنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنوا له قبة، ووضعوا على قبره تابوتاً)(٣).

**والخلاصة**: أن هناك جهوداً عملية قام بها أئمة وعلماء في هذه المناطق، وقضوا ما عليهم، وقاموا بما أمروا به، فمن كان منهم مخلصاً فأجره على الله، ومن كان له مقصد آخر؛ فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.

### المطلب الرابع: الجهود العملية المختلفة التي قام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن:

إن الجهود العملية لتسوية القبور المشرفة كانت من عهد النبي ﷺ ولا تزال إلى اليوم، وقد مر في الباب التمهيدي حديث علي رضي الله عنه حين قال لأبي الهياج الأسدي: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)(٤)، وهو يدل على أن النبي ﷺ بذل جهوداً في محاربة القبور المشرفة، وكذلك علي رضي الله عنه في أيام خلافته وقبل ذلك في أيام عثمان حيث كان يتفقد المقابر بنفسه، ويأمر بتسويتها، وقد مر هناك.

---

(١) «هجر العلم» (١/ ٢٢٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٢٥).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٢٥).

(٤) تقدم تخريجه ص(٥٣).

ثم ما زال ولاة الأمور يتابعون هدم ما بني في المقابر، كما صرح الإمام الشافعي رضي الله عنه بذلك في الأم ونقلته في الباب التمهيدي، وإنما تخاذل ولاة الأمر في ذلك بعد تمكن الباطنية من مقاليد الأمر في القرن الرابع كما مر كذلك، وفي القرون المتأخرة أصبح السلاطين يؤيدون القبورية لأغراض سياسية، فعمقوها وجذروها في الأمة، وأصبحت الجريمة ليست هي بناء المساجد والمشاهد على القبور، وإنما هدم وإزالة تلك الأبنية.

وبالمناسبة أقول: إنه لدينا في اليمن تجري السلطة على نفس منهج السلاطين المتقدمين من مجاراة للقبورية ومداهنة لهم، ونتوهم أنهما بذلك يكسبونهم ويكسبون الأمة من ورائهم، وهذا وهم كاذب، فالصوفية لا تحب هذا النظام أو تنصح له، وأكبر دليل ما حصل منها أثناء حرب الانفصال وكل الناس يعرفون موقفها من ذلك، وعندما يقوم فرد أو مجموعة من الغيورين بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ فيسوون قبراً أو يهدمون مشهداً، تقوم عليهم الدنيا ولا تقعد ويساقون إلى السجون، وتشهر بهم الصحف المأجورة، ويتناولهم بأنواع السباب والشتائم من لا علم ولا دين ولا خلق له، والعلة في ذلك حسب زعمهم هي: إثارة العوام، وإثارة القلاقل، والإخلال بالأمن، واحتمال وقوع الفتن والقتل، ونحو ذلك من العلل.

وأقول: إنه قد يحصل شيء من هذا، لكن أليس ما يقوم به القبورية اليوم على مرأى ومسمع من الجميع من بناء مشاهد جديدة وترميم وإصلاح المشاهد القديمة وبعث العادات والبدع القبورية الميتة، أليس هذا كله يستفز الأمة التي قد وعت وعرفت أن ذلك حرام ووسيلة من وسائل الشرك؟ وجميع المسؤولين والمهاجمين لمعارِض القبورية معترفون به، فإذن لِمَ تجوز الإثارة من قبلهم ولا تجوز من قبل معارضيهم؟ مع أنهم على باطل ومعارضوهم على حق باعتراف قيادات الأمن وقضاة المحاكم وأساطين الصحافة؟ هل لأن الدعاة لا يلجأون للإثارة وتهييج الجموع، والقبورية يتقنون ذلك؟ أم أن هناك إيحاءً بذلك من جهات لا نعرفها؟ يجب أن نسمع جواباً شافياً على هذا التساؤل، وعدلاً وإنصافاً مع الأطراف المختلفة والتخلي عن محاباة طرف على حساب الآخر.

ويجب أن يزول كذلك وهْم أن الصوفية القبورية ومن على شاكلتهم قادرون على أن يحققوا لبعض الأحزاب أهدافها، فوالله ما هم بفاعلين؛ لأنهم إنما يسعون لمصلحة مبادئهم ومناهجهم لا لمصلحة أحد سواهم، ولو فرض إرادتهم نفع هذا

الحزب أو ذاك فلم يعودوا قادرين عليه؛ لأن الأمة قد سحبت ثقتها منهم ولم يعد نفوذهم يسيّرها.

## نماذج من تلك الجهود:

بعد هذه المقدمة التي أطلت فيها حيث لم أستطع تجاوز هذا الموضع بدونها أقول:

إن هناك نماذج مشرقة في مواجهة القبورية في اليمن مواجهة فعلية، وتقدم قريباً ما فعل علماء صنعاء عندما واتت الفرصة لهم، كما سبق في مبحث من مباحث هذا الباب ما فعله القاضي العلامة عبد الله عوض بكير وزملاؤه أعضاء لجنة الشؤون الدينية حينما قامت اللجنة الشرعية وأعطي لها الصلاحيات من إزالة الكثير من مناكر الزيارات القبورية، وكذلك ما فعله بحكم منصبه القضائي من إغلاق لمشهد «علوية» بمدينة المكلا ومنع إقامة الحضرة فيه.

ولقد تساند بعض القضاة الصالحين مع بعض مسؤولي النواحي ـ فيما كان يعرف بالشطر الشمالي من اليمن ـ فقاموا بجهود مشكورة ومساندة للدعاة لإزالة بعض المشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة. وهاك مثالاً على ذلك وهو ما أخبرني به الأخ الشيخ محمد بن علي الغيلي من احتساب قام به الشاب الغيور الداعية إلى الله في بلاد المحابشة من محافظة حجة الأستاذ الشهيد ـ إن شاء الله ـ «أحمد بن أحمد الأمين» مع مجموعة من إخوانه طلبة العلم والدعاة حيث قرروا إزالة هذه المشاهد وما يترتب عليها من مفاسد، وبدأوا بالتوعية والتهيئة لذلك، ثم اتصلوا بالعلماء فوجدوهم مجمعين على أن ذلك من البدع المنكرة، غير أنهم ما كان بمقدورهم الإفصاح عن ذلك، ثم اتصلوا بالمسؤولين «العامل والقاضي ومسؤول الأوقاف»، وقد وافقهم الجميع، ثم أخذوا أمراً من القاضي «محمد بن علي الخزان» حاكم القضاء، هذا نصه:

(نأمر المذكورين المحررة أسماؤهم بالعزم بمعية الولدين: محمد علي الغيلي، وأحمد الأمين لهدم مشهد «الصوفرة» ليزول الاعتقاد والفساد لدى العوام، وفي ذلك عمل صالح تخدمون به الإسلام والعقيدة الحقة، اعتمدوا هذا.

**١١/شعبان سنة ١٣٩٤هـ**

**حاكم القضاء**

**محمد بن علي الخزان)**

وذكر أسماء المكلفين بذلك، وقد نفذت العملية صبيحة يوم الرابع عشر من شعبان عام (١٣٩٤هـ) وذلك من قبل الشباب المذكورين، ومعهم عدد من الجنود المسلحين، ولم يحدث شيء يذكر من فتنة ولا غيرها ثم قضي على بقية المشاهد في المنطقة، والحمد لله رب العالمين.

هذا ملخص ما حكاه الشيخ محمد الغيلي حفظه الله، وصورة أمر القاضي موجودة لدي.

وإليك مثالاً ثانياً على المواجهة العملية للقبورية في اليمن من محافظة شبوة حيث قام مجموعة من المهاجرين إلى الحجاز الذين جالسوا علماء مكة والمدينة وعرفوا منهم الحق في موضوع القبورية؛ قاموا بعمل ملفت حيث اتفقوا مع الشيخ الجليل والداعية المعروف الشيخ محمد بن عبد الوهاب البناء المصري أحد أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية، والذي كان مقيماً في المدينة حيناً وفي مكة حيناً آخر، اتفقوا أن يصحبوه إلى بلادهم للدعوة إلى الله ﷻ ونشر السنة والتوحيد وإصلاح ما أفسدته القبورية، فارتحل معهم وذلك قبيل استقلال البلد عن الاستعمار البريطاني بقليل، حتى وصلوا إلى بلادهم والتي كانت تسمى «سلطنة الواحدي» ومكثوا مدة طويلة فيها، يدعو الشيخ ويعلم الناس، وتلك المجموعة تناصره وتحميه، وقد اتصل بالمسؤولين والعلماء وكبار الناس في المنطقة، وكان لدعوته أثر طيب، منه قيام أولئك النفر ومن تأثر بهم بهدم بعض القباب والمشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة، ومنها القبر المزعوم والمنسوب إلى من قالوا: إنه النبي (دانيال بن هادون بن هود)، ولا أدري كيف أجازوا إضافة نبي لم يخبر به كتاب ولا سنة ولا أثر صحيح! المهم اكتُشف القبر ورسخ في عقول ونفوس الناس أنه قبر هذا النبي «المزعوم»، فصار مشهداً تقام له زيارة سنوية في رجب، وتحصل فيها اجتماعات وكرامات، هذا القبر الذي فتن الناس به، هدمه أولئك الرجال جزاهم الله خيراً[(١)].

ومن العجب ـ وكل أمر القبورية عجب ـ أن بعض الإخوة الذين عاصروا هدم ذلك القبر أخبرني أنه عندما هدمت القبة، وأزيل ما على القبر لم يوجد به أي قبر وإنما وجدوا صفاة صماء لا حفر فيها ولا أي أثر يدل على أنه قد دفن فيه أحد.

**ومثال ثالث** أخير على المواجهة العملية وهو من محافظة عدن، وهي الحادثة التي كان من نتائجها تسوية القبور المشرفة، وهدم القباب المرتفعة، وتحطيم

---

(١) انظر: «ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان»، تأليف السيد محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الحوت المحضار، لم تذكر له دار نشر وتاريخ ص(٣٣).

التوابيت التي على قبور من يدعون أنهم أولياء، فيفتتن بهم عامة المسلمين، تلك الحادثة وقعت في عدن عقب انتهاء حرب الانفصال في عام (١٤١٥هـ) والتي قام بها مجموعة كبيرة من شباب الصحوة من سائر فصائل العمل الإسلامي، بعد أن رتبوا أو على الأقل أبلغوا الجهات الأمنية ولم تجد معارضة لفعلهم، غير أنه وبعد يومين من بداية الحملة انعكس توجه الحكومة ـ ويبدو أن ذلك كان تحت ضغوط داخلية وخارجية كبيرة ـ وبدأوا يلاحقون الشباب الذين شاركوا في تلك الحملة، وزجوا بمجموعة كبيرة منهم في السجون، وقد ضخمت تلك الحادثة في وسائل الإعلام تضخيماً كبيراً، ووصف القائمون بذلك العمل بشتى الأوصاف القبيحة من إرهابيين ومجرمين وجبناء وغير ذلك، وكان من نتيجة ذلك هدم قبة الهاشمي وتسوية ما بداخلها من القبور المشرفة، وكذلك قبة العثماني وكلاهما في الشيخ عثمان، وتحطيم تابوت العيدروس وما بجواره من القبور المشرفة وعددها حوالى اثني عشر قبراً، ثم إخراج القبور من المساجد وهي: قبر العراقي من مسجد حسين، وقبر مجاور للمسجد، وقبر المهدلي، وقبر حسين الأهدل، وقبر في مسجد العلوي بالقطيع، وقبر الحامد من مسجد بالزعفران، وتسوية قبر أو قبرين بـ(صيرة).

وربما كان هناك أخطاء في تلك الحملة قبل البدء فيها حيث لم ينظر بدقة إلى عواقب الأمر، وما سيترتب على ذلك العمل من نتائج وفي ظل أجواء مشحونة بالتوتر، ووجود فئات مهزومة لم يبقَ لها إلا سلاح الدعاية والإشاعات الخبيثة، وتوجه إعلامي كامل نحو اليمن إثر الحرب التي انتهت قبل أيام.

كما حصل أثناء الحملة بعض الأخطاء، مثل: الحفر عن بعض القبور، وإخراج جثث الموتى منها، ولا أدري في أي مكان دفنت بعد ذلك، فهذه بعض المفاسد وهي طفيفة، وأما المصالح فكانت كثيرة فمنها: امتثال أمر النبي ﷺ الخاص بتسوية القبور المشرفة، ومنها: إزالة أماكن المنكر والفتنة التي يضل بها فئات من الناس كل حين، ومنها: إقامة البرهان على كذب الدعاوى العريضة التي كان سدنة تلك المشاهد يرددونها حول الكرامات الخارقة التي يزعمونها لأولئك الأولياء، ومنها: هذه الكرامة التي ينسبونها للعيدروس حيث يقولون: (إن القطب أبا بكر العيدروس كان يمازح الولي الشهير سعد السويني، والعيدروس بعدن، والسويني بحضرموت، إذ ضجر السويني من ممازحة العيدروس، فرماه بمسواكه فأقبل المسواك «كالصاروخ سكود» فاكتشفه العيدروس وأمر طلابه بأن يخفضوا رؤوسهم حتى لا يصيبهم، ولكن المسواك ارتفع عن المسجد ومن فيه ووقع في الجبل القريب منهم

فأحدث فتحة كبيرة، لا تزال موجودة إلى اليوم)، هكذا يقولون للسذج من الناس ويصدقهم الكثير منهم، ويلغون عقولهم فلا يفكرون في إمكانية ذلك من عدم إمكانيته، فلما كسر التابوت وحطم أجزاء من المباني حوله بل وحفر القبر ورفع الرفات المتبقي من تلك الجثة، أيقن العقلاء أن ذلك هراء ودجل صريح، فهذه الفائدة كبيرة جداً، وإن كان بعض المخدوعين ما زالوا يعتقدون بتصرف العيدروس في الكون حياً وميتاً، ولم يعدم السدنة والمضللون من القبورية حيلاً يبررون بها ما جرى، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ولعمري لقد أدى أولئك الشباب واجباً، وقاموا بفرض تخلى عنه الآخرون، فجزاهم الله خير الجزاء، وغفر لهم ما فيه من أخطاء.

ولقد تباينت ردود الأفعال كثيراً حول تلك الحادثة، وقال كلٌّ بما أراد أن يقول، إما عن اجتهاد أو هوى، وقد صدرت على إثر ذلك الحادث بيانات وكتبت مقالات، كان الغالب عليها مراعاة الحالة السياسية والوضع الذي تمر به البلاد والتأثر بما قامت به وسائل الإعلام العالمية من هجوم ضد منفذي هذه العملية، ولم أر من تلك البيانات والمقالات أكثر تجرداً، ولا أوضح تناولاً، ولا أنصح من بيان العلماء الذي سبق نقله في المبحث الثالث من هذا الفصل؛ لأن الموقعين عليه من العلماء العاملين والدعاة المخلصين والمتجردين من الضغوط والأهواء المختلفة، فهو بحق يمثل الموقف الشرعي الصحيح إزاء ذلك الحادث، ويعتمد على الأدلة الصحيحة والبراهين الناصعة، فجزى الله من أصدره خير الجزاء.





# الخاتمة

الحمد لله الذي أتم عليَّ نعمه، ووالى عليَّ مننه، وأعانني فأكملت هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن أنال بها رضاه، وأن يكون البحث نافعاً محققاً للغرض منه، وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج أهمها:

١ ـ أن بني آدم كانوا على التوحيد الكامل حتى طرأ عليهم الشرك وذلك بالغلو في الصالحين ولم يعرف شرك في البشرية قبل ذلك.

٢ ـ أن اليهود والنصارى واليونان كانوا قبورية متعلقين بالقبور معظمين لها معتقدين فيها عقائد باطلة، وقد أخبر الرسول ﷺ أن هذه الأمة ستتبعهم في ذلك.

٣ ـ أن العرب كانوا موحدين على ملة أبيهم إبراهيم، حتى حرفهم عمرو بن لحي الخزاعي، وكان من أسباب انحرافهم الغلو في بعض البشر، كما حصل عندما أحبوا (اللات) وعظموا موضعه، ثم اتخذوه إلهاً، وبالغلو في آثار الأنبياء حتى عظموا الحرم وحملوا حجارته معهم تعظيماً له، ثم إنهم عبدوا تلك الأحجار بعد مدة.

٤ ـ أن الشرك بعد ذلك عمّ جزيرة العرب والعالم كله حتى مقتهم الله تعالى إلا بقايا من أهل الكتاب ومعهم عدد قليل من حنفاء العرب.

٥ ـ أن رسول الله ﷺ لم يمت إلا وقد طهّر الجزيرة العربية من الشرك وعلّم أمته طرق حماية التوحيد وحذرهم من الشرك ووسائله أبلغ تحذير.

٦ ـ أن القرون المفضلة كانت خالية من جميع مظاهر القبورية، وأن الصحابة والتابعين وأتباعهم من علماء وأمراء عملوا على إزالة أي مظهر من مظاهر القبورية المتمثلة في البناء على القبور، وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم حتى إن الخلفاء والأمراء كانوا يتولون ذلك بأنفسهم أو بوكلائهم، وأن ما يستدل به القبورية على وجود مبانٍ وقبور مرتفعة في ذلك الوقت إنما هو مجرد شبه لا وزن لها.

٧ ـ أن الشيعة كانوا يحاولون منذ زمن مبكر إنشاء مبانٍ على قبر الحسين رضي الله عنه وإقامة مراسيم بدعية له، ولكن الخلفاء كانوا يمنعونهم من ذلك، ويشددون في المنع، ويزيلون ما يحدث في حين الغفلة، وأن ذلك كان بدافع الحرص على منع

الابتداع في الدين وليس كما يقول الرافضة بسبب بغض الحسين وأهل بيته.

٨ ـ أن الشيعة الغالية من رافضة وإسماعيلية وباطنية هم الذين أنشأوا المظاهر القبورية في العالم الإسلامي ضمن بدع كثيرة ابتدعوها حينما حكموا بلاد المسلمين أواخر القرن الثالث وسائر القرن الرابع وبعض الخامس، وأن تلك المظاهر قد ألفها المسلمون منذ ذلك الحين، ولذلك فإن الدول السنّية التي جاءت بعدهم قد قلدتهم في ذلك ونشرت تلك المظاهر في البلاد التي لم تصلها الدولة الشيعية.

٩ ـ أن الصوفية المتأخرة القائمة على الفلسفة هي نبتة غريبة في الإسلام ولا علاقة لها بالزهد الذي حث الشرع عليه، وليس لها قدوة من صحابي أو تابعي أو إمام معتبر من أئمة المسلمين.

١٠ ـ لقد أخذت باطنية الشيعة جملة من العقائد عن الفلاسفة وغيرهم من الأمم الكافرة وطبقتها على أئمتها وصاغتها صياغة تناسب ملتها ثم نشرتها بين أتباعها وحملتهم عليها. ثم إن المتأخرين من الصوفية أخذوا ذلك عنهم ودمجوه في منهجهم وعملوا به واعتقدوه، ومن ذلك عقيدة القطبية والتصرف في الكون التي انبثقت عنها معظم العقائد الضالة في الأولياء والكرامات.

١١ ـ كما أخذت الباطنية الشيعية والصوفية بعلّة الزيارة التي قررها الفلاسفة وأصبحوا يزورون القبور بمقتضاها لا بمقتضى العلة الشرعية التي علّمها رسول الله ﷺ لأمته، وتلك العلة المأخوذة عن الفلاسفة هي الاستشفاع والاستمداد من أرواح الأموات المزورين واعتقاد أنها تمد من استمد منها.

١٢ ـ أن الصوفية الغالية الحريصة على إظهار الخوارق وعدّها كرامات تدل على ولاية من جرت على يديه قد أخذوا بعدد من علوم السحر واستخدموها ونشروها في الأمة، ومنهم من كان يعاني أنواعاً من الرياضات للوصول للكشف وخرق العادة على طريقة سحرة الهند وغيرهم.

١٣ ـ ليس ما ذكرته عن الصوفية منطبقاً على كل من انتمى إليهم أو وصف بولاية منهم، بل ممن نسب إليهم مَن هو بريء مما نسب إليه، وهناك من اعتقد عقائدهم وعمل ببدعهم تقليداً لهم وإحساناً للظن بهم، فهؤلاء أمرُهم إلى الله، وأما ما نُسب إليهم من ذلك فهو باطل وانحراف وهو إدانة للمنهج الصوفي ودليل على بطلانه؛ لأن الصوفية هم الذين نسبوا ذلك إلى شيوخهم ونشروه مرتضين له، بل يعدّونه من أعظم فضائلهم.

١٤ ـ أثبتت هذه الدراسة أن أهل اليمن كانوا على منهاج السلف الصالح في عقيدتهم وأحكامهم، وأن مصادر علمهم هي كتب السنة قبل دخول الكتب الفقهية والمذاهب المختلفة وكتب الفرق المخالفة لذلك المنهج، وأن منهج السلف الصالح ظل قائماً حتى بداية القرن الثامن في البلاد الشافعية وأنه ما كاد يغلب على تلك البلاد المذهب الأشعري حتى قام منهج السلف الصالح في البلاد الزيدية على يد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وأتباعه، وهذا المنهج ما زال قائماً إلى اليوم والحمد لله.

١٥ ـ كما عرفنا أن جميع المذاهب المخالفة لمذهب السلف الصالح إنما هي وافدة على اليمن وليست أصيلة فيه، وأن الصوفية القبورية لم تعرف بفلسفتها المبتدعة في اليمن إلا منذ القرن السادس ولم تستقر ولم تنتشر إلا في القرن السابع.

١٦ ـ أن جميع ما لدى صوفية العالم الإسلامي من عقائد ضالة وبدع باطلة ومخالفات ظاهرة أو خفية أو دعاوى وشطح؛ كل ذلك قد قلدهم فيه صوفية اليمن في وقت ما أو مكان ما.

١٧ ـ كما أظهرت الدراسة أن لسلاطين اليمن السنيين وأئمته الزيديين دوراً كبيراً في نشر القبورية وتعميقها في البلاد.

١٨ ـ كما أظهرت الدراسة أن لوجود القبورية وانتشارها آثاراً سيئة كثيرة منها:

أ ـ إفساد عقائد كثير من الناس بالشرك الأكبر والأصغر لتعلقهم بالأولياء وإيهامهم أنهم يمدون من استمد منهم، ويعطون من دعاهم، وينفعونهم ويضرونهم بما لا يقدر عليه إلا الله.

ب ـ نشر الخرافة في الأمة حتى أصبحت جزءاً من حياتها.

ج ـ نشر السحر واستخدامه باسم الكرامة والولاية، حتى أصبحت تقرأ عن أولياء يوصفون بأوصاف جليلة جداً، وتنسب إليهم كرامات عظيمة، وربما في نفس الترجمة يوصف بأنه يتقن علم أسرار الحروف والأوفاق والرمل وما أشبه ذلك، ويتصرف بها وهي من علوم السحر والكهانة مما يجعل الباحث في شك كبير من غالب أولئك الأولياء وتلك الكرامات لاختلاط الكرامة بالسحر والكهانة وعدم التقيد في صفة الأولياء بالضوابط الشرعية.

د ـ كما أنه ترتب على ذلك نقص العلم الشرعي وتجهيل الأمة وحصر التعلم في فئات محدودة.

هـ ـ وترتب على ذلك أيضاً وجود تمايز طبقي وترفّع بعض الفئات على بعض مما كان له نتائج سيئة على المجتمع.

١٩ ـ واجه علماء اليمن القبورية وتصدوا لها رغم ما كانت تقوم به من أساليب كثيرة لمواجهة هؤلاء العلماء، منها اللجوء إلى السلطان، وتسخير القبائل لضرب من ينازعها واستخدام الاختراق والاحتواء والتشويه للخصم، وقد يصل الأمر إلى التصفية الجسدية أو الضرب المبرح.

٢٠ ـ لعلماء اليمن مؤلفات قيمة نافعة في مواجهة القبورية كتبها علماء من سائر الجهات اليمنية.

٢١ ـ لقد كان لحركات التجديد السنية أثرها البالغ على القبورية في اليمن من حيث كبح جماحها، وتبصير الناس بمعايبها، وصدهم عن متابعتها، والحركات التي كان لها بالغ الأثر هي مدرسة التجديد والاجتهاد التي ابتدأها ابن الوزير وتبعه عليها ابن الأمير والشوكاني وغيرهم من علماء اليمن، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، ودعوة الإرشاد بإندونيسيا، وقد ترتب على ظهور هذه الدعوات هدم الكثير من المشاهد والقباب المقامة على أضرحة الأئمة والأولياء في فترات مختلفة.

هذه أهم النتائج التي خرجت بها، ولا شك أن هناك فوائد ونتائج أخرى سيلمسها القارئ من خلال مطالعته لهذه الرسالة، أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه، سالمة من الأغراض والأهواء، نافعة لي ولإخواني المسلمين إنه سميع مجيب، والحمد لله أولاً وآخراً.



# الفهارس العامة

# فهرس الآيات

# فهرس الأحاديث

# فهرس الآثار

# فهرس الأعلام المترجمين

# فهرس المصادر والمراجع

١ ـ أئمة العلم المجتهدون في اليمن: للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع، مصفوف بالكمبيوتر، تحت الطبع.

٢ ـ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز: أحمد بن المبارك، طبع المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ.

٣ ـ إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع بحضرموت: عبد الخالق بن عبد الله بن صالح البطاطي، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٤ ـ الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية: زين العابدين بن عبد الرحمٰن الجفري العلوي، ط. الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥ ـ أحكام الجنائز: محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الرابعة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦ ـ الإحكام شرح عمدة الأحكام: ابن دقيق العيد، طبع المكتبة السلفية، ١٤٠٩هـ.

٧ ـ إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور: أحمد عبد الله الصديق الغماري، نشر مكتبة القاهرة، ط. الثانية ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٨ ـ أخبار المدينة النبوية: عمر بن شبة، الطبعة التي علق عليها عبد الله الدويش، دار العليان، بريدة، ط. الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٩ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: محمد بن عبد الله الأزرقي، ت. رشدي صالح ملحس، ط. الثامنة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٠ ـ إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت: عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف، قام بنشره على حلقات في مجلة العرب حمد الجاسر ثم جمع في كتاب مصور.

١١ ـ أدب الطلب ومنتهى الأرب: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، سنة ١٩٧٩م.

١٢ ـ أدوار التاريخ الحضرمي: محمد بن أحمد الشاطري، طبع عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٣ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد القسطلاني، طبع دار إحياء التراث، بدون تاريخ.

١٤ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٥ ـ الأزهار في فقه الأئمة الأطهار: للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى مع شرحه السيل الجرار، تحقيق محمد إبراهيم زايد، طبع دار المكتبة العلمية ببيروت، ط. الأولى الكاملة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٥م.
١٦ ـ أسباب هلاك الأمم: محمد سعيد باباسيلا، ضمن إصدارات الحكمة ببريطانيا، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
١٧ ـ الإسماعيلية تاريخ وعقائد: إحسان إلهي ظهير، نشر إدارة ترجمان السنّة، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٨ ـ الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية: عبد الله بن محمد بن سالم باكثير الكندي، طبع مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط. الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
١٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٠ ـ إصلاح المجتمع: محمد بن سالم البيحاني، طبع مؤسسة طيبة الخيرية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٢١ ـ الأصنام: هشام بن محمد السائب الكلبي، ت. أحمد زكي، مصور عن مطبعة دار الكتب، سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
٢٢ ـ أصول الإسماعيلية: د. سليمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
٢٣ ـ أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية: عرض ونقد د. ناصر عبد الله علي القفاري، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣، وط. الثانية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٤ ـ الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي وحتى نهاية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي: د. علي سعيد سيف، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٥ ـ الأضواء البهية على بعض العادات الحضرمية: أحمد بن علي برعود، من إصدارات معهد القرآن والعلوم الشرعية بالغيل حضرموت، ط. الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٢م.
٢٦ ـ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، طبع عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.
٢٧ ـ الأعلام: لخير الدين الزركلي، طبع دار الملايين، بيروت، ط. الثانية عشر، ١٩٩٧م.

٢٨ ـ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: عمر بن علي البزار، ت. زهير الشاويش، طبع المكتب الإسلامي ببيروت، ط. الثانية، ١٣٩٦هـ.
٢٩ ـ أعلام المؤلفين الزيدية: عبد السلام بن عباس الوجيه، طبع مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٣٠ ـ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: عبد الحي بن فخر الدين الحسني، طبع دار ابن حزم، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٣١ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت. محمد حامد الفقي، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٣٢ ـ الإكليل: للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، ت. محمد بن علي الأكوع، مطبعة السنّة المحمدية بالقاهرة، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.
٣٣ ـ الأم: محمد بن إدريس الشافعي، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٣٤ ـ الإمامة وخطرها على وحدة اليمن: محمد محمود الزبيري، طبع دار الكلمة، صنعاء، الطبعة بدون تاريخ.
٣٥ ـ أنباء الزمان في من رحل من علماء بيحان خلال قرنين من الزمان: عبد الله عبد القادر العليمي باوزير، ط. الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٦ ـ الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف: ت. مجموعة من طلاب العلم بإشراف الشيخ حسن بن علي حسين، ط. الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٣٧ ـ الأنموذج اللطيف في مناقب الغوث: محمد بن علي باعلوي مع «البرقة المشيقة» لعلي بن أبي بكر السكران، طبع بمصر، ١٣٤٧هـ.
٣٨ ـ الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت: عبد الله سعيد سليمان الجعيدي، دار الثقافة العربية، جامعة عدن، ط. الأولى، ٢٠٠١م.
٣٩ ـ أوهام العوام: كتيب مخطوط لأحد طلّاب العلم.
٤٠ ـ ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنّة النبوية: علي بن علي الحربي، مكتبة عبد الله علي عامر، مكة المكرمة، ط. الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٤١ ـ الاستغاثة في الرد على البكري: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت. عبد الله بن دجين السهلي، دار الوطن، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٤٢ ـ الاستقامة: تقي الدين أحمد بن تيمية، ت. عبد الله بن دجين السهيلي، ط. الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض.
٤٣ ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب: يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤٤ ـ اصطلاحات الصوفية: د. عبد الحميد صالح حميدان، طبع مطبعة مدبولي، ط. الأولى، ١٩٩٩م.

٤٥ ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار: محمد بن موسى الحازمي، ت. عبد المعطي قلعجي، نشر جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م.

٤٦ ـ افتتاح الدعوة: القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي، طبع دار الأضواء، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٧ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤٨ ـ الانتصار في الرد على القدرية الأشرار: يحيى بن أبي الخير العمراني، ت. سعود بن عبد العزيز الخلف، طبع دار أضواء السلف بالرياض، ط. الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٤٩ ـ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، طبع دار طيبة، مكة المكرمة، ودار آل عمار، الشارقة، ط. الثانية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٠ ـ الباعث على إنكار البدع والحوادث: عبد الرحمٰن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي، طبع دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥١ ـ البحر الزخّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار: تأليف أحمد بن يحيى المرتضى، طبع دار الحكمة اليمانية، صنعاء، تصوير عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، عن ط١، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.

٥٢ ـ بداية الهداية: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٣ ـ البداية والنهاية: عماد الدين بن كثير، طبع دار المعرفة، بيروت، ط. السادسة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥٤ ـ البدر الطالع: محمد بن علي الشوكاني، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٥٥ ـ بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هود: عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله العيدروس، طبع بالمطبعة الفيضية الكائنة، بحيدرأباد، عام ١٣٢٨هـ.

٥٦ ـ البرقة المشيقة في لباس الخرقة الأنيقة: علي بن أبي بكر السكران، طبع في مصر، سنة ١٣٤٧هـ.

٥٧ ـ بطلان عقائد الشيعة: محمد عبد الستار التونسوي، ١٤٠٨هـ.
٥٨ ـ بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين: جمع عبد الرحمٰن بن محمد المشهور باعلوي، طبعة دار الفكر، بدون تاريخ.
٥٩ ـ بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام: حسين بن أحمد العرشي، طبع إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.
٦٠ ـ البناء على القبور: عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي، ت. حاكم بن عبيسان المطيري، طبع دار أطلس، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٦١ ـ البيان في مذهب الإمام الشافعي: أبو الحسن يحيى بن أبي الخير العمراني الشافعي، اعتنى به قاسم بن محمد النووي، طبع دار المنهاج، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
٦٢ ـ تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطاس: علي بن حسن العطاس، طبع في مطبعة منارة قدس، أندونيسيا، ط. الأولى، بدون تاريخ.
٦٣ ـ تاريخ الإرشاد في أندونيسيا: صلاح عبد القادر البكري، نشر الإدارة المركزية لجمعية الإرشاد الإسلامية، جاكرتا، أندونيسيا، ط. الثانية، ١٩٩٢م.
٦٤ ـ تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، طبع دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٦٥ ـ تاريخ التصوف الإسلامي: د. عبد الرحمٰن بدوي، طبع وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٩٣م.
٦٦ ـ تاريخ ثغر عدن: ت. علي حسن عبد الحميد، طبع دار الجيل، بيروت، ودار عمان، الأردن.
٦٧ ـ تاريخ حضرموت: صالح بن علي الحامد، نشر مكتبة الإرشاد بجدة، بدون تاريخ.
٦٨ ـ تاريخ حضرموت السياسي: صلاح البكري، دار الآفاق العربية، ط. الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
٦٩ ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة، مصر، ط. الأولى، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
٧٠ ـ تاريخ الدعوة الإسماعيلية: د. مصطفى غالب، طبع دار الأندلس، بيروت، ط. الثانية.
٧١ ـ تاريخ الدولة الكثيرية: محمد بن هاشم، طبع على نفقة الخاصة السلطانية، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م.
٧٢ ـ تاريخ الشعراء الحضرميين: عبد الله بن محمد السقاف، الناشر مكتبة المعارف، الطائف، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ.
٧٣ ـ تاريخ الشيعة: محمد حسين مظفر، طبع دار الزهراء، بيروت، بدون تاريخ.

٧٤ ـ تاريخ صنعاء: إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني، ت. عبد الله الحبشي، وطبع مكتبة السنحاني بصنعاء، بدون تاريخ.

٧٥ ـ تاريخ كربلاء: د. عبد الجواد الكيلدار، طبع مدبولي الصغير، القاهرة، بدون تاريخ.

٧٦ ـ تاريخ مدينة صنعاء: للرازي، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، طبعة دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط. الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٧٧ ـ تاريخ النور السافر في أخبار القرن العاشر: عبد القادر بن شيخ العيدروس، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٧٨ ـ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: محمد ناصر الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٣٩٨هـ.

٧٩ ـ تحفة الزمن من تاريخ سادات اليمن: حسين بن عبد الرحمٰن الأهدل، مخطوط.

٨٠ ـ تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: العراقي، ابن السبكي، الزبيدي، استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، طبع دار العاصمة بالرياض، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٨١ ـ تذكرة الحفاظ: محمد بن عثمان الذهبي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٨٢ ـ التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار: عماد الدين الواسطي، ت. عبد الرحمٰن الفريوائي، طبع دار العاصمة بالرياض، ط. الثانية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٨٣ ـ تذكير الناس بما وجد من المسائل الفقهية وما يتعلق بها في مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس: جمعه أبو بكر الحبشي، مطبعة حسان، القاهرة، بدون تاريخ.

٨٤ ـ التصوف بين الحق والخلق: محمد فهر شقفة، طبع الدار السلفية بالكويت، ط. الثالثة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٥ ـ تطهير الاعتقاد ضمن مجموعة رسائل في التوحيد: قام على طبعها القاضي عبد الرحمٰن بن يحيى الإرياني، طبع دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٦ ـ التصوف في تهامة: محمد بن أحمد العقيلي، ط. الثاني، بدون تاريخ.

٨٧ ـ تطهير الفؤاد من سيئ الاعتقاد: عبد الله عوض بكير، مخطوط، تحت التحقيق.

٨٨ ـ التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٨٩ ـ تعليقات الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على كتاب التوحيد: لمحمد عبد الوهاب، طبع دار السلام، الرياض، ١٤١٣هـ.

٩٠ ـ تفسير القرآن العظيم: عماد الدين بن كثير، تخريج مقبل الوادعي، دار الراية للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، والطبعة الأخرى طبعة دار الشعب بالقاهرة ذات الثمانية مجلدات.

٩١ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا، طبع دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية، بدون تاريخ.

٩٢ ـ تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: محمد أحمد لوح، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٩٣ ـ تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الرسول ﷺ: أحمد زيني دحلان، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٩٤ ـ تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت. أبو الأشبال صغير أحمد شاغف، نشر دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.

٩٥ ـ تلبيس إبليس: عبد الرحمٰن ابن الجوزي، ت. عصام فارس الحرستاني، خرّج أحاديثه محمد الزغلي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٩٦ ـ التلخيص الشافي من تاريخ آل طه بن عمر الصافي: تأليف علوي بن عبد الله بن حسين السقاف، سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٩٧ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد البر القرطبي، ت. سعيد أحمد أعراب، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٩٨ ـ التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٩٩ ـ تهذيب الأسماء واللغات: يحيى بن شرف النووي، طبع دار ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٠٠ ـ التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، ت.د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق، ط. ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٠١ ـ تيارات المعتزلة في اليمن في القرن السادس الهجري: د. علي محمد زيد، طبع المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ط. الأولى، ١٩٩٧م.

١٠٢ ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ: المبارك بن محمد بن الأثير، ت. عبد القادر الأرناؤوط، طبع دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠٣ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٠٤ ـ جامع العلوم والحكم: أبو الفرج عبد الرحمٰن بن شهاب بن رجب الحنبلي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠٥ ـ الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الطبعة ذات العشرين جزءاً، بدون تاريخ.

١٠٦ ـ الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية: محمد عزيز شمس وعلي العمران، طبع دار عالم الفوائد، مكة، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٠٧ ـ الجرح والتعديل: عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية بحيدرآباد، الدكن، الهند، ط. الأولى، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م.

١٠٨ ـ الجزء اللطيف في التحكيم الشريف: أبو بكر بن عبد الله العيدروس العدني، ضمن المجموعة العيدروسية، بدون تاريخ.

١٠٩ ـ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: نعمان خير الدين الألوسي، طبع مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، بدون تاريخ.

١١٠ ـ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية: د. شمس الدين السلفي الأفغاني، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١١١ ـ جواهر تاريخ الأحقاف: محمد بن علي بن عوض باحنان، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

١١٢ ـ الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر: عبد الله بن أحمد بن عبد الله الهدار، دار الفكر الحديث للطباعة، بيروت، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

١١٣ ـ الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب وكرامات السادة الأشراف: عبد الرحمٰن بن محمد الخطيب الأنصاري، مخطوط.

١١٤ ـ الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية: أبو الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي، مخطوط، مصوّر، نشر دار أسامة، على نفقة السيد يوسف ابن السيد محمد الحسني.

١١٥ ـ الحديث والمحدثون في اليمن في عصر الصحابة: د. عبد الله بن بجاش الحميري، طبع مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١٦ ـ حقائق عن التصوف: عبد القادر عيسى، طبع مكتبة دار الفرقان، حلب، ط. الخامسة، ١٤١٤هـ.

١١٧ ـ الحوادث والبدع: محمد بن الوليد الطرطوشي، طبع دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١١٨ ـ حوليات يمانية أو اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي: ت. عبد الله محمد الحبشي، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والإعلان، ط. ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١١٩ ـ خانقاوات الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية: د. عاصم محمد رزق، طبع مكتبة مدبولي، القاهرة، ط. الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
١٢٠ ـ الخضر في الفكر الصوفي: عبد الرحمٰن عبد الخالق، طبع الدار السلفية، الكويت، بدون تاريخ.
١٢١ ـ الخطط المقريزية المسماة بـ (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار): أحمد بن علي المقريزي، ت. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٧م.
١٢٢ ـ الدارس في تاريخ المدارس: عبد القادر محمد النعيمي الدمشقي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٠هـ.
١٢٣ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٢٤ ـ الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود: فهمي بن علي بن عبيدون التريمي، طبع دار الفقيه للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٤١٩هـ.
١٢٥ ـ الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم: عبد الله بن علوي الحداد، طبع مطبعة المدني بالقاهرة، سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
١٢٦ ـ الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد: محمد بن علي الشوكاني، طبع دار ابن خزيمة، ط. الأولى، ١٤١٤هـ.
١٢٧ ـ الدرر الكامنة: أحمد بن علي بن حجر، طبع دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٢٨ ـ دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عبد الله محمد بن عبد اللطيف، طبع دار الوطن، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.
١٢٩ ـ دعوة الخلف إلى طريقة السلف: محمد بن علي بافضل، طبع مطابع النصر الحديثة بالرياض، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
١٣٠ ـ دلائل النبوة: أحمد بن حسين البيهقي، ت. عبد المعطي قلعجي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٣١ ـ دليل الزائر إلى العتبات المقدسة في العراق: محمد الشهيد، طبع مؤسسة سيد الشهداء، ط. الأولى، بيروت، ١٤١٩هـ.
١٣٢ ـ دمعة على التوحيد: إصدار المنتدى الإسلامي، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٣٣ ـ ديوان ابن الأمير الصنعاني: طبع منشورات المدينة، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

١٣٤ ـ ديوان ابن شهاب: أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب الدين، مكتبة التراث الإسلامي، دار التراث اليمني، ط. الثانية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
١٣٥ ـ ديوان ابن عبيد الله، مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة، بدون تاريخ.
١٣٦ ـ ذكريات الشوكاني: ت.د. صالح رمضان محمود، طبع دار العودة، ١٩٨٣م.
١٣٧ ـ رجال وكتب: علي سالم سعيد بكير، طبع دار حضرموت للدراسات والنشر، بدون تاريخ.
١٣٨ ـ رحلة ابن بطوطة، طبع دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
١٣٩ ـ الرحلة الدوعنية، مخطوط، مصوّر.
١٤٠ ـ الرحلة المكية: جمع محمد بن عوض بافضل، مخطوط، مصوّر.
١٤١ ـ رسالة الدلائل والأخبار في خصائص مدينة ظفار: عبد الله بن جعفر الكثيري ضمن كتاب تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة لسالم بن محمد بن حميد الكندي، طبع الإرشاد، صنعاء، ط. الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١٤٢ ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
١٤٣ ـ رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد والحروف والأوفاق وكم بقي من عمر الدنيا: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ت. مجاهد بن حسن الوصابي، مكتبة دار القدس، صنعاء، ط. ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
١٤٤ ـ رفع البأس ودفع الالتباس عن حكم التابوت والإلباس: عبد القادر الجيلاني بن سالم خرد، طبع دار المهاجر، ط. الأولى، ١٤١٥هـ.
١٤٥ ـ رفع الخمار عن مثالب المزار: عبد الله عوض بكير، ت. فائز بن سعيدان، طبع عام ١٩٩٨م.
١٤٦ ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، طبع دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٤٧ ـ روض الرياحين في حكايات الصالحين: عبد الله بن أسعد اليافعي وبذيله عمدة التحقيق في بشائر الصديق لإبراهيم العبيدي المالكي، نسخة مصورة، بدون تاريخ.
١٤٨ ـ الروضة الندية شرح الدرر البهية: صديق حسن خان، طبع دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٤٩ ـ زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمٰن ابن الجوزي، المكتب الإسلامي بيروت، ط. الثالثة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٥٠ ـ الزهر النضر في نبأ الخضر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ضمن الرسائل المنيرية) عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦هـ.

١٥١ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر: أحمد بن حجر الهيتمي المكي، طبع دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٥٢ ـ زيارات وعادات: عبد القادر محمد الصبان، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، بدون تاريخ.

١٥٣ ـ الزيدية نشأتها ومعتقداتها: إسماعيل بن علي الأكوع، طبع دار الفكر، سورية، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ.

١٥٤ ـ السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج: صدّيق حسن خان، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

١٥٥ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، طبع مكتبة المعارف، الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، وطبع المكتب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٥٦ ـ السلسلة الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥٧ ـ السلوك في طبقات العلماء والملوك: محمد بن يوسف الجندي السكسكي، ت. محمد بن علي الأكوع، طبعة مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط. الثانية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٥٨ ـ السنّة: أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، ت. محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥٩ ـ سنن البيهقي: أحمد بن الحسين البيهقي، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١٦٠ ـ سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، ت. وتعليق أحمد محمد شاكر، أكمل التحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ثم إبراهيم عطوة عوض، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

١٦١ ـ سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٦٢ ـ سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

١٦٣ ـ سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، بعناية عبد الفتاح أبي غدة، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٦٤ ـ السيد البدوي (دراسة نقدية): د. عبد الله صابر، دار الطباعة والنشر الإسلامية، بدون تاريخ.

١٦٥ ـ السيد صديق حسن القنوجي وآراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف: د. أختر جمال لقمان، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٦٦ ـ سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، طبع دار الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٦٧ ـ السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام المعافري، ت. مصطفى السقا وآخرين، مؤسسة علوم القرآن، بدون تاريخ.

١٦٨ ـ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة وتحليل): د. مهدي رزق الله أحمد، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٦٩ ـ سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين: علي بن محمد العلوي، ت. سهيل زكّار، طبع دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٧٠ ـ السيف الباتر لأعناق عباد المقابر: عقيل بن يحيى الأرياني، ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد، الجمهورية اليمنية، وزارة الأعلام والثقافة، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٧١ ـ الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها: علوي بن طاهر الحداد، طبع سنغافورة، ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م.

١٧٢ ـ الشامل في تاريخ المدينة: د. عبد الباسط بدر، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٧٣ ـ شبهة الغلو عند الشيعة: د. عبد الرسول الغفار، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٧٤ ـ شرح التصريح على التلويح: خالد الأزهري، طبع دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

١٧٥ ـ شرح جوهرة التوحيد: إبراهيم بن محمد البيجوري، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٧٦ ـ شرح صحيح مسلم: للإمام النووي، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، بدون تاريخ.

١٧٧ ـ شرح الصدور في تحريم رفع القبور: محمد بن علي الشوكاني ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد، الجمهورية اليمنية، وزارة الأعلام والثقافة، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٧٨ ـ شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي: تحقيق د. عبد الله التركي، شعيب الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٧٩ ـ شرح العينية: نظم عبد الله بن علوي الحداد، شرح أحمد بن زين الحبشي باعلوي، طبع كرجاي المحدودة، بدون تاريخ.

١٨٠ ـ الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة: د. محمد أحمد الخطيب، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، نشر وتوزيع مكتبة الأقصى.

١٨١ ـ شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور: إصدار دار الإفتاء العامة في المملكة العربية السعودية، ت. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، دار العاصمة بالرياض، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٨٢ ـ شفاء الفؤاد: محمد بن علوي المالكي، ط. الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٨٣ ـ الشوكاني (حياته وفكره): عبد الغني قاسم غالب الشرجبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ومكتبة الجيل الجديد، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٨٤ ـ الصارم المنكي في الرد على السبكي: محمد بن أحمد بن عبد الهادي، ت. عقيل بن محمد المقطري، طبع مؤسسة الريان، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٢م.

١٨٥ ـ صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٨٦ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: علي بن بلبان الفارسي، ت. شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٨٧ ـ صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط. الأولى، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١٨٨ ـ صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٨٩ ـ صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٩٠ ـ صحيح سنن ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٩١ ـ صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٩٢ ـ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

١٩٣ ـ صفحات من التاريخ الحضرمي: سعيد عوض باوزير، طبع مكتبة الثقافة، بدون تاريخ.

١٩٤ ـ الصلة بين التصوف والتشيع: د. كامل مصطفى الشبي، دار الأندلس، بيروت، ط. الثالثة، ١٩٨٢م.
١٩٥ ـ الصلة بين الزيدية والمعتزلة: د. أحمد بن عبد الله عارف، طبع المكتبة اليمنية، صنعاء، ودار أزال، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٩٦ ـ الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن منذ سنة ٢٦٨هـ ـ ٦٢٦هـ: حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري بالاشتراك مع د. حسان سلمان الجُهني، تنفيذ دار المختار للطباعة والنشر، دمشق، بدون تاريخ.
١٩٧ ـ الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد: محمد بن علي الشوكاني، ت. محمد صبحي حلاق، دار الهجرة بصنعاء، ط. الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
١٩٨ ـ الصوفية والفقهاء في اليمن: عبد الله محمد الحبشي، توزيع مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
١٩٩ ـ ضعيف الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، طبع دار المعارف بالرياض، ط. الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
٢٠٠ ـ ضعيف الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٠م.
٢٠١ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
٢٠٢ ـ طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص: أحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٠٣ ـ طبقات الصوفية: أبو عبد الرحمٰن محمد بن حسين السلمي، ت. نور الدين بن سريبة، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٠٤ ـ طبقات فقهاء اليمن: عمر بن علي بن سمرة الجعدي، ت. فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.
٢٠٥ ـ الطبقات الكبرى: ابن سعد، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.
٢٠٦ ـ الطبقات الكبرى: عبد الوهاب الشعراني، دار الفكر العربي، شارع جواد حسني، القاهرة، بدون تاريخ.
٢٠٧ ـ ظلال الجنة في تخريج السنّة: محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٠٨ ـ عالم الجن والشياطين: د. عمر سليمان الأشقر، طبع مكتبة الفلاح بالكويت، ط. الرابعة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٠٩ ـ عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام: سليمان بن حمد العودة، نشر دار طيبة بالرياض.

٢١٠ ـ العبر في خبر من غبر: محمد بن عثمان الذهبي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢١١ ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (تاريخ الجبرتي): عبد الرحمٰن الجبرتي، ت. عبد العزيز جمال الدين، الناشر مكتبة مدبولي، بدون تاريخ.
٢١٢ ـ العدة حاشية شرح العمدة: الإمام الصنعاني، طبع المكتبة السلفية، القاهرة، ط. الأولى، ١٣٧٩هـ ـ ط. الثانية ١٤٠٩هـ.
٢١٣ ـ العسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك: علي بن حسن الخزرجي، ط. الثانية، مصورة عن دار الفكر، دمشق، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٢١٤ ـ عقود الألماس بمناقب الحبيب أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس: طبع على نفقة محمد بن سالم بن أحمد العطاس، ١٣٦٢هـ ـ ١٩٤٩م.
٢١٥ ـ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: علي بن الحسن الخزرجي، ت. محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢١٦ ـ العقيدة الطحاوية بتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بدون تاريخ.
٢١٧ ـ العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ: صالح بن مهدي المقبلي، طبع مكتبة دار البيان، دمشق، بدون تاريخ.
٢١٨ ـ العمارة الإسلامية الخصائص التخطيطية للمقرصنات: د. كامل حيدر، دار الفكر اللبناني، بيروت، بدون تاريخ.
٢١٩ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد: عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.
٢٢٠ ـ عون المعبود بشرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي، طبع المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط. الثانية، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
٢٢١ ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط. الرابعة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٢٢ ـ غرر البهاء الضّوي ودرر الجمال البديع البهي: محمد بن علوي خرد، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ.
٢٢٣ ـ الفتاوى الكبرى: أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، طبع دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٢٤ ـ الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة: أبو بكر بن أحمد الخطيب، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط. الأولى، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م.

٢٢٥ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي العسقلاني، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز، المكتبة السلفية، بدون تاريخ.
٢٢٦ ـ فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، طبع دار الفكر، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٢٧ ـ فتح المجيد في تخريج اختصار تخريج أحاديث التمهيد: محمد بن عبد الرحمٰن المغرواي، طبع مجموعة التحف النفائس، الرياض، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٢٢٨ ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث: محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي، تخريج وتعليق صلاح محمد عويضة، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٢٩ ـ الفتوح (ديوان وكتاب): العارف بالله أحمد بن علوان، ت. عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٩٩٢م.
٢٣٠ ـ الفرائد في قيد الأوابد: عبد الله بن حسن بلفقيه، مصوّر من مخطوطة بمكتبة الأحقاف بتريم.
٢٣١ ـ فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن: عبد الواسع بن يحيى الواسعي، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ط. الثانية، ١٩٩٠م.
٢٣٢ ـ الفرق الصوفية في الإسلام: سبنسر ترمنجهام، ترجمة د. عبد القادر البحراوي، طبع دار النهضة العربية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٧م.
٢٣٣ ـ الفرق بين الفِرق: عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٢٣٤ ـ الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت.د. عبد الرحمٰن عبد الكريم اليحيى، طبع دار الفضيلة ودار ابن حزم، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٢٣٥ ـ الفرقة الباطنية: علوي طه الجمل، مصفوف بالكمبيوتر.
٢٣٦ ـ فضائح الباطنية: محمد بن محمد الغزالي، طبع دار النشر، عمان، الأردن، ط. الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٣٧ ـ الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد: عبد الرحمٰن بن علي الديبع، ت. الدكتور يوسف شُلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٣٨ ـ الفكر الإغريقي: محمد الخطيب، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط. الأولى، ١٩٩٦م.
٢٣٩ ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: محمد الحسين الحجوي، طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
٢٤٠ ـ الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي: سعيد عوض باوزير، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

٢٤١ ـ الفكر والمجتمع في حضرموت: كرامة سليمان بامؤمن، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
٢٤٢ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب، طبع دار الشروق، بيروت، ط. الشرعية الثانية عشرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٤٣ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، طبع دار الفكر، بدون تاريخ.
٢٤٤ ـ القاضي محمد علي الأكوع الحوالي: وزارة الإعلام، الجمهورية اليمنية، عام ٢٠٠٠م.
٢٤٥ ـ القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي، طبع مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٤٦ ـ القبة الخضراء ومحاولات سرقة الجسد الشريف: محمد علي قطب، نشر الدار الثقافية للنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
٢٤٧ ـ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون: عبد الرحمٰن بن علي الديبع الشيباني، ت. محمد بن علي الأكوع، ط. الثانية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٤٨ ـ القضاء في حضرموت في ثلث قرن: عبد الرحمٰن عبد الله بكير، مخطوط، مُعدّ للطبع.
٢٤٩ ـ قطر الولي على حديث الولي: محمد بن علي الشوكاني، ت.د. إبراهيم إبراهيم هلال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٢٥٠ ـ القول المختار فيما لآل العمودي من أخبار: عبد الله أحمد الناخبي، مخطوط، مصوّر.
٢٥١ ـ قيام الدولة الزيدية في اليمن: د. حسن خظيري أحمد، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٦م.
٢٥٢ ـ الكبائر: محمد بن أحمد الذهبي، طبع مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٥٣ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط. الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٥٤ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار: ت. حبيب الرحمٰن الأعظمي، طبع مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٥٥ ـ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة: محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، ت. محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، ط. أولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٥٦ ـ كشف الظنون: حاجي خليفة، طبع دار الفكر، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٥٧ ـ الكشف عن حقيقة الصوفية: تأليف محمود عبد الرؤوف القاسم، طبع المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط. الثانية، ١٤١٣هـ.
٢٥٨ ـ كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خلفهم من المبتدعة وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين: عبد الرحمٰن بن الحسين الأهدل، ت. أحمد بكير، طبع تونس، بدون تاريخ.
٢٥٩ ـ الكشف المبين عن حقيقة القبوريين: أحمد بن حسن المعلم، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٢٦٠ ـ كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية: محسن بن عبد الله السقاف، طبع علي بن عيسى الحداد.
٢٦١ ـ لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، طبع دار الفكر، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٢٦٢ ـ لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر، طبع دار الفكر، بيروت بدون تاريخ.
٢٦٣ ـ لوامع النور: أبو بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور، طبع دار المهاجر، صنعاء، ط. الأولى، ١٤١١هـ.
٢٦٤ ـ الماتريدية: أحمد بن عوض الله بن داخل الحربي، طبع دار العاصمة بالرياض.
٢٦٥ ـ ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان: محمد بن عبد الله بن محمد الحوت المحضار.
٢٦٦ ـ مجلة المنار جزء ١٥، غرة شعبان ١٣٢٣هـ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٠٥م.
٢٦٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط. ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٦٨ ـ المجموع شرح المهذب: يحيى بن شرف النووي، ت. محمد نجيب المطيعي، طبع مكتبة الإرشاد، جدة.
٢٦٩ ـ المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد: د. محمد بن عبد الرحمٰن الخميس، طبع دار أطلس، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٧٠ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع عبد الرحمٰن بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.
٢٧١ ـ مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس: جمع محمد بن سالم بلخير، مخطوط، مصوّر.
٢٧٢ ـ مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس: رواية محمد بن عوض بافضل، مخطوط.
٢٧٣ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن عطية، طبعة الأمير خليفة بن حمد آل ثاني، ط. الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٧م.

٢٧٤ ـ مختصر التحفة الإثني عشرية: محمود شكري الألوسي، تعليق محب الدين الخطيب، نشر الرئاسة العامة للإفتاء والإرشاد، الرياض، سنة ١٤٠٤هـ.
٢٧٥ ـ مختصر تفسير ابن كثير: محمد نسيب الرفاعي، ط. مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
٢٧٦ ـ مختصر صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت. محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط. السادسة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٧٧ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: محمد بن عبد الله بن أسعد اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط. الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٧٨ ـ مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات: للإمام ابن حزم الظاهري، دار ابن حزم، ط. الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٧٩ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ملّا علي القاري، طبع دار الفكر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٨٠ ـ المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، بتعليق وعناية عبد السلام بن محمد عرعلوش.
٢٨١ ـ المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، طبع دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
٢٨٢ ـ المسند: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ت. أحمد محمد شاكر، طبع دار المعارف، مصر، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م.
٢٨٣ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: ت. شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٨٤ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل، طبع المكتب الإسلامي.
٢٨٥ ـ مسند أبي يعلى: أحمد بن علي التميمي، ت. حسين سليم أسد، طبع دار المأمون للتراث، دمشق، ط. أولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٨٦ ـ المشرع الروي: محمد بن أبي بكر الشلّي باعلوي، ط. الأولى، المطبعة المعاصرة الشرقية، بدون تاريخ.
٢٨٧ ـ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء.
٢٨٨ ـ المصنف: عبد الرزاق بن همّام الصنعاني، ت. حبيب الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٨٩ ـ المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، طبع الدار السلفية، الهند، بومبي، ط. الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٩٠ ـ مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية: إدريس محمود إدريس، طبع مكتبة الرشد، الرياض، وشركة الرياض للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٩١ ـ المضنون به على غير أهله: أبو حامد الغزالي ضمن مجموعة رسائل الغزالي، طبع دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٩٢ ـ معارج الألباب في مناهج الحق والصواب: حسين بن مهدي النعمي، ت. محمد حامد الفقي، تخريج علي بن حسن بن عبد الحميد، طبع دار المعرفة، الرياض، ط. الرابعة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٩٣ ـ معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٩٤ ـ معالم الحضارة العربية الإسلامية: د. قصي الحسين، طبع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٩٥ ـ المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، ت. حمدي السلفي، ط. الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٩٦ ـ معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، ت. شهاب الدين أبو عمرو، ط. الثانية، دار الفكر، سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٩٧ ـ المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٩٨ ـ مغناطيس القبول في الوصول إلى سيدنا الرسول محمد ﷺ: حسن محمد شداد بن عمر باعمر، مطبعة الصبّاح، دمشق، بدون تاريخ.

٢٩٩ ـ المغني: موفق الدين ابن قدامة، طبع دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٠٠ ـ مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»: فخر الدين الرازي، طبع دار الكتب العلمية، طهران، ط. الثانية، بدون تاريخ.

٣٠١ ـ المفيد من أخبار صنعاء وزبيد: عمارة بن علي اليمني، طبع دار السعادة بالقاهرة، ط. الثانية، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٣٠٢ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي، دار الهجرة، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٠٣ ـ مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمٰن بن خلدون، طبع دار الفكر، بيروت، وطبع مؤسسة التاريخ العربي، ودار إحياء التراث العربي، ط. الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣٠٤ ـ مقدمة ديوان العيدروس المسمى محجة السالك وحجة الناسك: عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن باوزير ضمن المجموعة العيدروسية، ط. سنة ١٤٠٩هـ.

٣٠٥ ـ الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ت. السعيد المندوة، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط. الثانية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٠٦ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف: محمد بن أبي بكر بن القيم، طبع دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٠٧ ـ منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع دار الهداية للطبع والنشر والترجمة، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٠٨ ـ منهج الأشاعرة في العقيدة: د. سفر بن عبد الرحمٰن الحوالي، طبع مكتبة العلم بالقاهرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٠٩ ـ المنية والأمل في شرح الملل والنحل: أحمد بن يحيى بن مرتضى الحسني، ت.د. محمد جواد مشكور، طبع دار الندى، بيروت، ط. الثانية، ١٤١٠هـ.

٣١٠ ـ المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية: علي أحمد باصبرين، تحقيق أكرم مبارك عصبان، مصفوف بالكمبيوتر عن مخطوطة بمكتبة الأحقاف.

٣١١ ـ الموافقات في أصول الشريعة: إبراهيم بن موسى الشاطبي، بعناية محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٣١٢ ـ مواهب القدوس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية: محمد بن عمر بحرق.

٣١٣ ـ موسوعة العتبات المقدسة: جعفر الخليلي، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣١٤ ـ موضح أوهام الجمع والتفريق: الخطيب البغدادي، ت. عبد المعطي قلعجي، طبع دار المعرفة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣١٥ ـ الموضوعات: عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي، ت. عبد الرحمٰن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣١٦ ـ موقف الإسلام من السحر: أ. حياة سعيد با أخضر، طبع دار المجتمع، جدة، ط. الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣١٧ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد الذهبي، ت. علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣١٨ ـ نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٧٥هـ: محمد بن محمد بن يحيى زبارة الصنعاني: إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الأدب، بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣١٩ ـ النفائس العلوية في المسائل الصوفية: عبد الله بن علوي الحداد، طبع دار الحاوي، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٣٢٠ ـ النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية ويليه تلبية الصوت من الحجاز إلى حضرموت: عمر بن أحمد بن سميط، بدون تاريخ، ولا دار نشر.
٣٢١ ـ النهاية في غريب الحديث: مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، طبع دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٣٢٢ ـ نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار: محمد بن علي الشوكاني، طبع مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ.
٣٢٣ ـ هجر العلم ومعاقله في اليمن: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٢٤ ـ هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد: أحمد بن محمد بن عوض العبادي، بدون تاريخ، ولا دار طباعة.
٣٢٥ ـ هدية العارفين مع كشف الظنون: إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت.
٣٢٦ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، بعناية محمد بدر النعساني، طبع سنة ١٣٢٧هـ.
٣٢٧ ـ وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى: علي بن أحمد السمهودي، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٨٤م.
٣٢٨ ـ اليمن الخضراء مهد الحضارة: محمد بن علي الأكوع، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة، ط. الأولى، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

# فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.. وبعد،

فإن من البلاء العريض الذي وقع في هذه الأمة؛ مع كثرة النصوص المحذرة منه وتنوُّعها، التعلق بالقبور الذي يبدأ بالبناء عليها والتبرُّك بها من دون الله تعالى مما هو من الشرك الأكبر.

ومما يؤسف له تهوين البعض هذا الأمر الخطير، وزعم البعض أنه من الموضوعات والمسائل المنقرضة التي كادت أن تندثر في ظل رقي وحضارة الإنسان المعاصرة، الذي أصبح متعلقاً بمعطيات وتقلبات الحضارة الغربية المادية المعاصرة.

والعجيب أن الواقع المعاصر يشهد بضد ذلك:

١ ـ فها هي أضرحة الأئمة والأولياء ونحوهم مزارات وحج لدى الألوف المؤلفة من أتباعها والمتعلقين بها، ولا تسأل عما يجري في ردهاتها.

٢ ـ والمحطات الفضائية والشبكات العنكبوتية تعظم هذه القبور والمزارات وتزين للناس التعلق بها بل وعبادتها من دون الله.

٣ ـ وهناك دعوات إلى إحياء القبورية حتى في البلاد التي سلّمها الله منها بدعوى حرية الرأي واحترام الآخر ولو كان شركاً صراحاً وكفراً بالله تعالى.

٤ ـ وهناك غبش بل وتدليس إعلامي، يخلط فيها المشروع مع غير المشروع، فمكة حرم، وضريح الوالي أو الإمام فلان حرم، وكل له قدسيته، ولا فرق.

وفي ظل هذه الأحوال المؤسفة والمؤلمة تأتي هذه الرسالة العلمية لاختيار الشيخ الفاضل أحمد بن حسن المعلم.. حول القبورية وخطرها وأثرها وموقف العلماء منها، مع التركيز طرح النماذج والشواهد والأدلة العملية والعلمية من اليمن الشقيق حتى لا يبقى الكلام دعاوي مجردة، وإنما هي الحقائق والدلائل والتوثيق الدقيق، الذي يبين أن هذا الأمر المتعلق بالقبور من البدع والشركيات موجود لا يملك من يريد التلبيس له نقضاً بدعوة أن هذا اتهم المخالفين أو من ريادتهم.

وقد جاءت هذه الدراسة الوافية بحمد الله متكاملة فهي تؤصل المسائل شرعاً

حسب دلائل الكتاب والسنّة الصحيحة، ثم تبين أنواع البدع والشركيات في القبور وأنها موجودة من خلال التوثيق العلمي ثم تنقض عليها رداً ونقضاً كشفاً من خلال الأدلة العلمي ثم تنقض عليها رداً ونقضاً وكشفاً من خلال الأدلة الشرعية وكلام العلماء عموماً وعلماء اليمن خصوصاً ـ الذي أخذ نصيباً وافراً من الدراسة ـ حتى جاءت الرسالة وافية متكاملة.

وأحب هنا أن أوصي بثلاثة أمور:

١ ـ العناية بهذه الموضوعات والإكثار من طرقها في مختلف الوسائل لأن خطر الشرك عظيم، وهو خطر داهم في هذه الأيام، خاصة وأن دعاته من القبوريين والخرافيين قد رفعوا رؤوسهم مستغلين دعوة الحرية والديمقراطية والحوار التي يصدرها الغرب.

٢ ـ كشف هذه التلبيس في كثير من وسائل الإعلام التي أصبحت تمجّد هذه الأضرحة وتقدّسها وتجعل لها حرماً، وحقوقاً، بل تقرنها بما شرع الله تعظيمه، بينما هي في الحقيقة أصناماً وأوثاناً تعبد من دون الله. والواجب بيان الحق من الباطل وتميّز التوحيد من الشرك والسنّة من البدعة حتى لا ينخدع عامة المسلمين بل وبعضهم يتعلّمها.

٣ ـ نشر هذه الرسالة العلمية في أنحاء العالم الإسلامي فهي وإن ركزت في الشواهد والأمثلة في اليمن إلا أن مسائل القبور ومشبهاتها هي هي في كل مكان من بلاد المسلمين، فما ذكر في هذه الرسالة من ردود ومناقشات لشبهات دعاة القبورية، وما تضمنته من فضائح الكثير ممن ابتلوا بهذا الداء الخطر الفتاك، صالحة لكل بلد ابتلي بهذه الأضرحة التي صار لها سدنتها ودعاتها والمروجون لها، فالبال واحد والشبهات واحدة، وعليه فالردود عليهم منطلقاتها واحدة.

أسأل الله تعالى أن يعزّ دينه وأن ينصر من نصر هذا الدين كما أسأله أن يجزل المثوبة لأخينا الشيخ أحمد على هذه الدراسة القيّمة وأن لا يحرمنا وإياه ومن سعى في نشر هذه الرسالة وأمثالها الأجر والثواب إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وسلم على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

**وكتبه عبد الرحمن الصالح المحمود**

**الرياض**

**١٤٢٦/١١/١٧هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين:

(وبعد) فهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ المسمى (القبورية ـ نشأتها ـ آثارها ـ موقف العلماء منها «اليمن نموذجاً») لمِن أحسن الكتب التي أخرجت للناس في أرض اليمن، فقد تكلم فيه بكلام رصين، عالج فيه قضية كبرى من القضايا المتعلقة بالعقيدة، ألا وهي مكافحة من بقي من الناس يعتقد في أصحاب القبور، الذين لا ينفعون أحداً ممن يعيش على هذه الدنيا.

ولقد توسع المؤلف في الرد عليهم توسعاً لا نظير له، وأكمل بكتابه هذا ما كان قد فتحه الأمير والشوكاني والنعمي وغيرهم من علماء اليمن المتحررين، فرضي الله عن المؤلف وجزاه الله خيراً، وكتب أجره، وضاعف ثوابه، آمين. وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

**جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ** **محمد بن إسماعيل العمراني**

**الموافق أغسطس ٢٠٠٤م**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ.

وبعد:

فقد قرأت أكثر ما في كتاب (القبورية ـ نشأتها ـ آثارها ـ موقف العلماء منها «اليمن نموذجاً»)، وللحقيقة لم أقرأه كله، أو بالأصح لم أستطع أن أقرأه كله؛ لأسباب من مرض وشيخوخة وعجز ذاتي. إلا أن ما قرأت فيه من علم وتحقيق كان الأكثر، وهو الذي استبد بتذكيري ومذاكرتي من كتاب أخينا الشيخ أحمد بن حسن المعلم، فجزاه الله خير الجزاء. وهكذا يكون العلماء، ولا سيما في مثل موضوعه الذي حاول أن يعطيه عنايته، ويعزز به فكرته، ويجعل من كتابه هداية وإرشاد وتوعية دينية مخلصة، موجهاً من خلاله إلى طبيعة علماء حضرموت واليمن: في أسلوب التوعية والنصيحة، وإرشاد المسترشدين في الدعوة إلى الله بالحسنى، والمجادلة بالتي هي أحسن، وهو من أجلها كتب، ومن أجلها كان وسطاً، وهو الوسطي في كل شؤونه، ومن أجله كان محرابه العلم، ومأذنته أماكن الخطابة العلمية الجادة، والطرح الموضوعي، والأسلوب الهادئ، غير متنطع، ولا متشنج، ولا مزايد.

جزاه الله عن علماء حضرموت خير الجزاء، فقد كان نعم الممثل لهم، والحاكي عنهم والقدوة التي يقتدون، نقول هذا ولا نحسبه إلا عند حسن الظن.

وفقنا الله أجمعين لما فيه خيرنا وخير أمتنا الإسلامية. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

**١٤٢٥/٨/٢٠هـ** **عبد الرحمن بن عبد الله بكير**

**الموافق ٢٠٠٤/١٠/٤م**

# تقديم

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]. ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [السبأ: ٢٢]. ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

**أما بعد**: فإن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، لم يشدد النكير على أي مخالفة من المخالفات لمنهج الله في عباده، كما هو حادث في الشرك بأنواعه المتعددة، الذي رأسه وذروة سنامه الاعتقاد بأن لله شريكاً في ملكه، يستغاث به ويرجى منه دفع الضر وجلب الخير، وأدناه الاستغاثة بأصحاب القبور واتخاذهم من دون الله أولياء؛ وذلك ليقربوهم إليه زلفى، مما جعل أتباع هؤلاء يبالغون بغلو في تعظيم أصحاب هذه القبور، والعناية بها، ووضع التوابيت الفخمة على قبورهم؛ وذلك لإدخال المهابة لهم لدى أتباعهم وزوَّارهم؛ لاستدرار النذور لهم، فتتلقفها جيوب سدنة هذه القبور بينما غيره من الأحياء المعدمين ليس لهم نصيب من المال كأصحاب القبور، وهو ما أشار إليه الشاعر حافظ إبراهيم بقوله:

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهم … وبألفِ ألفٍ تُرزق الأمواتُ
من لي بحظ النائمين بحفرة … قامت على أحجارها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجري حولها … بحرُ النذور وتُقرأ الآيات

ويقال هذا القطب باب المصطفى     ووسيلةٌ تقضى به الحاجات

هذا مع العلم أن بعض هذه القبور ذات المشاهد الكبيرة التي بنيت لرجال مشهورين في التاريخ الإسلامي، قد بنيت في أزمنة متأخرة من تواريخ وفياتهم، وفي مواضع لم تكن مرقد رفاتهم على الإطلاق؛ وذلك لتكون رمزاً لمقدساتهم؛ فيقصدوها للتبرك بها، كما أن بعض القبور قد بنيت بطريقة مخالفة لسائر القبور الأخرى للدلالة على أن أصحابها لهم مكانة خاصة في مجتمعهم، وذلك كما أشار إلى ذلك العلامة المجتهد إبراهيم بن الإمام محمد بن إسماعيل الأمير ـ رحمه الله ورحم أباه ـ بقوله:

عجباً لحمقى الأغنياء فإنهم     سلكوا طريقاً في الحماقة مبهما
لم يكفهم داء التكبر فوقها     فتكبروا تحت التراب المرمما
أَمروا بعمران القبور كأنهم     بعد الممات يفاخرون المعدما
أتراه يحفظ ما بنوه لحومهم     عن دودها ويصون تلك الأعظما
ينهدّ ما يبقى وليس بنافع     جسد الرميم بناؤه إن هدّما

على بعض هذه القبور الفخمة قد بني أعظمها على موتى طغاة، يصدق عليهم قول أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته الموسومة بـ (صقر قريش عبد الرحمن الداخل) التي مطلعها:

من لنضوٍ يتنزى أَلَما     برح الشوق به في الغلس

وذلك بقوله:

كم قبور زينت جيد الثرى     تحتها أنجس من ميت المجوس

إلى غير ذلك من الشواهد الدالة على مخالفة ما جاء به الإسلام في تحريم تعظيم القبور، والتفاخر بإحاطتها بهالة من الزخارف والقباب المنصوبة فوق التوابيت، وغير ذلك مما تناوله ابننا العالم الأستاذ أحمد بن حسن المعلم في كتابه (القبورية ـ نشأتها ـ آثارها ـ موقف العلماء منها «اليمن نموذجاً») الذي كشف فيه عن كثير من المخالفات المنافية لمنهج الدين الإسلامي، وأورد كثيراً من الأمثلة الحية لعدد من الممارسات الضالة من الاعتقادات الباطلة. فجزاه الله خير الجزاء، ونفع بكتابه هذا من يرد الله به خيراً.

**والله ولي التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل.**

**إسماعيل بن علي الأكوع**

بسم الله الرحمن الرحيم

باسمك اللهم نستفتح القول، ونستمد العون، فلك الحمد وحدك لا شريك لك، ولك الشكر والثناء الحسن. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونستهديك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونثني عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق.

والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد البشر، ما أضاء نور الحق وظهر منار الدين وارتفع، وعلى آله وصحبه المتبعين سنته، وعلى التابعين بإحسان إلى يوم البعث والنشور، وبعد:

فإن ما جمعه الشيخ العلامة الفاضل أحمد بن حسن المعلم في كتاب (القبورية ـ نشأتها ـ آثارها ـ موقف العلماء منها «اليمن نموذجاً») ـ على أهميته وخطورته ـ لم يكن مجرد بحث يضاف إلى ما كتب في هذا الموضوع على قلة ما كتب فيه، بقدر ما هو دراسة علمية عميقة ومتأنية، تكشف عوار هؤلاء المتمسكين بأذيال الوثنية في صورها المختلفة، المتباكين على مصرعها في كثير من مخابئها، بل في أكثرها، وهم يحنون لعودتها، ويدعون إلى إعادتها في صور عصرية جديدة؛ ولهذا فقد أقض صدور هذا الكتاب مضاجع هؤلاء التائهين في أودية الجهالة، الغارقين في بحور الضلالة؛ فهبوا متصايحين، وتنادوا مصبحين، لنصرة آلهتهم، وترويج باطلهم، و﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فطالب بعضهم باستصدار قرار سياسي بمنع هذا الكتاب وأمثاله، ولم يدرِ هؤلاء المساكين أن صوت الحق لا يسكت بقرار سياسي، وما شأن السياسة وهذا الشأن، وإنما تقبل الحقائق بمثلها، وتقرع الحجة بالحجة.

إن فضيلة الشيخ أحمد المعلم ـ حفظه الله ونفع به ورعاه ـ لم يتجنَ على أحد في كتابه «القبورية»، وإنما قام بما يجب عليه كما هو واجب كل عالم من الدفاع عن قضية التوحيد، وإزالة ما علق به من أدران الجاهلية وأوضارها، وهذه كتب القوم التي نَقَل منها موجودة متداولة وكثير منها مطبوع، وما تزال تطبع وتنشر وتروّج

ويعتنى بها، فإن فرض أن المؤلف أخطأ في النقل، أو اشتُط به الفهم، أو زاد أو نقص، أو بدل أو حرف وحذف، فلنمسك بتلابيبه ونوقفه عند حده، ونحاسبه حساباً عسيراً، أما أن نتهمه بكل نقيصة، ونرميه بالعظائم، ونكيل له باللوم جزافاً، فما هذا بسبيل المؤمنين المحسنين، وإنما هو دأب الحمقى المبطلين ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦].

وإني لأعجب أشد العجب من أقوام تأخذهم العزة بالإثم، وتثور لديهم الحمية الجاهلية عندما تُطرق مثل هذه القضايا العقدية التي تتعلق بأصل الإيمان، ولا يسع العالم السكوت عليها، والإعراض عنها، وإلا يدخل في الوعيد الشديد الوارد في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠].

ألا ما أحوجنا إلى مثل هذه الدراسات الجادة الهادفة، فإن هذا الموضوع، موضوع التوحيد ـ لتعلقه بأصل الإيمان، وتصحيح العقيدة ـ يجب أن يأخذ جل اهتمامنا، وكل تفكيرنا.

وفي ختام القول نسأل الله جل شأنه أن يثيب المؤلف على حسن صنيعه، وأن يوفقنا وإياه والجميع لاتباع الحق، ويلهمنا الرشد والسداد، والله أعلم.

**٢٨ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ**

**الموافق ٢٠٠٤/٨/١٤م**

**وكتبه**

**علي بن سالم بن سعيد بكيِّر غيثان**

**بتريم ــ حضرموت**